الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون-تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل. م. د)
تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي
موسومة بـ:

كتابة التراجم في الأندلس
(ق04-09هـ)

إعداد الطالبة: محيوس أمينة
بإشراف: أ.د. عليلي محمد
المشرف المساعد: أ.د. شرف عبد الحق

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د. تاج محمد	أستاذ	جامعة ابن خلدون - تيارت	رئيسا
أ.د. عليلي محمد	أستاذ	جامعة ابن خلدون- تيارت	مشرفا ومقررا
أ.د. شرف عبد الحق	أستاذ	جامعة ابن خلدون- تيارت	مشرفا مساعدا
أ.د. بوخاري عمر	أستاذ	جامعة ابن خلدون- تيارت	مناقشا
أ.د. وهراني قدور	أستاذ	جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان	مناقشا
د. حاج عيسى إلياس	محاضر أ	المدرسة العليا للأساتذة طالب عبد الرحمان- الأغواط	مناقشا

السنة الجامعية: 1446-1447هـ/2024-2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد؛ أهدي ثمرة هذا الجهد؛

إلى من قال الباري تعالى في حقهما: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾. لقمان، الآية: 14

❁ إلى الوالد العزيز، الأستاذ المعلم، والشيخ المربي الحاج محيوس بن دنيا أطال الله في عمره ورزقه الصحة والعافية؛ الذي غمرني بحبّه وعطائه وكريم أخلاقه، حتى تمّلي ما وعدتُه، وبالنّجاح وشّحته.

❁ ثم إلى نبع الحنان؛ والدتي الحاجة وكالة بختة أدام الله عليها ستره وعافيته؛ التي رعتني دعواتها في الحال والمآل، فكانت نبراسا بضوئه اهتديت، فنمّلي ما تأمّلتْ.

❁ إلى والدي الذي لم يلدني، المعلم والشيخ المربي الحاج شرف عمر المشرفي، رزقه الله الصحة والعافية، الذي غمرني بدعواته، منذ أن صيّرني القدر أحد بناته؛ إلى يوم النقاش وتحصيل النهاني. وإلى حرمه الحاجة فاطمة مبارك المشرفية منّعها الله بموفور الصحة والهناء، التي لم تدع لي دعوة، إلا وصدّقتها الأيام.

❁ إلى زوجي العزيز الأستاذ الدكتور عبد الحق شرف، الذي شجّعني على إتمام دراستي وأبحاثي الجامعية، فكان لي خير سند وعون في إنجاز هذا العمل، رغم التزاماته المهنية والبيداغوجية الكثيرة.

❁ إلى حبيبيّ القلب وثمرة الفؤاد وقرّة العين؛ عمر ومحمد الأمين جعلهما الله من العلماء العاملين.

❁ إلى إخوتي وأخواتي الذين قاسموني عناء وهموم البحث ولو بالكلمة الطيبة؛ محمد فأحمد ثم يوسف؛ صليحة وسمية ونها الختمُ

❁ وإلى كل أفراد عائلة المشارف بولاية معسكر؛ وخاصة منهم لَبِية وأمينة أخواتي وإنِ اختلف البطنُ الذي حَمَل

أمينة محيوس: ذات الفاتح من شهر ديسمبر 2024

شكر وتقدير

يقول الرسول صلى الله عليه وسلّم: "**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**". صححه الألباني

أتقدم في هذا المقام، بخالص الشكر والامتنان والتقدير والعرفان إلى:

أستاذي الفاضل الذي رعى هذا البحث منذ أن كان فكرة حتى صار بحثا مكتملا؛ المؤرخ الألمعي، بقية أصحاب الولاية والطريقة، الأستاذ الدكتور محمد عليلي التلمساني ثم النيهرتي، الذي كان لي خير سند في إتمام هذا العمل.

وإلى سادتي العلما أعضاء لجنة المناقشة الموقرة الذين بظلّهم الوريف أستظلّ؛ على قبول قراءة ومناقشة هذا العمل، وتصويبه وتقويمه وتمحيصه، حتى أضحى حالي كما قال الفرزدق لجرير (من الطويل)[1]:

أولَئِكَ آبائي فَجِئني بِمِثلِهِم * إذا جَمَعَتنا يا جَرِيرُ المَجامِعُ**

فها أنا ذا أصفّ سادتي ومشايخي وأرسلُهم في سندي وروايتي، سندا ورواية عالياً كالأنجم؛

أستاذنا وشيخنا النّحرير، الذي سبَقَت أُبوّتَه أستاذيّتَه، فلم نَشْقَ يوما في ظلّ جواره وكريم سلطانه؛ السيد العميد المحترم الأستاذ الدكتور تاج محمد النيهرتي، رئيس لجنة المناقشة الموقّرة؛

الأستاذ والشيخ الوالد؛ المربي الناصح؛ العالم الصدر في محرابه؛ شيخ مشايخ الأندلس في عصره وزمانه، صاحب الفضل والمكرمات، الأستاذ الدكتور عمر بوخاري التلمساني ثم النيهرتي، سليل الشهداء والعلماء؛

إلى من رافقتنا أيام الطلب ونحن طلبة حُدثاء، ومرّت الأيام والسنون؛ فجاء ليشهد فوزنا في مضمار العلوم، وعلى يديه كان الختمُ والتتويج؛ سليلُ العلم والشرف، وبقية سادات الخلف الأستاذ الدكتور قدور وهراني التلمساني، الذي أتعبَنا من بعده، فغدا حالنا كقول عمر للصديق رضي الله عنهما "قد أعييت الخلفاء من بعدك يا أبا بكر".

إلى مَن سبق سمتُه وأدبُه علمَه، فتعلّمنا منه الأدب قبل العَمَل، والحِلم قبل العِلم؛ الأستاذ المربي الدكتور حاج عيسى إلياس، الغرداوي ثم النيهرتي نزيل الأغواط.

وإلى سليل العلم والشرف، الأستاذ الدكتور شرف عبد الحق المشرفي المعسكري ثم النيهرتي؛ الذي رعى هاته الأفكار منذ أن بُذرت بذرا، إلى أن أينعت وحان وقت القطاف

وإلى جميع أساتيذي ومشايخي كافة...

أهدي هذا العمل، حبّا وتبجيلا وتقديرا

1- قصيدة: مِنّا الّذي اختِيرَ الرّجالَ سَماحَةً. ينظر: ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدّم له: علي فاعور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1987، ص360.

كلمة شكر واعتراف لابد منها . . .

أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير العميم، إلى كل من قدّم لنا يد العون والمساعدة، من أجل إتمام العمل على هاته الأطروحة، ولو بالكلمة الطيبة الصادقة، وأخص بالذكر:

❁ أستاذي وشيخي الفاضل، الذي لم ولن تسعه عبارات الشكر والثناء مهما كانت، الأستاذ الدكتور بوخاري عمر، أستاذ التاريخ الأندلسي بجامعة ابن خلدون تيارت، والباحث بمخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا؛ الذي زودني مشكورا بقسم من مكتبته الأندلسية، فكانت لي خير سند في إنجاز أطروحتي.

❁ الدكتور ليب الحاج، أستاذ الآثار بجامعة ابن خلدون تيارت، والباحث بمخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، الذي نسوق له من هذا المقام أسمى عبارات الشكر والثناء والتقدير على ما قَدَّمَ، حيث تنقل خلال شهر أوت 2024 في رحلة خاصة بين باريس والمركز السعودي بالدار البيضاء المغربية، لتصوير سِفْرٍ نفيس كان قد سُرق منّا، ولم نعش له على أثر.

❁ الأستاذ الدكتور القادري بوتشيش؛ الأستاذ الفخري بجامعة مكناس بالمغرب، على مساعدته الكريمة، ونبل مشاعره وقيمه الإنسانية الراقية.

❁ الأستاذة الدكتورة عبد اللطيف عصمت دندش رحمها الله، الباحثة المصرية الأصيلة نزيلة المغرب، التي هاتَفَتُها ذات 29 جويلية 2024 طالبة للمساعدة، فوجدتها تمر بظروف صحية حرجة للغاية، إلا أنها لبّت الطلب ووفّت ما وعدت، ولم تلبث طويلا أن انتقلت روحها إلى بارئها ذات 29 سبتمبر 2024 بالمغرب.

❁ الدكتور هشام البقالي الطنجي، الذي زوّدني مشكورا بنسخة كاملة من طبعة دار الكتاب العربي 1973 لكتاب المقتبس لابن حيان التي تؤرخ للفترة الممتدة 267–275هـ، بعد أن فقدتُ لها الأثر بالجزائر.

❁ إلى كل أساتذتي بقسم التاريخ بجامعة ابن خلدون الذين تتلمذت لهم، فنهلتُ منهم العلوم من معينها الصافي؛ وأخص بالذكر –وليعذرنا من لم نورد له اسما–:

الأستاذ الدكتور بلقاسم بن عودة النيهرتي، الذي تعلّمنا منه الجدّ والحرص، ثم على تشجيعه المستمر

أساتذاتي الفُضليات العزيزات؛ الدكتورة شرقي نوارة؛ الأستاذة الدكتورة لزغم فوزية؛ الدكتورة طيب بوجمعة نعيمة، الأستاذة الدكتورة حباش فاطمة؛ والدكتورة حمري ليلى.

❁ إلى كل الطاقم التربوي والإداري لجامعة ابن خلدون تيارت التي تتلمذنا في أحضانها؛ ومِنهَا نلنا شرف الشهادة العلمية؛ مِن أعلى الهرم إلى آخر شخص مرابط في قاعدته.

قائمة المختصرات الواردة في الأطروحة

ب ت: بدون تاريخ

ب ط: بدون طبعة

ج: الجزء

مج: المجلد

ع: العدد

ص: الصفحة

ط: الطبعة

هـ: هجري

م: ميلادي

P : Page

Vol : Volume

N : Numéro

مقدمة

التعريف بالموضوع وإبراز أهميته:

ظلت العلاقة بين الأندلس والمشرق الإسلامي وطيدة للغاية، على مرّ فترات زمنية مديدة، حيث بقيت ردحا غير يسير من الزمن، تابعة سياسيا لمركز الخلافة بالمشرق بعد الفتح. وقد شجّعت هاته التبعية السياسية، على التبادل الثقافي والاقتصادي بين هذين الـــمَصرَيْن الجغرافيين الهامين. كما حدث بينهما تأثير متبادل في جوانب حضارية شتى؛ لعلّ من أبرزها الجانب الديني والعلمي، إذِ استفادت الأندلس منَ المشرق في فترات متقدمة، وذلك مِن خلال الدور الذي قام به الفاتحون في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية، وبالأخصّ منها علوم الشرع.

وبالإضافة إلى ذلك، هناك عوامل أخرى كثيرة، ساهمت في تطور وازدهار الأندلس ثقافيا وعلميا، كالرحلة التجارية والدينية؛ منها وإليها، وكذا الدور الوازن لخلفاء بني أمية في الأندلس، حيث أسهموا بقسط وافر في دعم ورعاية الحركة العلمية بهذا الـــمَصْر المبارك.

وكنتيجة لذلك؛ شهدت بلاد الفردوس المفقود حركة ثقافية واسعة، وتنوعت بها طرق التأليف في مختلف مجالات الثقافة الإسلامية، حيث تـــجلّت معالم ذلك كلّه، في التراث الكبير الذي خلّفه أهلها؛ علمي وأدبي وفلسفي وتاريخي زاخر، بقي شاهدا على تقدم ورقي حضارة هذا البلد.

ومن بين الآثار العلمية التي عُرفت وقتها، وبقيت صامدة مدّة قرون من الزمن، كتابة التراجم التي تجلّت في تآليف كثيرة حوت مادة بيوغرافية وبيبليوغرافية هامة. هذا النوع من الكتابة التاريخية، الذي شقّ طريقه في صمت منذ البدايات الأولى، حتى انتهى به الأمر فكرة قائمة بذاتها.

وتُعتبر الكتابة في علم التراجم، جانبا من الجوانب التي ظهر تأثُّر الأندلس بها باديا، إذِ اقتبسوها عن المشارقة وأعطوها روحا جديدة، بل وأبدعوا فيها إبداعا منقطع النظير. يتضح ذلك من خلال اهتمامهم بالتأريخ للرجال والأعلام، الذين نَبَغوا في فنون وعلوم مختلفة، كالفقه والحديث، والقراءات والتاريخ والأدب، والطبّ وغيرها.

وقد ذاعت هاته المؤلفات وانتشرت بالأندلس على وجه الخصوص، قبل أن تسود بالغرب الإسلامي كلّه، إذْ يعتبر كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي (ت403هـــ/1012م) أولى الحلقات في سلسلة التراجم الأندلسية، التي تتابعت من القرن الرابع إلى القرن التاسع الهجريين (ق04-09هـــ/10-15م)، وهي ما اصطُلِح على تسميتها بـــ "كتب الصلات الأندلسية" لتواصل

حلقاتها. حيث تناول مؤلفوها أعلام الفقهاء والأدباء والشعراء والفلاسفة، والخلفاء والملوك والأمراء والقادة، ومختلف الفئات؛ بذِكر مواقفهم وآثارهم في جوانب الحياة العامة.

ومن الآكد لدى أرباب الاختصاص، أن لِكُتُبِ التراجم أهمية كبرى في دراسة التاريخ الأندلسي، وذلك لِما تُلقيه من أضواء على جوانب مختلفة من الحياة السياسية والعسكرية، والاجتماعية والاقتصادية، فضلا عن كونها ترصد لنا تطورات الحركة العلمية من حيث إنتاجها الفكري الوفير، وتحفظ للأمة جهودها العلمية، ومنجزاتها الثقافية، وبالتالي الكشف عن كل ما له علاقة بتاريخ الحضارة الإسلامية بالأندلس.

دوافع اختيار الموضوع:

لقد آثرنا البحث والحديث في موضوع "كتابة التراجم الأندلسية خلال (ق04-09هـ/10-15م)، للنبش والتنقيب فيه وسبر أغواره، إذْ كان سعينا الحثيث فيه، هو محاولة إعطاء صورة شاملة وكاملة وواضحة المعالم، عن منهجية كُتّاب التراجم الأندلسيين في تدوين تراجمهم وطُرق عرضها، خلال الفترة محلّ الدراسة.

كما كان هدفنا الأسمى من وراء الغوص وخوض عُباب بحر هذا البحث، هو التقصي ما أمكننا، عن الجوانب المهمة التي تخص كتابة التراجم التي عُرف بها الأندلسيون، وأصبحت سمة لصيقة بهم، ولازمتهم عن غيرهم على مرّ قرون من الزمن. ثم محاولتنا لملمة ما تشتّت مِن مادة هذا الموضوع في بطون المصادر، قصد إعداد دراسة جامعة وشاملة عن موضوع كتابة التراجم في الأندلس (ق04-09هـ/10-15م)، خاصة إذا وضعنا في الحسبان، أن جلّ مَنْ كَتب عن الموضوع من المؤرخين، لم يتناولوها بالكلّية، بل اقتصروا على دراسات منفردة لذلك المصدر أو ذاك، وهذا في حدّ ذاته لا يمكن أن يحقّق الفائدة المتوخاة مِن وراء دراسة كتابة التراجم في الأندلس، بل وقد يجعلها قاصرة في جوانب كثيرة.

إنّ إيماننا العميق، الذي تغذّيه مطالعات سابقة وكثيرة في الموضوع، وتشجيع مِن أساتيذنا ومشايخنا الذين نَهلنا منهم العلم مِن معينه الصافي، هي التي حَدَت بنا لخوض غمار البحث بهاته الكيفية أو الطريقة، مع ما فيها من مخاطرة ومجازفة كبيرة، خاصة في ظل إصرارنا على تناول مصادر فترة زمنية طويلة نسبيا (ق04-09هـ/10-15م)، وهو ما قد يوقعنا -لا قدّر الله-في إشكالات منهجية قد تثقل عجلة البحث، وتؤخّر إتمامه في الآجال المحددة، وبنتائج مرضية.

ومع ذلك؛ فقد كان هدفنا الأول هو إتمام العمل في الموضوع على الوجه المرتضى، ثم محاولة منا لحفظ ما جادت به علينا مصادر الفترة المذكورة وأعلامها، والتي ظلّت لفترات تاريخية مديدة، مصدر إلهام للعديد من المدارس التاريخية خاصة الغربية منها.

الدراسات السابقة:

هذا؛ ولـــم يحظ موضوع كتابة التراجم في الأندلس خلال الفترة الممتدة من القرن الرابع إلى القرن التاسع الهجريين (04-09هـــ/10-15م) بالعناية الكافية اللازمة من الباحثين المتقنين الـــمجوّدين، بل إنّ الدراسة في الموضوع بهاته الصيغة، قد تكاد تكون منعدمة-في حدود ما اطّلعنا عليه-سوى بعض الدراسات التي تناولت جانبا من جوانبه أو بعض أطرافه، حيث اكتفى أصحابها، بوضع دراسات تخص مصدرا أو مصدرين فقط. بينما يحتاج هذا الموضوع -في نظرنا-إلى رصد كل مصادر الفترة بداية بابن الفرضي ووصولا إلى آخر كتاب من كتب الصلات الأندلسية، حتى تعمّ الفائدة المتوخاة منه، وهي الفترة التي عبّر عنها ابن الخطيب بكلّ صدق فسماها "كتب الصلات الأندلسية"، ولذلك فلا سبيل لدراستها وفهمها وإدراك مكنوناتها إلا متّصلة ببعضها، وما عدى ذلك فهو طرق للموضوع في جانب من الجوانب لا غير.

ومن الدراسات التي أمكننا الحصول عليها -بعد عملية بحث وتقصٍّ مضني-والتي أعطت مسحة شاملة لكتب التراجم في الغرب الإسلامي؛ ذلكم الكتاب الذي ألّفه عميد الدراسات الأندلسية الدكتور بن شريفة محمد رحمه الله قبل ربع قرن، الموسوم بـــ: "كتابة التراجم في الغرب الإسلامي: بواعثها وأنماطها". هذا السفر الصغير الثمين، كان بحوزتنا طيلة فترات البحث الماضية حتى شهر جوان 2024، أين اختفى من مكتبتنا بطريقة غريبة جدا، لنكتشف فيما بعد أنه تم السطو عليه مع جزء هام من النسخة الخطية للأطروحة (الفصول الأولى)، ولحسن الحظ أن هاته الفصول كانت مرقونة على الحاسوب.

وفي هذا الإطار، لابد من التنويه بالجهد الكبير الذي بذله الدكتور لبيب الحاج من جامعة تيارت، حيث تنقل خلال شهر أوت 2024 في رحلة خاصة بين باريس والمركز السعودي بالدار البيضاء المغربية، من أجل إعادة تصوير الكتاب من المركز المذكور، وقد كلّلت جهوده مشكورا بتصوير الكتاب، وإرساله إلينا.

هذا وقد سبق جهد الدكتور لبيب الحاج، اتصالات مكثفة مع عدد من المؤرخين المغاربة من أجل الحصول على نسخة من الكتاب المذكور، إلا أنها لم تؤت أكلها للأسف الشديد رغم الإلحاح المتكرر للطلب. فقد تم الاتصال يوم 21 جويلية 2024 (والرسالة موجودة) بوساطة من مدير مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا الأستاذ الدكتور عبد الحق شرف؛ بالأستاذ الدكتور القادري بوتشيش وهو أستاذ فخري بجامعة مكناس بالمغرب، وقد اعتذر مشكورا لعدم توفره على الكتاب، إلا أنه أحالنا على حرم مؤلّف الكتاب الأستاذة الدكتورة عبد اللطيف عصمت دندش، وأمدّنا برقم هاتفها للتواصل معها.

وبالفعل تم الاتصال هاتفيا بالأستاذة المذكورة بوساطة مدير المخبر دائما، يوم 29 جويلية 2024، إلا أنها وللأسف الشديد كانت تمر بظروف صحية حرجة للغاية و لم ترد على المكالمة، الأمر الذي استدعانا لأن نترك لها رسالة نصية، عاودت بموجبها الاتصال بنا هاتفيا بعد تحسن طفيف في حالتها الصحية، إلا أنها اعتذرت هي الأخرى بسب الظرف الصحي القاهر-كانت هذه آخر أيام حياتها في هاته الدنيا، حيث فارقت الحياة بعد قرابة شهرين من اتصالنا بها- وأحالتنا على الأستاذ الدكتور عبد العزيز الساوري، عضو أكاديمية المملكة المغربية، باعتباره من أقرب أصدقاء المؤلف الدكتور بن شريفة محمد رحمه الله.

وبعد عملية بحث وتقصٍّ عن طريقة للتواصل مع الأستاذ الأخير، زوّدنا الدكتور هشام البقالي الطنجي مشكورا-بوساطة مدير المخبر دوما-برقم الأستاذ الساوي بعد طلب إذنه، واتصلنا به يوم 31 جويلية من السنة نفسها، وقد رحّب بطلبنا بصدر رِحب ووعد بتصوير الكتاب في أقرب الآجال، إلا أنه وللأسف الشديد لم يتم تلبية طلبنا إلى غاية تحبير هاته السطور.

هذا؛ ولابد من التنبيه إلى أن هذا الكُتيب، ورغم صِغر حجمه الذي لا يكاد يتعدى الثمانين صفحة من القطع الصغير، هو بـــحقّ سِفرٌ نفيس، وجمّ الفوائد، إذْ به يتضح طريق البحث، ويتبدّى للباحث من خلاله السبيل الصحيح الذي يسلكه، حيث إنه قدّم مسحة شاملة لكتب التراجم في الفترة المحلّ الدراسة، وهو ما وفّر علينا بشكل مباشر عملية إحصاء مصادر هاته الفترة، إلا أن هاته الدراسة التي قدّمها الدكتور بن شريفة، جاءت مختصرة جدا إلى حدّ القول بأنها دراسة إحصائية فقط، يحصّل من خلالها الباحث عنوان المصدر والفترة الزمنية فقط.

هذا، ولا بد من الإشارة إلى بعض الدارسات السابقة التي خدمت البحث كثيرا، وأمدّته بمادة هامة، وشكّلت إحدى لبناته الأساسية التي سهّلت سير وتقدّم البحث إلى حين الانتهاء منه، وهي على نوعين؛ أطاريح جامعية، ومقالات علمية.

فأما الأطاريح الجامعية:

فنذكر منها أطروحة الماجستير للباحثة كامل الشيخ عُلا كمال، الموسومة بـــ "**منهج الإمام عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي(تـــ403هـــ) في نقد الرجال دراسة تطبيقية على كتابه تاريخ علماء الأندلس**"، وهي أطروحة ماجستير في الحديث الشريف وعلومه، نوقشت سنة 2018 بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة فلسطين؛ وتعدّ دراسة قيّمة أفاد منها البحث كثيرا، خاصة ما تعلّق بابن الفرضي ومنهجه في الكتابة التاريخية.

وتليها كذلك، رسالة الماجستير في التاريخ الإسلامي التي تقدّمت بها عبد الله العومي ليلى بنت سلمان، والموسومة بـــ "**مصادر ابن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة دراسة تاريخية**"، ونوقشت سنة 2008 بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية؛ وهي دراسة هامة عن ابن عبد الملك المراكشي، وكان لها حضور هام في أطروحتنا.

ومنها كذلك؛ أطروحة دكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي؛ تقدمت بها العبيدي إيمان محمود حمادي، تحت عنوان "**التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس من القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري**"، ونوقشت سنة 2011 بقسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة الأنبار بالعراق. هاته الأطروحة هي عبارة عن دراسة إحصائية فقط لكتب التراجم في الأندلس من القرن الخامس إلى القرن السابع الهجريين (05-07هـــ/11-12م)، دون أن تتناول منهج كُتّاب التراجم خلال الفترة المذكورة، وقد اكتفت صاحبتها بذكر عناوين وأسماء الكتب فقط، وهو ما جعلها في نظرنا دراسة قاصرة، لم توف الموضوع حقّه من الدراسة والتحليل.

ومن ضمنها كذلك، أطروحة الدكتوراه التي تقدّم بها الوزان أحمد بن عبد الرحمن بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية سنة 2008، وجاءت تحت عنوان: "**التدوين التاريخي في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري**". والحق يقال إن هاته الأطروحة تعدّ من ضمن الدراسات القيّمة جدا التي تعاقبت على تناول موضوع التدوين التاريخي في الأندلس بصفة عامة، حيث بذل فيها صاحبها جهودا مضنية، وأبان فيها عن مستوى عالي في التحليل والتدقيق

التاريخي، لذلك كان استئناسنا بها كثيرا في الحديث عن كتابة التراجم خلال القرن الرابع الهجري (04هـ/10م).

وأما المقالات العلمية:

فيأتي في مقدمتها، الدراسة الهامة التي كتبها السحيباني حمد بن صالح، وجاءت تحت عنوان: "**مصادر الحافظ ابن الفرضي في كتابه تاريخ العلماء والرواة**"، ونشرت سنة 1999؛ وهاته الدراسة تعتبر في نظرنا، من أحسن ما دُوّن من دراسات حول ابن الفرضي.

ومن هاته الدراسات كذلك؛ دراسة أحمد هاشم محمد الموسومة بـ "**علم تاريخ الرجال في الأندلس وقيمته العلمية**"، التي نشرت سنة 2012، وهو مقال مختصر جدا حول كتب التراجم في الأندلس.

ومن الدراسات التي يحسُن بنا إيرادها في هذا المقام، تلك التي قدّمها حميداتو مصطفى والعيادي خدومة وجاءت تحت عنوان: "**فن التراجم عند الأندلسيين: دراسة في النشأة والمنهج**"، ونشرت سنة 2016، وهي دراسة هامة في بابها، إلا أنها أتت مختصرة جدا.

وكذلك؛ لابد في هذا الصدد من الإشارة إلى الدراسة التي نشرها يوسف أحمد بني ياسين سنة 2012 تحت عنوان "**تعقبّات ابن الأبار (تـ658هـ/1260م) في كتابه التكملة لكتاب الصلة على ابن بشكوال (تـ578هـ/1183م) في كتابه الصلة**"، وهي من أحسن ما مرّ بنا من مقالات علمية حول الموضوع، خلال فترة إعداد الأطروحة. وكذلك، الدراسة التي أعدّها المؤلف نفسه بمعية عصام مصطفى عقلة والموسومة بـ "**منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة**" ونشرت سنة 2010، وهي من أحسن الدراسات التي عالجت موضوع الأطروحة في بعض جوانبها المعرفية والمنهجية.

على أن ختام هاته المقالات، هي تلك الدراسة الهامة التي قدّمها شعيب عبد الواحد عبد السلام تحت عنوان "**كتب الصلات الأندلسية نهج فريد في فن التراجم الإخبارية**"، ونُشرت ضمن أعمال الملتقى الدولي الأول "النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات" بتونس سنة 2012، فقد حوى هذا المقال معلومات غاية في الأهمية، إلا أن صاحبها أوردها باختصار جمّ لا ينفع الأطروحة كثيرا.

ومما نودّ التأكيد عليه، أن الأطاريح والمقالات العلمية التي تم إيرادها هاهنا، عُنيت بشكل كبير، بدراسة التراجم الأندلسية بطريقة مجزأة وغير تامة من جهة، ثم إهمالها لكتب الصلات الأندلسية، بشكل يبعث على الاستفهام من جهة ثانية.

الإشكالية:

تتمحور الإشكالية الرئيسة لهذا البحث في النقاط التالية: ما المقصود بكتب التراجم؟ ومتى نشأت؟ وما هي أنواعها؟ وكيف كانت طريقة ومنهجية المؤرخين الأندلسيين في كتابة تراجمهم؟ وبما اتّسم أسلوبهم في هذا الإطار؟ وما هي مخرجات المناهج التي اتبعها كُتاب الصلات الأندلسية في تصانيفهم وأهميتها في الكتابة التاريخية بالأندلس؟

الصعوبات:

إنّ إنجاز موضوع من هذا القبيل، يتطلب جهودا مضنية، خاصة وأنّ الدراسات الحديثة لم تَعْرِضْ له بشكل جيد أو حتى متكامل، أو قُلْ ندرتها أو انعدامها-في حدود ما اطّلعنا عليه- وهو كذلك موضوع يَستهلك وقتا وجهدا أطول للإحاطة بجميع مصادر فترته الطويلة نسبيا، حيث تمتدّ من القرن الرابع إلى التاسع الهجريين (04-09هـ/10-15م)، وهو ما جعل من عملية التحكم في الموضوع شيئا عسيرا صعب المنال خاصة في سنواته الأولى؛ فَرُحْتُ والحال هذه، أجمع كل شاردة وواردة عنه، وبذلتُ فيه قصارى الجهد، ووصلتُ ليلا بنهار، حتى أظفر فيه بنفيسٍ.

كما أن الشعور بالإحباط الشديد، والانقطاع المتكرر والطويل عن البحث، بسبب الحالة الصحية، كان عاملا مهما ومتحكّما في سير دواليب البحث خلال سنواته الأولى، فقد صعّبت هذه الوضعية كثيرا عملية البحث، وجعلت مِن إتمامه تحدّيا صعبا لم يُكتب له الاكتمال إلا بعد سنوات طِوال.

ولم يكن العامل الصحي لوحده طرفا في صعوبة المهمة البحثية فحسب، بل إننا تعرّضنا خلال فترة عيد الأضحى الأخير، لسرقة مُمَنْهَجَة لجزء من النسخة الخطية للأطروحة (نصفها)، وبعض الدراسات المهمة والنادرة التي تم اقتناؤها من خارج الوطن في فترات سابقة، ولولا لطف الله لكانت الأمور سارت إلى ما لا يُحمد عقباه.

خطة البحث:

أُنْزِلَتْ هاته الدراسة في مقدمة وفصل تمهيدي، وستة فصول، فخاتمة.

فأما المقدّمة: فقد تناولتُ فيها مدخلا للموضوع، وأبرزتُ من خلالها دوافع اختياري لموضوع أطروحتي والدراسات السابقة فيه، وكذا الصعوبات التي اعترضتني خلال إنجازها، وبيّنتُ من خلالها كذلك، أهم المصادر والمراجع المعتمدة في تحريرها.

وأما في الفصل التمهيدي: فتناولت فيه بالدرس والتحليل؛ الإرهاصات الأولى للتدوين التاريخي في الأندلس، وذلك من خلال الحديث عن البدايات الأولى للرواية الشفوية بعد الفتح الإسلامي للأندلس وأعلامها خلال النصف الأول من القرن الثاني للهجرة (02هـ/08م)، ثم عرّجتُ للكلام عن دور المدارس المشرقية في كتابة وتدوين التاريخ الأندلسي؛ ومنها دور المدرسة المصرية وكذا مدارس العراق والمدينة والشام واليمن في ذلك.

وفي الفصل الأول: عالجت موضوع البدايات الأولى للتدوين التاريخي في الأندلس وأصناف الكتابة إلى نهاية (ق04هـ/10م)، وذلك من خلال استجلاء المحاولات الأولى للكتابة التاريخية وتتبع أصنافها خلال هذا العهد.

كما تطرقتُ في الفصل الثاني لموضوع البدايات الأولى للكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق04هـ/10م)، وتناولتُ بين طيّه مفهوم علم التراجم وأنواع كتب التراجم الأندلسية، ثم قمتُ بعملية رصدٍ لنماذج منها خلال الفترة المشار إليها.

هذا؛ وبسطتُ الحديث **في الفصل الثالث** عن ابن الفرضي ودوره الكبير في تأسيس منهج جديد في الكتابة التراجمية بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (04-05هـ/10-11م)، وذلك من خلال عرض شريط حياته، ثم التعريف بكتابه "تاريخ علماء الأندلس"، مع عرضٍ وتحليلٍ لمنهجه في كتابة تراجم كتابه المذكور.

وفي الفصل الرابع، واصلت النبش في موضوع أطروحتي وسبر أغوارها، بالحديث عن تطور الكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق05-06هـ/11-12م)؛ ذكرتُ خلالها كتب التراجم التي أتت بعد ابن الفرضي ومنها الكتب المفقودة، وكذا كتب الصلات والذيول الأندلسية التي خصصتُ لها جانبا مهما تناولتُ فيهه منهجها في الكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق05-06هـ/11-12م)، فبدأتُ من ابن مهلّب (توفي في حدود 450هـ/1058م)، وابن بشكوال (ت578هـ/1182م)، وانتهيتُ في حديثي في هذا الفصل إلى الضبي (ت599هـ/1202م).

وتناولتُ **في الفصل الخامس**، حديثا مطوّلا عن الكتابة التراجمية بالأندلس في طور الانتشار خلال القرن السابع الهجري (07هـ/13م) ومطلع الثامن الهجريين (08هـ/14م)، عرضتُ فيه موضوع كتب الصلات والذيول الأندلسية في طور الانتشار في الأندلس خلال (07هـ/13م) منذ عهد أبي الخطاب بن واجب (ت614هـ/1217م) إلى ابن الأبار القضاعي (ت658هـ/1259م) وابن فرتون (ت660هـ/1261م)، ثم انتهيتُ فيه إلى الحديث عن كتب الصلات والذيول الأندلسية مع مطلع القرن الثامن الهجري (08هـ/14م)؛ حيث قادتنا المادة المتاحة إلى الكلام عن ابن الزبير (ت708هـ/1308م) وكتابه "صلة الصلة".

وقد أنهيتُ حديثا ماتعا عن الكتابة التراجمية بالأندلس، **في الفصل الأخير** من الأطروحة الذي خصصتُه للكلام عن موضوع الكتابة التراجمية بالأندلس في طور نضجها من مطلع القرن الثامن (08هـ/14م) إلى منتصف التاسع الهجريين (09هـ/15م). وقد استهلَلْتُ الكلام فيه بابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1303م)، الذي يمثل بحق فترة نضج وأوج هاته المرحلة، ووصلتُه بحديث مهم عن كتب الصلات والذيول الأندلسية في طور النضج وختم الحلقات ابتداء من القرن الثامن الهجري وانتهاء بالنصف الثاني من القرن التاسع الهجري (ق08-09هـ/14-15م)؛ حيث أوردتُ فيها حديثا مهما عن لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1374م) ونهاية عصر نضج منهج كتب الصلات والذيول، وكذا ابن عاصم الغرناطي الملقب بابن الخطيب الثاني (ت857هـ/1452م) ونهاية حلقات الصلات والذيول الأندلسية.

في الأخير، ختمتُ بحثي كلّه، بخاتمة توّجتها بسلسلة النتائج التي استخلصتها منه.

المنهج المتبع في الدراسة:

وقد قام تعاملنا مع المادة العلمية المرصودة لهذا البحث على المنهج التاريخي الاستقرائي والمقارن الذي يقوم على رصد المادة ثم المقارنة بينها ومناقشتها واستقراء مكنوناتها، فقمنا بعقد عملية مقارنة بين كتب التراجم خلال الفترة المدروسة، واستخلاص أوجه الاختلاف والتشابه في طريقة ومنهج الكتابة فيها. كما تمت الاستعانة بالمنهج الوصفي والتحليلي، وذلك بعرض أهم كتب التراجم في الأندلس خلال الفترة محل الدراسة (ق04-09هـ/10-15م)، وتحليل الطريقة والمنهجية التي بنى عليها مصنِّفوها كتاباتهم.

عرض ونقد لمصادر ومراجع البحث:

ولدراسة الموضوع والحفر في بواطنه، تمت الاستعانة بمجموعة مهمة من المصادر والمراجع، خاصة منها كتب التراجم التي أخذت الحصة الأسد فيها، ومنها كتب الصلات الأندلسية. ومن أبرز المصادر التي كان لها حضور وازن في هذا العمل، نذكر:

أولا: كتب التراجم

1/ابن الأبار القضاعي (تـــ658هـــ): اعتمدنا على كتابه "التكملة لكتاب الصلة"، وهو مصدر تراجمي بامتياز، كان معتمدنا في الكثير من مفاصل العمل. واعتمدنا عليه في ثلاثة تحقيقات مختلفة؛ للأبياري، وبشار عواد معروف، وكذا عبد السلام الهراس. وقد كان تحقيق الأبياري معتمدنا منذ بداية الأطروحة لتوفره لدينا، وقد كنّا أحيانا نستأنس بالتحقيقين الآخرين كلما دعت الضرورة لذلك مع إضافة اسم المحقق بين قوسين.

2/ابن بشكوال (تـــ578هـــ): وكتابه الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"، وهو من المصادر التراجمية التي خدمت البحث كثيرا، وكان لها حضور في أغلب فتراته. وقد اعتمدنا منه على تحقيقات مختلفة (العدوي، الأبياري، بشار عواد، العطار الحسني) استدعتها الضرورة البحثية، إلا أن التحقيق الذي كان معتمدنا في هذا السفر التراجمي الهام، هو تحقيق شريف العدوي الذي نُشر ضمن مجموع يضم كذلك صلة الصلة لابن الزبير، حيث كنا عند اعتمادنا على التحقيقات الأخرى، نثبت اسم المحقق بين قوسين.

3/ابن الجزري الدمشقي الشافعي (تـــ833هـــ): في كتابه النفيس "غاية النهاية في طبقات القراء"، فقد أعاننا كثيرا في التعامل مع تراجم مشايخ وتلاميذ كتاب الصلات؛ ضبطا وتعريفا.

4/ابن **حجر العسقلاني (تـــ852هـــ):** يعدّ كتابه "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" من مصادر التراجم لأهل القرن الثامن الهجري، وقد أفادنا كثيرا في تراجم أعلام هذا القرن.

5/الحميدي (420-488هـــ): في كتابه "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس" من أهم كتب التراجم الأندلسية إلى نهاية القرن الخامس الهجري، وقد اعتمدناه بتحقيق الأبياري وبشار عواد، إلا أن الأول كان هو ملاذنا، وعند اعتمادنا على الثاني، كنا نثبت اسمه بين قوسين.

6/**الخشني (تـــ361هـــ):** وهو من أعلام المدرسة التراجمية خلال القرن الرابع الهجري، فقد كان لمصنّفاته النفيسة حضور مهم في هذا العمل، ومنها كتاب "أخبار الفقهاء والمحدّثين"، و"طبقات علماء إفريقية"، هذا الأخير اعتمدناه بتحقيقات مختلفة، إلا أن التحقيق الذي كان

سندنا في هذا العمل هو تحقيق السيد عزت العطار الحسني، وعند اعتمادنا على التحقيقات الأخرى كنا نثبت اسم المحقق فيها بين قوسين.

7/**لسان الدين ابن الخطيب (تـــ776هـــ):** تعتبر مصنّفاته التاريخية من ضمن معاول البناء التاريخي في الأندلس، ذلك أنه أتحفنا بجملة من الكتابات بقيت شاهدة على علو كعبه في هذا المضمار. فقد أحاطنا كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة" بعناية كبير في حديثنا عن أعلام عصره، وقد اعتمدناه بتحقيقين مختلفين، كان فيها تحقيق يوسف طويل العمدة في الأطروحة كلها، والتحقيق الثاني هو الاستثناء، وكنا ننبه لذلك بإضافة اسم المحقق بين قوسين.

كما أن كتابه أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، كان من المصادر الهامة التي تم الركون إليها في هذه الأطروحة، خاصة في حديثنا عن حياة ابن الخطيب ومؤلفاته، وقد اعتمدناه بتحقيقات مختلفة.

8/**ابن خلكان (تـــ681هـــ):** لا يختلف اثنان في أهمية كتاباته، فقد شكّل كتابه "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" رافدا هاما من روافد البحث، خاصة ما تعلّق منه بتخريج الأعلام الواردة في الأطروحة، فكان الاعتماد عليه كبيرا.

9/**شمس الدين الذهبي (تـــ748هـــ):** تعتبر كتاباته بلا منازع، من أهم الكتابات التي تم الاتكاء عليها كثيرا في هذا البحث، حيث شكلت مصدرا هاما لتراجم الأعلام الواردة في فصول الأطروحة. ومن كتبه التي تم اعتمادها بشكل متكرر، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، وتذكرة الحفاظ، ثم سير أعلام النبلاء. هاته المصنفات الثلاث شكّلت مصدرا هاما للمعلومة التراجمية خلال الفترة المحل الدراسة، ثم إنها امتازت بخاصية هامة، وهي أن مصنّفها نقل كثيرا عن كتب التراجم الأندلسية وبخاصة أصحاب الصلات.

10/**جلال الدين السيوطي (تـــ911هـــ):** تعتبر كتابات السيوطي من أهم المصادر الموثوقة التي دوّنت خلال القرن التاسع ومستهل العاشر الهجري. وقد اعتمدنا عليه كثيرا في جملة من مؤلفاته، ومنها كتاب "طبقات الحفاظ"، الذي وجدنا فيه شفاء الغليل لتراجم الكثير من العلماء الأعلام.

11/**الصفدي خليل بن أيبك (تـــ764هـــ):** وهو من المصادر الهامة، حيث تناول في كتابه "الوافي بالوفيات"، تراجم كثير من الأعلام، وهو مصدر تراجمي غني بالآلاف من التراجم.

12/**الضبي (تـــ599هـــ):** في كتابه "بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس"، وقد أفدنا منه كثيرا في تراجم الأعلام الواردة في متن الأطروحة.

13/**ابن عبد الملك المراكشي (634-703هـــ):** صاحب كتاب "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" وهو سفر تراجمي هام، كان معتمدنا في الكثير من محطات العمل.

14/**أبو الوليد ابن الفرضي (تـــ403هـــ):** في كتابه "تاريخ علماء الأندلس" وهو من المصادر الهامة التي تم الركون إليها في هذا البحث والتي لا غنى للباحث عنها، وقد اعتمدناه بتحقيقين؛ الأول للأبياري وكان هو الأصل في الأطروحة، والثاني لبشار عواد وقد كنا ننبه حين اعتمادنا عليه بإثبات اسم المحقق بين قوسين.

15/**ياقوت الحموي (تـــ 626هـــ):** حيث شكّل كتابه "معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" مصدرا هاما من مصادر هاته الأطروحة، فقد تم اعتماده في تخريج الأعلام التاريخية الواردة فيها.

ثانيا: كتب الأنساب

16/**ابن حزم الأندلسي (384-456هـــ):** في كتاب "جمهرة أنساب العرب"، حيث أفادنا كثيرا في الحديث عن بعض الأنساب التي كانت بالأندلس، والداخلة إليها.

ثالثا: كتب التاريخ

17/**ابن حيان القرطبي (377-469هـــ):** لا يختلف اثنان في أن ابن حيان يعتبر شيخ المؤرخين في الأندلس خاصة فيما تعلق بعصر الطوائف. وقد جاء كتابه "المقتبس" ضمن لائحة المصادر التاريخية الأساسية لهاته الأطروحة، وقد أفدنا منه كثيرا خاصة في الفصول الأولى للأطروحة. وقد اعتمدنا منه على أربعة أجزاء هي: الجزء الخامس الذي اعتنى بنشره ب. شالميتا، وكذا الجزء الذي تناول عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام 275-300، والجزء الذي حققه محمود علي مكي، وطبع ضمن لجنة إحياء التراث 1994، ثم السفر الثاني للمحقق نفسه ونشره بالرياض في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية سنة 2003.

18/**ابن خلدون (تـــ808هـــ):** وهو الحجة في تاريخ المغرب الإسلامي، وقد اعتمدنا على كتابه "ديوان العبر"، فيما تعلّق بالحديث عن تفاصيل محنة صديقه ابن الخطيب، وغير ذلك من المواضيع.

19/**ابن القوطية (تـــ367هـــ):** حيث أفدنا من كتابه "تاريخ افتتاح الأندلس" في الفصول الأولى من الأطروحة.

رابعا: المصادر الجغرافية

20/**عبد المنعم الحميري (تـــ900هـــ):** وكتابه "الروض المعطار في خبر الأقطار".

21/**ياقوت الحموي (تـــ 626هـــ):** في كتابه "معجم البلدان".

وقد تم اعتماد هذين المصدرين الجغرافيين الهامين، لتخريج الأماكن الجغرافية الواردة في الأطروحة.

وأما المراجع: فقد اعتمدنا على جملة من المراجع التي خدمت البحث؛ ومنها-وهي كثيرة-:

22/ أطروحة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الموسومة بـــ "التدوين التاريخي في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري" التي أعدّها الوزان أحمد بن عبد الرحمن، حيث أعطت للبحث دفعة هامة خاصة في الفصل التمهيدي والأول والثاني.

23/"بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة" لمؤلّفه أكرم ضياء العمري، وهي عبارة عن دراسة هامة، استعنّا بها في الحديث عن الفرق بين كتب التراجم وكتب الرجال، وكذا في معرفة أنواع كتب الرجال.

24/كتاب "علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع" لمؤلّفه محمد بن مطر الزهراني، فقد أفدنا منه في الفصل الثاني، ثم في الحديث عن أنواع كتب الرجال.

25/"علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري" لمؤلّفه يوسف أحمد يوسف بني ياسين، وهو كتاب هام جدا حوى بين دفّتيه معلومات هامة جدا، وقد أفادنا كثيرا في الفصل التمهيدي والفصل الأول.

26/"التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي" لعبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، والذي أفدنا منه في حديثنا عن الزبيدي وابن جلجل والخشني وكذا ابن الفرضي.

وفي الأخير، أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفّقتُ فيما أَعْتَبِرُه مِنْ أبكار المحاولات في ميدان كتابة التراجم في الأندلس، على أمل أن يستدرك غيري من الباحثين ما فاتني فيه، فإن وُفِّقْتُ وأَحْسَنْتُ فمنه تعالى وحده.

الفصل التمهيدي:

الإرهاصات الأولى للتدوين التاريخي بالأندلس

المبحث الأول: الرواية الشفوية بعد الفتح الإسلامي للأندلس

1-البدايات الأولى للروايات الشفوية في الأندلس ودورها في نبلور فكرة التدوين التاريخي

2/-أعلام الرواية الشفوية بالأندلس خلال النصف الأول من ق02هـ/08م

المبحث الثاني: دور المدارس المشرقية في كتابة وتدوين التاريخ الأندلسي

1/-دور المدرسة المصرية في كتابة وتدوين التاريخ الأندلسي

1-1/-أسباب اهتمام المدرسة المصرية بكتابة التاريخ الأندلسي

1-2/-اهتمام الرواة المصريين بالتاريخ الأندلسي

أ/-تأثير الليث بن سعد

بـــ/-تأثير سعيد بن عفير

جـــ/-جهود عبد الرحمن بن عبد الحكم

د/-جهود ابن يونس عبد الرحمن بن أحمد الـــمصري الصدفي

1-3/-أسباب تراجع المدرسة المصرية في كتابة التاريخ الأندلسي

2/-دور مدارس العراق والمدينة والشام واليمن

في تدوين التاريخ الأندلسي

كانت علاقة الأندلس بالمشرق الإسلامي، علاقة وثيقة ووطيدة طوال فترات مديدة، وفي جوانب شتى. حيث ساعد توطُّد هذه العلاقة على التبادل الثقافي، والحركية العلمية الكبيرة. وكنتيجة لذلك؛ حدث تأثير متبادل بينهما، في جوانب حضارية متعددة، أبرزها الدينية والعلمية منها. ومما يُذكَر هاهنا، هو ما كان للفاتحين من دور كبير في نشر الإسلام واللغة العربية في هاته الأمصار، خاصة زمن الولاة.

وغداة انتهاء عصر الولاة، وقيام الإمارة الأموية بالأندلس 138هـ/755م، نشطت الحركة العلمية والثقافية بها نشاطا منقطع النظير، وهو الأمر الذي انعكس على جميع مناحي الحياة، وخاصة العلمية منها. فغدت الأندلس مركزا حضاريا وقاعدة علمية، وَفَد عليه العلماء وطلاب العلم على حدّ سواء، حيث تسوق لنا المصادر التاريخية الأندلسية وغيرها، أبلغ الأمثلة عن صفحات رائعة من الحضارة الأندلسية، التي جمعت بين مظاهر الحضارة، والفكر والتمدّن.

ونتيجة لتنوع المعارف والثقافات بها، شهدت هاته البلاد قفزة علمية كبيرة، شملت جميع ميادين العلم وروافده، فبرزت منها العلوم النقلية كعلم الحديث، والدراسات القرآنية من تفسير، ناسخ ومنسوخ، محكم ومتشابه وغيرها، وكذا العقلية ومنها كالرياضيات، الفلك والطب، والعلوم الاجتماعية كالتاريخ، الجغرافيا، الفلسفة وغيرها. ومن العلوم التي عرفت تطورا ورواجا كبيرا علم التاريخ، الذي نال الحظ الأكبر، والقسط الأوفر من اهتمامات الأندلسيين.

ولقد أدّى توسع دائرة الفتح الإسلامي للأندلس سنة 92هـ/711م، إلى حاجة ماسّة ملحّة للتأليف والتدوين. حيث رأى الأندلسيون أن أَوْكَدَ واجباتهم وقتها، هو السعي للتأليف عن تاريخ بلادهم، خاصة أن كتابة تاريخ تلك الفترة، عرف اهتماما كبيرا من طرف الشيوخ المصريين. وبالرغم من أن الأندلسيين لم يبتدعوا في البداية طرقا ومناهج جديدة للتأريخ لبلادهم، إلّا أنهم راحوا يقلّدون المشارقة في ذلك، فساروا على نهجهم ونسجوا على منوالهم.

ولقد كان لعامل الرحلة مِن وإلى الحجاز، بالغ الأثر في ذلك، إذْ كان له دور كبير في إثراء الخزينة العلمية للأندلس. حيث وفد عليها العديد من العلماء وطلاب المعرفة، من مختلف أمصار العالم الإسلامي، الذين جلبوا معهم مصنفاتهم ومؤلفاتهم. كما كان للأندلسيين ممن رحلوا إلى المشرق للتعلم، الأثر الكبير في تلقين أهل بلادهم، ما تعلموه ونهلوه في المشرق، على يدي كبار المشايخ والفقهاء، خاصة في مصر والحرمين وبغداد. كما ظهرت كنتيجة لهذا

الاهتمام، مكتبات كثيرة في الأندلس؛ حوت العديد من الكتب المتنوعة العلوم، والتي أدت دورها بامتياز، فساهمت في تطور وازدهار المعارف والعلوم بهذا الـــمـَـصر الجديد.

وقد كان للأمراء الأندلسيين إسهام وافر في ذلك، حيث ساهم بعضهم في التشجيع على البحث، وتوفير كل الأجواء العلمية المناسبة للعلماء وطلبتهم، مقابل قيامهم بتأليف الكتب والمصنفات، فبلغت بذلك النهضة العلمية ذروتها وأوجها، خاصة خلال (ق04هـــ/10م).

ومِنْ حُسْن الطّالع، أن الأندلسيين لم يكتفوا بالنسج على منوال المشارقة في الاهتمام بالتواريخ المحلية، وتدوين تاريخ المدن والأعلام فقط. بل إنهم فاقوهم في ذلك، بل وأبدعوا إبداعا كبيرا، بقي شاهدا على رقي وتقدم الحضارة الأندلسية.

ومن السمات البارزة لمؤرخي الأندلس خلال هذا العهد، أن أغلبهم كانوا من الفقهاء والمحدّثين، الذين ركّزوا جهودهم في التأريخ للرجال. شجّعهم في ذلك، وزادهم اهتماما؛ انتماءَهم للمدرسة المالكية، حيث كان الاشتغال بالفقه والحديث، يقودهم عادة إلى ترجمة رجال العلم والأدب، حتى شاع على الألسن: أن مؤرخي الأندلس كانوا من الفقهاء والمحدّثين، إذن؛ فَهُمْ فقهاء مؤرخون.

المبحث الأول: الرواية الشفوية بعد الفتح الإسلامي للأندلس

تزامن الفتح الإسلامي للأندلس سنة 92هـــ/711م، مع بداية الاهتمام البالغ للمشارقة بالحياة الفكرية، التي بدأت تشق طريقها نحو الرقي والتطور والازدهار. وقد ظهر إِثْرَ ذلك علماء ومشايخ، اهتموا بتتبع أحداث الفتوح، ورواية الأخبار. الأمر الذي انعكس إيجابا على بلاد الأندلس، التي تأثرت بتداعيات الحركية الفكرية المشرقية، فبدأت تتنسم بنسيم الحضارة والثقافة، بالرغم من وجود الاضطرابات والتراعات السياسية التي ميزت المشهد السياسي في الأندلس.

و لم تؤثر هذه الأخيرة كثيرا على تطور الحياة الفكرية والثقافية بها، حيث غاص أهل البلاد المفتوحة في البحث عن الحياة التي تذكرهم بحقيقة الإسلام، خاصة وأنه الدين الوحيد الذي بَذَر بذور العلم، واستوصى به خيرا. فكان ذلك سببا في اتصال الحضارة الإسلامية بحضارات الأمم الأخرى، خاصة البلاد المفتوحة منها (الأندلس)، فاقتبسوا منها علوما جمّة، وترجموا منها بعض الكتب إلى اللغة العربية.

1/-البدايات الأولى للروايات الشفوية في الأندلس ودورها في تبلور فكرة التدوين التاريخي:

لابد لنا قبل الحديث عن تتبع مراحل تطور الفكر التاريخي بالأندلس، وبداية تدوين أحداثه، أن نعرض للبدايات الأولى للروايات التاريخية فيها، ودورها في تبلور فكرة التدوين التاريخي للأندلس.

تعتبر الرواية الشفوية[1]، من أهم الموارد التي اغترف منها المؤرخون مروياتهم التاريخية. وتُعرَّف في اصطلاح المحدِّثين أنها: السماع من لفظ الشيخ، وهي أعلى مراتب الرواية. وصِفَتُها: أن يقرأ الشيخ، ويسمع التلميذ، سواء قرأ الشيخ من حفظه أو من كتابه. وفي التاريخ تكون الرواية أوسع؛ فتتعدى أحيانا شيوخ المؤرخ مِن معاصريه، أو مِنَ الـمُـتَرْجَمِ نفسه، أو من غيرهم[2]، ويقول الراوي في هذه الحالة: "سمعت، حدثني، وحدثنا"[3].

لقد كان الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية عام 92هـ/711م، نقطة البداية لتاريخ حافل بالمنجزات الحضارية، والرقي والتقدم. وغدت البلاد المفتوحة مركز إشعاع فكري، حيث اهتم المسلمون بالآداب والعلوم، والفنون، والثقافة والتاريخ. وظهر إِثْرَ ذلك عدد

1- **الرواية في اللغة:** مِن روى الحديث والشعر يرويه رواية، والرّاوِية مَنْ كَثُرَتْ رِوَايتُه. أما لفظة **شفوية:** فهي تعود عند اللغويين إلى جذرين هما: شفا وشفة. فأما **شفا؛** فتدل على معرفة الخبر، حيث يقال: أخبرني فلان خبرا اشتفيت، أي انتفعت فيه بصحته وصدقه. وأما الجذر الآخر وهو **شفه:** تدل على المشافهة؛ وهي المخاطبة مِنْ فِيكَ إلى فِيه. وشافه؛ أي أدنى شفته من شفته فكلمه. ويقال: شفهية وليست شفوية؛ وقد علل اللغويون ذلك، بأنه نُسبت إلى الحروف الشفوية، وأما البعض الآخر منهم فيقول: أن شفهية لا تختلف عن شفوية، فكلهما مخرجهما من الشّفة، وليس للحروف فيها من عمل. ينظر: ابن منظور الإفريقي محمد بن مكرم (تـ711هـ)، لسان العرب، وضع حواشيه: اليازجي وجماعة من اللغويين، بيروت: دار صادر، ط3، 1414، ج13، ص507 وج14، ص438. الرازي محمد أبي بكر (تـ666هـ)، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، بيروت: مكتبة لبنان، ب ط، 1986، ص111 وص144. **ومن الناحية الاصطلاحية:** فهي كل ما وصل إلينا من الماضي الحضاري، مشافهة وعن طريق السماع. وللاستزادة أكثر حول موضوع الرواية الشفوية وأهميتها في الكتابة التاريخية ينظر: مبارك جعفري: "**التراث الشفهي وأهميته في الكتابة التاريخية**"، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع11، 2016، ص ص05-15.

2- عمر حمد إبراهيم عزيز الصميدعي، الحياة العامة في الأندلس من خلال تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (تـ571هـ)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، بإشراف: عبد الخالق خميس علي التميمي، قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالي، بعقوبة، العراق، 2013م، ص287.

3- الموارد عند المحدّثين ثمانية أقسام هي: السماع، والقراءة، والمناولة، والكتابة، والإجازة، والإعلام، والوصية، والوجادة. وتزيد في الرواية التاريخية المشاهدة وغيرها. ينظر: الصميدعي، الحياة العامة في الأندلس، ص287، هامش 01.

كبير من العلماء الذين أسهموا في بداية كتابة تاريخ الأندلس، إذْ وُجِد منهم مَنِ اهتم أكثر مِن غيره بهذه الأحاديث والروايات، فكانوا يتناقلونها ويحفظونها لأجل روايتها. وإذا كان بعض هؤلاء الرواة، يَروي لأجل الحديث ونقل الخبر فقط، فقد وُجد مِنهم مَن يروي عفوا (من العفوية) خدمةً للدين الإسلامي، وتسجيلا للمفاخر الإسلامية[4].

فبعد الفتح الإسلامي، أقبل الناس على تذاكر حقيقة الإسلام، واهتموا بنقل الأحاديث والروايات حتى يتم حفظها. وكانت الرواية الشفوية هي الوسيلة المثلى لنقل المعلومات التاريخية، وحفظ الأخبار والسير، وأيام العرب وأنسابهم[5]. وبعد أن قُدّر للإسلام الانتشار الواسع بهذه البلاد، انتشرت معه ثقافة أهله وعلومهم، انتشارا بالغا، خاصة في ظل دخول الكتب والمصنفات كذلك.

وعلى ما يبدو، فإن العناية بالتواريخ أو المعلومات التاريخية، تركزت في مدينة النبيﷺ أولا، وارتبطت ارتباطا وثيقا بدراسة الحديث الشريف ورجاله، لتتطور فيما بعد-الاهتمام بالتواريخ-لتشمل موضوعات أخرى[6].

ومن المواضيع التي لقيت عناية كبيرة لدى المسلمين، خاصة بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية واختلاط المسلمين بالأقوام الأخرى؛ السيرة وتفسير القَصص القرآني، وتدوين أخبار الفتوح، ودراسة أحداث التاريخ الإسلامي، ومعرفة خبرات الأمم الأخرى، وتاريخ بعض الأقوام المجاورة لبلاد الإسلام، كالفرس وملوكهم وأخبارهم، وبعضا من تاريخ الروم والأمم الأخرى من الهند والقبط والقوط[7].

ومما لا شكّ فيه، أن القرآن الكريم كان المصدر الأساسي لعلم التاريخ عند المسلمين بالأندلس، وجاء بعده الحديث الشريف، حيث اعتمدهما الأندلسيون كمصدر أساسي لنقل الروايات الشفوية[8].

4- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، بإشراف: حمد بن صالح السحيباني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1426هـ، ص77.

5- المرجع نفسه، ص78.

6- نفسه، ص81.

7- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ج1، بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1983، ص102.

8- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص79.

والجدير بالذكر هاهنا؛ أنه وخلال السنوات الأولى للمسلمين بالأندلس، اعتُبرت الرواية الشفوية وحفظ الكتب المدونة، عملا سطحيا وغير مرغوب فيه، بل إن الإشارة إليها عُدّ عملا مشبوها. ولذلك فإن الكتب التي دونت في تاريخ الخبر-وعلى ما يبدو-خلال هذا العهد كانت كتبا خاصّة، دوّنها العلماء لأغراض شخصية صِرفة، و لم تصلنا عنها معلومات واضحة ودقيقة.

ورغم ذلك؛ فإن هذه الروايات والأخبار تناقلها الجمّ الغفير من الشيوخ المصريين، وهو ما جعل هذه المرحلة تشير وبشكل لا لُبْسَ فيه، أن كتابة تاريخ الأندلس قد تأثّر في طريقته، بما كان عليه الفقهاء والرواة والمحدّثون المصريون، وهو ما يؤكّد حقيقة العلاقة الوثيقة بين الحديث والتاريخ، باعتبارهما جزءا من الثقافة الإسلامية، إذ "تعني كلمة حديث في الأصل الخبر، أو الرواية الشفوية في موضوع ديني أو دنيوي"[9]. وعلى هذا المبدأ نسج الأندلسيون مروياتهم، إذ اعتبروه الأصل في ذلك؛ لأن التاريخ الإسلامي إنما نشأ وسلك مَسلك الحديث في عملية التدوين، فكان الخبر التاريخي (أي ظهور الخبر التاريخي).

ومما لا مشاحّة فيه، أن جميع العرب الفاتحين الذين وفدوا على الأندلس، لم يفدوا إليها بنِيّـــة الجهاد فحسب، بل إنَّ منهم مَن عني بالعلم وتدوين الأخبار كذلك، وهو ما يرجّح فرضيةَ أنَّ العربَ الفاتحين اعتمدوا الرواية الشفوية بالدرجة الأولى، في نقل وتداول أخبار فتح الأندلس، وما تلاه مِنْ أحداث، جَرْيًا على ما كان عليه حال العرب قبل الإسلام وبعده، في حفظ الأخبار والأيام، والأنساب والشّعر[10].

ومن الجيد أن نشير في السياق ذاته؛ إلى أنَّ أعدادا كبيرة من العرب الذين شاركوا في الفتح وأحداثه، ورواية أخباره، عادوا إلى المشرق وأصبحوا مِنَ الرُّواة الذين تداولوا أخبار فتح الأندلس، وما حدث للعرب الفاتحين في تلك البقاع، الأمر الذي جعل بعض العلماء والمحدّثين، يسارعون ويهرعون لتدوين تلك الروايات والأخبار[11].

ولقد ساهمت الرواية الشفوية في حفظ أخبار العرب والمسلمين بالأندلس، حيث قدّمت مادة إخبارية دســـمة لعلماء الأمصار الإسلامية-التي كانت أحوالها مستقرة نسبيا-لأغراض

9- سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، بيروت: دار الرائد العربي، 1983، ص25.

10- كريم عجيل الجباوي، تطور التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس، بيروت: مؤسسة الطباعة والنشر، ط1، 2015، ص36 وص53.

11- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ص157.

التدوين التاريخي. ومِنَ المهم أن نشير هاهنا وفي الإطار ذاته، أنّ الأندلسيين نقلوا جزءا مهما مِن أخبار بلدهم مِن هاته المرويات، خاصة المشرقية والمصرية منها على وجه التحديد، وذلك نظرا لما اتّسمت به هاته الأخيرة من طابع الضّبط والدقّة، وهو ما سَنَلْحَظُهُ لاحقا في تأثُّرٍ لافت للمدرسة التاريخية الأندلسية بأمّها المصرية[12].

هذا؛ وقد كان لعدد من العلماء بالأندلس ومنذ العقود الأولى من (ق02هـ/08م)، أصولهم المكتوبة، وكتبهم المؤلَّفة. ومن أمثلة ذلك، أن **معاوية بن صالح الشامي الحمصي**[13]، الذي وفد على الأندلس، ونزل إشبيلية[14]، كان من أهل العلم، ورُواة الحديث والأخبار. كما كان عالي الرِّواية، إذْ روى عنه مالك بن أنس[15]، وكان مِن أوائل ناشري العلم، ومن علماء

12- كريم عجيل الجباوي، تطور التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس، ص54.

13- **معاوية بن صالح الشامي الحمصي (ت158هـ/774م):** كنيته أبو عمرو، من أهل حمص خرج منها سنة 125هـ. ثقةٌ كثير الحديث، كان على قضاء الأندلس. كتب عنه عبد الله بن صالح سنة 157هـ، حيث قدم عليهم حاجا من الأندلس ومات بعد هذه السنة، وقد اختلاف كبير حول سنة وفاته، والراجح ما ذكرناه أولا. ينظر: محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت230هـ)، كتاب الطبقات الكبير، ج9، تحقيق: على محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 2001، ص530، ترجمة: 4925. ابن حبان محمد بن أحمد (ت354هـ/965)، كتاب الثقات، ج7، الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1973، ص470. الرازي أبو محمد عبد الرحمن (ت327هـ/938م)، كتاب الجرح والتعديل، ج8، بيروت: دار الكتب العلمية، الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1953، ص382، ترجمة: 1750. الخشني أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد (ت361هـ)، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسني، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1994، ص30. الحَميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (420-488هـ/1029-1095)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط3، 1989، ص ص540-541، ترجمة: 796. النباهي أبو الحسن، تاريخ قضاة الأندلس وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في مكتبة الآفاق الجديدة، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط5، 1983، ص43.

14- **إشبيلية:** مدينة بالأندلس جليلة، بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون. أصل تسميتها إشبالي معناه المدينة المنبسطة ويقال: إن الذي بناها يوليش القيصر. ينظر: الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص: 58.

15- ابن سعيد المغربي، المُغرب في حلى المغرب، ج1، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط4، 1995، ص102.

التاريخ المبكّر بالأندلس ومِن قُضاتها، حيث كان ذلك سببا لرِفْعته، إذْ قَدَرَهُ الناس حَقَّ قَدَرِه، وقدِموا لسماعه[16].

ومما سبق؛ نستشف أن الروايات التاريخية الأندلسية، إنَّـــما انتشرت عن طريق علماء المشرق والمغرب، الذين رحلوا إلى بلاد الأندلس لنشر العلم. فقد روى الخشني عن ابن أيمن قال: "قال لي محمد بن أحمد بن أبي خيثمة: لَوَدِدْتُ أن أدخل الأندلس، حتى أفتّش عن أصول كُتُب معاوية بن صالح. قال ابن أيمن: فلما انصرفتُ إلى الأندلس، طَلَبْتُ أمّهاتَه وكتبَه، فوجدتها قد ضاعت بسقوط هِـــمم أهلها"[17].

2/-أعلام الرواية الشفوية بالأندلس خلال النصف الأول من (ق02هـ/08م):

خلال عصر الولاة بالأندلس، خاصة خلال النصف الأول من ق02هـــ/08م، الذي يعتبر بحقّ عصر الرواية الشفوية بالأندلس، لوحظ تولّي عدد كبير مِـــمَّن اهتموا بتدوين الأخبار ونقلها لـــمناصب القضاء والإدارة، وهو ما يستدعي ويستوجب إعادة النظر في أمر التدوين[18].

ومن أمثلة من اهتموا بتدوين الأخبار التاريخية مطلع عصر الإمارة بالأندلس، **الغازي بن قيس**[19]، الذي رُوِيَ عنه أنه قال: "قال لي يوما عبد الرحمن بن معاوية –رضي الله عنه–: أَضبِطُ

16- عبد القادر ربوح: "**مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية ما بين القرن 3-4هـــ/9-10م**"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مجلة تصدر عن مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، مج3، ع2، 2018، ص551.

17- الخشني، قضاة قرطبة، ص30.

18- كريم عجيل الجباوي، تطور التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس، ص60.

19- **الغازي بن قيس (تـــ199هـــ/814م):** من أهل قرطبة؛ يكَنى أبا مُحمد. رحل في صدر أيام الإمام عبد الرحمن بن معاوية، فسمع الموطّأ من مالك بن أنس، وسمع من محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذِئْب، وعبد الملك بن جُرَيْج، والأَوْزاعي وغيرهم. وقرأ القرآن على نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة؛ وانصرف إلى الأندلس فكان يُقْرَأ عليه، وقيل إنه كان يَحفظ الموطأ ظاهرا؛ توفي في أيام الأمير الحكم. ينظر: الزبيدي الأندلسي (تـــ379هـــ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط2، 1984، ص ص254-256، ترجمة: 193. ابن الفرضي أبو الوليد (تـــ403هـــ)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط3، 1989، ص578، ترجمة: 1013. القاضي عياض بن موسى اليحصبي(تـــ544هـــ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج3، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، ص114. الذهبي شمس الدين (تـــ748هـــ)، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب كاملا وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، ج9، تحقيق: كامل الخراط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط11، 1996، ص322، ترجمة: 104. ابن

مِن أَمْر الشام أنّي كنتُ بين يدي جدي هشام-رضي الله عنه-وأنا صبي غير مُتمَشٍّ، حتى دخل الحاجب فقال: أبو سعيد مَسلمة بالباب، فأذن له، فلما رآه جدي داخلا قال لفتيانه: أرسلوا الصبي. فوقعت عينُ مسلمةَ -رحمه الله-عليَّ، فقال: يا أمير المؤمنين، يتيمُ أبي المغيرة رحمه الله؟ فقال له: نعم. فقال: يُعاد إليَّ. فأمر بإعادتي إليه، فضمَّني إلى صدره وبكى، فما أنسى وقوع الدموع عليَّ مِن عينيه. فقال له جدِّي -رضي الله عنه-: ما بال البكاء يا أبا سعيد؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، قَــرُب والله أمرُنا، وهذا يأوي فلَّنا والناجيَ منَّا. قال عبد الرحمن: فلم أزل أعرف لي مزيَّةً عنْد جدي مِن يومئذٍ. وكان مسلمة قد أخذ علم الحدثان عن خالد بن يزيد بن معاوية -رحمهم الله-، عن كعب الأحبار. قال غازي بن قيس: وأخبرني أيضًا عبد الرحمن بن معاوية -رحمه الله-أنه كان بين يدي جدِّه هشامٍ أمير المؤمنين -رضي الله عنه-، بعد وفاة أبيه معاوية إلى أن تبادر الخَدَمَةُ إليه، فقالوا له: الكُمَيت بن زيد مُتعوِّذٌ بقبر وَلِيّ"[20].

إن هذا الخبر الذي أورده الزبيدي (تــ379هــ/989م)، والذي لا نستطيع تحديد زمانه بالتدقيق، له دلالات عدّة منها: أن الغازي بن قيس، كان عَنِيًّا بتدوين الأخبار التاريخية، إضافة لكونه معتنيا بالعلوم الأخرى، بدليل أنّ الأمير عبد الرحمن الداخل قال له: "أَضْبِطُ مِنْ أَمْرِ الشام". كما أن الأمير عبد الرحمن المذكور، كان معنيا بالتاريخ وتدوينه، وهو بهذا قد شابه أجداه الخلفاء الأمويين، الذين عُرفوا بعنايتهم بالأخبار التاريخية سماعا وتدوينا[21].

فرحون إبراهيم بن علي(تــ799هــ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج2، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة: دار التراث للطبع والنشر، ب ط، ب ت، ص136. الفيروز آبادي مجد الدين (تــ817هــ)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص229. السيوطي جلال الدين (تــ911هــ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا-لبنان: المكتبة العصرية، ط1، 1965، ص240، ترجمة: 1886. ابن سالم مخلوف محمد بن محمد (تــ1360هــ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ص94، ترجمة: 88. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 2002، ط1، 2000، ص921، ترجمة: 891.

20- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص255.

21- كريم عجيل الجباوي، تطور التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس، ص62.

كما وفد على الأندلس، **أبو الحسين زيد بن الحباب العكي(تـــ203هـــ/818م)**[22]، وهو الذي روى عن معاوية بن صالح[23]. ورُوي عنه أنه قال: دَخَلْتُ الأندلس وكَتَبْتُ عن معاوية بن صالح، أي أن زيدا هذا روى عن معاوية بن صالح، وجلّ المصادر أشارت بوضوح أن معاوية كانت معه أصول، و لم تذكر أنه كانت معه مؤلفات[24].

وعلى العموم؛ فإننا نجد أن لمعاوية بن صالح جهدا كبيرا، في تكوين العِلم والفكر الأندلسي، إذ كان مصدره رواد المدرسة المصرية. حيث "أخذ عنه جملة من الأئمة منهم: سفيان الثوري[25]، والليث بن سعد[26]، وابن عُيينة[27]"[28]. ويعتبر هؤلاء الثلاثة، من أعمدة مصادر تدوين التاريخ الأندلسي بالمشرق[29].

22- ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ضمن الرواة عند ترجمة مالك بن أبي مريم الحكمي. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، ج56، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمرو بن غرامة العمروي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1997، ص495، ترجمة: 7183.

23- راجع ترجمته في الهامش رقم 13 من هذا الفصل.

24- كريم عجيل الجباوي، تطور التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس، ص62.

25- **سفيان الثوري (97-161هـــ/716-778م):** سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري؛ أبو عبد الله الثوري، الكوفي، شيخ الإسلام وإمام الحفاظ المجتهد، مصنِّف كتاب الجامع. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، تحقيق: علي أبو زيد، ص ص229-230. الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم، ج3، بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002، ص104.

26- **الليث بن سعد (94-175هـــ/712-791م):** بن عبد الرحمن الفَهْمِيُّ التابعي، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالِم الديار المصرية، المكنّى أبو الحارث. يعتبر أول مؤلِّف معروف لمدرسة مصر؛ له كتاب التاريخ. ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج3، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة للطباعة، ط1، 1963، ص423، ترجمة: 6998. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، تحقيق: نذير حمدان، ص ص136-163. ابن سعد محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، الطبقات الكبرى، ج7، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1997، ص: 358، ترجمة: 4072؛ وقد جعله وفاته سنة 165هـــ. الأصبهاني أبو نعيم (تـــ430هـــ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج7، القاهرة: مكتبة الخانجي، بيروت: دار الفكر، 1996، ص318، ترجمة: 391. ابن خلكان أبو العباس(تـــ681هـــ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د ت، ص ص127-128، ترجمة: 549. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، ج8، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص162.

27- **ابن عُيَيْنَةَ (ولد 107هـــ/725م وعاش 91 سنة):** بن أبي عِمْرَان ميمونٍ الهِلالي، مولى محمد بن مُزَاحِم، حافظ العصر شيخُ الإسلام، أبو محمد؛ الكوفي ثم المكي. مولده بالكوفة، وطلب الحديث وهو غلام، ولقي الكبار وحمل عنهم

كما كان لمعاوية السابق الذكر، إفادة وتأثير واضح على الأندلسيين، كونه تولى قضاء الجماعة في الأندلس كلها، والصلاة في قرطبة[30]، وشارك الأمير هشام بن عبد الرحمن في غزواته ونكباته[31].

ومن العلماء أيضا؛ **إبراهيم بن أبان بن عبد الملك بن عمر الأندلسي**[32]، الذي روى عنه أبو عثمان سعيد بن عُفير[33] أحد مؤرخي مصر، وشبيب الأندلسي[34] الذي روى عنه ابن عُفير في كتابه أخبار الأندلس، حيث عرض فيه تراجم الأندلسيين وأخبارهم[35].

علما جما. عمّر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علوُّ الإسناد. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص ص454-474.

28- الرواية ذكرها النباهي في ترجمة معاوية بن صالح الحضرمي. ينظر: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص: 43.

29- كريم عجيل الجباوي، تطور التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس، ص62.

30- **قرطبة:** كلمة عجمية رومية، ولها في العربية مجال يجوز أن يكون من القرطبة وهو العدو الشديد. وهي مدينة عظيمة بالأندلس، وقاعدتها، ووأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها وآثارهم بها ظاهرة؛ بينها وبين البحر خمسة أيام. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص456. ياقوت الحموي الرومي أبو عبد الله (تـ626هـ)، معجم البلدان، ج4، بيروت: دار صادر، ط2، 1995، ص324.

31- النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص: 43. ابن سعيد، المُـغرب في حلى المغرب، ج1، ص ص102-103. **وهشام بن عبد الرحمن:** ولي بعد أبيه الداخل 172هـ/788م وتوفي في شهر صفر سنة 180هـ/أفريل796م. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص39.

32- **إبراهيم بن أبان بن عبد الملك بن عمر بن مروان:** يكنى أبا عثمان؛ أندلسي روى عنه ابن عفير. ينظر: الصدفي المصري أبو سعيد (281-347هـ)، تاريخ ابن يونس الصدفي، القسم الثاني: تاريخ الغرباء، جمع وتحقيق ودراسة وفهرسة: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، بيروت: منشورات علي بيضون-دار الكتب العلمية، ط1، 2000، ص05. الحميدي، جذوة المقتبس، ج2، ص236، ترجمة: 267. ك. بويكا، المصادر التاريخية العربية في الأندلس القرن السابع وحتى الثلث الأول من القرن الحادي عشر، نقله إلى العربية: نايف أبو كرم، دمشق: منشورات علاء الدين، ط1، 1999، ص ص42-43.

33- **سعيد بن كثير بن عُفَيْر(146-226هـ/763-840م):** بن مسلم بن يزيد المصري، الإمام الحافظ العلامة الأَخبارِي، أبو عثمان المصري. من تلاميذ الليث بن سعد وابن لَهيعة، وأخذ عن ابن وهب، وسمع عن مالك في المدينة، وأخذ اللغة والأدب في بغداد. حدَّث عنه البخاري وابن معين. له "كتاب أخبار الأندلس" وهو كتاب مفقود وصلتنا منه بعض الاقتباسات فقط. ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ص427-428، ترجمة: 435. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ص ص583-586. ابن حجر العسقلاني أبو الفضل (تـ852هـ)، تهذيب التهذيب، ج2، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، السعودية: منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004، ص ص680-681، ترجمة: 8601. عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص ص272-274. ابن تغري بردي (تـ874هـ)، النجوم الزاهرة في

وإضافة إلى مَن سبق ذكرهم؛ نجد كذلك **صعصعة بن سلام**[36]، حيث كان مِن الفقهاء المعدودين حينما وَلِـيَ الصلاة في قرطبة، فكان ذا مكانة علمية مرموقة في المجتمع الأندلسي[37].

إن الحديث في هذا الموضوع، لا يقتصر فقط على ذكر النماذج السابقة مِن علماء الأندلس، التي ذَكرت كتب التراجم فعاليتهم، ودورهم الكبير في إفادة مؤرخي المدرسة المصرية خصوصا، والمشرق عموما، خاصة ممن اهتموا بتاريخ الأندلس، وبداية تدوين حركته الثقافية. وإنما يشتمل الأمر كذلك، على جانب كبير من فعّالية الأندلسيين مِـمَّن رحل منهم إلى المشرق لطلب العلم وتأدية فريضة الحج الأكبر. وهنا يمكننا القول: إنه قد كان لهؤلاء كذلك، أثرهم في نقل أخبار ديارهم الأندلسية، وأحداثها، وأحوالها، وروايتها، رغم أن المصادر لم تفصح إفصاحا بيّنا عن جهودهم في هذا الجانب، فضلا عن شغف المشارقة في معرفة أحوال أقاليم الأندلس، وغيرها من أقاليم الدولة الإسلامية[38].

ملوك مصر والقاهرة، ج2، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، ط1، 1992، بيروت: دار الكتب العلمية، ص302. أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص99-100. مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ص ص162-163. فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، نقله إلى العربية: محمود فهمي حجازي، راجعه: عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، طُبع على نفقة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية، 1991، ص ص247-248.

34- الصدفي، تاريخ ابن يونس، القسم الثاني، ص99. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص348، ترجمة: 595. الحميدي، جذوة المقتبس، ج2، ص372، ترجمة: 508. بويكا، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص42.

35- الضبي (تـــ599هـــ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب المصري، ط1، 1989، ص263، ترجمة: 493. ابن الأبار القضاعي البلنسي (تـــ658هـــ)، التكملة لكتاب الصلة، ج1، تحقيق: عبد السلام الهراس، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، لبنان: دار الفكر للطباعة، 1995، ص114، ترجمة: 329. أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص116.

36- **صعصعة بن سلّام (تـــ180هـــ/796م):** دمشقي، يكنى أبا عبد الله. قدم مصر وروى عن الأوزاعي، ثم صار إلى الأندلس وبقي بها إلى زمن هشام بن عبد الرحمن، وكان أوّل مَن أدخل الحديث إلى الأندلس. ينظر: الصدفي، تاريخ ابن يونس، القسم الثاني، ص103. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص354، ترجمة: 608. الحَميدي، جذوة المقتبس، ص379، ترجمة: 511.

37- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص116.

38- المرجع نفسه، ص ص116-117.

إن الحركة الحثيثة في الرحلة الأندلسية إلى بلاد المشرق، والتي عرفتها بلاد الأندلس خلال القرن الثاني وبدايات الثالث الهجريين (ق02هـ-03هـ/08-09م)، والتي شرع فيها ابتداء أصحاب الطبقة الأولى من أبناء الأندلس أمثال: زياد بن عبد الرحمن[39]، والغازي بن قيس[40]، وقُرعوص بن العباس[41]، ومحمد بن بشير القاضي[42]، وطالوت بن عبد الجبار[43]، وعبد الرحمن بن موسى الهواري[44]، ومَن جاء خَلْفهم مِن جِلّة علماء الأندلس، كيحي بن يحي الليثي[45]،

39- **زياد بن عبد الرحمن اللخمي (تـ199هـ/814م):** الملقب بشَبَطُوْنُ، أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن اللخمي، الفقيه الإمام مُفْتِي الأندلس. عُرض عليه القضاء بالأندلس من طرف هشام فأبى وتعنت، وكان هشام يكرمه ويخلو به ويسأله. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص ص311-312. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص: 279-280، ترجمة: 456، وقد جعل وفاته في 204هـ. عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص ص116-122.

40- راجع ترجمته في الهامش رقم: 19 من هذا الفصل.

41- **قرعوص بن العباس (تـ220هـ/834م):** بن قُرعوص بن عبيد بن منصور بن محمد الثقفي، من أهل قرطبة، رحل فسمع من مالك ومن سفيان بن سعيد الثوري. ينظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص ص621-622. ترجمة: 1082. عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص ص325-326.

42- **محمد بن بشير القاضي (تـ198هـ/813م):** أبو عبد الله، محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري، أصله من جند، وعِداده في عرب مصر. رحل إلى المشرق، فلقي مالكا وجالسه وسمع منه، واقتبس أيضا بمصر، ثم انصرف إلى الأندلس. ينظر: الخشني: قضاة قرطبة، ص ص28-38. عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص ص327-339.

43- **طالوت بن عبد الجبار:** المعافري الأندلسي، دخل مصر وحج، ولقي مالك بن أنس، ثم عاد إلى قرطبة. ينظر: عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص ص340-342. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص276، ترجمة: 951. المقري التلمساني أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج2، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ب ط، 1988، ص639. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص587.

44- **عبد الرحمن بن موسى الهواري (توفي بعد 216هـ/831م):** من أهل إستِجة؛ يكنى أبا موسى. رحل في أول خلافة عبد الرّحمن بن معاوية، فلقي مالك بن أنس وسفيان بن عُيَيْنة. استُقْضِيَ على إستجة أيّام الأمير عبد الرّحمن بن الحَكَم. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص439-440، ترجمة: 776. عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص343. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج5، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عود معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003، ص618، ترجمة: 248. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص471، ترجمة: 05. المقريزي تقي الدين(تـ845هـ)، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ج4، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط1، 1991، ص77، ترجمة: 1447. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص90، ترجمة: 1513.

45- **يحي بن يحي الليثي (تـ234هـ/848م):** الإمام الحجة الثّبْتُ، رئيس علماء الأندلس وفقيهها وكبيرها، سمع الموطأ أولا من شبطون ثم سمعه من مالك، وروايته أشهر الروايات. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص898-900، ترجمة: 1554. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص609-612. الضبي، بغية الملتمس، ص ص685-687، ترجمة: 1502. عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص ص379-394. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص95، ترجمة: 91.

وبقي بن مخلد[46]، ومحمد بن وضاح[47]، تركت أثرها الطيب في نشأة وتطور الفكر الأندلسي[48].

كما تزامن مع تلك الرحلات الأندلسية، انتقال الكثير من المشارقة من أنصار بني أمية هناك، إلى أرض الأندلس التي كان قد حكمها عبد الرحمن الداخل. وكان مِن ضمن هؤلاء الوافدين، حـــَمَلَة العلم والرواية التاريخية، وهو الأمر الذي زاد في حدّة الحركية الفكرية بالأندلس، إضافة إلى اهتمام عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/755-788م)، بالوافدين الجدد إلى الأندلس[49].

وتجمع عديد الروايات والمصادر التاريخية، على أن الطلبة الذي تعلموا وأخذوا العلم على الأمير عبد الرحمن الأموي بالأندلس كانوا كثرة، بل إنّ مِنَ الصُدَفِ أنْ كان مِن هؤلاء مَنْ كان يحمل العلم والرواية، فما كان من الداخل إلا أن خصّهم بديوان يقوم على أمورهم[50].

ولقد كان من آثار هؤلاء وفعاليتهم الثقافية، وتأثيرهم الكبير في الحياة الفكرية، أنْ شهدت الأندلس إقبالا كبيرا على سماع ورواية كتب أوائل المؤلّفين المشارقة في السيرة النبوية العطرة وكذا المغازي، كمغازي موسى بن عقبة الأسدي[51]، وسيرة محمد بن إسحاق[52]،

46- **بقي بن مخلد (201-276هـ/816-889م):** من أهل قرطبة؛ يكنى أبا عبد الرحمن، رحل إلى المشرق فلقي إبراهيم بن محمد الشّافعي صاحب ابن عُيَينَة، وسمع بإفريقية من سحنُون. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص169-172، ترجمة: 281. المقري، نفح الطيب، مج2، 518، ترجمة: 209. الخشني، أخبار الفقهاء والمحدّثين، دراسة وتحقيق: ماريا لويس آبيلا ولويس مولينا، مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، 1991، ص49، ترجمة: 58.

47- **محمد بن وضاح (تـــ287هـــ/899م):** بن بُزِيغ مولى الإمام عبد الرحمن بن معاوية، من أهل قرطبة؛ يُكنى أبا عبد الله. كان عالماً بالحديث، بصيراً بطُرقه، روى بالأندلس عن يحيى بن يحيى وغيره، ثم رحل إلى المشرق رحلتين؛ الأولى سنة 218هـــ لقي فيها أحمد بن حنبل، وغيره. ورحل رحلة ثانية فسمع فيها من إسماعيل بن أبي أُوَيْس، وسمع بإفريقية من سحنون، وسعيد بن عْبدُوس في جماعة كثيرة من البغداديّين والمكيّين والشّاميّين والمصريّين والقرويّين. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص650-653، ترجمة: 1134. الحميدي، جذوة المقتبس، ص153، ترجمة: 152. الخشني، أخبار الفقهاء والمحدّثين، ص122، ترجمة: 137.

48- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص117.

49- المرجع نفسه، ص117.

50- محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 1982، ص ص77-79.

51- **موسى بن عقبة الأسدي (تـــ141هـــ/758م):** المدني الحافظ مولى آل الزبير بن العوام، كان مفتيا فقيها. ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص148، ترجمة: 141.

وتهذيبها لعبد الملك بن هشام[53]، ومغازي الواقدي[54]، ومغازي عبد الرزاق بن همام الصنعاني[55]، وكتابي الطبقات والتاريخ لخليفة بن خياط البصري[56]، الذي خصّ السيرة النبوية بجانب مِنِ اهتمامه في كتابه "التاريخ"، ولقي إثر ذلك رواجا منقطع النظير في الأندلس، حيث اهتم به بقي بن مخلد[57]، وانفرد بإدخاله إلى الأندلس، وعني بروايته مع مصنف أبي بكر بن أبي شيبة[58]، وكذا كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز للدورقي[59].

52- **محمد بن إسحاق:** بن يسار بن خيار، أبو بكر القرشي، المدني المطلبي. اختلف في مولده ووفاته؛ فأما مولده فكان على الأرجح في الخمس سنوات الأولى بعد سنة 80هـ. وأما وفاته فكان على الغالب خلال سنتي 151 أو 152هـ/767 أو 768م. ينظر: محمد بن إسحاق المدني، السيرة النبوية، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004، ص ص5-7. ابن هشام أبو محمد عبد الملك، سيرة النبيﷺ، ج1، أعدّ مادته اللغوية وفهارسه العلمية: مجدي فتحي السيد، طنطا: دار الصحابة للتراث، ط1، 1995، ص ص: 13-19.

53- **عبد الملك بن هشام (ت218هـ/832م):** بن أيوب أو محمد، نزيل مصر. من شيوخه زيد بالبكائي صاحب أبي إسحاق. بدأ حياته العلمية بالبصرة، وتوفي بعد حياة علمية حافلة بالفساط بمصر، له: مختصر سيرة ابن إسحاق. ينظر: ابن هشام، سيرة النبيﷺ، ج1، ص ص20-22. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص ص428-429، ترجمة: 131. محمود علي مكي: "**السيرة النبوية في التراث الأندلسي**"، مجلة الهلال المصرية، مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال بالقاهرة، أسسها جرجي زيدان، عدد 08 خاص بمحمدﷺ، أغسطس، 1978، ص ص103-104.

54- **الواقدي (ت207هـ/823م):** محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، الواقدي المديني القَاضِي، صاحب التَّصانيف والمغازي؛ مولده بعد 120هـ. سمع مِن صغار التَّابعين، ومَن بَعدَهم بالحجاز والشام وغيرها. قدم بغداد في 180هـ، فولاه المأمون القضاء حين قدم من خراسان، فلم يزل قاضيا حتى مات ببغداد في 11 ذي الحجة 207هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص ص454-469، ترجمة: 172.

55- **عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت211هـ/827م):** الحافظ الكبير عالم اليمن، أبو بكر الحميري الصَّنْعَانِي. ارتحل إلى الحجاز والشام والعراق؛ توفي في شوال 211هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص ص563-580، ترجمة: 220.

56- **خليفة بن خياط البصري (ت240هـ/854م):** العُصفُرِيّ، الإمام الحافظ العلامة الأخبارِيُّ، أبو عمْرو البصري. له: التاريخ وكتاب الطبقات. سمع أباه وابن عُيَيْنَةَ، وحدَّث عنه البخاري وبَقِيُّ بن مَخلد، وخلقٌ كثير. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، تحقيق: صالح السمر، ص ص472-474، ترجمة: 122. خليفة بن خياط شباب العصفري (ت240هـ)، كتاب الطبقات، رواية: أبي عمران موسى بن زكريا التُستري، حققه وقدم له: أكرم ضياء العمري، بغداد: مطبعة العاني، ط1، 1967، ص ص13-14 من المقدمة. تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995، ص ص5-8.

57- وهذه الفنون المذكورة هي مما تفرد بقي بن مخلد بإدخاله إلى الأندلس و لم يسبقه أحد إليه سواه. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص171، ترجمة: 281. وهو ما أشار إليه ابن حزم في رسائله، حيث أثنى عليه الثناء الحسن وأشار

هذا؛ وقد أصبح من الآكد أنه ما من شكّ في أن هؤلاء العلماء وغيرهم ممن أسهموا بالزر القليل أو الكثير في بعث الحركية العلمية بالأندلس، وأثبتوا فعاليتهم في توجيه المعلومة التاريخية وروايتها في داخل أوساط المجتمع الأندلسي، خاصة إذا وضعنا في الحسبان أن التاريخ أصبح وقتها جزءا مهما في ثقافة المسلم، إضافة لكون تناول الأحاديث والروايات الإخبارية كانت كذلك سمة عامة ميزت الأندلسيين بصفة عامة، فكيف بها عند خاصتهم من الفقهاء والمتحدّثين[60].

وإلى جانب هذه الفئة المهمّة من الرواة والمؤرخين، يجب ألا نغفل الدور الهام والبارز للفاتحين أمثال موسى بن نصير[61] وطارق بن زياد[62]، اللذان أسهما بقسط وافر في نقل الرواية إلى المحدّثين والفقهاء بمصر. حيث إنه وبعد أن أَرسلت لهما الخلافة المركزية بدمشق أَمْرَ العودة إلى عاصمة الخلافة، كانا قد مرّا على مصر، وقاما برواية أخبار الفتوح بالأندلس، وعن طبيعتها وطبيعة شعوبها. فتسارع شيوخ العلم لكتابة تلك الأخبار، حتى تبقى محفوظة للأجيال القادمة، باعتبارها صحيحة وصادقة، مِن رَجُلين قادا عملية الفتح بنفسهما؛ إذْ ليس الخبر كالعيان.

إلى طول باعه في الرواية والتأليف والتفرد فيها. ينظر: ابن حزم الأندلسي (384-456هـ)، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1987، ص ص178-181.

58- **أبو بكر بن أبي شيبة (ت235هـ/849م):** بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي الكوفي؛ المكنى أبو بكر الإمام العلَم سيّد الحفاظ، المسند والمصنف؛ طلب العلْم وهو صبي. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص ص122-127، ترجمة: 44. تذكرة الحفاظ، ص ص432-433، ترجمة: 439.

59- **الدورقي (166-252هـ/782-865م):** يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح بن منصور بن مزاحم، أبو يوسف العبدي الدَّوْرَقِيُّ، الحافظ الإمام الحجّة. رأى اللّيث بن سعد، وحدَّث عن سفيان بن عُيَيْنَةَ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، تحقيق: صالح السمر، ص ص141-144، ترجمة: 51.

60- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص118.

61- **موسى بن نصير (ت97هـ/715م):** فاتح الأندلس؛ يكنى أبا عبد الرحمن. يروى عن تميم الدّاري، وروى عنه يزيد بن مسروق اليحصبي؛ وتوفي حين خرج مع سليمان بن عبد الملك إلى الحج. ينظر: الصدفي، تاريخ ابن يونس، القسم الثاني، ص241، ترجمة: 643. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص848-850، ترجمة: 1454.

62- **طارِق بن زياد (50-102هـ/670-720م):** الليثي بالولاء، البربري. أسلم على يد موسى بن نصير، فكان من أشد رجاله. ولما تم لموسى فتح طنجة ولّى عليها طارقا سنة 89هـ، فأقام فيها إلى أوائل سنة 92هـ، فجهز موسى نحو 12000 معظمهم من البربر لفتح الأندلس وولّى طارقا قيادتهم، وتغلغل في أرض الأندلس إلى أن تم له فتحها مع موسى بن نصير. استدعاه الوليد بن عبد الملك إلى الشام مع موسى سنة 96هـ. ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص423، ترجمة: 867. المقري، نفح الطيب، مج1، ص230. الزركلي، الأعلام، ج3، ص217.

وعليه؛ فإن الرواية الشفوية بالأندلس بعد الفتح الإسلامي، كانت عن طريق أبناء وتلاميذ التابعين، مـــمّن شاركوا في عملية الفتح، ثم عادوا إلى بلادهم وأصبحوا مصدرا لأخبارها، بل وروادا في ذلك.

المبحث الثاني: دور المدارس المشرقية في كتابة وتدوين التاريخ الأندلسي

تعتبر المرويات التاريخية الخاصة بتاريخ الأندلس، مِن جملة ما تم استقاؤه من المدارس المشرقية وخاصة المصرية منها. حيث كانت عملية متبادلة مع الأندلسيين، وفي تداخل مستمر منذ الفتوح الأولى للأندلس وما تلاها بعده، خلال عصر الولاة وصولا إلى عصر الإمارة.

فلقد استمد التدوين التاريخي المبكر في الأندلس، معارفه ومعلوماته ومروياته، من كُتَّابِ مصرَ الأوائل، حتى غدت المدرسة الأندلسية في التاريخ، هي بنتٌ للمدرسة المصرية، التي تعدّ من المدارس التاريخية الكبرى التي أسهمت في تدوين التاريخ العربي، ولا سيما الأندلسي منه، وأول مدرسة مشرقية اهتمت بتدوين تاريخ المغرب والأندلس.

ومن المدارس المشرقية الواجب ذكرها في هذا السياق كذلك؛ مدرسة العراق التي اختصت بميدان الأخبار، والأيام والأنساب، إلا أن ما ورد فيها عن الأندلس، كان قليلا جدا، بل وشحيحا مقارنة بالأقاليم الإسلامية الأخرى، خاصة المشرقية منها، إلا أن هذا الأمر لا يلغي بأي حال من الأحوال، مكانة هذه المدارس وعلاقتها بالتدوين التاريخي في الأندلس.

ومنها كذلك مدرسة المدينة المنورة؛ حيث إن أغلب المؤرخين الذين نقلوا هذا النهج وساروا عليه، كانوا من المحدّثين أو من فقهاء المالكية الذين رحلوا إلى المشرق، وإلى المدينة المنورة على وجه التحديد. حيث حملوا منها الرواية التاريخية وأسلوبها، كجزء متمم لمعلوماتهم الفقهية، وهو ما يبين بشكل واضح تأثير مدرسة المدينة أيضا على الرواية التاريخية الأندلسية.

ومنها مدرسة الشام واليمن؛ فأما الأولى فقد اهتمت بالحدث التاريخي العام، وأحداث الجاهلية والفتوح والمغازي، فكانت هي الأخرى ذا تأثير مهم في السياق ذاته. وأما الثانية؛ فقد كانت أقل المدارس تأثيرا، واتخذت مِنَ المنهج القَصصي والأسطوري، موجّها عاما لها، كما تركّزت جلّ اهتماماتها على تاريخ اليمن فقط.

1/-دور المدرسة المصرية في كتابة وتدوين التاريخ الأندلسي:

لا تُعتبر الرواية والمعلومة التاريخية، الخاصة بتاريخ الأندلس وليدة المدرسة المصرية؛ كما قرره بعض المؤرخين. بل هي عملية متبادلة مع الأندلسيين، وفي تداخل مستمر منذ الفتح

الإسلامي للأندلس، وخلال عصر الولاة بها، وحتى بداية عصر الإمارة[63]. حيث يرى مصطفى شاكر، أن التدوين التاريخي المبكر في الأندلس، قد استمدّ معارفه ومعلوماته ومروياته، من كُتّابِ مصرَ الأوائل، وأن المدرسة الأندلسية في التاريخ، هي بنتٌ للمدرسة المصرية[64].

وعلى ما يبدو، فإن مصطفى شاكر كان متأثرا إلى حدّ بعيد برؤية محمود علي مكي، الذي يعتبر صاحب السبق في بيان علاقة مدرسة مصر التاريخية، بتاريخ الغرب الإسلامي، وإيضاح معالمها المهمة[65]. ورغم ذلك؛ فإنه لا يمكننا إنكار أهمية المدرسة المصرية في تأثيرها على المدرسة الأندلسية، من حيث المتابعة الجادة، واهتمامها البالغ بمروياتها ومعلوماتها التاريخية[66].

فالمدرسة المصرية تعدّ من المدارس التاريخية الكبرى، التي أسهمت في تدوين التاريخ العربي، ولا سيما الأندلسي منه. فهي أول مدرسة مشرقية اهتمت بتدوين تاريخ المغرب والأندلس، ولم يسجل روادها تاريخ فتح بلادهم فحسب، بل سجلوا كذلك تواريخ المناطق الواقعة غرب مصر، ومنها الأندلس[67]. وتعتبر هذه هي الخطوة الأولى للمدرسة التاريخية بالأندلس، والتي استمدت معارفها وروايتها، بل وأخبارها الأولى، نقلا عن الرواة والكُتّاب والمؤرخين المصريين الأوائل؛ فصارت بذلك بِنتًا للمدرسة المصرية[68].

1-1/-أسباب اهتمام المدرسة المصرية بكتابة التاريخ الأندلسي:

يُرجع بعض الباحثين المحدثين هذا الاهتمام من قِبل المدرسة التاريخية المصرية، لكتابة التاريخ الأندلسي لعديد الأسباب ومنها:

63- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص89.

64- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص181.

65-Mahmud Alí Makki: "**EGIPTO Y LOS ORIGENES DE LA HISTORIOGRAFIA ARABIGO-ESPANOLA"**,Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos, MADRID, Vol V, 1957, pp157-248.

وهذا ملخص المقال كاملا باللغة العربية. محمود علي مكي: "**مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي**"، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مج5، 1957، ص ص326-332.

66- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص89.

67- الصميدعي، الحياة العامة في الأندلس، ص273.

68- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص181.

– أن مصر كانت وبحكم موقعها الجغرافي، المركزَ الذي انطلق منه الفاتحون لبلاد المغرب والأندلس، وإليها عاد بعضهم، لُيحَدِّثوا بأخبار ما شاهدوه خلال عمليات الفتح تلك. فأخذ عنهم الرواة مروياتهم، التي أصبحت مصدرا رئيسا لأخبار تلك البلاد[69].

– كما أن موقع مصر الجغرافي، كونها نقطة عبور بين المشرق والمغرب، أهّلها وجعلها في مواجهة وفعّالية مستمرة مع المغرب، حين التقاء المغرب مع المشرق. الأمر الذي جعلها أكثر المواقع الإسلامية تأثُّرا وتأثيرا، وتفاعلا مع الموجات الحضارية والثقافية، خاصة عمليات الفتوح التي انطلقت من مصر[70].

– كانت العلاقات السياسية والعسكرية، بين مراكز الدولة الإسلامية، وبين المغرب والأندلس تـــمرّ بمصر[71]. فعُدّت بذلك بالنسبة للأقاليم الغربية ومنها الأندلس، مركزا إداريا وسياسيا قريبا، إذ منه تصل كافة أخبار وأنباء الأحداث الجارية في تلك البلاد، إلى مقر ولاية والي مصر، قبل أن تصل إلى العاصمة دمشق[72]. كما أن مصر كانت كذلك؛ منطلق الخطوط التجارية البرية والبحرية، إلى تلك الامصار والبقاع[73].

– ظهور مراكز العلم في مصر قبل ظهورها في الأندلس، وهو ما جعل مصرَ تتبوأ مكانة رفيعة تمثلت في كونها أصبحت منطلق الثقافة الإسلامية: دينا وفقها وعقيدة، ولغة وفكرا، وأدبا؛ إلى المغرب والأندلس، حيث كان لمؤسسي المدارس الفقهية بمصر، الفضل الأكبر في وضع أسس التشريع بالأندلس[74].

– اعتُبِر وجود أحفاد الفاتحين الذين استقروا بمصر، واعتنوا بمعرفة أخبار الفتح، كمصادر أولية للرواية التاريخية عن الأندلس[75].

69- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة: دار الرشاد للطباعة والنشر، ط5، 2000، ص17.

70- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص89-90

71- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص182.

72- الصميدعي، الحياة العامة في الأندلس، ص276.

73- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص182.

74- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص182.

75- منهم: **موسى بن عُلَيّ-بالتصغير-بن رباح اللخمي (90-163هـ/708-779م):** أبو عبد الرحمن اللخمي، من ذرية معاوية بن حديج؛ والده عُلَيّ من كبار التابعين، وكان من رفاق موسى بن نصير. ولد بإفريقية، وتوفي بالإسكندرية. روى عن أبيه والزهري، وأصبح فيما بعد مصدرا للمعلومات التاريخية عن مصر والأندلس، لدى الكثير من المؤرخين، ومنهم الواقدي وابن عذاري وغيرهم. وأيضا وُجد من أحفاد موسى بن نصير، من اعتنى بهذا الجانب وهو النصيري. ينظر:

كما أشار محمود علي مكي، إلى أن المدرسة المصرية أثرت في نظيراتها المغربية والأندلسية، كون مصر كانت منطلق الثقافة الإسلامية حديثيا وفكرا، إلى المغرب والأندلس[76]. ضف إلى ذلك، أن علم التاريخ في المشرق قد تطور وتوضحت معالمه، أثناء الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، فكان من الطبيعي أن تكون أخبار الأندلس، مِن بين اهتمامات علماء ومؤرخي المشرق وقتذاك[77].

وفي هذا الإطار؛ تسجّل لنا كُتُب الإخباريين، أَنَّ مِنْ أبرزِ مَنِ اهتَمَ بالتاريخ الأندلسي مِن المشارقة، أحفاد موسى بن نصير، حيث أقاموا بمصر وأصبحوا رواة لأخبار الأندلس، ومنهم: الهنيد بن نصير وابنه موسى[78].

1-2/ اهتمام الرواة المصريين بالتاريخ الأندلسي:

بدأ اهتمام رواة التاريخ المصريين بالأندلس في وقت مبكّر جدا قبل أن يتم فتحها، نَستَشِفُّ ذلك في بعض ما يُروى من أخبارها عن الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه[79]، قبل فتح الأندلس بنحو ربع قرن، وهي أخبار تسربت وتحدّث بها المحدّثون نقلا عن

الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ج2، قابلهما بأصل مؤلفيهما وقدم لهما وعلق عليهما وخرّج نصوصهما: محمد عوّامة وأحمد محمد نمر الخطيب، جدة–السعودية: دار القبلة للثقافة الإسلامية –مؤسسة علوم القرآن، ط1، 1992، ص306، ترجمة: 5719. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج6، ص472، ترجمة: 8236. مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص156.

76-Mahmud Alí Makki: **"EGIPTO Y LOS ORIGENES DE LA HISTORIOGRAFIA ARABIGO-ESPANOLA"** , p 157.

محمود علي مكي: "**مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي**"، ص327.

77- ربوح: "**مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية ما بين القرن 3–4هـ/9–10م**"، ص550.

78- **موسى بن الهنيد:** مولى لخم، ذكره في أخبار الأندلس، روى عن أبيه الهنيد بن داود. ينظر: الصدفي، تاريخ ابن الضبي، بغية الملتمس، ص608، ترجمة: 1339. الحميدي، جذوة المقتبس، ص539، ترجمة: 794.

79- **عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بنِ العَاص بنِ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ (ت65هـ/684م):** بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب. الإمام الحبر العابد صاحِب رسول اللهﷺ ابن صاحبه؛ أبو محمد. يبلغ ما أسند سبع مائة حديث، اتفقا له على سبعة أحاديث، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بعشرين؛ اختُلف في مكان وفاته على عدة آراء. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، تحقيق: محمد العرقسوسي ومأمون صاغرجي، ص ص79–94، ترجمة: 17.

روايات بعض علماء اليهود (التي اصطلح على تسميتها بالإسرائيليات) الذين أشهروا إسلامهم خلال ذلك العهد[80].

وأما فيما يتعلق بأخبار فتح الأندلس ونتائجه ومروياته، فإن مصر تعدّ من المصادر المهمة لأخبار فتوح إفريقية والمغرب والأندلس. حيث ساهم في إثرائها عدد من التابعين وتابعيهم، ممن عادوا إليها، أو مَرّوا بها في الطريق إلى الحج، فحازوا إثر ذلك مكانة محترمة، في مصر وشمال إفريقيا والأندلس، ضف إلى ذلك مكانتهم الدينية وفضل سبقهم رواةً ومحدّثين، وكان لهم شرف المشاركة في عمليات فتح الأندلس والدعوة إليه[81].

ولقد مثّل ذلك كلّه، تلاميذ عبد الله بن عمرو بن العاص[82]، إذ كانوا الغالبية العظمى، حيث أخذوا يـُحدّثون الناس في المجالس وحلقات المساجد، عن أخبار الفتوحات في الديار الأندلسية، ويصفونها، ويتحدثون عن طبيعتها وجغرافيتها، وخيراتها، وعن شعوبها، وعمّا وجدوه بها من العجائب والغرائب، وعن أخبار ملوكها وتاريخها[83].

هذا؛ وأخذ هؤلاء الرواة، يَـرْوُونَ لتلاميذهم في مصرَ قَصص الفتح، واضعين بذلك أساس التاريخ الأندلسي، ومنهم[84]: موسى بن نصير الفاتح نفسه، وموسى بن عُلي بن رباح، وحنش بن عبد الله السبئي الصنعاني[85]، وأبو عبد الرحمن الحُـبُلي[86]، وحبان بن أبي جبلة القرشي[87]، وبكر بن سوادة الجذامي[88].

80- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط، د ت، ص ص311-312. مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص ص181-182.

81- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص91.

82- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص182.

83- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص91.

84- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص182.

85- **حنش بن عبد الله السبئي الصنعاني:** يعدُّ في المصريين، سمِع فضالة، ورويفعا، وقال زيد بن حُباب: حنش بن علي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما. روى عنه قيس بن الحجاج وأبو مرزوق وجُلَّاح وخالد بن أبي عمران. روى عن الصحابة عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس وأبي الدرداء وفضالة بن عبيد ورويفع بن ثابت. يقال إنه مات بسرقسطة وقبره بها معروف، وقبره وقبر موسى بن علي بن رباح في موضع واحد عند باب القبلة خارج المدينة قرب السور. ينظر: البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(تـ256هـ)، التاريخ الكبير، القسم الأول من الجزء الثاني، حيدر آباد-الدكن: دائرة المعارف العثمانية، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ص99، ترجمة: 343، باب: حنش. الضبي، بغية الملتمس، ص ص345-347، ترجمة: 689. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص345-647، ترجمة: 689.

وقد بالغ الأندلسيون في احترام أخبار هؤلاء التابعين، فتتبعوا تاريخ بلادهم الأول، مما أَمْلَتْهُ ذاكرة مَن بقي في مصر من أبنائهم-أبناء التابعين-حتى صارت مصر هي المصدر الأول والأساسي لأخبار الغرب الإسلامي كله. وصارت أخبار فتح الأندلس، مادة تُلقى وتدرّس في كل المجالس، الأدبية والدينية في مصر، على يدي المحدّثين والفقهاء ورواة التاريخ[89].

وبعد انقضاء هذا الجيل (أو الطبقة)، برز إلى الوجود جيل آخر من رواة التاريخ في مصر، إذْ لم يكونوا أقلّ اهتماما من الجيل السابق له، في رواية تاريخ المغرب والأندلس. ومن هؤلاء:

86- **عَبْد الله بن يَزيد المُعافِريّ ثم الحُبُليّ:** يُكنّ أبا عبد الرحمن؛ من المصريين. كان صالحا فاضلا، شهد فتح الأندلس مع موسى بن نصير، ثم سكن القيروان واختط بها دارا ومسجدا في 100هـ، وهو مسجد الرباطي. روى عنه عقبة بن مَسْلم وعبد الله بن هُبَيرة، وغيرهم. يُقال تُوفّي بإفريقيّة سنة 100هـ، ويذكر أهل قرطبة أنه توفي بقرطبة ودفن بقبليها، وقبره مشهور يتبرك به. ينظر: المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج1، حققه: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1994، ص ص99-101. الدباغ عبد الرحمن الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج1، أكمله وعلق عليه: أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، ج1، تصحيح وتعليق: إبراهيم شبوح، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1968، ص ص30-31 وص180. الذهبي، الكاشف، ج1، ص360. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص288. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص281. المقري، نفح الطيب، مج3، ص09.

87- **حبان بن أبي جبلة القرشي:** أَدْخَل لبلاد المغرب حديث جملة من الصحابة منهم: ابن عباس وابن عمر، وبقي يبث العلم في مدينة القيروان أكثر من خمس وعشرين سنة فانتفع به أهلها، وروى عنه كثيراً منهم: عبد الرحمن بن زياد، وعبيد الله بن زحر، وموسى بن علي بن رباح وغيرهم؛ توفي بالقيروان عام 125هـ وقيل 122هـ. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص225، ترجمة: 381. المالكي، رياض النفوس، ج1، ص111. الدباغ، معالم الإيمان، ج1، ص202. الحسين بن محمد شواط، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، ج2، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط1، 1411هـ، ص517.

88- **بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي (ت128هـ/745م بإفريقية على الصحيح):** كان رجلا فاضلا جليلا، من صلحاء التابعين وفقهائهم. دخل القيروان قبل الفقهاء العشرة بعدة سنوات، فأقام بها أكثر من ثلاثين سنة محدّثاً ومفتياً، وفقيهاً. وقد انتفع به أهلها، ورووا عنه. أَدخل على القيروان حديث عدد من الصحابة، منهم: عقبة بن عامر، وسهل بن سعد الساعدي. كما روى عن جماعة من التابعين منهم: سعيد بن المسيب وابن شهاب الزهري، وروى عنه كثير من أهل القيروان منهم عبد الرحمن بن زياد، وأبو زرعة الإفريقي. وكان ثقة في حديثه، أخرج له مسلم والأربعة، والبخاري تعليقاً، وأحمد، والطبراني، وغيرهم، وعداده في المصريين رغم طول مكثه بالقيروان ووفاته بها. ينظر: الصدفي، تاريخ ابن يونس، ج1، ص: 79. المالكي، رياض النفوس، ج1، ص: 112. الدباغ، معالم الإيمان، ج1، ص ص: 111-112. المقري، نفح الطيب، مج3، ص: 56. الحسين بن محمد شواط، مدرسة الحديث في القيروان ج2، ص516.

89- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص182.

موسى بن عُلَيّ بن رباح اللخمي[90]، وهو أستاذ اثنين من أهم المؤرخين المصريين هما: ابن لَـــهِيعة[91]، واللّيث ابن سعد[92]، اللذان عُرف عنهما مواصلة الاهتمام بتاريخ المغرب والأندلس، خاصة وأنهما يمثلان مصدران هامان للأخبار والمرويات التاريخية.

فأما أبو عبد الرحمن بن لـَـهيعة الحضرمي المصري، الذي كان من المكثرين للأحاديث والأخبار التاريخية، ساعده منصبه في رفع مستواه، كونه قاضيا على مصر سنة 155هـــ/771م. واشتهر كذلك برواية الأخبار الأندلسية[93]، إذ روى عنه ابن عبد الحكم[94] في الفتوح، وعبد

90- راجع ترجمته في الهامش رقم: 75 من هذا الفصل.

91- **عبد الله بن عقبة بن لـَـهِيعة الحضرمي(174-97هـــ/715-790م):** يكنى أبا عبد الرحمن. ولي قضاء مصر سنة 155هـــ، وكان مكثرا من الحديث والأخبار والرواية، حتى أصبح مصدرا لتاريخ مصر منذ ابن عبد الحكم وحتى جلال الدين السيوطي. ينظر: الصدفي، تاريخ ابن يونس، القسم الأول، ص417، ترجمة: 1117. الكندي المصري أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (تـــ بعد 353هـــ)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ص ص266-268، ترجمة: 161. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص38-39، ترجمة: 325. البكجري الحنفي علاء الدين مُغْلطاي بن قليج بن عبد الله (689-762هـــ)، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج8، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 2001، ص143، ترجمة: 3150. ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (تـــ852هـــ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، قدم له وقرّضه: محمد عبد المنعم البري وعبد الفتاح أبو سِنة وجمعة طاهر النجار، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995، ص515، ترجمة: 5795. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص ص237-239.

92- راجع ترجمته في الهامش رقم: 26 من هذا الفصل.

93- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص ص159-160.

94- **ابن عبد الحكم (ت257هـــ/870م):** عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصري، المالكي، أبو القاسم. محدث، مؤرخ، فقيه من أهل مصر توفي في المحرم وسنّه نحو سبعين سنة. ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج4، ص74، ترجمة: 4576. الزركلي، الأعلام، ج3، ص313. حاجي خليفة (تـــ1067هـــ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص1240. البغدادي إسماعيل بن محمد (تـــ1399هـــ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص512. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج2، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها: شوقي ضيف، دار الهلال، ب ط، ب ت، ص196. موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط1، 1998، الإمارات: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ص2129. كحالة معجم المؤلفين، ج5، ص150. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص ص233-235. الزركلي، الأعلام، ج3، ص313.

الملك بن حبيب الإلبيري، بل إن ابن عبد الحكم اعتبَره من مصادره الأساسية، التي استقى منها مادته التاريخية[95].

أ/-تأثير الليث بن سعد: وأما الليث بن سعد، فهو مدرسة تاريخية بحدّ ذاته، ولا يقل مترلة عن ابن لَـــهيعة في مجال نقل الرواية التاريخية الأندلسية، إنْ لم يكن أعظم شأنا، وأكثر دقّة وشهرة، وأهمية واهتماما بالمرويات التاريخية، وأخبار الغرب الإسلامي. فقد كان له صِلةٌ وثيقة بالعديد من رجال العلم بالأندلس، الذين كانوا يَفدون إليه بعد أدائهم مناسك الحج والعمرة، ونظرا لشهرته العلمية، كانوا ينقلون عنه أخبار الفتح الإسلامي.

وقد ظهر تأثير الليث بن سعد على تلاميذه، من خلال مواصلتهم الاهتمام بالرواية والأخبار، ومنهم: عبد الملك بن مسلمة[96]، وعبد الله بن الحكم[97]، ويحي بن عبد الله بن بكير[98]، وعبد الله بن وهب[99]، وعثمان بن صالح[100]، وسعيد بن عفير[101].

95- ابن عبد الحكم عبد الرحمن القرشي (تـــ257هـــ)، فتوح مصر وأخبارها وفتح إفريقية والمغرب والأندلس، حققه وقدم له: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2004. وقد اعتمده في أكثر من مائة (100) موضع، ومثال ذلك الصفحات 20-26-28-33-40-53-54-55-78-79 إلى غاية ص351.

96- **عبد الملك بن مَسلمة (تـــ224هـــ/838م):** بن يزيد اللّوبيّ، يكنى أبا مروان، كان فقيها من أصحاب مالك، يروي عنه وعن وابن لهيعة والليث بن سعد، ويعدّ أكثر أصحاب الأخير ارتباطا بمروياته من الحديث والأخبار. ودوره الأساسي في العمل التاريخي، هو أنه نقل هذا الروايات التاريخية إلى تلميذه ابن بكر؛ قيل إن مولده سنة 140هـــ، ووفاته سنة 224هـــ. ينظر: الصدفي، تاريخ ابن يونس، ج1، ص326، ترجمة: 884. عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص372. الذهبي، ميزان الاعتدال، ج2، ص564، ترجمة: 5251. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص445، ترجمة: 144. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص ص793-794، ترجمة: 733. مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص159.

97- **أبو محمد عبد الله بن الحكم (155-214هـــ/772-829م):** بن أعين القرشي المصري، انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي بمصر. ويعتبر ما رواه من أخبار فتوح مصر والمغرب، الأساسَ الأولَ الذي أقام عليه المؤرخ ابن عبد الحكم كتابه فتوح مصر والمغرب. وهو ممن تتلمذ كذلك لِلّيث بن سعد، وروى عنه الكثير من الأخبار. ينظر: المالكي، رياض النفوس، ج1، ص167، ترجمة: 69. ابن حبان، الثقات، ج7، ص30. العيني الحنفي بدر الدين أبو محمد(تـــ855هـــ)، مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، ج2، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2006، ص68، ترجمة: 1222. ابن قُطْلُوْبَغَا الحنفي أبو الفداء (تـــ879هـــ)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ج5، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، صنعاء-اليمن: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، ط1، 2011، ص514، ترجمة: 5810. ابن خلكان وفيات الأعيان، ج3، ص ص34-35، ترجمة: 323. مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص159.

وفي المقابل، بدى جليا واضحا أثر هؤلاء الرواة في أوّل كتاب تاريخي، ألّفه أحد الأندلسيين وهو تاريخ عبد الملك بن حبيب الإلبيري (تـــ238هـــ/852م)[102]، والذي جاءت أكثر أخباره مروية عن الليث عن بن سعد، وتلميذه عبد الله بن وهب.

وفي الإطار ذاته، كان إقبال التلاميذ عليه كبيرا، حيث زاروه ليَغرفوا مِنْ عِلْمه ومعارفه، ومن أمثلتهم: زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون[103]، ثم يحي بن يحيى الليثي[104]، وكذا

98- **يحي بن عبد الله بن بكير (154-231هـــ/770-845م):** أبو زكرياء المخزومي، درَس على يدي عبد الله بن لَهيعة والليث بن سعد في مصر، وسمع الموطأ عن مالك. عني برواية الأخبار التاريخية الأندلسية، وكذا رواية الحديث، وأخذ عنه ابن عبد الحكم ومن جاء بعده. ينظر: عياض، ترتيب المدارك، ج3 ص ص369-371. أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص101. مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص163.

99- **أبو محمد عبد الله بن وهب (125هـــ-197هـــ/742-812م):** بن مسلمة الفهري، تفقه على الليث وأنس بن مالك حيث رافقه ثلاثين سنة. وهو من أعمدة المذهب المالكي، وسببا لذيوعه وانتشاره بمصر. اشتغل في رواية الحديث وجمعه، حتى وصل به الأمر إلى الاشتغال بالتاريخ، حيث روى الكثير عن مصر والمغرب والأندلس. ينظر: عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص ص228-243. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج3، ص ص700-702، ترجمة: 4291. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص36-37. ترجمة: 324. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص304، ترجمة: 283. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص414-417. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص89، ترجمة: 70. مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص159.

100-**عثمان بن صالح (144-219هـــ/761-834م):** بن صفوان السهمي، درَس على يدي الليث بن سعد وأنس ابن مالك وابن لَهيعة، ولعله ورث عن أساتذته حبّ الأخبار والمرويات التاريخية، فقد زوّد ابن عبد الحكم والبخاري بتاريخ وافر عن الأندلس. وتتميز أخباره بالنضج والسعة، وتَرْكِ القصص الخرافي، وكذا الدقّة وحسن الانتقاء. ينظر: الصدفي، تاريخ ابن يونس، ج1، ص338، ترجمة: 925. ابن حبان، كتاب الثقات، ج8، ص453. الرازي، كتاب الجرح والتعديل، ج6، ص154، ترجمة: 846. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج4، ص418، ترجمة: 5271. جلال الدين السيوطي (تـــ911هـــ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار إحياء الكتب العربية-عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1967، ص ص305-306، ترجمة رقم 43. مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص ص159-160.

101- راجع ترجمته في الهامش رقم: 33 من هذا الفصل.

102- سيأتي الحديث عنه فيما يأتي من مادة الفصل الأول، ص ص44-54.

103- راجع ترجمته في الهامش رقم: 39 من هذا الفصل.

104- راجع ترجمته في الهامش رقم: 45 من هذا الفصل.

قُرعوص بن العباس الثقفي[105] وغيرهم، إضافة إلى الروايات التاريخية والقَصص التاريخي؛ ومختلف العلوم بما فيها العلوم الشرعية كعلم الأصول، وبقية علوم الشرع[106].

إن المتتبع لأدبيات التدوين التاريخي عن إفريقية والأندلس خلال هذا العهد، لا يكاد يـَـمُرُّ برواية عنها، إلا ويجد ذِكْرًا لـــمَرْوِيات الليث بن سعد حاضرة وبقوة، حيث روى عنه خَلْقٌ كثير، بَل إنّ مِنَ المؤرخين مَنْ عَدّه مصدرا أساسيا له، ومِن أمثلتهم مِن المشارقة: الإمام الذهبي صاحب التآليف الماتعة، وابن الجوزي صاحب المنتظم، وابن خلكان صاحب الوفيات، والصدفي صاحب التاريخ المشهور بتاريخ ابن يونس، وغيرهم كثير. ومِنَ المغاربة: ابن عذارى المراكشي صاحب البيان المغرب، والذي نقل الكثير من الروايات المنسوبة إلى الليث بن سعد، خاصة ما له علاقة بالفتح[107].

ولقد استمر تأثير اللّيث بن سعد، على تلاميذه الذين اهتموا بالمرويات التاريخية الأندلسية، وفي مقدمتهم عبد الله بن وهب بن مسلم[108]، وهو أحد أعلام الفقه المالكي بمصرَ. حيث اهتم بالتاريخ مِنْ بَابِ مدرسة الحديث، ونهج النهج نفسه الذي سار عليه شيخة الليث، خاصة ما يتعلق بالاتصال المباشر برجالات الأندلس، وروى عن أربعة مائة(400) عالم، فأصبح بذلك ثاني مصدر مهم بعد شيخه اللّيث، لمن اهتموا بكتابة تاريخ الأندلس كابن عبد الحكم، الذي يورده كثيرا في كتابه فتوح مصر[109].

ومنهم كذلك؛ أبو يحي عثمان بن صالح بن صفوان السهمي[110]، فقد تتلمذ لابن لَـــهيعة والليث بن سعد، وعُرف عنه دقّة رواياته وشموليتها، والتي كانت تخلوا من الأساطير والخرافات. وقد اعتمده بعض المؤرخين، كون مروياته كانت محطّ ثقةٍ، فهو مَنْ عالج فتح

105- راجع ترجمته في الهامش رقم: 41 من هذا الفصل.

106- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص93-95.

107- ابن عذاري المراكشي (توفي نحو 695هـــ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وإ.ليفي بروفنسال، بيروت: دار الثقافة، ط3، 1983، ص43 وص59 وص92. ج2، ص23.

108- **عبد الله بن وهب بن مسلم (125-197هـــ/742-813م):** القرشي بالولاء، المصري؛ يكنى أبا محمد. جمع بين الفقه والرواية والعبادة، وله تصانيف كثيرة. ينظر: الصدفي، تاريخ ابن يونس، القسم الثاني، ص289، ترجمة: 785. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص ص223-234، ترجمة: 63.

109- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص ص159.

110- راجع ترجمته في الهامش رقم: 100 من هذا الفصل.

الأندلس بشكل دقيق وناضج، حيث إنّ ما رواه في هذا الصدد، يعتبر أساس ما كتبه جلّ المؤرخين الذي أتوا بعده[111].

ومن هذا القبيل كذلك؛ ما كتبه أبو القاسم عبد الرحمن بن الحكم، عن فتوح إفريقية والأندلس. حيث جاء في معظمه مُعتمِدا على الرواية المباشرة عن عثمان بن صالح، في كثير من رواياته عن فتح الأندلس، والتي أتت جلّ أخبارها من طريقه[112].

بـــ/-تأثير سعيد بن عفير: ومن تلاميذ الليث بن سعد في هذا المضمار كذلك؛ أبو عثمان سعيد بن كثير بن عُفير[113] مؤلّف كتاب أخبار الأندلس، والذي يتأكدّ مِن عنوانه التخصيص، فهو أول مَن عُرف بهذا التوجه، حيث قدّم عملا خصّصه لأخبار إقليم الأندلس فقط، وظهر فيه الميل إلى استقلالٍ واضح المعالم للتخصص. وللأسف الشديد، فإن هذا الكتاب يعتبر اليوم في عداد المفقود، إذ لم نجد من المؤرخين مَن أشار إليه أو اعتمد عليه، اللّهم إلا بعض المقتَبَسات منه، والتي أوردها ابن عبد الحكم في فتوحه[114]، والمالكي في رياضه[115]، وابن ماكولا في إكماله[116]، والدباغ في معالمه[117].

111- الصدفي، تاريخ ابن يونس، ج1، ص338، ترجمة: 925. ابن حبان، كتاب الثقات، ج8، ص453. الرازي، كتاب الجرح والتعديل، ج6، ص154، ترجمة: 846. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج4، ص418، ترجمة: 5271. السيوطي، حسن المحاضرة، ص ص305-306، ترجمة رقم 43. مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص ص159-160.

112- ابن عبد الحكم، فتوح مصر. وقد اعتمده في أكثر من خمسين (50) موضعا، ومثال ذلك الصفحات 23-24-27-28-29-38-39 إلى غاية ص338.

113- راجع ترجمته في الهامش رقم: 33 من هذا الفصل.

114- ابن عبد الحكم، فتوح مصر. وقد اعتمده في أكثر من خمس وأربعين (45) موضعا، ومثال ذلك الصفحات 40-79-80-86-88 إلى غاية ص352.

115- وقد أورده في موضع واحد فقط حيث قال: "قال أبو عثمان سعيد بن عفير في **تاريخه**". ينظر: المالكي، رياض النفوس، ج1، ص19.

116- ابن ماكولا سعد الملك أبو نصر(تـــ475هـــ)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تصحيح وتعليق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1966، ج1، ص11 وج2، ص272 وج3، ص291، وج4، ص64 وص356 وص534. وفي مواضيع أخرى كثيرة.

117- وقد أورده في موضع واحد فقط حيث قال: "قال أبو عثمان سعيد بن عفير في **تاريخه**". ينظر: الدباغ، معالم الإيمان، ج1، ص35.

هذا؛ واعتمد المصريون كتاب ابن عُفير في التاريخ، ابتداء من ابن عبد الحكم صاحب الفتوح، وحتى عصر السيوطي (تـــ911هـ/1505م). وهو ما يؤكده محمود مكي، الذي يرى أن ابن عُفير هذا، كان من أعظم الرواة والـــمُحدِّثين والشعراء، الذين نقل عنهم المؤرخون المصريون، وذلك لما امتاز به في كتابه، من الدقّة وثقة المرويات وانتشارها الكبير[118]، حتى قيل: إنه كان موضع إعجاب لكل مَنْ عرفه[119].

ويعدُّ ابن عفير كذلك؛ مصدرا لدى بعض المؤرخين الأندلسيين، حيث نجد العديد من الإشارات لابن عفير في بعض المصادر الأندلسية، مثل ابن الفرضي والحُميدي. فقد ذكره ابن الفرضي في عدة مواضع من كتابه تاريخ علماء الأندلس، ومنها قوله عند ترجمته لحِبّان بن أبي جبلة القرشي: "وذكَر سعيد بن كثير بن عُفَير: أنه مولى بني حَسنة"[120]. وفي ترجمة "سُمَك مولى موسى بن نصير؛ قال أبو سعيد: ذكَره ابن عُفَير في أخبار الأندلس"[121]، وفيه إشارة واضحة إلى ذكر كتاب ابن عفير "أخبار الأندلس". وفي ذِكْرِه لـــ "شَبيب؛ قال أبو سعيد: شبيب الأندَلسي، روى عنه سَعيد بن عُفَير في الأخْبار"[122].

كما ذكر ابن الفرضي ابن عفير في ترجمة موسى بن نصير رحمه الله قائلا: "حدثنا أبو محمد الحسن بن إسماعيل؛ قال: نا أبو سفيان محمد بن عبد الرحمن بن معاوية العتبِي؛ قال: نا أبي أبو القاسم عبد الرحمن بن معاوية؛ قال: نا أبو عثمان سعيد بن كثير بن **عُفير** الأنصاري، قال: وفي سنة إحدى وتسعين غزا موسى بن نصير الأندلس ففتح الله على يديه"[123].

118- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص ص427-428، ترجمة: 435. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص ص583-586. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج2، ص ص680-681، ترجمة: 8601. عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص ص272-274. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص302. أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص99-100. مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ص ص162-163.

119-Mahmud Alí Makki: **"EGIPTO Y LOS ORIGENES DE LA HISTORIOGRAFIA ARABIGO-ESPANOLA"** , pp 155-188 .

محمود علي مكي: "**مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي**"، ص ص329-330.

120- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص226.

121- المصدر نفسه، ص341.

122- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص348.

123- المصدر نفسه، ص848، ترجمة: 1454.

وأما في الجذوة للحميدي، فقد ذكره في موضعين اثنين. **الأول:** عند ترجمته لإبراهيم بن أبان قائلا: "إبراهيم بن أبان بن عبد الملك بن عمر بن مروان، يكنى أبا عثمان أندلسي، روى عنه ابن عفير"[124]. **والثاني:** في ترجمة "شبيب الأندلسي، روى عنه سعيد بن عفير في الأخبار"[125].

كان هذا ذِكْرٌ لأهم تلاميذ الليث بن سعد وابن لَهيعة، الذين كان لهم الباع الطويل والدور الكبير في الروايات التاريخية، التي أخذ عنها الكثير من المؤرخين، سواء المصريون أو الأندلسيون فيما بعد.

جـــ/-جهود عبد الرحمن بن عبد الحكم: وأما الذي توّج جهود هذه الطبقة والثلّة من التابعين وتلاميذهم، فهو أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الحكم صاحب كتاب "فتوح مصر وأخبارها، وفتح إفريقية والمغرب والأندلس"، الذي نال شهرة واسعة وكبيرة. فإليه يرجع إليه الفضل والسبق الأكبر، في تدوين مرويات فتوح إفريقية والأندلس، وحظي لذلك باحترام كبير لدى المؤرخين، وأصحاب الطبقات الأندلسية[126].

وليس بغريبٍ أن ينال ابن عبد الحكم هذه الشهرة والحظوة، فهو من أسرة عُرفت بالعلم والجاه في مصر على مَرّ عدّة أجيال، حيث إنّ والده يعتبر أحد أعمدة الفقه المالكي بها، وبها انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي[127].

هذا؛ وقد اعتمد ابن عبد الحكم في سِفره النفيس فتوح مصر والمغرب والأندلس، بالدرجة الأولى على مرويات تلاميذ الليث بن سعد، ومنهم والده عبد الله بن عبد الحكم، ويحي بن بكير، وعثمان بن صالح وغيرهم[128]، حيث ساعده ذلك في الإبداع أيّما إبداع، في لـــَمْلَمَةِ شتات تلك المرويات وجمعها وترتيبها وتصنيفها.

124- الحميدي، جذوة المقتبس، ص236، ترجمة: 267.

125- المصدر نفسه، ص372، ترجمة: 508.

126- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص101.

127- المالكي، رياض النفوس، ج1، ص167، ترجمة: 69. ابن حبان، الثقاة، ج7، ص30. العيني، مغاني الأخيار، ج2، ص68، ترجمة: 1222. ابن قُطْلُوْبَغَا الحنفي، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ج5، ص514، ترجمة: 5810.

128- المالكي، رياض النفوس، ج1، ص167، ترجمة: 69. ابن حبان، الثقاة، ج7، ص30. العيني، مغاني الأخيار، ج2، ص68، ترجمة: 1222. ابن قُطْلُوْبَغَا الحنفي، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ج5، ص514، ترجمة: 5810.

وقسّم ابن عبد الحكم كتابه إلى سبعة أجزاء رئيسة. فأما الأول: ففي فضائل مصر وتاريخها قبل الإسلام، والثاني: يعالج الفتح الإسلامي. وأما الثالث: فَلِشرح الخِطط ونزول العرب في مصر ونظام الجباية، والرابع: يتناول إدارة مصر بعد وفاة عمرو بن العاص، والخامس: في فتح إفريقيا والأندلس حتى سنة 127هـ/744م، وأما السادس: ففيه مختصر لقضاة مصر حتى سنة 246هـ/860م. في حين خصص السابع وهو أكبرها: لمختارات من الحديث والروايات المنسوبة للصحابة الذين دخلوا مصر[129].

ويعتبر ما كتبه في الجزء الخامس الذي خصصه لتاريخ الأندلس، مِن أَهمِّ وأوثق المصادر التاريخية للفتح الإسلامي للأندلس، بل وهو من أقدم الأعمال الباقية التي تناولت موضوع افتتاح الأندلس، باستثناء كتابات عبد الملك بن حبيب[130]، الآتي ذكره فيما سيأتي من مادة الموضوع.

وقد قُدّر لكتاب ابن عبد الحكم الذيوع والانتشار، إذ لقي رواجا كبيرا وواسعا بالأندلس[131]. حيث أنه كان مِن الأندلسيين مَن تتلمذوا مباشرة لابن عبد الحكم، أمثال: أحمد

129- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ص164.

130- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص102-105. وللاستزادة أكثر حول كتاب ابن عبد الحكم راجع: حسين عاصي، عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم وكتابه فتوح مصر وإفريقية، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ص05-198.

GATEAU, A, "**Ibn 'Abd al-Hakam et les sources relatives à la conquête de l'Afrique du Nord et de l'Espagne**", Revue tunisienne, N 23-24, 1935, pp 247-270.

131-Mahmud Alí Makki: "**EGIPTO Y LOS ORIGENES DE LA HISTORIOGRAFIA ARABIGO-ESPANOLA**" , pp 155-188 .

محمود علي مكي: "**مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي**"، ص ص329-330.

ابن عمرو بن منصور[132]، وعبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان الصدفي المعروف بابن ذُنين، الذي روى عن عبد الحكم كتابه فتوح مصر، ونقله إلى الأندلس[133].

د/-جهود ابن يونس عبد الرحمن بن أحمد الـــمصري الصدفي: وأما آخر طبقة من المؤرخين المصريين المتأخرين، الذين اهتموا بتاريخ الأندلس، فهو أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي[134]، الذي عاش جزءا مهما من حياته خلال (ق03هـــ/09م).

كان ابن يونس مؤرخا مشهورا في مصر، ومحدّثا كبيرا بها. له كتابان في التاريخ؛ الأول: كتاب مصر[135]، الذي يحوي تراجم علماء وشخصيات مصرية. وقد اعتمد على هذا السِّفر ابن ماكولا في الإكمال[136]، واقتبس منه ابن حجر اقتباسات كثيرة في كتابه الإصابة في تمييز الصحابةرضي الله عنهم[137]. وأما **الثاني:** فهو كتاب الغرباء[138]، والذي اشتمل على ذكر

132- **أحمدُ بن عَمْرو بن مَنْصور (تـــ312هـــ/925م):** من أهل إلبِيرة؛ يكنى أبا جعفر؛ ويعرف بابن عمريل. سمع بالأندلس، ورحل إلى المشرق فلقي محمد بن عبد الله بن سنجر الجرجاني، ومحمد بن سحنون، وجماعة سواهم كثير. كان عالما بالحديث حافظا له بصيرا بعلله إماما فيه، وكانت الرحلة إليه في وقته، وكان صاحب صلاة بلده. حدث عنه خالد بن سعد؛ وكان يُرْفَعُ به جِدّاً. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص68-69، ترجمة: 76. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص217-218، ترجمة: 238.

133- **عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان الصدفي:** أبو محمد الطليطلي يعرف بابن ذُنين. يروي عن أحمد بن عون الله، ومحمد بن أحمد بن مفرج، ومحمد بن محمد بن جبريل العلا. ويروي فتوح مصر لابن عبد الحكم، عن أبي بكر محمد بن محمد بن إسماعيل بن الفرج المهندس، عن علي بن الحسن. ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص448، ترجمة: 932.

134- **ابن يُونُس عبد الرحمن بن أحمد المصري (281-347هـــ/894-958م):** الإمام الحافظ الـــمتقِن، أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد ابن الإمام يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري. سمع أباه وأحمد بن حماد زغبة، وعلي بن سعيد الرازي، وعبد الملك بن يحيى بن بكير، وخلقا كثيرا، كما حدث عنه عبد الواحد بن محمد بن مسرور البلخي، وآخرون. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص578، ترجمة: 350. تذكرة الحفاظ، ص ص898-899، ترجمة: 865. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص137-138، ترجمة: 368. السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص351، ترجمة: 52. الكتبي محمد بن شاكر (تـــ764هـــ)، فوات الوفيات والذيل عليها، ج2، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ط1، ص ص267-269. كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص123. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص ص237-238.

135- كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص123.

136- ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب. الكتاب يقع في ثمان مجلدات، وقد ذُكِر ابن يونس الصدفي في هذا الكتاب أكثر من ستمائة وعشرين مرة (أكثر من 620).

137- ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة. الكتاب يقع في ثمان مجلدات، وقد ذُكر ابن يونس الصدفي في هذا الكتاب أكثر من ثلاثمائة مرة (أكثر من 300مرة).

الغرباء الواردين إلى مصر. وهذا السِّفر كذلك؛ عليه ذَيلٌ ألّفه أبو القاسم يحي بن علي بن محمد الطحان[139]، وهو موجود بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم: 116، من الورقة 220-259[140].

ولقد اعتمد ابن يونس على مرويات وكتابات السابقين له، والتي لا زال بعضها إلى الآن في عداد المفقود –بحسب ما اطّلعنا عليه–كمؤلفات سعيد بن عُفير. كما استفاد أيضا، من الأندلسيين فيما دوّنه حول التاريخ الأندلسي، حيث استعان في ذلك كلِّه بِصِلَتِه المباشرة معهم، خاصة من جاءوا إلى مصر منهم، واستقروا أو مَـــرُّوا بها، من أمثال: أبي إسحاق إبراهيم بن موسى ابن جميل الأندلسي، الذي استقر بمصر، وحدّث فيها وسمع منه ابن يونس[141]. وأبو بكر محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي القرطبي، الذي لقيه ابن يونس في مصر قبل سنة 300هـــ/912م[142].

وقد عُرف عن ابن يونس الصدفي، أنه اهتم غاية الاهتمام بالتاريخ الأندلسي، حيث أنه لم يُغفل أي حدث مهم خاص بتاريخ الأندلس، خاصة الأحداث التي عاصرها بنفسه. ولذلك أصبح محلّ ثقة كبيرة، وتقدير عالٍ عند مَنْ أتى بَعدَه من المؤرخين، خاصة منهم ابن الفرضي

138- كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص123.

139- **ابن الطَّحَّان (تـــ416هـــ/1025م):** يحيى بن علي بن محمد بن إبراهيم الحضرميّ، أبو القاسم المعروف بابن الطحان، فاضل مصري أصله من حضرموت، له اشتغال بالتراجم والحديث. له: كتاب "تاريخ علماء أهل مصر"، و"ذيل تاريخ مصر لابن يونس". ينظر: الحباك أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله (391-482هـــ)، وفيات المصريين 375-456هـــ، تحقيق: أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد، الرياض: دار العاصمة، ط1، 1408هـــ، ص61. الزركلي، الأعلام، ج8، ص157. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص238.

140- المرجع نفسه، مج1، ج2، ص ص237-238.

141- **إبراهيم بن موسى بن جميل الأندلسي (تـــ300هـــ/913م):** أبو إسحق مولى بني أمية، رحل وسمع محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بمصر، وأبا محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة وغيرهما، ورجع إلى مصر فحدث بها. روى عنه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، وسمع منه أبو سعيد بن يونس؛ توفي بمصر. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص42-44، ترجمة: 21. الضبي، بغية الملتمس، ص ص273-274، ترجمة: 521. الذهبي، ميزان الاعتدال، ج1، ص69، ترجمة: 230. تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج1، تحقيق: غنيم عباس غنيم ومجدي السيد أمين، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 2004، ص274، ترجمة: 254.

142- **محمد بن مُعَاوية بن عَبْد الرَّحمن بن مُعاوية** بن إسحاق بن عبد الله بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين، المعروف بابن الأحمر، من أهل قرطبة؛ يكنى أبا بكر. سمع بالأندلس عن مشايخها، ثم رحل إلى المشرق سنة 295هـــ فَسَمِع عن علماء مصر ومكّة وبغداد والكوفة والبصرة؛ توفِّي ليلة الخميس 27 رجب 358هـــ/16 جوان 969م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص733-735، ترجمة: 1287.

الذي اعتمده كثيرا في كتابه تاريخ علماء الأندلس، وكذا الحميدي صاحب جذوة المقتبس، كما سيأتي بيان ذلك.

وعليه؛ يمكننا القول أنّ ابن يونس الصدفي، ساهم بقسط لا يستهان به في العناية بتاريخ الأندلس، خاصة كونه اعتُمِدَ عليه في الكثير من المصنفات التاريخية الأندلسية[143]. كما أن اهتمام ابن يونس الصدفي بالتاريخ الأندلسي، تزامن مع فترة ازدهار الثقافة الأندلسية، وظهور معالم التدوين التاريخي بها، خاصة وأن علماء هذا الـــمَـصر ومؤرّخيه، بدأوا يشعرون بالاستقلال تماما عن المدرسة المشرقية، سواء ثقافيا أو سياسيا.

وبهذا، يكون ابن يونس آخر من شارك بفاعلية كبيرة، واهتمامٍ منقطع النظير في العناية بكتابة تاريخ الأندلس، اعتمادا على المدرسة المصرية، التي كان تأثيرها على المدرسة الأندلسية، متفاوتا. حيث ظهر ذلك جليا عند بعض مؤرخي الأندلس ممن اهتموا بالتدوين في مجال الطب، والنحو واللغة، وَبَـانَ عليهم تأثّرهم بطابع المدرسة المصرية.

ومع توالي السنين، بدأت المدرسة الأندلسية خاصة مع مطلع (ق04هـ/10م)، تستقل تدريجيا عن المدرسة المصرية، بعد أن كانت معتمدَها الكلّي فيما مضى من القرون الهجرية الأولى، حتى في أحداث تاريخ الأندلس نفسها، الذي كان يُدوَّن من طرف المحدّثين والعلماء المصريين. فأصبح مؤرخو الأندلس بذلك، يهتمون بتاريخ بلادهم بكتابات حيّةٍ ودقيقة، تنمّ عن التعلّق الكبير بالواقع المعيش، فجاءت كتاباتهم بذلك غاية في الروعة، روعة لا تقل عن روعة الكتاب والمؤرخين المصريين.

1-3/-أسباب تراجع المدرسة المصرية في كتابة التاريخ الأندلسي:

لم يدم الاهتمام الكبير للمدرسة المصرية بالتاريخ الأندلسي طويلا، حيث بدأ يتقلص تدريجيا. وقد مثّل هذا الاهتمام ثلّة من كبار مؤرخي مصر، من أمثال ابن عبد الحكم (تـــ257هـ/871م) صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس، وكذا ابن يونس المصري (ت347هـ/958م) الذي كان آخر مؤرخي مصر الذين شاركوا بقسط وافر في كتابة التاريخ الأندلسي، ومَنْ تَابَعَهُ في ذلك مثل عبد الغني بن سعيد(تـــ409هـــ/1018م) وغيره[144].

143- للاستزادة أكثر حول كتاب ابن يونس الصدفي ينظر: الصدفي، تاريخ ابن يونس، ج2، ص ص308-423. أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص106-108.

144- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص183.

وتعود أسباب التراجع والتناقص في اهتمام المدرسة المصرية بالتاريخ الأندلسي، إلى عوامل عدّة، نذكر منها ما يلي:

– أتيح للثقافة الأندلسية الاستقلال عن المشرق إلى حدّ كبير[145]، ولا سيما أيام عبد الرحمن الناصر[146]، وابنه الحكم المستنصر[147]، وحفيده هشام المؤيد (366هـ-399هـ-976-1009م)[148]، فكان ذلك إيذانا بتولي الأندلسيين لكتابة تاريخ بلادهم بأيديهم[149].

– ظهور ثُلّة من المؤرخين في الأندلس منذ بداية ق04هـ/10م، من ذوي الحظوة والمكانة العالية، أمثال: آل الرازي، والخشني، وابن القوطية، وعبد الله الحُكيّم وابن الفرضي، حيث أسهموا كلهم في تأسيس المدرسة التاريخية الأندلسية، التي بدأت الاهتمام بالتاريخ المحلي. وقد حاولوا التجديد والتركيز على موضوعات خاصة بِوَاقع الحياة الأندلسية، فكان ذلك سببا لتراجع الرواية الشفوية المشرقية، وحازوا السّبْق كأوّل مَن أسس علم التاريخ بالأندلس، وأنهوا الوصاية المشرقية على تاريخهم الإقليمي[150].

– كثرة عدد الروايات والأخبار المشرقية الإسلامية، وتراكم تجارب الأمة لدرجة اضطَرّ معها المؤرخون الأندلسيون لتضييق اهتماماتهم، والاقتصار على التاريخ المحلي الإقليمي، كما في مصر وغيرها[151].

145- الصميدعي، الحياة العامة في الأندلس، ص277.

146- **الأمير عبد الرحمن الناصر:** من أمراء بني أمية بالأندلس، حكم بين سنتي 300-350هـ/912-961م. للاستزادة أكثر حوله راجع: الحميدي، جذوة المقتبس، ص41-42. عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي، بيروت: دار النهضة العربية، 1986، ص ص315-383.

147- **الأمير الحكم المستنصر:** بن عبد الرحمن، من أمراء بني أمية بالأندلس، تولى في الثاني من رمضان سنة 350هـ/15أكتوبر961م وتوفي سنة 366هـ/976م. وللاستزادة أكثر حوله راجع: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص42-46. عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص ص385-417.

148- **الأمير هشام المؤيد:** من أمراء بني أمية بالأندلس، تولى بعد وفاة أبيه الحَكَم سنة 366هـ/976م، وخُلع في 18 جمادى الثانية 399هـ/17 فيفري 1009م. وللاستزادة أكثر حوله راجع: الحميدي، جذوة المقتبس، ص46. عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص ص419-499.

149- العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص313.

150- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص183.

151- المرجع نفسه، ص183.

– كما كان للأوضاع السياسية دور بارز في ذلك، خاصة في ظل العلاقة المتردية بين أُمَوِيـــي الأندلس، وفاطميي مصر، وهو ما أدى إلى التباعد والتنافر بينهما[152].

وهكذا؛ لم تحلَّ نهاية ق05هـــ/11م، حتى كان هذا الامتداد التاريخي والفكري، ما بين مصر والمغرب والأندلس، قد ذَبل واندثر[153].

2/-دور مدارس العراق والمدينة والشام واليمن في تدوين التاريخ الأندلسي:

يعتبر الحديث عن دور هذه المدارس المشرقية في تدوين التاريخ الأندلسي[154]، استكمالا لحديثنا عن دور المدرسة المصرية السالفة الذكر. فقد كان لها دور ثانوي جدّا، في ظل طغيان المدرسة التاريخية المصرية، وبسطها لنفوذها الواسع، ما أدّى إلى انحصار نفوذها وتأثيرها ومساهمتها في تدوين تاريخ الأندلس.

فمثلا **مدرسة العراق:** اختصت بميدان الأخبار، والأيام والأنساب. وكان مِن أَشهرِ مؤرخيها الإمام الطبري[155]، حيث يُلاحظ على أن ما ورد في كتابه تاريخ الرسل والملوك عن الأندلس، كان قليلا جدا، بل وشحيحا مقارنة بالأقاليم الإسلامية الأخرى، خاصة المشرقية منها[156].

كما أن هناك عامل آخر، قلّل مِن دور مدرسة العراق، مقارنة بمدرسة مصر، وهو أن معظم العرب الفاتحين للأندلس، كانوا من أصل حجازي، وأما البقية الباقية الذين دخلوا الأندلس مع بلج ابن بشر[157] كانوا من بلاد الشام ومصر، ولم يكن بينهم وفيهم مِن أهل العراق أحدٌ.

152– مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص183.

153– يُعدّ محمود علي مكي، أول من كتب عن علاقة مدرسة مصر التاريخية، بتاريخ المغرب والأندلس. وذلك في دراسته التي تم اعتمادها في هذا الفصل، وهي باللغة الإسبانية.

Mahmud Alí Makki: **"EGIPTO Y LOS ORIGENES DE LA HISTORIOGRAFIA ARABIGO-ESPANOLA"** , pp 155-188 .

154– عن هذه المدارس راجع: مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص113وما بعدها.

155– **ابن جَرير الطَّبَري (224–310هـــ/839–923م):** محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر. المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. له: أخبار الرسل والملوك يُعرف بتاريخ الطبري، وجامع البيان في تفسير القرآن يُعرف بتفسير الطبري. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص69. كحالة، معجم المؤلفين، ج9، ص147.

156– مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص ص253–264.

157– **بَلْج بن بِشْر (تـــ124هـــ/742م):** بن عياض القشيري، قائد شجاع، دمشقي، من ذوي الحزم. سيّره هشام بن عبد الملك على مقدمة جيش كثيف، مع عمه كلثوم بن عياض إلى إفريقية، لما ثار أهلها بأميرهم ابن الحبحاب، فنزل كلثوم

وبالرغم من ذلك؛ فإن هذا الأمر لا يلغي بأي حال من الأحوال، مكانة هذه المدارس وعلاقتها بالتدوين التاريخي في الأندلس، إما بشكل مباشر مِن خلال تأثر بعض مؤرخي الأندلس واهتمامهم بمؤلفات أصحاب هاته المدارس.

ومن المؤلفات التي تُساق هاهنا كمثال على ما سبق ذكره؛ تاريخ الطبري، الذي قام أحد مؤرخي الأندلس المسمى عَريبُ بن سعيد القرطبي[158] بوضع تكملةٍ له، ألحق فيها أخبار المغرب والأندلس، وجعله ذيلا على تاريخ الطبري، وسّماه: مختصر تاريخ الطبري[159]، حيث اختصر فيه ما يتصل بأخبار المشرق من 289هـ/901م إلى 319هـ/930م، وأضاف إليه أخبار الأندلس[160].

وأما التأثير غير المباشر، فقد كان من خلال الرحلات العلمية، والتي اطّلع أصحابها على مؤلفات تلك المدارس، ومنهجها في الرواية واستخدام السند أو سلسلة الرواة، في الوصول إلى شاهد العَيان الحقيقي، الذي روى أوْ شاهَدَ الحدث. وقد مكّن هذا التوجه غير المباشر فيما بعدُ، في تكوين أساس متين للدراسات التاريخية الأندلسية[161].

وبلج بالقيروان، وقاتلا البربر، فقُتل كلثوم في أوائل سنة 124هـ، وحُصر بلج إلى أن جاءته مراكب أمير الأندلس فركبها مع أصحابه، ورحل إلى الأندلس فارتاح قليلا، ثم عاود الكرة على البربر وأوغل فيهم، فخافه أمير الأندلس عبد الملك بن قطن، فدعاه إلى الخروج منها، فقبض عليه بلج وقتله، واستولى على البلاد. فانتظمت له أمورها أحد عشر شهرا، وتوفي متأثرا من جراحات أصابته في إحدى المعارك، وكانت عاصمته قرطبة. ينظر: ابن الأثير عز الدين أبي الحسن(555-630هـ)، الكامل في التاريخ، ج4، حققه واعتنى به: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، 2012، ص280، أحداث سنة 124هـ. المقري، نفح الطيب، مج3، ص20. الزركلي، الأعلام، ج2، ص73.

158- **عَريبُ بن سعيد القرطبي (تـ369هـ/979م):** طبيب مؤرخ من أهل قرطبة، من أصل نصراني، أسلم آباؤه واستعربوا وعُرفوا ببني التركي. استعمله الناصر سنة 331هـ، واستكتبه الحكم المستنصر، وارتفعت منزلته عند الحاجب المنصور بن أبي عامر فسماه خازن السلاح. اختصر تاريخ الطبري وأضاف إليه أخبار إفريقية والأندلس، فسمي صلة تاريخ الطبري. ينظر: ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي (تـ658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، ج4، تحقيق: عبد السلام الهراس، بيروت: دار الفكر للطباعة، 1995، ص3، ترجمة: 102. ابن عبد الملك المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد (تـ703هـ)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، مج3، السفر الخامس، حققه وعلق عليه: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2012، ص ص118-119، ترجمة: 291. بويكا، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص126. الزركلي، الأعلام، ج4، ص227.

159- العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ص317-318. الزركلي، الأعلام، ج4، ص227. آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكري الأندلسي، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ص ص206-207.

160- المرجع نفسه، ص206.

161- الصميدعي، الحياة العامة في الأندلس، ص278.

ولأنّ أغلب المؤرخين الذين نقلوا هذا النهج وساروا عليه، كانوا من المحدّثين أو من فقهاء المالكية الذين رحلوا إلى المشرق، وإلى المدينة المنورة على وجه التحديد. حيث حملوا منها الرواية التاريخية وأسلوبها، كجزء متمم لمعلوماتهم الفقهية، وهو ما يبين بشكل واضح تأثير **مدرسة المدينة**[162] أيضا على الرواية التاريخية الأندلسية[163].

ولما كانت مدرسة المدينة هي مدينة رسول اللهﷺ والخلفاء الأوائل، فقد اختصت بالمعارف الإسلامية، كالحديث والمغازي، فكان ذلك سببا لنشوء وقيام مدرسة بها قوية الأركان، دَوْرُها روايةُ وتسجيلُ كل ما يتعلق بذلك من التاريخ (المغازي والفتوح)، حيث جمعت بين أظهرها رواة المادة التاريخية.

وأما **مدرسة الشام**[164]، فتوجّه اهتمامها للحدث التاريخي العام، وأحداث الجاهلية والفتوح والمغازي. فكانت هي الأخرى ذا تأثير مهم في السياق ذاته، حيث أن أغلب الجُند الذين دخلوا الأندلس، كانوا من تلك البلاد، وكان أول مذهب فقهي دخل الأندلس هو مذهبهم؛ مذهب الأوزاعي[165].

162- للاستزادة أكثر حول **مدرسة المدينة** راجع: مصطفى شاكر، التاريخ والمؤرخون، ج1، ص ص149-168.

163- الصميدعي، الحياة العامة في الأندلس، ص278.

164- للاستزادة أكثر حول **مدرسة الشام** راجع: مصطفى شاكر، التاريخ والمؤرخون، ج1، ص ص113-135.

165- **مذهب الأوزاعي:** ينسب هذا المذهب إلى مؤسسه أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، من قبيلة الأوزاع بدمشق. وُلِد في بلعبك سنة 88هـ/706م، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها 157هـ/774م. وهو إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتّاب المترسّلين، لا يجارى في المعرفة بالسير والمغازي والفتوح. وحين اجتمع بالإمام مالك في المدينة، غمره بالسير، وغمره مالك بالحديث. ذلك أن الأوزاعي كان أَعلمَ بهذا الباب من غيره من علماء الأمصار، قال عنه مالك: الأوزاعي إمام يقتدى به. وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه، إلى زمن الحكم بن هشام المتوفى سنة 206هـ. له: كتاب السنن في الفقه. ينظر: ابن قتيبة الدينوري أبو محمد (ت276هـ)، المعارف، حققه وقدم له: ثروت عكاشة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1992، ص ص496-497. الشيرازي أبو اسحاق (ت476هـ)، طبقات الفقهاء، حققه وقدم له: إحسان عباس، بيروت: دار الرائد العربي، ط1، 1970، ص76. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج4، ص ص102-106، ترجمة: 4637. عبد الستار الشيخ، الإمام الأوزاعي شيخ الإسلام وعالم أهل الشام 88-157هـ، دمشق: دار القلم، ط1، 2006. عبد الجليل ملاخ: "**الإمارة الأموية في الأندلس وتحولها من مذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي**"، مجلة الحقيقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة محكمة تصدر عن جامعة أدرار الجزائر، مج10، ع1، جانفي 2011، ص ص51-81. مصطفى شاكر، التاريخ والمؤرخون العرب، ج1، ص ص127-128. الزركلي، الأعلام، ج3، ص320.

ومن هاته المدارس كذلك؛ **مدرسة اليمن**، وهي أقل المدارس تأثيرا، حيث اتخذت مِنَ المنهج القَصصي والأسطوري، موجّها عاما لها، كما تركّزت جلّ اهتماماتها على تاريخ اليمن فقط[166].

وعليه؛ فإنه وبالرغم من وجود إخباريين ورواة للمادة التاريخية في هاته المدارس، فإنها لم تَطْرُقْ موضوع الأندلس، إلا في محطات قليلة. حيث اتجه روادها إلى التأريخ للأمصار التابعة لها فقط، وذلك خلال القرون الهجرية الأولى.

ومن خلال ما سبق ذكره في هذا الفصل؛ نستنتج أن نشأة العلوم وانتعاشها ببلاد الأندلس مبكرا، وخاصة علوم الحديث واللغة والأدب والشعر، كان له دور كبير في نشأة التدوين التاريخي، حيث تكوّنت مِن خلالها المادة التاريخية الأولية، والتي خدمت المؤرخين أو مَن كانوا يميلون لجمع الروايات والأخبار التاريخية.

وقد كان من الطبيعي جدا والحال هاته؛ أن يكون مِنْ بين هؤلاء مِنَ اللغويين والشعراء ورجال الحديث، مَنْ كانوا في الوقت ذاته من المؤرّخين، حيث نشأت منهم طبقة تهتم بجمع الأخبار التاريخية، وحِفظها وروايتها، إلى جانب اهتمامهم بالعلوم الأخرى.

وعلى ما يبدو؛ فإن الرواية الشفوية بالأندلس بعد الفتح الإسلامي، كانت المصدر الأول للتدوين التاريخي بهذا الـــمَـــصر. وقد أتت هاته الروايات في مجملها مِن طريق أبناء وتلاميذ التابعين، ممن شاركوا في عملية الفتح، ثم عادوا أدراجهم إلى بلادهم، وأصبحوا مصدرا هاما لأخبار الفتح.

وقد كان للرواية الشفوية وما أحدثته مِنْ تطور كبير في عملية التدوين التاريخي بالأندلس، دور مهم في توجيه الكتابة التاريخية الأندلسية للطابع المشرقي منهجًا (خاصة المدرسة المصرية)، إذ لا غَرْوَ في ذلك، وخاصة في ظلّ تلقّي الأندلسيين لمادتهم التاريخية الأولى مِن شِفاه مؤرخي المشرق، ونَقْلِهم لكتبهم إلى الأندلس حال عودتهم إليها. كما أن إقامتهم بالمشرق كانت تمتدّ لفترات طويلة، وهو أمر كفيل بشدّة تأثّرهم بمنهج المشارقة في الكتابة التاريخية.

ولِأَنَّ عملية التدوين والتأليف التاريخي، تستوجب على المؤرخ الاطلاّع والقراءة والبحث والتنقيب، عن كلّ ما يتّصل بموضوع الكتابة التاريخية مهما كان عنوانه، وذلك حتى يُدرِك ما عاناه سلفه وهو بقيد التدوين والكتابة في أي موضوع من مواضيع الكتابة التاريخية.

166- للاستزادة أكثر حول **مدرسة اليمن** راجع: مصطفى شاكر، التاريخ والمؤرخون، ج1، ص ص135-169.

ولقد كان الجِلّة من المؤرخين الأندلسيين مِن طبقة الفقهاء، وذلك لأن طبيعة المادة الخبرية في بداية الأمر، كانت لا تخرج عن حدود الكتابة في سيرة النبيﷺ، ومناقب الصحابة الكرام رضي الله عنهم أولا، ثم مغازيهﷺ ثانيا، حيث ارتبطت هاته العملية في مجملها برواية الحديث النبوي الشريف، وهي السمّة الأبرز في بداية عملية التدوين التاريخي عند المسلمين.

وفي الوقت الذي كانت عملية التدوين التاريخي بالأندلس تشق طريقها إلى الظهور، كانت ثمّة عوامل عدّة أثّرت على نشأة وتطور الحركة الثقافية بها، ومنها عملية التدوين التاريخي تلك، والتي أثرت بشكل إيجابي في هاته الحركية الثقافية، ينضاف إليها رحلة الطلاب الأندلسيين إلى المشرق وبخاصة مصرَ، وكذا رحلة المشارقة إلى الأندلس، وانتشار المذهب المالكي وتغلّبه على المذهب الليثي، حيث أسهمت هذه العوامل مجتمعة في دفع الحركية الثقافية بالأندلس، والانطلاق الفعلي لِمَا سمّي بحركة التدوين التاريخي بالأندلس.

الفصل الأول:

التدوين التاريخي في الأندلس
البدايات، وأصناف الكتابة إلى نهاية ق04هـ/10م

المبحث الأول: المحاولات الأولى للكتابة للتاريخية في الأندلس

1/-عبد الملك بن حبيب السلمي (المتوفي سنة 238هـ/852م)

2/-مُعارِكْ بن مروان (عاش في ق03هـ/09م)

3/-عبد الله الحَكَيم (تُوفي منتصف رمضان 341هـ/فبراير 953م)

4/-ابن القوطية (ت367هـ/977م)

المبحث الثاني: أصناف الكتابة التاريخية في الأندلس

1/-كتابة التاريخ العام للأندلس

2/-كتابة تاريخ مدن الأندلس

3/-كتابة تاريخ الأندلس شعرا

4/-كتابة الأنساب في الأندلس

5/-كتابة التراجم في الأندلس

أثّرت عدت عوامل على نشأة وتطور الحركة الثقافية بالأندلس، حيث كان لأثر الثقافة المشرقية بصمة واضحة على الكتابة الأندلسية، وذلك في إطار علاقة التأثير والتأثّر، خاصة مع هجرة طلاب الأندلس للمشرق، ونَـــهْلِهِم من المعين الصافي للثقافة المشرقية. ثم مَا تبعه مِن هجرة لعلماءَ مشارقةَ إلى الأندلس بمعارفهم الجديدة، وجَعْلِهَا متاحة للأندلسيين[1].

كما أن المذهب المالكي[2]، أسهم إسهاما فاعلا، في بثّ وانطلاق حركة التدوين التاريخي بها، بل إنه شكل منعطفا حاسما في ذلك، وكانت النقطة المحورية التي الْـــتَفَّ حولها الطلاب الأندلسيون، فألّفوا فيها ودرَسوها[3]. كما كان لدور الأمراء الأندلسيين أيضا، دور فاعل وحاسم، في دَعْمِ ورعاية الحركية العلمية بهذا القُطر، إذ شجّعوا العلماء على البحث والدرس[4].

ولأنّ الكتابة التاريخية الأندلسية تأثرت في البداية بالمدرسة المشرقية تأثرا كبيرا، فقد عبّد هذا الأمر الطريق لبروز عَدد من الفقهاء والأدباء والعلماء، الذين اهتموا بمختلف الفروع العلمية، خاصة الروايات الشفوية منها، والتي اعتمدت عليها عملية التدوين التاريخي الأولى[5]، إذ هي –الرواية الشفوية–أصل الروايات المسموعة، والأخبار المكتوبة.

وعليه، فإن التاريخ المكتوب بالأندلس، قد نشأ من الرواية المسموعة، والأخبار التي كانت تتردد على الأسماع، حيث بذل الحُفّاظ فيها جهدا طيّبا ومعتبرا، للحِفَاظ عليها. حيث وُجِد مِنَ الذين اهتموا مِنَ المشارقة برواية وتدوين الأخبار التاريخية الأولى للأندلس، وكانوا مِنْ

1- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الأردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الدمام–السعودية: مكتبة المتنبي، ط1، 2002، ص33.

2- خاصة وأن الأندلسيين كانوا على مذهب الأوزاعي خلال عصر الولاة، ثم دانوا لمذهب مالك رحمه الله على عهد الإمارة الأموية، حيث أصبح هو مذهبهم السائد في الحياة التشريعية بأرض الأندلس كلها. ينظر: الهامش رقم: 166 من هذا الفصل. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج4، ص ص102–106، ترجمة: 4637. عبد الستار الشيخ، الإمام الأوزاعي، ص ص260–266. أحمد الوزان، التدوين التاريخي بالأندلس، ص ص110–111. مصطفى شاكر، التاريخ والمؤرخون العرب، ج1، ص ص127–128. الزركلي، الأعلام، ج3، ص320. عبد الجليل ملاخ، الإمارة الأموية في الأندلس وتحولها من مذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي، ص ص51–81.

3- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص65.

4- المرجع نفسه، ص80.

5- ربوح، مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية، ص550.

أبناء وتلاميذ التابعين الذين شاركوا في عمليات الفتح الأولى، ثم عادوا لبلادهم وأصبحوا روادا لأخبارها[6].

ولقد كان مِنْ أبرز المهتمين بتاريخ الأندلس مِنَ الرواة والإخباريين المشارقة، أحفاد موسى بن نصير[7] الذين أقاموا في مصر، وأصبحوا رواةً لأخبار الأندلس، حيث عُرف منهم الهنيد بن نصير وابنه موسى[8].

وأما فيما يتعلق بظهور وانتشار الروايات التاريخية الشفوية في الأندلس، فقد كان أول ظهور لها من قِبل العرب الفاتحين، الذين حملوا معهم المرويات التاريخية المختلفة، وكذا عن طريق علماء المشرق والمغرب الذين رحلوا إلى بلاد الأندلس لنشر العلم بها. حيث كان مِنْ أبرزهم العالم الحمصي معاوية بن صالح الحضرمي[9]، والذي كان مِنْ أوائل ناشري العلم، ومِنْ علماء التاريخ المبكّر بالأندلس، فكان له بذلك تأثير كبير على نشأة الفكر الأندلسي[10].

إن المتتبع لمسار التدوين التاريخي بالأندلس، يدرك جليا ما كان من أثرٍ طيب لهؤلاء الإخباريين، في نشوء ما عُرِفَ بعدُ بالخبر التاريخي. إذْ به وعن طريقه تراكمت المعارف التاريخية بالأندلس، وبرزت المحاولات الجادة للتدوين التاريخي بهذا القُطر.

وتجدر الإشارة هاهنا، إلى أنّ أول ظهور وتدوين للروايات التاريخية المَـحلّية الخاصة بتاريخ الأندلس، كانت قَدْ أَيْنَعَتْ في المشرق وبِـمِصرَ خاصة –كما ذُكر سابقا–ذلك أنّ التدوين في علم التاريخ في المشرق، كان قد تطور واتّضحت معالمه الكبرى بالأندلس بعد استكمال الفتح، فكان مِنَ الطبيعي أنْ تكون أخبار الأندلس وقتَها، ضمن اهتمامات علماء ومؤرخي المشرق[11]، حيث كان مِنْ أبرزهم –كما مرّ بنا–ابن عبد الحكم صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس، وابن يونس المصري صاحب كتاب تاريخ ابن يونس.

6- تم ذكر أهم التلاميذ في الجزئية الخاصة باهتمام الرواة المصريين بتاريخ الأندلس، في الفصل التمهيدي، ص ص20-33.

7- راجع ترجمته في الهامش رقم 61 من الفصل التمهيدي.

8- راجع ترجمته في الهامش رقم 78 من الفصل التمهيدي.

9- راجع ترجمته في الهامش رقم 13 من الفصل التمهيدي.

10- أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري، ص114.

11- ربوح، مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية، ص550.

ولقد شقّ الإنتاج التاريخي في الأندلس طريقه في البداية، معتمدا على ما نقله طلاب العلم والفقهاء، مِنَ الكتب المشرقية التي عُنيت أساسا بالسيرة النبوية والحديث الشريف، وأخبار الصحابة رضي الله عنهم والخلفاء، ينضاف إليها الكتب التاريخية العامة، التي اهتمت بالتاريخ الإسلامي العام. حيث حظيت هاته المؤلفات كلها بمكانة عالية، وإقبال كبير من قِبل الأندلسيين[12].

هذا؛ وبدأت بعد هذه المرحلة المحاولات الأولى للتأليف التاريخي، مع عددٍ مِـمَّنْ يُنسَبُون إلى هذا الحقل، خاصة إذا وضعنا في الحسبان، أن التاريخ لم يكن اهتمامهم الوحيد، حيث عُرِفوا بموسوعيتهم، وهي السمة الأبرز لغالبية علماء ومؤرخي العصر الوسيط وخاصة منهم الفقهاء، إذْ لَـمْ يلتزموا الكتابة في فنٍّ واحد فقط[13]، وهو الطَّرح الذي ينسحب على جملة مؤرخي الأندلس، الذين كان غالبيتهم من الفقهاء والمحدثين، وبالتالي فَهُمْ فقهاء مؤرخون.

المبحث الأول: المحاولات الأولى للكتابة التاريخية في الأندلس

اهتم الأندلسيون بالكتابة التاريخية[14] اهتماما منقطع النظير، خاصة بعد دخول المذهب المالكي إليها، وكذا تعلمهم اللغة العربية أفواجا أفواجا، وهو ما نتج عنه ظهور العديد من المحاولات للكتابة التاريخية، والتي كان محورها الأول هو تاريخ الأندلس ورجالها. وقد ظهرت البواكير الأولى لعملية التدوين تِلْكْ، خلال العقود الأولى من (ق03هـ/09م).

وبالرغم مِن أنّ (ق02هـ/08م) وبكلّ ما حَمَلَه من إرهاصات، يُعدّ مُـمَهِّدًا لعملية التدوين التاريخي في الأندلس، التي بدأت خلال (ق03هـ/09م)، وذاعت وانتشرت بشكل لافت خلال (ق04هـ/10م)، والذي يعدّ القرن أو العصر الذهبي للتدوين التاريخي في بلاد

12- محمد عليلي، الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول والثالث الهجريين/السابع والتاسع الميلاديين، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: بلحاج معروف، جامعة تلمسان، 2015-2016، ص393.

13- المرجع نفسه، ص394.

14- تجدر الإشارة هاهنا، إلى أن السيرة النبوية كانت أول فروع التاريخي الإسلامي تدوينا في الأندلس، حيث أن كبار الفقهاء من المالكية، كانوا أوّل من كَتب في السيرة المباركة في الأندلس.

الأندلس، إذْ شهد تطورا كبيرا في هذا المجال، مقارنة بما كان عليه الأمر في القرون السالفة التي سبقته[15].

وسيقتصر حديثنا في هذه الجزئية، على نماذج مِن المؤلفات التي ظهرت بالأندلس خلال القرنين (03و04هـ/09و10م)، وذلك لاعتبارات تاريخية ومنهجية، مِن أهمها: أنّه كان لهاته المحاولات الأولى للتدوين التاريخي في الأندلس، الفضل العميم في إرساء أسس ودعائم التدوين التاريخي بهذا المَصر. ومن أبرز هاته المحاولات نذكر:

1/-عبد الملك بن حبيب السلمي (المتوفى سنة 238هـ/852م):

هو عبد الملك بن حبيب، بن سليمان، بن هارون، بن جاهمة، بن عباس، بن مرداس، السلّمي، المُكنَّى: أبا مروان، ويقال: إنه من موالي سليم. أصل أسرته من طليطلة[16] التي انتقل منها جدّه سليمان إلى قرطبة، وانتقل أبوه حبيب وإخوته من قرطبة في فتنة الربض[17] أيام الأمير الحَكَم[18] إلى إلبيرة[19]، ولذلك يطلق عليه اسم الإلبيري. عُرِف أبوه بحبيب العصّار، لأنه

15- إيمان محمود حمادي العبيدي، التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس من القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري، أطروحة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي، إشراف: كريم عجيل حسين، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الأنبار-العراق، 2011، ص13.

16- **طُلَيْطُلَةُ:** ضبطها الحميدي بضم الطائين وفتح اللّامين، وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية. وهي مدينة كبيرة بالأندلس ذات خصائص محمودة، كانت دار مملكة الروم قبل أن يفتحها المسلمون. وهي مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضاً، ومنها إلى المرية في البحر الشامي تسع مراحل أيضاً. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص393. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص39.

17- **ثورة الربض:** ابتدأت شرارتها في جمادى الثانية سنة 189هـ، وهي أخطر ما واجه الأمير الحَكَم بن هشام. وقد انتهت بقضائه عليها في 13رمضان سنة 202هـ. ينظر: ابن القوطية(ت367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري-بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط2، 1989، ص ص64-74. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ط2، 1988، ص161. الحميدي، جذوة المقتبس، ص39. المقري، نفح الطيب، مج5، ص15. عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص ص190-195.

18- **الأمير الحَكَم بن هشام:** من أمراء بني أمية بالأندلس، نُصّب أميرا في قرطبة شهر صفر سنة 180هـ/796م، وتوفي في 25 ذي الحجة سنة 206هـ/822م. ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ص64-74. الحميدي، جذوة المقتبس، ص39. ابن الخطيب، الإحاطة، ج6، ص269. المقري، نفح الطيب، مج5، ص15. عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص ص183-204.

كان يعصر الأدهان ويستخرجها. وُلد في قرية من قرى فحص غرناطة[20]، تدعى حصن واط عام174هـ/790م.

نشأ ابن حبيب في إلبيرة، وتعلّم في قرطبة وأخذ عن شيوخها وروى عنهم، من أمثال الفقيه الأوزاعي صعصعة بن سلام الشامي(ت180هـ/796م)[21] صاحب الصلاة والفُتيا بقرطبة. وسَمع من أئمة المالكية الأوائل بالأندلس، من أمثال الغازي بن قيس (ت199هـ/815م)[22]، وتلميذ مالك؛ زياد ابن عبد الرحمن اللخمي الملقب بشبطون (ت199هـ/814م)[23].

وفي سنة 208هـ/823م، رحل عبد الملك بن حبيب إلى المشرق، وبلَغ مدينة رسول اللهﷺ ودَرَسَ بها[24]، فأخذ عمّن بقي من تلاميذ مالك بن أنس رحمه الله. فسمع من عبد الله بن نافع الزبيري[25]، وعبد المالك بن الماجشون (ت212هـ/827م)[26]، ومُطَرِّفُ بن عبد الله (ت220هـ/835م)[27]، وإبراهيم بن المنذر الحِزَامي[28].

19- **إِلْبِيرَةُ:** من كور الأندلس، جليلة القدر. نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالي الإمام عبد الرحمن بن معاوية، وهو الذي أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك. وجامعها بناه الإمام محمد على تأسيس حنش الصنعاني. كانت حاضرة إلبيرة من قواعد الأندلس الجليلة، والأمصار النبيلة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص28. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص244.

20- **غَرْنَاطَةُ:** بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم نون، وبعد الألف طاء مهملة، معناها رمّانة بلسان عجم الأندلس. وهي أقدم مدن كورة إلبيرة من أعمال الأندلس، وأعظمها وأحسنها وأحصنها. يشقّها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم ويعرف الآن بنهر حدارّه. بينها وبين إلبيرة أربعة فراسخ، وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص195. والفرسخ هو مقياس من مقاييس الطول القديمة، يساوي الواحد منه 03 أميال، أو 04 كيلومتر.

21- راجع ترجمته في الهامش رقم: 36 من الفصل التمهيدي

22- راجع ترجمته في الهامش رقم: 19 من الفصل التمهيدي.

23- راجع ترجمته في الهامش رقم: 39 من الفصل التمهيدي.

24- عمر بوخاري، محاضرات في مقياس مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، سند بيداغوجي للتأهيل موجه لطلبة السنة الثانية ماستر، تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي الأوسط الوسيط، جامعة ابن خلدون تيارت، 2016-2017، ص10.

25- عن ترجمته: عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص145. الرازي، الجرح والتعديل، ج5، ص153، ترجمة: 857.

26- عن ترجمته: عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص136. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص359، ترجمة: 92. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص85، ترجمة: 56.

27- عن ترجمته: الرازي، الجرح والتعديل، ج8، ص815، ترجمة: 1454. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص86، ترجمة: 59.

وبعد رحلته الحجازية؛ يمّم ابن حبيب شطر مصرَ، فأخذ فيها على يد العديد من علمائها[29] خاصة بالفُسطاط[30]، ومنهم: أصبغ بن الفرج (توفي بمصر 225هـ/839م) إمام المالكية بمصر في وقته[31]، وعبد الله بن عبد الحكم، وأخذ الحديث عن أسد بن موسى الأموي الحافظ (توفي في محرم 212ه/827م) المعروف بأسد السنّة[32].

وتعدّ رحلة عبد الملك بن حبيب إلى الديار المشرقية، سواء المدينة المنورة أو مصرَ، رحلةً علمية بامتياز، لما اتّسمت به من طابع الجدّية. فقد عُرف باحترامه للعلم وتقييده، واعتزازه بمظاهر العلم وأهله، والعناية بهما أشدّ العناية.

وبعد انتهاء هذه الرحلة، انصرف ابن حبيب إلى الأندلس، بعدما جمع علما غزيرا. فنزل بادئ الأمر بإلبيرة قُرب غرناطة، فانتشر الخبر بقدومه عائدا من الديار المشرقية، مُحَمّلا بالعلم الغزيز والرواية، فَسَمَتْ بذلك شخصيته، وبلغت شهرته الآفاق، وأصبح عالم الأندلس بلا منازع[33].

28- ذكر الذهبي أن: "إبراهيم بن المنذر الحِزَامي قال له: أتاني صاحبكم عبد الملك بن حبيب بغِرَارَةٍ مملوءة كتبا، فقال لي: هذا علمك تجيزه لي؟ فقلت له: نعم، ما قرأ علي منه حرفا، ولا قرأته عليه". ينظر: الذهبي، السير، ج12، ص104. في ترجمة عبد الملك بن حبيب. وعن ترجمته: الرازي، الجرح والتعديل، ج2، ص139، ترجمة: 450.

29- عمر بوخاري، محاضرات في مقياس مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، ص10.

30- **الفسطاط:** اسم لمصر التي بناها مصرام بن حام بن نوح عليه السلام. وسميت بفسطاط عمرو بن العاصي رضي الله عنه، وكان تركه هناك حين توجه للإسكندرية. ولما فتح عمرو بن العاصي رضي الله عنه مصر، اختط منازل العرب حول الفسطاط، فسمي الفسطاط لهذا. ينظر: اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب (توفي بعد 292هـ)، البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2009، ص ص168-169. الحميري، الروض المعطار، ص441.

31- عن ترجمته: الرازي، الجرح والتعديل، ج2، ص321، ترجمة: 1219. عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص17. الذهبي، السير، ج10، ص656. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص99، ترجمة: 102.

32- عن ترجمته: الذهبي، السير، ج10، ص162. الرازي، الجرح والتعديل، ج2، ص338، ترجمة: 1280. الصدفي، تاريخ ابن يونس، ج2، ص35، ترجمة: 87.

33- **عن ترجمة عبد الملك بن حبيب السلّمي،** راجع الفصل الأول من تحقيق كتاب ابن حبيب تفسير غريب الموطأ، حيث أسهب محقق الكتاب في وضع تعريف ممتاز لحياة ابن حبيب بكل تفاصيلها. ينظر: عبد الملك بن حبيب السلمي (174-238هـ)، تفسير غريب الموطّأ، ج1، حققه وقدّم له: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2001، ص ص15-61. **وانظر كذلك المظان التالية:** لسان الدين بن الخطيب السلماني (ت776هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، شرحه وضبطه وقدم له: يوسف علي طويل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ص ص420-423. ابن عذاري، البيان المغرب، ص ص110-111. ابن قنفذ القسنطيني أبو

ويعتبر عبد الملك بن حبيب الفقيه المالكي، أقدمَ مؤرخي الأندلس، إذْ كان مِن أوائل مَن ألّف في تاريخ هذا الـــمَصْر، حافظا للفقه، مؤلّفا ومدرّسا له، ومن أكبر أنصار مذهب مالك به. حيث يعدّ مِن أوائل مَن نقله إلى الأندلس، وألّف فيه كتاب **الواضحة** في السنن والفقه[34].

ولقد نال ابن حبيب من الحظوة مبلغا كبيرا، فلُقِّب تأكيدا لذلك بعالم الأندلس[35]، فهو عالم موسوعي متنوع المعارف، جامعا للعلم، كثير الكتب تأليفا؛ في النحو والعروض، حافظا للأخبار والأنساب والأشعار[36].

عُرِف عن ابن حبيب جدّيته في التأليف، حيث كان مستثمرا وقته فيه، يسهر الليل وهو عاكف على الكتب والكتابة. وقد أثمرت جهوده الحثيثة تلك، في تأليف عدة كتب، بلغت فيما

العباس (تـــ810هـــ)، الوفيات: معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين، تحقيق: عادل نويهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط4، 1983، ص171، ترجمة: 232. جلال الدين السيوطي (تـــ911هـــ) طبقات الحفاظ، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983، ص237، ترجمة: 527. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص109، ترجمة: 1565. الصدفي، تاريخ ابن يونس، ج2، ص132-133، ترجمة: 344. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص459-463، ترجمة: 814. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص447-449، ترجمة: 628. عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص ص122-142. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص ص537-538، ترجمة: 554. الذهبي، السير، ج12، ص ص102-107، ترجمة: 32. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص ص8-15. الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص162. بويكا، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص ص46-56. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص ص111-112، ترجمة: 147. الزركلي، الأعلام، ج4، ص157. كحالة، معجم المؤلفين، ج6، ص181. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص ص783-786، ترجمة: 726. سزكين، تاريخ التراث العربي، ج2، ص ص248-249. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص97-148. عبد الواحد ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1988، ص ص7-11.

FRANCISCO PONS BOIGUES, Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles, Madrid, 1898, Establecimiento tipografico de San Francisco de Sales, pp 29-38.

34- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص459-463، ترجمة: 814. يوسف أحمد ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص116.

35- ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص08.

36- عمر بوخاري، محاضرات في مقياس مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، ص10.

ذكرته المصادر التاريخية الألف كتاب[37]، أو ما يزيد عن ذلك. وهو في الحقيقة إنتاج ضخم إذا ما قورن بمستوى الثقافة الأندلسية في عهده، حيث كان مازال عَهْدَ نشأةٍ وتدوين[38].

ويظهر مما سبق، أن ابن حبيب ألّف كتبا كثيرة، إلا أن معظمها لا يزال في عداد المفقود، و لم يصل إلينا إلا نزر يسير منها[39]، ومنها كتابه المسمى بـــ: **التاريخ**[40]، الذي حققه المستشرق

37- كان ابن حبيب كثير التصنيف، حتى بلغت كتبه ألفا وخمسون كتابا. عن مؤلفاته ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص ص537-538، ترجمة: 554. الذهبي، السير، ج12، ص ص102-107. عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص ص272-274. يوسف أحمد ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص115-126.

38- ألّف ابن حبيب كتبا كثيرة في الفقه والتواريخ والأدب منها. ففي علوم القرآن ألّف: في إعراب القرآن، رغائب القرآن، في الناسخ والمنسوخ، وله كذلك ستين كتابا في تفسير القرآن. وألّف: الواضحة في الفقه المالكي، وكتاب الرهون والمغارم، وكتاب الجامع في مناسك النبيﷺ، وكتاب الرغائب، وكتاب الورع في العلم، وكتاب الورع في المال، وكتاب الرياء، وكراهية الغناء، وكتاب الحكم والعمل بالجوارح. كما كتب ابن حبيب أيضا في الفضائل، كفضائل النبيﷺ والصحابة رضي الله عنهم، وفضائل عمر بن عبد العزيز، وفضائل مالك بن أنس. وألّف في الفرائض، وفي غريب الحديث، وألّف كتاب المسجدين، وكتاب سيرة الإمام في الملحدين، وكتاب السخاء واصطناع المعروف. وبالإضافة إلى ذلك، كتب في النجوم، والحسبة، والأمراض، وكتاب مختصر في علوم الطب عُرف بطب العرب. وأما في مجال التاريخ والأخبار والتراجم، فله كتب عديدة منها: كتاب في النسب، وحروب الإسلام، وكتاب أخبار قريش وأخبارها وأنسابها، وكتاب المغازي، وكتاب الحدثان، وكتاب طبقات الفقهاء والتابعين، وكتاب مصابيح الهدى، فضلا عن تاريخه الكبير. ينظر: أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص130-134.

39- ومنها: التلخيص في على الفرائض، وهو محفوظ في مكتبة برلين تحت رقم: 4687. وكتاب عن الورع، موجود في مكتبة مدريد تحت رقم: 6/2577. وكتاب الواضحة في السنة والفقه، موجود بمكتبة القرويين بفاس تحت رقم: 209. وكتاب الغاية والنهاية في الفقه، بمكتبة الرباط تحت رقم: 1126. وكذلك كتاب المسند، ويوجد في دار الكتب بالقاهرة، تحت رقم: 21582. ينظر: يوسف أحمد ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص115-126. أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص133-134. سزكين، تاريخ التراث العربي، ج2، ص ص249-250.

40- قدّم محمود علي مكي دراسة وافية لابن حبيب وكتابه، ونشر الجزء الخاص بتاريخ الأندلس من هذا الكتاب. كما قام المستشرق الإسباني خورخي أغوادي (Jorge Aguadé)، والذي شغل منصب أستاذ بجامعة مدريد، بتحقيق كتاب ابن حبيب في 224صفحة للنص العربي، مرفقا بدراسة في 164صفحة، ونَشره في مدريد، بالمجلس الأعلى للأبحاث العلمية، بمعهد التعاون مع العالم العربي سنة 1991. ونُشر كتاب ابن حبيب كذلك بالمكتبة العصرية بلبنان في طبعته الأولى سنة 2008 باعتناء عبد الغني مستو. وعن الكتاب بالتفصيل راجع: يوسف أحمد ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص127.

Vincent Lagardère: **"Abd Al-Malik B. Habib, Kitäb al-ta'rij, La Historia"** ،édition et étude de Jorge Aguadé. Consejo Superior de Investigaciones Cientificas, Instituto de Cooperaciôn con el Mundo Arabe, Madrid, 1991، Bulletin critique des annales islamologiques, n°10, le CAIRE, 1993, pp158-159.

الإسباني خورخي أغوادي (Jorge Aguadé)، ونُشر بالمجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمدريد 1991.

هذا؛ ويعدّ عبد الملك بن حبيب أول عربي أندلسي، يؤلّف كتابا يتعرض فيه إلى تاريخ بلاده، حيث يعتبر أوّل مَن دوّن تاريخ الأندلس. ولقد نهج فيه نهج المشارقة، وابتدأ كتابه بالحديث عن تاريخ العالم مِن أوّلِ خلق الدنيا، وذِكْرِ مَا خَلَقَ الله فيها ابتداء مِنْ مقادير الخير والشرّ، وابتداء خلق السماوات والأرض، وخلق البحار، والجنة والنار، وخلق آدم عليه السلام وحوّاء، وما كان من شأنهما مع إبليس. ثم عرض بعد ذلك تاريخ الأنبياء وسِيَرِهم، وتحدّث عن الكتب المنزّلة وصولا إلى الإسلام، فأرخ للنبيﷺ وذَكَر مَغَازيه، ثم تتبع بعدها سِـــيَر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم والأُمويين، إلى أنْ وصلَ إلى ذكر خلافة الوليد بن عبد الملك[41].

وبعدها، يشرع ابن حبيب في إفراد باب لاستفتاح الأندلس، حيث عرض فيه قصة الفتح، ومَنْ دخل الأندلس مِنْ التابعين، ليستعرض بعدها مغانم الأندلس وخيراتها. فيذكر ما وجده موسى بن نصير بمدينة طليطلة يوم افتتحها مِنَ الذهب والفضة والزمرد والياقوت وغيرها[42].

وقد عرّج بعد ذلك، إلى وصف مائدة سليمان عليه السلام[43]، وذكَرَ قصة عودة موسى إلى المشرق[44]، ليعود مجددا ويتحدّث عن عصر الولاة بالأندلس، وأمرائها مِن الأمويين حتى أيامه[45]. وبعد ذِكْر هذه الأحداث، عرّج ابن حبيب للحديث عن طبقات الفقهاء والتابعين الأولى والثانية والثالثة بالمدينة، والكوفة، والبصرة، ومصر، ثم أهل الشام وفضائلهم. كما تحدّث

41- **الوليد بن عبد المَلِك (48-96هـ/668-715م):** بن مروان، أبو العباس: من خلفاء الدولة الأموية في الشام. وَلِـــي بعد وفاة أبيه سنة 86هـ فوجه القواد لفتح البلاد، وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد. ينظر: الطبري أبو جعفر(224-310هـ)، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج6، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط2، 1967، ص423. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص05. الزركلي، الأعلام، ج8، ص121.

42- عبد الملك بن حبيب، استفتاح الأندلس، تحقيق ونشر: محمود علي مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مج5، 1957، القسم الأجنبي، ص ص221-226.

43- المصدر نفسه، ص226.

44- نفسه، ص232.

45- نفسه، ص236.

بعدها عن مآل الدنيا وأشراط الساعة، لينهي آخر فصول الكتاب بحديث عن الفقه والأخلاق والآداب، وطائفة من الأشعار، ثم ختم كتابه هذا بذكرٍ لقضاة الأندلس[46].

إن القارئ لكتاب عبد الملك بن حبيب في التاريخ، يلحظ جيدا مدى اهتمامه وتحدثه عن أخبار العدوة الأندلسية، بداية مِن فتحها على يدي طارق بن زياد، ثم موسى بن نصير وابنه عبد العزيز. لـِيُورد بعدها أخبارا عن الولاة، ثم يتحدث عن الإمارة الأموية، ويقدّم نبذا عن أمرائها الذين تداولوا على حكمها منذ عهد الداخل[47] إلى عبد الله بن محمد. كما أنه وفي السياق ذاته قدّم أخبارا مهمة عن المدن الأندلسية[48]، وختم كتابه بالحديث عن الفقهاء، منذ عهد النبوة إلى عصره[49]. وقد استقى ابن حبيب معظم أخباره ومَروياته المذكورة في كتابه المذكور، عن شيوخه المصريين وغيرهم[50]، مِن أمثال الليث بن سعد المتوفي سنة 175هـ/791م[51]، وعبد الله بن وهب المتوفي 197هـ/812م[52].

وعليه، فإن مرويات ابن حبيب جاءت عن طريق المحدّثين المصريين، الذين كانوا يَرْوُونَ لتلاميذهم الأندلسيين أحاديث الفتح التي سمعوا بها وتناقلوها، عن طريق بعض الذين أسهموا في الفتح مع موسى بن نصير رحمه الله[53]. حيث كان هؤلاء الذين يَرْوُونَ عن تاريخ الأندلس، يعدّونها مجمعا للأعاجيب، ويتحدثون عنها على أنها بلد وُجد في بحر الظلمات، تسكنه الجنّ،

46- عبد الملك بن حبيب، استفتاح الأندلس، ص ص221-248. بالنثيا، تاريخ الفكري الأندلسي، ص ص194-195. أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص135.

47- **عبد الرحمن الداخل:** ولد بالشام سنة 113هـ/731م، وهو أول أمراء بني أمية بالأندلس سنة 138هـ/755م، وبقي في إمارته إلى وفاته سنة 172هـ/788. عن ترجمته: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص37-38.

48- ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص08. عمر بوخاري، محاضرات في مقياس مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، ص10.

49- عمر بوخاري، محاضرات في مقياس مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، ص10.

50- ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص09.

51- راجع ترجمته في الهامش رقم: 26 من الفصل التمهيدي.

52- عن ترجمته راجع الهامش رقم: 99 من الفصل التمهيدي.

53- أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص136-137.

وتقوم فيه القلاع المسحورة والأصنام، وتعيش فيه الشياطين في قماقم[54] حبسها فيها سليمان عليه السلام، ولهذا فإننا نجد كتابه هذا، قد امتلأ بمثل هذه المرويات[55].

غير أن هناك العديد من الباحثين وفي مقدّمتهم المستشرقين، مَن شكّك في أن يكون ابن حبيب قد ألّف كتابه المذكور، ومنهم راينهارت دوزي (Reinhardt Peter-Ann Dozy)[56] الذي يعتبر من أوائل مَن تناول تاريخ ابن حبيب بالنظر والدراسة، حيث قلّل من شأن الكتاب وقيمته التاريخية والعلمية، بل وذهب إلى أبعد من ذلك حينما صرّح بأن مؤلف الكتاب هو أحد تلاميذ ابن حبيب[57].

كذلك نجد آنـــخِل جنثالث بالنثيا(ANGEL GONZALEZ PALENCIA)[58]، الذي تابع دوزي فيما ذهب إليه، يستعبد هو كذلك أن يكون الكتاب كلّه مِن تأليف ابن حبيب، حيث رجّح أنه ألّف جزءا منه فقط، وأن أَحَدَ تلاميذه هو مَن أتم الكتاب، وأضاف إليه أشياء مِنْ عِنده. ثم إن تأريخ ابن حبيب للأمير الأموي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن سنة 275هـــ/888م[59] لا يستقيم، خاصة وأن ابن حبيب توفي قبل هذا التاريخ بنحو خمس وثلاثين عاما[60].

وقد ردّ فؤاد سزكين، بأن ما ذهب إليه هذان المستشرقان، يقوم على عدم المعرفة بطرق الرواية في المؤلفات الإسلامية المبكّرة، حيث أن للكتاب قيمة خاصة، إذْ أنه يضمّ كثيرا من المقتَبَسات عن مصادره[61]، وهو ما يحدو بأن إلى القول بأن أصل الكتاب فعلا هو لابن حبيب،

54- **القَمَاقِمْ:** مُفردها قُمقُم، وهو إناء صغير من نحاس أو فضة أو خزف صيني يُـــجعَل فيه ماء الورد، وما يُسخَّن فيه المـــاء من نحاس وغيره، ويكون ضيق الرَّأس؛ وهو كذلك وعاء خرافي كان محبسا للمردة من الشَّيَاطِين. ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص760، مادة: قمقم.

55- ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص09.

56- أحمد يوسف ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص128.

57- سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص249.

58- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص195.

59- **عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن:** ولد سنة 230هـــ، ووَلِيَ بعد وفاة أخيه المنذر سنة 275هـــ. امتلأت الاندلس في أيامه بالفتن، وصار في كل جهة متغلّب، واستمر إمارته على هذا النحو حتى وفاته مستهل ربيع الأول سنة 300هـــ. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص41.

60- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص195. أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص143.

61- سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص249.

وأن الإضافات التي تكون قد أُلحقت به، كانت مثار جدل وأسئلة كثيرة حول مؤلفه الحقيقي، فكم مِن كُتب عَرفت زيادات وإضافات، أدّى إلى نسبتها لغير أصحابها الحقيقيين[62].

وفي هذا الإطار كذلك؛ يرى محمود علي مكي[63] الذي قدّم دراسة وافية للكتاب، ونشر الجزء المتعلق منه بالأندلس، أن هذه النسخة ما هي إلا مختصر صغير لكتاب ابن حبيب الأصل، وأن الذي قام بوضع هذه النسخة هم بعض تلامذة ابن حبيب[64].

وفي ظل هذا التخبط والتعارض الكبير في وجهات النظر، فإننا نميل إلى القول بِأَنْ يكون ابن أبي الرقاع، وهو أحد تلاميذ ابن حبيب الذي كان يقيّد سماعه عنه، هو مَنْ وضع الكتاب في صورته الحالية، وأكمله وأضاف إليه بعض الزيادات مِن عنده[65].

وعلى كل حال، ومن خلال تمحيصٍ للآراء الواردة في هذا الصدد، والبحث عن القاسم المشترك بينها، فإنه يرجّح أن تكون النسخة التي وصلت إلينا، هي من إملاء عبد الملك بن حبيب، حيث دوّنها بعض تلاميذه إلى درجة أَنْ وَصَلَهَا بعضهم بما استجدّ مِن أحداث بعد وفاة ابن حبيب، وحتى أوّل عهد الأمير عبد الله بن محمد، الذي حكم بين سنتي (275-300هـ/888-912م)، وأضافوا إليها ما كان لازما في نظرهم[66].

هذا؛ ويلاحظ القارئ والمتتبع لكتابات ابن حبيب التاريخية، أنها قد أخذت منحى الجَمْع دون إعمال الدقّة والتمحيص للرواية التاريخية، والعناية بسندها ونقدها، بل إنه كان لا يتردد في نقل بعض الروايات التي تخلط بين التاريخ الصحيح، وبين الخيال والأساطير، مع نسبة الأشياء لأمور خارقة[67].

62- محمد عليلي، الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي، ص394.

63- قدّم محمود علي مكي دراسة وافية لابن حبيب وكتابه، ونشر الجزء الخاص بتاريخ الأندلس من هذا الكتاب. كما قام المستشرق الإسباني خورخي أغوادي (Jorqa A quade)، والذي شغل منصب أستاذ بجامعة مدريد، بدراسة كتاب ابن حبيب وتحقيقه، ونَشره في مدريد، بالمجلس الأعلى للأبحاث العلمية، بمعهد التعاون مع العالم العربي، سنة 1991.

64- ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص10.

65- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص195. ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص10. أحمد يوسف ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص128. أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص143.

66- أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص143.

67- عبد الواحد ذنون طه، دراسات في التاريخ الأندلسي، بنغازي-ليبيا: دار المدار الإسلامي، ط1، 2004، ص102. أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص144.

ورغم الطابع الأسطوري الذي غلّف الكثير من المعلومات في كتاب التاريخ لابن حبيب، إلا أن القيمة الحقيقية لكتابه هذا، تكمن في كونه يمثّل المحاولة الأولى لكتابة تاريخ عالمي في الغرب الإسلامي[68].

ولذلك، فإنه يعتبر أول مؤرخ عرفته أرض الأندلس، يؤلّف كتابا يتناول فيه تاريخ بلاده. حيث جاء كمساهمة حقيقة منه، في تطوير علم التاريخ، ذلك أن قِسما كبيرا منه، كان مخصصا للتاريخ. وبذلك تمكن الأندلسيون، ومن خلال هذا الكتاب، من الاطلاع وبشكل أوسع، على مدى تطور علم التاريخ وقتذاك، والذي تـــمَثَّلَ أساسا في عرض سيرة ومغازي النبيﷺ، وقصص الأنبياء عليهم السلام، وتاريخ الخلفاء، وغيرها من الأحداث التاريخية الأخرى.

وبذلك يكون ابن حبيب، قد ساهم مساهمة فعّالة في إغناء الثقافة التاريخية في الأندلس، وهي لا تزال في مرحلة مبكرة، أو ما يمكن أن نصطلح عليها بطور التكوين[69].

إن محاولة ابن حبيب المذكورة آنفا لَـــتُوضِحُ جليا، أنه كان يهدف لوضع النواة الأولى لظهور المؤلفات التاريخية ببلاد الأندلس بشكل عام، وكذا لإرساء معالم الخبر التاريخي المحلي بشكل خاص، وذلك بعد اطلاعه على كثير من المؤلفات التاريخية بالمشرق، فضلا عما كان متداولا من روايات تاريخية في بلاده[70]. وقد ساعده في ذلك كلّه، تميزّه بصفة الموسوعية[71]، وهي سمة بارزة عند مؤرخي وعلماء العصر الوسيط. فقد كان بحرا من العلم، والشعر، والأنساب، والتاريخ، والفقه، والمعاجم، والطب.

وخلاصة القول؛ فإن كتاب ابن حبيب **التأريخ**، يعتبر المحاولة الأولى في فترة مبكرة من ظهور المؤلفات التاريخية ببلاد الأندلس، فجاء تصنيفه هذا وبقية تصانيفه الأخرى، فاتحة الأعمال التاريخية الأندلسية[72].

68- ربوح، مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية، ص550.

69- المرجع نفسه، ص554.

70- نفسه، ص555.

71- محمد عليلي، الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي، ص394.

72- للاستزادة أكثر حول شخصية ابن حبيب ومؤلفه التأريخ، ينظر المراجع التالية: يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري. حيث خصص الفصل الثاني من كتابه للحديث عن حياة عبد الملك ابن حبيب وسيرته، وكذا دراسة كتابه التأريخ وأهم مؤلفاته. ص ص97-148.وأحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين

كما أن الجهد الذي بذله ابن حبيب، خلال ذلك العهد، بَصَمَ فيه على خطوة مهمة في التأليف، جعلت منه أنموذجا مهما في بابه عن الأندلس ومؤرخيها، الذين أسهموا بالنّزر الكبير في شتى ميادين العلم والمعرفة. وبذلك وطّد لما عُرف فيما بعد بمرحلة التدوين التاريخي للأندلس، حتى إنه قعّد وأصّل لها، بَلْ وأصبح مِنْ رُوداها، فنال بذلك شرف التقدير والإشادة.

2/مُعارِكْ بن مروان (عاش في ق03هـ/09م):

ومن المحاولات الأولى الرائدة الأخرى؛ في تدوين تاريخ الأندلس، والتي يرجع زمنها إلى ق3هـ/9م، ما قام به أحد أحفاد موسى بن نصير، المدعو معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان ابن موسى بن نصير، المكنّى أبو معاوية[73]، الذي ألّف كتابا سماه **أخبار الأندلس**[74]، سعى من خلاله إلى تثبيت دور ومآثر جده موسى بن نصير في فتح الأندلس[75].

وتشير النصوص التاريخية الأندلسية الواردة إلينا، بما لا يدع مجالا للشكّ، خاصة تلك التي ذكرها ابن الفرضي، والحميدي، والضبي[76]، أن الكتاب المذكور آنفا، هو مِن تأليف معارك ابن مروان. فهذا ابن الفرضي يشير صراحة إلى أنَّ مؤلف كتاب **أخبار الأندلس** هو معارك بن مروان، حيث أورد ذلك في ترجمة أَحَدِ مَنْ تَرجم لهم في تاريخه قائلا: "عبد الحميد بن حُمَيد بن صُهَيْب مولَى مُراد: ذكرهُ أبُو سَعيد. وقالَ: رَوَى عنهُ مُعَارك النُصَيري في أخْبار فالأندَلُس"[77].

التاريخي في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري. والذي خصص مبحثا في الفصل الأول، للحديث عن عبد الملك بن حبيب، وجهوده في البحث التاريخي، ص ص121-145.

73- **معارك بن مروان:** ذكره ابن يونس المصري في ترجمة جده موسى بن نصير قائلا: قرأت في كتاب ابن قديد بخطه: وفى سنة سبع وتسعين، توفى موسى بن نصير رحمه الله بوادي القرى، وكان خرج مع سليمان بن عبد الملك إلى الحج. وقد ألّف في أخباره في فتوح الأندلس، وكيف جرى الأمر في ذلك، رجلٌ مِنْ وَلَدِه يقال له: معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، أبو معاوية. ينظر: الصدفي، تاريخ ابن يونس، القسم الثاني، ص241، ترجمة: 643.

74- ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص11.

75- يوسف أحمد بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص225.

76- نقل كل من الحميدي (تـ488هـ) والضبي (تـ599هـ) روايتهما، عن الصدفي (تـ347هـ) الذي تفرّد بها عن غيره من المصادر الأخرى. ينظر: الصدفي، تاريخ ابن يونس، القسم الثاني، ص241، ترجمة: 643. الحميدي، جذوة المقتبس، ص539، ترجمة: 793. الضبي، بغية الملتمس، ص607، ترجمة: 1338.

77- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص496، ترجمة: 859.

وأما الحميدي؛ فقد ذكر أن مُعاركًا المذكور، قد ألّف كتابا في تاريخ الأندلس، تناول فيه دور موسى بن نصير في فتح بلاد الأندلس، وما جرى له فيها من أمور. وقد أشار إلى ذلك عند ترجمته لموسى بن نصير رحمه الله قائلا: " وكان خرج مع سليمان بن عبد الملك[78] إلى الحج، وقد ألف في أخباره في فتوح الأندلس، وكيف جرى الأمر في ذلك، رَجُلٌ مِنْ وَلَدِهِ، يُقال له: معارك ابن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير أبو معاوية"[79].

وأما الضبي؛ فقد سار على الطريق نفسه التي سلكها الحميدي في ذكر نسبة كتاب **أخبار الأندلس** لـــمُعارك بن مروان، حيث جاء في بُغيته عند ترجمة موسى بن نصير ما نصه: "وكان خرج مع سليمان بن عبد الملك إلى الحج، والأظهر عندي أن وفاته كانت في سنة سبع؛ لأن سليمان توفي سنة تسع وتسعين والله أعلم. وقد ألّف في أخبار موسى في فتوح الأندلس، وكيف جرى الأمر في ذلك، رَجُلٌ من ولده يقال له: مُعَارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى ابن نصير، أبو معاوية"[80].

وإلى عهد قريب، كان كتاب **أخبار الأندلس** لمعارك بن مروان في حكم المفقود، من التراث الأندلسي. وبعد بحثٍ وتقصٍّ من طرف محمود علي مكي الخبير بالتاريخ الأندلسي، بدأت خيوط قضية هذا السِّفْرِ النَّفيس، تتضح وتنجلي.

ذلك أن محمود علي مكي، ذكر بأن القسم الطويل الذي تدور رحاه، حول موسى بن نصير من كتاب **الإمامة والسياسة** المنسوب لابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم(213-276هـــ/828-899م)، مأخوذ من كتاب مُعارك بن مروان، حفيد موسى بن

78- **سُلَيمان بن عبد المَلِك (54-99هـــ/674-717م):** بن مروان، أبو أيوب: الخليفة الأموي، دامت فترة حكمه سنتان وثمانية أشهر إلا أياما. ولد في دمشق، وَوَلِـي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد 96هـــ. كان عاقلا، فصيحا، طموحا إلى الفتح، جهز جيشا كبيرا، وسيَّره في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك، لحصار القسطنطينية. وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان، وكانتا في أيدي الترك. وتوفي في دابق (من أرض قنسرين، بين حلب ومعرة النعمان). ينظر: ابن كثير إسماعيل أبو الفدا (701-774هـــ)، البداية والنهاية، ج9، حققه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد حسان عبيد، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط وبشار عواد معروف، دمشق: دار ابن كثير، ط2، 2010، ص356. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص71. الزركلي، الأعلام، ج3، ص130.

79- الحميدي، جذوة المقتبس، ص539، ترجمة: 793.

80- الضبي، بغية الملتمس، ص607، ترجمة: 1338.

نصير[81]. ومِنَ المحتمل كذلك؛ أنْ يكون ابن قتيبة قد أفاد أيضا في كتابه **الإمامة والسياسة** من موارد أخرى، و لم يكتف فقط بكتاب مُعارك بن مروان[82].

كما أنه، وبعد رحلة بحث مستمرة قام بها محمود علي مكي المذكور آنفا، ثُـــمَّ مِن خلال تواصله مع عدد من الباحثين الإسبان المتخصصين في التاريخ الأندلسي كذلك؛ لاحظ أن تركيز روايات هذا الجزء على التعريف الدقيق لبعض الأماكن والأعلام الجغرافية، والمدن والأسواق في مصر وإفريقية، هو مؤشر هام على معرفة مُعارك بن مروان واتصاله المباشر بتلك الأماكن. هذا من جهة؛ ومن جهة ثانية احتواء هذا الجزء على تفاصيل دقيقة عن حياة موسى بن نصير وحياة أسرته، ودورها وجهودها في عمليات الفتوح، وكذا العناية بسلالة مروان بالذات، وهو ما يثبت بلا شكّ مدى صلة مُعارك بالأسرة النُّصَيْرِيَة[83]، حيث أكّدت هذه الأسباب وغيرها، وبما لا يدع مجالا للشك، أن هذا الجزء هو من تأليف معارك بن مروان[84].

وجدير بالذكر أن كتاب مُعارك، تعرّض لنقد كبير من بعض المستشرقين أمثال راينهارت دوزي (Reinhardt Peter-Ann Dozy)، باسكوال دي كيانجوس (Pascual de Gayangos y Arce) ولافونتي ألكانتارا[85] (Emilio Lafuente Y Alcantara)[86]، حيث وصفوا الأحداث التي ذَكَـــرها

81- أفرد محمود علي مكي الجزء الأخير من دراسته حول مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي، لبحث الجزء الخاص المتعلق بالأندلس والشمال الإفريقي، من كتاب **الإمامة والسياسة،** المنسوب خطأ لابن قتيبة الدينوري. ينظر: محمود علي مكي: "**مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي**"، ص ص331-332.

Mahmud Alí Makki: **"EGIPTO Y LOS ORIGENES DE LA HISTORIOGRAFIA ARABIGO-ESPANOLA"** , pp 210-221.

82- ذنون طه، نشأة تدوين تاريخ الأندلس، ص11.

83- محمود علي مكي: "**مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي**"، ص332. أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص146-147.

Mahmud Alí Makki: **"EGIPTO Y LOS ORIGENES DE LA HISTORIOGRAFIA ARABIGO-ESPANOLA"** , pp 213-220.

84- محمود علي مكي: "**مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي**"، ص332.

Mahmud Alí Makki: **"EGIPTO Y LOS ORIGENES DE LA HISTORIOGRAFIA ARABIGO-ESPANOLA"** , pp 213-220.

85- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص17. محمود علي مكي: "**مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي**"، ص331.

86- **ولافونتي ألكانتارا (1825-1868):** مستشرق إسباني وأديب؛ له اهتمام بالتراث الأندلسي. ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، بيروت: دار العلم للملايين، ط3، 1993، ص ص501-502.

في كتابه بالأسطورية، ويطغى عليها الطابع القصص الشعبي، الذي يهدف إلى إبراز موسى بن نصير، وإضفاء صفة البطل الأسطوري عليه[87].

وفي خضمّ هذا الاختلاف، والشطط الكبير الحاصل بين المشتغلين بالتاريخ الأندلسي؛ عَرَبًا ومستشرقين، حول نسبة الكتاب لـــمُعارك بن مروان، بين مُثْبِت وناف لها، طفى إلى السطح خلافٌ ثانٍ، تـــمثل في أصل مُعارك بن مروان، حيث أثبت فريقٌ أندلسيتَه، ونفى فريق آخر ذلك. ومن الذين نفوا نسبته للأندلس محمود علي مكي، الذي رأى أنه يجب أن يكون مصري النشأة. بينما أثبت بونس بويجس (FRANCISCO PONS BOIGUES) أندلسيته، حين ترجم له في معجمه ضمن مؤرخي الأندلس، وهو الرأي الذي تبنّاه ذنون طه من المؤرخين العرب[88].

ومهما كان الخلاف حول مُعارك بن مروان، أَكَانَ مصْريا أم أندلسيا، فإنه مِنَّ الثابت تاريخيا أنه ألّف كتابا هامّا عن تاريخ الأندلس. وتكمن أهمية الكتاب في كون مؤلِّفه قدّم خطوة مهمة جدا، ومحاولة إيجابية ورائدة، لفتح الطريق أمام تطوّر الكتابة التاريخية الأندلسية[89]، إذْ أنّ مروياته تعدّ من الأصول المعتبرة في تاريخ المغرب والأندلس[90].

وخلاصة القول، أنّ مُعارك بن مروان، بتأليفه لكتاب **أخبار الأندلس**، أثبت دوره الكبير والفاعل في كتابة تاريخ الأندلس، رغم كل الانتقادات التي سِيقَتْ ضدّه، إِذْ يعتبر من المصادر الأساسية للمؤرخين الذين كتبوا عن فتح الأندلس، وعن دور موسى بن نصير رحمه الله في ذلك.

87- راجع الجزء الخاص بالأندلس من: ابن قتيبة الدينوري أبو مَحمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، ج2، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار الأضواء للنشر والتوزيع، ص ص85-101.

88- أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص146. ذنون طه، دراسات في التاريخ الأندلسي، ص ص101-102.

BOIGUES, Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles, p49.

89- ذنون طه، دراسات في التاريخ الأندلسي، ص101.

90- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص17.

3/-عبد الله الحُكَيّم (تُوفي منتصف رمضان 341هـ/فبراير 953م):

هو أبو محمد عبد اللَّه بن عُبَيْد اللَّه الْأَزْدِيّ، المكنّى بالْحُكَـيّم (بِضَمّ الْحَاء وَتَشْديد الْيَاء). كان ذا حظّ من علم اللُّغة، وحفظ للأخبار والأشعار، وكان يقرض الشّعر الحسن، وذا تعصب شديد للقحطانية[91]؛ تُوفّي منتصف رمضان 341هـ/فبراير 953م[92].

ألّف الحُكيّم كتابا في الأنساب وسمه بـ: **الأنساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم**. وهذا الكتاب كان هدية منه للخليفة الأموية بالأندلس، عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله[93] سنة 330هـ/941م. وقد ذكر في كتابه هذا، الخلفاء ومَنْ تنسّل منهم بالأندلس، وقريش ومواليهم، وأهل الخدمة والتصرف، ومشاهير العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق في غير قريش، ومشاهير قبائل البربر الذين دخلوا الأندلس.

ولقد كان هذا المؤرخ الأندلسي في عداد المجهول؛ إذْ سكتت المصادر عَن نقل خَبَره، حيث كان ينبغي أن يُترجم له ابن الفرضي لأنه على شرط كتابه[94]؛ لكنه لم يفعل، ولا نعرف السبب في إعراضه عَن ذكره، وعدم نَقْله عنه. ولـَـمَّا أغفله ابن بشكوال كذلك؛ فقد

91- **القحطانية:** اختُلف فيها، هل هُمْ مِنْ وَلَدِ إسماعيل أو مِنْ وَلَدِ هود، على ما هو معروف، وظاهر صنيع البخاري الأول، والأكثر على خلافه. والقحطانية هم المعروفون باليمانية، وكثيراً ما يقع بينهم وبين الـمضرية وسائر العدنانية الحروب بالأندلس كما كان يقع بالمشرق، وهم الأكثر بالأندلس، والـمُلك فيهم أرسخ، إلا ما كان مِن خلفاء بني أمية، فإن القرشية قدّمتهم على الفرقتين. ينظر: المقري، نفح الطيب، مج1، ص293.

92- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص302، ترجمة: 275. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص233، ترجمة: 650. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص395، هامش03. محمد بن شريفة: "**حول مؤرخ أندلسي مجهول**"، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، ع2، فبراير 1985، ص101. ذنون طه، نشأة التدوين التاريخي العربي في الأندلس، ص12. يوسف أحمد بني ياسين، على التاريخ في الأندلس، ص229.

93- **عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله:** تولّى سنة 300هـ، واتصلت ولايته إلى أن توفي صَدْرَ رمضان 350هـ، و لم يبلغ أحد من بني أمية بالأندلس في الولاية مدّته فيها. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص41-42.

94- ذكر ابن الفرضي شرطَه في مقدمة كتابه قائلا: "هذا كتاب جمعناه في فقهاءِ الأندلس وعلمائهم ورواتهم، وأهل العناية منهم...وغَرَضُنا فيه ذِكر أسماء الرجال وكُناهم وأنسابهم، ومن كان يغلب عليه حفظ الرأي منهم، ومن كان الحديث والرواية أملك به وأغلب عليه، ومن كانت له إلى المشرق رحلة وعمّن روى، ومن أجلّ من لقي، ومن بلغ منهم مَبْلَغ الأخْذ عنه، ومن كان يُشاوَرُ في الأحكام ويُستَفتى، ومَن وَلِي منهم خطة القضاء". ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص23.

استدركه عليهما ابن الأبّار وترجم له في التكملة، لكنها أتت ترجمة مطابقة لما ورد في طبقات الزبيدي[95].

وإلى الأخيرين، يعود الفضل الكبير في حفظ ذكر الحكيّم، وبقاء اسمه وأثره[96]، رغم أنهما ترجما له ترجمة موجزة، لا تحدّد بلدا، ولا تؤرخ ولادة، ولا تَعُدُّ شيوخا ولا تلاميذ، ولا تذكرُ تأليفا، ولا تسرِدُ نماذج مِن الشعر الحسن الذي كان يقرضه الرجل، وهي تكتفي بالإشارة إلى معارفه في اللغة والتاريخ والآداب، وتنعته بالتعصب الشديد للقحطانية[97]. كما أن بويجس (BOIGUES) الخبير بالمصادر الأندلسية، لم يُشر إليه كذلك في كتابه عن المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين[98]. وربما يعود سبب هذا التعتيم والإعراض من لدن المصادر التاريخية، بسبب تعصّبه للقحطانية، ثم إلى كتابه الذي هو في حكم المفقود، ولم يبق منه إلا شذرات قليلة[99].

ورغم ذلك؛ فإن هذه الشذرات أتت في معظمها غنية بمعلوماتها التاريخية، عن استقرار بعض الأسر العربية الشهيرة في الأندلس، والتي نقلها عنه بعض المؤرخين اللاحقين، من أمثال محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري، في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة.

هذا؛ ويذكر محمد بن شريفة الخبير بالتراث الأندلسي، أنه لولا اطّلاع المؤرخ المغربي ابن عبد الملك المراكشي على كتاب الحكيّم وذِكْرِ اسْـــمِه، ونَقْلِه مِنْهُ، ما عرفنا شيئا يُذكر عن هذا الكتاب، ولا أنّ صاحبه يعدّ من المؤرخين النسّابين في الأندلس حتّ[100].

أورد ابن عبد الملك الـــمراكشي في الذّيل والتكملة تعريفا لكتاب الحكيّم، وذلك حينَ ترجمته للفقيه القاضي النحوي ابن مَضَاء القرطبي الجيّاني[101] وذِكْر نَسبه. حيث قدّم لنا صورة

95- محمد بن شريفة، حول مؤرخ أندلسي مجهول، ص101.

96- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص302، ترجمة: 275. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص233، ترجمة: 650. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص395، هامش03. محمد بن شريفة، حول مؤرخ أندلسي مجهول، ص101.

97- محمد بن شريفة، حول مؤرخ أندلسي مجهول، ص ص101-102.

98-BOIGUES, Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles.

99- محمد بن شريفة، حول مؤرخ أندلسي مجهول، ص104. ذنون طه، دراسات في التاريخ الأندلسي، ص102.

100- محمد بن شريفة، حول مؤرخ أندلسي مجهول، ص 105.

101- **ابن مَضَاء القرطبي (513-592هـ/1120-1196م):** الفقيه الأجل، المحدّث النحوي، قاضي القضاة أبو العباس وأبو جعفر، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن مضاء، بن مهند بن عمير اللخمي. ولد بقرطبة 513هـ،

واضحة عن محتوى هذا الكتاب، الذي يعتبر أصلا من أصول تاريخ الأندلس، ومدوّنة من مدوناته الأولى؛ حيث قال: "فقد ذكَرَ **الحُكَيِّمُ عبدُ الله بن عُبَيد الله**-وتوفي منتصف رمضانِ أحد وأربعين- في كتابِه الذي ذكَرَ فيه الخُلفاءَ ومَن تناسَل منهم بالأندلس، ومِن سائر قريش ومَواليهم، وأهلِ الخدمة والتصرُّف لهم، ومشاهيرِ العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق من غير قريش ومواليهم، ومشاهير قبائل البربر الذين احتَلُّوا الأندلس، ورفعه للناصر أبي الـــمُطرِّف عبد الرّحمن بن محمد سنة ثلاثين وثلاث مئة"[102].

وتجدر الإشارة هاهنا، إلى أنّ كتاب الحكيّم في الأنساب، ظلّ في طيّ النسيان، إلى أنْ نبّه إليه وذكره ابن عبد الملك المراكشي في الذّيل والتكملة. حيث إنّ ابن عبد الملك هذا؛ كان واسع الاطلاع على ذخائر المكتبة الأندلسية ونفائسها، كثير الوقوف على نوادِرها وشواردِها، مكّنه في ذلك كلّه بحثه الطويل، وقُربه من خزانة الموحدّين الكبرى في مراكش[103]، التي انتهى إليها كثير مِن خزائن المغرب والأندلس[104].

استعان ابن عبد الملك المراكشي بكتاب الحكيّم، وانتفع به في تحقيق أنساب بعض مَن تَرجم لـــهم. حيث بلغت إشاراته إليه في الأسفار الموجودة ستّ مراتٍ، وقد يكون أشار إليه مرّات أخرى في أسفاره المفقودة.

وتوفي بإشبيلية في 22 جمادى الآخرة 592هـــ؛ له من التصانيف: الـــمُشرق في إصلاح المنطق. ينظر: المنذري زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي(581-656هـــ)، التكملة لوفيات النّقلة، ج1، حققه وعلّق عليه: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1984، ص ص254-255، ترجمة: 338. ابن الجزري الدمشقي الشافعي شمس الدين(تـــ833هـــ)، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2006، طبعة جديدة مصححة اعتمدت على الطبعة الأولى للكتاب التي عني بنشرها سنة 1932 ج. برجستراسر، ص65، ترجمة: 289. الضبي، بغية الملتمس، ص253، ترجمة: 497. أحمد بن القاضي المكناسي(960-1025هـــ)، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، ج1، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973، ص ص142-143، ترجمة: 92. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص395-404، ترجمة: 291. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص ص79-80، ترجمة: 234. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ص208-211، ترجمة: 92. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص323، ترجمة: 613.

102- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص395-396.

103- **مَرّاكُش:** بالفتح ثم التشديد، وضم الكاف، وشين معجمة؛ أعظم مدينة بالمغرب وأجلّها، شمال أغمات، وبها سرير مُلك بني عبد المؤمن، بينها وبين البحر عشرة أيام، في وسط بلاد البربر، أول من اختطها يوسف ابن تاشفين في حدود سنة 470هـــ. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص94. الحميري، الروض المعطار، ص540.

104- محمد بن شريفة، حول مؤرخ أندلسي مجهول، ص106.

فأما **الإشارة الأولى؛** أتت عند ترجمة أحمد بن عبد الله بن يحي الليثي، والد جدّه يحي بن يحي الليثي فقيه المالكية بالأندلس في وقته، وتلميذ الإمام مالك، ورَاوِي الموطأ، حيث يقول ابن عبد الملك: "وقال **الحكيم:** يَتولَّونَ بني لَيْث من كِنَانة، وقيل: نزَلوا مترلَ بني لَيْث فنُمُوا إليه"[105].

وأما الثانية؛ ففي ترجمة أحمد بن مَضاء القرطبي، صاحب الآراء المشهورة في النحو. يقول ابن عبد الملك: "ذكَرَ **الحُكَيِّمُ** عبدُ الله بن عُبَيد الله -وتوفي منتصَفَ رمضانِ أحد وأربعين- في كتابِه الذي ذكَرَ فيه الخُلفاءَ ومَن تناسَلَ منهم بالأندَلُس، ومِن سائر قريش ومواليهم، وأهل الخدمة والتصرُّف لهم، ومشاهير العرب الداخِلين إلى الأندلس من المشرق من غيرِ قريش ومَواليهم، ومشاهيرِ قبائل البربر الذين احتَلُّوا الأندلس، ورفعه للناصِرِ أبي الـــمُطرِّف عبد الرّحمن بن محمد سنة ثلاثين وثلاث مئة، فذكر أنّ بـــجَيّان[106] من لخم بيت مُهنَّد بن عُمَيْر. قال: وهم هناك جماعةٌ أهلُ فَضْل ودين، ولهم فُرسانٌ شُجْعان بَلَديُّون، منهم: عبد الرّحمن بن وافد بن عبد الرّحمن بن يحيى بن حرب بن يحيى بن مُهنَّد القَسّام بَلَديّون، ومنهم النَّجاشيُّ بن حُرَيْث بن عاصم بن مضاء بن مُهنَّد"[107].

وأما **الإشارة الثالثة؛** ففي ترجمة علي بن عبد الرّحمن بن يوسُفَ بن يوسُفَ الطليطلي؛ أبو الحسن اللُّونْقُه[108]، من أحفاد الحسين بن يحيى بن سَعيد. يقول ابن عبد الملك: "وقد ذكر

105- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص371.

106- **جيان:** مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلاً، وهي كثيرة الخصب، في سفح جبل عال جداً، وقصبتها من القصاب الموصوفة بالحصانة، ومن غرّ المدن وشريف البقاع. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص183.

107- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص395-396، ترجمة: 291.

108- **أبو الحسن اللُّونْقُه العَبّاديّ الطُّلَيْطُليّ:** علي بن عبد الرّحمن بن يوسف بن يوسف بن مروان بن يحيى بن الحسين بن أفلح بن قيس بن سعد بن الحسن بن طريف بن علي بن الحسين بن يحيى بن سعيد بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي صاحبِ رسُول اللهﷺ. كان فقيها ورعا، بصيرا بالطبّ؛ أخذه عن أبي المطرف بن وافد؛ توفي بقرطبة عام 498 أو499هـــ. ينظر: الذهبي، المستملح من كتاب التكملة، حققه وضبط نصه وعلّق عليه: بشار عواد معروف، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2008، ص ص300-301، ترجمة: 642. تاريخ الإسلام، ج10، ص 815، ترجمة: 345. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص ص210-211، ترجمة: 502. كتاب الصلة لابن بشكوال(تـــ578هـــ) ومعه كتاب صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي (تـــ708هـــ)، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، مج3 (كتاب صلة الصلة)، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2008، ص255، ترجمة: 599.

الحكّيم أن بسَرَقُسطة[109] بيت الحسين بن يحيى الثائر بها، وهو الحسين بن يحيى بن سعيد، بن سعد بن عبادة. قال: ومن أهله عُبَادةُ بن أفْلَح بن سعيد بن يحيى، بن سعيد بن سعد. قال المصنِّفُ عفا اللهُ عنه: وعُبَادةُ هذا هو أبو جَدِّ عُبَادةَ الشاعرِ، و لم يذكُر أنّ الحُسَين أبًا لِأفْلَح ولا ابنا له"[110].

والرابعة؛ في ترجمة قَطَنُ بن خُزَز بن اللَّحْلاح الجَيّاني[111]، إذْ ذَكر ابن عبد الملك نَسبه ونَسب ولَده ومكان قضائه-أي المكان الذي تولى فيه القضاء-، مستشهدا بالحكّيم فقال: "قال **الحكّيم**: إنّه ولي قضاء جيّان"[112].

وأما **الإشارة الخامسة**، ففي ترجمة أبي بكر بن سيّد الناس[113]، مؤسس الأسرة الأندلسية التي اشتهرت بتونس ثم بمصر، حيث يقول ابن عبد الملك: "وقد ذكَرَ أبو محمد بن عُبَيد الله **الحُكَيْمُ** منهم أبا الوليد بن مُنذِر المذكور، ورفَعَ نَسَبَه إلى يَعمُرَ بن مالكٍ"[114].

والإشارة السادسة والأخيرة؛ فكانت في ترجمة محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل[115]، حيث قال ابن عبد الملك: "ذَكَرَ عبدُ الله **الحُكَيِّم** في كتابه في أنساب الداخلين إلى الأندلس من

109- **سرقسطة:** في شرق الأندلس وهي المدينة البيضاء، قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر، آهلة ممتدة الأطناب، واسعة الشوارع، حسنة الديار والمساكن، متّصلة الجنّات والبساتين. واسمها مشتق من اسم قيصر، وهو الذي بناها، وذُكر أنها بنيت على مثال الصليب. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص317.

110- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص ص210-211، ترجمة: 502.

111- **قَطَنُ بن خُزَزَ بن اللَّحْلاج:** من أهل جيّان، ولّاه الحَكَم بن هشام الربضي قضاء الجماعة بقرطبة، ثم صرفه وولى مكانه عبيد الله بن موسى الغافقي. ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص81، ترجمة: 237. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص ص483-484، ترجمة: 1114. ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج3، ص353، ترجمة: 828.

112- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص ص483-484، ترجمة: 1114.

113- **أبو بكر بن سيّد الناس:** الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحي بن سيد الناس اليَعْمَري الأندلسي؛ ولد في صفر 597هـ، وتوفي بتونس في 24رجب659هـ/24 جوان 1261م. ينظر: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص ص552-560، ترجمة: 1245. الحسيني عز الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (636-695هـ)، صلة التكملة لوفيات النَّقَلَة، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2007، ص456، ترجمة: 827. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (644-714هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، 1979، ص ص291-297، ترجمة: 91.

114- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص ص552-560، ترجمة: 1245.

العرب وغيرهم، في رَسْم الـــمَعافِر بقرطبة؛ منهم بيت محمد بن بشير القاضي ولهم بقيّة، وبيتُ بني شَراحِيل وهم أصهارُ بني بشير، وكانوا أهلَ صلاح ولهم بقيّة"[116].

وعليه؛ يمكننا القول بأنّ نُقُولَ ابن عبد الملك الـــمراكشي عن الحُكيّم، ليست محصورة فيما ذكرناه فقط، إذْ من الـــممكن أنّه نقل عنه في أسفاره المفقودة، وانتفع به في التعريف بأنساب بعض مُتَرْجَـــميه.

هذا؛ وأمكننا الاستدلال من الإشارات السالفة الذكر لابن عبد الملك في "الذيل والتكملة" عن الحكيّم، على اسم وكنية وشهرة الأخير، وكذا عنوان كتابه؛ **كتاب في أنساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم**[117].

وأما عن محتوى الكتاب، فهو يـــحوي الأقسام الآتية، على حسب ما أشار إليه ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة:

1-**الخلفاء:** ولسنا ندري هل اقتصر في هذا القسم على الأُمويين بالأندلس بدءا بعبد الرحمن الداخل حتى عبد الرحمن الناصر، أم أنه ذَكَرَ أيضا الأمويين والعباسيين والعلويين بالمشرق[118].

2-**أولاد الخلفاء ونسلهم بالأندلس:** ولابد أنه ذَكَر في هذا القسم وَلَدَ عبد الرحمن بن معاوية ومَن جاء بعده، حتى عهد عبد الرحمن الناصر. ولعله ذَكَر في هذا القسم أيضا أولاد الخلفاء الأمويين بالمشرق، ومَن دخل منهم إلى الأندلس، وأنجب بها[119].

3-**سائر قريش:** ويدخل تحت هذا العنوان، بنو زهرة، وبنو مخزوم، وبنو عدي، وبنو جُمَح، وبنو تميم، والفهريون[120].

115- **محمدُ بن سَعِيد بن بَشِير بن شَرَاحِيل:** المعافري، أصله من جند باجة، من عرب مصر. ينظر: الخشني، قضاة قرطبة، ص ص47-59. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج4، السفر السادس، ص ص226-227، ترجمة: 599. النباهي، المرقبة العليا، ص47.

116- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج4، السفر السادس، ص ص226-227، ترجمة: 599.

117- المصدر نفسه، ص227. محمد بن شريفة، حول مؤرخ أندلسي مجهول، ص110.

118- المرجع نفسه، ص112.

119- نفسه، ص112.

4-**موالي الأمويين وسائر قريش:** وكانوا مِن الكثرة في الأندلس، إذ كان موالي الأمويين وسائر قريش على درجتين: شاميين وبلديين، وكان الشاميون أرفع درجة من البلديين[121].

5-**أهل الخدمة والتصرف للأمويين:** لعلّه يقصد بهم الوزراء والحجّاب، والعمال والقوّاد، والقضاة وغيرهم. حيث أنه مِن المعروف أن جُلّ هؤلاء كانوا من موالي الخلفاء الأمويين بالمشرق والأندلس، أو مِنْ موالي أولادهم وبناتهم، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: بيوتات بني حدير، وبني أبي عبده، وبني شهيد، وبني فُطيس، وبني عبد الرؤوف، وبني بسيل، وبني غانم، وبني رستم، وبني الزجالي، وبني وانسوس، وبني الخليع وغيرهم[122].

6-**مشاهر العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق مِنْ غير قريش:** ويندرج ضمن هذا القسم، سائر الداخلين إلى الأندلس مِن أبناء القبائل القيسية واليمنية، وعددهم كبير. وقد ذكر الحكّيم أوائل الداخلين منهم، وعيّن منازلهم بالأندلس، وساق أنسابهم، وسمّى مشاهيرهم، وأعيانهم[123].

7-**موالي العرب غير القرشيين:** وقد ذكرت كتب التراجم عددا منهم[124].

8-**مشاهير قبائل البربر الذين احتلوا الأندلس:** تكلّم في هذا القسم وهو الأخير، عن أَشْهَر القبائل البربرية التي دخلت الأندلس منذ الفتح حتى عهده، وتتبَّعَ المنازل التي نزلت بها في مختلف أرجاء الأندلس[125].

صمَّمَ الحُكيّم كتابه، بأن جعل كل قسم من أقسام كتابه الثمانية المذكورة سلفا؛ مشتملا على عناوين فرعية، وهي التي عبّر عنها ابن عبد الملك بالرسوم أو التراجم، على غرار التراجم المبثوثة في كتب الطبقات، أو الموادّ في المعجمات. وللتمثيل على ذلك، نجده يذكر عنوان **الـــمعافر** ويذكر تحته المنسوبين إلى هذا القبيل بالأندلس، ومنازلهم. فقد ذكر ابن عبد الملك

120- محمد بن شريفة، حول مؤرخ أندلسي مجهول، ص110. وعن هذه القبائل ينظر: ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (384-456هـــ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار المعارف، ط5، 1982، ص28 وص144 وص150 وص159 وص207 وص464.

121- محمد بن شريفة، حول مؤرخ أندلسي مجهول، ص112.

122- المرجع نفسه، ص113.

123- نفسه، ص113.

124- نفسه، ص113.

125- نفسه، ص113.

المراكشي في الذيل والتكملة، مِن رَسم المعافر بقرطبة، ما نصه: "ذَكَرَ عبدُ الله **الحُكَيِّم** في كتابه في أنساب الداخِلينَ إلى الأندلس من العرب وغيرهم في **رسم المَعافِر بقرطبة** منهم: بيت محمد بن بشير القاضي، ولهم بقيّة، وبيت بني شراحيل، وهم أصهار بني بشير، وكانوا أهل صلاح، ولهم بقيّة"[126].

كان هذا هو المحتوى الخاص بكتاب الحكّيم، استنادا إلى ما ذَكَره ابن عبد الملك المراكشي، ولا يمكن بأي حال من الأحوال، التكهّن بِمَآلِ النسخة التي اطّلع عليها ابن عبد الملك من كتاب الحكّيم، بل الأكثر مِنْ ذلك، أنّنا لم نقف على أيّ خَبَرٍ له عند مَنْ جاء بعده. ولذلك فإن ابن عبد الملك المراكشي وما نقله عن كتاب الحكّيم المفقود في كتابه الذيل والتكملة، سيظل الشاهد الوحيد إلى الآن على وجود هذا الكتاب[127].

هذا؛ ويعتبر الموضوع الأبرز لكتاب الحكّيم هو الأنساب، الذي كان التأليفُ فيه حاجةً ملحّة بالأندلس، وذلك نظرا لدخول الكثير من القبائل العربية والبربرية إلى هذا المَصْر واختلاطها، مع احتمال ضياع أنسابها، خاصة بعد التزاوج بين العرب والبربر، وبين العرب والإسبان[128].

وقد أيّد أمراء الأندلس وخلفاؤها مِثْلَ هذه المؤلفات، لِمَا تُحقّقه مِنِ استقرارٍ وتوثيقٍ للأنساب. إذْ حَثُّوا كل مَن ظهرت عليهم بوادر الكتابة؛ بأن يهتموا بالتدوين في الأنساب، حتى يتسنّى لهم السيطرة على زمام الأمور السياسية، وتوثيق الأنساب وحفظها مِنَ الضياع، ولا أدلّ على ذلك أن الحكّيم أهدى كتابه إلى الناصر لدين الله سنة 330هـ/941م[129].

نعم؛ أهدى الحكّيم كتابه للناصر لدين الله، والعصبيات والصراعات الدموية التي عرفتها جزيرة العرب والبلدان المفتوحة –ومنها الأندلس–ما تزال عقابيلها (الشدائد والمصائب والعداوة) موجودة في عهده، ولذلك فلا غرابة أنْ يؤلِّف الحكّيم ويَكتُبَ عن الأنساب، وربما كان لتعصّبه الشديد للقحطانية، أَثَرٌ في التعتيم الذي طال شَخْصَه وكتابَه[130].

126- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج4، السفر السادس، ص227.
127- محمد بن شريفة، حول مؤرخ أندلسي مجهول، ص121.
128- ذنون طه، نشأة التدوين التاريخي العربي في الأندلس، ص ص12-13.
129- المرجع نفسه، ص13.
130- محمد بن شريفة، حول مؤرخ أندلسي مجهول، ص124.

وبالرغم مِنَ الغموض الذي لَفّ شخصية الحكيّم، وتجاهله من طرف المؤرخين والإخباريين، إلا ما ورد نادرا في بعض المصنّفات، إلا أن كِتابه يُعتبر مِنَ المحاولات الأولى في كتابة تاريخ الأندلس، خاصة وأنه كان يُنشِدُ التجديد والتركيز على موضوعات خاصة بواقع الحياة في الأندلس، والابتعاد عن الروح الأسطورية التي سادت عملية التدوين التاريخي خلال ق03هـ/09م. وبذلك فهو يُعتبَر مِنْ أُولَى المحاولات الرائدة خلال ق04هـ/10م، في الكتابة في مجال الأنساب؛ إذْ هو حقل من حقول المعرفة التاريخية[131].

4/-ابن القوطية (ت367هـ/977م): هو محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم، مولى عمر بن عبد العزيز؛ الخليفة الأُموي رحمه الله[132]. يكنّى أبا بكر، ويعرف بابن القوطية[133]. ويتضح مِنِ اسْـمِه أنه كان من سلالة امرأة قوطية؛ وهي الأميرة

131- للاستزادة أكثر حول موضوع الحكيّم وكتابه الأنساب، يُرجَع إلى الدراسة القيّمة التي أعدّها محمد بن شريفة الخبير بالتراث الأندلسي، إذ لم نقف-في حدود ما اطلعنا عليه-على دراسة جادة مثلها، إلى تاريخ تحبير هاته السطور. وقد نَشرها بمجلة أكاديمية المملكة المغربية سنة 1985، وعنونها بـ: "**حول مؤرخ أندلسي مجهول**"، ص ص101-122.

132- **عمر بن عبد العزيز (61-101هـ/781-720م):** بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص، الخليفة الصالح، والملك العادل، وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. ولد ونشأ بالمدينة، وَوُلّـِي إمارتها للوليد، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام. وولي الخلافة بعَهد من سليمان سنة 99هـ، فبويع له في مسجد دمشق. ينظر: ابن عبد الحكم أبو محمد عبد الله، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، نسخها وصححها وعلق عليها: أحمد عبيد، بيروت: عالم الكتب، ط6، 1984. ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ضبطه وشرحه وعلّق عليه: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1984، ص ص: 9-11. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج5، ص: 253، ترجمة: 995. الذَهَبي، سير أعلام النبلاء، ج5، حققه: شعيب الأرنؤوط، ص114. محمود شلبي، حياة عمر بن عبد العزيز، بيروت: دار الجيل، ط3، 1989. الزركلي، الأعلام، ج5، ص50.

133- **القوط:** نسبة إلى قوط بن حام بن نوح عليه السلام، وهم أحد الجماعات الجرمانية التي جاءت من إسكندناوة، وانقسموا إلى قسمين؛ شرقيون وغربيون. استقر الشرقيون منهم سهول روسيا، والغربيون في أقاليم الدولة الرومانية والبلقان، وقد انتصر عليهم المسلمون في معركة شدونة أو وادي لكّة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص ص368-371. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص ص219-220. المقري، نفح الطيب، مج1، ص138. **وعن ترجمة ابن القوطية؛** ينظر: الثعالبي النيسابوري أبي منصور عبد الملك (تـ429هـ)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج2، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983، ص ص84-85، ترجمة: 101. ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993، ص ص2592-2594، ترجمة: 1095. القِفطي الوزير جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف(تـ642هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج3، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي-بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1986، ص178، ترجمة: 680. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد

سارة بنت ألـــمُنْد بن غيطشة[134] (أي حفيدة ملك إسبانيا غيطشة آخر ملوك القوط). وقد غَصَبَهَا عمّها أرطباس ضِياعها وضِياع أخويها بعد وفاة أبيها، فتوجهت للمشرق مستنجدة بالخليفة الأموي هشام بن عبد الملك[135]؛ فأنصفها وأعاد إليها مستَلَبَاتها، وزوّجها مِن جدّ ابن القوطية عيسى بن مزاحم؛ وهو مِن موالي عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي بالمشرق، وولدت له ولدان هما إسحاق وإبراهيم، وكان زواجه هذا من سارة سببا لانتقاله إلى الأندلس[136].

الله(تـــ764هـــ)، كتاب الوافي بالوفيات، ج4، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 2000، ص171، ترجمة: 1774. ابن حجر، لسان الميزان، ج7، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، اعتنى بإخراجه وطباعته: سلمان عبد الفتاح أبو غدة، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط1، 2002، ص ص412-413، ترجمة: 7256. اليافعي اليمني المكي أبو محمد عفيف الدين (تـــ768هـــ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج2، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997، ص ص292-293. ابن العماد الحنبلي شهاب الدين أبي الفلاح (1032-1089هـــ)، شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، مج4، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه: محمود الأرناؤوط، دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1989، ص ص362-364. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص747-750، ترجمة: 1316. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص128-129، ترجمة: 111. الضبي، بغية الملتمس، ص697، ترجمة: 1523. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص198، ترجمة: 340. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص ص296-298. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص ص368-371، ترجمة: 650. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص ص219-220، ترجمة: 153. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج08، ص ص277-278، ترجمة: 253. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص ص217-218. المقري، نفح الطيب، مج3، ص73. الزركلي، الأعلام، ج6، ص ص311-312. كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص ص84-85. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص ص252-253. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ص314-316. ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص ص16-18. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ص202-206. بويكا، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص115. يوسف أحمد بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص230-241. كما أورد الأبياري محقق كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، تعريفا مهما للكتاب ومؤلفه. ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ص7-27.

134- ورد تضارب كبير بين المصادر التاريخية هل هي سارة بنت المنذر أم بنت ألمند بن غيطشة أم بن جطسية أم بن خطسية أم بن حطية. وفي ظل هذا الاختلاف الكبير بين هاته المصادر، سنعتمد في دراستنا على أنها "سارة بنت ألمند بن غيطشة"، وهي النسبة الأكثر تداولا عند المصادر التاريخية.

135- **هِشَام بن عبد المَلِك (71-125هـــ/690-743م):** بن مروان بن الحكم، من ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد في دمشق، وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة 105هـــ، وظل في حكمه إلى سنة 125هـــ. كان حسن السياسة، يقظا في أمره، يباشر الأعمال بنفسه. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج8، ص86.

136- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص08.

كان والده عمر بن عبد العزيز مِن أشراف مدينة إشبيلية، إذ اعتمد عليه أحمد بن مسلمة الثائر بإشبيلية سنة 301هـ/913م، للوساطة بينه وبين الخليفة الناصر لدين الله للصلح، وكان عمر بن عبد العزيز من الموالين للخليفة الناصر؛ ودبّر حيلةً لإخضاع أحمد بن مسلمة دون حرب، فنجح في ذلك، وخضعت إشبيلية لطاعة الناصر، وعيّنه الخليفة إثر ذلك قاضيا على كور استجة[137].

وُلد ابن القوطية بإشبيلية وأقام بقرطبة، على ما ذكره تلميذه ابن الفرضي[138]. ويستشفّ مِن قائمة شيوخه الذين تتلمذ لهم مِن علماء إشبيلية، أنه إشبيلي المولد والنشأة، وأنه قرطبي الدار والقرار. ورغم ذلك؛ فإننا لا نعلم شيئا عن تاريخ ولادته، إذْ لَـم تسعفنا المصادر التاريخية بذلك، وهو ما يجعلنا نميل إلى القول احتمالا مِن أنه وُلد خلال العقد الأخير من ق03هـ/06م[139]. حيث تشير المصادر التاريخية أن ابن القوطية سمع مِن ثلّة من العلماء ومنهم محمد بن عبد الله بن القَوْن[140] بإشبيلية[141]، وطاهر بن عبد العزيز الرعيني[142] بقرطبة[143]، وهو الـمُعطى الذي يجعلنا نـجزم أن ابن القوطية كان في هذه المرحلة قد بلغ سنًّا تؤهّله للأخذ

137- يوسف أحمد بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص230. **واستجة:** بين القبلة والمغرب من قرطبة، بينهما مرحلة كاملة. وكان أهلها ممن خلع وخالف، فافتتحها عبد الرحمن بن محمد على يد بدر الحاجب سنة 300هـ، فهدم سورها ووضع بالأرض قواعدها وألحق أعاليها بأسافلها، وهدم قنطرة نهرها. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص53.

138- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص747، ترجمة: 1316.

139- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص09.

140- **محمد بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله الخولاني (تـ308هـ/920م):** الباجي نزيل إشبيلية، الفقيه، المفتي، المحدث، المعروف بابن القون. كان فقيها في الرأي، حافظا له، عاقدا للشروط، وكان رجلا صالحا ورعا ثقة. ينظر: عياض، ترتيب المدارك، ج5، ص234. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص: 1128، ترجمة: 1122.

141- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص368.

142- **طاهر بن عبد العزيز الرعيني (تـ305هـ/917م):** من أهل قرطبة؛ يكنى أبا الحسن. سمع من بقي بن مَخْلَد كثيرا. كان ضابطا لما كتب، وكان عِلْمُ اللغة والخَبر أغْلَب عليه، ولم يكن له بالحديث ولا بالفقه كبير علم. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص358، ترجمة: 617. الحميدي، جذوة المقتبس، ص384، ترجمة: 518. الضبي، بغية الملتمس، ص422، ترجمة: 864. ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص170. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج9، ص88، ترجمة: 227. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، 19، ترجمة: 1326.

143- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص2593. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص368. الصفدي، كتاب الوافي بالوفيات، ج4، ص171، ترجمة: 1774.

عن العلماء، وربما يكون بذلك تاريخ مولده وقتها وعلى وجه التحديد ما بين سنتي 290-295هـ/902-907م[144].

لقد طال العمر بابن القوطية، وروى عنه الشيوخ الكهول، وسمع الناس منه طبقة بعد أخرى، إلى أَنْ وافاه الأجل في شهر ربيع الأول لسبعٍ بقين منه سنة 367هـ/977م، ودفن بمقبرة قريش عند العَصر، وصلى عليه أبو جعفر بن عون الله[145]؛ إذ كان هو –رحمه الله–مَنْ أوصى بذلك[146].

وقد عاش حياة علمية حافلة، توزعت جلّ محطاتها بين إشبيلية وقرطبة، وتلقّى فيهما علوما جمّة عَن جمْع مِن الشيوخ؛ وأكثر مَنْ لقي مِنهمْ مشايخ عصره بالأندلس، فأخذ عنهم، وأَكْثَرَ النَّقْلَ مِن فوائدهم[147].

ومن جملة مَنْ سمع منهم ونقل عنهم: محمد بن عبد الله بن محمد الخولاني (ت308هـ/920م) المعروف بابن القَوْن[148]، وحسن بن عبد الله بن مَذْحِجْ الزبيدي الإشبيلي (ت318هـ/930م)[149]، وسعيد بن جابر بن موسى الكلاعي الإشبيلي (ت325هـ/936م)[150]،

144- يوسف أحمد بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص233.

145- أحمد بن عَوْن الله بن حُدَير بن يحيى بن تبع بن تبيع البزّاز: من أهل قرطبة؛ يكنى أبا جعفر. كان شيخا صالحا صدوقا، صارما في السُّنَّة؛ متشددا على أهل البِدع، وكان لهجا بهذا النَّوع؛ صبورا على الأذى فيه. تُوفِّي سنة 378هـ/988م، ودفن بمقبرة الرَّبَض؛ وصلّى عليه القَاضي مُحمد بن يبْقَى. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص114-115، ترجمة: 181. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص ص447-448، ترجمة: 316.

146- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص748، ترجمة: 1316.

147- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ص09-10.

148- ينظر ترجمته في الهامش رقم: 140 من هذا الفصل.

149- **حَسَن بن عبد الله بن مَذْحِج:** بن محمد بن عبد الله بن بشير بن أبي ضَمرة بن ربيعة بن مَذْحَج الزّبيدي، من أهل إشبيلية؛ يُكَنَّى أبا القاسِم. كان شيخا طاهرا، ولم يكن له بصر بالحديث، ولا معرفة بطُرقِه، على أنه قد كان أكثر من رواية كتب الرّجال في التّعديل والتّجريح. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص200، ترجمة: 338. عياض، ترتيب المدارك، ج5، ص235. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص326. كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص242.

150- سَعِيد بن جابِر بن موسى الكَلاعي: من أهلِ إشبيلية؛ يُكَنَّى أبا عُثمان. سمع منه خالد بن سَعْد بإشبيليّة، وكان يَنْسِبه إلى الكذب، ووصفه النَّسَائي بالصدق، وأثنى عليه ابن الفرضي ووصفه بتحري الرواية وورع السماع وصدقه، إذ سمع منه ولي العهد المستنصر بالله. ينظر: الصدفي، تاريخ ابن يونس، ج2، ص93، ترجمة: 228. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص299، ترجمة: 492. الضبي، بغية الملتمس، ص393، ترجمة: 796. ابن حجر، لسان الميزان، ج4، ص ص43-44، ترجمة: 3404.

وعلي بن عبد القادر بن أبي شيبة الكلاعي الإشبيلي (تـــ325هـــ/936م)[151]، وسيد أبيه بن العاصي المرادي الزاهد الإشبيلي (تـــ325هـــ/936م)[152]، وطاهر بن عبد العزيز بن عبد الله الرعيني القرطبي (تـــ325هـــ/936م)[153]، ومحمد بن عمر بن لبابة القرطبي (225-314هـــ/839-926هـــ)[154]، عمر بن حفص بن غالب الثقفي الصابوني القرطبي(تـــ317هـــ/929م)[155]، وأسلم بن عبد العزيز بن هاشم القرطبي (231-317هـــ/845-929م)[156]، وأحمد بن خالد بن يزيد

151- **عَلي بن عبد القادر بن أبي شَيْبَة الكَلَاعِيّ:** من أهل إشبيلية؛ يكنى أبا الحسن. كان حافظا للمسائل، بصيرا بالفتيا، مُشاوَرا في الأحكام مع نُظَرائه، وكان صاحب الصَّلاة بحاضرة إشبيلية. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص529-530، ترجمة: 918. عياض، ترتيب المدارك، ج5، ص235. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص853، ترجمة: 808.

152- **سيد أَبِيه بن الْعَاصِي:** أبو عمر المرادي الإشبيلي الزَّاهد، كان الأَغْلَب عليه علم القرآن، وتعبير الرُّؤيا. وكان أحد العباد الـــمتبتّلين، منقطع القرين في وقته. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص338، ترجمة: 577. الضبي، بغية الملتمس، ص ص406-407، ترجمة: 839. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص37، ترجمة: 3518.

153- ينظر ترجمته في الهامش رقم: 142 من هذا الفصل.

154- **محمد بن عمر بن لُبابَة:** مولى عثمان بن عُبَيْد الله بن عثمان، من أهل قرطبة؛ يكنى أبا عبد الله بن لبابة الفقيه. كان إماما في الفقه، مُقدَّما على أهل زمانه في حفظ الرأي، والبصر بالفُتيا. وكان مُشاورا في أيام الأمير عبد الله؛ ثم انفرد بالفُتيا من أول أيام النَّاصر، والقيام بالشورى. كان حافظا لأخبار الأندلس مليئا بها، وله حظ من النحو والخبر والشعر. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص680-681، ترجمة: 1187. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص127-128، ترجمة: 110. الضبي، بغية الملتمس، ص147، ترجمة: 223. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ص189-191، ترجمة: 26. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص129، ترجمة: 217. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص1155، ترجمة: 1152.

155- **عُمَر بن حَفْص بن غَالب الثَّقَفيّ الصَّابُوني:** المعروف بابن أبي تمام، من أهل قرطبة؛ يكَنَّى أبا حفص. كان شيخا فقيها، عالما بالمسائل، عاقدا للشُّرُوط، سمع منه الناس كثيرا، وكان ثقة ثبتا. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص543-544، ترجمة: 944. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص475-476، ترجمة: 686. الخشني، أخبار الفقهاء والمحدّثين، ص ص275-276، ترجمة: 363. عياض، ترتيب المدارك، ج5، ص ص170-171، ترجمة: 592. الضبي، بغية الملتمس، ص ص529-530، ترجمة: 1164. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص311، ترجمة: 261، ص320، ترجمة: 320.

156- **أَسْلَم بن عبد العزيز:** بن هاشم؛ أبو الجعد، مولى عثمان بن عفان. الأندلسي القاضي. كان قاضيا مهيبا، صليب القناة، حسن السيرة، مُشْبِهًا مَنْ مَضى مِنْ خِيار القضاة في صدر الأمة. وُلـّـي قضاء قرطبة سنة 300هـــ فكان شديداً في الحق صارما، واستعفى سنة 309هـــ فأعفي، وأعيد سنة 312هـــ حتى طَعَن في السن وكفّ بصره، فعُزل سنة 314هـــ؛ توفي بقرطبة. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص167، ترجمة: 278. الضبي، بغية الملتمس، ص ص294-295، ترجمة: 573. الحميدي، جذوة المقتبس، ص267-268، ترجمة: 323. عياض، ترتيب المدارك،

القرطبي (246-322هـ/860-933م) المعروف بابن الجبّاب[157]، ومحمد بن مسوّر بن عمر بن محمد القرطبي (ت325هـ/936م)[158]، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبي (252-330هـ/866-942م)[159]، وعبد الله بن يونس المرادي (ت330هـ/942م) يعرف بالقبري[160]،

ج5، ص ص194-200، ترجمة: 643. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص ص308-309. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص335، ترجمة: 314. الزركلي، الأعلام، ج1، ص305. مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص ص129-130، ترجمة: 219. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص ص321-322، ترجمة:231.

157- **أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد:** أبو عمر القرطبي، الفقيه المحدث، الزاهد العابد؛ يعرف بابن الجبّاب. كان بالأندلس إمام وقته، غير مدافع في الفقه والحديث والعبادة، ولم يكن بالأندلس أفقه منه، ومِنْ قَاسِم بن محمد بن قاسم. وكان من أهل الضبط والإتقان، والخير والفضل والورع والتقشف، جمع علوما جمّة. ينظر: الدارقطني البغدادي أبو الحسن علي بن عمر(ت385هـ)، المؤتَلف والمختَلف، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1986، ص487. الدمشقي الصالحي أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت744هـ)، طبقات علماء الحديث، ج2، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1996، ص ص522-523، ترجمة: 769. الهجراني الحضرمي الشافعي أبو محمد(870-947هـ)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج3، عُني به: بو جمعة مكري وخالد زواري، جدة: دار المنهاج، ط1، 2008، ص74، ترجمة: 1487. الصدفي، تاريخ ابن يونس، ج2، ص22، ترجمة: 50. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص76-77، ترجمة: 94. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص192-193، ترجمة: 205. الضبي، بغية الملتمس، ص221، ترجمة: 397. عياض، ترتيب المدارك، ج5، ص ص174-178، ترجمة: 603. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص ص815-816، ترجمة: 802. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص ص240-241، ترجمة: 90. ابن حجر، لسان الميزان، ج1، ص422. ابن ماكولا، الإكمال، ج2، ص138. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص341، ترجمة: 772. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ص159-161، ترجمة: 27. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص198-200، ترجمة: 73. الزركلي، الأعلام، ج1، ص120. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص214.

158- **محمد بن مسوّر بن عمر بن محمد أبو عبد الله:** مولى الفضل بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، القرطبي، القاضي. كان ضابطا لكتبه، ثقة في روايته، حافظا للفقه مقدما فيه، عالما بالوثائق، مشاورا في الأحكام، فاضلا متدينا خاشعا حليما عاقلا يكثر العمل والذكر، لا تلقاه إلا محركا شفتيه بالذكر والقرآن؛ وكان حسن النية والصحبة. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص695، ترجمة: 1211. الحميدي، جذوة المقتبس، ص148، ترجمة: 141. الضبي، بغية الملتمس، ص167، ترجمة: 273. المقريزي، المقفى الكبير، ج7، ص264، ترجمة: 3322. عياض، ترتيب المدارك، ج5، ص180، ترجمة: 610. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص312، ترجمة: 120. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص 1202، ترجمة: 1206.

159- **محمد بن عبد الملك بن أيمن:** بن فرج أبو عبد الله القرطبي، الفقيه، المفتي، الحافظ المحدث. كان فقيها عالما، حافظا للمسائل والأقضية، نبيلا في الرأي، مشاورا في الأحكام، صدرا فيمن يستفتى. وكان ذا جلالة، وكان ضابطا لكتبه، ثقة في روايته. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص704-705، ترجمة: 1228. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص116-117، ترجمة: 98. الضبي، بغية الملتمس، ص135، ترجمة: 198. الدمشقي الصالحي، طبقات علماء

وأحمد بن بشر بن محمد التجيبي القرطبي (تـــ327هـــ/938م)[161]، وقاسم بن أصبغ القرطبي (244-340هـــ/859-951م)[162]، وابن أبي الوليد الأعرج (232-310هـــ/847-923م)[163]، وأبو علي القالي (288-356هـــ/901-967م)[164].

المحدثين، ج3، ص ص25-26، ترجمة: 784. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص836-837، ترجمة: 817. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص29، ترجمة: 1494. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص313، ترجمة: 124. مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص ص-131-132، ترجمة: 226. الزركلي، الأعلام، ج6، ص248. كحالة، معجم المؤلفين، ج10، ص255. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص 1136، ترجمة: 1130.

160- **عبد الله بن يُونُس:** بن محمد بن عبيد الله بن عبّاد بن زياد بن يزيد بن أبي يحيى المرادي، يعرف بالقَبري. أصله من قَبْرَة، وسَكن قرطبة؛ يكنى أبا محمد. سمع من بقيّ بن مخلَد كثيرا وصحبه، وسمع منه النّاس كثيرا. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص389-390، ترجمة: 678. الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص226، ترجمة: 301. الحميدي، جذوة المقتبس، ص421، ترجمة: 572. الضبي، بغية الملتمس، ص457، ترجمة: 964. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص592، ترجمة: 497.

161- **أحمد بن بشر بن محمد بن إسماعيل أبو عمر التّجيبي:** القرطبي، اللغوي، يعرف بابن الأغْبَس. كان يحفظ أصول مذهب مالك حفظا حسنا، واعتنى بكتب محمد بن إدريس الشافعي، وكان يميل إليه. وكان متقدما في معرفة لسان العرب، والبصر بلغاتها، منفردا في ذلك، وكان مشاورا في الأحكام، ويذهب في فتياه إلى مذهب الشافعي، ويميل إلى النظر والحجة. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، 1967، ص22. الصدفي، تاريخ ابن يونس، ج2، ص21، ترجمة: 44. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص79، ترجمة: 102. الحميدي، جذوة المقتبس، ص188، ترجمة: 198. عياض، ترتيب المدارك، ج5، ص210، ترجمة: 669. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص204، ترجمة: 64. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص165، ترجمة: 401. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص157، ترجمة: 25. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص282، ترجمة: 231. ابن ماكولا، الإكمال، ج1، ص100. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص528، ترجمة: 311. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص298، ترجمة: 546. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص190، ترجمة: 62.

162- **قَاسِم بن أصْبَغ:** بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان، من أهل قرطبة؛ يكنى ويعرف بالبيّاني. كان بصيرا بالحديث والرِّجال؛ نبيلا في النحو والغريب والشِّعر، وكان يشاور في الأحكام، ممتعا بذهنه إلى ذِي الحجَّة سنة337هـــ؛ ومن هَذا التَّاريخ تَغَيَّر وحال ذهْنه إلى أَن مَات. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص611-614، ترجمة: 1068. الحميدي، جذوة المقتبس، ص526، ترجمة: 769. الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص306، ترجمة: 417. عياض، ترتيب المدارك، ج5، ص ص180-183، ترجمة: 611. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص2190-2191، ترجمة: 902. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص ص738-739، ترجمة: 320. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص ص472-474، ترجمة: 266. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص ص853-855، ترجمة: 831. اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص250. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص ص145-146. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص251، ترجمة: 1914.

ويعتبر هذا الأخير؛ مِن أهم أساتذة ابن القوطية الذين أخذ عنهم، وانتفع بعلمهم. كما أنّ أبا القالي هذا؛ كان يبالغ في تعظيم ابن القوطية ويُعلي مِن شأنه، حتى أنّ الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله قال لأبي القالي يومًا: "مَنْ أَنْبَل مَنْ رَأَيتَه ببلدنا هذا في اللغة؟ فقال: محمد بن القوطية"[165]، وهي بحق شهادة مِن أبي القالي العالم اللّغوي، في تقديم ابن القوطية في اللّغة وعلو كعبه بها.

هذا؛ ولقد انصبت اهتمامات ابن القوطية في مجالات عدّة ومنها اللغة، التي برع وأجاد فيها. فقد كان عالما بالنحو ومِن أَعْلَمِ أهلِ زمانه فيه حافظا له، متقدّما به على أهل عصره، لا يُشقّ له غباره فيه، ولا يُلْحَقُ شأوُه[166]، حيث كانت كتب اللغة أكثر ما تُقرَأ عليه وتُؤخذ

163- **عبد الله بن محمد بن أبي الوليد الأعْرَج:** يكَنّى أبا محمد؛ من أهل شذونة، وسكن قرطبة. بوَّب مُستَخْرَجة العُتبيّ على تَبْويب المدونة، وكان أهل المغرب يقصدونه فيها. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص383-384، ترجمة: 663. الضبي، بغية الملتمس، ص428، ترجمة: 877. الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص ص221-222، ترجمة: 288. الحميدي، جذوة المقتبس، ص389، ترجمة: 526؛ وقد جعل وفاته سنة 316هـ. عياض، ترتيب المدارك، ج5، ص172، ترجمة: 594. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص156، ترجمة: 466.

164- **أبو علي القالي:** إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان، كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب. ولد ونشأ في منازجرد على الفرات الشرقي بقرب بحيرة وان، ورحل إلى العراق، فتعلم في بغداد وأقام 25 سنة، ثم رحل إلى المغرب سنة 328هـ، فدخل قرطبة في أيام عبد الرحمن الناصر واستوطنها، وأحبه الحكم المستنصر؛ ويقال: إنه هو مَن كتب إليه ورغّبه في الوفود عليه. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص252-256، ترجمة: 304. الضبي، بغية الملتمس، ص ص282-285، ترجمة: 549. القفطي، إنباه الرواة، ج1، ص ص239-245، ترجمة: 130. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص ص226-228، ترجمة: 95. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص ص114-117، ترجمة: 1754. المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص107، ترجمة: 758. الهجراني، قلادة النحر، ج3، ص158، ترجمة: 1602. الزركلي، الأعلام، ج1، ص321.
BOIGUES, Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles, p71.

165- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص10. عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص555. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص369. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص2592.

166- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص748. بالنثيا، تاريخ الفكري الأندلسي، ص202. يوسف أحمد بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص231.

عنه[167]. فكان بحقّ منَ المجتهدين في الطّلب، والمشتَهرين في العلم والأدب، والمنتدَبين للعلم والتصنيف، والـــمُرتّبين له بـِحُسن الترتيب والتأليف[168].

كما كان ابن القوطية شاعرا مجوّدا، نَظَمَ الشّعر وبلغ فيه حدّ الإجادة، مع الإحسان في المطالع والمقاطع، وتـَـخَيُّـــرِ الألفاظ الرشيقة، والمعاني الشريفة[169]، فاستحق بذلك لقبَ إمامَ العربية؛ على حدّ تعبير الحميدي[170]، ورأسا في اللّغة والنحو؛ على حدّ قول الذهبي[171]، إلا أنّه ترك الشعر ورفضه فيما بعدُ، وأقبل على النّسك والانفراد، حتّى وُصِف بأنه كانت فيه غفلة وسلامة، وتقشّف في ملبسه وورعه[172].

وإلى جانب اشتغاله باللغة والنحو، برَعَ في التاريخ كذلك. فقد كان إخباريا بارعا، حافظا لأخبار الأندلس، مُلمًّا برواية سِيَـــرِ أمرائِها، وأحوال فُقهائِها وشعرائها؛ يُـــملي ذلك عن ظهرِ قلب[173].

وقد كان له كذلك اعتناء بالحديث والفقه[174]، ذا قدم ثابتة راسخة ورواية واسعه فيه، غير أنه لم يكن له في ذلك أصول يُرجع إليها، وهو ما كان سببا لأن تذكر بعض المصادر مِن أنه لم يكن ضابطا للرواية في الحديث والفقه، إذ "أنه كان يدلّس في حديثه"[175]، حتّى إنّ ما كان يُسمع منه في ذلك، كان يـُـحْمِل على المعنى دون اللفظ، وكثيرا ما كان يُقرَأُ عليه مالا رواية له فيه، على سبيل الضبط والتصحيح[176].

167- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص748.

168- الفتح بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي أبو نصر(تـــ529هـــ)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت: دار عمار-مؤسسة الرسالة، ط1، 1983، ص288.

169- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص2592.

170- الحميدي، جذوة المقتبس، ص128.

171- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص220. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص252.

172- عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص297. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص12.

173- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص748. ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي، ص16.

174- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص2592. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص368. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص220.

175- عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص297.

176- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص748. بالنثيا، تاريخ الفكري الأندلسي، ص202.

وإضافة إلى ما سبق ذكره، فإننا لا نجد وصفا أحسنَ لابن القوطية، إلا ما ذكره عياض في المدارك، وابن فرحون في الديباج حيث قالا: " كان أبو بكر عالماً مِن علماء الأندلس، فقيهاً من فقهائهم، صَدْراً في أدبائهم، حافظاً للغة والعربية، بصيراً بالغريب والنادر، والشاهد والأثر، عالماً بالخبر والأثر، جيّد الشعر، صحيح الألفاظ، واضح المعاني، إلا أنه تركَه ورفَضَه مُؤْثِراً ما هو أولى منه. فهو إمامٌ مِن أئمة الدين، تامّ العناية بالفقه والسنّة، مع مروءةٍ ظاهرةٍ، وتمامِ خِلقةٍ وسَـــمْتٍ وحُسن بيان"[177].

لقد أهّلت هذه الأوصاف التي ساقها عياض في مَداركه، وابن فرحون في ديباجه؛ ابن القوطية لِـــئَنْ يتبوأ مرتبة عالية عند حكام بني أميّة بالأندلس، ويصبح مِن أصحاب الشورى لديهم، حيث قُدّم للشورى تقديرا له، بل وأصبح له تصرف في الخطط كذلك[178].

وعلى الرغم مِنْ أَنَّ ابن القوطية، كان عالم الأندلس بلا منازع في أيامه، وبه كان افتخار الناصر أمير الأندلس، وله شَهِدَ أبو العالي القالي البغدادي، إلا أنه لم يترك إلا القليل مِن المؤلفات التي لا تتفق وهذا العلم الغزير، وذلك العمر الحافل الـــمَديد الذي عاشه[179]، حيث أحصت له كُتب التراجم جملة من المؤلفات على قلّتها؛ وكلّها في اللغة وما يتصل بها، إلا واحدا في التاريخ ومـــُختَلَف في نِسْبَته إليه-كما سيأتي-وهي كالتالي:

❖ **كتاب تصاريف الأفعال أو الأفعال**[180]: وهو أوّل مَن صنّف في هذا الفنّ، حيث فتح بكتابه هذا، مجال التأليف في تصاريف الأفعال، وجاء مَن بَعْدِه ابن القطاع علي بن جعفر (433-514هـــ/1041-1121م)[181]، فوضع كتابا على منواله، وزاد فيه وذَكَر مالـــم يذْكُرْهُ ابن

177- عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص297. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص218.

178- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص748.

179- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص15.

180- ذكره الحميدي هكذا "الأفعال". ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص128. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص2593.

181- **ابن القطّاع الصقلي اللغوي:** محمد بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن أحمد، أبو علي، ابن أبي القاسم السعدي، المعروف بابن القطّاع المالكي؛ كانت له حلقة بجامع مصر، لإقراء اللغة. كان مائلا إلى الحديث وأهله، وله أدب وشعر. ينظر: المقريزي، المقفى الكبير، ج6، 255، ترجمة: 2721. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص322-324، ترجمة: 447. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج20، ص ص175-176، ترجمة: 266.

القوطية مِنَ الرُبَاعي والخُمَاسي[182]. ويعتبر كتاب ابن القوطية هذا، مِنْ أجود ما أُلِّف في هذا الباب، وهو ما أكّده الحميدي في الجذوة قائلا: "لـــمْ يُؤَلَّفْ مثله"[183].

وتوجد مِن كتاب الأفعال نسخة مخطوطة بمكتبة مراد ملا تحت رقم: 1792[184]. وقد نشره المستشرق الإيطالي إغناطيوس جويدي(Ignazio Guidi)[185]، وطُبعت طبعته الأولى بمدينة ليدن سنة 1894[186]، ثم طُبِع في حيدر آباد بين سنتي 1940–1941. وبعدها حققه علي راتب ونشره بالقاهرة سنة 1952، ثم حققه علي فودة ونشره بالقاهرة كذلك سنة 1958[187].

❖ **المقصود والممدود**[188]: وقد جَمع فيه مالا يُـــحَدُّ ولا يوصف، فأوعى وأعجزَ مَن بَعْدَه عن الإتيان بمثله، وفاق به مَن تَقَدَّمه[189].

❖ **شرح أدب الكاتب أو شرح أدب الكتّاب**[190]: وهذا الكتاب لا تذكر المصادر عنه شيئا سوى الاسم[191].

❖ **تاريخ افتتاح الأندلس**[192]: وهو كتاب في التاريخ، يتناول الأحداث التاريخية التي مرّت بالأندلس، منذ الفتح العربي لها إلى نهاية إمارة عبد الله بن محمد[193] 300هـــ/912م[194].

182- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص15. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص253.

183- الحميدي، جذوة المقتبس، ص128.

184- سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص253.

185- **إغناطيوس جويدي:** مستشرق إيطالي، عالم بالعربية والحبشية والسريانية، ولد سنة 1844وتوفي سنة 1935. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص336.

186- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص15.

187- سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص253.

188- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص748.

189- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص15.

190- عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص297. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص2593. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص298.

191- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ص17–18.

192- المصدر نفسه، ص ص19–20.

193- راجع ترجمته في الهامش رقم: 59 من هذا الفصل.

194- بالنثيا، تاريخ الفكري الأندلسي، ص203. ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي، ص16. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص315.

وتوجد مِن كتاب **تاريخ افتتاح الأندلس**، عدة نسخ خطية: **الأولى** في باريس تحت رقم: 1867، **والثانية** في ليدن تحت رقم: 996، **والثالثة** في ميونخ تحت رقم: 987، **والرابعة** في القاهرة تحت رقم: 2837[195].

وهذا الكتاب ذَكَره بعنوان "**تاريخ الأندلس**" كلٌّ مِن ياقوت الحموي في معجم الأدباء، والبغدادي في هدية العارفين[196]. ولم يذكره بهذا العنوان ولا بعنوان آخر كل مِن ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس، ولا ابن فرحون في الديباج المذهب، ولا ابن خلكان في وفيات الأعيان، ولا القِفطي في إنباه الرواة، ولا السيوطي في بغية الوعاة[197].

وطُبع هذا الكتاب لأول مرة بمدريد سنة 1868[198]، ثم نشره العالم الإسباني باسكوال دي كيانجوس (Pascual de Gayangos y Arce) أيضا[199]، وطبع طبعة ثانية في باريس سنة 1889، وعُني بنشره المستشرق هوداس(Octave Houdas)[200]، ثم تبعه في ذلك ريبرا(Ribera Julián)[201]، الذي ترجمه إلى الإسبانية سنة 1926[202]. وقد طُبع الكتاب كذلك؛ بمطبعة التوفيق بالقاهرة في مصر بدون تاريخ، ثم نشره عبد الله أنيس الطباع في بيروت دون تاريخ[203].

195- سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص253.

196- البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص49.

197- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص19.

198- المصدر نفسه، ص26.

199- بالنثيا، تاريخ الفكري الأندلسي، ص203. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص315. **وَدون باسكوال (1809-1897)** مستشرق إسباني، كان أستاذ العربية في مدريد. ولد بإشبيلية، وسكن لندن وتوفي بها، وصنف فيها تآليف مختلفة اشتهر منها تاريخه للدول الإسلامية في إسبانية، وترجمته لكتاب المقري "نفح الطيب". ينظر: الزركلي، الأعلام، ج5، ص237.

200- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص26. **وأوكتاف هوداس (1840-1916):** مستشرق فرنسي كان أستاذا في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وعيّن مفتشا لمدارس الجزائر. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج2، ص32.

201- **خليان ريبرا (1858-1934):** مستشرق إسباني، ولد في إحدى قرى بلنسية، واشترك مع كوديرا سنة 1882 في نشر المكتبة الأندلسية العربية في عشرة مجلدات. عين أستاذاً للعربية في جامعة سرقسطة 1887، فنشر مجموعة دراسات عربية باللغة الإسبانية، وحل محل كوديرا خلال سنوات 1905-1927 في جامعة مدريد أستاذاً للعربية، ونشر كتاب القضاة بقرطبة للخشني مع ترجمته إلى الإسبانية. عاد إلى بلنسية سنة 1927 فعكف على متابعة دراساته، إلى أن توفي سنة 1935. ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص276.

202- سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص253. وقد ترجم تحت عنوان:

إنّ ما يَلْحَظه الباحث وهو بصدد التأكّد والتحقّق مِنْ نَصّ كتاب ابن القوطية، وهو في زخم الاهتمام الكبير به كذلك، وجملة التحقيقات التي عُنيت به؛ هو تلك الزيادات مِن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، التي أُقحِمَت عليه من طرف ربيرا(Julián Ribera)، ثم إغفال هوداس (Octave Houdas) للتصويبات والتعليقات، حيث نَشَرَ نَصَّ كتاب ابن القوطية مِن دونها. لتأتي طبعة القاهرة في خاتمة المطاف، وتــُخلط الأوراق كثيرا بنشرها للكتاب بزيادات ليست أصلا منه، وهو ما جعل مِن كل هذه النشرات بتحقيقاتها محدودة الفائدة-في عُرف أهل التحقيق-خاصة وأنها جاءت عارية من التعريف بالكِتاب والكاتِب في حدّ ذاته، وكذا خلوّها مِن الفهارس الجامعة التي تقتضيها عملية التحقيق.

ويعتبر التحقيق الذي قام به إبراهيم الأبياري لكتاب ابن القوطية[204]، مِن أحسنِ ما وقفنا عليه في هذا الصدد. حيث حققه ونشره مــُجرّدا مِنَ الزيادات التي أُلــحقت به مِنْ قَبْلُ، إضافة إلى إلحاق التحقيق بتعريف مهم لابن القوطية[205] وكتابِه[206]، ثم تذييله بفهارس فنية (فهرس الموضوعات، الأعلام، القبائل، الأماكن، الشعراء، القوافي، الكتب الواردة في نص المخطوط، الأيام، وفهرس المراجع) [207] تقتضيها عملية التحقيق، وجَرْيًا على نهج أهلِ هذا الفنّ.

هذا؛ وإنَّ غالبَ الظّنِ عند نَفرٍ مِنَ المحققين، أنّ كتاب ابن القوطية "**تاريخ افتتاح الأندلس**" ليس مِن تحرير وإنشاء ابن القوطية نفسه؛ خاصة منهم ربيرا(Julián Ribera)؛ الذي ترجم الكتاب إلى الإسبانية، وأكّد أنه ليس مِن تأليف ابن القوطية، وإنما هو أقرب إلى أنْ يكون سماعًا دَوَّنَهُ عَنْهُ بَعْضُ مَنْ كان يــَحْضُر دروسه مِنَ الــمُولَعين بالأخبار. وهو في اعتقاده كذلك؛ مجموعة من الأخبار القِصار التي يَبْدُو فيها مَيْلُ صاحبِها وَهَوَاهُ، حتى إنّه يُعارض بعضها

IBN AL-QŪṬIYA, «Ta'rīj iftitāḥal-Andalus», Historia de la Conquista de España por Aben Alcotia el cordobés, trad. Julián Ribera, ed. P. Gayangos, E. Saavedra y F. Codera, Madrid (1926).

203- سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص253.

204- حيث حققه تحقيقا طيبا ونشره سنة 1980 في طبعته الأولى، وأعاد نشره في طبعة ثانية سنة 1989، وهي الطبعة التي اعتمدناها في هذه الأطروحة.

205- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ص7-18.

206- المصدر نفسه، ص ص19-27.

207- نفسه، ص ص129-158.

بعضًا أحيانا. كما أنها ترِدُ في الكتاب مُنفصلةً عَن بعضها البعض، والرواية الواردة فيه لا ترِد كذلك على لِسان ابن القوطية، بل على لسان أحد سامعيه[208]؛ وهو الرأي الذي مَال إليه كارل بروكلمن (Carl Brockelmann)[209]، حيث أيّد ما ذهب إليه ربيرا (Julián Ribera)[210].

وقد ردّ سزكين على هذا التوجّه، الذي قاده كلٌّ من ربيرا(Julián Ribera) وأيَّده فيه بروكلمن (Carl Brockelmann)، واعتبره سوء فهم لعبارة "أخبرنا"، حيث قال: "أما افتراض ريبيرا، أنّ هذا الكتاب دوّنه أحد تلاميذ ابن القوطية اعتمادا على أقاصيصه؛ وهو ما اعتبره بروكلمن (Brockelmann Carl) أمْرا ممكنا، فهوّ فَرَضٌ يقوم على سوء فهمٍ لعبارة "أخبرنا"، وهذا يعني في واقع الأمر أنّ تلميذ ابن القوطية إنّـــما قرأ الكتاب لِيَـــرْوِيه"[211].

كما أن الأبياري محقق كتاب تاريخ افتتاح الأندلس، يميل كثيرا إلى أنّ الكتاب هو مِنْ جَمْعِ أحد طلبة ابن القوطية، وبذلك يكون قد سار على النهج نفسه لكُلٍّ من ربيرا (Ribera Julián) وبروكلمن (Carl Brockelmann)، حيث صرّح بذلك قائلا، بعد ذِكْره لمجموعة القرائن التي تؤيّد رأيه: "وهذه كلّها تكاد تكون تدلّنا على أن الـــمُخبِرَ عن ابن القوطية، جَمَعَ في هذا الكتاب ما أخبره به شيخه ابن القوطية عن شيوخه"[212].

وأما يوسف أحمد بني ياسين؛ وهو من الأكاديـــميين المتأخّرين، الذي ألّف كتابه الموسوم بـــ: "**علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري**"، وهو مؤلَّفٌ جادٌّ ومهم في هذا الباب؛ فقد ذَهَبَ مَذْهَبَ ربيرا(Julián Ribera) وبروكلمن (Carl Brockelmann)، بل وصرّح

208- بالنثيا، تاريخ الفكري الأندلسي، ص203. ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي، ص16.
BOIGUES, Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles, pp83-84.

209- **كارل بروكلمن (1868-1956):** مستشرق ألماني عالم بتاريخ الأدب، ولد في روستوك بألمانيا. نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت، وأخذ العربية واللغات السامية عن نولدكه وآخرين، ودرّس في عدة جامعات ألمانية منها في معهد اللغات الشرقية ببرلين الذي درّس به العربية سنة 1900. تقاعد سنة 1935، وعمل في الجامعة متعاقدا سنة 1937، ثم أمينا لمكتبة الجمعية الألمانية للمستشرقين سنة 1945. ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ص98-105. الزركلي، الأعلام، ج5، ص ص211-212.

210- كارل بروكلمن، تاريخ الأدب العربي، ج3، نقله إلى العربية: عبد المجيد النجار، مصر: مطبعة دار المعارف، ط3، ص ص90-91.

211- سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص253.

212- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص23.

أنّ كتاب **تاريخ افتتاح الأندلس** ليس مِن تأليف ابن القوطية قَطْعًا، وإنما هو تأليفٌ لأحدِ تلاميذه[213]، أو أنّه محاضرات شفوية أملاها على تلاميذه في قرطبة، حيث دوّنها ونسبها إليه تلميذه هذا؛ سَنَدُهُ في ذلك كلّه ما يلي:

❖ أنّ تلميذه ابن الفرضي (تـــ403هـــ) الذي لازمه في قرطبة، ووضع ترجمة وافية له، لم يَذكُر في كُتبه تأليفًا لأستاذه يسمى **تاريخ افتتاح الأندلس**، وإنما أكّد على أن أستاذه كان "كان حَافظاً لأخبار الأنْدَلُس، مليئاً برواية سيرَ أُمرائها، وأحوال فقهائها وشعرائها، يـُـمْلِي ذلك عن ظهر قلب"[214]، وهو ما يؤكّد أنّ مَا لِابْنِ القوطية هو عبارة عن دروس وروايات، كان يُلقِيها على تلاميذه، وليس له أي تصنيف في ذلك يُذْكَر[215].

❖ وبما أن هذا التلميذ هو الذي دوّن الكتاب سماعا مِن ابْنِ القوطية، فقد أتت جلّ أخبار الكتاب بصيغة "أخبار أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز[216]، قال:..."[217]. وكذلك في حديثه عن سارة القوطية، التي زوّجها الخليفة هشام بن عبد الـــملك، مِنْ عيسى بن مزاحم، أضاف عبارة "وهو جدّ ابن القوطية"[218]، إذْ هي عبارة تدلّ قطعا على أن الكاتب ليس ابن القوطية، ولو كان هو الكاتب لقال بدلا عن ذلك "وهو جدي"[219].

❖ ثم إنّ التلميذ الذي دوّن المحاضرات، هو نفسُه مَنْ قارن بَيْن مَا دوّنه عن أستاذه ابن القوطية، وبين ما ورد في كتاب عبد الملك بن حبيب، عندما ذَكَر خَبَرَ سارة القوطية، وذهابِـــها للمشرق، حيث قال: "وهذا الخَبَرُ في كتاب عبد الملك بن حبيب[220] في فتح الأندلس، وفي أرجوزة تـــمام ابن علقمة الوزير[221]، أو أكثره"[222].

213- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص240.

214- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص748.

215- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص240.

216- يقصد ابن القوطية.

217- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص29.

218- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص32.

219- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص240.

220- عبد الملك بن حبيب السلمي (174-238هـــ). وعن مظان ترجمته راجع الهامش 33 من هذا الفصل.

221- راجع التعريف به في هذا الفصل، ص114.

222- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص32. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص240.

❖ تأكيدُ كلّ مَن عَني بالترجمة لابن القوطية، أنه إمام في العربية، وهو مالا نلحَظه في كتاب **تاريخ افتتاح الأندلس** المنسوب إليه، إذ تبرز وتتكرر فيه ركاكة واضحة في اللغة، وغياب الترابط والتنظيم، بل وعدم القدرة على ذلك أصلا، وهو مالا يفترض أن يكون عليه ابن القوطية. وكل هذا لَيَدلّ دلالة واضحة على أن الكتاب المذكور، لـــم يكن مِن تأليفه، بل مِنْ وَضْع أحد تلاميذه، وإلا لَكَانَ حَرِيًا بابن القوطية أنْ يـَـحْرِص على سلامة الأسلوب واللغة في كتابه[223].

كانت هذه هي جملة القرائن والدلائل التي جعلت أحمد يوسف بني ياسين، يـُـجزم قطعا أن كتاب تاريخ افتتاح الأندلس ليسن من تأليف ابن القوطية، وإنما كان مِنْ وَضْع أحد تلاميذه.

وفي المقابل من ذلك، ذهب نفرٌ من المؤرخين؛ عَرَبًا ومستشرقين، مِن أمثال آنخل جنثالث بالنثيا(Ángel González Palencia)[224] وعبد الواحد ذنون طه، أنّ كتاب **تاريخ افتتاح الأندلس** هو مِن تأليف ابن القوطية، مُتَّكَؤُهُمْ في ذلك أنَّ مادةَ الكتابِ تَتَّفِقُ وَرُوحَ ابن القوطية ونَفْسِيَّته، ذلك أنه يَنتسب إلى أسرة القوط الحاكمة قبل دخول العرب للأندلس. حيث أورد أحداثا كثيرة عن القوط، لاسيما عن أرطباس بن غيطشة، وعلاقاته مع كبار الشخصيات العربية مِنْ أمثال الصميل بن حاتم الكلابي[225]، وعبد الرحمن الداخل. وكل هاته الأحداث أو الأخبار التي ذَكَـــرَهَا، تُظهر العرب في صورة الجُهَلاء والأَجْلاف، وتُصَوِّرُ أرطباس القوطي في صورة الرجل ذي المواهب العظيمة، والخـُـلق الحميد اللّطيف.

223- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص241.

224- **آنخل جنثالث بالنثيا (1889-1949):** مستشرق وناقد أدبي أسباني، اهتم بالفلسفة الإسلامية والأدب العربي في الأندلس. ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ص72-74.

225- **الصميل بن حَاتِم (تـــ142هـــ/759م):** بن شمر بن ذي الجوشن، الكلابي الضبابي، أبو جوشن. كان جده شمر من أشراف عرب الكوفة، شجاعا نجدا جوادا كريما، وهومن قام بأمر المضرية فِي الأندلس. كما كانت له في قلب الدول وتدبير الحروب، أخبار مشهورة. ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، حققه وعلّق حواشيه: حسين مؤنس، القاهرة: دار المعارف، ط2، 1985، ص67، ترجمة: 17.

وعليه؛ فإن ابن القوطية كان يُوظّف في رواياته عنصرا قوميا أندلسيا، وهي مسألة على جانب كبير من الأهمية، خاصة وأن الأندلس كانت تعيش فيها أجناس مختلفة، ذات أديان متباينة، خلال ذلك العهد[226].

وبحكم أن ابن القوطية كان مِنَ المولّدين[227]، فقد بَدَتْ نزعته الوطنية الإسبانية بادية في كتاباته، فَتَراَه يمدح الأمير القوطي أرطباس بن غيطشة، ويصفه بالسياسي والعالم، بينما يهاجم القائد العربي الصميل بن حاتم، ويصفه بالجهل والأمّية. ولذلك يُلاحَظُ أن نزعته في هذا الكتاب قد تميزت بتعصبه ضد الجنس العربي، وضدّ السيادة العربية[228].

ورغم كَوْنه كان مسلما ومتعصّبا للإسلام، ضَليعًا في علوم اللغة والفقه، إلا أنّ ذلك لَمْ يمنعه مِنْ أنْ يُظهر سخطه على العرب الذين سيطروا على مرافق البلاد، وحَرَمُوا منها طبقة المولَّدين التي ينتمي إليها[229].

إن ثبوت رواية كتاب **تاريخ افتتاح الأندلس** بالسماع عن ابن القوطية، وأنه لم يكن مِنْ إنشائه، دعا البعض أيضا إلى استبعاده مِن جملة أوائل المؤرخين الأندلسيين، الذين كتبوا عن تاريخ بلادهم، وفي ذلك مجانبة كبيرة للصواب، حيث إن السماع لا ينفي أهمية مادة الكتاب، والتي هي أصلا مِنْ فِكْرِ وتأليف ابن القوطية، الذي كان يُـمْلِيه على طلبته عن ظهر قلب[230].

ولذلك؛ يمكن اعتماد هذا الكتاب، على أنّه من المحاولات الرائدة الأولى في التدوين التاريخي بالأندلس، لِمَا تَميَّزَ به مِن خصائصَ تتعلّق بطبيعة المجتمع الأندلسي وتكوينه، وانتساب المؤلِّف إلى هذا المجتمع، ومحاولة رسم صورة واقعية للأحداث التي مرّت على بلده، منذ الفتح الإسلامي للأندلس إلى نهاية ق03هـ/09م[231].

وخلاصة القول؛ فإن كتاب **تاريخ افتتاح الأندلس**، تناول ما يزيد على القرنين من التاريخ الأندلسي، مبتدئا بمقدّمة تاريخية حول أسرة غيطشة، ودخول العرب إلى الأندلس

226- بالنثيا، تاريخ الفكري الأندلسي، ص ص203-205. ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي، ص17.

227- **المولّدون:** هم الإسبان الذين اعتنقوا الإسلام، ويسمون كذلك بالبلديين. ينظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط4، 1997، ص67.

228- العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص314.

229- المرجع نفسه، ص314.

230- ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي، ص17.

231- المرجع نفسه، ص18.

حتى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، متتبّعا في تناوله للموضوعات عهود الأمراء والحكام دون مراعاة التسلسل الزمني. وقد تنوعت معلومات الكتاب –على قلّتها–حيث قدّم أخبارا مفيدة عن طبقات المجتمع الأندلسي سواء العرب أم الإسبان أم غيرهم. كما أنه حوى أخبارا سياسية وعسكرية واقتصادية، وثقافية وإدارية واجتماعية، لكنها أتت بصورة موجزة[232].

ثم إن كتاب ابن القوطية ورغم تداخل معلوماته التاريخية، وعدم ترتيبها، إلا أننا نجده يصور لنا بعض الجوانب المتعلقة بالحياة الفكرية في الأندلس، خاصة عند حديثه عن تحديد مسألة دخول المالكية إلى الأندلس، وكذا نفوذ المالكية السياسي بالأندلس.

وفي خضم ذلك كلّه؛ نجده يقدم لنا بعض الإلـــماحات المتمثلة في تلك الإشارات اليسيرة، التي توضح بشكل أو بآخر بعض زوايا الجوانب الحضارية، خاصة منها تلك المتعلقة بذكر مهام الوزراء الوظيفية، وكذا المداولات الشورية وكيفيتها داخل مجلس الوزراء الأندلسي، ثم كيفية تطور الوزارة بالأندلس.

كما أنه يـُـمدنّا كذلك؛ بمعلومات عن منصب القيادة العامة للجيش الأموي، وتحديد الموارد المالية للدولة الأموية في الأندلس وخاصة منها الجباية. وفي السياق ذاته كذلك؛ قدّم لنا صورة مهمة عن الجانب العمراني في الأندلس كبناء المساجد[233].

وعليه؛ فإن ابن القوطية في كتابه **تاريخ افتتاح الأندلس**، وعلى الرغم من إيجازه في الكثير مِن مروياته، إلا أننا نلمس في ثناياه الكثير من المسائل الحضارية في جوانب مختلفة.

المبحث الثاني: أصناف الكتابة التاريخية في الأندلس

نال علم التاريخ عناية كبيرة مِن الأندلسيين، وأصبحت الكتابة التاريخية عندهم ثمرة ناضجة، وموضوعا للدّرس والإقبال من طلاب العلم، وفي جوانبه المختلفة.

وتـــميزت الكتابة التاريخية بالأندلس منذ بداياتها الأولى، بتأثرها بالطابع المشرقي منهجا، وذلك باعتبار أن الأندلسيين تتلمذوا لمؤرخي المشرق، ونقلوا كتبهم إلى بلادهم بعد عودتهم إليها. ثم إن إقامتهم بالمشرق، كانت تستغرق سنوات طوال، وكان هذا الأمر كفيلا بشدّة تأثرهم بمنهج المشارقة في الكتابة التاريخية.

232– يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص241.

233– أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص583–597.

وفي بداية الأمر؛ لم يبتدع الأندلسيون طرقا جديدة للتأريخ لبلادهم، وإنما اكتفوا بتقليد المشارقة في ذلك، والسير على منهجهم، فنقلوها عنهم، ورسموا على منوالهم. فاطّلعوا على ما وصل منها للأندلس، أو تلك التي نهلوا منها هناك وَهُمْ قَيْدَ الرحلة إلى المشرق. فقلّدوهم في الحوليات المشرقية بقصد التأريخ لبلادهم، وكذلك كتب التراجم، التي اتبعوا فيها نهج الطبقات، أو الترتيب على حروف المعجم. إلا أن اللافت للانتباه هاهنا، هو أن الأندلسيين فاقوا نظراءهم المشارقة، في اهتمامهم بالتواريخ المحلية، وتدوين تواريخ مدنهم[234] بنظم القصائد الشعرية، وهو ما عُدَّ إِذَّاكَ اتجاها جديدا في تأريخ التاريخ. وفي السياق ذاته كذلك؛ عرَف عِلْم تأريخ الرجال عهدا جديدا، إذ ازدهر كثيرا بالأندلس، ازدهارا منقطع النظير[235].

ولقد حصّلت قرطبة الحصة الأكبر في ذلك، إذ ضمّت بين ظهرانييها السواد الأكبر من مؤرخي الأندلس مِن حيث الإقامة والعمل، حتى إنَّ مَنْ نبغَ مِن المؤرخين خارجها، قَدِم إليها لكونها كانت مركزَ الازدهارِ الثقافي. ورغم هذا الحضور القوي لقرطبة، التي كانت قِبلة علمية بامتياز، إلا أنّ بقية المدن الأندلسية كان حضورها مميزا كذلك، على غرار إشبيلية وطليطلة وإلبيرة، حيث وفد إليها مؤرخون ألّفوا في أخبار الأندلس وتاريخها[236].

ولقد كانت السمة الأبرز التي اتصف بها مؤرخو الأندلس خلال هذا العهد، أنّ معظمهم كانوا من الفقهاء والمحدّثين، وهي سمة طبعت العالم الإسلامي وقتها ككل، ولم تكن الأندلس لتشذّ عن ذلك؛ إِذْ جرَت على هذا السَنَنْ، وهو الأمر الذي يجعلنا نؤكّد على وحدة الظاهرة الثقافية بالعالم الإسلامي وقتذاك ككل[237].

هذا؛ وكان جِلَّة المؤرخين من الفقهاءَ، وذلك لأن طبيعة المادة التاريخية بادئ الأمر، كانت لا تخرج عن حدود تناول سيرة المصطفىﷺ ومغازيه، ومناقب صحابته الكرام رضي الله عنهم، والتي ارتبطت كلها برواية الحديث، وكان هذا مبدأ معروفا خلال البدايات الأولى للتدوين التاريخي عند المسلمين[238].

234- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص223.

235- المرجع نفسه، ص223.

236- نفسه، ص223.

237- عبد القادر ربوح: "**الكتابة التاريخية في الأندلس ما بين القرن 4-5هـ /10-11م: مجالاتها، أصنافها، نماذجها**"، الباحث، مجلة تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، مج11، عدد رقم:02، ديسمبر، 2019، ص27.

238- ربوح، مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية، ص557.

وإضافة إلى ذلك؛ فإن نشأة العلوم وانتعاشها بالأندلس، خاصة منها علم الحديث، وعلم اللغة والأدب والشعر، والتي كان لها دور كبير في نشأة التدوين التاريخي، إذْ تكوّنت مِن خلالها المادة التاريخية الأولية، التي خدمت المؤرخين أو مَن عُرِف عنهم مَيْلُهم لِـجَـمْعِ الروايات والأخبار التاريخية؛ كان مُؤْذِنًا بأن يُصبِحَ مِنْ هؤلاء اللغويين والشعراء ورجال الحديث، مَنْ كانوا مِن المؤرخين في الوقت ذاته، وهو دلالة قوية على شغف الأندلسيين، واهتمامهم بمختلف العلوم، وإيلائهم عناية كبيرة لها، ومنها علم التاريخ[239]، الذي تنوعت موضوعاته، وتعدّدت أشكال واتجاهات كتابته، تماشيا وطبيعة المادة الإخبارية، وثقافة المؤرخ[240].

ولقد كان مِن بين أشكال واتجاهات الكتابة التاريخية، التي برزت في الأندلس، ومنها كتابة التاريخ العام للأندلس، كتابة تاريخ مدن الأندلس، كتابة تاريخ الأندلس شِعرا، كتابة الأنساب، وكذا كتابة التراجم؛ وفيما يلي تفصيل ذلك.

1/-كتابة التاريخ العام للأندلس:

يعتبر التأليف في التاريخ العام، أَحَدَ أشكال الكتابة التي ظهرت في الأندلس. ويُعنى هذا الاتجاه بكتابة تاريخ الأندلس وتدوينه في شتى النواحي؛ سياسية، اقتصادية، اجتماعية وعمرانية، وغيرها. حيث تم اعتماد أسلوب الكتابة على السنين، منهجا للتدوين التاريخي بالأندلس لدى البعض. بينما اتخذ البعض الآخر، مِن عهود الأمراء والخلفاء، ركيزة أساسية لكتابة تاريخ الأندلس[241].

وفي هذا الصدد؛ ازدهرت الكتابة في التاريخ العام، وبشكل خاص في تاريخ الخلافة، خاصة في ظلّ بُروز الاهتمام المتزايد بالتسلسل الزمني للأحداث. ويعود سبب ذلك كلّه، إلى تراكم المادة التاريخية بالأندلس أولا، ثم ابتداء المؤرخين الأندلسيين خلال هذا العهد، بالتدوين التاريخي ضِمن هذا الإطار[242].

وقد اصطُلِح على تسمية هذا النوع مِن التصانيف أو المدونات، بِكُتُبِ التاريخ العام أو الحوليات، والتي أتت ضخمة الأحجام، لكونها حَوتْ مادة خَبرية تؤرخ للأحداث منذ بدء

239- ربوح، مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية، ص559.
240- المرجع نفسه، ص34.
241- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص223.
242- ربوح، مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية، ص34.

الخليقة، وحتّى السَّنَة التي يتوقف فيها المؤلف عن الكتابة، والتي تكون في الغالب قبل وفاته بـــمُدّة يسيرة. وقد رُتّبت أحداثها التاريخية، خاصة ما كان منها قبل البعثة النبوية ترتيبا موضوعيا، أو حسب تعاقب الأحداث[243]. وأما الفترة الإسلامية؛ فقد اعتُمد في تدوينها على أساس تعاقب السنين، أو ما يعرف بنظام الحوليات، أو النظام الحولي[244] في الكتابة التاريخية[245].

نماذج من كتب التاريخ العام بالأندلس:

ومن بين كتب التاريخ العام التي اهتمت، وعنيت بالتاريخ الأندلسي، نسوق ما يلي:

1-كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب: المتوفى سنة 238هـــ/852م، الذي يعتبر فاتحة الأعمال التاريخية الأندلسية؛ كما مرّ بنا[246]. وكتابه هذا؛ أَشْبَهُ ما يكون بتاريخ الرسل والملوك للطبري، والذي يُعَدُّ مِنْ كُتب التاريخ العام، أو مِنَ الحوليات التاريخية[247].

2-كتاب أخبار الأندلس لـــمُعارك بن مروان: الذي عاش خلال القرن 03هـــ/09م. ويحتوي كتابه هذا كما تقدّم معنا[248]، على تفاصيل مهمّة عن فتح الأندلس، وعن دور موسى بن نصير رحمه الله في ذلك.

3-أسرة آل الرازي: تعتبر أسرة الرازي من أشهر الأسر العلمية التي عاشت بالأندلس، ودوّنت تاريخها. وأصلها الأول مِن كِنانة[249]، والثاني مِنْ بلدة الرَّيّ[250]، فهي بذلك ذات

243- بورملة خديجة، مصادر تاريخ الغرب الإسلامي، سند بيداغوجي خاص بمقياس مصادر تاريخ الغرب الإسلامي موجه لطلبة السنة الأولى ماستر، فرع تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2020-2021، ص15.

244- **النظام الحولي:** الغرض منه تنظيم المادة التاريخية، وكان أول مَنْ وظّفه أواخر ق02هـــ/08م الهيثم بن عدي (تـــ207هـــ) في كتابه "التاريخ على السنين" وهو كتاب مفقود، وقد أتت بعده عدة مؤلفات في هذا الإطار. ويعدّ كتاب **تاريخ الرسل والملوك** للطبري (تـــ310هـــ)، أول كتاب وصلنا في التاريخ العام، غير أن هناك كثيرا ممن سبقوه في هذا المضمار. وقد تطور هذا النظام تطورا كبيرا، فيما بعد على يدي ابن الجوزي (تـــ597هـــ) صاحب المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، وابن الأثير (تـــ630هـــ) صاحب الكامل في التاريخ. لتفاصيل كافية عن الموضوع؛ ينظر: عبد الرحمن حسين العزاوي، التاريخ والمؤرخون في العراق (334-447هـــ/945-1055م)، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1993، ص ص131-140.

245- بورملة خديجة، مصادر تاريخ الغرب الإسلامي، ص15.

246- لتفاصيل أكثر حول عبد الملك بن حبيب وكتابه التاريخ؛ ينظر: ص ص44-54 من هذا الفصل.

247- ربوح، مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية، ص34.

248- لتفاصيل أكثر حول معارك بن مروان؛ ينظر: ص ص 54-56 من هذا الفصل.

أصول مشرقية، إلا أنَّ نَشْأتَها كانت أندلسية. عُرف آل الرازي باهتمامهم بالتاريخ الأندلسي خلال ق04هـ/10م، حيث اشتهر منهم ثلاثة؛ هم: محمد بن موسى الرازي، وابنه أحمد، وحفيده عيسى.

❖ **محمد الرازي(ت277هـ/890م):**

هو محمد بن موسى بن بشير بن حماد بن لَقِيط الكناني الرازي. ينتهي نسبه إلى قبيلة كنانة العربية، وأصله من الرّي[251]، وتقع حاليا في إيران[252]. وقد غَلَبَت عليه وأبناؤه مِن بعده كنية الرازي، وهي نسبة للرّي. حيث أُلـــحِقَت الزاي بها في النسبة تخفيفا، لأن النسبة على الياء مما يُشْكِل ويُثْقِلُ على اللسان، والألف لفتحة الراء[253].

ومحمد الرازي هذا؛ رجلٌ مشرقي عربي وفد إلى الأندلس سنة 250هـ/864م تاجرا ومتجوّلا[254]، حاملا معه بضائع متنوعة نالت إعجاب الأمير محمد بن عبد الرحمن[255] الذي قرّبه وأدناه منه. وقد تـــمتّنت هاته العلاقة فيما بعد، خاصة بعد أن تكفّل بحمل رسالة منه-

249- **كِنانة:** هم كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وديارهم بجهات مكّة، وفيهم بطون كثيرة وأشرفها قريش، وهم بنو النضر بن كنانة، ثم بنو عبد مناة بن كنانة، وبنو مالك بن كنانة. ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص11. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج2، ص383.

250- **الرّيّ:** مدينة مشهورة، سمّيت بهذا الاسم لأن المهدي نزلها في خلافة المنصور، لما توجّه إلى خراسان لمحاربة عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي وبناها، وبها وُلد الرشيد لأن المهدي أقام بها عدة سنين. بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا، وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخا، ومن قزوين إلى أبهر اثنا عشر فرسخا، ومن أبهر إلى زنجان خمسة عشر فرسخا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص116. اليعقوبي، البلدان، ص ص88-89.

251- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص155، ترجمة: 400. الحميدي، جذوة المقتبس، ص168، في ترجمة ابنه أحمد رقم: 175.

BOIGUES, Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles, p45.

252- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص151.

253- السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد (تـــ562هـــ)، الأنساب، ج6، الهند: دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1977، ص33.

254- ابن حيان القرطبي حيّان بن خلف (377-469هـــ)، المقتبس مِن أنباء أهل الأندلس، حققه وقدّم له وعلّق عليه: محمود علي مكي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1973، ص267. جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ص196.

255- **محمد بن عبد الرحمن بن الحَكم:** حكم 238-273هـــ/852-886م. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص40.

الأمير محمد بن عبد الرحمن-إلى أمير إفريقية إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب[256]، في إطار سفارة إلى دولة الأغالبة[257]، لإحكام الصلة بينهما[258].

ولقد ساهمت هذه السفارة بشكل كبير، في تبوّئ محمد بن موسى الرازي لمكانة خاصة بالأندلس، إذْ لقي اهتماما كبيرا في البلاط الأموي، وكذا رجال العلم والسياسة، الأمر الذي شجّعه كثيرا على الاستقرار بالأندلس، وهو ما تحقق فعلا. وفي المقابل؛ ورغم إقباله على هذا القرار، فإنه لم يهمل نشاطه التجاري المتمثل في تجارة العقاقير والمجوهرات الثمينة والحرير، التي جلبها معه من المشرق[259].

وقد أورد ابن حيان أن محمد الرازي زار الأندلس ثلاث مرات؛ الأولى سنة 250هـ/864م، والثانية سنة 271هـ/884م، والثالثة سنة 273هـ/886م[260] أيام الأمير المنذر[261]، الذي كان معه على علاقة طيبة حسنة، فأغدق -الأمير-عليه من الهدايا والأموال، واتّخذه جليسا له ومشاورا، حتى وفاته -الأمير المنذر-275هـ/888م. حينها قرر محمد الرازي الخروج من قرطبة قاصدا العودة إلى بلد أصهاره سجلماسة[262]، إلاّ أنه اعتلّ في طريق عودته

256- **إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب:** من أمراء الأغالبة بإفريقية، كانت إقامته في القيروان، واليا عليها لأخيه أبي الغرانيق (محمد)، وولي إفريقية بعد وفاة أخيه سنة 261هـ. كان عاقلا محسنا حازما، حدثت في أيامه عدة ثورات فقمعها، وأمن الناس في عهده. وانتقل إلى تونس سنة 281هـ، فسكنها واتخذ بها القصور. وغزا الإفرنج فافتتح كثيرا من حصونهم وقلاعهم؛ مات بصقلية غازيا سنة 289هـ وحُمل إلى القيروان؛ من آثاره مدينة رقادة. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص116. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج4، ص259. الزركلي، الأعلام، ج1، ص28.

257- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص265. طيطح نصيرة، سفارات بلاد الدولة الأموية بالأندلس، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، بإشراف فاطمة بلهواري، جامعة وهران1، 2018-2019، ص289.

258- ذنون طه، نشأة التدوين التاريخي العربي في الأندلس، ص19.

259- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص ص268-269. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص155.

260- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص ص267-269.

261- **المنذر بن محمد بن عبد الرحمن:** بن الحَكَم بن هشام بن عبد الرحمن، ويكنى أبا الحكم. مولده في 229هـ، وقد حكم بين سنتي 273-275هـ، وبوفاته سنة 275هـ انقطع نسله. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص40-41.

262- **سِجِلْماسَةُ:** مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيّام تلقاء الجنوب، وهي في منقطع جبل درن. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص192.

بحاضرة إلبيرة، وتوفي بها سنة 277هـ/890م[263]. وعُرف عن محمد الرازي أنّه كان من "أهل اللّسانة والخطابة"[264]، ومُتفنّنًا في علوم شتّى، وهو ما جعله مقرّبا من الأمراء، حيث أُعجِبوا بثقافته وأحاديثه الشائقة عن المشرق[265].

ألّف محمد الرازي كتابا سماه **كتاب الرّايات**، وهو سِفْرٌ مفقود، لم تصلنا منه إلا قِطَعا مبثوثة بين ثنايا المصادر[266]. وفي هذا السياق، يسوق لنا الوزير المغربي محمد بن عبد الوهاب الغساني[267] خلال رحلته إلى إسبانيا 1103هـ/1691م نَصًّا من كتاب محمد بن مُزين الأندلسي[268]، ذكر فيه معلومات غاية في الأهمية عن كتاب الرايات لمحمد الرازي، حيث جاء فيه ما نصه: "قال محمد بن مُزين: وجدت في خزانة بإشبيلية سنة إحدى وسبعين وأربع مائة [471هـ/1078م] أيام الراضي بن المعتمد سِفرًا صغيرًا، من تأليف محمد بن موسى الرازي سماه **بكتاب الرايات**. ذَكَر فيه دخول الأمير موسى بن نصير، وكَمْ رَايَةٍ دخلت الأندلس معه من قريش والعرب، فعدّها نيفًا وعشرين راية؛ منها رايتان لموسى بن نصير، عَقد له إحداهما الأمير

263- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص ص267-269. وقد جعل ابن الأبار وفاته سنة 273هـ. ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص155.

264- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص95، في ترجمة ابنه أحمد رقم: 135.

265- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص ص267-269.

266- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص196.

267- **محمد بن عبد الوهاب الغساني (ت1119هـ/1707م):** وزير مغربي، من كبار مثقفي عصره، كان يتمتع بمكانة رفيعة المستوى في عصره، ونال ثقة السلطان المغربي إسماعيل. ينظر: محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690-1691، حرّرها وقدّم لها: نوري الجراح، الإمارات العربية المتحدة: دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص ص13-14. القادري محمد بن الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، القسم الثالث، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، ج5، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، ص1915. الكتاني الشريف أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس (1274-1345هـ)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أُقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج3، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، الدار البيضاء: دار الثقافة، 2004، ص ص364-365. أغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان بن هشام، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط2، ص809.

268- **محمد بن مُزَين الأندلسي (كان حيا 471هـ/1078م):** أبو بكر محمد بن عيسى بن مزين. ينظر: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص212. البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس، ص ص396-397.

BOIGUES, Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles, p45.

عبد الملك بن مراون[269] على إفريقية وما وراءها. والأخرى عقدها له أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك على إفريقية أيضًا، وما يفتحه وراءها إلى المغرب. وراية ثالثة لابنه عبد العزيز الداخل معه، وسائر الرايات لـِمَنْ دخل معه مِن قريش، ومِن قواد العرب ووجوه العمال، وذَكَر فيه سائر البيوتات ممن دخل دون راية"[270].

ويُستفاد مِن نص الوزير الغساني المذكور، الذي نقله عن ابن مُزَين الأندلسي، أنّ **كتاب الرايات** لمحمد الرازي، يحوي معلومات غاية في الأهمية عن فتح الأندلس مِن قِبل القائد موسى ابن نصير، وكيفية دخوله إليها، وخططه في فتحها مع القبائل العربية التي رافقته. كما نجد فيه تفصيلا مهما عن هذه القبائل وتجمّعاتها، ورايتها التي تحارب تحت ظلّها؛ إذْ إِلَيْهَا يعود اسم الكتاب، أو منها جاءت تسمية الكتاب. وبالإضافة إلى ما سبق؛ فإن الكتاب ضمّ بين دفّتيه معلومات مهمة عن إجراءات موسى في تقسيمه لأراضي الأندلس، وتعيين الأخماس، وكيفية معاملة السكان المحلّيين، الذين فضّلوا دفع الجزية والبقاء على ديانتهم[271].

وأما عن نِسبة **كتاب الرايات** لمحمد بن موسى الرازي، ويقينية الجزم بها، فإنها خلّفت ردود فعل كبيرة من طرف المؤرخين؛ مستشرقين وعربا، بين مُثْبِتٍ ونافٍ لها. فهذا ليفي بروفنصال (Évariste Lévi-Provençal)[272] ينكر إنكارا كبيرا أَنْ يكون **كتاب الرايات** مِنْ تأليف محمد بن موسى الرازي، بل وينفي أن يكون له أيّ دور في كتابة التاريخ أصلا. سَنَدُه في ذلك؛ أنّ حفيده عيسى الرازي، لم يتطرق أو يذكر في كتاباته، كتاب جدّه موسى المسمى **بكتاب الرايات**[273].

269- **عبد الملك بن مروان (26-86هـ/646-705م):** بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد. نشأ في المدينة فقيها واسع العلم، متعبدا، ناسكا. استعمله معاوية رضي الله عنه على المدينة وهو ابن 16سنة، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة65هـ. نُقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والروميّة إلى العربية، وهو أول مَن ضَكّ الدنانير ونقش بالعربية على الدارهم في الإسلام. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص531. الزركلي، الأعلام، ج4، ص165.

270- الغساني، رحلة الوزير، ص139.

271- المصدر نفسه، ص ص139-140. ذنون طه، نشأة التدوين التاريخي العربي في الأندلس، ص21.

272- **بروفنصال (1894-1956):** مؤرخ وكاتب من المستشرقين؛ فرنسي المولد والوفاة. اشتهر بأبحاثه في تاريخ المسلمين في إسبانيا. ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ص520-522.

273- ذنون طه، نشأة التدوين التاريخي العربي في الأندلس، ص21. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص155. أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص162.

وفي الوقت ذاته؛ نجد المستشرق الإسباني غارسيا غوميز(Emilio García Gómez)[274]، الذي اطّلع على نص الوزير الغساني السالف الذكر ونفى بأن يكون **كتاب الرايات** مِن تأليف محمد بن موسى الرازي، حيث علّل ذلك، بأن النص المذكور ربما يعتريه نقص أو سقط، بل إنه ذهب لأبعد مِن ذلك، حيث وضع تصويبا للنص على النحو التالي: "...سِفرا صغيرا مِن تأليف أحمد بن محمد بن موسى الرازي"[275]، وهذا الأخير هو ثاني أفراد هذه الأسرة[276]، كما سيأتي بيانه بعد قليل.

وفي الجهة المقابلة من ذلك؛ نجد سانتشث ألبورنوث (Claudio Sánchez-Albornoz)[277] يصرّ على أن **كتاب الرايات** هو مِن تأليف محمد بن موسى الرازي، وأن الأمر لا يمكن تجاهله. وهذا القول هو الذي مال إليه يوسف بني ياسين، الذي أكّد أنّ الكتاب -كما ذكر ابن مُزَين- مِن تأليف محمد بن موسى الرازي[278]. وفي إطار القول كذلك؛ بصحة نسبة **كتاب الرايات** لمحمد الرازي؛ أكّد سانتشث (Claudio Sánchez-Albornoz) أن الحفيد عيسى الرازي، تعمّد إغفال اسم جدّه محمد لغرضٍ في نفسه، حتى يُنسَب إليه الفضل في وضع قواعد علم التاريخ بالأندلس ولأبيه[279]. بينما أكّد آنـــخِل جنثالث بالنثيا(ANGEL GONZALEZ PALENCIA)،

SANCHEZ –ALBORNOZ: "**PRECISIONS SOBRE FATH AL-ANDALUS"**, Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos, MADRID, Vol. IX y X (1961-1962), pp18-20.

274- **إميليو غارسيا غوميز (1905–1995):** مستشرق إسباني، لقب بـــشيخ المستعربين الإسبان؛ اختص بالأدب العربي عامة، والأندلسي خاصة. ينظر: محمد خير رمضان، يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طُبع منها أو حقق بعد وفاتهم، ج1، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2004، ص109.

275- الغساني، رحلة الوزير، ص139.

276- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص579، تعليق: 463. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص155. أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص162.

SANCHEZ –ALBORNOZ: "**PRECISIONS SOBRE FATH AL-ANDALUS"**, pp18-20.

277- **سانتشث ألبورنوث (1893–1984):** مؤرخ إسباني عني بتاريخ إسبانيا الإسلامية. ينظر، بدوي، موسوعة المستشرقين، ص340.

278- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص157.

279- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص580، تعليق: 464. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص156.

أنّ محمد الرازي قد اشتغل بالتأليف في تاريخ الأندلس، و لم يبق مما ألّف إلا قطعا متناثرة مِن **كتاب الرايات**، والتي نجدها مبثوثة بين ثنايا ودفّات المصادر التاريخية[280].

وفي ظل هذا الجدل الحاصل حول نسبة **كتاب الرايات** لمحمد الرازي، خَلُص محمود علي مكي إلى أنه "مِن العسير، القَطْعُ في هذه المسألة برأي حاسم"[281].

وبعيدا عن هذا الاختلاف الحاصل حول نسبة الكتاب من عدمها لمحمد الرازي، أكّد عبد الواحد ذنون طه أن **كتاب الرايات** الذي ذكره ابن مُزَين واعتمد عليه، يعتبر الأول في مجال الكتب التي بَـــحَثَتْ في موضوع توزيع القبائل العربية، واستقرارها في بلاد الأندلس. ومِنَ المرجّح أنّ عددا مِن المؤلِّفين الذين اهتموا بهذا الموضوع فيما بعد، استعانوا **بكتاب الرايات** ونقلوا عنه، بدون ذكر مؤلِّفه محمد بن موسى الرازي، بل و لم يذكروا حتى إشارات عابرة عنه، وعلى رأسهم ابنه أحمد الرازي[282].

وخلاصة القول؛ فإنه وبالرغم مِن اختلاف روايات المؤرخين حول صحّة نسبة **كتاب الرايات** لمحمد بن موسى الرازي، إلا أن هذا الكتاب يبقى خطوة مهمة ورائدة في ميدان التدوين التاريخي في الأندلس، خاصة إذا وضعنا في الحسبان أنّه أول مَن خاض غمار الكتابة عن توزيع القبائل العربية في الأندلس. ولسوء الحظ فإن هذا الكتاب الجليل القَدْر، لازال إلى يوم الناس هذا، في عداد المفقود مِن تراث أرض الفردوس المفقود، و لم يصلنا منه إلا بعض الفقرات التي نقلها عنه محمد بن مُزَين، وأعاد نقلها عنه الوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني، في حديثه عن رحلته في إطار سفارة إلى إسبانيا العام 1103هـــ/1691م.

❖ **أحمد الرازي (تـ344هـ/955م):**

هو أبو بكر أحمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط، الكناني الرازي؛ ولد يوم الإثنين 10ذي الحجة 274هـــ/26أفريل888م. وقد نشأ بقرطبة وبقي بها إلى وفاة الأمير المنذر 275هـــ/888م، فحَمله أبوه ونوى العودة إلى أصهاره بسجلماسة، إلا أنّ مرضا داهمه خلال

280- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص196

281- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص579، تعليق: 463.

282- ذنون طه، نشأة التدوين التاريخي العربي في الأندلس، ص22.

هذه الفترة بمدينة إلبيرة، كان سببا في وفاته سنة 277هـ/890م، وترك وراءه ابنه أحمد ذي الثلاث سنوات[283].

ولم تعطنا المصادر التاريخية ولا كتب الإخباريين، معلومات كافية عن تفاصيل نشأته الأولى، سِوى أنه أقام في إلبيرة، ثم استقر بقرطبة. هاته الأخيرة لقي فيها عناية كبيرة مِن أهلها، خاصة لِما كان لوالده بها، مِن علاقات طيبة مع الأسرة الحاكمة وغيرها[284].

عُرف عن أحمد الرازي ومنذ نعومة أظافره حبّه للعلم، ومَيْله للأدب، حيث غلبت عليه الرغبة في البحث والتنقيب عن الأخبار التاريخية[285]، بل إنه أحبّها وبرع فيها، وأصبح حافظا لها وعالما بها[286]. ولم يمنعه ذلك مِن إتقان علوم عصره، فكان إضافة لِـما ذُكِر؛ نحويا لغويا، وكاتبا بليغا غزير الرواية[287]، حتى لُقِّبَ بالتاريخي، لكثرة اشتغاله بكتابة التاريخ[288]. وقد حلاّه ابن الفرضي والقِفطي بالأديب الشاعر[289]، ووصفه المقّري بالشيخ؛ توقيرا وإكبارا له، واحتراما لمكانته العلمية، وذلك في قوله: "قال **الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي:** بلد الأندلس هو آخر الإقليم الرابع إلى المغرب"[290].

283- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص95، ترجمة: 135. الضبي، بغية الملتمس، ص194، ترجمة: 331. الحميدي، جذوة المقتبس، ص168، ترجمة: 175. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص325. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص797، ترجمة: 113. القفطي، إنباه الرواة، ج1، ص171، ترجمة: 83. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص ص472-473، ترجمة: 166. بويكا، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص80 وص101. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص250. ذنون طه، نشأة التدوين التاريخي العربي في الأندلس، ص23. حسين مؤنس: "**الجغرافية والجغرافيون في الأندلس من البداية إلى الحجارى**"، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، يصدرها معهد الدراسات الإسلامية في مدريد بإسبانيا، مج7-8، 1959-60، ص ص252-255.

284- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص269.

285- ذنون طه، نشأة التدوين التاريخي العربي في الأندلس، ص23.

286- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص95، ترجمة: 135. الحميدي، جذوة المقتبس، ص168، ترجمة: 175. الضبي، بغية الملتمس، ص194، ترجمة: 331.

287- القفطي، إنباه الرواة، ج1، ص171، ترجمة: 83. الحميدي، جذوة المقتبس، ص168، ترجمة: 175.

288- رسائل ابن حزم، ج2، ص ص172-173. الضبي، بغية الملتمس، ص194، ترجمة: 331. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص197.

289- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص95، ترجمة: 135. القفطي، إنباه الرواة، ج1، ص171، ترجمة: 83.

290- المقري، نفح الطيب، مج1، ص129.

ويعتبر أحمد الرازي أوّل مَنْ أسّس لقواعد التاريخ في الأندلس، فهو بذلك أب التاريخ[291]، وأوّل مَن أدخل الجغرافية الإقليمية إلى الأندلس، إذ اعتبرها علما مُتمّما للتاريخ[292]. وقد انصبّت جلّ اهتماماته، في أربعة اتجاهات رئيسة ومتكاملة وهي: التاريخ والجغرافيا، الأنساب والتراجم، حيث قَصَرَ اهتماماته على هاته الأربع تحديدا. ورغم كونه كان مُلِمًّا بعلوم عصره ومثقفا كبيرا، إلا أنه لم يكن فقيها أو مُـحدّثا، بل كان تاريخيا بامتياز، هـَـمُّه الاشتغال بالتاريخ والبحث فيه[293]، فكان كما وصفه حسين مؤنس "أَبَ الجغرافية والتاريخ في الأندلس في آن واحد"[294].

وفي الاتجاهات الأربع المذكورة؛ ألّف أحمد الرازي[295] ما يلي:

• **الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس**[296]: وهو عبارة عن موسوعة ضخمة في أنساب العرب بالأندلس، يقع في خمس مجلدات كبيرة. قال عنه المقري؛ إنه "أحسن كتاب في الأنساب وأوسعها"[297]. واستمد منه ابن الفرضي (تـــ403هـــ/1012م) في كتابه "تاريخ علماء

291- حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، ص252.

292- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط2، 1986، ص59. حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، ص ص252-255.

293- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص160.

294- حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، ص252. حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص56.

295- لمزيد من التفاصيل حول الإنتاج العلمي لأحمد الرازي؛ ينظر: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ص197-198. ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي، ص ص25-36. حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص ص57-72. حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، ص ص252-255. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص317. بويكا، المصادر التاريخية العربية، ص ص101-104. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ص700. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص161-166.

296- ابن حزم، الرسائل، ج2، ص184. عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص104. ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص77. المقري، نفح الطيب، مج3، ص173. م. ت. هوتسما، ت. و.أرنولد، ر.باسيت، ر.هارتمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، الأجزاء أ إلى ع إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتناوي وعبد الحميد يونس، الأجزاء من ع إلى ي ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، المراجعة والإشراف العلمي: حسن حبشي وعبد الرحمن عبد الله الشيخ ومحمد عناني، الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1998، ص5059.

297- المقري، نفح الطيب، مج3، ص174.

الأندلس" الكثير من المعلومات في التراجم والأنساب، وساق له الكثير من الروايات، وجعلها مُتَّكَـــأً ومستندا له[298].

• **أعيان الموالي بالأندلس**[299]: وهو كتاب في التراجم، عن مشاهير الموالي في الأندلس.

• **مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات أعيان مدنها وأجنادها الستة**[300]: وهو مؤلَّف عن المدن أو الجغرافيا، يتناول طرق الأندلس وموانئها ومدنها الرئيسة، وتجمعات جندها، وخواص كل بلد منها.

• **صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها**[301]: وهو كذلك مؤلَّف جغرافي يتناول بالحديث خطط مدينة قرطبة، ومنازل عظمائها.

ورغم أن جهد أحمد الرازي في حقل التدوين التاريخي والجغرافي كبير ومهم، إلا أنه وللأسف الشديد لم يصل أي كتاب كامل منها، إذْ ضاعت فيما ضاع مِن تراثه، اللهم إلا ما حفظته لنا المدونات التاريخية والجغرافية المعاصرة له وحتى اللاحقة، التي اقتبست مِنْ مؤلَّفاتِه الكثير من الروايات، ونَقَلت إلينا عنه نصوصا مهمة، كانت ضمن المصادر الأساسية والأولى لكثير مِنَ المؤلِّفين العرب، الذين قمّشوا في تاريخ وجغرافية بلاد الأندلس[302].

وسنقتصر هاهنا على التاريخي منها، لعلاقته بالتأليف في التاريخ العام؛ موضوع هاته الجزئية، ألا وهو **كتاب أخبار أهل الأندلس وتواريخ الملوك فيها**، وقد بلغ فيه الغاية مِن

298- أحمد بن محمد الرازي ت344هـ/955م، نصوص من كتاب أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، بإشراف: عامر ممدوح خيرو، العراق: الجامعة العراقية، 2022، ص23.

299- عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص126؛ في ترجمة إسحاق بن إبراهيم بن مسرة رقم 117. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص82 وج4، ص156. موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص5059.

300- ابن حزم، الرسائل، ج2، ص 174. الضبي، بغية الملتمس، ص194، ترجمة: 331. الحميدي، جذوة المقتبس، ص168، ترجمة: 175. المقري، نفح الطيب، مج3، ص174. موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص5059. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، بيروت: دار الثقافة، ط2، 1969، ص ص349-350.

301- ابن حزم، الرسائل، ج2، ص 183. الضبي، بغية الملتمس، ص194، ترجمة: 331. الحميدي، جذوة المقتبس، ص168، ترجمة: 175. المقري، نفح الطيب، مج3، ص174. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، ص363. موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص5059.

302- موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص5059. ربوح، الكتابة التاريخية في الأندلس ما بين القرن 4-5هـ/10-11م، ص29.

الاستيعاب والتقصّي. وقد نقل عنه ابن الفرضي وسماه "أخبار الأندلس وتواريخ دول الملوك فيها"[303]، واختلفت مصادر أخرى في عنوانه وأوردته بأسماء مختلفة، إلا أنها كلّها يُقصد بها الكتاب نفسه لأحمد الرازي[304].

فقد أورد ابن حزم أنه ألّف كتابا أسماه "أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم"[305]، وذكر الزبيدي والقِفطي أنّ له كتابا تحت عنوان "أخبار أهل الأندلس وتواريخ دول الملوك"[306]. بينما ذكر الحميدي أنّ له مؤلفا موسوما بـــ "في أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وركباتهم وغزواتهم"[307]، وساق لنا ابن بشكوال خَبَرًا مفادُه أن لأحمد الرازي كتابا سماه "تاريخ الرازي الأوسط في أخبار الأندلس"[308]، وزاد على ذلك ياقوت الحموي كتابا آخر له سماه التاريخ الأصغر، إضافة للتاريخ الأوسط[309].

هذا؛ ولم تُشِر المصادر التي أرّخت لأحمد الرازي، المعاصرة له وحتى اللاحقة، أنه ألّف كتابا أسماه التاريخ الأوسط أو الأصغر. وربما يُفهم هذا من مَدلول كلمة أوسط التي وردت عند ابن بشكوال في قوله: "وقال أبو عمر بن الحذاء...وقال: أخذت عنه تاريخ **الرازي الأوسط** في أخبار الأندلس"[310]؛ على أنها أوسط آل الرازي الذي هو أحمد بن محمد بن موسى الرازي.

303- ابن حزم، الرسائل، ج2، ص183.ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص95، ترجمة: 135. الحميدي، جذوة المقتبس، ص168، ترجمة: 175. الضبي، بغية الملتمس، ص194، ترجمة: 331. المقري، نفح الطيب، مج3، ص174. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، ص363.

304- موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص5059. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص161.

305- رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2، ص183. وهذا السفر النفيس، جمع منه الباحث العراقي عمار محسن محمود الجنابي؛ نصوصا جمع دراسة وتحقيق في إطار أطروحة الماجستير وسمها بـــ: "نصوص من كتاب أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم لأحمد بن محمد الرازي ت344هـــ/955م"، وقد سلّمنا الباحث مشكورا نسخة كاملة عن أطروحته بصيغة PDF، بعد مناقشتها شهر سبتمبر 2022.

306- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص302. القفطي، إنباه الرواة، ج1، ص171، ترجمة: 83.

307- الحميدي، جذوة المقتبس، ص168، ترجمة: 175.

308- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج2، ص109. وقد ذَكَر عنوان الكتاب في ترجمة قاسم بن محمد بن قاسم بن عباس بن وليد بن صارم بن أبي رباحٍ الفراء؛ رقم: 956.

309- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص ص472-473، ترجمة: 166.

310- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج2، ص109. في ترجمة قاسم بن محمد بن قاسم بن عباس بن وليد بن صارم بن أبي رباحٍ الفراء؛ رقم: 956.

وللأسف الشديد؛ فإن هذا الكتاب لا يزال في حكم المفقود مِن التراث الأندلسي، اللَّهُم إلا بعض الإشارات والروايات، التي نقلتها عنه بعض المصادر التاريخية، وعلى رأسها كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، والمقتبس لابن حيان، والتكملة لكتاب الصلة والحلة السيراء لابن الأبار[311]، وكذا ابن الأثير وابن عذاري، وياقوت الحموي والحميري، وابن الخطيب والمقري[312].

وقد ضع أحمد الرازي لكتابه **أخبار أهل الأندلس وتواريخ دول الملوك**، في البداية مقدمة جغرافية مهمة لشبه الجزيرة الإيبيرية، ليعرض بعدها لتراجم الأمراء واحدا بعد آخر، مركّزا في ذلك كلّه على ترتيب الأحداث بالسنين، إذْ يَعْرِضُ أحداث كل سنة في حكم أميرٍ مِن الأمراء، ويختمها بعرض لوفياتها[313].

ويعتبر الرازي بتأليفه لكتابه هذا على هذا النَّسَقْ؛ التقديم للتاريخ بالجغرافية أو وصف الميدان قبل ذكر الوقائع، سابقة في الكتابة التاريخية بالأندلس، إِذْ صارت فيما بعدُ قاعدة سار عليها مَنْ أتى بعده مِن مؤرخي الأندلس، فأصبحوا بِذَلكَ جغرافيين ومؤرخين في آن واحد[314].

وقد عُرف عن الرازي دقّته في إيراد معلوماته، فكان يبيّن تواريخ الأحداث المهمة باليوم والشهر والسنة[315]، ويدقق في رصدها، ولا يُغفل أدقّ التفاصيل فيها، والتي قد تبدو بلا أهمية في الحدث التاريخي المرصود. وإلى ذلك كلّه؛ كان يُلمّ بالجوانب ذات الصلة بالمنطقة التي يؤرخ لها ما استطاع إلى ذلك سبيلا[316]. وكان لا يعتمد على السرد التاريخي فقط، وإنما كان يحلّل الأحداث والوقائع، ويعطي رأيه في أسباب الخلافات ونتائجها[317].

ومما سبق ذكره –على اختصاره–؛ يَصْلُح أن يقال في هذا المقام، أن أحمد الرازي يعدّ في حدّ ذاته موسوعة ضخمة، وإسهاماته في علم التاريخ والجغرافيا والأدب في الأندلس، هي بحقّ

311- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص185-186.
312- ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي، ص27.
313- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص164-165.
314- ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي، ص25.
315- المرجع نفسه، ص30.
316- محمد عليلي، الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي، ص396.
317- ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي، ص32.

مساهمات جادّة وكبيرة. وبالرغم مِن ضياع معظم ما صَنَّف، إلا أنه لا يمكن تجاهل ما قدّمه مِن روايات، حيث ساهمت مؤلفاته في ارتقاء علم التاريخ إلى مرحلة النضج في الأندلس[318].

توفي أحمد الرازي يوم 12 رجب 344هـ/01 نوفمبر955م[319]، لكن بوفاته لم تنطفئ شعلة التأليف التي أوقدها عميد آل الرازي أبوه محمد بن موسى، إذْ خَلَفَه ابنه عيسى بن أحمد –حفيد محمد الرازي–والذي تولى دراسة تاريخ الأندلس إلى عصره، فأكمل رحلة الوالد والجدّ.

❖ **عيسى بن أحمد الرازي (ت379هـ/989م):**

لم يَكن عيسى بن أحمد الرازي –وهو آخر أفراد أسرة الرازي–نَكرةً في عصره ببلاد الأندلس، بل إنه كان مِـمَّنْ عني بكتابة تاريخها واهتم به. إلا أن المصادر أهملت ذِكْر تفاصيل حياته، بل وحتى ذِكرُ بعضِ البعضِ منها، حيث أعرضت عن ذلك إعراضا غير مستساغٍ. إذ لم نعثر بين طياتها على ترجمة كافية ووافية له، اللهم إلا ما ساقه لنا ابن الأبار في التكملة، ونقله عنه ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة، مِن ترجمة مقتضبة جدا، لا تكاد تفي بالغرض المطلوب، لرسم صورة واضحة المعالم عن حياة هذا العَلَم، حيث لم نخرج منها بطائل[320].

وُلد عيسى ونشأ في قرطبة، أين كان يقيم والده أحمد، وبها تلقى علومه الأولى في شتى مجالات المعرفة، وبخاصة التاريخ، حتى تضلّع فيه وبرع. ولا نجد هاهنا وصفا يليق بهذا المقام سوى ما ذكره ابن الأبّار عنه؛ بأنّه " كان عالما بالآداب، تاريخيا ذاكرا للأخبار"[321].

و لم يَحِدْ عيسى الرازي عن الخطّ الأول، الذي رسمه جدّه محمد ووالده أحمد، في الاهتمام بتاريخ الأندلس، إذْ كان هو همّه ودَيْدَنُه الأكبر، حتى علا بذلك شأنه، خاصة وأنه عاش في حاضرة قرطبة، التي وفّرت له أرضية خَصبة تهتم بالتاريخ والآداب، حيث كانت قاعدة علمية وثقافية، ومركز إشعاع علمي كبير.

وفي هذه المدينة؛ نال حظوة كبيرة جعلته مقرّبا مِن الحُكام ومؤرخا لهم. فقد صنّف للحَكَم المستنصر كتابا في التاريخ، وللمنصور العامري[322] كتابا في الوزارة والوزراء، وآخر في

318– بويكا، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص80.

319– ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص95، ترجمة: 135. القفطي، إنباه الرواة، ج1، ص171، ترجمة: 83. ياقوت الحموي، ج4، ص325.

320– راجع ترجمته في: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص04، ترجمة: 06. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص408، ترجمة: 892.

321– ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص04، ترجمة: 06.

الحجابة[323]. وفي هذا السياق، أكّد ابن حيان فيما ذَكَره عن عيسى الرازي، أن هذا الأخير، تحدّث عن والده مبيّنا فضله على تاريخ الأندلس قائلا: "ووضع قواعد التأريخ بالأندلس مبتدئا، فأزلفه بالسلطان، واعتلت به مترلة وَلَده من بعده"[324].

و لم تذكر المصادر أولادًا أُخَر لأحمد الرازي، غير عيسى المذكور. ولذلك؛ فإنه ربما قَصَدَ نفسَه في رواية ابن حيان السابقة بقوله: "واعتلت به مترلة **وَلَده** من بعده"[325]، ولا أدلّ على ذلك مِنْ أنّه ألّف وصنّف للحَكم المستنصر، والمنصور العامري[326].

ونظرا لهذه المعطيات التاريخية المهمة عن عيسى الرازي-على اقتضابها-فإنه يكون قد وَرِثَ المهارة في الاشتغال بالتاريخ عن والده، على غِرار تمكّنه في الأدب كذلك. فوالده تبوّأ مكانة علمية رفيعة قَبْلَه، وتبوّأها هو كذلك، وهو ما كان مَدْعَاةً لأن يقرّبه الحَكَم المستنصر منه ويُدْنيه، بل وشجّعه كذلك على التأليف؛ فحبّر له طِرْسًا مُهِمًّا في التاريخ. كما أنه وبعد وفاة الحَكَم المستنصر، وتولي الحاجب المنصور العامري زمام الأندلس، ألّف له عيسى الرازي كذلك كتابا[327].

322- **المَنْصُور بن أبي عامر (326-392هـ/938-1002م):** محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبي عامر بن الوليد ابن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني، أبو عامر، المعروف بالمنصور بن أبي عامر. أصله من الجزيرة الخضراء، قدم قرطبة شابا، طالبا للعلم فبرع، واستُخلف على قضاء كورة ريه، ثم عهد إليه بوكالة السيدة صُبْح أم هشام المؤيد، فولي النظر في أموالها وضياعها، وعظمت مكانته عندها، وولي الشرطة والسكة والمواريث، وأضيف إليه القضاء بإشبيليّة. ولما مات المستنصر الأموي كان المؤيد صغيرا، وخيف الاضطراب، فضمن ابن أبي عامر لأمِّ المؤيد سكون البلاد، واستقرار الـمُلْك لابنها، وقام بشؤون الدولة وغزا وفتح. دامت له الإمرة 26 سنة، غزا فيها بلاد الإفرنج 56 غزوة لم ينهزم له فيها جيش. وكانت الدعوة على المنابر في أيامه للمؤيد، وهو مُحتَجِب عن الناس، والـمُلْكُ لابن أبي عامر، إذْ لم يضطرب عليه شيء منه أيام حياته، لحسن سياسته وعِظم هيبته؛ مات في إحدى غزواته بمدينة سالم، ولا يزال قبره معروفا فيها. ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص268. ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص279. الزركلي، الأعلام، ج6، ص226.

323- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص04، ترجمة: 06. سعد بن عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس (422-488هـ)، الرياض: مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1993، ص116.

324- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص269.

325- المصدر نفسه، ص269.

326- يوسف أحمد بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص204.

327- ربوح، الكتابة التاريخية في الأندلس ما بين القرن 4-5هـ /10-11م، ص30.

وعلى ما يبدو؛ وفي حدود ما توافر لدينا مِن معلومات مقتضبة عن عيسى الرازي، فإن جُلّ اهتمامه في التأليف كان في التاريخ، إذْ لم يشتغل بأي فنٍّ آخر. وقد رصدت لنا المدونات التاريخية في هذا الفن، ثلاثة مؤلَّفات هي كالتالي:

• **كتاب التاريخ، أو تاريخ الأندلس، أو كتاب الموعب:** وهو كتاب ألّفه للحَكَم المستنصر على النهج الحولي الهجري، كما أشار إلى ذلك ابن الأبار في قوله: "ألّف للحَكَم المستنصر بالله كتابا في التاريخ حافلا"[328]، وهو ما أكّده كذلك ابن عبد الملك في قوله: "وألّف للمستنصر تاريخا ممتعا"[329].

وقد أشار ابن حيان في المقتبس، إلى هذا الكتاب باسم آخر وهو **الـــموعب**، ونقل عنه كثيرا، والشاهد على ذلك قوله: "قال عيسى بن أحمد بن محمد الرازي، في كتاب الكبير المعروف **بالـــموعب**"[330]. وربما سماه كذلك؛ لأنه استوعب فيه تاريخ الأندلس حتى عصره- عصر عيسى الرازي-وتطرّق فيه إلى التاريخ السياسي والعسكري للأندلس، منذ عصر الإمارة، مرورا بعصر الخلافة إلى عصره[331].

ويعتبر كتاب **الـــموعب** لعيسى الرازي، مِن المصادر الأساسية التي عوّل عليها ابن حيان في المقتبس، حيث كان ضمن لائحة مصادره الأساسية، ونقل عنه أخبارا كثيرة، وخاصة أخبار سنة 362هـــ/972م، ومنها أخبار دولة الحَكَم بن عبد الرحمن المستنصر[332].

• **كتابٌ في الوزراء والوزارة:** ألّفه للمنصور بن أبي عامر، على ما ذَكره ابن الأبار وابن عبد الملك[333].

• **كتابٌ في الحُجّاب:** ألّفه للمنصور بن أبي عامر كذلك[334]. وقد اعتمده ابن الأبار في الحلّة السيراء ضمن لائحة مصادره، فنقل عنه ترجمة عبد الْكَرِيم بن عبد الْوَاحِد بن مغيث

328- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص04، ترجمة: 06.

329- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص408، ترجمة: 892.

330- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص329.

331- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص204-205.

332- ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت: دار الثقافة، 1965، ص ص38-39 وَص62 وص96.

333- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص04، ترجمة: 06. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص408، ترجمة: 892.

الْحَاجِب[335]، وجهْوَرْ بن مُحَمَّد بن جهور بن عبيد الله رَئيس قرطبة[336]، وجَعْفَر بن عُثْمَان المصحفي[337]. كما نقل عنه كذلك؛ أخبار نكبة هَاشم بن عبد الْعَزِيز الْوَزير أَبُو خَالِد[338].

4- **كتاب تاريخ دولة بني مروان بالأندلس**[339]: لمعاوية بن هشام المرواني المعروف بابن الشبانسي[340] (توفي بعد 350هـ/961م). كان أديبا إخباريا فصيحا، وهو مَنْ دَوَّنَ أخبار

334- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص04، ترجمة: 06. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص408، ترجمة: 892.

335- ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ)، كتاب الحلة السيراء، ج1، ص ص135-136، ترجمة: 50. **وَعبد الْكَرِيم بن عبد الْوَاحِد بن مغيث (ت209هـ/824م):** حاجبُ الحَكَمْ بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية. ينظر: ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص77. النباهي، المرقبة العليا، ص54. ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص269.

336- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص30، ترجمة: 117. **وجهور بن محمد (364-435هـ/974-1043م):** هو جهور بن محمد بن جهور، أبو الحزم؛ صاحب قرطبة. ولي الوزارة في أيام الدولة العامرية إلى أن انقرضت، فاعتزل العمل مدة، ثم استمال إليه فريقا من أهل التقوى والوجاهة، ودعاهم إلى مبايعة هشام المعتدّ باللّه فوافقوه، واستولوا على قرطبة بعد فتن كثيرة، وبعد اضطراب أمر المعتد باللّه خلعوه، وانقضت به الدولة الأموية سنة 422هـ، واستقلّ أبو الحزم بقرطبة، وانتظمت له شؤونها، ودرأ عنها ملوك الفتنة، فعمها الأمن والرخاء، واستمر في ذلك إلى أن توفي. ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص319، ترجمة: 625. الحميدي، جذوة المقتبس، ص59. ابن ماكولا، الإكمال، ج2، ص449. الهجراني، قلادة النحر، ج3، ص393، ترجمة: 1602. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص163. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، 525. الزركلي، الأعلام، ج2، ص141. كحالة، معجم المؤلفين، ج9، ص162.

337- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص ص257-259، ترجمة: 100. **وَجَعْفَر الـمُـصْحَفي (ت372هـ/982م):** هو جعفر بن عثمان بن نصر، أبو الحسن، الحاجب المعروف بالمصحفي، أصله من بربر بلنسية. وزير وأديب أندلسي، من كبار الكتّاب، وله شعر كثير. استوزره الحَكم المستنصر الأموي إلى أن مات، وولي جزيرة ميورقة في أيام الناصر. ولما ولي هذا الأخير الحُكم استوزره، وضم إليه ولاية الشرطة. ولما آلت الخلافة إلى هشام المؤيد بن الحكم، تقلد حجابته، وتصرف في أمور الدولة، وقوي عليه المنصور بن أبي عامر بخدمته لصبح (أم هشام المؤيد) فاعتقله وضيق عليه، وصادره في ماله حتى لم يترك له ولا لأبنائه ما يسدون به أرماقهم، ثم قتله. ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص314، ترجمة: 616. الحميدي، جذوة المقتبس، ص289، ترجمة: 354. الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ج2، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص573، ترجمة: 329. الزركلي، الأعلام، ج2، ص125.

338- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص ص138-142. **وَهاشم بن عبد العَزِيز (ت273هـ/887م):** بن هاشم، أبو خالد الوزير، صاحب فضل وأدب، وهو أخو أسلم بن عبد العزيز القاضي. كان خاصا بالأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي، سلطان الأندلس، يُؤْثره بالوزارة، وولّاه كورة جيان. ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص652، ترجمة: 1428. الحميدي، جذوة المقتبس، ص581، ترجمة: 864. الزركلي، الأعلام، ج8، ص66.

الأمويين بالأندلس[341]، أرّخ فيه لقومه بني مروان، مُتّخذا مِن التأريخ للأسرة الأموية تأريخا للأندلس، وتناول من خلاله تاريخ الحكام الأمويين. وقد نقل عنه ابن حيان في المقتبس، أخبار الداخلين إلى الأندلس مِن بني مروان وأخبارا أخرى[342].

5- **كتاب تاريخ افتتاح الأندلس:** لابن القوطية (تـ367هـ/977م)، وهو كتاب يحوي مادة غنية بالحقائق الثابتة عن التاريخ السياسي للأندلس، وكذا الثقافي والحضاري[343].

6- **الذّيل على تاريخ الطبري:** لعَريب بن سعيد القرطبي (تـ369هـ/979م) [344]، وهو كتاب وصل به تاريخ الطبري بِأخبارَ عن المشرق، وضمّنه أخبارا عن المغرب والأندلس أيضا، وجعله ذيلا عليه وسمّاه **مختصر تاريخ الطبري**. وقد اختصر فيه تاريخ الطبري (تـ310هـ/922م)، فيما يتصل مِن أخبار المشرق مِن سنة 289هـ/901م إلى سنة 319هـ/930م[345]، فقدّمَ لنا بذلك معلومات تاريخية هامة تخص بلاد الأندلس، منذ الفتح الإسلامي وإلى القرن الرابع الهجري (ق04هـ/10م).

339- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص155.

340- **معاوية بن هشام بن محمد بن هشام:** من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الرحمن، وهو ابن أخ معاوية بن محمد بن هشام بن الوليد. كان أديبا إخباريا تاريخيا فصيحا، وله تاريخ في دولة قومه بني مروان بالأندلس، وعليه عول ابن حيان فيما ينقل من أخبارهم في تأليفه. ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص183، ترجمة: 474. ابن الأبار، الحلّة السيراء، ج1، ص40. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص96. أما عن ترجمة معاوية بن محمد بن هشام بن الوليد؛ ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص183، ترجمة: 473. وقد أخلط يوسف أحمد يوسف بني ياسين، بينه وبين عمه معاوية بن محمد بن هشام بن الوليد المتوفى 298هـ، والصحيح ما أثبتناه. ينظر: يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص227.

341- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص183، ترجمة: 474. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص227. بويكا، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص90.

342- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص96 وَص105. المقتبس، ج5، ابن حيان، المقتبس، ج5، اعتنى بنشره: ب. شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع: ف. كورينطي و م. صبح وغيرهما، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979، ص40.

343- لتفاصيل وافية حول ابن القوطية وكتابه راجع: ص ص 66-83 من هذا الفصل.

344- راجع ترجمة عَريب بن سعيد القرطبي ومصادرها في الهامش رقم: 158 من الفصل التمهيدي.

345- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص3، ترجمة: 102. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، مج3، السفر الخامس، ص ص118-119، ترجمة: 291. الزركلي، الأعلام، ج4، ص227.

7- كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم: لمؤلف مجهول[346]. وهذا الطِّرس كما يتضح مِن عنوانه، أنه عبارة عن مجموعة مِن الأخبار التي جُمعت عن بلاد الأندلس. وابتدأت مواضيع الكتاب مِن الفتح الإسلامي، إلى ذِكر أمراء الأندلس من العرب، وصولا إلى أخبار عبد الرحمن الناصر لدين الله (300-350هـ/912-961م)[347].

ويعتبر هذا الكتاب، مِنَ المصادر الأساسية التي لا غنى للباحث عنها، فيما تعلق بالبدايات الأولى للفتح الإسلامي للأندلس، وكذا عهد الولاة ثم تأسيس الإمارة الأموية. وقد استقى مؤلِّفه أخباره مِن مصادرها الأصيلة؛ السمعية والمدوّنة، وتوخّى فيها دِقّـــةً أعطت رواياته مصداقية وقِيمَةً تاريخية كبيرة. إلا أننا نلاحظ على رواياته، مَيْلُه وتعصُّبُه للعرب والسيادة العربية، وهو الأمر الذي أكّد لنا بما لا يدع مجالا للشك، أن المؤلِّف عربي صميم[348].

كتاب التاريخ الكبير في الأخبار: لعبد الملك بن أحمد بن عبد الملك، بن شُهَيْد القرطبي المكنى أبا مروان[349]. حلاّه ابن بشكوال في صِلته قائلا: "كان أوحدَ الناس بالتقدّم في علم الخبر والتاريخ، واللغة والأشعار، وسائر ما يحاضر به الملوك، مع سعة روايته للحديث والآثار"[350].

بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص206. بويكا، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص80 وص126. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ص317-318.

346- لتفاصيل وافية عن الكتاب راجع: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ص198-202. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ص315-316. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص251.

347- مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط2، 1989، ص06.

348- العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص315.

349- **ابن شُهَيْد (323-393هـ/935-1003م):** عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد القرطبي، أبو مروان. وزير من أعلام الأندلس ومؤرخيها، ونُدَمَاء ملوكها. ولد ومات بقرطبة؛ له: تاريخ كبير يزيد على مائة جزء، بدأه بعام الجماعة سنة 41هـ وختمه عام وفاته، مرتّبا على السنين، وله ديوان شعر مطبوع. عن مظان ترجمته؛ ينظر: ابن دحية الكلبي أبو الخطاب عمر ابن حسن الأندلسي (ت633هـ)، المُطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، راجعه: طه حسين، بيروت: دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، 1955، ص160. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص ص237-239، ترجمة: 91. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج2، ص05، ترجمة: 717. ابن سعيد، المُغرب في حلى المغرب، ج1، ص ص203-204، ترجمة: 129. الضبي، بغية الملتمس، ص409، ترجمة: 843. الحميدي، جذوة المقتبس، ص370، ترجمة: 502. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص108، ترجمة: 1562. المقري، نفح الطيب، مج1، ص ص621-623.

ألّف ابن شُهيد هذا الكتاب، الذي يقع في أزيد من مائة سِفْرٍ، على توالي السنين[351]، بدأ أحداثه من عام الجماعة 41هـ/661م، وانتهى به إلى أخبار زمانه المنتظمة بوفاته العام 393ه/1003م. وربما يكون هو الذي ذكره ابن سعيد المغربي، بعنوان **بغية الرواد في حلى الرؤساء والقواد**[352]، إلا أنه وللأسف الشديد لم يصل إلينا منه شيء.

واتخذ ابن شُهيد في تأريخه المذكور، مِن أحداث المشرق مُبتَدَأً لتدوين تأريخ الأندلس، فسلك في تأليفه منهج التأريخ على السنين. وعلى ما يبدو، فإنه أراد أن يؤرخ به للأسرة الأموية بشقيها المشرقي والأندلسي. فبدأ تأريخه بالحديث عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[353]، وتولّيه الخلافة الأموية بالمشرق، وصولا إلى أواخر ق04هـ/10م[354].

كانت هاته بعض النماذج التي صُنّفت في التاريخ العام للأندلس، حيث كان اقتصارنا فيها على ما أُلِّفَ خلال ق03 وق04هـ/09-10م، وذلك لما لها مِن أهمية كبيرة في سَبْقها أولا، ثم لإبراز إسهامها الفاعل فيما سمي بالتدوين التاريخي المبكّر في الأندلس.

الزركلي، الأعلام، ج4، ص156. إحسان عباس، بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ، مج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص ص276-280. راجع كذلك: قسم الدراسة لديوان ابن شهيد الأندلسي، فقد قدّم محقق الكتاب دراسة مفصّلة عنه. ينظر: ديوان ابن شهيد الأندلسي، جمعه وحققه: يعقوب زكي، راجعه: محمود علي مكي، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ص ص05-78.

350- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج2، ص05، ترجمة: 717.

351- المصدر نفسه، مج2، ص05، ترجمة: 717.

352- ابن سعيد، المُـغرب في حلى المغرب، ج1، ص204.

353- **معاوية بن أبي سُفْيَان (20 ق.هـ-60هـ/603-680م):** صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي؛ مؤسس الدولة الأموية في الشام. كان فصيحا حليما وقورا؛ ولد بمكة وأسلم يوم فتحها عام 8هـ. تعلم الكتابة والحساب، فجعله رسول اللهﷺ في كُتّابه، ولما وَلِي أبو بكر رضي الله عنه، ولّاه قيادة جيشٍ تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان. وفي عهد عمر رضي الله عنه، جعله واليا على الأردن، ورأى فيه حزما وعلما فولّاهُ دمشق بعد موت أميرها أخوه يزيد. وجَمَعَ له سيدنا عثمان رضي الله عنه الديار الشامية كلها، وجعل ولّاةَ أمصارها تابعين له، ثم عُزِل بعد مقتل عثمان رضي الله. ولما قتل علي رضي الله عنه، بويع بعده لابنه الحسن رضي الله عنه الذي بقي فيها مدّة، وتنازل عنها لسيدنا معاوية رضي الله عنه معاوية سنة 41هـ، وبقي فيها إلى أن مات في دمشق سنة 61هـ. روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة أحاديث. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص261. ومظان ترجمته كثيرة.

354- يوسف أحمد بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص228.

2/-كتابة تاريخ مدن الأندلس:

يُرَادُ بكتابة تاريخ مدن الأندلس، المؤلفات التاريخية التي اقتصرت على تاريخ مدينةٍ مِن مدن الأندلس، أو إقليمٍ مِن أقاليمها. حيث ازدهر هذا النوع مِن الكتابة وبشكل خاص، خلال فترة النهوض السياسي والتطور الثقافي، وهي فترة الخلافة الأموية بالأندلس (316-422ه/929-1031م). وإبّان هذا العهد؛ ظهرت تصانيف عدّة، تناولت التاريخ السياسي والثقافي، وجوانب أخرى متفرقة لتاريخ الأندلس، أو إقليم مِن أقاليمه[355].

ولقد كان القصد مِن هذا الاتجاه؛ التأريخُ للمدن الأندلسية المختلفة، التي كانت تمثل خزّانا وافرا للمعلومات والمادة الخَبرية، الأمر الذي جعلها محطّ اهتمام كبير مِن لدن مؤرخي الأندلس، فراحوا يدوّنونها بتفاصيلها المختلفة. إلا أنّ اللافت للانتباه هاهنا، هو تعصّب أهل المدن لمدنهم في تسجيل تاريخها، واهتمامهم بتدوين كل شاردة وواردة عنها، حيث كان هذا في حقيقة الأمر، نِتاج السياسة اللامركزية المنتهجة مِن طرف بني أمية تجاه مدن الأندلس[356].

ألّف مؤرخو الأندلس تصانيف عدّة في هذا الاتجاه، حول مدن قرطبة، وإشبيلية، وإلبيرة وغيرها من مدن الأندلس. وقد سمي هذا النوع من التأليف أو الكتابة؛ بالتاريخ المحلي أو الإقليمي.

نماذج من كتب تاريخ مدن بالأندلس:

وفيما يلي نماذج -على سبيل المثال لا الحصر-من كتب تاريخ مدن الأندلس، وقد اقتصرنا فيها على مؤلفات ق03-04هـ/09-10م:

❖ **كتاب صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها:** لأحمد الرازي[357]؛ وهذا الكتاب يعكس مدى أهمية حاضرة قرطبة، التي حظيت باهتمام عديد المؤرخين. وجَريًّا على هذا النسق؛ ألّف أحمد الرازي موسوعته الضخمة الموسومة بـ: صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها. ولأهميتها علّق الضبي والحميدي عليها، وعقدا مقارنة بينها وبين تاريخ بغداد، فقالا: "وألّف في

355- ربوح، الكتابة التاريخية في الأندلس ما بين القرن 4-5هـ/10-11م، ص32.

356- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص256-257.

357- لتفاصيل وافية حول أحمد الرازي؛ راجع: ص ص 92-98 من هذا الفصل.

صفة قرطبة، وخططها، ومنازل العظماء بها، كتاباً على نحو ما بدأ به أحمد بن أبي طاهر[358] في أخبار بغداد وذِكره لمنازل العظماء بها"[359].

❖ **كتاب المعارف في أخبار كورة إلبيرة وأهلها وبواديها وأقاليمها وغير ذلك من منافعها:** لـــمُطرّف ابن عيسى الغسّاني (تـــ357هـــ/967م)[360]؛ ألّفه للخليفة الحَكَم المستنصر بن عبد الرحمن. ومطرّف هذا؛ من أهل إلبيرة، رَحَل عنها وأقام بمدينة غرناطة التي تلقى العلم بها، ثم رحل بعد ذلك للمشرق لتعميق معارفه وثقافته، وبعد عودته للأندلس، أدخل إليها من هاته البقاع علما غزيرا[361]. وقد أثنى عليه ابن الفرضي قائلا: " وكان مُتَصَرِّفاً في علم الإعراب والغريب، ورواية الشّعر، وحفظ الأخبار، وتأليف الكتب"[362].

هذا؛ وقد خصّ مطرّف بن عيسى الغساني مدينته إلبيرة بعناية خاصة في تآليفه، حيث تناول عدّة جوانب لها صلة تتعلق بها؛ فألّف: كتابا في فقهاء إلبيرة، وكتابا في شعراء إلبيرة، وكتابا في أنساب العرب النازلين في إلبيرة وأخبارهم[363]. وكل هذه التآليف تدخل ضمن كتابه السالف الذكر-المعارف في أخبار كورة إلبيرة وأهلها وبواديها وأقاليمها وغير ذلك من

358- **أحمد بن أبي طاهر (204-280هـــ/819-893م):** أحمد بن طيفور أبي طاهر الخراساني، أبو الفضل. مؤرخ من الكتاب البلغاء الرواة، أصله من مرو الروذ، ومولده ووفاته ببغداد. له: منها كتاب بغداد الذي صنّفه في أخبار الخلفاء وأيامهم. ينظر: الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي (تـــ463هـــ)، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدّثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها وواريها، مج5، حققه: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002، ص354، ترجمة: 2170. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص282، ترجمة: 94. الزركلي، الأعلام، ج1، ص141.

359- الضبي، بغية الملتمس، ص194، ترجمة: 331. الحميدي، جذوة المقتبس، ص168، ترجمة: 175.

360- **مُطَرِّف بن عيسى بن لَبيب بن محمد بن مُطَرِّف الغَسّاني:** مِن أَهْل إلبيرة، ومن ساكني غرنَاطَة؛ يُكَنَّى أبا القَاسِم. كان من أهل العلم والرواية للحديث، وطلب العلم بالأندلس، ثم رحل وحج واقتبس، وجلب علما كثيرا. ألّف كتاباً في فقهاء إلبيرة، وكتاباً في شُعَرائها، وولي أحكَام القضاء في موضعه، ثم عُزِل عنها. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص837، ترجمة: 1443. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج2، ص256، ترجمة: 1302. وقد جعل وفاته سنة 377هـــ.

361- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص837، ترجمة: 1443. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج2، ص256، ترجمة: 1302.

362- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص837، ترجمة: 1443.

363- المصدر نفسه، ص837، ترجمة: 1443. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج2، ص256، ترجمة: 1302.

منافعها–وبذلك فهو مؤلَّفٌ يمثل موسوعة تاريخية، تشمل تاريخ مدينة إلبيرة[364]، حَقّ فيه وصف ابن بشكوال حين قال عنه أنه "كتاب حَسنٌ مُمتع جدا"[365].

كتاب أخبار الأندلس: لإسحاق بن سلمة القيني، المكنى أبا عبد المجيد[366]؛ من أهل ريّة[367]. كان حافظا لأخبار الأندلس، مُعتنيا عالما بها، و لم يكن مِن طبقة أهل الحديث، حيث قصر اهتمامه على التاريخ وألّف فيه "كتاب أخبار الأندلس"، بأمرٍ مِن الحَكَم المستنصر[368].

وقد نقل عنه ابن حيان أخبار دولة القوط[369]، مما يدل على أن القيني تناول تاريخ الأندلس قبل دخول العرب الفاتحين إليها. كما أنّ له كتابا يشتمل على أجزاء كثيرة مِن أخبار ريّة من بلاد الأندلس، وحصونها وولاتها، وحروبها، وفقهائها، وشعرائها[370].

❖ **كتاب فقهاء مدينة باجة:** لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الباجي (ت350هـ/961م)[371]؛ مِن أهل باجة[372]. كان فصيحا بليغا، شاعرا حافظا للفقه والنحو،

364- يوسف أحمد بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص257-258.

365- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج2، ص256، ترجمة: 1302.

366- **إسحاق بن سلمة بن إسحاق القيني:** إخباري عالم، له كتاب يشتمل على أجزاء كثيرة في أخبار ريّة من بلاد الأندلس وحصونها وولاتها، وحروبها وفقهائها وشعرائها. ينظر: أبي عبد الله عسكر وأبي بكر بن خميس، أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق: عبد الله المرابط الترغي، بيروت: دار الغرب الإسلامي-الرباط: دار الأمان، ط1، 1999، ص17. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 145، ترجمة: 236. الحميدي، جذوة المقتبس، ص259، ترجمة: 310. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، ص116.

367- **ريّةُ:** بفتح أوّله، وتشديد ثانيه، كورة واسعة بالأندلس، متصلة بالجزيرة الخضراء؛ وهي قبلي قرطبة، كثيرة الخيرات. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، ص116.

368- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 145، ترجمة: 236. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، ص116. المقري، نفح الطيب، مج3، ص174. أبي عبد الله عسكر وأبي بكر بن خميس، أعلام مالقة، ص17.

369- ابن حيان، المقتبس، ج5، اعتنى بنشره: ب. شالميتا، ص ص274-278.

370- الحميدي، جذوة المقتبس، ص259، ترجمة: 310. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، ص116. المقري، نفح الطيب، مج3، ص174. أبي عبد الله عسكر وأبي بكر بن خميس، أعلام مالقة، ص17.

371- **إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن إسحاق:** بن عيسى بن أصْبَغ بن خالد بن يزيد الباجي؛ من أهل باجة، يكنّى أبا إسحاق. كان فصيحا بليغا، شاعرا حافظا للغة والنحو؛ فقيها. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص48، ترجمة: 33. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص162، ترجمة: 195. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص887، ترجمة: 358. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص423، ترجمة: 856. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص79. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص170، ترجمة: 34.

وكان صاحب الصلاة بها[373]. ذَكر له ابن الفرضي كتابا في فقهاء مدينة باجة، واعتمده في تاريخه[374].

❖ **كتاب في أخبار مدينة إشبيلية:** لمحمد بن عبد الله بن الأشعث القرشي[375]، مِن مدينة إشبيلية، التي كان مفتيا بها، وبها كان يعقد الوثائق كذلك. كان شيخا حافظا للأخبار، وله رواية عن مشايخ بلده[376]. أورد له ابن الفرضي كتابا في أخبار إشبيلية، وعوّل عليه ابن حيان في أخبارها[377].

ومما سبق ذكره، يتضح جليًّا أن دور الخلفاء الأمويين بالأندلس، كان مهما وكبيرا في الأَخْذ بِيَدِ العِلم والعلماء. فقد شجعوا مؤرخي الأندلس على التأليف والكتابة في تاريخ المدن، فلبّوا النداء، ودوّنوا وحبّروا المدونات التاريخية، التي بقيت شاهدة على عُلُوِّ كعبهم خلال فترات زمنية مديدة. إلا أنه وللأسف الشديد، فإن أغلب هاته المؤلفات ضاع فيما ضاع من تراث الأندلس، اللّهم إلا بعض الشذرات المتفرقات، المبثوثة في بطون المصادر التي وصلتنا إلى حدّ الآن.

3/-كتابة تاريخ الأندلس شعرا:

في إطار الحديث عن اتجاهات الكتابة التاريخية بالأندلس، ظهر اتجاه آخر رَامَ مِن نَظْمِ الشعر؛ كتابةَ وتدوين الأحداث التاريخية. حيث أسهم بعضٌ مِن شعراء هاته البلاد، في نَظْمِ قصائد تاريخية عُرِفت بالأراجيز أو بالقَصص الشعري، وهي طريقة تم استحدثها مِن طرفهم، لتمجيد أمرائهم وذكر بطولاتهم[378].

372- **باجة:** في إفريقية؛ وفي الأندلس وفي الصين. فأما باجة الأندلس-وهي المقصود هاهنا-فهي مِن أقدم مدائن الأندلس، بنيت في أيام الأقاصرة؛ بينها وبين قرطبة مائة فرسخ. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص75.

373- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص48، ترجمة: 33.

374- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص937، في ترجمة يوسُف بن عمّار بن قرة رقم: 1620.

375- **محمد بن عبد الله بن الأشعث القرشي:** من أهل إشبيلية؛ يكَنّى أبا عبد الله. كان شيخا حافظا للأخبار، وله رواية عن مشايخ بلده. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص703، ترجمة: 1226. الحميدي، جذوة المقتبس، ص110، ترجمة: 85. الضبي، بغية الملتمس، ص121، ترجمة: 166.

376- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص703، ترجمة: 1226.

377- ابن حيان، المقتبس، السِّفر الثاني، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه: محمود علي مكي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2003، ص ص455-463.

378- ربوح، مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية ما بين القرن 3-4هـ/9-10م، ص ص555-557.

وقد جعَلوا مِن أحداث التاريخ مادة ثرية لمنظوماتهم الشعرية، والتي جاءت ممزوجة بين الحدث التاريخي، والوصف، والمدح. فكانت أفعال الخلفاء مصدر إلهام كبير لهم، ومادة خَبرية مهمة في هذا الباب[379]. وكان لهذا النوع من الأشعار وظيفة أساسية، تمثّلت في تقديم مناقب الأمراء للرعية وإشعارهم بها، وكذا تعظيم تاريخ بلادهم في قلوبهم[380]. وإضافة إلى ذلك؛ سجّل الأندلسيون تاريخ سقوط مدنهم، ضمن ملاحم شعرية مُلهمة، أبانوا فيها عن علو كعبٍ في التأريخ لبلادهم شعرا[381].

ومن حُسن الطالع، أن بلاد الأندلس ظفرت بشعراء من طراز عالٍ، عرّفوا بها أحسن تعريف، وبيّنوا محاسنها أحسن البيان، ونظموا فيها الأشعار الحِسان، حتى عَرّفوها للقادم قبل دخوله لها، وللمُنْكِرِ لفَضْلِها أقاموا الحجة والبيان.

نماذج من كُتب تاريخ الأندلس شعرا:

ومن الشعراء الذين جادت المصادر وكتب الإخباريين، بذكر أسمائهم وإسهاماتهم نذكر:

❖ **يحي بن حكم الغَزَال(ت250هـ/864م)**[382]: عاصر كُلًّا من الأمير عبد الرحمن الداخل (ت172هـ/788م)، وابنه هشام (ت180هـ/796م)، والحَكَم بن هشام (ت206هـ/821م)، وعبد الرحمن بن الحَكم[383]، ثم محمد بن عبد الرحمن(ت273هـ/886م) وهو ابن الأخير. ولقد

379- يوسف أحمد بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص345.

380- ربوح، مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية ما بين القرن 3-4هـ/9-10م، ص557.

381- ربوح، الكتابة التاريخية في الأندلس ما بين القرن 4-5هـ /10-11م، ص ص38-39.

382- **يحي بن حكم الغزَال (156-250هـ/772-864م):** البكري الجياني، الملقب بالغزال-بتخفيف الزاي- لجماله؛ شاعر أندلسي مشهور، له ديوان شعر. ينظر: ديوان يحي بن حكم الغزال، جمعه وحققه وشرحه: محمد رضوان الداية، بيروت-دمشق: دار الفكر العربي، ط1، 1993، ص ص5-24 من مقدمة التحقيق. ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص133. ابن حيان، المقتبس، السِّفر الثاني (محمود علي مكي، مركز الملك فيصل)، ص ص243-262. الضبي، بغية الملتمس، ص673، ترجمة: 1472. الحميدي، جذوة المقتبس، ص597، ترجمة: 888. ابن سعيد المغربي، المُغرب، ج2، ص57، ترجمة: 375. ابن حجر، تبصير المنتبه، ص1042. ابن ماكولا، الإكمال، ج7، ص22. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص1286، ترجمة: 590. المقري، نفح الطيب، مج2، ص254. كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص151.

383- **عبد الرحمن بن الحَكم بن هشام:** من أمراء بني أمية بالأندلس، نُصّب أميرا سنة 206هـ؛ كان وادعا محمود السيرة؛ توفي في صفر 238هـ. ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ص75-85. الحميدي، جذوة المقتبس،

طبقت شهرته الآفاق، إذ كان شاعرا مشهورا؛ وصفه ابن حيان في المقتبس، قائلا: "وكان ممّن نَـجَمَ في دولة الأمير الحَكَم مِنَ الحكماء، الشعراء الدُّهاة، العلماء، يحي الغزال حكيم الأندلس، وشاعرها، وعرّافها"[384]. ويضيف ابن حيان متحدّثا عن شعره قائلا: "وكان مقتدرا على الشّعر سَلِسَ الطّبع فيه، يصرّفه في ضروب الشّعر بحلاوة لفظ، وملاحة معنى، وغُزْرِ مادةٍ"[385]. وليحي بن حكم الغزال ديوان شعر جمعه حبيب ابن أحمد الشطجيري[386]، ورتّبه على حروف المعجم[387].

ويعتبر الغَزَال، أوَّلَ شاعر سنّ أسلوب كتابة تاريخ الأندلس شعرا، ضمن نطاق الكتابة التاريخية الرِّحْب، حيث كان فاتحةً لهذه الطريقة أو النهج، وهو الأمر الذي أكّده المقّري نقلا عن ابن حيّان في قوله: "قال ابن حيان: وليحيى بن حكم الشاعر المعروف بالغزال في فتح الأندلس، أرجوزة حسنة مطولة ذكر فيها السبب في غزوها نظماً، وتفصيل الوقائع بين المسلمين وأهلها، وعداد الأمراء عليها وأسماءهم، فأجاد وتقصّى"[388]. وإلى حدود أيام ابن حيان(تـــ469هـــ)؛ كانت هاته الأرجوزة الخاصة بفتح الأندلس، متداولة معروفة عند عامة

ص39. ابن الخطيب، الإحاطة، ج6، ص269. المقري، نفح الطيب، مج5، ص15. عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص ص183-204.

384- ابن حيان، المقتبس، السِّفر الثاني (محمود علي مكي، مركز الملك فيصل)، ص243؛ والنص نقله المقري حرفيا. ينظر: نفح الطيب، مج2، ص254. وقد اعتمد كل من ترجم للغزال -في حدود ما اطّلعنا عليه-على نقول المقّري، وبعد تقصٍّ وبحث استطعنا إسناد أغلب الروايات إلى مصدرها الأصلي؛ المقتبس لابن حيان. بينما نقلنا بعضها عن المقري، وذلك لأنها قد تكون مبثوثة في الأسفار المفقودة من كتاب المقتبس لابن حيان.

385- ابن حيان، المقتبس، السِّفر الثاني (محمود علي مكي، مركز الملك فيصل)، ص245.

386- **حبيب بن أحمد الشطجيري (توفي قريبا من 430هـــ/1038م):** حبيب بن أحمد بن محمد بن نصر بن غره سان، مولى الإمام هشام بن عبد الرحمن بن معاوية؛ المعروف بالشطجيري؛ يكنّى أبا عبد الله. شاعر أديب، من أهل قرطبة، أدرك أيام الحَكَم المستنصر، وبلغ سناً عالية. وهو الذي جمع ديوان يحيى بن حكم الغزال، ورتبه على الحروف. ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص339، ترجمة:676. الحميدي، جذوة المقتبس، ص310، ترجمة: 393. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص181، ترجمة: 328. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج9، ص73، ترجمة: 132. وقد وردت عنده بالشطحيري؛ بالحاء المهملة المجودة بخطّ المؤلّف.

387- الضبي، بغية الملتمس، ص674. الحميدي، جذوة المقتبس، ص598. وقد أورد له هذا الأخير بعض المقطوعات الشعرية، راجع على سبيل المثال: ص ص246-250.

388- المقري، نفح الطيب، مج1، ص282.

الناس؛ يُستَشَفُّ ذلك مما أورده المقّري، نقلا عن ابن حيّان شاهد العيان قائلا: "وهي بأيدي الناس موجودة"[389].

وللأسف؛ فإن هاته الأرجوزة مفقودة إلى حدّ الآن، إذْ لم يصلنا منها إلا بعض المقطوعات الشعرية، التي جادت بحفظها المدونات التاريخية[390]، ومنها ما نقله ابن حيان في المقتبس عمّن سبقه، مِن مجموعة شعرية لها علاقة بالأحداث التي مرت بها الأندلس[391]، أو تلك التي تُصَوِّرُ بعض الشخصيات الأندلسية مِن أمثال نصر الخصي[392]، وزرياب المغنّي[393]، وغيرهم ممّن تكلّم الغزال وطَعن في سيرتهم[394].

وقد استنتج بروكلمن (Carl Brockelmann)، بأن الغزال قد نَظَمَ أرجوزته عندما حطّ النورمان في بلدة شنت يعقوب[395]، حيث أقام شهرين عائدا مِن سفارته إلى بلاد النورمان[396].

389- المقري، نفح الطيب، مج1، ص282.

390- ديوان يحي بن حكم الغزال بتحقيق رضوان الداية. ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص133. ابن حيان، المقتبس، السِّفر الثاني (محمود علي مكي، مركز الملك فيصل)، ص ص243-262. الضبي، بغية الملتمس، ص673، ترجمة: 1472. الحميدي، جذوة المقتبس، ص597، ترجمة: 888. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص57، ترجمة: 375. المقري، نفح الطيب، مج2، ص ص254-257.

391- أحمد بن عبد الرحمن الوزران، التدوين التاريخي في الأندلس، ص151.

392- **نصر الخصي (تـ236هـ/850م):** أبو الفتح نصر بن أبي الشمول، علت منزلته عند عبد الرحمن بن الحَكَم، حتى أصبح يتصرف باسمه في أمور الدولة. وقد عهد إليه بقيادة الجيوش التي دحرت المجوس الظاهرة، بسواحل غرب الأندلس سنة236هـ. ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص49.

393- **زرياب المغني (تـ238هـ/852م):** أبو الحسن علي بن نافع، الملقب بزرياب، مولى المهدي العباسي؛ نابغة الموسيقى في زمنه. قدم إلى الأندلس سنة 206هـ/821م، فقربه الأمير عبد الرحمن بن الحَكَم إليه. وقد أدخل إلى الأندلس جملة من التقاليد المشرقية العراقية، ومنها صناعة الغناء. ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ص84-85. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص51. المقري، نفح الطيب، مج1، ص344 وَج3، ص122. الزركلي، الأعلام، ج5، ص28.

394- حول أخبار نصر الخصي وزرياب المغني وموقف الغزال منهما؛ ينظر: ابن حيان، المقتبس مِن أنباء أهل الأندلس، حققه وقدم له وعلق عليه: محمود علي مكي، القاهرة: لجنة إحياء التراث، 1994، ص ص149-156.

395- شنت يعقوب أو شنت ياقب (Santiago de Campostela): بلدة كانت قاعدة مملكة جليقية؛ وهي قديمًا وحديثًا مدينة إسبانيا المقدسة، يحج إليها الأحامس الكاثوليكيون من جميع إسبانيا والبلدان المجاورة. لتفاصيل وافية ينظر: الأمير شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج2، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص ص61-67.

396- عن هذه السفارة ينظر: محمد صالح البنداق، يحي بن الحكم الغزال أمير شعراء الأندلس في القرن الثالث الهجري وسفير أمير الأندلس لدى أمبراطور القسطنطينية وملك النورمان 150-250هـ/770-864، قدّم له: إحسان عباس،

وبهذا يكون بروكلمن (Carl Brockelmann) قد حدّد لنا تاريخ نظمها، وجعله حوالي 230هـ/844م، وهو التاريخ الذي وافقه فيه كثير من الباحثين، ومالوا إلى اعتماده[397].

وتسوق لنا المدونات التاريخية وكتب الإخباريين، ما مفادُه أن يحي بن حكم الغزال كان سبّاقا في مضمار نظم الوقائع التاريخية شعرًا بالأندلس، إذْ لم يسبقه إليها أحد. وفي هذا كتب أحد الباحثين، أنّ الغزال بنَظْمِه التاريخ الأندلسي في أرجوزة شعرية، يُعدّ "مِن أوائل مَنِ اتّخذَ وقائعَ التاريخ موضوعا للنَّظْمِ، إنْ لم يكن أولهم جميعا. فهو أسبق في ذلك مِن الشاعر العباسي ابن المعتز[398]، وأسبق من ابن عبد رَبِّه صاحب العقد الفريد"[399]. وبذلك يكون هذا النوع من الأراجيز التي استحدثها الغزال، مَظْهرا مِن مظاهر التجديد الإبداعي والابتكاري الأصيل بالأندلس[400].

وقد اتّسم شعر الغزال بالواقعية –المثالية أحيانا–خاصة أثناء استرساله بالنقد الاجتماعي اللاذع الذي يخرج أحيانا عن حدود اللّباقة. وإذْ لا غرابة في ذلك، فهو غالبا ما يعبر عن موقفٍ، أو يصوّرُ جانبا من جوانب الحياة، مع شيء من التحليل والتعليل والمناقشة المرتبطة

بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط1، 1979، ص ص93-100. كارل بروكلمن، تاريخ الأدب العربي، ج2، ص104. كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص151. **والنورمان:** سُـمّـيوا كذلك؛ لأنهم كانوا يوقدون النار كثيرا. وسماهم المسلمون كذلك بالمجوس: لأنهم كانوا باقين وقتها على دين الوثنية. ينظر: ديوان الغزال بتحقيق رضوان الداية، ص16 من مقدمة التحقيق. ورحلة الغزال هاته؛ ذكرها المقري في نفحه، وابن دحية في المطرب، وقد كانت هي معتمد بروكلمن في حديثه عن الأرجوزة. ينظر: المقري، نفح الطيب، مج2، ص257. ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص139.

397- كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص151. ديوان الغزال بتحقيق رضوان الداية، ص16 من مقدمة التحقيق. البنداق، يحي بن الحكم الغزال، ص27. وقد أخطأ يوسف أحمد بني ياسين، وجعله سنة 220هـ/835م. ينظر: علم التاريخ في الأندلس، ص346.

398- **ابن المعتز:** أديب وشاعر عباسي؛ كنيته أبو العباس، ولد في بغداد 247هـ/861م. يسمى خليفة يوم وليلة، حيث آلت إليه الخلافة العباسية، ولقب بالمرتضي بالله، و لم يلبث يوما واحدا حتى هجم عليه غلمان المقتدر بالله وقتلوه في عام 296هـ/909م. ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج4، القاهرة: دار المعارف، ط11، ص ص324-333.

399- محمد خليفة التونسي: "**الشاعر الأندلسي الغزال**"، العربي، مجلة تصدر بدولة الكويت، ع212، 1يوليو 1976، ص133.

400- محمد صالح البنداق، يحي بن الحكم الغزال، ص28. يوسف أحمد بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص346.

بالواقع المعيش. وبذلك لم يكن الشعرُ عنده صناعةً، بقَدْرِ ما كان هادفا يروم من خلاله مقاصده الإصلاحية، وبكل حيوية وحرية إذا جاز التعبير[401].

❖ **تمام بن عامر بن أحمد بن علقمة الثقفي(194-283هـ/810-896م)**[402]: كان أديبا وشاعرا غزيرَ القول، إخباريا رَاوِيةً لأخبار الأندلس القديمة[403]. له أرجوزة مشهورة في ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولاتها والخلفاء فيها، وَوَصْفِ حروبها، من وقت دخول طارق بن زياد مُفْتَتِحِها، إلى آخرِ أيام الأمير عبد الرحمن بن الحَكَم[404]؛ وقد نَظمَها في أيام هذا الأخير سنة 229هـ/843م، قال عنها ابن حيان: إنها "أرجوزة حسنة، تشتمل على كتاب ضخم"[405]. كما أنه ولي خطة الوزارة في عهد ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحَكَم، فصارت لديه أثرة، وله مجالسة[406].

ولا تزال هذه الأرجوزة في عِداد المفقود كذلك من التراث الأندلسي، إلا بعضًا مِنَ الاقتباسات عنها، والتي ساقها لنا الإخباريون وأصحاب المصادر، أمثال عبد الملك بن حبيب (ت238هـ/852م)، والذي أفاد منها ونَثَرها، وعرض أحداثها بأسلوب المؤرخ العالم[407].

كما أفاد منها كذلك؛ مَن دوّن أخبار افتتاح الأندلس نقلا عن ابن القوطية، عندما ذَكَر خَبَر سارة القوطية. والخبر في أصله نقله ابن القوطية عن أرجوزة تمام بن علقمة، يُستشفّ ذلك

401- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، ص ص165-169. أحمد بن عبد الرحمن الوزران، التدوين التاريخي في الأندلس، ص152. ديوان الغزال بتحقيق رضوان الداية، ص19 من مقدمة التحقيق.

402- **أبو غالب تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة:** مولى عبد الرحمن بن الحكم الثقفي؛ وأم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية بن أبي سفيان. وهو من بيت وزارة متقدمة في الدولة المروانية، عمّر طويلاً وعاش أكثر من تسعين عاما، انتظمت له خلالها وزارته لثلاثة من الخلفاء، ولمع نجمه في إمارة محمد بن عبد الرحمن حينما ولي وزارته، وصارت له لديه أثرة، وله مجالسة. كما أنه استوزر كذلك زمن إمارة ولده المنذر، وأخيه عبد الله؛ حيث عزله هذا الأخير في مستهل إمارته؛ توفي سنة 284هـ/896م. ينظر: ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص179، وص ص544-545 في التعليق رقم: 351. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص143، ترجمة: 53. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص113، في ترجمة الأمير المنذر بن محمد. الزركلي، الأعلام، ج2، ص86.

403- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص179، وص ص544-545 في التعليق رقم: 351. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص143، ترجمة: 53.

404- المصدر نفسه، ج1، ص143، ترجمة: 53.

405- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص ص179-180.

406- المصدر نفسه، ص179.

407- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص21 من مقدمة التحقيق.

من قول ابن القوطية "وهذا الخَبر في كتاب عبد الملك بن حبيب في فتح الأندلس، في أرجوزة تمام بن علقمة الوزير أو أكثره"[408].

وعليه؛ فإن تمام بن علقمة الوزير بأرجوزته الشعرية المذكورة، كان محاكيا لأرجوزة الغزال كثيرا، من حيث التوافق بينهما في المادة الشعرية، فقد تناول كلاهما موضوع فتح الأندلس وأحداثها الأولى، وَوَصْفِ حروبها، فَضْلاً عن معاصرتِـــهما لبعضهما، وخدمتهما جنبا إلى جنب في بلاط الأمير محمد ابن عبد الرحمن بن الحَكَم، إِذْ كانا من كبار رجال الدولة على عهده[409].

كما أن الأهمية الكبرى، لأرجوزتي الغزال وابن علقمة، تكمن في كونهما نِتاجا أدبيا وتاريخيا، أتى في وقت متقدم مِن تاريخ الأندلس خلال ق03هـــ/09م.

❖ **أحمد بن محمد بن عبد ربّه (تـــ328هـــ/939م)**[410]: بن حبيب بن حدير بن سالم مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان؛ أبو عمر. مِن أَهْل العلم والأدب والشِّعر، وله الكتاب الكبير المسمى كتاب العقد الفريد في الأخبار. حلاّه الحميدي

408- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص32.

409- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص165.

410- **عن مظان راجع ترجمته ينظر:** ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص87، ترجمة: 117. الحميدي، جذوة المقتبس، ص164، ترجمة: 172. الثعالبي، يتيمة الدهر، ج2، ص85. الضبي، بغية الملتمس، ص191، ترجمة: 328. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص109، ترجمة: 310. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص463، ترجمة: 159. ابن خلكان، وفيان الأعيان، ج1، 110، ترجمة: 46. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص544، ترجمة: 370. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص283، ترجمة: 126. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص8، ترجمة: 1071. اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص222. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: إبراهيم الزيبق، ص137. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص371، ترجمة: 727. ابن العماد، شذرات الذهب، مج4، ص146. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص270. ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص151. الحرضي اليماني يحي بن أبي بكر بن محمد بن يحي بن حسين العامري (816-893هـــ)، غربال الزمان في وفيات الأعيان، صححه وعلّق عليه: محمد ناجي زعبي العمر، إشراف: عبد الرحمن بن يحي الإرياني، دمشق: مطبعة زيد بن ثابت، 1985، ص287. ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم (تـــ668هـــ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص489. الزركلي، الأعلام، ج1، ص207. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات الأندلس، ج8، ص188. بوخاري عمر، محاضرات في مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، ص ص23-24. بويكا، المصادر التاريخية العربية، ص ص93-95.

قائلا: "وكان لأبي عمر بالعلم جلالة، وبالأدب رياسة وشهرة، مع ديانته وصيانته"[411]. وقال عنه المقري: إنه ساد "بالعلم وَرَأَسَ، واقتبس به من الحظوة ما اقتبس، وشهر بالأندلس حتى سار إلى المشرق ذكره"[412].

ألّف ابن عبد ربّه أرجوزة تاريخية، اقتصر فيها على غزوات الأمير عبد الرحمن الناصر (حكم بين 300-350هـ/912-961م) وتأريخها، وانتصاراته بها، حيث يقول عنها في كتابه العقد الفريد حين ترجمته لعبد الرحمن الناصر: "الأرجوزة التي نَظَمْتُها في مغازيه كلّها من سنة إحدى وثلاثمائة إلى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وأوقفناها"[413].

هذا؛ ويعتبر توقّف ابن عبد ربه في أرجوزته عند هاته السنة (322هـ/933م) غير مُبرَّر، خاصة إذا أخذنا في الحسبان أنه توفي بعد ست سنوات مِن نظمها، وحُكم الناصر كان لا زال قائما[414]. وعلى ما يبدو؛ فإنه يكون قد أنهاها عند هذا التاريخ بالضبط، لأنه ربما لم يكن يريد أن يسجّل خذلان الناصر، خاصة بعد انهزام الأخير في غزوة الخندق سنة 327هـ/938م[415].

نَظَم ابن عبد ربه أرجوزته التي بلغ عدد أبياتها 441بيتا[416]، على ترتيب السنين أو على النهج الحولي. وجاءت في مجملها سهلة الألفاظ، حيث اختار لها هذا الوزن متعمِّدا، حتى يسهل حفظها وتداولها، يستشف ذلك من قوله: "وجعلتها رجزا، لخفّة الرجز، وسهولة حفظه وروايته"[417].

411- الحميدي، جذوة المقتبس، ص164، ترجمة: 172.

412- المقري، نفح الطيب، مج7، ص50.

413- ابن عبد ربه الأندلسي أبو عمر شهاب الدين(تـ328هـ)، العقد الفريد، ج5، تحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983، ص241.

414- جبرائيل سليمان جبور، ابن عبد ربه وعقده، رسالة قدمت إلى دائرة الدروس العربية في كلية العلوم والآداب بجامعة بيروت الأمريكية لنيل شهادة أستاذ في العلوم، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1933، ص71. ديوان ابن عبد ربه الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره، حققه وشرحه: محمد التونجي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1993، ص33.

415- يوسف أحمد بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص348. وعن معركة الخندق راجع: عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص ص343-346.

416- التونجي، ديوان ابن عبد ربه الأندلسي، ص33. يوسف أحمد بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص348.

417- المراجع والصفحات نفسها.

وإضافة إلى هاته الأرجوزة؛ ألّف ابن عبد ربّه كُتُبًا في التاريخ، منها العقد الفريد، وكتاب التاريخ السياسي للأندلس[418].

وخلاصة القول، فقد ظهر العديد من الشعراء في الأندلس، اهتموا بنَظم الشعر لغرض التأريخ، أو كتابة التأريخ شعرا. وقد اقتصرنا على نماذج فقط مِن هؤلاء الشعراء، وذلك لاعتبار مهم، ألا وهو سَبْقُهم في هذا المضمار، حيث كانوا مِن أوائل مَنِ استحدث هذا النوع من الكتابة التاريخية -كتابة التاريخ شعرا-وذلك خلال ق03-04هـ/09-10م.

4/-كتابة الأنساب في الأندلس:

مفهوم علم الأنساب:

لغة: النَّسَبُ؛ نَسَبُ القَرابات، وَهُوَ واحدُ الأَنْساب، ويُقصد به القَرابةُ، وَقِيلَ: هُوَ فِي الْآبَاءِ خاصَّةً. وَقِيلَ: النِّسْبَةُ مصدرُ الانْتِسابِ؛ والنُّسْبَةُ: الاسمُ، ونَسَب الإنسان أصله[419].

اصطلاحا: هو علم يُتَعرّفُ من خلاله على أنساب الناس، وقواعده الكلية والجزئية. وهو عِلْم عظيم النفع، جليل القدر[420]، حثّ رسول الله ﷺعلى تعلّمه[421]. وقد أشار إليه سبحانه وتعالى في كتابه العزيز؛ إذ قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[422].

وقد عُرِف عن العرب اهتمامهم بعلم الأنساب قبل الإسلام، إذ أولوه أهمية كبيرة، وزادت هاته الأهمية والاهتمام بعد مجيء الإسلام. هذا الأخير وإن كان قد قاوم العصبية القبلية ونَبَذَها، واعتبر أن كلّ عصبية جاهليةٌ، إذ العصبيةُ شيءٌ، ومعرفة الأنساب شيء آخر تماما[423].

وأما كُتُب الأنساب: فيُراد بها الكتب التي تجمع تراجمَ وسِيَرَ أشراف العرب، حسب أنسابهم. وقد وَجَدَت الكتابة في الأنساب مجالا رِحْبا وخَصبا بالأندلس، خاصة بعد دخول

418- بوخاري عمر، محاضرات في مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، ص ص23-24. بويكا، المصادر التاريخية العربية، ص ص93-95.

419- ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص755، مادة: نسب.

420- السمعاني، الأنساب، ج1، ص ص02-03. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص178.

421- السمعاني، الأنساب، ج1، ص05. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص178.

422- الحجرات، الآية: 13.

423- الصميدعي، الحياة العامة في الأندلس، ص285.

الكثير من القبائل العربية إلى هاته البلاد المفتوحة، ثم اختلاطها واحتمال ضياع أنسابها، فكانت الضرورة مُلحّة لكتابة أنسابهم[424].

وبعد إعلان الخلافة في الأندلس (316هـ/928م)، زاد انتشار كتابة الأنساب بشكل لافت، بسب تأييد وتشجيع خلفاء بني أمية لمؤلفات الأنساب، وذلك لِـمَا كان يُرتَجى منها لتحقيق استقرار وتوثيق الأنساب.

وفي هذا الإطار، توجّه عدد من مؤرخي الأندلس للتأليف والكتابة في هذا الفنّ، وقد قيل: بأن الحَكَمَ المستنصر ألّف شخصيا في الأنساب، حيث عُرف عنه اعتناؤه بكتابة نسب المؤلف ومولده وتاريخ وفاته، وقد سجّل بذلك كثيرا مِن أنساب أهل بلاده، وكان ثقة فيما ينقله[425]. ومما يؤيّد ويؤكّد ذلك، هو أن الحكم المستنصر كان مِن أهم مصادر أشهر المؤرخين الأندلسيين ومعتمدهم، خلال هذه الفترة، ومنهم عيسى الرازي وغيره.

ولم يكن الاهتمام بكتابة الأنساب في الأندلس من اختصاص الحُكّام فقط، بل عَرَفَ اهتماما وحظوة كبيرة مِن لدن مؤرخي الأندلس. وفي هذا الصدد؛ وكتتويج لهذا الاهتمام، ظهرت مجموعة من المؤلفات ألقت بظلالها على الحياة العلمية بالأندلس.

نماذج من كتب الأنساب في الأندلس: ظهرت بواكير المؤلفات الضخمة حول الأنساب في بلاد الأندلس خلال النصف الأول من ق04هـ/10م، وأسهمت إسهاما حثيثا في توجيه الكتابة التاريخية، توجيها ينمّ عن أهمية هذا الفن في الكتابة التاريخية بالأندلس ككل، ومن هذه المؤلفات، نورد البعض منها باعتبار السّبْق، ونذكرها على سبيل المثال لا الحصر:

❖ **كتاب الأنساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم:** تأليف عبد الله الحُكيّم (ت341هـ/953م)[426]. وهذا الكتاب كان هدية منه للخليفة الأموية بالأندلس عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله سنة 330هـ/941م. وقد ذَكر فيه الخلفاء ومَنْ تنسّل منهم بالأندلس، وقريش ومواليهم، وأهل الخدمة والتصرف، ومشاهير العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق في غير قريش، ومشاهير قبائل البربر الذين دخلوا الأندلس[427].

424- ربوح، الكتابة التاريخية في الأندلس ما بين القرن 4-5هـ/10-11م، ص38.

425- بويكا، المصادر التاريخية العربية، ص90.

426- راجع ترجمته في ص58 من هذا الفصل.

427- لتفاصيل كافية عن هذ الكتاب راجع: ص58 من هذا الفصل.

❖ **كتاب في الأنساب:** لقاسم بن أصبغ القرطبي (ت340هـ/951م)[428]، قال عنه ابن حزم والحميدي: إنه كتاب "في غاية الحسن والإيعاب والإيجاز"[429]، وقال عنه الذهبي: "بديعُ الحُسن"[430].

❖ **الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس**[431]: لأحمد بن محمد الرازي (ت344هـ/955م) [432]؛ وهو عبارة عن موسوعة ضخمة في أنساب العرب بالأندلس، يقع في خمس مجلدات كبيرة. قال عنه المقري: إنه "أحسن كتاب في الأنساب وأوسعها"[433].

❖ **التاج السني في نسب آل علي:** لمعاوية بن هشام الشبانسي (توفي بعد 350هـ/961م)[434]، وهو كتاب في نسب العلوية وغيرهم من قريش. حدّث فيه عن بعض فقهاء وعلماء طليطلة[435]، وقد استنتج بعض الباحثين، أن هذا الكتاب يحتوي على أخبار الشيعة في المغرب والأندلس[436].

❖ ولأبي الفرج الأصبهاني(356هـ/966م)[437]؛ كتاب في **أنساب قومه بني أمية:** أثنى عليه ابن الأبار في الحلّة السيراء؛ وقال: إنّ أنسابهم جاءت فيه "موشحة بمناقبهم وأسماء رجالهم،

428- راجع ترجمته في الهامش: 162 من هذا الفصل.

429- رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2، ص184. الحميدي، جذوة المقتبس، ص526، ترجمة: 769.

430- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص473.

431- ورد ذكره في المصادر التالية: ابن حزم، الرسائل، ج2، ص184. عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص104. المقري، نفح الطيب، مج3، ص173. موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص5059.

432- تقدمت ترجمته في ص ص92-98 من هذا الفصل.

433- المقري، نفح الطيب، مج3، ص174.

434- تقدمت ترجمته في الهامش: 340 من هذا الفصل.

435- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص183، ترجمة: 474. بويكا، المصادر التاريخية العربية، ص90. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص227.

436- محمد إبراهيم زغروت: "**مكتبة الأمويين الإسلامية في قرطبة وتأثيرها الفكري في شعوب غرب أوربا**"، مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، العربية السعودية، مج17، ص347.

437- **أبو الفرج الأصبهاني:** علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني الأموي؛ كان عالما بأيام الناس والأنساب والسير، وكان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس، والشعر والغناء والمحاضرات. من تآليفه: كتاب الأغاني. ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص107. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص202. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص1707-1723، ترجمة: 746. القِفطي، إنباه الرواة، ج2، ص ص251-255، ترجمة: 452. ابن خلكان، وفيات

فأحسن فيه جدا، وخلّد لهم مجدا، وأرسل به إلى قرطبة وأنفذ معه قصيدة حسنة من شعره، وكان مُحسنا يمدحه بها[438]، ويذكر مجد قومه بني أمية وفخرهم على سائر قريش"[439].

❖ **وللأصبهاني كذلك**[440]؛ كتاب **نسب بني عبد شمس**، وكتاب **أيام العرب** فيه ألف وسبعمائة يوم، وكتاب **التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومطالبها**، وكتاب **نسب بني كلاب**، وقد كانت هذه المؤلفات، هي مُعتمَد المؤرخين القدامى والمحدثين[441]. وكُتُبه في الأنساب، نقل عنها البكري وكانت مُعتمدَه؛ يستشف ذلك من قوله: "هكذا نقلتُه من كتاب النّسب للأصبهاني، نُسْخَتُه التي بعث بها إلى الخليفة الحكم[442] رحمه الله"[443].

❖ **كتاب في أنساب العرب النازلين في إلبيرة وأخبارهم**[444]: لمؤلّفه مطرّف بن عيسى الغساني (تـــ357هـــ/967م)[445]. حيث خصّ مطرّف هذا؛ مدينته إلبيرة بعناية خاصة في تآليفه، وتناول عدّة جوانب لها صلة تتعلق بها، ومنها كتابه المذكور في أنسابها وأنساب العرب النازلين فيها.

الأعيان، ج3، ص ص307-309، ترجمة: 440. الذهبي، ميزان الاعتدال، ج3، ص123، ترجمة: 5825. الهجراني، قلادة النحر، ج3، ص158، ترجمة: 1603. برهان الدين الحلبي الشافعي أبو الوفا الشافعي سبط ابن العجمي(تـــ841هـــ)، الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط، دراسة وتحقيق وزيادات في التراجم: علاء الدين علي رضا، وسمى تحقيقه: نهاية الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط، القاهرة: دار الحديث، ط1، 1988، ص262، ترجمة: 75. الزركلي، الأعلام، ج4، ص278.

438- يقصد الأمير الحكم المستنصر. ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص200.

439- المصدر نفسه، ج1، ص202.

440- ذكرها المصادر التالية: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص1708-1709، ترجمة: 746. القفطي، إنباه الرواة، ج2، ص252. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص308. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج21، ص19.

441- يوسف أحمد بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص92-93.

442- يقصد الأمير الحكم المستنصر.

443- البكري الأندلسي أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (تـــ487هـــ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، القاهرة: عالم الكتب، ط3، ص1310.

444- ذكره كل من: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص837، ترجمة: 1443. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج2، ص256، ترجمة: 1302.

445- تقدمت ترجمته في الهامش: 360 من هذا الفصل.

وخلاصة القول: فإن علم الأنساب بالأندلس قد سجّل حضورا مُهمًّا وقويا، وكَثُرَ التأليف فيه. إلا أننا اقتصرنا في هاته الجزئية فقط؛ على ما أُلِّفَ مِن كتب النّسب السبّاقة في هذا الإطار بالأندلس خلال ق03-04هـ/09-10م.

5/-كتابة التراجم في الأندلس:

كُتُبُ التراجم، هي الكتب التي تتناول حياة وسِيَر الأعلام، خلال الحقب التاريخية المختلفة. وتبحث كتب التراجم في تاريخ الأعلام الذين بصموا بآثارهم المتنوعة في تاريخ البشرية، وتتناول جميع مناحي حياة الناس؛ كالأنبياء، والخلفاء، والملوك، والأمراء، والقادة والعلماء (الفقهاء والأدباء، والفلاسفة والأطباء وغيرهم).

إنّ علم التراجم، فنٌّ عزيز لا يُتْقِنُه إلا صاحب مَلَكة وهمّة عالية، إذِ الغرض منه ذِكْرُ ما له علاقة بالحياة الشخصية للأعلام التاريخية وغيرها، وكذا مواقفهم وأثرهم وتأثيرهم على جميع مناحي الحياة، كلٌّ في تخصصه.

وعلم التراجم على العموم؛ هو فرع تابع لعلم التاريخ، أو اتّجاه من اتجاهات الكتابة التاريخية. وقد كان له مجال واسع رِحْبٌ، في حقل الكتابة التاريخية بالأندلس (ق04-09هـ/10-15م)، والتي برز فيها العديد من المؤرخين وأصحاب التراجم، الذين صنّفوا وكتبوا تآليف كثيرة في هذا العِلم، بقيت شاهدة على رُقيّ وتقدمه ببلاد الأندلس خلال الفترة المذكورة، وبقي صامدا على مرّ فترات زمنية لاحقة[446]، وهو ما سيأتي بيانه في الفصول اللاحقة من الأطروحة.

وفي نهاية هذا الفصل نَخلص إلى ما يلي:

لقد كان لدور الأمراء الأندلسيين الحاسم والفاعل، دور كبير في دعم ورعاية الحياة العلمية ببلاد الفردوس المفقود، حيث شجّعوا العلماء بمختلف أطيافهم، على البحث والدّرس، خاصة خلال القرن 03هـ/09م الذي يُعتبر بحقّ فاتحة للمحاولات الأولى أو الروايات المبكّرة في تاريخ الأندلس.

ولقد امتدّ تأثير هذا الفعل الحضاري الذي سنّه الأمراء الأندلسيون، وغذّوه ورعوه غايةً، وبقي الحال على هاته السُّنّة الطيّبة بتشجيع العلم والعلماء، إلى بزوغ فجر القرن 04هـ/10م،

446- سيأتي بيان ماهية كتابة التراجم، وأهم من ألّف فيها ببلاد الأندلس من ق04هـ إلى ق09هـ، فيما سيأتي من مادة هاته الأطروحة، ابتداء من الفصل الثاني، ص124.

حيث عرفت الأندلس ذروة الازدهار الثقافي والعلمي، كنتيجة حتمية لهاته السنّة الطيّبة، حيث برز على هذا العهد، العديد من المؤرخين الذين وضعوا أسس ودعائم التدوين التاريخي بهاته الأرض المباركة، وأصبحت مؤلَّفَاتهم مرجعًا ومتّكأً للمؤرخين اللاحقين.

ويعتبر كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب الإلبيري (ت238هـ/852م)، المحاولة الأولى خلال فترة مبكّرة من ظهور المؤلفات التاريخية ببلاد الأندلس، حيث جاء طِرْسُه هذا وبقية التصانيف اللاحقة له، فاتحة للأعمال التاريخية الأندلسية، إذْ تعتبر جهوده خلال هذا العهد، خطوة مهمة في تأصيل وتوطيد دعائم التدوين التاريخي بالأندلس.

وقد تبعه على الخُطى نفسها، معارك بن مروان (عاش في ق03هـ/09م) صاحب كتاب أخبار الأندلس، الذي يعدّ من المصادر الأساسية للمؤرخين الذين دوّنوا أحداث فتح الأندلس، ودور موسى بن نصير في ذلك.

كما كان لعبد الله الحُكيّم (تُوفِّي منتصف رَمَضَان 341هـ/فبراير 953م)، دور بارز جدا في كتابة الأنساب، حيث يعتبر كتابه في الأنساب، من المحاولات الأولى الرائدة خلال القرن 04هـ/10م.

وتعدّدت أشكال واتجاهات الكتابة التاريخية في الأندلس على نحوٍ مهمٍّ للغاية، فكان منها كتابة التاريخ العام للأندلس، وكتابة تاريخ المدن الأندلسية، وكتابة تاريخ الأندلس شعرا، وكتابة الأنساب وكذا كتابة التراجم.

وفي هاته الاتجاهات؛ برز نجم العديد من المؤرخين الأندلسيين، حيث شهدت الكتابة التاريخية أعدادا مهمة ممن طَغَتْ عليهم الموسوعية المعرفية، واعتنوا بكتابة التاريخ العام. ومِن هؤلاء المؤرخين آل الرازي (محمد الرازي، وابنه أحمد، وحفيده عيسى) خلال القرن 04هـ/10م، الذين كان لهم الفضل العميم في ازدهار هذا الفنّ. فبظهور هذه العائلة، بدأت كتابة التاريخ بالأندلس تشق طريقها نحو النضج والتميّز، خاصة عندما بدأت تتخلّص مِن ارتباط التاريخ بالعلوم الأخرى، كالفقه والحديث، حتى أصبح التاريخ عِلْما خاصا قائما بذاته. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ فحسب، بل إن عائلة الرازي أَثْرَتْ المدرسة التاريخية بكتاباتها المتنوعة، والتي قدّمت الصورة الحقيقة لجهود المؤرخين الأندلسيين في حقل التدوين التاريخي.

كما اعتنى الأندلسيون كثيرا بكتابة تاريخ مدنهم (التاريخ المحلي)، وذلك في إطار الاعتزاز بمآثرها، حيث كان ذلك مَدْعاةً لتأليف العديد من المؤلفات حول هاته المدن.

وفي الإطار ذاته؛ برز لدى الأندلسيين اتجاه جديد في كتابة تاريخهم، وذلك عن طريق نظم القصائد الشعرية، التي أرّخوا مِن خلالها لتاريخ الأندلس؛ وقد سمّي هذا التوجّه الجديد بالقَصص الشعري أو الأراجيز الشعرية، وهي طريقة استحدثها الأندلسيون لتمجيد أمرائهم، وذِكر بطولاتهم، حيث يُعدُّ يحي بن حكم الغزال(156-250هـ/772-864م)، أول مَنْ سنّ هذا الأسلوب في الكتابة التاريخية. وعلى ما يبدو، فإن وظيفة هذا النوع من الشّعر، كان لإشعار العامة بمناقب أمرائهم، وتعظيم تاريخ بلادهم.

وفي خضم الحديث كذلك عن توجهات الكتابة التاريخية بالأندلس، توجّه عديد المؤرخين الأندلسيين للتأليف والكتابة في مجال الأنساب، خاصة بعد دخول الكثير من القبائل العربية إلى الأندلس، ثم اختلاطها بأهلها إلى درجةٍ خِيف ضياع أنسابها، فكانت الضرورة ملحّة لكتابة هاته الأنساب.

كما أن الكتابة التاريخية في الأندلس، امتازت بالتركيز الكبير على كتابة التراجم، باعتبارها أحد الاتجاهات المهمّة للكتابة التاريخية بالأندلس. حيث ألّفوا كثيرا في هذا الاتجاه، والذي أثّرت فيه كثيرا رغبة الأندلسيين للتأكيد على ثراء بلادهم وغناها بالعلماء، فكانت كتابة التراجم، مجالا واسعا رِحْبًا للكتابة التاريخية فيها.

الفصل الثاني:
البدايات الأولى للكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق04هـ/10م)

المبحث الأول: علم التراجم الماهية والنشأة

1/-ماهية علم التراجم

1-1/-المفهوم اللغوي والاصطلاحي لعلم التراجم

2-1/-الفرق بين الترجمة والسيرة

3-1/-التعريف بعلم التراجم

4-1/-التعريف بكتب التراجم

5-1/-الفرق بين كتب التراجم وكتب الرجال

2/-نشأة علم التراجم

المبحث الثاني: أنواع كتب التراجم الأندلسية ونماذج منها خلال (ق04هـ/10م)

1/-كتب التراجم العامة ونماذج منها

2/-كتب التراجم الخاصة ونماذج منها

1-2/-تراجم فئات معينة

2-2/-تراجم رجال بلد معيّن

3-2/-تراجم فئات معيّنة في بلد معيّن

4-2/-فهارس أو برامج وتسمية الرجال

5-2/-تراجم رجال مذهب واحد

تمهيد:

ازدهرت الحضارة الإسلامية في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري (ق4هـ/10م) ازدهارا منقطع النظير، ونَـمَتْ وبلغت غايتها من الإنتاج العلمي والفكري، في شتى ميادين العلوم والآداب. وقد كان لتشجيع الخلفاء الأمويين بالأندلس لحركة الترجمة والنشاط العلمي، خاصة على عهدي الأمير عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) والحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)، وكذا رحلات الأندلسيين إلى المشرق لطلب العلم، ثم وَفادة كبار العلماء من المشرق إلى الأندلس، والإقبال على التعليم في جميع الحواضر والقرى الأندلسية؛ دور بارز وكبير في تطور وازدهار الحركة الفكرية بهذا المَصْر.

كما كان لانتشار الكُتب المشرقية في الأندلس، خاصة منها كتب الطبّ والعلوم زمن عبد الرحمن الناصر أو قَبْله بقليل، دور مؤثّر على البلد في جميع مناحي الحياة، فدخلت إثرَه مختلف الكتب في جميع العلوم.

وأما في عهد ابنه الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)، فقد نشطت الحركة الثقافية بالأندلس نشاطا كبيرا، إذْ يعود له الفضل العميم في ذلك، باستجلابه للمؤلفات والكتب من المشرق. ساعده في ذلك شغفه بالعلوم، وحرصه على اقتناء دواوينها، فكانَ كما ذكرت كُتُب التراجم، يبعث فيها إلى الأقطار والبلدان، ويبذل في أعلاقها ودفاترها أنفس الأثمان، فحُملت من كل جهة إليه، حتى غَصّت بها بيوته، وضاقت عنها خزائنه. وكان له ورّاقون بأقطار البلاد، ينتخبون له غرائب التواليف، ورجالٌ يوجههم إلى الآفاق للبحث عنها. وقد غدت قرطبة على عهده أكبر منار للتعليم في العالم الإسلامي، وبلغت مكتبتها-على ما قيل-في عصره نحواً من أربعمائة ألف مجلد.

ولقد كان من نتائج هذه النهضة العلمية، أنْ دخلت الأندلس الكثير من المؤلفات المشرقية، التي ساهمت إلى حدّ كبير في شحذ همم الأندلسيين للتأليف في مختلف العلوم والفنون، وبخاصة علم التراجم، الذي حاز القسط الوافر من اهتماماتهم.

وبذلك؛ كثرت العناية بتصنيف معاجم الأعلام وفهارس الكتب، وانتشرت بينهم انتشارا كبيرا يدل على اهتمام واسع وعلوّ هِمَّةٍ، واتساع أُفقِ التفكير والتأليف عند الأندلسيين في شتى المعارف.

وفي إطار هذا الامتداد الـــمعرفي المتميّز الذي عرفته الأندلس، كانت الضرورة ملحة إلى وضع معاجم لطوائف الرجال أو لفروع العلوم، وهو ما أنتج لنا في الأخير مصنّفات غنية بـــمادة تاريـــخية غزيرة وغنية، تـــجعل الباحث طوعًا لـــها ولا يـــجد بدّا من الرجوع إليها.

وقد تـــميز الـــمؤرخون الأندلسيون بكتابات حيّة ودقيقة، تنمّ عن تعلّقهم الكبير بالأندلس، فجاءت كتاباتـــهم مـــماثلة لنظيراتـــها الـــمشرقية، بـــلْ وفَاقَتْهَا روعة ودقّة وأهمية، خاصة منها ما أُلِّف خلال القرن الرابع الهجري (ق4هـــ/10م) في علم التراجم موضوع هذا الفصل. حيث كان لها الفضل الأكبر في ترسيخ هذا العلم والرّفع من مستواه، فضلا عن الإجادة والإتقان فيه، على اعتبار أنـــها كانت أساسا متينا، بنى عليه مَن جاء بعدهم من مؤرخي التراجم والسِيَر.

المبحث الأول: علم التراجم الماهية والنشأة

كانت التأثيرات الـــمشرقية على بلاد الأندلس مفيدة جدا، حيث أسهمت إلى حدّ كبير في إحداث نـــهضة حضارية واسعة، لها خصائصها وأُسسها في شتى الـــميادين، ومهّدت لظهور كوكبة من العلماء، أسهموا بدورهم الفاعل في تطور مـــختلف العلوم بالأندلس.

وتعتبر الكتابة في علم التراجم، جانبا من الـــجوانب التي ظهر تأثّر الأندلسيين بـــها بَادِيًا، إذِ اقتبسوها عن الـــمشارقة وأعطوها روحًا جديدة، بل وأبدعوا فيها إبداعا. ويتّضح ذلك من خلال اهتمامهم بالتأريخ للرجال والأعلام الذين نبغوا في فنون وعلوم مـــختلفة، كالفقه والـــحديث والقراءات، والتاريخ والأدب وغيرها.

1/-ماهية علم التراجم:

1-1/-المفهوم اللغوي والاصطلاحي لعلم التراجم:

أ/-لغة: التراجم جَمْع ترجمة؛ والترجمة مصدر تَرْجَمَ، بمعنى فسّر وبيّن الكلام[1].

ب/-اصطلاحا: التراجم هي الإفصاح عن هوية الشخص، بتبيين سيرته[2].

1-2/-الفرق بين الترجمة والسيرة:

الترجمة هي التعرف على الـــمترجَم له، وإزالة حُجُب الـــمجهول التي تكتنفه، وذلك بعرض تاريـــخَيْ الـــميلاد والوفاة ومـــحلّهما، وذكر الطبقة التي ينتمي إليها الرجل؛ زمانا

1- ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص66، مادة: ترجم.

2- المعجم الوسيط، ص83، مادة: ترجم.

ومكانا وعِلما. كما أنها تتضمن ذِكْرًا لأخباره وأحواله ورحلاته، وأشياخه وتلاميذه، وكذا نشاطه في التدريس والتأليف، والإنتاج العلمي، وممارسة الخِطط وغيرها[3].

وقد جرت العادة عند المؤرخين أن يُسمّوا الترجمة بهذا الاسم، حين لا يطول نَفَسُ الكاتب فيها، فإذا ما طال النّفَسُ واتسعت الترجمة سُمّيت سيرةً[4].

وعليه؛ يتّضح أن الفرق بين الترجمة والسيرة بيّن وواضح، حيث تكون الترجمة قصيرة (تعريف مختصر للشخص المراد التعريف به)، وتكون السيرة طويلة (التعريف بالشخص يكون مطوّلا). وأوّل ما استُعملت لفظة السيرة؛ في سيرة المصطفىﷺ، وسُمّي المُؤلِّفون فيها بأصحاب السِّيَر[5]، حيث أفردوا سيرة المصطفىﷺ بكتب ومؤلفات عدّة، دوّنوا فيها دقائق حياتهﷺ وجميع مراحلها، ولم يتركوا منها شاردة ولا واردة إلا وحفظوها لنا.

وجدير بالذكر؛ أنه ومع أواخر(ق03هـ-09م) انتقل استعمال لفظ السيرة من سيرة النبي ﷺإلى سِيرة غيره من الرجال[6]، حيث أصبح لفظ السيرة مختصا بكل ما له علاقة بسِيَر الأفراد، ومنها السِّيَرْ أو التراجم الذاتية.

والترجمة الذاتية، يُراد بها أن يَكتُب المرْءُ بنفسه تاريخه الذّاتي، فيسجّل حوادثه وأخباره، ويسرد أعماله وآثاره، ويَذْكُرَ أيام طفولته وشبابه وكُهُولَتِه، وما جرى له فيها من أحداث؛ عظيمة كانت أم عادية، وذلك تبعا لأهميته، كونه شخصا مهما أم عاديا[7].

1-3/-التعريف بعلم التراجم:

هذا العلم هو فرع من فروع التاريخ، يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر، تعريفا يَطُول أو يَقْصُر، ويتعمّق أو يكون سطحيا، وذلك تَبَعا لحالة العصر الذي دُوّنت فيه الترجمة،

3- أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس، أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق: عبد الله المرابط الترغي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الرباط: دار الأمان، ط1، 1999، ص11.

4- محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، القاهرة: دار المعارف، 1955، ص27.

5- من أهم كتب السيرة التي أُلّفت قديما نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "السيرة النبوية" لابن إسحاق (ت151هـ)، "سيرة ابن هشام" لعبد الملك بن هشام (ت183هـ)، "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض السبتي (ت544هـ)، "الفصول في اختصار سيرة الرسولﷺ" للحافظ ابن كثير الدمشقي (ت774هـ).

6- محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، ص27.

7- المرجع نفسه، ص23.

وتَبَعا لثقافة الـــمُترجِم-أيْ كاتبُ الترجمة-ومدى قدرته على رسم صورة واضحة ودقيقة، مِن مـــجموع الـــمعارف والـــمعلومات التي تجمّعت لديه عن الـــمُترجَم له[8].

هذا؛ ويُعنَى علم التراجم بِبَيَان سيرة أفرادٍ من الناس، مشهورين كانوا أم مغمورين، بشرط أن يكون لهم دور وحضور في الحياة العامة، سواء كان هذا الحضور وازنا أم مـــحدودا[9].

وعليه؛ يُفهَم مـــما سبق أنّ عِلْمَ التراجم، هو ذلك العِلم الذّي يتناول سِيَر حياة الأعلام من الناس عبر العصور الـــمختلفة. كما أنه عِلْمٌ دقيق يبحث في أحوال الأشخاص والأفراد - بِذِكْر حياتهم الشخصية، ومواقفهم وأثرهم وتأثيرهم في الحياة-الذين تركوا آثارهم وبصماتـــهم في الـــمجتمع، وذلك بـــمختلف طبقاتهم وأطيافهم؛ مِن الأنبياء والخلفاء، والملوك والأمراء، والقادة والعلماء في شتى الـــمجالات، والفقهاء والأدباء والشعراء والفلاسفة وغيرهم.

1-4/-التعريف بكتب التراجم:

هي الـــمؤلفات والـــمصنفات التي تُعنَى بالتأريخ لسِيَرِ الأفراد مِن مشاهير الأعلام، الذين كان لهم أثر في عِلمٍ من العلوم، كالفقهاء أو القضاة، أو الأدباء والشعراء، أو الأطباء. كما يُراد بـــهم كذلك؛ مَنْ كان لهم أَثَـــرٌ في سياسةٍ كالخلفاء والأمراء، والوزراء والقادة، وغير ذلك[10].

وكتابة التراجم، تُعدّ نـــمطًا مِن أنـــماط التاريخ في صدر الإسلام ومراحله التالية، حيث اتّسمت بالنُّضج العلمي في مـــجال التّدوين، حينما أَثْبَتَتْ صُوَرَ التعبير التاريـــخي. فهي-كتب التراجم-جُزْءٌ لا يتجزأ مِن الـــمؤلّفات التاريـــخية، خاصة في ظل وجود ذلك الـــمَيْلِ الدائمِ والواضحِ للمؤلّفات التاريـــخية نَـــحْوَ كُتُب التراجم.

وقد أَثَّرَتْ التراجم على الكتابة التاريـــخية تأثيرا جليًّا واضحا، خلال فترات زمنية مديدة، وذلك حينما أسهمت في كتابة أحداث التاريخ الإسلامي ومنذ بداياته الأولى،

8- محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، ص09. الصادقي العماري: "**التراجم والسير الذاتية في التراث العربي الإسلامي**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس: المغرب، 1991، ص ص107-109.

9- عبير فريد أبو بكر: "**أثر تراجم الأعلام في إثراء علم الحديث**"، دراسات علوم الشريعة والقانون، الأردن: الجامعة الأردنية، مج42، ع2، 2015، ص538.

10- السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، بيروت: دار النهضة العربية، 1961، ص177.

واستطاعت مع مرور الزمن، أَنْ تظفَر بـــمكانة رفيعة، خاصة عندما أصبح التاريخ في مـُخيّلة الكثير من الـــمسلمين، مرادفا تقريبا لـــمصطلح التراجم وسِيَرِ الرجال[11].

وعلى هذا الأساس، يـــمكننا القول: إنّ أهمية كُتب التراجم في دراسة التاريخ الإسلامي كبيرة وشاملة، وذلك لـِمَا تُلْقيه مِن أضواء على الأحوال السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، فضلا عن أنـّها تعكس لنا تطوّرات الـــحركة الفكرية، مِن حيث تياراتـــها وإنتاجها الثقافي، وبالتالي فهي تكشف عَنْ كُلّ مَنْ أَسْهَمَ في وَضْع أُسُسِ الحضارة الإسلامية، أو شارك في بناء صرحها الشامخ.

1-5/-الفرق بين كتب التراجم وكتب الرجال:

تُعتبر كتابة التراجم نَـــمَطًا مِن الكتابة التاريـــخية التي ظهرت منذ بواكير التدوين[12]، حيث نـــجدها قد "رافقت التاريخ منذ بداية الطريق، تَـــحْمِل الـــمشاعر للباحثين في التأريخ"[13]. وكُتُبُ التراجم أعمّ في الاصطلاح مِن كُتب عِلم الرجال، إذْ أنّ عِلْم الرجّال خاص برجال الحديث، بينما تُعنى التراجم بتراجم الـــخلفاء والأمراء والقادة، والشعراء وأرباب الصناعات وغيرهم[14].

وقد تُـــجمَع تراجم فترة تاريـــخية معيّنة لكل هاته الأصناف مِن الناس، وقد يُفرَد أهل الاختصاص الواحد بـِمُؤلَّفٍ خاص. وتـــجدر الإشارة إلى أنّ الكثير مِن هاته التراجم، مليئة بالأحداث التاريـــخية، ومنها كُتُب التراجم التي تؤرخ للحوادث، وتُورد أهم ما يكتَنِف حياة الـــمُترجَم له، مـــمّا يراه الـــمؤلِّف مهما لـــموضوع مؤلَّفه. كما أنّ الـــمادة التاريخية في كُتُب التراجم ليست مِن نوعٍ واحد، بَلْ نَـــجِدُها ترتفع وتنخفض، وتَنْبسط وتَتَعقّد، وتَتّزِن وتَتَطرَّف، حسب معارف الـــمؤلِّف ومعلوماته، وأمانته واعتداله، وأسلوبه وقدرته على استجلاء الـــحقائق، والتخلص من الـــمُبالغة والحِـــزبية[15].

11- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص413.

12- أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، الرياض: دار طيبة، ط2، 1985، ص171.

13- ليث سعود جاسم، ابن عبد البرّ الأندلسي وجهوده في التاريخ، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1988، ص280.

14- يمكننا القول: إنّ عِلم التراجم أعمّ من علم تأريخ الرجال، لأنها تتناول جميع الأعلام من الخلفاء والوزراء، والعلماء وغيرهم، بخلاف عِلْم تأريخ الرجال، فإنه يختص بالرواة للروايات الحديثية (رواة الحديث).

15- ليث سعود جاسم، ابن عبد البرّ الأندلسي وجهوده في التاريخ، ص280.

وقد تنوّع التأليف في علم الرجال (رجال الحديث)، بحسب الموضوع الذي يُعالجه كلّ مُصنَّف من هاته المصنَّفات[16]:

– فمنها مَا اختص بمعرفة الصحابة رضي الله عنهم فقط؛ وهي كتب معرفة الصحابة، والتي يُعتبر الوقوف عليها من أَوْكد علْم الخاصة، وأرفعِ علمِ أَهْلِ الخبر، وذلك لأنه لا يمكن تمييز الحديث المُرْسَل[17] منَ المُسْنَد[18] إلا بمعرفة الصحابة. كما أنّ هاته المؤلفات تتناول معرفة الصحابة، وذكر أسمائهم وأنْسابهم وسِيَرهم وأحوالهم، والأماكن التي نَزَلُوها، والغزوات التي شهدوها، وَسَنِيٍّ وفياتهم. ويُعتبر أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَّنى[19]، أوّل مَنْ صنّف في معرفة الصحابة رضي الله عنهم[20].

– ومنها مَا شمل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ومَنْ تَبِعَهُم، أو ما يُسمّى بكتُب الطّبقات. حيث نظّم بَعْض المُصنِّفين في الرجال كُتبَهم على الطبقات، وذلك لَيَسْهُل التمييز بين الصحابة والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم. كما أنّ لهذا النوع منَ التنظيم فوائد جمّة؛ إذْ هو يُسهّل علينا معرفة الحديث المُرسَل أو المُنْقطِع[21]، وتمْييزه عن الحديث المُسْنَد[22].

16– لتفاصيل وافية حولها؛ ينظر: عبير فريد أبو بكر، أثر تراجم الأعلام في إثراء علم الحديث، ص ص539–540.

17– **الحديث المُرسَل:** في اصطلاح المحدّثين؛ هو ما رَفَعه التابعي إلى النبيﷺ من قول أو فعل أو تقرير، صغيرًا كان التابعي أم كبيرًا، وهو عندهم منَ الحديث الضعيف. ينظر: محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، بيروت: دار الفكر، 2006، ص222.

18– **الحديث المُسنَد:** هو على المعتمد، ما اتّصل سنده مِنْ أوّله إلى مُنتهاه، وأكثر ما يُستعمل فيما جاء عن النبيﷺ. ينظر: محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث، ص234.

19– **أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى (112–208هـ/730–823م):** التيمي البصري؛ النحوي اللغوي؛ ولد في البصرة. أول مَن صنّف في غريب الحديث، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها، وعالمًا بالشعر والغريب والأخبار والنسب. له: مجاز القرآن وإعراب القرآن. ينظر: الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، مج4، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2003، ص468. الزركلي، الأعلام، ج7، ص272.

20– لتفاصيل وافية عمّن ألّف في معرفة الصحابة رضي الله عنهم؛ ينظر: أكرم ضياء العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط5، ب ت، ص ص61–79.

21– **الحديث المنقطع:** هو ما سقط من سَنده رَاوٍ واحد أو أكثر، في موضوع واحد، أو ذُكِر فيه راوٍ مُبْهم. ينظر: محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث، ص223.

22– لتفاصيل وافية عن كتب الطبقات؛ ينظر: العمري، موارد الخطيب، ص385. العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص ص79–91.

وقد اقتصرَ بَعْضُ الـمُصنِّفين، في التمييز بين الأسْماء الـمتَّفقة والـمُتشابِهة، على ذِكْر طبقات الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم، بينما اقتصر البعض الآخر، على رجالِ بَلْدَة واحدة. في حين تناولَ آخرون؛ رجال الحديث عامة، سواء كانوا صحابة أم تابعين أم مَّنْ تَلاهم، دونَ تَقْيِيد بِـمَكان مَـخْصوص. كما أن بعض الـمؤلِّفين، فَصَّلوا في تراجم الرجال الذين ترجَـمُوا لهم، فَذَكَرُوا أخبارهم بالإضافة لأنْسابـهم وسَنِـيِّ وفياتهم، وشيوخهم وتلاميذهم، وبعضًا مِن رواياتهم[23].

– ومنها مَنِ اهتم بتوثيق الرجال أو تَضعيفهم، وسُـمِّيَ هذا الاتـجاه بكُتُبِ عِلْمِ الجرح والتعديل[24]، والتي كانت أكثر تَـخَصُّصًا، إذِ اقتَصر بعضها على الثّقات منهم[25]، بينما اقتصر النوع الثاني منهم على الضعفاء فقط[26]، وأما النوع الثالث فهو الذي جَمع بين الثّقات والضعفاء[27].

ومِن الـمُهِمّ الإشارة إلى أنّ هذا النوع مِنَ التآليف–الذي جمع بين الثقات والضعفاء– ينقسم إلى أقسام منها:

- **كُتب الـجرح والتعديل:** وهي مِنْ أهمّ علوم الحديث، وأعظمها شأنا وأَبْعَدها أَثَرًا، إذْ به يتميز الـحديث الصحيح مِن سَقيمه، ومَقْبُوله مِن مَردُوده. وهو كذلك؛ يتعلق بِبَيَان مَرْتبةِ الرُّواة مِن حيث تضعيفهم أو توْثِيقهم، بِتَعابير خاصّة مُتعارَف عليها عند أهل الحديث[28].
- **كُتب الأسـماء والكُنَى والألقاب:** هي مصنَّفاتٌ تَـخْتَصُّ بِبَيَان اسْمِ مَنْ عُرِف بكُنْيَتِه أو بِلَقَبِه، أو على العكس تُبَيِّـنُ كُنيته أو لقبَ مَنْ عُرِف باسـمِه[29].

23- العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص ص79-91.

24- العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص91. محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث، ص168.

25- أول مَن صنّف في كُتب الثقات فقط؛ علي بن عبد الله بن المديني (تـ234هـ/848م). ينظر: العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص ص116-123.

26- أول من صنّف في كتب الضعفاء فقط؛ يحي بن معين (ت233هـ/847م). ينظر: العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص ص100-116.

27- أول من صنّف في كتب الجمع بين الثقات والضعفاء؛ الليث بن سعد (175هـ/791م). ينظر: العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص ص124-136.

28- لتفاصيل وافية؛ ينظر: أكرم ضياء العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص ص99-155.

29- وممن صنّف في ذلك: علي بن عبد الله بن المديني (تـ234هـ848م)، حيث صنّف كتاب "الكُنى"؛ وأحمد بن حنبل (تـ241هـ855م) الذي صنّف كتاب "الأسماء والكُنى". لتفاصيل وافية؛ ينظر: ابن الصلاح عثمان بن عبد

▪ **كُتب المؤتَلَف والمُختَلَف:** جاء هذا النوع من التأليف كضرورة حتمية لكثرة الرُواة الحديث، الذي أدّى إلى وقوع التشابه والاتّفاق في أسمائهم وكُناهُم، ونسبَتهم إلى القبيلة أو البَلْدة، وكذا بسبب وقوع الالتباس، فوُجدت كُتُبٌ للتمييز بين المُتشابه أو المُتَّفق من الأسماء والكُنى والألقاب. ويُراد بالمُؤتَلَف والمُختَلَف؛ ما اتَّفَقَ خَطًّا واختلف لَفْظًا، مثل: سلَّام وسلاَم، وأبو عمرو السَيْباني وأبو عمرو الشَّيْباني، وأبو حَمْزَة وأبو حَمْرَة[30].

▪ **كُتب المُتَّفِق والمُفْتَرِق والمُتَشَابِه:** يُراد **بالمُتَّفِق والمُفْتَرِق**؛ أَنْ يَتَّفِقَ اثنان فأكثر من الرُّواة في الاسم الواحد لَفْظًا وَخَطًّا، مثل: الخليل بن أحمد اشترك فيه ستّةٌ، ومثل: أحمد بن جعفر بن حمدان اشترك فيه أربعةٌ من عصرٍ واحد. وأما **المُتشابه:** فهو أن يتشابَهَ الراويان في الاسم والنّسب، ويتمايزان بالتقديم والتأخير في الأب والابن، مثل: يزيد بن الأسود، والأسود بن يزيد. وعلى ما يبدو، فإن صعوبة التمييز بين الأسماء المتشابهة أو المتّفقة، كانت بادية خاصة عندما كان يعيش الاثنان في عصرٍ واحد، ويرويان عن الشيوخ نفسهم[31].

▪ **كُتب الوفيات:** وهي من المؤلَّفات التي اهتم فيها المحدِّثون بسَنيِّ الوفيات الخاصة بالرّواة، فجاءت مصنَّفاتُهم المختلفة في عِلْمِ الرّجال، مُتَضَمِّنَةً لسَنيِّ الوفيّات. وتنسحب هاته الملاحظة كذلك، على كُتُب معرفة الصحابة رضي الله عنهم وطبقات المحدِّثين، وكُتُب الجرح والتعديل، وغيرها من كُتُب الرّجال. وقد ظهرت مصنّفات عدّة خاصَةٌ بالوفيات منذ أواخر(ق03هـ/09م)، وهو ما يدلّ على تزايد العناية بضَبْط سَنيِّ الوفيّات، لِمَا لَهَا من أهمية بالغة في نَقْد إسناد الحديث[32].

الرحمن أبوعمرو تقي الدين (ت643هـ/1245م)، معرفة أنواع علوم الحديث ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، دمشق: دار الفكر، 1986، ص: 329. العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص ص183-188.

30- وممن صنّف في ذلك: الحسن بن عبد الله العسكري (ت382هـ/992م) في كتابه "تصحيفات المحدّثين"، والدارقطني (ت385هـ/995م) في كتابه "المؤتلف والمختلف"، وابن الفرضي(ت403هـ) في كتابه "المؤتلف والمختلف ومشتبه النسبة". ينظر: العمري، موارد الخطيب، ص396. بحوث في تاريخ السنّة، ص ص188-190.

31- ظهرت هاته المصنفات متأخرة، إذْ أنّ أوّل مَن صنَّفَ فيها هو أبو بكر محمد بن عبد الله الجوزقي (ت382هـ/992م) في كتابيه "المتفق والمفترق"، و"المفترق الكبير". ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص ص1013-1014، ترجمة: 945. العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص183 وص ص190-191.

32- العمري، موارد الخطيب، ص ص404-403. بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص ص191-196.

▪ **كُتب تواريخ الرجال المحلّية:** يُعتبَر التعرُّفُ على شيوخ البلد ورواياتهم، مِنْ أَوْكد الواجبات على طالب الحديث في تلك البلاد. وقد لَقِيَتْ التواريخ الخاصة بأيّ مدينة مِنَ المدن عنايةً بالغةً مِن شيوخ الحديث وطُلّابهم، وهو ما أدّى إلى ظهور المُصنَّفات الخاصة برجال المدينة الواحدة[33].

▪ **معاجم الشيوخ:** اهتم بعضُ العلماء بجمع شيوخه الذين أخذ عنهم في مصنَّفٍ خاص، أو ربما قام بذلك غَيرُه. وفي الغالب كان يُرَتِّب أسماءَهم على الحروف ولا يترجِم لهم، أو قَدْ يُرتِّبْهم على البلدان[34].

وخلاصة القول؛ فإنّ التأليف في عِلم الرجال، شمل مختلف الأنواع وهي على النحو الآتي:

- **كتب معرفة الصحابة رضي الله عنهم:** وهي خاصة بتراجم أصحاب رسول اللهﷺ.
- **كتب الطبقات:** وهي التي شملت طبقات الصحابة، والتابعين وتابعيهم ومن تبعهم رضي الله عنهم.
- **كتب الجرح والتعديل:** وهي التي اهتمت بِبَيَان درجة توثيق الرجال أو تضعيفهم، سواء ما اقتصر منها على الضعفاء أو الثقات، أو جمع بينهما.
- **كتب تواريخ المدن:** وهي التي ركّزت على تراجم الرواة في بَلْدة بِعَيْنِها.
- **كتب معرفة الأسماء وتمييزها،** وكذا كتب الوفيات ومعاجم الشيوخ.

وعليه؛ نستنتج أنّ تَنوُّعَ التّصنيف في عِلم الرجال، مِن كُتب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، إلى كتب الطبقات، فَكُتُب الجرح والتعديل، إلى كتب التواريخ المحلية، وكذا كُتب تمييز الأسماء بمختلف أنواعها، لِيُنْبِئُ على الاعتناء الفائق والجهد الكبير، والدقة البالغة، الذي أَوْلَاه علماء الأمة لمعرفة أسماء الرواة وتمييزها، بِبَيَان حالِ كلّ رجُلٍ على حدا، حتى إنك لا تكاد تجدُ رجلا رَاوِيًّا مِن أهل القرون الثلاثة الأولى، له مشاركة في الرِّواية، إلا وقد عُرِف شخصه وعُرِّف به وبُيِّن حاله.

33- العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص ص196-212.

34- العمري، موارد الخطيب، ص412. بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص ص212-218.

ولذلك؛ كان هذا العلم-علم الرجال-بحق، هبة ربانية لأمة محمدﷺ، وخاصية امتازت بها عن غيرها من الأمم، وهي ميزة لأهل الحديث فيها، إذ امتازوا بها عَنْ غيرهم مِنَ الطوائف التي لَمْ تَظْفَرْ بنَصيبٍ يُذكر في هذا العلم.

ونظرا لِمَا كان للصحابة رضوان الله عليهم مِنْ مَكانة، وعَظيم مَنْزلة في الأمّة، فقد اعتنى العلماء بأخبارهم وأحوالهم، وأَوْلَوْها مكانة خاصة، فقاموا بِبَيان مكانتهم، وجمعوا مَرْوياتهم. وقد ظهر ذلك جليا في تأليفهم لكُتُب كثيرة متنوعة، منها: كتب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، وكتب الطبقات، وكتب التواريخ، وكتب الفضائل وغيرها. ولا غرابة في هذا الفضل، فَهُمْ صَفْوَة الخلق بعد الأنبياء والرسل، وقد اصطفاهم الله تعالى وحباهم لصحبة خير خلقهﷺ.

2/-نشأة علم التراجم:

ظهرت كتابة التراجم في الإسلام في وقت مبكر، حيث كانت حياة النبيﷺ وسيرته، مادة دسمة وغنية، أسالت حِبْر الكثير مِن كُتّاب التراجم، منذ القرن الثاني للهجرة (ق02هـ/08م). حيث اعتمدت رواية تفاصيل سيرتهﷺعلى رُواةٍ كُثُر، كان لِمَعْرفة أطوار حياتهم وسلوكياتهم، بالغ الأثر في قَبول مَروياتهم وتصديقها. ولذلك؛ فإنه مِنَ الواضح أنّ كُتب التراجم انْصَبَّت في بدايتها على الترجمة للشخصيات الدينية، خاصة منها تلك التي لها ارتباط وثيق بحياتهﷺ وبرواية أحاديثه. فأُلّفت في هذا الإطار كُتبٌ في جَمْعِ أسمائهم والتعريف بهم، وذِكر أحوالهم، وأخبارهم في ظل الإسلام[35].

وقد نشأ علمُ الرجال بادئَ الأمر، لدراسة أحوال رجال الأسانيد[36] الحديثية، وذلك لأنّ الحديث، إنما يُروى عَن طريق سلسلة مِنَ الرّواة تبدأ بالراوي الذي يُحدِّث بالحديث،

35- مارية دادي: "**كتب التراجم: نشأتها وتطورها من القرن الثاني إلى القرن الثاني عشر الهجريين**"، ضمن متنوعات محمد حجي، نشرت بمناسبة صدور موسوعة أعلام المغرب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ص314.

36- **الأسانيد:** جمعٌ مفردها سندٌ، وهو الإخبار عن طريق المتن. وقد أُخذت إمّا مِن السند وهو ما ارتفع وعلا من سفح الجبل، لأن المُسنِدَ يرفَعه إلى قائله. أو مِن قولهم: فلان سندٌ أي معتمَدٌ، فسمي الإخبار عن طريق المتن سندا، لاعتماد الحُفّاظ في صحة الحديث وضعفه عليه. وأما **الإسناد:** فهو رفع الحديث إلى قائله، ولا فرق بين الإسناد والسند عند الجمهور. ينظر: جمال الدين القاسمي، قواعد الحديث من فنون مصطلح الحديث، وقف على طبعه وعلق عليه: محمد بهجة البيطار، دمشق: مطبعة ابن زيدون، 1925، ص186. محمد بن مطر الزهراني، علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط1، 1996، ص15.

وتنتهي إلى النبيﷺ. وعندما تعاقبت الأجيال، أصبحتْ سلاسل الأسانيد طويلة، فَبَعْدَ أنْ كان الراوي مِنَ الصحابة رضي الله عنهم يروي عن النبيﷺمباشرة، زاد في زمن التابعين رَاوِيًا آخرَ، وراويَا ثالثًا زمن تابعي التابعين.

وهكذا، لـــمَّا زاد عدد الرواة وكَثُروا، بات لزاما التعريف بـــهم، وضبط أســـمائهم وكُناهم وألقابـــهم وأنسابـــهم، ومعرفة العُدول منهم، وتـــمييزِ الـــمجْروحين، ومعرفة طبقاتـــهم ومدنِـــهم ورحلاتـــهم، لتمييز الاتصال والإرسال والانقطاع في الأسانيد، وتـــمييز الأســـماء الـــمتشابِـــهة والـــمُتَّفقة، لئلا يـُحسَب الراويان شخصا واحدا، أو الواحد اثنين أو أكثر-خاصة إذا ذُكِر مرّةَ بكنيته، وأخرى باسمه، وثالثة بنسبته-ولِـــهَاتِه العوامل كلها مـُجتمِعة، ظَهر التصنيف في عِلم الرجال، وتنوعت الـــمؤلَّفات فيه، وتعدّدت الأساليب في ترتيب مادته وطُرق عرضها[37].

وعليه؛ فقد كان ظهور علم الرجال، نتيجة لتطور استعمال الإسناد وانتشاره، وكثرة السؤال عنه[38]. وكلما تباعدت الأزمنة، انتشرت الوسائط في الأسانيد وطالت، وبذلك دعت الـــحاجَةُ الـــمُلِحّة لإيـــجاد وسيلة تبيّن أحوال تلك الوسائط وتـــميِّزُ بينها، خاصة في ظلّ ظهور وانتشار البدع والأهواء، وكثرة مريديها وأصحابـــها.

وعلى إثر ذلك؛ نشأ علم الرجال، الذي جُعل ميزة لهاته الأمة الـــمحمدية دون سواها مِن الأمم، إلا أنّ التأليف فيها جاء متأخرا نسبيا عن تدوين الحديث والسنّة الـــمشرّفة، حيث لم تَظهر كُتُب الرجال إلا بعد منتصف القرن الثاني للهجرة (ق2هـــ/8م). ومـــما تـــجب الإشارة إليه هاهنا، أن الكلام في الرّواة وبيان أحوالهم قبل التأليف فيه، كان ينتقل مشافَهَة، حيث يتلقّاه العلماء بعضهم عن بعض، وجيلا بعد جيل. ومِن أَقْدَم ما أُلّف في هذا الفنّ – كتب الرجال-"كتاب التأريخ" لِلّيث بن سعد (94-175هـــ/712-791م)[39]، و"التأريخ" للإمام

37- ليث سعود جاسم، ابن عبد البرّ الأندلسي وجهوده في التاريخ، ص277.

38- الزهراني، علم الرجال نشأته وتطوره، ص26.

39- تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 26 من الفصل التمهيدي.

عبد الله بن الـــمبارك[40]، وكتاب "في تاريخ الرجال" للوليد بن مسلم[41]، ثم تتابع التأليف في هذا الفن خلال فترات لاحقة[42].

وقد ظهرت أولى المؤلفات في معرفة الصحابة رضي الله عنهم بعد هذا العهد، فدوّن علي ابن الـــمديني[43] كتابه "معرفة مَن نزل من الصحابة في سائر البلدان"، وألّف ابن سعد[44] كتاب

40- **عبد الله بن المبارك (118-181هـ/736-797م):** عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التميمي، المروزي؛ عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته. الحافظ شيخ الاسلام، صاحب التصانيف والرحلات. كان من سكان خراسان، ومات بهيت على الفرات منصرفا من غزو الروم. له كتاب في "الجهاد" وهو أول مَن صنف فيه، و"الرقائق". ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص378، ترجمة: 112. الزركلي، الأعلام، ج4، ص115.

41- **الوليد بن مسلم (119-195هـ/737-810م):** أبو العباس الدمشقي الحافظ، مولى بني أمية، كان من أوعية العلم، ثقة حافظا. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص211، ترجمة: 60. الزركلي، الأعلام، ج8، ص122.

42- إن التثبت في الرواية والتحري فيها عن الرسولﷺ، كان على عهد الصحابة الكرام رضي الله عنهم، إذْ هُم أوّل مَن عُرِف عنهم ذلك. وتفيد النصوص التاريخية بـــما لا يدع مجالا للشك أن هذا النهج في الرواية كان منذ فترة مبكرة جدا، وزادت حدّته بكثرة السؤال في الإسناد والتفتيش عنه، خاصة بعد أَنْ وَقعت الفتنة السبئية أواخر خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه. وبدأ الركون إلى الإسناد ينتشر شيئا فشيئا، خاصة بعد ظهور وكثرة أهل الأهواء بين المسلمين، وانتشار الفتن التي كانت سببا في الكذب، حتى أضحى الناس لا يقبلون ولو حديثا واحدا دون إسناد، ويُعرّف رواتُه وأحوالهم. كما أن انتشار ظاهرة الكذب والوضع في الحديث، حدا بالعلماء إلى التثبت من مصادر الرواية وناقليها. ولا نجد في هذا الصدد أحسن من قول ابن سيرين (تـــ110هـــ/728م): "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فيُنظَرُ إلى أهل السنّة فيؤخذ حديثهم، ويُنظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم". إنّ قول ابن سيرين هذا، يَعتبر الفتنة زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه حدّا فاصلا بين مرحلتين مهمتين في تاريخ علم الرجال، وبروز الانشقاقات عن جماعة المسلمين، فعبّر عن المنشقين باسم "أهل البدع". كما روى يعقوب بن شيبة (تـــ262هـــ/875م) عن ابن المديني، أن ابن سيرين كان "مـــِمَّنْ يَنظر في الحديث، ويفتّش عن الإسناد". ويُفهم مما سبق ذكره، أنّ التفتيش في الإسناد عُرف قَطْعًا زمن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وزاد التأكيد والإلحاح في طلبه بعد جيل الصحابة وكبار التابعين، حتى أصبح لا مناص ولا مفرّ للمحدِّث مِن إيراده، إذا أراد لرواياته القبول. ينظر: العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص ص44-58. الزهراني، علم الرجال نشأته وتطوره، ص ص19-25.

43- **ابن الـــمديني (161-234هـــ/777-849م):** علي بن عبد الله بن جعفر السعدي البصري؛ ولد بالبصرة، ومات بسامراء. محدّث مؤرخ، كان حافظ عصره، له: "الأسامي والكنى" و"الطبقات". ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص303.

44- **ابن سعد (168-230هـــ/784-844م):** محمد بن سعد بن منيع، أبو عبد الله المصري الهاشمي، مولده في البصرة، ووفاته ببغداد. يعدّ من أهل العلم والفضل، والمعرفة التامة بالحديث والكثير من العلوم، من آثاره كتاب "الطبقات الكبرى". ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص ص5-8 من مقدمة التحقيق.

"الطبقات الكبرى"، وخليفة بن خياط[45] كتاب "الطبقات"، والبخاري[46] "تاريخ الصحابة"، وعَلَى نهجهم سار الترمذي[47] فألّف كتاب "تسمية أصحاب رسول اللهﷺ"[48].

وفي الإطار ذاته؛ أفرد بعض العلماء حديثَهم عن الرواة مِن غير الصحابة رضي الله عنهم، فكثرت الـــمؤلفات وتنوعت في هذا الصدد، حتى أضحت هاته المرحلة مِن عِلم تراجُمِ الرجال أكثر تركيزا على الصحابة رضي الله عنهم وعن الرّواة. فقد ترجم بعضهم للثقات، وآخرون للضعفاء، وفريق ثالث جمع بينهما. كما ألّفوا في الكُنى كذلك؛ ومنهم مَن دَوّن في رُواةٍ عَن شيخٍ بعينه، أو حتى روّاةٍ مِن بلدٍ معيّن[49].

ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية؛ تطوّر هذا العِلم، وانتقلت كُتُب التراجم مِن التعريف بالشخصيات الدينية، إلى التعريف بالشخصيات الدنيوية مِن ملوك وحكام، وأمراء ووزراء وحُجّاب، وغيرهم من السّاسة والريّاس، خاصة في ظل الاعتقاد السائد وقتذاك عند المسلمين، أن السياسة كانت كلّها مِن صُنع هؤلاء الأشخاص، وأنه لا يتأتّى فهمها إلا في ضوء فَهْم صِفاتِـــهم وخَبراتـــهم، فأصبح بذلك مفهوم التاريخ عندهم-أي المسلمين-مُرادفا إلى حدّ ما لتراجم الرجال وسِيرهم[50].

45- **خليفة بن خيّاط (تـــ240هـــ/854م):** بن خليفة الشيبانيّ، العصفري البصري. محدّث نسابة إخباري، ألّف كتاب "التاريخ" و"الطبقات". ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص436، ترجمة: 442. الزركلي، الأعلام، ج2، ص312.

46- **البخاري (194-256هـــ/810-870م):** محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، الحافظ لحديث رسول اللهﷺ: له: "الجامع الصحيح" المعروف بصحيح البخاري. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص34.

47- **الترمذي (209-279هـــ/824-892م):** محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، السلمي البوغي الترمذي، أبو عيسى. من أئمة علماء الحديث وحفاظه، وهو من أهل ترمذ؛ تتلمذ للبخاريّ، وشاركه في بعض شيوخه. وكان مضرب المثل في الحفظ؛ مات بترمذ. من تآليفه: "الجامع الكبير"، "صحيح الترمذي". ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص322.

48- هذه نماذج يسيرة لبعض كتب الرجال أوردناها هاهنا، حيث ظهرت نماذج أخرى كثيرة لا يتسع المقام لذكرها في هذا الصدد. للاستزادة أكثر؛ ينظر: العمري، موارد الخطيب، ص ص404-403. بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص ص191-196. الزهراني، علم الرجال نشأته وتطوره.

49- ليلى بنت سلمان عبد الله العومي، مصادر ابن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة دراسة تاريخية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، بإشراف: صالح بن محمد السنيدي، 1429-1430هـــ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية، ص ص61-62.

50- مارية دادي، كتب التراجم نشأتها وتطورها، ص315.

وتجدر الإشارة في هذا المقام، أنّ هاته النّقلة اللاّفتة، والتطور الحاصل في عِلم التراجم، أخذت مَنْحًى تصاعديا، وبدأت في الازدياد منذ أواخر القرن الثالث الهجري (ق03هـ). حيث ظهرت مؤلفات تتحدّث عن مُختَلِف فئات المجتمع الإسلامي، مثل الأدباء والشعراء، والعلماء والفقهاء والقضاة. والملاحظ عليها كذلك؛ أنّ بعضها تضمّن الحديث والترجمة لرجال المذاهب الأربعة وأعلامها، والفِرق كالصوفية والشيعة وغيرها، بل إنّها تعدّت التأليف في هذا الصدد، إلى أخبار الحمقى والعُميان والمغفّلين[51].

وللإشارة كذلك؛ فإن أوّل ظهور لكتب التراجم كان بالمشرق، على غرار المصنفات الأخرى استنادا على ما ذُكر سَلَفا في الفصل الأول مِن هاته الأطروحة. كما أن هذا العلم-علم التراجم-لم يقتصر على البيئة المشرقية فحسب، بَلْ تعدّاه إلى المغرب والأندلس، التي وبعد انتقاله إليها، برز بها العديد من الأئمة الأعلام في هذا الفنّ، حيث أَثْرَوْهُ بعديد المؤلفات والمُصنّفات التراجُمية، التي بقيت شاهدة على ذلك[52].

كما أنه، ومع تطور الحركة العلمية، وانتشار الثقافات الواسع، واتساع رقعة التأليف، وكثرة النَّسْخ -أو ما سُمِّي بالوراقة-قلّت خطورة الرّواة، وانتفى معه الغرض الأول مِن وجود كُتُب التراجم، وَزَال أو تَضَاءَل، وحلّ العالِم مَحلّ الرّاوي[53]. وبذلك؛ أضحت كُتب التراجم مُهتَمة إلى حدّ كبير، بتراجم المفسّرين والقُرّاء، والنّحاة والأدباء والشعراء، والفقهاء والقضاة والمؤرخين، والحكام والأمراء وغيرهم[54].

وقد شملت كتب التراجم، أكبر التآليف في العربية حجما، وأوْسَعِها وغزارَتِها مادةً، وأكثرها ذيولا وتكملة[55]. وربما يعود تفسير هذه المسألة إلى اتساع رقعة الدولة الإسلامية التي أصبحت مترامية الأطراف، وكثرة الوافدين إلى مدنها وحواضرها، أو الخارجين منها من طبقة الأعيان والمشاهير. فأصبحت لذلك الضرورة مُلحّة لوَضْع تراجم تخُصّ مَنْ وُلِد في

51- مارية دادي، كتب التراجم نشأتها وتطورها، ص315.

52- سيتم تناول أهم مؤلفات التراجم في الأندلس التي عرفت رواجا كبيرا، فيما سيأتي من مباحث الأطروحة.

53- الأهواني عبد العزيز: "**مخطوطان جديدان من صلة الصلة لابن الزبير والذيل والتكملة لابن عبد الملك**"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، تصدر عن المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مج1، ع3، 1955، ص15.

54- الشيخ عبد الستار، أعلام الحفّاظ والمحدّثين عبر أربعة عشر قرنا، ج1، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، د.ت، ص60.

55- ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ص11 من مقدمة التحقيق.

هاته المُدن والحواضر أو نشأ بها، أو وَفَدَ عليها أو خرجَ منها[56]، وهو الأمر الذي أكّده علي ابن المديني[57]بقوله: "التفقُّه في معاني الحديث نصفُ العلم، ومعرفة الرجال نصفُ العلم"[58].

ومما تقدّم ذكره؛ نستنتج أن علم التراجم في مفهومه العام، هو ذلك العلم الذي يتناول سيرة وحياة الأعلام من الناس عبر العصور المختلفة، ويبحث في أحوال الأشخاص والأفراد بذِكْر حياتهم الشخصية ومواقفهم وأثرهم وتأثيرهم في الحياة، وذلك بمختلف طبقاتهم وأطيافهم، من الأنبياء والخلفاء، والأمراء والقادة والعلماء -في شتى المجالات-والفقهاء والأدباء والشعراء والفلاسفة وغيرهم.

ثم إن التأليف في علم الرجال شمل مختلف الأنواع وهي: كتب معرفة الصحابة، وكتب طبقات الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وتابعيهم ومن تبعهم، وكتب الجرح والتعديل، وكتب تواريخ المدن، وكذا كتب معرفة الأسماء وتمييزها.

ولقد ظهر علم التراجم في أول الأمر لخدمة الحديث النبوي الشريف، حيث برز ذلك من خلال التعريف برواة الحديث النبوي والتأريخ لرجاله. كما أنه جاء لدراسة أسانيد الأحاديث النبوية، وتمييز صحيحها من ضعيفها، وبيان أحوال رواتها، إلا أنها انصبت في البداية على التعريف بالشخصيات الدينية، لتنتقل مع اتساع رقعة دولة الإسلام وامتزاجها بما حولها من حضارات؛ إلى التأريخ للشخصيات الدنيوية من خلفاء وأمراء ووزراء، وتشمل في مرحلة لاحقة كل شرائح وأطياف المجتمع الإسلامي من علماء وفقهاء، وقضاة وأدباء، وشعراء وأطباء وغيرهم.

56- محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، ص71.

57- تقدّمت ترجمته في الهامش رقم: 43 من هذا الفصل.

58- الرامهرمزي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن، المحدّث الفاضل بين الراوي والواعي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، بيروت: دار الفكر، ط1، 1971، ص320. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص48.

المبحث الثاني: أنواع كتب التراجم الأندلسية ونماذج منها خلال (ق04هـ/10م)

تُعتبر كُتب التراجم مِن ضمن الكتابات الأدبية الأكثر ارتباطا بالتاريخ، وهي وجه آخر للتاريخ ونوع مِن أنواعه، بل إنّـها قد تَكُون هي التاريخ نفسه[59]. ولعلّ تسمية بعض المؤلّفين من المتقدّمين لمؤلفاتهم في علم الرجال بالتاريخ، يعتبر دليلا قويا على ذلك.

ومن أمثلة ذلك على وجه الحصر؛ أنّ المُحدِّثين وغيرهم مِن أرباب التصنيف، عندما خَطّوا مؤلفاتهم في السِّيَرِ والتراجم سمّوها "التاريخ"، ومنهم: الإمام البخاري (ت256هـ/869م)[60] صاحب كتاب "التأريخ الكبير" و"التأريخ الأوسط" و"التأريخ الصغير". وقد حذا حذوه في ذلك مُعاصِرُه علي بن المديني (ت234هـ/849م)[61] الذي وَسَم كتابه في الرجال بـ "التأريخ"، كما أنّ ابن أبي خَيْثَمَة[62] سمّى كتابه بـ"التأريخ الكبير"[63]. وقد تابعهم في ذلك بعد هذا العهد، بعضُ المؤلِّفين كأسلم بن سهل المشهور ببَحْشَل[64] مِن خلال كتابه "تاريخ واسط"، والخطيب البغدادي[65] في كتابه "تاريخ بغداد"، والعِجْلي[66] في كتابه "تاريخ الثقات". وأما ما عُرِف في عصرنا باسم "التاريخ" فسمّوه وقتها "الأخبار"[67]، إذِ

59- مارية دادي، كتب التراجم نشأتها وتطورها، ص314.

60- تقدمت ترجمته في الهامش: 46 من هذا الفصل.

61- تقدمت ترجمته في الهامش: 43 من هذا الفصل.

62- **ابن أبي خيثمة (185-279هـ/801-892م):** أحمد بن زهير أبي خيثمة، بن حرب بن شداد النسائي ثم البغدادي. مؤرخ من حفّاظ الحديث، كان ثقة راوية للأدب، بصيرا بأيام الناس؛ مولده ووفاته ببغداد. مِن تصانيفه: "التاريخ الكبير". ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص596، ترجمة: 619. الزركلي، الأعلام، ج1، ص128.

63- العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص270.

64- **بَحْشَل (ت292هـ/905م):** أسلم بن سهل، بن أسلم بن حبيب الرزّاز الواسطي؛ أبو الحسن. محدّث واسط في عصره؛ له: "تاريخ واسط". ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص664، ترجمة: 684. الزركلي، الأعلام، ج1، ص305.

65- **الْخَطِيب الْبَغْدَادي (392-463هـ/1002-1072م):** أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين، وُلده في غُزَيَّة، ومنشؤه ووفاته ببغداد. له: "تاريخ بغداد". ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص92. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص384، ترجمة: 120. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص270، ترجمة: 137. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص88. الزركلي، الأعلام، ج1، ص172.

66- **العِجْلي (181-261هـ/797-875م):** أحمد بن عبد الله بن صالح، مِن حُفَّاظ الحديث. ولد وعاش بالكوفة، ثم بالبصرة وبغداد، واستقر في طرابلس الغرب وتوفي بها؛ له: "الثقات". ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص156.

67- الشيخ عبد الستار، أعلام الحفّاظ والمحدّثين عبر أربعة عشر قرنا، ص60.

اعتبَروا كتب الأوائل منهم كُتُبَ تاريخٍ، وربـــما قد يُبرَّر ذلك بسبب ذِكر هاته الـــمؤلفات، لسنوات الولادة والوفاة لبعض الـــمُترجَمين[68].

وتجدر الإشارة في هذا الصدد، إلى أنه لابد مِنَ التنبيه هاهنا، أن هاته الـــمؤلفات الـــمذكورة في الـــجزئية السابقة كانت في الـــمشرق، وقد أوردْنَاها هُنا لِكَوْن الأندلسيين الأوائل مـــمّن صنّفوا في علم التراجم، قد اعتمدوا عليها في تصانيفهم اعتمادا كبيرا.

هذا؛ وقد كانت كتب التراجم في أوّل أَمْرِها مقتصرة على سِير رجال الحديث باعتبارهم حَمَلة السنّة، والذابّون عنها. ثم توسع الأمر وتعدّاه فيما بعد في التراجم، حتى ضمّ الأعيان مِن مفسّرين وقرّاء، ونـُحاة وأدباء وشعراء، وحكام وأمراء، ومؤرخين وفقهاء وقضاة، وغيرهم[69].

وإلى جانب هذا التطور الحاصل في علم التراجم، تفنّن الـــمُصنّفون والـــمؤلّفون في تراجم الـــمُحدّثين، فأفْرَدُوهم بالتصنيف تارة، وتَرجَـــموا لـــهم مع غيرهم تارة أخرى. كما ألّفوا في كتب الوفيات، وتواريخ البلدان العامة مـــمزوجةً بالتراجم، وتواريخ البلدان الـــمـــحلية والطبقات، وطبقات القرّاء والمفسّرين، والنُّحاة والأدباء والشعراء، والقضاة والولاة والوزراء، والزّهاد والأولياء، وطبقات الفقهاء، وفقهاء كل مذهب من الـــمذاهب الـــمُتَّبَعة، وطبقات الـــحـُفّاظ، وطبقات الـــمحدّثين في بلدٍ مَا، وعلماء الحديث في الأمصار، وتراجُم قُرون بعينها، ومعاجم شيوخٍ، وغير ذلك كثير جداً[70].

إنّ الـــمتبع لكتب التراجم، يـــجدها لا تخرج في الـــمُجمل عن إطارين اثنين؛ تراجم عامة وتراجم خاصة، وذلك حسبما تـــمْلِيه الطبيعة التي تُبنَى عليها الترجمة، والـــجهة الـــمَعْنِية بـــها. ولقد تعدّدت الـــمؤلفات التي عُنيت بالتراجم العامة والخاصة في الأندلس، غير أننا سنكتفي هنا بذكر البعض منها ولن نقوم برصدها كلّية، وسنشير إلى أهم مَن ألّف في هذا الـــمجال خاصة خلال (ق4هـــ/10م)، باعتبار أن مصنفات هذا العهد (مؤلفات ق4هـــ/10م)، كانت أساسا متينا ولبنة أساسية، بَنَا عليها مَن أتى بعدهم مِن مؤرخي التراجم والسير، إذْ كان لها الفضل في ترسيخ هذا العلم والرفع من مستواه، بل والإجادة فيه.

68- العمري، بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، ص270.

69- الشيخ عبد الستار، أعلام الحفّاظ والمحدّثين عبر أربعة عشر قرنا، ص60.

70- الـــمرجع نفسه، ص61.

1/-كتب التراجم العامة ونماذج منها:

هي الكتب التي تَحْوي جملة من التراجم لطائفةٍ مِنَ الرّجال، يختلفون صناعةً وطبقةً، وعصرًا ومكانًا، إلا أنّهم يَتّحِدُون في صفة واحدة تَجْمَعُهم، ألا وهي صفة الجدارة والاستحقاق بالترجمة لهم، وتدوين سيرتهم. وجدير بالذكر؛ أنّ في هذا النوع من كُتُب التراجم، يجتمع فيه الفقيه مع المحدّث، والشاعر مع الأديب، والحكيم والقاضي، وغيرهم بين طَيّاتِ مؤلَّف واحدٍ، بالرغم من وجود فوارق كثيرة، سواء في المهن أو الدور الاجتماعي والرسالة في الحياة.

كما قد يجتمع رَجُلٌ مِن رجال القرن الأول، مع رجال من القرن الثاني أو الخامس أو ما تلاه من القرون، أو قد يجتمع المكّي والمديني والشّامي، والعراقي والمصري، والخراساني والأندلسي. وفي هذا إشارة قوية، إلى أنّ اختلاف الأوطان، لم يكن سببا للإعراض عن التراجم لهم.

ويعدّ هذا النوع مِن كُتُب التراجم، مُعجَمًا للرجال البارزين في كلّ عِلمٍ من العلوم، أو فَنٍّ مِنَ الفُنُون، خلال عصور مختلفة، ويُرتَّبون بِحَسَب سَنِيٍّ وفياتِهم، أو بحسب أسمائهم[71].

وعليه، فإن كتب التراجم العامة تضمّ بين طيّيها تراجم الأشخاص في مختلف مناحي الحياة، وفي مختلف المهن والعصور والأماكن، والطبقات والمعتقدات[72]. كما أنّها تُعرِّف بأصنافٍ متعددة مِن الناس خلال فترات تاريخية مديدة، ويدخل في هذا الإطار كُتُب تواريخ الرجال والطبقات، وكتب الوفيات والحوليات، والمَشْيَخات والمعاجم، وكل ما حذا حذوها، ونسج على منوالها مِن المؤلفات والمصنفات[73].

ولقد كان للانتشار اللافت والكبير للعلماء والأعلام في الأمصار، وخاصة منها بلاد الأندلس، نتيجة لتعدد الجوانب في الثقافة الإسلامية، وكثرة مختلف العلوم واختلافها، كبير الأثر في جَعْلِ مؤرخي الأندلس يعمدون إلى تدوين تراجم أعلام هاته العلوم على اختلافها

71- محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، ص39.

72- وداد القاضي: "**معاجم التراجم تنظيمها الداخلي وأهميتها الثقافية**"، ضمن كتاب: الكتّاب في العالم الإسلامي، الكويت: مطابع السياسة، 2003، ص83.

73- ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ص12 من مقدمة التحقيق. مارية دادي، كتب التراجم نشأتها وتطورها، ص316.

وتنوعها، وتباينها أو تداخلها، باشتراك رجالـــها في الكثير منها. وقد أدى هذا إلى أن تشهد الأندلس طفرة نوعية في ميدان التراجم، فظهرت مؤلفات عدّة في تراجم الرجال الشاملة لـــمختلف التوجهات العلمية والفنية (التراجم العامة).

ومن الأمثلة التي تُساق على سبيل التمثيل لا الحصر هاهنا، نذكر:

1-1/-كتاب في رجال الاندلس: لأبي القاسم خالد بن سعد القرطبي (تـــ353هـــ/963م)، وهو من أهْل قُرْطُبَة؛ يُكَنَّى أبا القَاسِم. كان إماماً في الحَديث حَافِظاً له؛ قال عنه الـــمُستنْصر: إذا فَاخَرَنا أهْل الـــمشْرق بيَحْيَى بن مَعين؛ فاخَرْنَاهم بِـــخالد بن سَعْد[74]. وقد ألّف كتابه هذا في رجال الأندلس للمستنصر (350-366هـــ/961-976م)[75]، إذْ به اعتُبِر السبَّاق في هذا الـــمجال من ضمن كوكبة مؤرخي الأندلس خلال القرن الرابع الهجري (ق04هـــ/10م).

وقد كان هذا السِّفر النّفيس إلى عهد قريب في عِداد المفقود، حيث عُثِر على الكثير من فقراته وبعض مروياته، مدوّنة في مؤلفات مَن جاء بَعده، وخاصة ابن الفرضي والـــخشني، اللذان أكّدا ذلك في مَعرض ترجـــمتهما له، ويُستشَفُّ ذلك من قول ابن الفرضي: "وقد كَتَبْنا مِنْهُ في كِتابنا هذَا ما نَسَبْناه إليه"[76]. كما نقل عنه معاصره الخشني في مواضع كثيرة في كتابه "قضاة قرطبة وعلماء إفريقية"[77]، وكذا في كتابه أخبار الفقهاء والـــمحدّثين، في مواضع كثيرة[78].

وأخيرا؛ وبعد أن كان هذا الطِّرس مفقودا رَدْحًا غير يسير من الزمن، أخرجه إلى النور مـــُحقّقا أحمد عبد الجواد مصطفى درويش، عن دار حوران للدراسات للنشر والتراث، بدمشق خلال الثلاثي الأول من سنة 2024[79].

74- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص239-240، ترجمة: 396. محمد بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي بواعثها وأنماطها، منشورات جامعة القاضي عياض مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، 2002، ص20.

75- عن ترجمته ومظانها ينظر الهامش رقم: 147 من الفصل التمهيدي.

76- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص240.

77- الخشني، قضاة قرطبة، ص15 وص18 وص35 وص326 على سبيل المثال.

78- الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص378 ص380 وص384 على سبيل المثال وفي مواضع أخرى كثيرة.

79- "**تاريخ رجال الأندلس" لخالد بن سعد القرطبي...تراث مفقود يعود إلى الوجود في معرض الكتاب**". ينظر: بوابة الأهرام، gate.ahram.org.eg/News/4692819.aspx، تاريخ الدخول: الجمعة 2024/07/12، الثالثة والنصف مساء، تاريخ الخروج: 2024/07/12 الرابعة مساء.

وفي ضوء النقول والـمقتبسات الواردة عند ابن الفرضي والخشني، يـمكن القول: إنّ خالد بن سعد، حاول أن يَـجْمَع معلومات مستفيضة عن الفقهاء والإخباريين والقضاة، مِن مُدُنَ متفرقة في الأندلس، حيث ابتدأها بقرطبة التي خصّها بنصيب وافر من التراجم لأهلها، وانتهى بالحديث إلى بقية أقاليم الأندلس كوادي الحجارة[80]، وقرمونة[81]، ولشبونة[82]، وإشبيلية[83]، وطليطلة[84] وبقية البلاد[85].

وترجع أهمية هذا الكتاب كذلك؛ إلى أنَّ مؤلِّفَهُ تَرْجَم لعلماء وأعلامَ كُثُر خلال (ق02هـ/08م)، وابتدأه بأبي عبد الله محمد بن خالد بن مَرْتَنيل[86]، وخَتَمَه بالعام الذي توفِّي فيه هو أي سنة 352هـ/963م. كما أنه ترجم وعرّف ببعض معاصريه، الذين طال بهم العمر وماتوا بعده[87].

1-2/-تاريخ علماء الأندلس: لأبي الوليد عبد الله بن محمد الأزدي القرطبي، المعروف بابن الفرضي(ت403هـ)[88]، والذي يُعَدُّ من رُواد الكتابة على هذا المنوال أو ما يُسمَّى بالتراجم العامة، إِنْ لَـمْ يَكن هو رائدها الأول. حيث أكّد على ذلك المستشرق الإسباني آنخِل جنثالث بالنثيا(ANGEL GONZALEZ PALENCIA) ، الذي يرى بأسبقية ابن

80- **وادي الحجارة:** مدينة تعرف بمدينة الفرج بالأندلس، وهي بين الجوف والشرق من قرطبة؛ بينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلا. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص606. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج4، ص247.

81- **قرمونة:** مدينة بالأندلس في الشرق مِن إشبيلية بينهما عشرون ميلا، وهي مدينة كبيرة قديمة، افتتحها عبد الرحمن بن محمد سنة 305هـ. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص461.

82- **لشبونة:** أو أُشْبُونَة، مدينة بالأندلس وهي متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط، وهي على مصبّ نهر شنترين إلى البحر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص195.

83- تقدم التعريف بها في الهامش رقم: 14 من الفصل التمهيدي.

84- تقدم التعريف بها في الهامش رقم: 16 من الفصل الأول.

85- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص443.

86- **ابن مرتنيل(153-224هـ/770-838م):** محمد بن خالد الأشَجّ المعروف بابن مَرْتَنيل القرطبي، مولى عبد الرحمن بن معاوية؛ كان فاضلاً ورعاً. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص632-633، ترجمة: 1099.

87- **"تاريخ رجال الأندلس" لخالد بن سعد القرطبي...تراث مفقود يعود إلى الوجود في معرض الكتاب.** ينظر: بوابة الأهرام، gate.ahram.org.eg/News/4692819.aspx، تاريخ الدخول: الجمعة 12م2024/07 الثالثة والنصف مساء، تاريخ الخروج: 2024/07/12 الرابعة مساء.

88- سيأتي التعريف به وبكتابه في الفصل الثالث من الأطروحة، ص209.

الفرضي في هذا المجال، بَلْ وأعْلَنَها صراحة حينما قال متحدثا عن كتاب ابن الفرضي: "وهو أقدم مُعجم رجالٍ عامٍ بين أيدينا، بلغ فيه الغاية والنهاية مِن الحفل والإتقان"[89].

وقد أكّد هذا الأمر كذلك حسين مؤنس، الذي خَلُص إلى أنّ ابن الفرضي "هو شيخ أصحاب معاجم التراجم الأندلسية، ومُقرِّرُ أصول هذا الفنّ الذي اتصل في الأندلس والمغرب، بعد ذلك قرونا طويلة"[90]. ويضيف حسين مؤنس كذلك؛ أنّ كتاب علماء الأندلس، ما هو إلا ثَبْتٌ طويل بأسماء علماء الأندلس، إبّان تاريخها الإسلامي إلى عصر ابن الفرضي، الذي ينتهي بانتهاء (ق04هـ/10م). وقد حوى هذا السِّفر النّفيس، ما كان يحتاجه الناس مِن معلومات عن علمائهم، إذ تكمن أهميته في كونه مصدرا شاملا –تميز بالشمولية–جَمَع فيه تراجم رجالٍ مِن فئات مختلفة، ومناطق متفرقة، وجهات محلية متباعدة[91].

ومما سبق ذكره؛ نستنتج أن كُتب التراجم العامة هي كتب شاملة وجامعة، نَجِد فيها ذِكرا لجميع الفئات العلمية والعناصر الفكرية، إِذْ فيها المفسِّر والمحدِّث والمقرئ، والأديب واللغوي والشاعر، والفقيه، والطبيب، فضلا عن النسّابة والمؤرّخ وغيرهم.

2/-كتب التراجم الخاصة ونماذج منها:

هي كُتُب التراجم التي تُترْجِمُ للأشخاص الذين يشتركون في صِنْفٍ معيّنٍ، أو فترةٍ زمنية معيّنة[92]. وبذلك فهي تُعنى بترجمة أعلامِ زمنٍ محدّد، أو بلدٍ معين، أو منطقة معيّنة، أو فنٍّ من الفنون، أو مذهبٍ من المذاهب، أو طائفة خاصة مِن الناس، كالصلحاء وأرباب الزوايا والتصوّف، ويَنْضَاف إليها كذلك كُتُب المناقب[93] والأنساب[94].

89- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص271.

90- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيون، ص294.

91- المرجع نفسه، ص294.

92- وداد القاضي، معاجم التراجم تنظيمها الداخلي وأهميتها الثقافية، ص ص84-85.

93- **المناقب:** مُفردها مَنْقَبَة وهي في اللغة: الطَّرِيق الضّيق بَين دارين لَا يُسْتَطَاع سلوكه، وَالْفِعْل الْكَرِيم والمفخرة. ينظر: المعجم الوسيط، ص943. وأما في الاصطلاح: فهي مؤلفات تختص بترجمة شخص معيّن من شيوخ الزوايا، وأرباب الطوائف الدينية، أو تختص بترجمة أحد مريديهم، أو بترجمة طائفة ككل. ينظر: مارية دادي، كتب التراجم نشأتها وتطورها، ص ص319-320.

ولـــمّا كانت الثقافة الإسلامية متعدّدة الجوانب، بداية بالقرآن الكريـــم وعلومه، والتفسير؛ أنواعه وأعلامه، والحديث وعلوم مصطلحه، والسيرة النبوية الشريفة ورجالاتـــها، والفقه وأصوله، والأدب وفنونه، كان لزاما أَنْ تكْثُرَ التآليف في رجال وطبقات أَهْل كُلِّ عِلْم وفنّ، وكانت الكثرةُ؛ حيث يصعب حصرها وإحصاؤها[95].

وعلى هذا، كان من البديهي أن يـــختلف العلماء والـــمؤرخون فيما يـــختارونه مِن مواضيع مُؤلفّاتِـــهم. فقد انعكست رحلاتـــهم وســـماعُهم مِن شيوخهم خلال مرحلة الطلب، وكذا مروياتـــهم؛ على همـّـتهم في البحث، والنظر في بعض الـــمواضيع كالفهارس والبرامج، وتسميات الرجال الذين رَوَوْا عنهم، وكون رحلاتـــهم تعدّدت مِن بلد إلى آخر، وهو ما جعلهم في الأخير يصنّفون عن رجال بلد معيّن[96].

ومـــمَّا سبق ذكره، يتّضح جليّا أنّ كُتب التراجم الخاصة في الأندلس، تنوّعت مِن مؤلِّفٍ أو مصنِّفٍ لآخر، على النحو التالي[97]:

2-1/-تراجم فئات معينة

2-2/-تراجم رجال بلد معيّن

2-3/-تراجم فئات معيّنة في بلد معيّن

2-4/-فهارس أو برامج وتسمية الرجال

2-5/-تراجم رجال مذهب واحد

وفي هذا الـــمقام نودّ التنويه والتأكيد، على أن الـــمؤلفات في هاته الأنواع (التراجم الخاصة)، اتّسمت بالكثرة والغزارة، ولذلك لا يتّسع الـــمقام لذكرها بالكلّية، وسنقتصر على إيراد نـــماذج يسيرة منها فقط، حتى تتضح الصورة عن هذا النمط من الكتابة التاريـــخية، وذلك على النحو الآتي:

94- مارية دادي، كتب التراجم نشأتها وتطورها، ص316.

95- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص442.

96- الـــمرجع نفسه، ص ص442-443.

97- اعتمد هذا التقسيم من الباحثين كل من مارية دادي وأحمد الوزان. ينظر: مارية دادي، كتب التراجم نشأتها وتطورها، ص ص316-320. أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص415-442.

2-1/-تراجم فئات معينة:

عَرَفت الأندلس هذا النوع من التراجم في وقت مبكِّر، وذلك أيام عبد الملك بن حبيب (ت238هـ/852م)، والذي يُعدّ أَقْدَم مُؤرخي الأندلس وأشهرهم خلال القرن الثالث الهجري (ق03هـ/09م)، وذلك لَـمّا صَنّف إحدى مدوّناته المتضمِّنة طبقات الفقهاء والتابعين، إذْ كان هذا الطِّرْسُ جزءا من كتاب كبير ألّفه في عشرة أجزاء، وكان هو عاشرها[98].

وقد اتّسم طابع الكتابة تحت إطار تراجم فئات معيّنة، بتخصيصه لفئة علمية معيّنة مُختصّة بعلم من العلوم، كالكُتّاب والشعراء، والنحويين واللغويّين، والأطباء والحكماء، والقضاة والفقهاء، وغيرهم.

أ/-الكُتّاب:

تميّز عهد الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط (176-238هـ/ 792-852م)[99] بتطور الجهاز الإداري للدولة الأموية في الأندلس، والذي صَاحَبَه تطور نشاط الكتابة في ديوان الخلافة وبقية دواوين الدولة، كالخدمات والإدارات المتنوعة، وذلك لكثرة وتشعب المسؤوليات والاختصاصات التابعة للدولة.

وقد كان هذا الأمر حافزا مهما، لبروز ثلّة من الكُتّاب من بَيْن فئة موظَّفِي الدولة، ساعدهم في ذلك زيادة الأعباء الإدارية التي تتطلب كتابة وتوثيقا أكثر، فضلا عن استحداث سجلٍّ للقائمين على هاته المهنة أو العاملين فيها. وبذلك تشكّلت طبقة مهمة، من بين طبقات المجتمع الأندلسي، والمتمثلة في إداريي الدولة.

ولقد جعل هذا التوجه الجديد في الأندلس، بعض مؤرخي الأندلس يَلْتَفِتُ لتناول سِيَر هاته الفئة-إداريو الدولة-ترجمةً وتدوينًا، حيث نَهَجُوا مسلك التصنيف في "طبقات الكُتّاب" والتي يمكن أن تدخل-من حيث المنهج-في إطار التراجم لفئات معيّنة، على النحو المذكور سابقا[100].

ومن بين الكُتّاب الذي برعوا في هذا التوجه، على سبيل المثال لا الحصر؛ نذكر:

98- راجع الفصل الأول من الأطروحة ص ص: 44-54.

99- راجع ترجمته في الهامش رقم: 383 من الفصل الأول.

100- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص416-417.

- الأديب الإخباري سكن بن سعيد بن إبراهيم القرطبي (توفي أوائل ق04هـ/10م)[101]:

وقد صنّف كتابا في إطار تراجم فئات معينة سمّاه "طبقات الكُتّاب بالأندلس"[102]، حيث أشار إليه ابن حزم الأندلسي في رسائله، وذلك في معرض حديثه عن كتب الطبقات بالأندلس[103]. ومِنْ غير المُستبعَد أنْ يكون تصنيفُ سَكَنْ بن سعيد لهذا الكتاب، قد جاء استجابة لرغبة الأمير الأموي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (ت300هـ)[104]، الذي كان مختصّا به.

- محمد بن موسى بن هشام النحوي المعروف بالأُقشتين (ت307هـ/919م)[105]: من أهل الأندلس، كانَ متصرفاً فِي عُلُوم الْأَدَب، ورحل إِلَى الْمشرق. وقد أسهم في بناء هذا النوع من التراجم الخاصة، ودعّم منهجه غداة اشتهاره بتأليف كتابه "طبقات الكُتّاب بالأندلس"، والذي أجمل فيه بعضًا من سِيرِ الكُتّاب الأندلسيين[106].

ب/-الشعراء:

عَرَفت الأندلس إنتاجا شعريا غزيرا ومُتميّزا، وسجّل شعراؤها حضورا لافتا في الحياة الثقافية، وهو الأمر الذي أدّى إلى الاهتمام الكبير بسِيَر هؤلاء الشعراء نظير هذا الحضور المتميّز، منذ البدايات الأولى وفي وقت مبكّر بهذا المَصْر والصرح الثقافي السامق-

---

101- الحميدي، جذوة المقتبس، ص368، ترجمة: 494. الضبي، بغية الملتمس، ج2، ص406، ترجمة: 836. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص1379، ترجمة: 551. المقري، نفح الطيب، مج3، ص175. البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص393. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، ص80 وص365. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج5، ص30.

102- المصادر والمراجع والصفحات نفسها.

103- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2، ص184.

104- راجع ترجمته في الهامش رقم: 59 من الفصل الأول.

105- الضبي، بغية الملتمس، ص165، ترجمة: 269 وفيها يسمى الأفشتين. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص672، ترجمة: 1171. ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج2، ص184. ابن ماكولا، الإكمال، ج1، ص104. ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ص13. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص61، ترجمة: 2101. المقريزي، المقفى الكبير، ج7، ص222، ترجمة: 3287. المقري، نفح الطيب، مج3، ص ص174-175. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج07، ص124، ترجمة: 356. الزبيدي، طبقات النحويين، ص ص282-282، ترجمة: 230. وفيه الأقشتيق.

106- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص194-195.

الأندلس-خاصة أيام الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط (176-238هـ/ 792-852م)[107]، إذْ ظَهر في عهده عددٌ مهم من الشعراء، الذين بَصَموا بإسهاماتهم المتميّزة على هذا العهد[108].

وقد امتدّ هذا التأثير المُتميِّز حتى خلال فترة انسداد الوضع السياسي وتشابكه زمن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (275-300هـ/888-912م)[109]، إذ لم تتعطّل الحياة الأدبية ولم تتأثر كثيرا بهاته الأوضاع[110]. وقد جادت علينا كُتُب الإخباريين بمقطوعات شِعرية لعدد لا بأس به مِنْ شُعراء ذلك العهد، قُدّرت في تعدادها بما لا يقل عن الثمانين مقطوعة شعرية[111].

وبطبيعة الحال، فإن العاصمة قرطبة أخذت حصتها الكاملة في هذا النشوء الحضاري والفعل الثقافي الزاخر، إذِ ازدهرَ الشِّعْرُ فيها وبقية الأقاليم الأندلسية التي استقلت عن السلطة المركزية. وقد كانت الانتفاضات المتكررة ضد بني أمية في الأندلس على هذا العهد، والصراع حول السلطة، الرافد الأول لنظم الشعر السياسي الحماسي، والذي عرف تنوعا وغزارة كبيرين[112].

ومِن أمثلة ذلك؛ أن المتمرِّدين على السلطة الأموية هناك، وُجِد مَن يُحيط بِهم من الشعراء والمدّاحين، الذي امتدحوهم بأشعار تُخلِّد حملاتهم ومعاركهم، وتَهْجُو أعداءهم وتحرّض الأنصار على محاربتهم[113]؛ ومن هؤلاء:

- الثائر المتمّرد عمر بن حفصون (ت305هـ/918م): هو عمر بن حفص بن عمر بن جعفر ابن شتيم بن دميان بن فَرْغَلُوش بن أذفونش، ثائر من أهل الأندلس، وهو أول من فَتح باب الشقاق والخلاف واسعا فيها، حتى نعته المؤرخون باللّعين والخبيث، ورأس النفاق. ثار

107- راجع ترجمته في الهامش رقم: 383 من الفصل الأول.

108- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص418.

109- راجع ترجمته في الهامش رقم: 59 من الفصل الأول.

110- عن هاته الأحداث راجع: ابن حيان الأندلسي، كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام 275-300، تحقيق وشرح وتعليق: إسماعيل العربي، الرباط: منشورات الأمان، ط1، 1990، ص ص15-19.

111- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص418.

112- المرجع نفسه، ص418.

113- ولأمثلة عن هاته المقطوعات الشعرية ينظر على سبيل المثال لا الحصر: ابن حيان، المقتبس (تحقيق إسماعيل العربي)، ص26 وص ص28-30 وص32 وص50 وص56.

على الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة 270هـ/883م، واستفحل أمره بعد ذلك، فقاتله الأمراء ودانت له حصون الأندلس كلها، حيث قُدّر جيشه في بعض غاراته بثلاثين ألفا[114]. قال عنه ابن حيان: إنه كان "أعلاهم ذِكرا في الباطل، وأضخمهم بصيرة في الخلاف، وأشدّهم سلطانا، وأعظمهم كيدا، وأبعدهم مدّة"[115].

ومنهم كذلك:

- **ديسم بن إسحاق (ت293هـ/905م)**[116]: قال عنه ابن حيان بأنه كان: "عظيم الذكر، بعيد الصيت، كثير الأتباع"[117]. وقد غَلب على مدينة مرسية[118] ولورقة[119]، وما يليهما مِن كورة تُدمير[120].

ومن هؤلاء المتمردين:

- **عبيد الله بن أميّة بن الشالية**[121]: في جبل شـــمنتان[122]، وما يليها مِن كور جيان[123].

114- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج5، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983، ص238. ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ص325، ترجمة: 143. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص582، ترجمة: 300. ابن حيان، المقتبس (تحقيق إسماعيل العربي)، ص72. الزركلي، الأعلام، ج5، ص45.

115- ابن حيان، المقتبس، (تحقيق إسماعيل العربي)، ص24.

116- ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص142. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص ص230-231. ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص138.

117- ابن حيان، المقتبس (تحقيق إسماعيل العربي)، ص24.

118- **مرسية:** مدينة بالأندلس، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، واتـُّخذت دار العمال وقرار القواد. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص539.

119- **لُورَقَةُ:** بالضم ثم السكون، والراء مفتوحة والقاف، ويقال لرقة، بسكون الراء بغير واو. وهي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص25. الحميري، الروض المعطار، ص512.

120- ابن حيان، المقتبس (تحقيق إسماعيل العربي)، ص24. **وتُدمِيرُ:** بالضم ثم السكون، وكسر الميم، وياء ساكنة، وراء، كورة بالأندلس، سميت باسم ملكها تدمير، وتتصل بأحواز كورة جيّان، وهي شرقي قرطبة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص19. الحميري، الروض المعطار، ص131.

121- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص ص230-231. ابن حيان، المقتبس (تحقيق إسماعيل العربي)، ص25. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، ص154. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات في الأندلس، ج8، ص138.

122- **شَـــمـْنَتَانُ:** بلد بالأندلس من عمل المرية، من ناحية جيّان. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص364.

123- تم التعريف بها في الهامش رقم: 106 من الفصل الأول.

- **إبراهيم بن حجاج بن عمير اللّخمي**[124]: أَبُو إِسْحَاق؛ مَلَك إشبيلية[125] وقرمونة[126]، وَاتخذ لنَفسِهِ جُنداً، وارتفع ذِكره وبَعُد صيته[127].

وفي ظل التمرد الواسع في الـــمناطق الجنوبية مِن الأندلس (إلبيرة وغرناطة)[128]، طَفَتْ إلى السطح عصبية أندلسية جديدة، في مقابل العصبية القديـــمة، والـــمتمثلة في عداوة عرب الشمال وعرب الجنوب التي سادت في العقود الأولى من الفتح الإسلامي، وكان الفاعل الأكبر فيها هُمُ العرب من جهة، والـــمولّدون[129] مِن جهة ثانية. وقد كانوا غالبا ما يتحالفون مع النصارى، ويقدّم كل واحد منهما شعراءه في هذا الـــمضمار[130]، ولذلك فلا غرابة أن يَبرُز ثلّة مِن الـــمُدافعين عن كل طرف في هذا السِّجال، حيث قدّم كل طرف شعراءه.

وقد برز من العرب:

- **سعيد بن جودي السعدي:** وهو سعيد بن سُلَيْمَان بن جودي بن أَسْبَاط بن إِدْرِيس السَّعْدِي، من هوَازن من جند قنسرين. وَلِـــيَ جده جودي بن أَسْبَاط الشرطة للأمير الحكم الربضى، وَولي أَيْضا قَضَاء بَلَده إلبيرة[131].

- **القائد سوار بن حـــمدون القيسي الـــمحاربي:** وهو زعيم عربي قاد حركته سنة 276هـــ بناحية البراجلة في كورة إلبيرة، وانضوت إليه بيوتات العرب، في الفتنة التي جرت

124- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص376، ترجمة: 207. ابن حيان، المقتبس (تحقيق إسماعيل العربي)، ص27. خليل إبراهيم السامرائي وعبد الواحد ذنون طه وناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب في الأندلس، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2000، ص126.

125- تم التعريف بها في الهامش رقم: 14 من الفصل التمهيدي.

126- تم التعريف بها في الهامش رقم: 81 من هذا الفصل.

127- ابن حيان، المقتبس (تحقيق إسماعيل العربي)، ص27.

128- تقدم التعريف بهما في الهامش رقم: 19-20 من الفصل الأول.

129- راجع التعريف بهم في الهامش رقم: 227 من الفصل الأول.

130- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص418-419.

131- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص ص154-160، ترجمة: 57. ابن حيان، المقتبس (تحقيق إسماعيل العربي)، ص78. السامرائي وآخرون، تاريخ العرب في الأندلس، ص326. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات في الأندلس، ج8، ص ص216-218.

بينهم وبين المولدين. وكان سوار معروفاً بالشجاعة والجرأة وحسن المعاملة، وقد نُظمت فيه أشعار كثيرة[132]، وقُتل غدراً، على يد بعض أتباع ابن حفصون سنة 277هـ/890م[133].

كما تصدّر للدفاع عن المُولّدين، **الشاعر عبد الرحمن بن أحمد العبلي مِن إلبيرة:** وكان خصما للشاعر محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي، وقد ذكر له ابن الأبار بيتين مِن الشعر[134].

وفي رحى المعارك الدائرة بين العرب والمُولّدين، نُظمت عدّة قصائد وأشعار من الجهتين، تدعو الأنصار وتُحرِّضهم على القتال، حيث وَصَفَت هاته الأشعار انتصارات كلا الطرفين، والهزائم التي ألحقها كل جانب بالطرف الآخر.

وقد أدّت هاته الأحداث وما سِيق حولها من أشعار حماسية، إلى تكوين بيئة خصبة ودافِع مُثير لبعض مؤرخي الأندلس خلال القرن الرابع الهجري (ق04هـ/10م)، جَعَلَهُم يتناولون سِيَر هؤلاء الشعراء وغيرهم، بل وتتبعوا أخبارهم، وتَرْجَموا لَهُم في إطار التصنيف في طبقات الشعراء بالأندلس[135].

ومِنْ أبرز مَنْ كَتَب وصنّف في هذا التوجّه، نهاية القرن الثالث (ق03هـ/09م) وبداية الرابع الهجريين (04هـ/10م): الأديب الأندلسي **عثمان بن ربيعة (ت310هـ/922م)،** الذي ألّف كتابا سمّاه "طبقات الشعراء بالأندلس"[136].

132- راجع نماذج من الأشعار التي قيلت عنه عند: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص ص147-154، ترجمة: 56.

133- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص ص147-154، ترجمة: 56. ابن حيان، المقتبس (تحقيق إسماعيل العربي)، ص78. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار المعارف، ط5، ص260. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، ص97. سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين في الأندلس، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ط1، 2003، ص164. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ص696.

134- ابن الأبار، الحلة السيراء، ص153. ابن حيان، المقتبس (تحقيق إسماعيل العربي)، ص85. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج2، ج5، ص50. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، ص ص97-99.

135- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص419.

136- الضبي، بغية الملتمس، ص537، ترجمة: 1188. الحميدي، جذوة المقتبس، ص483، ترجمة: 701. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج19، ص319، ترجمة: 7619. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج3، ص166، ترجمة: 413.

136- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص1601، ترجمة: 692. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة

ومنهم كذلك؛ **أبو محمد قاسم بن نصير بن رقاص بن عيشون بن سليم المعروف بابن الفتح الشدوني (284-338هـ/897-950م):** وهو قاسم بن نصير بن رقاص بن عيشون بن سليم بن حريش بن أيوب، المعروف بابن أبي الفتح؛ أبو محمد. فقيه نحوي، لغوي شاعر، من أهل شذونة[137]، صنّف كتابا "في الشعراء من الفقهاء بالأندلس"، وضمّنه بعض أشعاره في الزهد وذمّ الدنيا، والتذكير والوعظ[138].

ومن المصنّفين في هذا الفنّ، والذين يَحْسُنُ بنا ذِكْرُهم؛ **محمد بن عبد الرؤوف بن محمد بن عبد الحميد الأزدي القرطبي المعروف بأبي خَنيِّس (ت343هـ)**[139]: وهو محمد بن عبد الرؤوف بن محمد بن عبد الحميد الأزدي، من أهلِ قُرْطُبَة؛ يُكَنَّى أبا عَبْد الله، ويُعرف بأبي خنيّس. كان كاتباً بليغاً، عالماً باللغة والغريب، والأخبار والتواريخ، كَتَب وصَنَّف في شعراء الأندلس كتابا قال عنه ابن الفرضي: إنّه "بلغ فيه الغاية"[140].

ومنهم **عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفار القرطبي (ت352هـ/962م):** أبو محمد الأنصاري القرطبي الصفّار، والد قاضي الجماعة أبي الوليد يونس. كان أديباً شاعراً، بارعاً بليغاً كاتباً، مع العبادة والتواضع والفضل، زَهَدَ في الدنيا في آخر عمره. صنّف للحَكَم

قرطبة، ص80. الزركلي، الأعلام، ج4، ص205. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج5، ص29. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات في الأندلس، ج8، ص140. كحالة معجم المؤلفين، ج6، ص253.

137- **شَذُونَةُ:** مدينة بالأندلس، تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس، وهي منحرفة عن موزور إلى الغرب مائلة إلى القبلة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص329. الحمري، الروض المعطار، ص339.

138- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص610، ترجمة: 1067. ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ص13. كحالة معجم المؤلفين، ج8، ص126. وقد ذكر له ابن عبد البر القرطبي بعض الأبيات الشعرية. ينظر: ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذّاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1981، ص241.

139- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص724، ترجمة: 1260. السيوطي، بغياة الوعاة، ج1، ص159، ترجمة: 267. الزركلي، الأعلام، ج6، ص204. كحالة معجم المؤلفين، ج10، ص166. وقد أورد له الفيروزابادي شعرا في الهجاء. ينظر: الفيروزبادي مجد الدين محمد بن يعقوب(729-817هـ)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، دمشق: سعد الدين للطباعة والنشر، ط1، 2000، ص173.

140- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص724، ترجمة: 1260.

المستنصر[141] كتابا في أشعار الخُلَفاء مِن بني أمية بالأندلس فأجاد، وانفرد بهذا التخصص عَن أقرانه مِن مُؤلِّفي عَصْره[142].

ومع أنّ ابن الصفار القرطبي، انفرد عن أقران عصره في جمع الأشعار التي نُظمت في الخلفاء من بني أمية، إلا أنّ أحمد بن محمد بن فرج الجياني، قد تابعه في ذلك وتأسّى به، وذلك من خلال كتابه "الحدائق" المُتضمّن مجموعة مهمّة مِن مُنتخبات قصائد شعراء الأندلس، الذين عاشوا خلال القرنين (ق03-04هـ/09-10م)[143].

وأحمد بن محمد بن فرج الجياني: هو أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج الجيّاني، من أسرة من الشعراء والعلماء من أهل جيّان. عاش في أيام الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)[144]، وقد أغضبه ابن فرج بقصيدة هجاه بها، وحُبس على ما يُحتمل في سنة 359هـ/969م، وكَتب في سجنه قصائد ورسائل كثيرة؛ وكانت وفاته سنة 366هـ/977م أو 367هـ/978م. قيل: إنه كان شاعرا وأديبا مكثرا، وبقي لنا من شعره بعض قصائد في الغزل ووصف الطبيعة[145].

141-تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 147 من الفصل التمهيدي.

142- الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص393-394، ترجمة: 534. الضبي، بغية الملتمس، ص ص431-432، ترجمة: 886. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص270، ترجمة: 515. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص45، ترجمة: 55. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص262، ترجمة: 6371. ابن قُطْلُوبُغَا الحنفي، الثقات، ج6، ص122، ترجمة: 6173.

143- الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص169-170، ترجمة: 176. المقري، نفح الطيب، مج3، ص196. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص ص51-52، ترجمة: 1159. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص174، ترجمة: 421. ابن دحية، المطرب، ص ص4-6. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص473-474، ترجمة: 167. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج2، ج5، ص31 وص62-63. كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص143. تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، ص69.

144-تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 147 من الفصل التمهيدي.

145- الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس وديوان بني فرج شعراء جيان، جمعه ورتّبه وشرحه: رضوان الداية، جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، الإمارات: تراث الإمارات، 2003، ص ص11-26. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص169-170، ترجمة: 176. المقري، نفح الطيب، مج3، ص196. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص ص51-52، ترجمة: 1159. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص174، ترجمة: 421. ابن دحية، المطرب، ص ص4-6. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص473-474، ترجمة: 167. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج2، ج5، ص31 وص62-63. كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص143. تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، ص69.

ولقد ألّف أحمد بن محمد بن فرج الجيّاني كتاب "الحدائق"، وعارض فيه كتاب "الزّهرة"[146] لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني. حيث إنّه وخلال إيراده لتلك الأشعار والقصائد، كان يَذْكُر وقبل عرضه للأبيات أو القصائد الشعرية، المناسبة التي قِيلت فيها. وهذا الأمر يبدو واضحا جليا، مِن خلال مَروياته التي نقلها لنا عنه ابن الأبار في "الحلّة السيراء"، حيث جاءت في تسعة عشر موضعا[147].

ومنهم كذلك؛ **أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني (ت297هـ/910م):** هو محمد بن داود علي أبو بكر الظاهري، العلامة البارع ذو الفنون، وهو مصنف كتاب "الزهرة" في الآداب. كان له بصرا تاما بالحديث وأقوال الصحابة، وكان يجتهد ولا يقلد أحدا[148].

وتجدر الإشارة، إلى أنّ هؤلاء الكُتّاب المارّ ذِكْرُهم وغيرهم ممَّن لم نَذْكُرْهُم لعدم اتّساع المقام، قد أسهبوا كثيرا في تناولهم لِسِيَر الشُّعراء، بِوَصْفِهم لأدبيات هؤلاء الشعراء ولغتهم، وذلك في مَعْرض حديثهم عن سِيرهم وأخلاقهم[149].

ولعلّ أبرز مثالٍ يُساقُ في هذا الصدد، هو ابن عبد الرؤوف الأزدي المعروف بأبي خَنِّيس السالف ذكره[150]. فعند تناوله لحياة محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم المُكنى أبو بكر، والمعروف بابن القوطية (ت367هـ/977م)[151] الذي عُرِف بفقهه وأدبه، وَصَفَهُ في نصّ بديع بليغ، نقله عنه صاحب "المدارك"، مما جاء فيه: "كان أبو بكر عالِماً مِن علماء الأندلس، فقيهاً مِن فقهائهم، صَدْراً في أُدبائهم، حافظاً للغة والعربية، بصيراً بالغريب والنادر والشاهد والمثل، عالِماً بالخَبَر والأثر، جيّد الشِّعْر،

146- حققه لويس نيكل Luwīs Nīkl وطبع ببيروت1932، وأعاد طبعه إبراهيم السامرائي بمكتبة المنار بالأردن سنة 1985.

147- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص39 وص41 وص125 وغيرها من الصفحات.

148- أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني (ت297هـ/910م)، الزهرة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الأردن: مكتبة المنار، ط2، 1985، ص ص7-16 من مقدمة التحقيق. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص ص109-116، ترجمة: 56. ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج1، ص28.

149- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص420.

150- تقدم التعريف به في الهامش رقم: 139 من هذا الفصل.

151- تقدم التعريف به الفصل الأول، ص ص66-83.

صحيح الألفاظ، واضح المعاني... فهو إمام من أئمة الدِّين، تام العناية بالفِقْه والسُّنَّة، مَعَ مُروءة ظاهرة وتـَمَام خِلْقة وسَـمْت، وحُسْن بيان"[152].

وفي الإطار ذاته، أكّد ابن عبد الرؤوف الأزدي، أنّ القيمة الشعرية عند ابن القوطية قد قلّ شأنـها كثيرا، مُعلّلا ذلك بإيثار ابن القوطية نفسه لـِمَا هو أَوْلَى من الشِّعر كالفقه والسنّة والعناية بـهما. كما أنّ ابن عبد الرؤوف وفي السياق ذاته، نـجدُه يَعرِض لأخلاق ابن القوطية، حيث وصفه بالـمُروءة الظاهرة والـخُلُق التّام، والسَّمْت الـمُتكامل، فضلا عن حُسْن البيان[153].

ومِنَ الـمُصنِّفين الذين أسهموا بقسط وافر في هذا الاتـّجاه، نـجد أبو الوليد بن الفرضي (ت403هـ/1012م)، حيث لـم يتأخّر في الضَّرب بِسَهْمه في هذا الـمِضمار، إذ اشتهر كمؤلِّفٍ لـمجموعة مِنْ تراجم شعراء الأندلس وأخبارهم. وهو الأمر الذي أكّده ابن بشكوال في معرض ترجمته له، حيث حلاّه بقوله: "وجمع كتابا حفيلا في أخبار شعراء الأندلس"[154]. كما أكّد على ذلك الذهبي في قوله: "وله تصنيف مفرد في شعراء أهل الأندلس"[155]، وهو ما ذهب إليه ابن خلكان والمقري في مواضع كثيرة من "وفيات الأعيان"[156]، و"نفح الطيب"[157].

وكتاب ابن الفرضي هذا في أعلام الشعر بالأندلس، ونظرا لغزارة معلوماته، فقد اعتمده ابن حيان (ت469هـ/1076م) في الـمقتبس، في كثير مِنْ مَروياته لذكر شعراء الأندلس[158].

ج/-النحويون واللغويون:

تُعتبر تراجم طبقات النحويين واللّغويين، رافدا آخر من روافد تراجم فئاتٍ مُعيَّنةٍ بالأندلس. حيث نسجّل حضورا مهما لثلّة من الـمؤرخين الذين صنّفوا في مـجال الطبقات والتراجم، ومنهم **أبو بكر الزبيدي (316-379هـ/928-989م)**: وهو مـحمد بن الحسن بن

152- عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص297. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص1154.
153- المصدر نفسه، ص1154.
154- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج1، ص ص278-280، ترجمة: 539.
155- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص ص1076-1079، ترجمة: 981.
156- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص105-106.
157- المقري، نفح الطيب، مج2، ص ص129-131.
158- أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص241. للاستزادة راجع طبعات المقتبس لابن حيان.

عبيد الله بن مذحج، الزبيدي الحِمصي ثم الإشبيلي، المُكنَّى أبو بكر. القاضي المؤدّب، الفقيه المفتي المحدّث، النحوي اللغوي، الأديب الشاعر المتفنن. وُلِد ونشأ واشتهر في إشبيلية، وطلَبَه الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)[159] إلى قرطبة، فأدّب فيها وليّ عهده هشام المؤيد (366هـ-399هـ-976-1009م)[160]، ثم ولي قضاء إشبيلية، فاستقر وتوفي بها. من تصانيفه: "الواضح" في النحو"، وطبقات "النحويين واللُّغويين"[161] الآتي ذِكره.

وتكمن الأهمية الكبيرة، لجهود أبي بكر الزبيدي التاريخية في مجال الطبقات والتراجم، ولعلّ أكثر ما يميّز جهوده في التأليف في هذا الفنّ، كتابه المشهور "طبقات النحويين واللغويين"[162]، الذي صنّفه بتوصية من الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)[163]، الذي وعلى ما يبدو، لقّنه طريقة ترتيب مواد كتابه هذا، تبعا لأقاليم العالم الإسلامي وقتذاك. حيث بدأها مِن أوائل ممثلي هذه الفروع المعرفية، وانتهى إلى الأشخاص الذين عاصرهم. يُستشَفّ ذلك مِن قوله: "فألَّفتُ هذا الكتاب على الوجه الذي

159-تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 147 من الفصل التمهيدي.

160- تقدمت ترجمته في الهامش: 148 من الفصل التمهيدي.

161- الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص85-88، ترجمة: 34. الضبي، بغية الملتمس، ص ص93-94، ترجمة: 80. عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص ص37-40. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص2518-2521، ترجمة: 1036. القِفطي الوزير جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف (ت642هـ)، المحمدون من الشعراء وأشعارهم، تحقيق وتقديم: حسن معمري، بإشراف: شارل بلا، جامعة باريس، 1970، ص ص207-209، ترجمة: 175. القِفطي، إنباه الرواة، ج3، ص ص108-109، ترجمة: 624. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص ص372-374، ترجمة: 651. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص ص84-85، ترجمة: 136. الهِجراني، قلادة النحر، ج3، ص229، ترجمة: 1692. الزركلي، الأعلام، ج6، ص82. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص ص1047-1048. يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص261-270. عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس في القرن الرابع الهجري، ج2، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004، ص ص466-475.

162- لتفاصيل وافية عن هذا المؤلَّف، ينظر: أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص271-281. عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص ص476-495.

163- لتفاصيل أكثر عن علاقة الزبيدي وصِلَتِه بالحكم المستنصر؛ ينظر: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص ص469-471. نبيلة عبد المنعم داود: "**فن التراجم في التاريخ العربي الإسلامي**"، مجلة التراث العلمي العربي، تصدر عن جامعة بغداد، ع4، 2011، ص5.

أَمَرني به أمير المؤمنين أعزّه الله، وأَقَمْتُهُ على الشكل الذي حدَّه، وأمدّني-أبقاه الله-في ذلك بعنايته وعِلمه، وأوسعني مِن روايته وحفظه"[164].

وكتاب الزبيدي المذكور، هو مِن أشهر ما صُنّف في هذا المَجال[165]، حيث سار مصنِّفُه على نَهْج فريد لم يسلكه أحدٌ قبله، ولا نَهَجَه مَنْ جاء بعده. وهو ما أكّده ابن خلكان في معرض ترجمته له قائلا: "كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة، وكان أَخْبَرَ أهل زمانه بالإعراب والمعاني والنوادر، إلى عِلم السير والأخبار، ولم يكن بالأندلس في فنِّه مِثلَه في زمانه"[166].

وفي نَثْرِه لمادة كتابه على هذا النهج الفريد مِن نوعه؛ ذَكر الزبيدي رجال البصرة لوحدهم، ورجال الكوفة في زاوية مستقلة تماما عن الأولى، ثم المصريين وبعدهم القرويين (أي القيروان بإفريقية)، وأخيرا علماء الأندلس. ولعلّ ما يميزه كذلك في هذا الطرس التاريخي الهام، هو أنه كان يُعدّد لكلّ واحد من الأعلام المُترجَمين شيوخَه ثم تلاميذه، وما ألَّف مِن الكُتب أو ما رَوى من الأخبار. كما أنه كان يُعْنَى بإثبات سَنَيِّ المولد والوفاة للمُترجَمين، وهو ما أهّله لأن يكون مصدرا أصيلا في تاريخ النحو والمعاجم في تاريخ الأدب[167].

164- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص18.

165- للإشارة، فإن هذا الكتاب اختصره محمد بن علي المحلي، ومنه نسخة في المكتبة التيمورية تحت رقم: 2147، نُسخت سنة 1343م. وله مختصر آخر طبع سنة 1919م، ثم طبع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم سنة 1954 من نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم: 876، منقولة عن نسخة مخطوطة من مكتبة نور عثمانية كتبت سنة 658هـ بالقاهرة بدار الحديث الكاملية، وبخط علي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن هشام اللخمي الإشبيلي، وتقع في 220 صفحة. ثم أعاد تحقيقه معتمدا على النسخة الأولى ونسخة أخرى وُجدت في المكتبة الملكية بالرباط تحت رقم: 283 تعود إلى القرن الخامس الهجري. وطُبع التحقيق سنة 1973 طبعة جديدة منقحة خالية من الأخطاء، مستكمَلة في ضبط أعلامها ونصوصها، خاصة قسم الأندلس. ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ص3-5 من مقدمة المحقق.

166- وفيات الأعيان، ج4، ص ص372-374، ترجمة: 651.

167- أحمد الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص237-238 وص ص421-422.

وقد عرض الزبيدي لتراجم النوحيين واللغويين منذ عهد الطبقة الأولى، وابتدأها بأبي الأسود الدؤلي[168] مؤسس النحو البصري، وكذلك نصر بن عاصم اللّيثي[169]، وعبد الرحمن بن هرمز[170]، الذين بوّبوا علم النحو وأصلوا له أصولا، وختمها –ولسان حاله ختام المسك– بِعَهْد شيخه أبي عبد الله الرباحي، إمام اللغة والنحو بالأندلس خلال القرن الرابع الهجري (ق04هـ/09م)[171].

وضِمْنَ حديثه من خلال هذا النهج الفريد من نوعه كذلك؛ جعل الزبيدي نحاة البصرة في عشر طبقات[172]، ونحاة الكوفة في ستٍّ[173]، ثم أتبعهم باللغويين البصريين في سبع طبقات أخرى[174]، واللغويين الكوفيين في خمسٍ كذلك[175].

وفي كلامه عن طبقات المصريين والقرويين والأندلسيين، لم يفصل بين النُحاة واللغويين، ولم يتّبَعْ الترتيب ذاته الذي اتخذه في حديثه عن الكوفيين والبصريين، بل جعل كل ذلك مزيجا بينهما، فجمع بين تراجم النحويين واللغويين بمصر، وجعلها ثلاث

168- **أَبُو الأَسْود الدُّؤَلي (1ق.هـ-69هـ/605-688م):** ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني، واضع علم النحو؛ من التابعين. سكن البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه، وولي إمارتها في أيام علي رضي الله عنه، واستخلفه عليها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما شخص إلى الحجاز. و لم يزل في الإمارة، إلى أن قتل علي. ولما تم الأمر لمعاوية رضي الله عنه، قصده فبالغ معاوية في إكرامه. ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين، ص21، ترجمة: 01. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص ص535-539 ترجمة: 313. الزركلي، الأعلام، ج3، ص ص236-237.

169- عن ترجمته ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص27، ترجمة: 03.

170- عن ترجمته ينظر: المصدر نفسه، ص26، ترجمة: 02.

171- **محمد بن يحيى الرباحي (ت358هـ/968م):** أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي، أصله من جيان. كان حاذقًا بعلم العربية، دقيق النظر فيها، لطيف المسلك في معانيها، غاية في الإبداع والاستنباط. ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ص310-314، ترجمة 296.

172- تمتد تراجمهم في طبقات النحويين واللغويين؛ من ص21إلى ص121، وتشمل 55 ترجمة.

173- تمتد تراجمهم في طبقات النحويين واللغويين؛ من ص125إلى ص154، وتشمل 25 ترجمة.

174- تمتد تراجمهم في طبقات النحويين واللغويين؛ من ص157إلى ص188، وتشمل 31 ترجمة.

175- تمتد تراجمهم في طبقات النحويين واللغويين؛ من ص191إلى ص209، وتشمل 39 ترجمة.

طبقات[176]، ثم النحويين واللغويين القرويين وجعلها أربعاً كذلك[177]، ليختم تراجمه بنحويي ولغويي الأندلس، ووزعهم على ستّ طبقات مختلفة[178].

هذا وتجدر الإشارة، إلى أنَّ مِنْ أهم الأعلام المترجَم لهم عند الزبيدي؛ نجد: الغازي بن قيس[179]، وعبد الملك بن حبيب[180]، وعباس بن ناصح[181]، ومحمد بن عبد السلام الخشني[182]، وأحمد بن بشر إسماعيل بن الأغبس[183]، ومنذر بن سعيد القاضي[184]، ومحمد بن أصبغ الكاتب[185]، ومحمد بن يحي الرباحي[186].

وفي ضوء هذه التراجم وغيرها، يلمس الباحث جليا، أن تراجم الزبيدي جاءت في مجملها مختَصَرة، ونادرا ما يتوسع في البعض منها، ويستطرد بالحديث في أمور لها دور بارز في الكشف عن جوانب هامة من الحياة الثقافية والاجتماعية بالأندلس[187].

176- تمتد تراجمهم في طبقات النحويين واللغويين؛ من ص213إلى ص222، وتشمل 13 ترجمة.

177- تمتد تراجمهم في طبقات النحويين واللغويين؛ من ص225إلى ص250، وتشمل 28 ترجمة.

178- تمتد تراجمهم في طبقات النحويين واللغويين؛ من ص253إلى ص314، وتشمل 105 ترجمة.

179- تقدمت ترجمته في الهامش: 19 من الفصل التمهيدي.

180- تقدم الحديث عنه في الفصل الأول، ص ص44-54.

181- **عباس بن ناصح الجزيري:** كان من أهل العلم باللغة والعربية، ومن ذوي الفصاحة في لسانه وشعره. ومذهبُه في شعره مذاهب العرب الأُوَل في أشعارهم؛ ولي قضاء شَذُونة والجزيرة. ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ص262-263، ترجمة 206.

182- **الخشني محمد بن عبد السلام:** من أهل كورة جَيَّان، وانتقل إلى قرطبة فسكنها حتى توفي بها. كان خَيِّرًا دَيِّنًا، بصيرًا بكلام العرب؛ له تأليف في شرح الحديث. ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص268، ترجمة 217.

183- **الأغبس (تـ326هـ/937م):** أحمد بن بشر بن محمد بن إسماعيل التُّجيبيّ، فقيه شافعي، له ميل إلى الحديث، عالِمٌ بكتب القرآن، كثير الرواية. ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص282، ترجمة 231.

184- **منذر بن سعيد القاضي:** المعروف بالبلوطي، يكنى أبا القاسم، كان متفننًا في ضروب العلوم، وذا علم بالقرآن والجدل، حاذقًا فيهما. ولي قضاء الجماعة بقرطبة، فلبث قاضيًا إلى أن توفي. ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ص295-296، ترجمة: 262.

185- **ابن أصبغ الكاتب:** أبو بكر محمد بن أصبغ، كان من أهل العلم باللغة والشعر، وله حظ من العربية؛ سكن إشبيلية. ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص308، ترجمة 288.

186- مجموع تراجم النحاة واللغويين في هذا الكتاب 296 ترجمة، مع ملاحظة تكرار ذكر بعضهم في النحاة مرة، وفي اللغويين مرة أخرى، في مدرستي الكوفة والبصرة.

187- لتفاصيل أكثر عن أسلوب الزبيدي ومنهجه في كتابه طبقات النحويين واللغويين؛ ينظر: أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص271-281. عبد الفتاح فتحي، التاريخ والمؤرخون، ج2، ص ص476-495.

كما أنّ كتاب الزبيدي، يعدّ نادرا في مـــجاله، إذ يُعتبَر أَحَدَ مؤلَّفَيْن جليلين دُوِّنا في القرن الرباع الهجري (ق04هـــ/10م)؛ الأول في الـــمشرق وهو كتاب "مراتب النحويين" لأبي الطيب اللغوي[188]، وأما الثاني فأندلسي؛ وهو "كتاب طبقات النحويين واللغويين" للزبيدي الـــمذكور.

فأما كتاب "مراتب النحويين" للأبي الطيب اللغوي الـــمذكور، فقد بناه مؤلِّفُه على مراتب العلماء ومنازلـــهم في العلم، وحظّهم مِن الرواية، وعَقْدِ الصّلة بين الشيوخ وتلاميذهم.

بينما سار الزبيدي في "كتاب طبقات النحويين واللغويين" على نـــهج فريد لـــم ينهجه غيره قبلَه ولا بعدَه؛ حيث أقامه على الطبقات والـــمدارس، وفَصَل بين النحويين واللغويين كما مرّ بنا. وكان يَذْكُر لكلّ واحد مِنَ الـــمُترجَمِ لـــهم شيوخه ثـــم تلاميذه، وما أَلَّف مِن الكتب، أو رَوَى من الأخبار، إضافة إلى سَنَـــي الـــمولد والوفاة.

وعليه؛ فإن كِتاب الزبيدي جاء منفردا في بابه، وتبوّأ أهمية علمية بالغة، حيث إنه شكّل مصدرا أساسيا وبارعا وأصيلا في تاريخ النحو والـــمعاجم وفنون الأدب[189]. كما أنه كان له تأثير كبير في العديد من مصادر الـــمؤرخين اللاحقين، الذين تعرضوا في مصنّفاتِـــهم لتراجم النحاة واللغويين، فجاء كتاب الزبيدي ضمن لائحة الـــمصادر الأساسية لهاته الـــمصنفات في حديثها عن النحويين واللغويين[190].

ومن هؤلاء الـــمؤرخين الذين نقلوا عنه، نذكر[191]: ابن الفرضي (تـــ403هـــ/1012م) في "تاريخ علماء الأندلس"، وابن مِسعر[192] في "تاريخ العلماء النحويين مِن البصريين والكوفيين"، وابن حيان (تـــ469هـــ/1076م) في "الـــمقتبس"، وابن الأبار (تـــ658هـــ/1259م) في "التكملة لكتاب الصلة"، وابن سعيد في "الـــمغرب" قسم الأندلس،

188- **أبو الطيب اللغوي (تـــ351هـــ/962م):** عبد الواحد بن علي الحلبي، أبو الطيب اللغوي، أديب أصله من عسكر مكرم، وسكن حلب وقُتل فيها. من مؤلفاته: مراتب النحويين ولطيف الأتباع. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص120، ترجمة: 1592. الزركلي، ج4، ص176. كحالة، معجم المؤلفين، ج6، ص210 وج13، ص403.

189- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص2 من مقدمة التحقيق.

190- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص495.

191- المرجع نفسه، ص495.

192- **ابن مسعر:** التنوخي أبو الـــمحاسن الـــمفضل بن محمد بن مسعر الـــمعري المتوفي 442هـــ/1050م. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص6.

وابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1303م) في "الذيل والتكملة"، والصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1275م)[193] في "أعيان العصر وأعوان النصر"، والنباهي في "تاريخ قضاة الأندلس"، والمقريزي تقي الدين (ت845هـ/1441م) في "المُقفَّى"، وابن قاضي شُهبة[194] في "طبقات النحاة واللغويين".

د/-الأطباء والحكماء:

عرفت الأندلس مجالا جديدا وخصبا في التصنيف في التراجم، وِفْقَ منهجٍ جديد يقوم على توزيع التراجم على الطبقات، ويُقصَد به تراجم فئة الأطباء والحكماء.

وقد برز في هذا المجال الرِّحْب بالأندلس، بل وكان من السبّاقين المتقدّمين فيه؛ **أبو داوود سليمان بن حسان بن جُلْجُل القرطبي (332-بعد 377هـ/943-بعد 987م)**[195]. وهو سليمان بن حسان الأندلسي أبو داود، المعروف بابن جُلجُل؛ طبيب ومؤرخ أندلسي مِن أهل قرطبة. تعلّم الطبّ وخدم به هشام المؤيد باللّه (366هـ-399هـ-976-1009م)[196]، كما أنه سمع الحديث بقرطبة سنة 343هـ/954م وهو ابن عَشْر سنين، وقرأ كتاب

193- صاحب الوافي بالوفيات.

194- **ابن قاضي شُهْبَة (779-851هـ/1377-1448م):** أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقيّ؛ تقيّ الدين، فقيه الشام في عصره، ومؤرخها وعالمها. اشتهر بابن قاضي شهبة، لأنّ أبا جده نجم الدين عمر الأسدي، أقام قاضيا بشهبة مِن قُرى حوران أربعين سنة. مِن تصانيفه: الإعلام بتاريخ الإسلام، طبقات النحاة واللغويين. ينظر: السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج11، بيروت: دار الجيل، ط1، 1992، ص21. الزركلي، الأعلام، ج2، ص61.

195- لتفاصيل أكثر عن حياة ابن جلجل؛ ينظر: ابن جلجل أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955، ص ص: يب-يج-يد-يه-يو-يز من مقدمة المحقق. الضبي، بغية الملتمس، ص328، ترجمة: 769. الحميدي، جذوة المقتبس، ص348، ترجمة: 453. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج2، ص ص61-62، ترجمة: 152. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص294، ترجمة: 1018. القِفطي الوزير جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف (ت642هـ)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، علق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005، ص148، ترجمة: 142. ابن صاعد الأندلسي أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت462هـ/1069-1070م)، كتاب طبقات الأمم، نشره وذيّله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس: لويس شيخو، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1912، ص81. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص493. الزركلي، الأعلام، ج3، ص123. كحالة، معجم المؤلفين، ج4، ص258. عبد الفتاح فتحي، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص ص441-447.

196- تقدمت ترجمته في الهامش: 148 من الفصل التمهيدي.

سيبويه، وعُني بالطبِّ أتـــمَّ عناية وهُو ابنُ أربعَ عشْرةَ سنة، وأفْـــتَى فيه ابنَ أربعٍ وعشرينَ، وصنَّفَ فيه كُتبًا جَليلةَ النَّفْع.

حلاّه القفطي بقوله: "ذَكيٌّ لَهُ تفرد بصناعة الطبّ، وَلَهُ ذِكْـــرٌ فِي عصره ومَصْره، وَكَانَ لَهُ تَطلُّعٌ عَلَى علوم الأوائل وأخبارهم. وَلَهُ تصنيف صغير فِي تاريخ الـــحكماء لَـــمْ يُشْفِ فِيهِ عليلاً، وكيف وَقَدْ أورد من الكثير قليلاً، ومع هَذَا فقد كَانَ حَسَن الإيزاد"[197]. وقال عنه ابن أصيبعة: "كان طَبِيبا فَاضلا، خَبيرا بالـــمعالـــجات، جيّد التَّصَرُّف فِي صناعَة الطِّبّ... وَله بَصِيرَة واعتناء بقوى الْأَدْوِيَة الـــمُفردة"[198].

صنّف ابن جُلجُل "رسالة التبيين فيما غَلط فيه بعض الـــمُتطبِّبين"، و"مقالة في أدوية الترياق"، وغيرها من التصانيف. إلا أن الـــمُؤلَّف الذي شاع به ذكره وانتَشَر، هو الذي وَسَـــمَه بـــ "طبقات الأطباء والـــحكماء" الذي أتـــمّ تأليفه سنة 377هـــ/987م[199]. وقد نوّه بـــهذا الـــمُصنَّف الـــماتع ثلّة من الـــمؤرخين، ومنهم ابن أبي أصيبعة الذي قال عنه: إنه "كتاب يتضمن شيئا من أخبار الأطباء والفلاسفة"[200]. بينما أشار إليه ابن حزم في "رسائله"، وقال: إن لابن جلجل "كتاب أخبار أطباء الأندلس"[201]. كما ذكره صاحب "بغية الـــملتمس" وذلك في معرض الترجمة له، وقال: إن له كتابا في "أخبار الأطباء بالأندلس"[202].

وأما بالنسبة لعنوان الكتاب، فقد أعطى ابن جُلجُل مفهوما مـــحدّدا لـــهذا العنوان، إذْ عَرَضه لنا من خلاله تعريفه للأطباء والـــحكماء. حيث قال: بأن الأطباء هم الذين تدرّبوا على مهنة الطب ومارسوها، وأن الـــحكماء هم الفلاسفة والـــمناطقة، الذين ربّـــما ألـــمّوا بكتب الطب وقرأوها، واستوعبوا ما فيها، إلا أنـــهم لـــم يـُـمارسوا العلاج، ولا وصفوا

197- القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص148، ترجمة: 142.

198- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص493.

199- لتفاصيل وافية عن الكتاب؛ راجع الدراسة القيّمة التي أعدّها محقق الكتاب فؤاد سيد. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، ص ص: كب-كج-كد-كح-كط-ل-لا من مقدمة التحقيق. والدراسة القيمة التي وضعها عبد الفتاح فتحي. ينظر: عبد الفتاح فتحي، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص ص447-465.

200- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص495.

201- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2، ص184.

202- الضبي، بغية الملتمس، ص328، ترجمة: 769.

دواءً. ولعلّ ذلك هو ما عبّر عنه ابن أبي أصيبعة، بأنّ ابن جلجل صنّف أيام هشام المؤيد (366هـ-399هـ/976-1009م)[203]، كتابا يتضمن شيئا من أخبار الأطباء والفلاسفة[204].

وفيما يتعلق بموضوع هذا السِّفر النّفيس، فلا نجد أحسنَ مَن وَصَفه في هذا المَقام، من مؤلِّفه نفسه –ابن جُلجُل–حيث جاء على لسانه في خاتمة الكتاب قوله: "ذكرتُ أيها الشّريف ما أحاط به علمي وبلغه إدراكي، من وصف الحكماء والأطباء المشهورين غير المشكوك فيهم، من لدن آدم عليه السلام إلى الزمان الذي كنا فيه، وهو زمن المؤيد بالله بحوزة الأندلس...واقتصرنا على مَن عَرَفنا بناحيتنا بالأندلس...واقتصرنا على ذِكر المشهورين الظاهرين الخادمين، وأضربنا عن ذِكر مَن كان في زمانهم، ممّن لم يوازيهم ولا حَلَّ مَحلَّهم"[205].

ويفيدنا ابن جلجل كذلك، أن تصنيف هذا السِّفر جاء لتلبية سؤال أحدِ أشراف عصره، والذي تَحفّظ عن ذِكر اسمه. إلا أنه ومن دون شكٍّ، أعطى بعض الإيحاءات التي تفيد بأنه أحد أبناء البيت الأموي بالأندلس، حيث ذَكَرَه في مقدمة الكتاب بقوله: "سألتَ أيها الشريف الأديب، أن أكتبَ إليكَ بما تأدّى إلَيَّ عِلْمُه، مما تصفّحتُ من كتب الماضين وسِيَر المُتقدّمين، عن أوّل مَن وَضع صناعة الطب، وتكلّم فيها في بدء الزمان، وقبل الطوفان وبعده"[206]. إلى أن يقول: "وهذا أيها الشريف الأصل، والطيب النّجر[207]، الأموي القرشي، نَجْلُ الخلفاء، وسلالة الأئمة الدّاعين إلى الهدى، حين نبدأ بعون الله بتقييد مطلوبك، ووَصْف مَرغوبك"[208].

كما أنه وفي خاتمة الكتاب أتمَّه بتوجيه القول إلى هذا الشريف أيضا دون ذِكْرٍ لاسْمِه، وأنّه أنْهَاه زمن الخليفة هشام المؤيد (366هـ-399هـ/976-1009م)[209]، من

203- تقدمت ترجمته في الهامش: 148 من الفصل التمهيدي.

204- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص495.

205- ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص116.

206- المصدر نفسه، ص01.

207- **النّجر:** الأصل. ينظر: ابن السكيت (186-244هـ)، إصلاح المنطق، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار المعارف، 1949، ص47.

208- ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص04.

209- تقدمت ترجمته في الهامش: 148 من الفصل التمهيدي.

غير توضيح لصلة هذا الشريف بالخليفة المذكور، حيث قال: "ذكرتُ أيها الشريف ما أحاط به علمي وبلغه إدراكي، مِن وصف الحكماء والأطباء المشهورين غير المشكوك فيهم، مِن لدن آدم عليه السلام إلى الزمان الذي كنا فيه، وهو زمن المؤيد بالله[210] بحوزة الأندلس"[211].

وقد جاء مُصنَّفُ ابن جُلجُل المذكور، متميزا حائزا للسَّبْق في موضوعه، يُترجِم للأطباء والحكماء ويؤرخ لهم، حيث رتبهم على تسع طبقات[212]، ولكل طبقة منها عنوان خاص. وفيما يلي بيان الطبقات التسع المذكورة:

الطبقة الأولى[213]: والتي جاءت تحت عنوان "ذِكر الطبقة العالية الأولية ممّن تكلّم في الحِكمة الطبّية والفلسفة العلوية"، وذَكر فيها قُدامى الأطباء في العصور ما قبل الرومية واليونانية، وتَرْجَم فيها لخمسٍ من الفلاسفة والأطباء الأوائل، ممّن كان لهم اهتمام بالفلك والنجوم والرياضيات وغيرها.

ومن المترجَم لهم في هاته الطبقة: واحدٌ سَكَنَ مصر قبل طوفان نوح عليه السلام وهو هرمس[214]، الذي يعدّ أو من تَكلّم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية، كما أنه أول من نَظَر في الطب وتكلّم فيه. ثم جاء بعد الأَوَّل، أربعةٌ بعد الطوفان وهم: هرمس الثاني[215]

210- يقصد هشام المؤيد.

211- ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص116.

212- امتدّ الحديث عن هاته الطبقات التسع في "طبقات الأطباء والحكماء" من ص05 إلى ص115 مع ملاحظة وجود صفحات كاملة تمثل حواشي الكتاب.

213- تشمل الصفحات من ص5إلى ص15 من "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل.

214- عن ترجمته؛ ينظر: النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق المعروف بالوراق، الفهرست، ج2، قابله بأصوله وأعدّه للنشر: أيمن فؤاد سيد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط2، 2014، ص443. ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص05.

215- **هرمس الثاني**: من أهل بابل، كان بارعا في علم الطب، والفلسفة وطبائع الأعداد؛ وهو تلميذ فيثاغورس. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص08. القِفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص259، ترجمة: 325.

والثالث[216]، وإسقلابيوس[217]، وأبولن[218]؛ الثلاثة الأُوَل منهم مصريون، ورابعهم بالشام، وخامسهم رومي من بلاد الروم.

الطبقة الثانية[219]: وعَنْوَنَها بـ "الطبقة الثانية الحكمية الرومية اليونانية، ممّن تكلّم في الطب والفلسفة وبرع في ذلك"، حيث عرض فيها لستّةٍ ممّن عاشوا قبل الميلاد

216- **هرمس الثالث المصري:** رجل من حكماء مصر بعد الطوفان، وَكَانَ فيلسوفاً جوالاً، قديم العهد، عالماً بالبلاد ونصبها وطبائع أهلها. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص10. القِفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص259، ترجمة: 326.

217- **إسقلبيوس الحكيم:** وربما قيل إسقلابيوس وربما قيل اسقلبياذس، وهو أحد الملوك الأربعة الَّذين صحبوا هرمس وأخذوا عنه الحكمة، وَكَانَ هَذَا أكثرهم أخذاً لها وأشهرهم بذكرها. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص11. القِفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص13، ترجمة: 3.

218- عن ترجمته؛ ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص15.

219- تشمل الصفحات من ص 16 إلى ص33 من "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل.

وهم: بقراط[220]، وديا‌سقوريدوس[221]، وأفلاطون[222]، وأرسطاطاليس[223]، وسقراط[224]، وديـــمقراطيس[225].

الطبقة الثالثة[226]: ووســـمها بـــ "من حكماء اليونانية الذين كانوا في دولتهم بعد الفُرس مـــمن شُهِر في الطب والفلسفة"، وهم ثلاثة: بطليميوس[227]، وقطون الفيلسوف[228]، وأُقليدس صاحب الهندسة[229].

220- **بُقْرَاطُ:** ويُقالُ بالتَّاء، وهو يُقْرَاطُ بن إيرَاقْليس، من تَلاميذ أسْقلبْيُوس الثَّاني. وكان أسْقلبْيُوس لـــمَّا مَاتَ خَلَّفَ ثَلاثَة تلاميذ وهم: ماغارينس، ووارخس، وبُقْراط، فلمَّا مَاتَ ماغارينس ووارخس انْتَهَت الرِّئاسَةُ إلى بُقْرَاط. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص16. القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص74، ترجمة: 68. النديم، الفهرست، ج2، ص271.

221- **دِيُسْقُوريدُس:** يُقَالُ له السَّائِحُ في البلاد. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص21. النديم، الفهرست، ج2، ص286.

222- **أفلاطون:** بن أرسطون، أحد أساطين الحكمة الخمسة من اليونان، أخذ عن فيثاغورس اليوناني، وشارك سقراط في الأخذ عنه، ولَمْ يشتهر ذكره بَيْنَ علماء اليونان إلَّا بعد موت سقراط. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص23. القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص20، ترجمة: 5. النديم، الفهرست، ج2، ص154.

223- **أرسطاطاليس:** مَعْنَاهُ مُـــحبُّ الحِكْمَة، ويُقَالُ: الفَاضِلُ الكامِلُ، أو التَّامُ الفَاضِل. وهو أرِسْطَاطاليس بن نِيقُومَاخُس بن مَاخَائُنن من وَلَد أَسْقَلبْيُوس، الذي اخْتَرَعَ الطِّبَّ للْيُونَانيين. كان أبُوه نِيقُومَاخُس مُتَطَبِّبًا لفلِيبُس أبي الإسْكَنْدَر، وهو من تَلامِيذ أفلاطُون. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص25. النديم، الفهرست، ج2، ص157.

224- **سُقْرَاط:** بن سُقْرَاطيس، من أَهْلِ مَدينَة أثِينَيَة، مَدينَة العُلَمَاء والحِـكْمَة. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص30. النديم، الفهرست، ج2، ص153. القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص153، ترجمة: 149.

225- **ديـــمقراطيس:** طبيب يوناني قديـــم، عالِـــمٌ معالـــج، حكيم مشهور في زمانه. ركّب لنفسه شراباً حَفِظَ به مزاجه من الأمراض طول حياته، وهو شراب نافع لضعف الكبد والـــمعدة، وغلظ الطحال، وفساد الـــمزاج البارد. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص33. القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص140، ترجمة: 128.

226- تشمل الصفحات من ص 34 إلى ص39 من "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل.

227- **بطليميوس:** بِطُولُومَاوُس فِيلادِلْفُوس، من مُلُوك الإسْكَنْدَرية. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص35. النديم، الفهرست، ج2، ص ص135-136. القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص256.

228- **قطون الفيلسوف:** صاحب الأعداد والـــمساحة، عاش في دولة البطالـــمة اليونانيين. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص38.

229- **أُقْلِيدِس:** صَاحِبُ جُومِطْرِيَا ومَعْنَاهُ الهَنْدَسَة؛ وهو أُقْلِيدِس بن نُوقْطُرُس بن بَرَنِيقس الـــمُظْهِرُ للهَنْدَسَة، الـــمُـــبَرِّزُ فيها. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص39. النديم، الفهرست، ج2، ص207.

الطبقة الرابعة[230]: وعَنْوَنَها بـ "مِن حكماء اليونانية ممن تكلّم في الدولة القيصرية بعد بُنيان روما"، وقد قَصَر حديثه فيها على جالينوس الطبيب[231] الذي عاش بعد الميلاد، وعاصر أنطونيوس قيصر الروم، وبَرَع في الطبّ والفلسفة، وجدّد من عِلْم الطبيب بقراط[232] وشرح كتبه، وبيّن منزلته في الطب والتشريح خاصة.

الطبقة الخامسة[233]: وجاءت تحت عنوان: "من الحكماء الإسكندرانيين"، وقد وُجدوا بعد ظهور المسيح عليه السلام، وانتشار المسيحية في بلاد الروم والإسكندرية[234]، وهؤلاء فلاسفةٌ ظهروا بالإسكندرية، وتعقّبوا الكتب القديمة، واختصروا كُتب جالينوس وعلى رأسهم أنقيلاوس الإسكندراني[235].

الطبقة السادسة[236]: ووسمها بـ "ممّن لم يكن في أصله روميا ولا سريانيا ولا فارسيا"، وقد عرض فيها لأطباءَ ظهروا بعد انتشار الإسلام، خاصة أيام دولة هرقل[237] بالشام. ومِن هؤلاء الأطباء الذين ذَكرهم: الحارث بن كَلَدة الثقفي[238]، وابن أبي رمثة[239]، وقد كانا

230- تشمل الصفحات من ص 41 إلى ص44 من "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل.

231- **جَالِينُوس:** ظَهَرَ بعد 665 سَنَةً من وَفَاةِ بُقْرَاط، وانْتَهَت إليه الرِّئاسة في عَصْرِه، وهو الثَّامِنُ من الرُّؤْسَاء الذين أَوَّلُهم أَسْقِلَبْيُوس مُخْتَرِع الطِّبّ. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص41. النديم، الفهرست، ج2، ص275. القِفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص99، ترجمة: 97.

232- تقدمت ترجمته في الهامش: 220 من هذا الفصل.

233- تشمل الصفحات من ص 51 إلى ص52 من "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل.

234- **الإسكندرية:** مدينة عظيمة من ديار مصر، بناها الإسكندر بن فيلبش فنسبت إليه. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص54.

235- **انقيلاؤس الإسكندراني:** حكيم فاضل طبائعي مصري الإقليم، إسكندراني المنزل. وهو أحد الإسكندرانيين الذين عنوا بجمع كلام جالينوس، واختصار كتبه وتأليفها عَلَى المسألة والجواب. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص52، هامش06. القِفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص60، ترجمة: 43.

236- تشمل الصفحات من ص53 إلى ص61 من "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل.

237- **هرقل:** هو إمبراطور الإمبراطورية الرومانية الشرقية "البيزنطية"، وهرقل هو الاسم المختصر لاسمه الكامل "فلافيوس أغسطس هرقل" الذي حكم الإمبراطورية الرومانية منذ 610م. ينظر: جهاد الترباني، 100 مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، تقديم: محمد بن عبد الملك الزغبي، القاهرة: دار التقوى، ط1، 2010، ص105.

238- **الحارث بن كَلَدَة الثقفي (توفي نحو 50هـ/نحو 670م):** طبيب العرب في عصره، مِن أهل الطائف؛ مولده قبل الإسلام، وبقي أيام رسول اللهﷺ وحتى خلافة معاوية، واختلفوا في إسلامه. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص54. القِفطي، إخبار العلماء، ص125، ترجمة: 107. الزركلي، الأعلام، ج2، ص157.

على عهد رسول اللهﷺ، وكذلك ابن أبـــجر[240] الذي عاصر الأمويين، وماسرجويه اليهودي[241] الذي ترجم له عمر ابن عبد العزيز[242] رضي الله عنه كتابا في الطب إلى العربية[243].

الطبقة السابعة[244]: عُنوانـــها "مِن حكماء الإسلام مـــمّن برع في الطبّ والفلسفة، منهم إسلام ومسيحيون"، وقد تناول فيها اثني عشرة طبيبا، ومنهم: يوحنا بن ماسويه[245]، وحنين بن إسحاق[246].

239- **ابن أبي رمثة:** كَانَ طبيباً عالـــماً بصناعة اليد، وَكَانَ فِي زمن رسول اللهﷺ. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص57. القفطي، إخبار العلماء، ص319، ترجمة: 399.

240- **عبد الْملك بن أبـــجر الْكِنَانِي:** كَانَ طَبِيبا عَالما ماهرا، وَكَانَ فِي أول أمره مُقيما فِي الْإِسْكَنْدَرِيَّة. ولما فُحت الْإِسْكَنْدَرِيَّة، أسلم ابْن أبـــجر على يَد عمر بن عبد الْعَزِيز وَصَحبه، وكان يستطبّ به، ويعتمد عَلَيْهِ فِي صناعَة الطِّبّ. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص59. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص171.

241- **ماسرجويه:** متطبب الْبَصْرَة؛ كان يَهُودِيّ الْمَذْهَب سريانيا، عاش زمن بني أُميَّة بالمشرق، حيث تولى فِي الدولة الـــمروانية تَفْسِير كتاب أهرن بن أعين إِلَى الْعَرَبِيَّة. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص61. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص232. القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص242، ترجمة: 301.

242- **عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (63-101هـ/682-719م):** هو عمر بن عبد العزيز بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ وُلد بالمدينة المنورة. ينظر: ابن عبد الحكم أبو محمد عبد الله، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، نسخها وصححها وعلق عليها: أحمد عبيد، بيروت: عالم الكتب، ط6، 1984. ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، ج70، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995، ص 253. ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ضبطه وشرحه وعلّق عليه: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1984، ص ص9-11. أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج5، القاهرة: مكتبة الخانجي، بيروت: دار الفكر، 1996، ص307. ابن الوزير محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ج4، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1994، ص263. الذَهَبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص114. محمود شلبي، حياة عمر بن عبد العزيز، دار الجيل، ط3، بيروت، لبنان، 1989. حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، تونس: دار الكتب العربية الشرقية، ط3، 1953، ص53. محمد عليلي، الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين 2-3هـ، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2008، ص ص54-58.

243- هو كتاب "اهرن القس" فِي الطب. ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص232. القِفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص242، ترجمة: 301.

244- تشمل الصفحات من ص 63 إلى ص82 من "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل.

الطبقة الثامنة[247]: وعنْونَـها بـ "مِن حكماء الإسلام مـمن سَكن الـمغرب"، وفيها عرّف بثلاثة من الأطباء وهم: إسحاق بن عمران[248]، وإسحاق بن سليمان الإسرائيلي[249]، وأحمد بن إبراهيم بن أبي خالد الـجزار[250].

الطبقة التاسعة[251]: وسـمّاها "الأندلسية الـحَكَمَية منهم والطّبية"، وفيها عرّف بثلاث وعشرين طبيبا وفيلسوفا أندلسيا، منذ أن ظهر أطباء بارعون في عهد الأمير مـحمد بن عبد الرحمن الثاني (تـ238هـ)[252]، ومنهم: حمدين بن أبا الطبيب، وجواد الطبيب النصراني، وخالد بن يزيد بن رومان النصراني، وابن ملوكة النصراني الذي عاش إلى دولة الناصر (300-350هـ/912-961م)[253]، وإسحاق والد الوزير يـحي ابن إسحاق، والطبيب عمران بن أبي عمر الطبيب الذي خدم الناصر بالطب، ومـحمد بن فتح طملون، ويـحي بن إسحاق، وأبو بكر سليمان بن باج، وابن أم البنين، وسعيد بن عبد ربه بن أخ الأديب أحمد بن عبد ربه

245- **يوحنا بن ماسويه:** كَانَ نصرانياً سريانياً فِي أيام هارون الرشيد. خدم الرشيد والأمين والمأمون ومن بَعدَهم من الخلفاء إِلَى أيام المتوكل، له تصانيف ماتعة منها: كتاب البرهان يشتمل عَلَى ثلاثين كتاباً. ينظر: القفطي، إخبار العلماء، ص282، ترجمة: 347. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص246. ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص65.

246- **حنين بن إسحاق:** الطبيب النصراني أبو زيد العبادي، تلميذ يوحنا بن ماسويه، وَكَانَ طبيباً حسن النظر فِي التأليف والعلاج، ماهراً فِي صناعة الكحل. ينظر: القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص131، ترجمة: 121. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص257. ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص68.

247- تشمل الصفحات من ص 84 إلى ص90 من "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل.

248- **إِسْحَاق بن عمرَان:** طَبِيب مَشْهُور وعالم مَذْكُور، مُسلمٌ بغدادي الأَصْل، دخل أفريقية فِي دولة زِيَادَة الله بن الْأَغْلَب التَّمِيمِي. وَكَانَ طَبِيبا حاذقا، وبه ظهر الطِّبّ بالمغرب وَعُرفت الفلسفة. ألّف كُتبا مِنْهَا كِتَابه الْمَعْرُوف بـ "نزهة النَّفس". ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص478. ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص84.

249- **إِسْحَاق بن سُلَيْمَان:** الإسرائيلي، كَانَ طَبِيبا فَاضلا، بليغا عَالـما مَشْهُورا بالـحذق والـمعرفة؛ مِن أهل مصر، ثمَّ سكن القيروان ولازَمَ إِسْحَاق بن عمرَان وتتلمذ لَهُ. ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص479. ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص87.

250- **ابن الْجَزَّار (تـ369هـ/980م):** أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد، أبو جعفر القيرواني، ابن الجزار. طبيب مؤرخ من أهل القيروان؛ له: "زاد المسافر وقوت الحاضر" في الطب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص187، ترجمة: 54. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص481. ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص88. الزركلي، الأعلام، ج1، ص85.

251- تشمل الصفحات من ص92 إلى ص115 من "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل. ولتفاصيل وافية عن تراجم هؤلاء الأطباء؛ ينظر الهوامش التي وضعها محقق كتاب ابن جلجل فؤاد السيد.

252- راجع ترجمته في الهامش رقم: 383 من الفصل الأول.

253- راجع ترجمته في الهامش رقم: 146 من الفصل التمهيدي.

صاحب "العقد الفريد"، وأبو حفص عمر بن بريق، وأصبغ بن يحي، ومحمد بن تمليخ، وأبو الوليد محمد بن حسين الكتاني الذي أدرك آخر دولة الناصر وصدرا من عهد المستنصر (350-366هـ/961-976م)[254]، وأحمد بن يونس وأخوه عمر ابنا يونس بن أحمد الحراني، ومحمد بن عبدون الجبلي.

وعليه، فقد ختم ابن جلجل كتابه بخاتمة تضمّنت فصلا كبيرا، وتمثلت في الطبقة التاسعة التي عُنيت بذكر أخبار أطباء الأندلس خلال عصري الإمارة والخلافة. وعند عرضه لطبقات الأطباء كان ابن جلجل يذكر بلد كل طبيب[255] ويحدد ديانته[256]، ومكان تعليمه أحيانا[257]، واهتماماته الطبية وبعض العلوم الأخرى[258]، وكلام معاصريه[259]، بل ويستشهد ببعض أقوال مَنْ عاصر المُترْجَم له، ثم يختم بِذكْر شيء مِن الآثار والمؤلفات الطّبية للمترجَم له كذلك، وما اختص به في علوم الطب، فضلا عن ذِكر وظيفته ومَن خَدم بالطب مِن الأمراء[260]، هذا بالإضافة إلى تحديد مكان سكناه وسبب وفاته[261].

وللإشارة كذلك؛ فقد نَهَج ابن جُلجُل في تقسيمه لكتابه نهجا جديدا، حيث إنّه لم يُرتّبْهُ على حروف الهجاء كما جرت العادة عند مَن سبَقَه، وإنما جعله طبقات متسلسلة تسلسلا تاريخيا ما أَمْكَنَه ذلك، وضَمَّن كلّ طبقة مِن هاته الطبقات؛ الأطباء والحكماء[262]. كما أن هاته التراجم التي حَوَتْها هاته الطبقات في مُجملها، جاءت مُختَصَرة جدا أحيانا، وطويلة نِسْبيا وسطحية أحيانا أخرى، إلا أنّ الغالب عليها هو تكامل العناصر وتناسقها[263].

254- عن ترجمته ومظانها ينظر الهامش رقم: 147 من الفصل التمهيدي.

255- راجع على سبيل المثال الصفحات التالية من كتاب طبقات الأطباء والحكماء: 16-21-23-54-75.

256- راجع على سبيل المثال الصفحات التالية من كتاب طبقات الأطباء والحكماء: 76-77.

257- راجع على سبيل المثال الصفحات التالية من كتاب طبقات الأطباء والحكماء: 54-112-115.

258- راجع على سبيل المثال الصفحات التالية من كتاب طبقات الأطباء والحكماء: 21-23-65-67-70.

259- راجع على سبيل المثال ص21 من كتاب طبقات الأطباء والحكماء.

260- راجع على سبيل المثال الصفحات التالية من كتاب طبقات الأطباء: 102-108-109-111-112.

261- راجع على سبيل المثال الصفحات التالية من كتاب طبقات الأطباء والحكماء: 110-111.

262- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص457.

263- لتفاصيل أكثر عن منهج ابن جلجل في كتابه طبقات الأطباء؛ ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص ص457-465.

وخلاصة القول؛ فإن ابن جلجل بَعَثَ بِمؤلَّفه هذا، حركة التأليف التاريخي بِمَنْهجٍ رصين وجديد، قائمٍ على توزيع التراجم على الطبقات، وقد ساعدَتْهُ معرفته وإلْمَامُه بالطبّ في لَمْلَمَة شَتَات كتابه، حيث سار فيه مسارا ليس فيه تقليدٌ لِمَنْ سَبَقَه في نوعية التراجم، إذْ لَمْ يُترجِم للمحدّثين ولا للفقهاء كَمَنْ سَبَقَه وحتى مَنْ أتى بَعْدَه، بل إنه أقحم للتّاريخ مَجَالًا جديدا؛ رِحْبًا وخِصْبًا، ألا وهو تراجم الأطباء والحُكماء.

كما أنه نَجَحَ في تقديم صورة سريعة عن تطور الفلسفة والطبّ على مَرّ العصور رغم صِغر حَجْم كتابه وإيجازه، حيث صوّر لنا بتصنيفه هذا المظاهر الحضارية للإنسانية، مُركِّزًا في ذلك كلّه على بَلَده الأندلس، التي ختم حديثَه بها وبأطبائِها، مراعاة للتَراتُبية التاريخية والتطور الزمني.

ورغم أهمية كتاب ابن جُلجُل، إلا أن البعض يرى بأنه لم يَشْفِ الغليل، حيث أورد القليل من الكثير. ومع ذلك كان حَسَنَ الإيراد؛ لأن كتابه هذا يعدّ في الأصل أساسا مَتِينا وحِصْنًا حَصِينًا، بَنَى عليه مَنْ لَحِقَه وجاء بعده من كُتّاب التراجم والعلوم. ولعل أبرز مثال يُساق هُنا هو ابن الأبار والقفطي وابن أبي أصيبعة، الذين نقلوا عنه كثيرا في مؤلفاتهم، بل إن الزهراوي الأندلسي الطبيب[264]، أَكْثَرَ من الاعتماد عليه في الأدوية، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على البراعة والمَهارة التي أُوتيَها ابن جلجل في الطبّ.

ومما سبق؛ نستنتج أن كتاب "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جُلْجُل، يعدّ من أهم ما أُلِّف في تاريخ العلوم، وتطور حركة التأليف والترجمة خلال القرن الرابع الهجري (ق04هـ/10م)، والذي ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية ازدهارا منقطع النظير. كما أن الميزة اللافتة فيه، والتي بوَّأتْهُ مكانة علمية خاصة، هو اعتماده فيما رجع إليه من مصادر، على تراجم عربية لأصول لاتينية تاريخية، خاصة إذا أخذنا في الحُسبان أَنَّ أَكْثَر الكتب التي نقلها العرب أو غيرهم من المُترجِمين كانت ذات أصول يونانية، والقلّة منها تعود

264- **الزَّهْرَاوي (ت427هـ/1036م):** خَلَفْ بن عباس الزهراويّ الأندلسي، أبو القاسم، طبيب من العلماء. ولد في الزهراء قرب قرطبة، وإليها نِسبَتُه. يعدّ أشهر مَن ألف في الجراحة عند العرب، وأوّلَ من استعمل ربط الشريان لمنع النزيف. من أَشْهَرِ كتبه "التصريف لمن عجز عن التأليف". ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص325، ترجمة: 422. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج1، ص190، ترجمة: 353. الضبي، بغية الملتمس، ص357، ترجمة: 717. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص501. الزركلي، الأعلام، ج2، ص310.

لأصل لُغوي فارسي وسِرياني وهِندي، حيث أكثروا من النّقل والترجمة من هذا الطريق، حيث لا نجد إلا النزر القليل جدا من النصوص العربية التي تُرجمت عن اللغات اللاتينية.

كما أن مُصنَّف ابن جلجل المذكور، يُعتبَر أول مُدوّنة تاريخية استفادت من هاته الترجمات، سواء في عصره أو قبله بقليل. وهو كذلك؛ أول أندلسي بلا منازع ألّف في طبقات الأطباء والحكماء، إلا أننا نسجّل هنا أن بعض المَشارقة قد سبقوه للتأليف في هذا النهج، ومنهم إسحاق بن حنين[265] الذي صنّف كتاب "تاريخ الأطباء والحكماء"، والذي يعدّ أوّل مؤرخ في تاريخ الإسلام، أفرد مدوّنة تاريخية تختص بتراجم الأطباء والحكماء.

ومن المشارقة الذين برعوا كذلك في هذا النهج إسحاق بن النديم[266] في كتابه الفهرست، الذي عرض فيه لتراجم الأطباء، وقد ألّفه في حدود سنة 377هـ/987م وهي السنة نفسها التي ألّف فيها ابن جلجل كتابه كذلك. هذا الأخير، كان قد استقى معلوماته حول الأطباء من كتاب إسحاق ابن حنين.

وبالرغم من أنّ ابن جلجل كان معاصرا لابن النديم، إلا أن تراجمهم جاءت متباينة ومختلفة، سواء في تراجم الأطباء القدماء، أو ممّن عاشوا بعد ظهور الإسلام، وذلك لأن ابن جلجل لم يطّلع على ما تمّ تدوينه خلال ذلك العهد من تاريخ الأطباء بالمشرق الإسلامي، بسبب أنّها أن لم تكن قد انتقلت إلى الأندلس، أو عُرِفت بعض الشيء هناك، وخصوصا المؤلفات التي اشتغلت على تراجم الأطباء.

هـ/-القضاة والفقهاء:

ركَّزَتْ كتب التراجم الأندلسية خلال النصف الثاني من(ق3هـ/9م) وأوائل القرن الرابع الهجري (ق4هـ/10م)، اهتمامها بالقضاة والفقهاء، وذلك للدور الرائد الذي مارسه الفقهاء في إدارة البلاد في شتى المجالات، كالحِسبة والشرطة والقضاء. حيث رُوِيَت أخبارهم التفصيلية في شكل قَصَصٍ واعظة، على ألسنة عدد كبير من الأشخاص.

265- **إسحاق بن حُنَيْن (215-298هـ/830-910م):** إسحاق بن حنين بن إسحاق العباديّ، طبيب مُترجِم أفاد العربية بما نقله إليها من كُتب الحكمة وشروحها؛ من مؤلفاته: الأدوية المفردة. وُلد ومات في بغداد، وفلج في آخر عمره. ينظر: النديم، الفهرست، ج2، ص303. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص294. القِفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص66، ترجمة: 61. الزركلي، الأعلام، ج1، ص294.

266- عن ترجمته راجع التقديم الذي وضعه فؤاد السيد لكتاب الفهرست. ينظر: النديم، الفهرست، ص11.

ومن الذين سجّل التاريخ لنا اهتمامهم بـــهذا النوع من التراجم، وكان لهم جهد كبير في نشأة فن التراجم في الأندلس نـــجد الـــمحدّث الأندلسي مـــحمد بن وضاح (تـــ287هـــ/900م)[267].

وقد تابعه في هذا النوع من التراجم، الفقيه مـــحمد بن عمر بن لبابة (تـــ314هـــ/927م)[268]، الذي شاعت شهرته أيضا كعالـــم بتاريخ الأندلس بَدْءًا من الفتح الإسلامي، حيث وصفه ابن الفرضي بأنه كان "مَليئا بأخبار الأندلس"[269]، التي رواها تلاميذه من بعده. إضافة إلى اهتمامه بتوثيق النّص بالأسانيد، والتي تـَـحَقَّقَ منها سَلَفُه مـــحمد بن وضاح وبَقِي بن مخلد (201-276هـــ/816-889م)[270] خلال النصف الثاني من القرن الثالث (ق3هـــ/9م) وأوائل الرابع الهجريين (ق4هـــ/10م)[271].

وخلال هذا العهد، جدّ جديد على قَدْر كبير من الأهمية في هاته الـــمسألة، ألا وهو أنّ الرواة والفقهاء بدأوا في وَضْع قائمة لكُتبهم ومصنّفاتـــهم ورسائلهم، حيث تضمنت هاته الكتب قائمة إحصائية للإنتاج الفكري والعلمي، وأتَتْ كمحاوَلَةٍ لترتيب وتنسيق الـــمعارف العلمية. كما أنّ هاته الـــمصنفات أصبحت نوعا ثابتا مِن أنواع الـــمصادر الأندلسية، وما لَبِثَتْ أَنْ غَدَتْ خلال القرن الرابع الهجري (ق04هـــ/10م) نـــموذجا لتدوين الـــمؤلفات في التراجم والطبقات (الفهارس والبرامج العامة)[272].

وعليه؛ فقد عرفت الأندلس وبشكل مباشر وكبير، ما سُـــمـّـي بالتراجم لفئات معيّنة، مـــماثلة للتراجم الدينية الـــمتعلقة بتراجم الفقهاء والـــمحدّثين، فضلا عن التاريخ والقضاة، وتدوين سِيرهم. فشكّلت هاته الـــمؤلَّفات حيزا كبيرا مِن حجم مساحة كُتُب التراجم الأندلسية، واتـــخذت في ذلك أنـــماطا عدّة. وتتضح شواهد ذلك، في تشكّل كتابات بعض مؤرخي الأندلس ومنها:

267- راجع ترجمته في الهامش رقم: 47 من الفصل التمهيدي.

268- راجع ترجمته في الهامش رقم: 154 من الفصل الأول.

269-ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص680-681، ترجمة: 1187.

270- راجع ترجمته في الهامش رقم: 46 من الفصل التمهيدي.

271- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص425.

272- المرجع نفسه، ص425.

– التصنيف الذي وضعه عثمان بن محمد بن يوسف الأزدي القرطبي أبو الأصبغ[273] في فقهاء الأندلس، حيث أشار إليه ابن الفرضي في معرض ترجمته له قائلا: "وقد ألّف كتاباً في فقهاء الأندلس أُخِذَ عنه وقُرِئَ عليه"[274].

– تاريخٌ في المحدّثين، والذي صنّفه أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفي القرطبي[275]. قال عنه ابن الفرضي: "ثم انصرف إلى الأَنْدَلُس فصنّف تاريخاً في المُحدِّثين، بلغ فيه الغاية قُرِئَ عَلَيه؛ وَلَمْ يَزَلْ يُحدِّث إلى أنْ تُوفِّيَ"[276]، كما حلّاه ابن حزم بقوله: "ومنها تاريخ أحمد بن سعيد، ما وَضَع في الرجال أحدٌ مثله"[277].

وكتاب أحمد بن سعيد جمع فيه أقوال الناس من أهل العدالة والتجريح ما استطاع إلى ذلك سبيلا[278]. ويعدّ هذا الكتاب كذلك؛ مصدرا هاما من المصادر التي اعتمدها القاضي عياض في "مداركه"[279]، اعتمادا ينمّ عن الأهمية الكبيرة له[280].

كما أن الصدفي، لم يؤرخ للأندلسيين وفقط، بل إنه جمع في كتابه ما تشتت من رجالات العالم الإسلامي، كعلماء مصر، والقيروان وكذا العراق، وذلك على ما صرّح به القاضي عياض.

273– **أبو الأصبغ (ت350هـ/ 962م):** عُثْمان بن محمد بن يُوسُف الأزْديّ القُرّي، من أهْل قُرطُبة؛ يُكنّى أبا الأصْبَغ. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص518، ترجمة: 900. كحالة، معجم المؤلفين، ج6، ص270.

274– ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص518، ترجمة: 900.

275– **أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفي القرطبي (ت350هـ/962م):** الأندلسي، الشيخ العالم، الحافظ الكبير المؤرخ، مؤلف "التاريخ الكبير في أسماء الرجال". ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص96، ترجمة: 140. الضبي، بغية الملتمس، ص227، ترجمة: 412. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص104، ترجمة: 71. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص240، ترجمة: 547. ابن العماد، شذرات الذهب، مج5، ص11. فهرسة ابن خير الإشبيلي(502-575هـ)، حققه وضبط نصّه وعلّق عليه: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2009، ص282، ترجمة: 422. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص232.

276– ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص97.

277– ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2، ص180.

278– الحميدي، جذوة المقتبس، ص199.

279– عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص29.

280– أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص282.

وعلى هذا النَّهج، كان للخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)[281] كتاب في تراجم القضاة وتاريخهم. ورغم أن هذا المصنَّف لم يكن معروفا ولا مشهورا أو حتى موجودا، إلا أنّ بعض مؤرخي الأندلس رَجع إليه، خاصة منهم ابن الفرضي الذي ذَكَره في عدّة مواضع ومواطن مِن كتابه "تاريخ علماء الأندلس"[282].

وأما مَنِ اشتهر في هذا النَّمَط مِن التراجم (فئة القضاة والفقهاء)، وشاع ذِكره وانتشر؛ فهو محمد بن حارث الخشني (ت361هـ/971م)، الذي توّج هاته الفئة بكتابه الماتع والمتميز "أخبار الفقهاء والمحدّثين"[283]، والذي يُعتَبَر مِنْ أَقْدَم ما وَصَلَنَا من المصادر الأندلسية في تراجم الفقهاء والمحدّثين، إِنْ لم يكن أولَ كتاب أندلسي في هذا المجال[284].

والخشني؛ هو مُحمد بن حارث بن أسد الخشني المُكنّى بأبي عبد الله، القيرواني المغربي. وُلِد في القيروان ونشأ فيها، وسمع بها مِن علماء إفريقية[285]. تلقّى العِلم

281-تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 147 من الفصل التمهيدي.

282- ومن أمثلة ذلك، نجده في ترجمة زَكريّاء بن خَطَّاب بن إسماعيل بن عَبْد الرَّحمن بن إسماعيل بن حَزم الكَلْبيّ؛ إذ يقول: "قَرأتُ ذلك بخط المسْتنصر بالله". ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص271، ترجمة: 442. وكذلك في ترجمة محمد بن سلمة بن حبيب بن قاسم الصّدفيّ، حيث قال: "قرأت نسبه بخط المستنصر بالله في كتاب القُضاة". تاريخ علماء الأندلس، ص644، ترجمة: 1122. ثم في ترجمة أبو حفص عمر بن يوسف بن موسى بن فهد الأموي (ت337هـ)، ذكره ابن الفرضي فقال: "وقرأت بخط الحكم المستنصر بالله في كتاب القضاة، أن عمر بن يوسف ولي القضاء بتطيلة بعد بلال بن عيسى". تاريخ علماء الأندلس، ص546، ترجمة: 952. كما أننا نجد الإشارة نفسها عند ترجمته لأبي بكر محمد بن خالد بن وهب التميمي القرطبي (ت329هـ) حين قوله: "وفي كتاب القضاة، تُوفِّي لثمان خلون من صفر سنة تسع وعشرين وثلاث مائة" وكتاب القضاة المقصود هنا هو كتاب القضاة للحكم المستنصر. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص702، ترجمة: 1224.

283- الكتاب قام على دراسته وتحقيقه ماريا لويس آبيلا ولويس مولينا، وطُبع بمدريد بالمجلس الأعلى للأبحاث العلمية، بمعهد التعاون مع العالم العربي سنة 1992، وهي النسخة التي تم الاعتماد عليها في هاته الأطروحة. كما أعاد طبعه محققا، سالم مصطفى البدري، بدار الكتاب العلمية، سنة 1999.

284- أحمد هاشم محمد: "**علم تاريخ الرجال في الأندلس وقيمته العلمية**"، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج6، ع12، 2012، ص ص108-109.

285- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 802، ترجمة: 1398. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص266، ترجمة: 414. الحَميدي، جذوة المقتبس، ص94، ترجمة: 41. الضبي، بغية الملتمس، ص99، ترجمة: 96. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص2479، ترجمة: 1022. اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص281. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2،

وتفقّه في القيروان على أيدي فقهاء المالكية، والرواة الذين تتلمذوا في مدرسة المدينة المنورة، أو على أيدي تلاميذ الإمام مالك من المغاربة. وقد ذكر الخشني بعض مُعلمِّيه ومُرشديه مِنَ الأفارقة، ومَنِ استفاد منهم ورَوَى عنهم بعض مَروياته، في كتابه "طبقات علماء أفريقية"[286].

وبعد رحلة الطلب الأولى بمسقط الرأس وتونسَ، رَحَل الخشني إلى الأندلس وهو لا يزال في سن مبكّرة من عمره وبقي بها، إلى أن استقرَّ آخر أيّامه في قرطبة، وتتلمذ لمشايخها مِن أمثال قاسم بن أصبغ[287] وغيره من شيوخ قرطبة[288].

وبهذا المَصْر، حاز الخشني مكانة علمية مرموقة، لنُبْله وذكائه، وفقهه وفطنته وتفنّنه في مختلف العلوم على حدّ تعبير القاضي عياض في "المدارك"[289]، وهو الأمر الذي أكّده كذلك ابن الفرضي في قوله: "كان حافظاً للفقه، عالماً بالفتيا، حَسَنَ القِياس"[290]. كما أنه حظي كذلك بتشجيع الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)، الذي ولّاهُ المواريث بمدينة بجّانة[291]، والشورى بقرطبة[292]، وصنّف له كتباً كثيرة،

ص212، ترجمة: 40. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص1001، ترجمة: 934. كحالة، معجم المؤلفين، 9، ص45. سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين في الأندلس، ص15.

286- التقى بأبي محمد بن حكمون سنة 307هـ/919م، الذي أجازه وأذن له في نقل كتبه؛ فانتخب بعضاً منها. كما حضر دروس أبي عثمان الخولاني حينما لقيه سنة310هـ/922م، ودوّن عنه كثيراً من الأحاديث في فنون متعددة. ودرَس مؤلفات محمد بن سحنون بإشراف أبي القاسم الطوري، وتتلمذ للراوي أبو جعفر أحمد القصري، فسمع منه صنوفاً من العلم. كما تتلمذ بتونس لِلُقمان بن يوسف (ت310هـ/922م) الخبير بتاريخ القيروان وعلمائها. ينظر: الخشني، طبقات علماء إفريقية، تقديم وتحقيق: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 1993، ص ص35-40.

287-تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 162 من الفصل الأول.

288- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 802، ترجمة: 1398. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص266، ترجمة: 414.

289- عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص266، ترجمة: 414.

290- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 802، ترجمة: 1398.

291- **بجانة:** بفتح الباء وبعدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف وبعد الألف نون، مدينة بالأندلس من أعمال كورة البيرة، بينها وبين المرية فرسخان، وبينها وبين غرناطة مائة ميل، وهي ثلاثة وثلاثون، وبينها وبين غرناطة مائة ميل. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص79. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص339.

292- عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص266، ترجمة: 414.

وألّف له مائة ديوان على حدّ تعبير ابن الفرضي[293]. وهذا الأمر نستشفّه جليّا مِنْ خلال الثناء الكبير، والدعاء الذي كان يخصّ به الحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م)، في مقدمة بعض كُتُبِه[294]. توفي الخشني بقرطبة في 13 صفر 361هـ/971م بعد حياة علمية حافلة، ودُفن بمقبرة مومرة[295].

لقد كان للخشني اهتمامات ثقافية متعددة، في الحديث والفقه، والتاريخ والشِّعر. إلا أن شغفه بالفقه غطّى على بقية العلوم الأخرى، حيث استطاع أن يوجّه الفقه في خدمة التاريخ وجعله مِطواعا له، ساعده في ذلك كلّه معلوماته الزاخرة عن رجال ورواة الحديث، حيث استغلّ ذلك ووظّفه توظيفا حَسَنًا في كتابه "أخبار الفقهاء والمُحدِّثين"، وهو ما يدلّ على عِلمه وسعة اطلاعه بأخبار وأسماء الرجال، حتى إنّ بعض من تَرجَموا له قالوا: بأنه كان حافظا للفقه ومتقدّما فيه، نبيها ذكيا، فقيها فطنا متفننا، عالما بالفُتيا، حَسَنَ القياس في المسائل[296].

هذا، وقد لَفَتت كل صفات العالم النبيه الفَطن التي اكتسبها الخشني، نَظر الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)، حيث شجّعه على التأليف تشجيعا كبيرا، وهو ما جسّده الخشني على أرض الواقع، بتصنيفه لعدة مؤلفات، وقام بإهدائها إلى الحَكَم[297].

ويعدّ مجال التراجم والطبقات، من المجالات التي نَبغ فيها الخشني، إذْ كان متميزا فيها تميُّزًا قلّ نظيره، حيث كان حريصا على تتبّع حياة العلماء وسِيرهم على اختلاف فئاتهم وتوجهاتهم وأقاليمهم، وامتدّت به الهمّة إلى الترجمة حتى لعلماء إفريقية[298].

ونتيجة لذلك؛ خلّف الخشني تراثا علميا حافلا، فألّف الاختلاف والافتراق في مذهب مالك، وكتاب الفُتيا، وتاريخ الأندلس، وتاريخ إفريقية، وكتاب النسب[299]. كما جَمَع -

293- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 802، ترجمة: 1398.
294- الخشني، قضاة قرطبة، ص10 على سبيل المثال.
295- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 802، ترجمة: 1398.
296- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج1، ص399.
297- المرجع نفسه، ج1، ص399.
298- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص225.
299- كحالة، معجم المؤلفين، ج9، ص45.

على ما ذَكَرَهُ مُتَرْجِمُوهُ[300]-كتابا في "أخبار القضاة بالأندلس"، وكتابا في "أخبار الفقهاء والمحدّثين"، وكتابا في "الاتفاق والاختلاف لمالك بن أنس وأصحابه"، وكتاب "الرواة عن مالك" الذي خصّصه لتلاميذ مالك، وكتاب "طبقات الفقهاء المالكية" الذي خصصه لتراجم سائر فقهاء المذهب المالكي، وكتاب "تاريخ الأندلس"، وكتاب "تاريخ الإفريقيين"، وكتاب "المولد والوفاة"، وكتاب "النّسب"، وكتاب "الاقتباس"، وكتاب "التعريف". وقد عُرفت هاته الكتب، لشهرتها في المصادر الأندلسية[301].

كما أن طموح التأليف المتميز للخشني، لم يتوقّف في حدود الدائرة الأندلسية، بل تعدّاه إلى غيرها من الأمصار، فترجم لعلماء الشمال الإفريقي وفي مقدّمتهم علماء القيروان في كتابه "طبقات علماء إفريقية"، الذي جاء كتتويج مهمّ لهذا الطموح الجارف في التأليف[302].

ويتّضح للقارئ، أن مؤلفات الخشني كانت في الغالب تدور حول الفقه وتراجم الفقهاء والمحدّثين والقضاة. ولأجْلِ ذلك كلّه ولاّه الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)، بعض المناصب التي تتوافق وكفاءَته وعلمَه، فجعله مسؤولا عن المواريث ببجانة، والشورى بقرطبة كما مرّ بنا[303].

300- الحَميدي، جذوة المقتبس، ص94، ترجمة: 41. اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص281. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص212، ترجمة: 40. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص1001، ترجمة: 934. أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص225.

301- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص225.

302- وصلنا تأليف الخشني هذا من خلال مخطوطة فريدة نُسخت أواسط ق05هـ/11م، وُجدت بحوزة محمد بن شنب في الجزائر، وكان قد عَثر عليها سنة 1905. وقد تضمنت هاته النسخة كتابا آخر يحمل المضمون نفسه، وجاء تحت عنوان "طبقات رجال إفريقية" لمؤلّفه الفقيه القيرواني أبو العرب محمد بن أحمد التميمي المتوفي سنة 333هـ/945م، وقد كان معاصرا للخشني. وهاته المخطوطة قام بنشرها ابن شنب مع الترجمة إلى الفرنسية بين عامي 1916 و1921. ثم أعاد عزّت العطّار نشر كتاب الخشني مستقلا عن كتاب أبي العرب التميمي بالقاهرة العام 1954، ليُعاد نشر الكتاب بعد ذلك في مجلد مع كتب أخرى في بيروت دون ذكر لسنة النشر. غير أن آخر طبعة لكتاب الخشني كانت في سنة 1993 التي نشرتها مكتبة مدبولي بالقاهرة، حيث قام بتحقيقها والتعليق عليها محمد زينهم محمد عزب، وهي النسخة المعتمدة في هاته الأطروحة. وأما كتاب أبي العرب التميمي، فنُشر بتحقيق علي الشابي ونعيم حسن يافي سنة 1985 بالدار التونسية للنشر تحت عنوان "طبقات علماء إفريقية وتونس"، وأعادت نشره دار الكتاب اللبناني فيما بعد.

303- عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص266، ترجمة: 414. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص267. عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج1، ص400.

وأما المؤلَّف المهم الذي بين أيدينا، فهو كتاب "أخبار الفقهاء والمحدّثين"[304]، الذي يعدّ مِن أقدم كُتب التراجم الأندلسية. ويحوي هذا الطِّرس بين طَيَّيْه تراجم عديدة لطبقات الفقهاء الأندلسيين، منذ الفتح الإسلامي وصولا إلى عصر الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م). وبذلك فهو كتاب أكثر شمولية وأوسع تَعددا في مروياته، عن غيره من كتب التراجم الأندلسية خلال ذلك العهد[305].

وبالنسبة لعنوان الكتاب، فقد اختلفت الآراء حوله كثيرا. فمنهم من أورده تحت عنوان "أخبار الفقهاء والمحدّثين"، وآخرون تحت مسمى "تاريخ علماء الأندلس". ومهما كان هذا الاختلاف الحاصل في عنوان الكتاب، فإن القاسم المشترك بين وجهات الاختلاف تلك، هو أنه يحتوي على تراجم للفقهاء والمحدّثين. ومِن خلال عمل نظرة فاحصة ومتأمّلة لتراجم الكتاب ككل، فإننا نجدها تشير إلى غلبة الاهتمام بالفقهاء وكثرة تراجمهم مقارنة بالمحدّثين. ولعل سبب ذلك يعود إلى ثقافة الخشني في حد ذاته، إذْ كان لذلك أثر مُعتبَر في تقديم لفظة الفقهاء على لفظة المحدّثين في عنوان الكتاب[306].

نظّم الخشني كتابه عن طريق ذِكر البلدة التي ينتمي إليها المترجَمون داخل البلاد الأندلسية، وعلى ضوء ذلك يمكننا أن نرتّب أقاليم الأندلس المذكورة في تراجم الفقهاء والمحدّثين، وهي على الأغلب ثمانية وعشرون إقليما، على حسب تَعداد المنتمين إليها، من علماء الأندلس. ويمكن إيرادها على النحو التالي[307]:

قرطبة ونَسب إليها 216 عالما، ثم طليطلة وإلبيرة التي نَسب إلى كل منها 43 عالما. وأما سرقسطة فنسب إليها 34 عالما، ووَشْقَة[308] التي نسب إليها 22 عالما، ثم ريّة[309] التي

304- لتفاصيل وافية عن الكتاب، راجع الدراسة التي أعدّها عبد الفتاح فتحي. ينظر: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج1، ص ص408-440.

305- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص227.

306- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج1، ص ص408-409.

307- ذَكَر عبد الفتاح فتحي هاته الأقاليم وعدد تراجم العلماء فيها. ينظر: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج1، ص ص410-411.

308- **وَشْقَة:** بفتح أوله، وسكون ثانيه، والقاف، مدينة حصينة بالأندلس، بينها وبين سرقسطة خمسون مِيلاً. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص377. الحميري، الروض المعطار، ص612.

309- **رِيّة:** بفتح أوّله، وتشديد ثانيه، كورة واسعة بالأندلس، متصلة بالجزيرة الخضراء وهي قبلي قرطبة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص116. الحميري، الروض المعطار، ص279.

نسب إليها 17 عالما. وأما وادي الحجارة وجيان فقد نسب لكل منها 16 عالـــما، بينما نسب لكل من إستجة وإشبيلية وتُطيلة[310] وتُدمير 14 عالما. وإلى الـــجُزَيرَة[311] وبـــجّانة نسب إلى كل منهما 12 عالـــما. بينما نسب لقبرة[312] 7 علماء، و6 علماء لكل من شذونة وبطليوس[313]. وأما فرّيش[314] فقد نسب إليها 4 علماء، ونسب إلى ماردة[315] وقرمونة 3 علماء لكل منهما، وعالـــمان اثنان لكل من طرطوشة[316] وباجة. لينهي حديثه بكل من لورقة وأُشونة[317] ومالقة[318] ولاردة[319] ولشبونة والثغر[320]، حيث نسب إلى كل واحدة منها عالـــم واحد.

310- **تُطِيلَةُ:** بالضم ثم الكسر وياء ساكنة ولام؛ مدينة في شرقي قرطبة، اختُطّت في أيام الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ابن معاوية. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص33. الحميري، الروض المعطار، ص133.

311- **الجُزيرَة:** هذا الاسم إذا أطلقه أهل الأندلس أرادوا بلاد مجاهد بن عبد الله العامري، وهي جزيرة منورقة وجزيرة ميورقة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص139.

312- **قَبْرَةُ:** بلفظ تأنيث القبر، مدينة بالأندلس تتّصل بأعمال قرطبة من قبليّها، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص305. الحميري، الروض المعطار، ص453.

313- **بَطَلْيُوسُ:** بفتحتين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة؛ مدينة كبيرة بالأندلس، من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص447. الحميري، الروض المعطار، ص93.

314- **فرِّيش:** بكسر أوله وثانيه؛ مدينة بالأندلس غربي فحص البلوط، بين الجوف والغرب من قرطبة وأكثر انحرافها إلى الغرب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص259. الحميري، الروض المعطار، ص440.

315- **مَارِدَةُ:** كورة واسعة من نواحي الأندلس، متصلة بحوز فرّيش بين الغرب والجوف من أعمال قرطبة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص ص38-39. الحميري، الروض المعطار، ص518.

316- **طَرْطُوشَةُ:** بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة؛ مدينة بالأندلس، تتصل بكورة بلنسية، وهي شرقي بلنسية وقرطبة؛ قريبة من البحر، بينها وبين بلنسية مائة ميل وعشرة أميال، مسيرة أربعة أيام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 30. الحميري، الروض المعطار، ص391.

317- **أُشُونَة:** حصن بالأندلس من نواحي إستجة بينهما نصف يوم، وهي حصن من نظر قرطبة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 202. الحميري، الروض المعطار، ص60.

318- **مَالَقَةُ:** بفتح اللام والقاف، مدينة بالأندلس عامرة من أعمال ريّة، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج51، ص 43. الحميري، الروض المعطار، ص517.

319- **لارِدَةُ:** بالراء مكسورة، والدال المهملة؛ مدينة بالأندلس شرقي قرطبة، منحرفة عنها إلى ناحية الجوف. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص7. الحميري، الروض المعطار، ص507.

320- **الثَّغْرُ:** بالفتح ثم السكون، وهو كل موضع قريب من أرض العدوّ يسمّى ثغرا، وهذا الاسم يشمل بلادا كثيرة، إلا أن الخشني لم يحدد الثغر المقصود في كتابه. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص ص79-81.

ويلاحظ الباحث، من خلال التوزيع الجغرافي على الأقاليم الذي وضعه الخشني للتراجم، ذلك الجهد الكبير الذي بذله في جمع مادته العلمية لكتابه، وظهر جليا من خلال الكمّ الكبير من الفقهاء والمحدّثين، الذين تَرجم لهم. حيث إنه ومن المرجّح أن يكون قد عاصر عددا لا بأس به مِن هؤلاء المترجَمين، وأنه قد يكون كذلك، تنقل وارتحل بين مختلف المناطق الأندلسية، بغرض السؤال والتحرّي في جمع معلوماته عنهم.

كما نالت قرطبة الحصة الأكبر في عدد التراجم، وهذا الأمر إنما هو انعكاس مباشر لِحُبّ الخشني لقرطبة واهتمامه بها، إذْ كانت هي العاصمة وملتقى أرباب العلم من كل الأمصار على عهده، وبها لقي الفطاحل والجهابذ من العلماء، الذين حرصت الخلافة أشدّ الحرص على الانتفاع بعلمهم.

كما أن غالبية من ترجَم لهم الخشني، أندلسيون مولدا ونشأة وثقافة. وهنا لابد من الإشارة إلى مسألة هامة جدا، وهي أن هناك من أَتَوْا مِن أقاليم أخرى، لكنه رغم ذلك ترجم لهم الخشني، وعدّهم أندلسيون بحكم الإقامة والاستقرار بالأندلس[321].

وأما عن الكتاب وما حوى؛ فقد أنزله صاحبه في 527 ترجمة، وزّعها على 28 مدينة أندلسية، كما ذُكر سابقا. وقد ركّز اهتمامه فيه على فقهاء ومحدّثي القرنين الثالث والرابع الهجريين (3و4هـ/9و10م)، أما القرن الثاني (2هـ/8م) فجاءت تراجمه قليلة جدا[322].

وقد أتت تراجم الخشني مرتّبة على حروف المعجم، وفق الترتيب المغربي الأندلسي، وذلك بالنسبة للحرف الأول من الاسم دون مراعاة ما بعده[323]. حيث افتتحه بمقدّمة مقتضبة أوضح فيها المنهج الذي اتّبعه في ترتيب وتراجم الأعلام، إلا أن محقّق الكتاب لم يورد لنا منها إلا نزرا يسيرا، وذلك لكونها غير واضحة في الأصل المعتمد في عملية التحقيق[324].

كما أنه قسّم تراجمه على أبواب، فجعل لكل حرف بابا. فمثلا في باب الألف بدأ بمن اسمه إبراهيم، ثم أحمد، ثم أيوب، فأصبغ، فأبان، فأسامة. وفي آخر الباب كان يقوم

321- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج1، ص ص411-412.
322- المرجع نفسه، ج1، ص412، هامش: 2-3-4.
323- أحمد هاشم محمد، علم تاريخ الرجال في الأندلس وقيمته العلمية، ص109.
324- تحقيق ماريا لويسا آبيل (Mria Luisa Avila) ولويس مولينا(Luis Molina). الخشني، أخبار الفقهاء، ص7.

بذكر الأسماء المتفرّقة في حرف الألف، وهي الأفراد من الأسماء. وعلى هذا النسق أكمل بقية الحروف، إلا أنه كان يشير بعبارة "فارغ لا اسم فيه" وذلك في الحروف التي تمر وليس فيها تراجم[325].

ويلاحظ على كتاب الخشني كذلك؛ أن أبوابه تتراوح بين الطول والقِصر، البعض منها محدود جدا لا يجاوز الصفحة، والبعض الآخر يطول جدا، كحرف الميم الذي يُعتبر أطول أبواب الكتاب. ثم يليه باب حرف العين الذي يتّسم بسمة منفردة، ألا وهي أن أواسطه بابا للأسماء المختلفة وهو خاص بالعبادلة، إلا أن الخشني لم يوضّح السبب الدّاعي وراء وضع هذا الباب بهذا الشكل. وبعد ذلك أكمل بقية الأبواب الأخرى جريا على النهج الأول مع باب الميم وغيره، إذ لم يميزها عن السابقة كما فعل مع وضعه لباب للأسماء المختلفة[326].

وأما بالنسبة للعناصر المكوّنة للترجمة عند الخشني، فيه كالتالي[327]:

- كان يذكر في السطر الأول المترجَم له، ونَسبه موجزا، ومن أي المدن الأندلسية هو، والترحم عليه في الغالب.

- ثم يعرّج بعد ذلك على ذِكر كنيته ونسبه كاملا، وأصله وشرح ولائه (إن كان من الموالي).

- الاهتمام بذِكر علم المترجَم له، وأي العلوم كانت غالبة عليه (الفقه أم الحديث)، وما قد يكون لديه من علوم أخرى.

- ثم يذكر شيوخه الذي سمع وتتلمذ لهم بالأندلس، وهل كانت له رحلة، ومَن لقي في رحلته من الشيوخ والأساتيذ.

- التعرض للصفات الطيبة مِن علم وزهد، وورع وعبادة وغيرها. كما كان يهتم إلى جانب ذلك بإبراز آراء العلماء وثنائهم عليه، ومدحهم له.

325- مصطفى حميداتو وخدومة العيادي: "**فن التراجم عند الأندلسيين: دراسة في النشأة والمنهج**"، مجلة البحوث والدراسات، السنة 13، ع22، 2016، ص13.

326- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج1، ص427.

327- مصطفى حميداتو وخدومة العيادي، فن التراجم عند الأندلسيين، ص13. عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج1، ص ص427-429.

- وغالبا ما كانت الترجمة تنتهي بذِكر تاريخ وفاة المترجَم له، ومكان وفاته.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن التراجم في كتاب الخشني تختلف طولا وقِصرا بحسب أهمية العلَم المترجَم له، حيث نلاحظ أنه كان يطيل تراجم الأعلام المشهورين كمحمد بن وضاح القرطبي[328] الذي ترجم له في أكثر من عشر صفحات[329]، وبقي بن مخلد القرطبي[330] الذي ترجم له في حوالي أربع عشرة صفحة[331].

كما أنه وفي أحايين كثيرة، كانت تراجمه لا تزيد على السطرين، وذلك لعدة أسباب منها: عدم شهرة صاحب الترجمة، وقلّة مشاركته في الحركة العلمية، وعدم توفر مادة كافية لإثراء ترجمته. ومثال ذلك قوله في أحد التراجم: "أبو الفرج من أهل أستجة، كان من أهل الزهد، ويقال: إنه كان مجاب الدعوة، توفي بعد الثلاثمائة"[332]. وقد حرص الخشني في تراجم كتابه عن الفقهاء والمحدّثين، على إبراز جانبين مهمين يتعلقان بالعلماء الأندلسيين، وهما[333]:

الجانب الأول: جانب الحكمة والموعظة والصواب، وهو ما نلمسه جيدا من خلال الكلمات التي يرويها المترجِمون عن العلماء، أو من خلال تصرفات بعض المترجَمين.

وأما الجانب الثاني: فيتمثل في الدور الإيجابي الذي قام به العلماء في المجتمع الأندلسي، وذلك بتولّيهم لعديد المناصب كالصلاة والقضاء، والفُتيا والشورى، وعقد الوثائق. وقد رسم لهم الخشني صورة مشرقة من خلال كتابه المذكور، إذ اعتبرَهم ذَوُو وجاهة ومنزلة سامية بين الناس وعند الأمراء. وبهذا فمكانتهم محفوظة وحرمتهم وافرة، حيث إنه كان لهم دور كبير كذلك في سياسة الحكم، وإصلاح شؤون الناس.

328- تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 47 من الفصل التمهيدي.
329- الخشني، أخبار الفقهاء والمحدّثين، ص122، ترجمة: 137.
330- راجع ترجمته في الهامش رقم: 46 من الفصل التمهيدي.
331- الخشني، أخبار الفقهاء والمحدّثين، ص49، ترجمة: 58.
332- المصدر نفسه، ص296، ترجمة: 402.
333- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج1، ص ص436-437.

وعليه؛ فالخشني بذل جهدا كبيرا في جمع مادة كتابه، ومِن أوثق مصادرها المتاحة وقتها. كما عمل على تنسيقها وتنظيمها، وفق منهج اتبع فيه مختلف الأساليب، وقد اقتصَرنا على البعض منها هنا، ولم نذكرها كلها لأن المقام لا يتسع لذلك[334].

ومن خلال ما سبق ذكره؛ نستنتج أن الخشني كان نموذجا للمؤرخ الفذّ الذي لم يَحصر اهتمامه في مجال التاريخ وحده، وذلك لكونه له اهتمام بتحصيل الفقه وشهود مناظراته والمشاركة فيها، وكذا تدريسه والتأليف فيه، إذ أن اهتمامه بالتأليف في تراجم الفقهاء والمحدّثين، جاء كنتيجة لاهتمامه بالفقه والحديث.

ثم إن كتابه "أخبار الفقهاء والمحدّثين"، يعتبر نموذجا حيّا لكتب التراجم في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري (ق4هـ/10م) سواء في موضوعه، أم في محتوياته وموارده ومنهجه. وبكتابه هذا، يكون الخشني قد سدّ ثغرة كبيرة في المدونات التاريخية الأندلسية، وحوى بين طيّيه معلومات تمتاز بالجدّة والدقّة، ولم تختص بالأندلس فقط، بل أتت متّصلة بما رواه المترجَم لهم أثناء رحلاتهم المشرقية. ينضاف إلى ذلك كله، تأثير كتابه -أخبار الفقهاء والمحدّثين-في جملة من أصحاب التراجم التَّالِينَ له، والذين نقلوا عنه الكثير من النصوص والتراجم، ومنهم:

ابن الفرضي أبو الوليد (ت403هـ/1012م) في "تاريخ علماء الأندلس"، وابن حيان القرطبي حيّان بن خلف (ت469هـ/1076م) في "المقتبس مِن أنباء أهل الأندلس"، والحَميدي أبو عبد الله بن أبي نصر الأزدي الميورقي (ت488هـ/1095م) في "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس"، وابن ماكولا سعد الملك أبو نصر(ت475هـ/1082م) في "الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب"، والقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ/1149م) في "ترتيب المدارك وتقريب المسالك"، والضبي (ت599هـ/1203م) في "بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس"، وابن الأبار القضاعي البلنسي (ت658هـ/1259م) في "التكملة لكتاب الصلة"، وابن خلكان أبو العباس (ت681هـ/1282م) في "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، وكذا ابن فرحون إبراهيم بن علي (ت799هـ/1396م) في "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب".

334- للاستزادة أكثر حول منهج الخشني في كتابه "أخبار الفقهاء والمحدّثين"؛ ينظر: المرجع نفسه، ص ص425-439.

فكلّ هاته المصادر، نقلت عنه كثيرا من المعلومات والروايات التي يعتبر هو-الخشني- صاحب السبق فيها.

وفي الأخير؛ وجب التنبيه إلى مسألة مهمة، وهي أن بعض الباحثين المُحْدَثين من المتأخّرين[335]، استبعد الخشني من قائمة مؤرخي الأندلس، إذ اعتبروا أنه ليس بأندلسي، بل قيرواني الأصل، وأنه رحل إلى الأندلس على عهد الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)[336].

غير أنه يبقى مِن الآكد أنّ ثقافة الخشني وطريقة تفكيره قد تشكلت لبناتها الأولى وتأصّلت وتجذّرت بالأندلس، بإشراف أساتيذ ومشايخ أَنْدَلُسِيّي الأصل. ولذلك فلا مناص من القول-إنصافا-إنه يعدّ من الناحية العلمية أندلسي الفكر والثقافة، وما أنتجه من تراث علمي زاخر، ما هو في الواقع إلا انعكاس وصورة طبق الأصل لحياته الفكرية والثقافية والاجتماعية التي عاشها في بيئته الجديدة الأندلس والتي لم يَعرف غيرها، بل وفيها قَضَى ودُفن العام 361هـ/971م[337].

2-2/-تراجم رجال بلد معيّن:

يعتبر عرض تراجم الأندلسيين ضمن نطاق "رجال بلد معين"، من الأنماط الرئيسة في ذلك، حيث كَثُر هذا النوع من التأليف وانتشر في الأندلس. وقد اختصّ هذا التوجه في الكتابة التراجمية بطبقة معينة في حدّ ذاتها، كأَنْ يتناول تراجم الفقهاء دون غيرهم في الأندلس، أو شعرائها، وكذا التأريخ لقضاتها[338]. وفيما يلي ذِكْرٌ لبعض النماذج الخاصة في هذا التوجّه، خاصة منها ما ظهر خلال القرن الرابع الهجري (ق4هـ/10م):

- **كتاب فقهاء مدينة باجة**[339]: لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الباجي (ت350هـ/961م)[340]؛ مِن أهل باجة. كان فصيحا بليغا، شاعرا حافظا للفقه والنحو، وكان

335- مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب قسم الأدب، بيروت: دار العلم للملايين، ط6، 1991، ص ص615-616.

336-تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 147 من الفصل التمهيدي.

337- ذنون طه، نشأة التدوين التاريخي العربي في الأندلس، ص15.

338- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص428.

339- تقدم التعريف بها في الفصل الأول، ص ص107-108.

340- تقدم التعريف به في الهامش رقم: 371 من الفصل الأول.

صاحب الصلاة بـــها[341]، ذَكر له ابن الفرضي كتابا في فقهاء مدينة باجة، واعتمده في تاريخه[342].

- **كتاب في رجال إستجة:** لـــمؤلِّفه الإمام الحافظ، الفقيه الـــمحدّث الـــمجوّد، أبو القاسم إســـماعيل بن إسحاق بن إبراهيم القيسي القرطبي الـــمالكي الـــمعروف بابن الطحان (تـــ384هـــ/994م)، شيخ ابن الفرضي؛ صاحب التصانيف. توفي في شهر صفر، وطاب الثناء عليه، وشيّعه الخلق[343].

قال عنه ابن الفرضي: "كان أكثر وقته يصنّف الـــحديث والتواريخ، وقد خرّج في غير نوع من الـــمصنفات، وكان عالـــما بأخبار الشيوخ"[344]. وقد ذكر ابن الفرضي في معرض ترجـــمته له بـــما يفيد أنه قد ســـمع منه كثيرا، ونقل عنه في "تاريخ علماء الأندلس" نقولا كثيرة. يستشفّ ذلك من قوله: "وقَدْ نَقلنا عَنْه في كِتابنا هذا كثيراً، وكُل ما فِيه عن خالد بن سَعْد فَعَنْهُ كتَبْناه. سَـــمِعْتُ منه كثيراً، وقَدْ سَمع مِنْهُ أكثر أصْحَابنا، وانْتَفَعَ به أهْلِ الكُورِ بِصَبرِه على القِراءة لَهُم، والـــمواظبة على الـــجلوس"[345].

ومن الشواهد الدالة على وجود هذا الكتاب -كتاب في رجال إستجة-وأنه كان معلوما متناقلا، وأن ابن الفرضي نقل عنه، هو ما جاء في معرض ترجـــمة هذا الأخير لزيد بن سليمان الإستجي[346]، حيث قال: "ذَكره إســـماعيل في رجالـــها"، أي في "كتاب في رجال إستجة"[347].

341- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص48، ترجمة: 33.

342- المصدر نفسه، ص937، في ترجمة يوسُف بن عمّار بن قرة رقم: 1620. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص23.

343- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص135، ترجمة:219. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص502، ترجمة: 372. عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص24. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص290. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص139، ترجمة: 250.

344- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص135، ترجمة:219.

345- المصدر نفسه، ص135، ترجمة:219.

346- نفسه، ص282، ترجمة:461.

347- نفسه، ص282، ترجمة:461. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص23.

2-3/-تراجم فئات مُعيّنة في بلد معيّن:

تصنّف هذه التراجم في إطار التراجم الخاصة، وهي مؤلفات تُترجِم لأصناف مختلفة من الناس، مع شرط وجودها في مكان محدّد[348]. ولعلّ أشهر كتب التراجم الأندلسية، هي التي جاءت وفق هذا النمط، ولِأَشْهَر مؤرخي الأندلس في (ق4هـ/10م)، ومنها:

- **كتاب فقهاء وقضاة قرطبة:** لأبي عبد الملك أحمد بن محمد، بن عبد البرّ القرطبي (ت338هـ/950م)؛ وهو من موالي بني أمية، مؤرخ من فقهاء قرطبة، توفي مسجونا لِلَيلَتَيْنِ بَقِيَتَا من رمضان سنة 338هـ[349]. يعدّ من أوائل مؤرخي الأندلس خلال (ق4هـ/10م)، وهو كذلك ممّن ألّف في تاريخ الرجال، حيث صنّف في فقهاء وقضاة قرطبة تاريخا مشهورا[350].

وقد أجمع جمهرة من الإخباريين وأصحاب التراجم، على أن لابن عبد البرّ القرطبي مصنَّفا في الفقهاء بقرطبة، حيث أكّد ابن الفرضي في معرض حديثه وترجمته له، أن له مصنَّفا في الفقهاء بقرطبة استعان به ونقل عنه[351]. كما أشار ابن بشكوال في "صِلته" في ترجمته لعمر بن نمارة بن عمر بن حبيب الأموي القرطبي (ت400هـ/1010م)، أنه روى في تاريخه عن أبي عبد الملك بن عبد البرّ في "فقهاء قرطبة"[352].

وقد ورد ذِكر الكتاب كذلك؛ عند القاضي عياض (ت544هـ/1149م)، حيث ترجم له هذا الأخير في "ترتيب المدارك"، قائلا: "وألف في فقهاء قرطبة تاريخاً مشهوراً"[353]. وفي

348- مارية دادي، كتب التراجم نشأتها وتطورها، ص317.

349- البَكجري الحنفي علاء الدين مُغلطاي (ت762هـ)، الدُّرُّ المنظوم من كلام المصطفى المعصوم، تقديم وتعليق: حسن عبَجي، إشراف ومراجعة: محمد عوّامة، ص55. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج5، ص277، في ترجمة سعيد بن حفص بن عمر رقم: 1922. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص89، ترجمة: 120. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص ص206-208. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص121. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص289. الزركلي، الأعلام، ج1، ص207. كحالة، معجم المؤلفين، ج10، ص242. سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين في الأندلس، ص233.

350- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص213.

351- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص89، ترجمة: 120. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص19.

352- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج2، ص38، ترجمة: 804.

353- عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص121.

السياق ذاته، تحدّث عياض كذلك؛ عن علاقة ابن عبد البرّ بالمؤيد عبد الله بن الناصر[354]، وأنه كان "لا يكاد يفارقه، وله ألف تاريخ الفقهاء والقضاة"[355]. إلا أن الملاحظ هنا، هو أن القاضي عياض أضاف كلمة "القضاة" إلى عنوان الكتاب، خلافا لِما تمّ ذكره عند مَن سبقه.

وأما ابن سعيد المغربي، فقد أورد لنا نقولا مهمة عن كتاب ابن عبد البرّ "فقهاء قرطبة"، وذلك في حديثه عن قضاتها، إلا أنه سمّاه "كتاب القضاة"[356]. وهو الأمر الذي تابعه فيه البَكجري الحنفي علاء الدين مُغلطاي (ت762هـ/1360م) في "الدُّرُّ المنظوم" وفي "إكمال تهذيب الكمال"، حيث ذكر أن لابن عبد البرّ مصنّفا في "تاريخ قرطبة"[357].

وهنا ثمة سؤال مهم، عمّا إذا كانت مصنّفات ابن عبد البرّ قد أتت في ثلاثة كتب منفصلة، أولها "فقهاء قرطبة" الذي تداولت على ذكره عدة مصادر ونقلت عنه، وثانيها "تاريخ الفقهاء القضاة" الذي ذكره عياض في "المدارك"، و"كتاب القضاة" عند ابن سعيد المغربي، وثالها "تاريخ قرطبة" عند البَكجري الحنفي؟ وهل كتاب القضاة جاء في قضاة الأندلس عموما أم قضاة قرطبة خاصة، كما جاء في فقهاء قرطبة الذي أفاد منه ابن الفرضي؟

وعلى ما يبدو، فإنه ومن المرجح أن تكون كل هاته العناوين لمؤلَّفٍ واحد حول تاريخ الفقهاء والقضاة، كما أورد ذلك عياض في "المدارك" حين جمع بين الاسمين في عنوان واحد هو "تاريخ الفقهاء القضاة"[358].

كما أنه ومن الظاهر أن يكون عنوان "تاريخ قرطبة" الذي أورده البَكجري الحنفي ربما يكون موضوعه "فقهاء قرطبة" المذكور، إذْ لَمْ تذكر المصادر التي ترجمت لابن عبد البر كتابا آخر غير كتاب الفقهاء والقضاة بقرطبة. ويؤيّد هذا ويعضّده ما أورده ابن الأبار في "الحلة السيراء" حينما ذكر ابن عبد البرّ، ووصَفَه بصاحب "التاريخ" دون الإشارة إلى اسم

354- يقصد عبد الله الخليفة الأمير عبد الرحمن الناصر، الذي حكم بين سنتي 300-350هـ/912-961م. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص41-42. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص121.

355- عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص122

356- ابن سعيد، المُغرب في حلى المغرب، ج1، ص143.

357- البَكجري، الدُّرُّ المنظوم، ص55. إكمال تهذيب الكمال، ج5، ص277، ترجمة سعيد بن حفص رقم: 1922.

358- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص213.

الكتاب[359]، وهو كذلك سبب آخر في حدّ ذاته يدعونا إلى القول، بأن ابن عبد البرّ قد كَتب تاريخا عاما في الفقهاء والقضاة، إنْ لم تكن له مؤلفات أخرى لم تذكرها المصادر التي ترجمت له، خاصة في ظل وَصْفِ ابن الفرضي له بأنه "كان متصرفا في فنون العلم"[360].

ومهما كان الأمر، فإن هذا الغموض يبقى يكتنف مصنّفات ابن عبد البرّ بوجه عام، فهي لاتزال في حكم المفقود، ولم يصلنا منها إلا شذرات متفرقات، أوردتها المصادر الأندلسية.

وعليه؛ فقد خصص ابن عبد البرّ كتابه لتراجم وتاريخ قضاة قرطبة أو فقهائها، حيث يتضح من خلال التراجم الواردة إلينا، أن منهجه في ذلك كان الإيجاز والاختصار أحيانا، كما في ترجمة نصر بن طريف ومصعب بن عمران، وغيرها من التراجم التي نقلها عنه ابن سعيد حرفيا[361]. كما أنه كان يسهب أحايين أخرى في عرض مداولات القضاة وشيء من أخبارهم، كما في ترجمة أبي بكر محمد بن البشير المعافري[362].

وعلى العموم، فإنه كان يستعرض في ترجمته تحديد أصل المترجَم له ومنشؤه، وتاريخ توليته القضاء ومَن ولاّه، والظروف المواتية لتوليته. وكان يستطرد أحيانا في وصف وإظهار شيء من صفات وأخلاقيات المترجَم له، ونقده إنْ دعت الضرورة لذلك[363].

- **كتاب فقهاء ريّة:** لأبي محمد قاسم بن سعدان بن عبد الوراث القرطبي؛ من أهل ريّة (ت347هـ/958م). كان فقيهًا بصيرًا بالحديث، حافظًا للمسائل، عالمًا بالرجال واسع الرواية، جيد الخط غاية في الضبط والتصحيح، جمَّاعةً للكتب متقنًا لها متفوقًا فيها، وكان له بصرٌ تامٌ بالنحو واللغة[364].

359- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص207.

360- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص89، ترجمة: 120.

361- ابن سعيد، المُغرب في حلى المغرب، ج1، ص ص144-155.

362- المصدر نفسه، ج1، ص ص144-146.

363- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص430.

364- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص302، ترجمة: 274. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص614، ترجمة: 1070. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص254، ترجمة: 1921. ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ص336، ترجمة: 153. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج8، ج1، ص ص485-486. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص23.

نقل عنه ابن الفرضي في مواضع كثيرة من كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، حيث أورد من خلال تلك النّقول اسم كتاب "فقهاء ريّة"، مثل ترجـــمة ليث بن سباع حيث أورده قائلا: "ذكره ابن سعدان في فقهاء ريّة"[365].

وفي السياق ذاته، صُنّف كتاب آخر في "فقهاء ريّة" لـــمؤرخ من مؤرخي الأندلس خلال (ق4هـــ/10م)، وهو أبو عبد الحميد إسحاق بن سلمة القيني؛ إخباري عالم أندلسي من أهل ريّة، له كتاب يشتمل على أجزاء كثيرة من تاريخ ريّة وحصونها وولاتها، وحروبها وفقهائها وشعرائها. توفي قريبا من سنة 380هـــ/990م[366]. وقد أشار لهذا الـــمصنَّف ابن الفرضي حين ترجـــمته لعبد الرحمن بن مطرف قائلا: "ذكره ابن إسحاق بن سلمة القيني في فقهاء ريّة"[367].

- **كتابي فقهاء إلبيرة وشعراء إلبيرة:** من تأليف أبي القاسم مطرف بن عيسى بن لبيب الغساني الألبيري (تـــ356هـــ/967م) نزيل غرناطة؛ وَلِـــيَ أحكَام القضاء بها، ثم عُزِل عنها. كان لغوياً متصرفا فِي علم الْإِعْرَاب والغريب، وَرِوَايَة الشّعْر وَحفظ الْأَخْبَار، أَخباريا مؤرخاً مصنّفاً. ألّف كتاباً في فقهاء إلبيرة وكتاباً في شُعَرائها، وكتابا فِي أَنْسَاب الْعَرَب النازلين بهَا وأخبارهم؛ مَات بقرطبة، وحُمل ميّتاً إلى إلْبِيرَة فدفن بغرنَاطَة[368].

وللإشارة فإنّ هذا السّفر النفيس، ذكره ابن الفرضي في "تاريخ علماء الأندلس" وتناقلته عنه الـــمصادر اللاحقة، حيث يقوله عنه أنه:" ألّف كتاباً في فقهاء إلبيرة؛ وكتاباً في

365- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص626، ترجمة: 1089.

366- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص623، ترجمة: 224. ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ص17.

367- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص448، ترجمة: 794.

368- المصدر نفسه، ص837، ترجمة: 1443. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص121، ترجمة: 238. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص289، ترجمة: 2001. حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني (1017-1067هـــ/1609-1657م)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مج3، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلو، إعداد الفهارس: صلاح الدين أيغور، نشر منظمة المؤتمر الإسلامي مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، 2010، ص341، رقم: 4997. الزركلي، الأعلام، ج7، ص250. كحالة، معجم المؤلفين، ج12، ص293. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص1256، ترجمة: 1268. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص23.

شُعَرائها"[369]. ورغم أن ابن الفرضي ذَكَره في كتابه، إلا أنه لم ينقل عنه، ولم يشر إليه إلا في موضع واحد، وذلك في معرض ترجمته لـــمؤلِّفه.

ولعل كتاب "شعراء إلبيرة"، يكون هو ذاته الكتاب الذي ذكره ابن حزم في رسائله واطّلع عليه؛ ونقله عنه الـــمقري كذلك في "نفحه"؛ يُستشف ذلك من قول ابن حزم: "ومنها كتب كثيرة جـُـمعت فيها أخبار شعراء الأندلس للمستنصر رحمه الله تعالى، رأيتُ منها أخبار شعراء إلبيرة في نـــحو عشرة أجزاء"[370].

- **كتاب قضاة قرطبة**[371]: لـــمحمد بن حارث الخشني (تـــ361هـــ/971م)[372]، وهو من أشهر كتب التراجم الأندلسية. ومِن مُسمّاه يتَّضح أنه مـــختصّ بفئة معينة لبلد معيّن، ألا وهم قضاة قرطبة. ويضم هذا الكتاب بين دفّتيه، فوائد جليلة وصورا صادقة عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية في الأندلس، من الفتح الإسلامي إلى عصر الحكم الـــمستنصر (350-366هـــ/961-976م)[373].

وأما عن مـــحتوى الكتاب؛ فقد قدّم الخشني لكتابه بـــمقدّمة ابتدأها بالدعاء لولي العهد الحكم الـــمستنصر (350-366هـــ/961-976م) -الذي عهد إليه بتأليف هذا الـــمصنّف-أن يرزقه الله السعادة، ويـــمدّ له في العزّ، ويزيده توفيقا. وبعد ذلك عرض ما يلي:

- بيان جوانب اهتمام ولي العهد بالعلم والثقافة، ودوره كإمام وعالـــم رائد.

369- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص837، ترجمة: 1443.

370- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2، ص184. الـــمقري، نفح الطيب، مج3، ص174.

371- نُشر بمدريد 1914 من طرف المستشرق الإسباني وعضو الأكاديمية الإسبانية والأكاديمية الملكية للتاريخ؛ خوليان ريبيرا (Julián Ribera 1858-1935) مع ترجمة للإسبانية بعنوان: Historia de los jueces de Córdoba.
Historia de los jueces de Córdoba, Por ALJOXANI, TEXTO ARABE Y TRADUCCION ESPANOLA Por JULIAN RIBERA, MADRID : IMPRENTA IBERICA, 1914.
كما أعاد نشره عزت العطار بالقاهرة سنة 1954، ونُشر مرة أخرى من قِبل الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة 1966 تحت عنوان "قضاة قرطبة"، وطُبع كذلك بتحقيق إبراهيم الأبياري سنة 1981، وبعد ذلك طُبع عدة مرات في العالم العربي والإسلامي. ينظر: الخشني، قضاة قرطبة، ص6. سزكين، تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص252. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص267. ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص ص13-14.

372- راجع ترجمته والتعريف به، ابتداء من ص175 من هذا الفصل.

373- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ص267-268. علي زيان: "**النقد التاريخي عند ابن حارث الخشني (تـــ361هـــ/972م) في كتابيه: قضاة قرطبة وطبقات علماء إفريقية**"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، مج5، ع2، ديسمبر 2021، ص ص463-483.

– عهدُ ولي العهد إليه، بتأليف كتاب عن القضاة في حاضرة قرطبة، على عهد الولاة ثم الأمراء والخلفاء.

– وفي المرحلة الـــموالية؛ جمع الخشني مادته، فسأل أهل العلم عن سِيَر القضاة مِن رواة الأخبار، فجمع مادة غزيرة وثرية، عن سِير وأقوال القضاة وأفعالهم. وهو ما رَسَم لديه صورة واضحة الـــمعالم عن علوم هؤلاء القضاة، ورجاحة عقولهم وثقافتهم. وتدل هذه الصفات على حُسن اختيار الـــحَكَم لهم، والتدقيق في انتقاء من يُعهد إليهم بـــخطة القضاء في حاضرة قرطبة. وفي الأخير، دعا الخشني للخليفة الناصر بطول البقاء، ولولي عهده –صاحب فكرة الكتاب–أن يـــجعله الله إماما في الخيرات، وعَلَما في الصالحات.

– وبعد ذلك، عرض الخشني لخطورة منصب القاضي، وأهميته في سياسة أمور الدولة وحفظها، والعناية بـــها. كما ركّز على مسؤولية القاضي يوم يقف بين يدي الخالق يوم القيامة، وكشف عن موقف العلماء من ذلك المنصب؛ قبولا ورفضا.

– وأخيرا؛ قام بعرض منهجه، حيث رتّب كتابه على بابين:

الأول: ذِكر العلماء الذين رَهَبُوا منصب القضاء، فأشفقوا منه وأَبَوْهُ.

الثاني: ذِكر ولاة القضاة مرتّبين واحدا واحدا على دولهم، وفي الأخير سأل الله لهم العون والـــهداية[374].

هذا؛ وتـــجدر الإشارة إلى أن كتاب الخشني، هو عبارة عن مـــجموعة تراجم للقضاة الذين تعاقبوا على بلاد الأندلس، منذ عصر الولاة إلى عهد الـــخليفة الحكم الـــمستنصر (350–366هـــ/961–976م)، حيث رتّبهم وسلسل ذِكرهم تسلسلا زمنيا، وكان يُثبت كل قاضٍ بكلمة "ذِكْر القاضي فلان" في جميع تراجـــمه للقضاة. كما كان غالبا ما يستفتح عند ذِكر ترجمة القاضي، عرضا لـــمسوّغات ترشيح القاضي، بعد ذِكر نسبه وأصله، ونشأته وشيوخه، وكذا عرض جانب من سيرته وخُلقه وصفاته[375]. ومثال ذلك، ما أورده في

374– الخشني، قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط2، 1989، ص ص23–26 من مقدمة المؤلف. وسيتم الاعتماد على تحقيق الأبياري في هاته الجزئية فقط والمتعلقة بكتاب قضاة قرطبة للخشني، أما بقية الأطروحة سيكون الاعتماد فيها على تحقيق السيد عزت العطار الحسني. عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص ص653–654.

375– أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص432.

ترجـــمته للقاضي سعيد بن مـــحمد بن بشير المعافري[376]، وكذا عند ذِكره للقاضي الفرج بن كنانة الكناني[377].

وأما في ذِكره للقاضي عبد الرحمن بن طريف اليحصبي[378]، فقد نقل الخشني رواية عن أحمد ابن خالد ذَكَر فيها شأن الخلفاء -رحمهم الله-في السؤال عن أخبار الناس، والكشف عن أهل العلم والخيّرين منهم، وكذا عرض أماكنهم من قرطبة أو غيره، فكانوا إذا احتاجوا إلى رجل يَصلُح لخطة من خططهم استجلبوه.

وفي هذا الصدد؛ يـَـحْسُنُ بنا أن نَذْكرَ بأن الأمير عبد الرحمن بن معاوية (138-172هـــ/755-788م)، احتاج لتولية قاضي جماعةٍ بقرطبة، وكان قد تناهى إلى مسامعه أن هناك رجلا بـــماردة، له من الصلاح والصلابة والورع ما يؤهله لذلك، فاستجلبه وولّاه، فسار في القضاء بأحسن وأفضل سيرة[379]. وبعد ذلك؛ عرض الخشني لترجمة القاضي عبد الرحمن اليحصبي، وجانبا من مهامه في تنفيذ مهمة القضاء[380].

وكما مرّ بنا؛ فإن الخشني رتب كتابه على بابين:

376- الخشني، قضاة قرطبة بتحقيق الأبياري، ص ص29-30.

ALJOXANI, Historia de los jueces de Córdoba, Traduccion Espanola Por JULIAN RIBERA, P83.

377- الخشني، قضاة قرطبة بتحقيق الأبياري، ص ص93-98.

ALJOXANI, Historia de los jueces de Córdoba, Traduccion Espanola Por JULIAN RIBERA, P89.

378- **عبد الرحمن بن طريف اليحصبي:** استقدمه الأمير عبد الرحمن الداخل من ماردة، عندما سمع بصلاحه وصلابته وورعه، فسار بالقضاء أجمل سيره. ينظر: الخشني، قضاة قرطبة بتحقيق الأبياري، ص ص64-66. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص437، ترجمة: 772. النباهي، المرقبة العليا، ص44؛ إلا أنه سماه "نصر بن ظريف". سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين في الأندلس، ص630.

ALJOXANI, Historia de los jueces de Córdoba, Traduccion Espanola Por JULIAN RIBERA, P52.

379- الخشني، قضاة قرطبة بتحقيق الأبياري، ص64.

ALJOXANI, Historia de los jueces de Córdoba, Traduccion Espanola Por JULIAN RIBERA, P52.

380- الخشني، قضاة قرطبة بتحقيق الأبياري، ص ص64-66.

ALJOXANI, Historia de los jueces de Córdoba, Traduccion Espanola Por JULIAN RIBERA, P52.

الأول: ووسمه بـــ "باب من عُرض عليه القضاء من أهل قرطبة فأبى قبوله"، وقد ذَكَر فيه ثلّة من العلماء الذي رَهبوا منصب القضاء، فأشفقوا منه وأَبَوْهُ[381].

الثاني: عَنْوَنَه بـــ "باب أخبار قرطبة وقضاتـــها قبل الخلفاء". وقد ضمّنه الخشني الحديث عن قضاة قرطبة منذ عصر الولاة إلى عهد عبد الرحمن الداخل، وصولا إلى عهد هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (138-172هـ/755-788م)[382]، ثم عَهد محمد بن عبد الرحمن بن الحَكَم[383]، وعبد الله بن مـــحمد[384]، وأخيرا عهد الناصر[385] والـــمستنصر[386]، إلى غاية ذِكْره لآخر القضاة وهو مـــحمد بن إسحاق بن السليم[387].

وجدير بالذكر، أن كتاب "قضاة قرطبة"، لـــم يـــخصّصه الخشني للفئة العالـــمة والفقهاء، بل إنه هَدَف منه إلى خدمة طبقة القضاة، وإرشادهم لـــحلّ قضايا الـــمجتمع. حيث ركّز فيه على تـــحقيق الأهداف التي عرض من خلالها نـــماذج من مـــمارسة القضاة وفعاليتهم في أداء مهمتهم، ليكون ذلك درسا وعبرة للمعاصرين وحتى اللاحقين. كما أن هاته التراجم؛ حوت معلومات غزيرة وغاية في الأهمية عن الجوانب الحياتية الاجتماعية والخاصة بالأندلس[388].

381- تمتد تراجمه من ص27 إلى ص37 من كتاب قضاة قرطبة بتحقيق الأبياري.

ALJOXANI, Historia de los jueces de Córdoba, Traduccion Espanola Por JULIAN RIBERA, PP23-35.

382- تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 31 من الفصل التمهيدي.

383- تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 255 من الفصل الأول.

384- تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 59 من الفصل الأول.

385- تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 146 من الفصل التمهيدي.

386- تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 147 من الفصل التمهيدي.

387- تمتد تراجمه من ص38 إلى ص239 من كتاب قضاة قرطبة بتحقيق الأبياري.

ALJOXANI, Historia de los jueces de Córdoba, Traduccion Espanola Por JULIAN RIBERA, PP38-257.

وأما عن ترجمة محمد بن إسحاق بن السليم؛ ينظر: الخشني، قضاة قرطبة بتحقيق الأبياري، ص238. النباهي، المرقبة العليا، ص75.

ALJOXANI, Historia de los jueces de Córdoba, Traduccion Espanola Por JULIAN RIBERA, P257.

388- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص433-434.

وعليه؛ فقد عُني الخشني في هذا السِّفر الماتع والمهم، بتقديم صورة واضحة المعالم، وصادقة الإنباء عن الحياة الاجتماعية بقرطبة وقتذاك، واعتمد بشكل أساسي على مصادر متنوعة، كالخطابات المتبادلة بين الحكام والقضاة، والوثائق المحفوظة عند بعض الأُسَر المتنفّذة في البلاط الأموي. كما اعتمد كذلك؛ على بعض الكتب المجهولة الاسم والعنوان، وكذا الروايات التي تَوَاتَر ذِكرها بين الناس خلال ذلك العهد.

كما أنه، كان يشير في الكثير من الأحيان إلى موارد كتابه ومصادره، بَيْدَ أنّ إشارته كانت مبهمة في الغالب، كقوله على سبيل التمثيل لا الحصر: "سمعتُ من أهل العلم"، و"قال لي بعض أهل العلم"، و"قال لي بعض رواة الأخبار"، و"أخبرني مَن أثق به من أهل العلم"، وغيرها من العبارات التي لا تؤدّي الغرض المطلوب من تحديد موارد ومصادر الكتاب[389].

وقد أتت موارد الخشني في كتابه "قضاة قرطبة" متعددة ومتنوعة؛ مواد صريحة كإيراده لروايات العلماء، ومواد مجهولة كقوله: "هكذا بلغني" أو "سمعتُ من يقول"، وغيرها من العبارات. وإضافة لذلك اعتمد على وثائق مهمة؛ طالعها وسجّلها في كتابه[390]، وهو ما جعل كتابه مُصنَّفا متعدد ومتنوع المصادر، إذْ حوى روايات كثيرة لعدد كبير من الرواة، أسهم الخشني بسهم وافر، في جمعها وتصنيفها وعرضها عرضا يتناسب مع محتوى كتابه، كما صرح بذلك بنفسه في مقدمة كتابه[391].

هذا؛ وعرض الخشني لتراجم كتابه كالتالي[392]:

- الاهتمام بذِكر نسب القاضي كاملا أحيانا، وأجداده ووقت نزول جدّه بالأندلس.
- ثم ذِكر أصل القاضي ومكان نزوله بالأندلس، وموطنه بدقة.
- العلوم التي يتقنها القاضي المترجَم له، ومناصبه التي تقلدها، ورحيله للعلم وتدرجه فيه.

389- ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص14. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص268.

390- لتفاصيل أكثر حول موارد الخشني في كتابه "قضاة قرطبة"؛ ينظر: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص ص656-660.

391- الخشني، قضاة قرطبة بتحقيق الأبياري، ص24، الفقرة الأخيرة من الصفحة.

392- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص661. علي زيان، النقد التاريخي عند ابن حارث الخشني (تـ361هـ/972م)، ص472.

– تركيزه في بعض الأحيان على ذِكر أعمال القاضي قبل انتدابه في منصب القضاء، مع بيان كفاءته في الكتابة، والإبداع في الوثائق.

– الاهتمام بذِكر أماكن وقوع الأحداث، والوصف الجغرافي الدقيق في بعض الأحيان، وكذا إيراد الأشعار المناسبة والمصاحبة للحدث؛ المؤكدة له.

وأما عن أسلوب الكتاب؛ فإنه من الناحية الأدبية لا يرقى إلى الجمالية التي تبوّأتها مصادر ذلك العهد، وذلك لكونه حوى أخبارا وأقاصيص مرسلة بعضها في إِثْرِ بعض. إلا أنه ورغم ذلك فهو ذو أهمية بالغة، غَني بالمتعة لمن يهتم بتأمل الأحداث التاريخية وكيفية جريانها[393].

وأيًّا كان الأمر، فإننا لا نُنْكِر أن الخشني لم يكن إلا ناقلا للأخبار مُسجِّلا لها، دون ادّعاء أو تغيير أو إضافات؛ إذْ كان باستطاعته –وهو مِن أهل العلم والأدب–أن يصوغ هاته الأخبار بأسلوب سلس وجميل، يخفّف به على القارئ جفاف المادة المرصودة في الكتاب. ورغم ذلك؛ فإنه آثر أن يَعرض ما وصل إليه عِلْمُه، دون تدخّل في عرضه لمادة كتابه[394].

كما أن كتاب "قضاة قرطبة"، يعطينا صورا واضحة لطبقات أهل الأندلس؛ من القُرشيين ذوي الحسب والنسب، الذين كانوا يطمحون للرياسة ويترعون إلى الشرّ والفوضى، وكذا الأُسَر المنحدرة من أصول إسبانية، وخَدَم القصر وغلمانه من الصقالبة والنصارى، ثم زُهّاد المسلمين، وأهل قرطبة وما كان يشغلهم من أمور الدين والدنيا، وما كان يملأ قلوبهم من توقير العلم وأهله، وما كان يتناقلونه من قَصص ونوادر[395].

وفي السياق ذاته، فإننا نجد في هذا الكتاب الماتع، مادة قيّمة لدراسة نظام القضاء بالأندلس، فهو يلقي أضواءً كافية على المسائل التي تتصل بتولي القضاء، وشروط توليه العقلية والخلقية. كما أنه يعرفّنا بأجناس القضاة من العرب والمولّدين أو البربر، ويعطينا إشارات مهمة عن كفاءتهم وموازينهم في إصدار الأحكام، ويزوّدنا بمادة غنية عن إجراءات

393– بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص269.

394– أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص434.

395– بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص269.

التقاضي ونظام المحكمة، وأهمية منصب القضاء، مع وضع مقارنة لِما كان عليه الحال ببلاد الإسلام، من غير بلاد الأندلس[396].

وعليه؛ فإن كتاب "قضاة قرطبة" للخشني، جاء مرتّبا ترتيبا منطقيا، وبعرضٍ تاريخي مُتميز، أظهر فيه قدرة كبيرة على توقيت الأحداث، وبيان الدّرس والعبرة والعظة فيها. كما أنه أبرز المظاهر الحضارية الاجتماعية والقضائية في الأندلس. وهو الأمر الذي أكّده خوليان ريبيرا (Julián Ribera) بقوله: "إن كتاب الخشني، يضعنا في قلب قرطبة في عصر الإمارة، وأخباره مصوغة في قالب من الواقعية، لا يبلغ إلى تصويرها كتابٌ غيره مِن كتب التاريخ والأدب"[397].

وبذلك؛ يكون الخشني قد نجح في رسم صورة فريدة وموجزة ومركزة، لطبيعة النظام القضائي في الأندلس، منذ عصر الولاة وحتى أواسط (ق4هـ/10م).

2-4/-فهارس أو برامج وتسميات الرجال:

تعدّ تسمية كتب الرجال في الأندلس نادرة إلى حدّ ما، إلا أنه وُجد هناك اهتمام عند بعض الأندلسيين بهذا النهج في الكتابة التراجمية، إذْ أنّ له أهميته الخاصة في الحياة العلمية خاصة في مجال التراجم وعلم الرجال. وقد جادت علينا المدونات الأندلسية بذِكْر بعضٍ من النماذج لمثل هاته المصنّفات التي تخصّصت في تسمية الرجال، والتي غالبا ما كانت تأخذ وتنقل تلك التسميات روايةً. ومن هاته البرامج والتسميات التي جاد بها الزمن خلال القرن الرابع الهجري (ق04هـ/10م)؛ نذكر:

- **تسمية رجال عبد الله بن وهب**[398]:

وهذا المصنَّف من رواية قاسم بن أصبغ القرطبي (244-340هـ/859-951م)[399] عن محمد بن وضاح (ت287هـ/900م)[400]، ورواه ابن خير الإشبيلي (502-575هـ) عن أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر، عن أبي عليّ حسين بن محمد الغسّاني، عن أبي عمر أحمد ابن محمد بن الحذّاء. ورواه عن أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث، عن أبي عمر

396- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص270.
397- المرجع نفسه، ص270.
398- تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 99 من الفصل التمهيدي.
399- تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 162من الفصل الأول.
400- راجع ترجمته في الهامش رقم: 47 من الفصل التمهيدي.

أحمد بن محمد بن الحذاء المذكور، عن أبي القاسم عبد الوارث بن سفيان ابن جبرون، عن أبي محمد قاسم بن أصبغ، عن محمد بن وضّاح[401].

- تسمية الرجال الذين روى عنهم:

وهذه التسمية هي لأبي الحزم بن وهب بن مسرة بن مفرج بن حكم التميمي الحجازي[402]، وقد رواه ابن الفرضي عن أحد شيوخه قائلا: "حَدَّثَنَا عنه عبد الله بن محمد القَاسِم الثّغرِي[403] وأثْنَى عليه، وهو أَخْبَرني بتسمية رجاله الَّذين رَوَى عنهم"[404]. وبهذا يكون ابن الفرضي قد انفرد بذِكر هاته التسمية، دون مَنْ ترجموا له -أي لأبي الحزم بن وهب بن مسرة-فأصبح بذلك هو صاحب السّبق في ذلك.

- تسمية الرجال الذين كتب عنهم بالأندلس والمشرق:

لأبي المطرف عبد الرحمن بن عبيد الله بن موسى المعروف بابن الزامر القرطبي[405]. وقد أشار إلى هاته التسمية ابن الفرضي في "تاريخ علماء الأندلس"، حيث جاء على لسانه ما نصه: "وقد رَأيت تَسْمية الرِّجال الذّين كَتَب عَنهُم بالأنْدَلُس والمَشْرق، فكان عددهم زَائداً

401- فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص277، ترجمة: 405.

402- **وهب بن مسرة بن مفرج بن حكم التميمي الحجازي (ت346هـ/957م):** فقيه مالكي، ومسند الأندلس؛ من أَهلِ وَادِي الحِجَارَة. كان بصيرا بالحديث واللغة، إماما ثقة مع الفضل والورع. له كتاب في: السنة وإثبات القدر والرؤية؛ توفي منتصف شعبان. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص877-879، ترجمة: 1516. الحميدي، جذوة المقتبس، ص575، ترجمة: 850. الضبي، بغية الملتمس، ص644، ترجمة: 1410. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص350. ابن حجر، لسان الميزان، ج8، ص399، ترجمة: 8395. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص363. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص ص133-134، ترجمة: 233. الزركلي، الأعلام، ج8، ص125. كحالة، معجم المؤلفين، ج13، ص173. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص1326، ترجمة: 1337.

403- **عبد الله بن محمد بن القاسِم بن حَزْم بن خَلَف الثّغْريّ:** من أهل قلعة أيّوب؛ يكنّى أبا محمد. رحل إلى المشرِق عام 350هـ/961م، ودخل العراق وسمع من مشايخ البصرة وبغداد والكوفة، ثم رحل إلى الشّام فمصر فسمع بها عن مشايخها، وانصرف إلى الأندلس، فاستقْضاهُ المُسْتَنْصِر بالله، ثمّ اسْتَعْفاه من القَضاء فأعفاه. كان فقيها فاضلا ديّنا ورعا، صليبا في الحق. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص419-420، ترجمة: 751.

404- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص879، ترجمة: 1516.

405- **عبد الرحمن بن عُبَيْد الله بن موسى المعُروف بابن الزّامر (320-369هـ/931-979م):** من أهْل قرطبة؛ يُكنّى أبا المُطَرِّف. رحل إلى مكة والمدينة فسمع من مشايخها. كان كثير الجَمع للحديث، مولعا بالإكثار من أسماء الرجال. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص450-451، ترجمة: 799. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج1، ص320، ترجمة: 626. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص307، ترجمة: 325.

على الأرْبَعمائة. وقَلَّ ما كَتَبْتُ بالأنْدَلُس عن أحدٍ إلاّ وقَدْ كَتَبَ عنْهُ. وكان كَثير الجَمع للحَديث، مُولَعاً بالإكْثار مِنْ أسـمـاءِ الرِّجال، وإنّـما كان يَروي عن الشّيخ حَديثاً أو حَديثيْن أو حِكاية"[406].

- فهرسة عباس بن أصبغ:

لأبي بكر عباس بن أصبغ الـحِجاريّ القرطبي[407]. وقد أشار إلى هاته الفهرسة ابن الفرضي، غير أنه اكتفى إلى الإشارة إليها إشارة عرضية فقط، وذلك في ترجمته لأحمد بن زياد، حين قال: "توفي رحمه الله سنة ست وعشرين وثلاثمائة؛ وجدْتُه في كتاب عباس بن أصبغ"[408]، والشاهد هنا هو "كتاب عباس بن أصبغ". ويعتبر هذا الأخير، من شيوخ ابن الفرضي، حيث قرأ عليه كثيرا وأجازه جميع مروياته[409]. وقد سـمّـى ابن خير الإشبيلي كتاب ابن أصبغ الـمذكور "فهرسة"، وذَكَر أن الشيخ أبا الـحسن علي بن عبد الله بن موهب الجذامي[410]، حدّث بـها عن ابن عبد البر عن ابن الفرضي[411].

406- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص450-451.

407- **عباس بن أصبغ (تـ386هـ/997م):** هو الشيخ الفقيه أبو بكر عباس بن أصبغ الحجاري الهمداني. ينظر، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص507-508، ترجمة: 883. الحميدي، جذوة المقتبس، ص503، ترجمة: 728. الضبي، بغية الملتمس، ص560، ترجمة: 1248. عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات، اعتناء: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982، ص776، ترجمة: 425.

408- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص79، في ترجمة أحمد بن زياد بن محمد بن عبد الرحمن، رقم: 101.

409- المصدر نفسه، ص508، ترجمة: 883.

410- **علي بن عبد الله بن موهب الجذاميّ (441-532هـ/ 1050-1138م):** أبو الحسن؛ من أهل المرية. له تأليف عظيم في تفسير القرآن، روى عن ابن عبد البرّ وغيره؛ مات في 16 جمادى. ينظر: ابن نقطة الحنبلي البغدادي محمد بن عبد الغني بن أبي بكر، (تـ629هـ)، تكملة الإكمال، ج1، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، السعودية: جامعة أم القرى، ط1، 1987، ص ص113-114، ترجمة: 1244. السيوطي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1976، ص80. الداودي شمس الدين محمد بن علي (ت945هـ)، طبقات المفسرين، ج1، تحقيق: على محمد عمر، القاهرة: مكتبة وهبة، ط2، 2007، ص363، ترجمة: 357. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1791، ترجمة: 775. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج21، ص137، ترجمة: 131. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص48، ترجمة: 24. الزركلي، الأعلام، ج4، ص304. كحالة، معجم المؤلفين، ج7، ص140.

411- فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص533، ترجمة: 1311.

- تسمية شيوخ أبي عبد الرحمن النسائي:

لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن أسد الجهني القرطبي[412]. وقد أشار إلى هذا السِّفْر ابن خير الإشبيلي في فهرسته، حيث ذَكَر أنّ الشيخ أبا محمد بن عتاب، حدّثه به إجازة عن أبي عمر بن عبد البرّ، عن أبي محمد بن أسد جامعه. وهذا الكتاب، هو من رواية أبي محمد بن أسد جامعه، روايتُه عن أبي القاسم حمزة ابن محمد الكناني، عن النّسائي[413]. ورغم أن ابن أسد الجهني (ت395هـ/1005م)، هو آخر مُترجَمِي ابن الفرضي، إلا أنه لم يَذْكُر له هذا المصنَّف.

- المُؤتَلَف والمختَلَف في أسماء الرجال:

وهو مصنّف آخر ضمن نطاق ما سُمّي بفهارس أو برامج وتسميات الرجال؛ من تأليف أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الفرضي (ت403هـ/1012م). وقد أشار إليه ابن حزم[414] تلميذ الأخير في "رسائله" وأشاد به كثيرا، بل وعَقَد مقارنة بينه وبين عبد الغني الأزدي حافظ مصر[415] الذي بلغ بمصنَّفه كتابين فقط، وهو ما جعل ابن حزم يؤكّد تفوق ابن الفرضي في هذا المجال، إذْ بلغ في مصنَّفه هذا نحو الثلاثين كتابا، وأنّه لم يُعْلَم مثله في فنه البتّة[416].

412- **عبد الله بن محمد بن عبد الرّحمن بن أسد (ت395هـ/1005م):** أبو محمد الجهني الطليطلي، فقيه مالكي. ينظر: فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص276، ترجمة: 399. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص424-425، ترجمة: 757.

413- فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص276، ترجمة: 399.

414- **ابن حَزْم (384-456هـ/994-1064م):** علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. القرطبي اليزيدي، فقيه أديب، أصولي محدث، حافظ متكلم، أديب مشارك في التأريخ والأنساب والنحو واللغة والشعر، والطب والمنطق والفلسفة وغيرها؛ ولد بقرطبة. وكان في الأندلس خلق كثير، ينتسبون إلى مذهبه يقال لهم الحزْمية؛ من أشهر مصنفاته: الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، وجمهرة الأنساب. ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص ص453-455، ترجمة: 1208. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص ص184-212، ترجمة: 99. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص325-329، ترجمة: 448. الزركلي، ج4، ص254. كحالة، معجم المؤلفين، ج7، ص16. الصادقي العماري، التراجم والسير الذاتية في التراث العربي الإسلامي، ص ص128-130.

415- **أَبُو مُحَمَّد الأَزْدي (332-409هـ/944-1018م):** عبد الغني بن سعيد من الأزد، شيخ حفاظ الحديث بمصر في عصره؛ وُلد وتوفي في القاهرة. من كتبه: المؤتلف والمختلف. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص223-224، ترجمة: 401. الزركلي، الأعلام، 4، ص33. كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص273.

416- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2، ص180.

ويستشفّ من كلام ابن حزم، ما يؤكّد تميُّز كتاب ابن الفرضي المذكور، وما جاء فيه من معلومات زاخرة، إضافة لكونه يتّصف بالدقّة والإتقان والشمول وكذا الضّبط، وهي أوصاف نادرة الاجتماع في مؤلّف واحد مثل ما اجتمعت في مؤلَّف ابن الفرضي. ويؤكّد ذلك وَصْفُ الحميدي له بأن له "كتاب كبير في المؤتلف والمختلف"[417]، كما وصفه ابن بشكوال بالمؤلَّف الحَسن في قوله: "وجمع في المؤتلف والمختلف كتابا حسنا"[418]. وكلا الوصفين يدلان دلالة واضحة على قيمة كتاب ابن الفرضي، وأهميته العلمية والفنية، فيما له علاقة بتاريخ تسمية الرجال.

وللوقوف كذلك؛ على الأهمية الكبيرة لهذا السِّفر المهم، وقيمته العلمية والفنية الكبيرة، نَسُوقُ تلك الشهادة التي أوردها ابن عبد الملك المراكشي أواخر (ق7هـ/13م) في حقّ كتاب ابن الفرضي، والتي تعتبر بِحقٍّ تزكية للكتاب. فقد أورد ابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1303م) في معرض ترجمته لعزيز بن محمد اللخمي المالقي[419]، أنه لم يجد بُدّا من كتاب ابن الفرضي حين تضاربت الآراء عنده في ضبط اسم مترجَمه المذكور لحل هذا الإشكال، وهو ما عبّر عنه صراحة بقوله: "ولكنَّ أبا الوليد ابنَ الفَرَضيِّ قَيَّده في كتابه المؤتلف والمختلف، بما رَفَعَ الخلافَ وقَطَعَ النِّزاع، وهو المَقْنَعُ في ذلك"[420].

إن كتاب "المؤتلف والمختلف" لابن الفرضي، ومن خلال ألفاظ عنوانه ومسمّاه، أتى في المحتوى والمنهج ما تتفق في الخط صورته، وفي اللفظ صيغته، من الأسماء والكنى والأنساب والألقاب. إذ هو عِلْمٌ له قيمته وخطره في ميدان علوم الحديث، التي لا غنى لطالب الحديث عن معرفته وإتقانه، فالجاهل به معرّض للخطأ في كل لحظة وحين. وخَلْطُ أسماء الرجال وأنسابهم، وكناهم وألقابهم بعضها ببعض، مما يؤدي ضرورة إلى نسبة رواية الحديث لغير راويه. وهو ما بيّنه النووي في معرض حديثه عن كتب المؤتلف والمختلف

417- الحميدي، جذوة المقتبس، ص396، ترجمة: 538.

418- **عَزِيزُ بن محمدِ اللَّخْميّ:** مالَقيٌّ، يكنّى أبا هُريرة. ينظر: ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص279، ترجمة: 539.

419- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص122، ترجمة: 298.

420- المصدر نفسه، ص122، ترجمة: 298.

في قوله: "هُوَ فَنٌّ جَلِيلٌ يَقْبُحُ جَهْلُهُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ لَا سِيَّمَا أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ يَكْثُرُ خَطَؤُهُ، وَهُوَ مَا يَتَّفِقُ فِي الْخَطِّ دُونَ اللَّفْظِ"[421].

ورغم أهمية كتاب ابن الفرضي "المؤتَلف والمختلف"، إلا أنّ شهرتَه لم تتعدّ ذِكْرَ المصادر له، وتنويهها به، وثنائها عليه[422].

2-5/-تراجم رجال مذهب واحد:

لم يبرز هذا التوجه كثيرا في التأليف التراجمي بالأندلس خلال القرن الرابع الهجري (ق4هـ/10م) إذِ اتّسم بالقلّة، و لم يكن له حضور وازن وظاهر إلا مع أخريات(ق4هـ/10م) وبدايات القرن الخامس الهجري (ق5هـ/11م)، خاصة مع أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري المعروف بالطلمنكي[423]، الذي صنّف كتابا في "رجال الموطأ". وبعد الطلمنكي؛ اكتمل العِقد بالقاضي عياض[424] خلال القرن السادس الهجري (ق6هـ/12م)،

421- السيوطي جلال الدين، تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، ج1، عناية: مازن بن محمد السرساوي، السعودية: دار ابن الجوزي، ط1، 1431هـ، ص911.

422- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص439.

423- **أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الطلمنكي القرطبي (340-429هـ/951-1037م):** أبو عمر، الإمام الفقيه المحدّث الواسع الرواية، كان إماماً في القراءات مذكوراً، وثقة في الرواية مشهوراً؛ ألّف تآليف نافعة كثيرة منها: كتاب الدّليل في معرفة الجليل مائة جزء، توفي محرم. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص181، ترجمة: 187. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج1، ص68، ترجمة: 86. الضبي، بغية الملتمس، ص205، ترجمة: 348. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص1098، ترجمة: 994. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص ص566-569، ترجمة: 374. ابن العماد، شذرات الذهب، مج5، ص147. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص178، ترجمة: 56. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص168، ترجمة: 348. الحجوي الثعالبي الفاسي محمد بن الحسن (1291-1376هـ)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ج2، اعتنى به: أيمن صالح شعبان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995، ص ص239-240، ترجمة: 557. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص12.

424- **القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (تـ544هـ/1149م):** الشيخ الإمام قاضي الأئمة وشيخ الإسلام، وقدوة العلماء الأعلام، أخذ عن جلة من العلماء، إذ اجتمع له من الشيوخ بين من سمع منه وأجاز له نحو مائة شيخ، ألّف فيهم فهرسة سماها الغنية. من تآليفه: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك؛ مولده في شعبان، ووفاته بمراكش في جمادى الآخرة. ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص572، ترجمة: 1273. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص483، ترجمة: 511. النباهي، المرقبة العليا، ص101. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص46. ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد، الوفيات، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط4، 1983، ص280. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص205، ترجمة: 447. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص26. ومظان ترجمته كثيرة، وقد ذكرنا بعضا منها فقط.

الذي صنّف كتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك"، حيث ظهر به هذا النوع من التأليف-تراجم رجال مذهب واحد-ظهورا مـــميزا.

وقد تعود أسباب ظهور هذا النوع من التأليف، في كون فكرة الـــمذهبية في التأليف كانت طبيعية، حتى وإنْ كانت موجودة قبل هذا العهد بفترات مديدة، خاصة مع عبد الملك ابن حبيب[425]، ويـــحي بن يحي الليثي[426] وغيرهما، إلا أنّ وجودها لم يكن بالـــحدّة والقوة نفسها، لتحفيز الـــمصنّفين للتأليف في رجال مذهبٍ بعينه.

وعليه، فقد كانت الـــمبادرة الأولى في التأليف في هذا النوع تدور حول رجال موطّأ مالك الذي يـــمثّل مذهب عياض الفقهي، إلا أن هذا الاهتمام في أصله لم يكن منصبا ومركّزا على الـــمذهب بقدر التركيز على الكتاب أو الـــمصنَّف في حدّ ذاته[427].

وتفيدنا كتب الإخباريين، بأن أقدم مبادرة وصلت إلينا في هذا السياق، هي التي قام بها أبو زكرياء يـــحي بن إبراهيم بن مُزين الطليطلي ثم القرطبي[428]في كتابه:

- **تسمية الرجال المذكورين في الـــموطأ:**

وقد ورد ذِكْر الكتاب عند ابن الفرضي الذي أكّد أنه من بين مجموعة مؤلفات يـــحي بن مُزين المذكور. كما ذكر ابن خير في فهرسته، أن بعض من العلماء والمشايخ حدّثوه به بأسانيدهم إلى مؤلّفه[429].

ورغم أن محاولة ابن مُزين الطليطلي تعدّ الـــمتقدِّمة زمنيا، إلا أنّ القاضي عياض لـــَمْ يعتبرها كذلك، وأكّد بأن أولى الـــمحاولات تلك التي دُوّنت بعد ابن مُزين بقرن من الزمن،

425- تقدم الحديث عنه في الفصل الأول ص ص44-54.

426- راجع ترجمته في الهامش رقم: 45 من الفصل التمهيدي.

427- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص440.

428- **يحي بن إبراهيم بن مزين الطليطلي ثم القرطبي (تـــ259هـــ/873م):** هو: أبو زكريا، يحيى بن إبراهيم بن مزين الطليطلي القرطبي. ألّف: كتاب في تسمية الرجال المذكورين فيه. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص901، ترجمة: 1556. الحميدي، جذوة المقتبس، ص595، ترجمة: 880. الضبي، بغية الملتمس، ص659، ترجمة: 1462. عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص238. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص227، ترجمة: 588.

429- فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص129، ترجمة: 148. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص11.

على يدي أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن أبي دُليم القرطبي[430]، والمتمثلة في كتابه –**كتاب الطبقات فيمن روى عن مالك وأتباعهم من أهل الأمصار**:

وقد أكّد عياض في "مداركه" على أهمية مصنَّف ابن أبي دُليم القرطبي وقيمته العلمية، وأنه مؤلَّف فردٌ في محتواه. ويتّضح ذلك جليا من خلال ما أورده عنه في "المدارك" قائلا: "إِذْ هو فنٌّ لم يتقدم فيه تأليف جامع، ولا اختص به تصنيف رائع. يوصل الطالب إلى الغرض، ويَقف بالراغب على البُغْية، مع شدة حاجة المجتهد والمقلِّد إليه، وضرورة الفقيه والمتفقّه إلى ما ينطوي عليه، إلا ما جمعه عبد الله بن محمد بن أبي دُليم القرطبي من ذلك، ومحمد بن حارث القروي، مع تقدم زمنهما"[431].

والظاهر هنا، أن الكتاب الذي عناه القاضي عياض في الكلام السابق، هو كتاب ابن أبي دُليم. فقد حلاه وأثنى عليه بقوله: "وكل الكتب فَمَا شفت غليلاً، ولا تضمنت من الكثير إلا قليلاً، على أن ابن أبي دُليم اتسع اتساعاً حسناً فيمن ذكره من المغاربة، مِن أتباع رواة مالك من المصريين والأندلسيين، وطائفة من القرويين، واقتصر على ذكر طبقاتهم، دون شيء مِنْ أَخبارهم وبيان أحوالهم، ولم يُجزْ لأحد من الحجازيين والمشرقيين ذكراً على جلالة مكانهم، وكثرة أعلامهم"[432].

– كتاب الرواة عن مالك:

لأبي عبد الله محمد بن حارث الخشني (ت361هـ/971م)[433]، حيث ورد ضمن لائحة مؤلفاته التي ساقها لنا القاضي عياض في "المدارك". وبهذا المصنّف يكون الخشني قد أسهم في التدوين على نمط تراجم الرجال لمذهب واحد[434].

430- **أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي دُليم القرطبي (ت351هـ/962م):** الإمام المشاور العالم بالحديث، الضابط لما رواه الفقيه. ولي قضاء بجاية والبيرة، وأحكام الشرطة بقرطبة، الى أن مات. ينظر: ابن حزم، الإعراب عين الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس، دراسة وتحقيق: محمد بن زين العابدين رستم، تقديم: زين العابدين بن محمد بلافريج، الرياض: دار أضواء السلف، ط1، 2005، ص53. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص150. مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص134، ترجمة: 236. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ص751.

431- عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص6. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص12.

432- عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص ص6-7.

433- تقدم التعريف به ابتداء من الهامش رقم: 283 إلى الهامش رقم: 295 من هذا الفصل.

434- عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص267.

- كتاب طبقات فقهاء المالكية:

ولعله وفيما يبدو أنه كتاب الخشني (ت361هـ/971م) المعروف بأخبار الفقهاء أو طبقات الفقهاء والمحدِّثين. وربما يكون القاضي عياض، قد زاد كلمة "المالكية" في العنوان، لكون عياض نفسه كان مختصا في تراجم أعلام مذهب مالك، فأورد الكتاب بهذا الاسم وذلك في معرض ترجمته للخشني، وذِكْر مصنّفاته[435].

وتجدر الإشارة في الأخير، إلى أن المصنّفات المذكورة ضمن جزئية التراجم الخاصة، هي في تعداد المفقود، وما ورد إلينا منها هو عبارة عن شذرات متفرقات، ذَكَرَتْهَا المصادر التي نقلت عنها، والقلّة منها معلوم وتم تحقيقه وطبعه مرات عديدة.

وفي نهاية هذا الفصل نخلص إلى ما يلي:

إنّ أهمية كُتب التراجم في دراسة التاريخ الإسلامي كبيرة وشاملة، وذلك لِمَا تُلْقيه من أضواء على الأحوال السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، فضلا عن أنّها تعكس لنا تطوّرات الحركة الفكرية، من حيث تياراتها وإنتاجها الثقافي، وبالتالي فهي تكشف عَنْ كُلّ مَنْ أَسْهَمَ في وَضْع أُسُسِ الحضارة الإسلامية، أو شارك في بناء صرحها الشامخ.

ثم إن التأليف في علم الرجال شمل مختلف الأنواع وهي: كتب معرفة الصحابة، وكتب طبقات الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وتابعيهم ومن تبعهم، وكتب الجرح والتعديل، وكتب تواريخ المدن، وكذا كتب معرفة الأسماء وتمييزها.

ثم إنّ تَنوُّعَ التّصنيف في عِلم الرجال، من كُتب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، إلى كتب الطبقات، فَكُتُب الجرح والتعديل، إلى كتب التواريخ المحلية، وكذا كُتب تمييز الأسماء بمختلف أنواعها، لَيُنْبِئُ على الاعتناء الفائق والجهد الكبير، والدقة البالغة، الذي أَوْلَاه علماء الأمة لمعرفة أسماء الرواة وتمييزها، بِبَيَان حالِ كلّ رجُلٍ على حِدا، حتى إنك لا تكاد تجدُ رجلا رَاوِيًا من أهل القرون الثلاثة الأولى، له مشاركة في الرِّواية، إلا وقد عُرِف شخصه وعُرِّف به وبُيِّن حاله.

ولذلك؛ كان هذا العلم-علم الرجال-بِحقٍّ، هبة ربانية لأمة محمدﷺ، وخاصيةً امتازت بها عن غيرها من الأمم، وهي ميزة لأهل الحديث فيها، إذِ امتازوا بها عَنْ غيرهم مِنَ الطوائف التي لَمْ تَظْفَرْ بِنَصِيبٍ يُذكر في هذا العِلم.

435- عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص267.

ونظرا لـِمَا كان للصحابة رضوان الله عليهم مِنْ مَكانة، وعَظِيمِ مَنْزلةٍ في الأمّة، فقد اعتنى العلماء بأخبارهم وأحوالهم، وأَوْلَوْها مكانة خاصة، فقاموا بِبَيَان مكانتهم، وجمعوا مَرْوياتهم. وقد ظهر ذلك جليا في تأليفهم لكُتُب كثيرة متنوعة، منها: كتب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، وكتب الطبقات، وكتب التواريخ، وكتب الفضائل وغيرها. ولا غرابة في هذا الفضل، فَهُمْ صَفْوَة الخلق بعد الأنبياء والرسل، وقد اصطفاهم الله تعالى وحباهم لصحبة خير خلقهﷺ.

كما أنّ عِلْم التراجم في بدايته اقتصر على كتابة سِيَر رجال الحديث، لأنهم حَمَلة السُنَّة والمحافظون عليها، والذابّون عنها مِن الوضع والاختلاق والكذب، والتصحيف والتحريف. وأوّل ما ظهر هذا العلم، كان لدراسة أسانيد الحديث النبوية، وتـــمييز صحيحها من سقيمها وضَعيفها، وبيان أحوال رواتـــها.

غير أن هذا الأمر اقتصر أوّل الأمر على التعريف بالشخصيات الدينية، ثم تعدّاه إلى الشخصيات الدنيوية كالـــخلفاء والأمراء والوزراء وغيرهم، خاصة بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وامتزاجها بـــما حولها مِن الحضارات والثقافات الجديدة، لتنتقل بعدها في فترات لاحقة إلى الاشتغال بتراجم جميع شرائح المجتمعات الإسلامية، مِن علماء وفقهاء وقضاة، وأدباء وشعراء، وغيرهم.

وفي هذا الإطار، ظهر هناك نوعان من كتب التراجم في الأندلس؛ العامة والخاصة. فأما كُتب التراجم العامة فهي كتب شاملة وجامعة، نَـجِد فيها ذِكرا لـــجميع الفئات العلمية والعناصر الفكرية، إِذْ فيها الـــمفسِّر والـــمحدِّث والـــمقرئ، والأديب واللغوي والشاعر، والفقيه، والطبيب، فضلا عن النسّابة والـــمؤرّخ وغيرهم. ومن أشهر من صنّف فيها: خالد بن سعد القرطبي، وابن الفرضي.

وأما كُتب التراجم الخاصة، فقد تنوّعت مِن مؤلِّفٍ أو مصنِّفٍ لآخر، واتّسمت بالكثرة والغزارة–وأغلبها في تعداد الـــمفقود–وتوزعت على عدّة أصناف منها: تراجم فئات معينة، ثم تراجم رجال بلد معيّن، وكذا تراجم فئات معيّنة في بلد معيّن، وفهارس أو برامج وتسمية الرجال، وأخيرا تراجم رجال مذهب واحد.

ومن كتب التراجم الخاصة الهامة في هذا الإطار كتاب "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جُلْجُل، الذي يعتبر مِن أهم ما أُلِّف في تاريخ العلوم وتطور حركة التأليف والترجـــمة خلال

القرن الرابع الهجري (ق04هـ/10م). كما أن له ميزة خاصة بوَّأتْهُ مكانة علمية هامة بين أقرانه، ألا وهي اعتماده فيما رجع إليه من مصادر، على تراجم عربية لأصول لاتينية تاريخية، ولذلك جاء كتابه كأول مُدوّنة تاريخية استفادت من هاته الترجمات، سواء في عصره أو قبله بقليل، وأصبح بذلك أول أندلسي بلا منازع، ألّف في طبقات الأطباء والحكماء.

وبهذا، يكون ابن جلجل قد بَعَثَ حركة التأليف التاريخي بِمَنْهجٍ رصين وجديد، قائمٍ على توزيع التراجم على الطبقات، وسار فيه مسارا ليس فيه تقليدٌ لِمَنْ سَبَقَه في نوعية التراجم، وأقحم للتّاريخ مَجَالًا جديدا؛ رِحْبًا وخِصْبًا، ألا وهو تراجم الأطباء والحُكماء.

وقد نجح كذلك؛ في تقديم صورة سريعة عن تطور الفلسفة والطبّ على مَرّ العصور، مُركِّزًا على بَلَده الأندلس، التي ختم حديثَه بها وبأطبائِها، مراعاة للتَراتُبية التاريخية. فغدا بذلك كتابه أساسا مَتِينا، بَنَى عليه مَنْ لَحِقَه وجاء بعده مِن كُتّاب التراجم والعلوم، من أمثال ابن الأبار والقِفطي وابن أبي أصيبعة والطبيب الزهراوي الأندلسي، الذين نقلوا عنه كثيرا في مؤلفاتهم.

ومنهم: الخشني نموذجُ المؤرخ الفذّ، الذي لم يَحصر اهتمامه في مجال التاريخ وحده، لتعدّد اهتماماته العلمية كالفقه والحديث. واهتمامه بالتأليف في تراجم الفقهاء والمحدّثين، إنما جاء كنتيجة لذلك، وتوّجه بكتاب "أخبار الفقهاء والمحدّثين"، الذي يعتبر نموذجا حيّا لكتب التراجم في الأندلس خلال (ق4هـ/10م)، وبه سدّ ثغرة كبيرة في المدونات التاريخية الأندلسية، وحوى بين طيّيه معلومات تمتاز بالجدّة والدقّة والشمولية. هاته المعلومات، شكّلت فيما بعد، مادة دسمة لأصحاب التراجم التّالين له، إذ نقلوا عنه الكثير من النصوص والتراجم.

وعليه، فإن المصادر التي تقدم ذكرها، كانت اللبنة الأولى والأساسية في التأسيس لعلم التراجم في الأندلس، والدافع الرئيس للمؤرخين خلال القرون التالية (ق5-9هـ) للنهوض بهذا العلم، بل وتطويره وجعله رافدا مهما من روافد الكتابة التاريخية الأندلسية.

الفصل الثالث:
ابن الفرضي والتأسيس لمنهج جديد في الكتابة التراجمية بالأندلس خلال (ق04-05هـ/10-11م)

المبحث الأول: التعريف بابن الفرضي (351-403هـ/962-1013م)

1/-حياته: اسمه، نسبه، كنيته، لقبه، مولده ونشأته

2/-شيوخه وتلاميذه

3/-رحلاته في طلب العلم

4/-المناصب التي تقلّدها

5/-أقوال العلماء فيه

6/-إنتاجه العلمي

7/-وفاته

المبحث الثاني: التعريف بكتاب تاريخ علماء الأندلس ومنهج ابن الفرضي في كتابة تراجمه

1/-تسمية الكتاب

2/-طبعات الكتاب

3/-دواعي تأليف الكتاب

4/-محتوى الكتاب

5/-منهج ابن الفرضي في كتاب تاريخ علماء الأندلس

5-1/ترتيب التراجم

5-2/البناء الداخلي للتراجم

6/-مصادر ابن الفرضي في كتاب تاريخ علماء الأندلس

6-1/المصادر الصريحة

6-2/المصادر المجهولة

تمهيد:

شهدت حركة التأليف التاريخي في الأندلس منذ نشأتها، اهتماما كبيرا بالتأريخ للرجال والأعلام، الذين نبغوا في شتى مجالات العلوم، من فقه وحديث وقراءات وتاريخ وأدب وغيرها. وقد برع أهل الأندلس في كتابة التراجم، حتى صُنّفت على أيديهم مؤلّفات خاصة بتراجم أهل الأندلس؛ من أمثال أحمد بن محمد بن عبد البرّ (ت338هـ/950م)، وأحمد بن محمد الرازي (ت344هـ/955م) وغيرهما ممن عَنَوا بكتابة التراجم، وأسهموا بقسط وافر فيها، حتى وإنْ لم تصل إلينا كلّها إلا على هيئة نُقُول متفرقات، مبثوثة في بطون المصادر اللاحقة لها. لكنه وعلى الرغم من ذلك، فإن كتابة التراجم في الأندلس، لم تعرف طريقها إلى الريادة والتألّق إلا على يدي المحدّث الكبير والمؤرخ الشهير أبي الوليد بن الفرضي (351-403هـ/962-1013م)، الذي استطاع بمؤلفه الحافل "تاريخ علماء الأندلس"، أن ينقل علم التراجم نقلة نوعية، أضحى من خلالها مثالا يُحتذى للتأليف من بَعده عند المغاربة والأندلسيين في هذا العلم.

ولقد آثرنا الحديث عنه وعن منهجية كتابة التراجم في كتابه، من خلال فصل كامل، لعدّة اعتبارات منها: أنه يُعدّ أشمل كتاب تاريخ أرّخ للحياة الفكرية في بلاد الأندلس، إذْ أنه غطّى فترة مهمة من تاريخها، والتي تمتدّ من الفتح الإسلامي وحتى مطلع القرن الخامس الهجري (ق05هـ/11م)، وضاعت أغلب مصادرها التاريخية. وقد حفظ لنا ابن الفرضي من خلال كتابه الحفيل هذا، الكثير من النصوص التاريخية للمؤرخين الأندلسيين السابقين له، فضلا عن معايشته للعديد من الأعلام والأحداث والوقائع، والتأريخ لها بنفسه معتمدا على خبرته ودرايته التاريخية الواسعة. ينضاف إلى ذلك، تنوع المادة التاريخية التي يزخر بها الكتاب، سواء ذات الصلة بالمجالات الثقافية والسياسية، أو الاقتصادية والمعمارية والجغرافية.

كما أن كتاب ابن الفرضي هذا، أصبح مرجعية وعلامة فارقة، وأساسا لمجموعة من التآليف التي ذُيّلت عليه، ونَسجت على منواله، وهو ما جعله أُسوة لكثير من المؤرخين الأندلسيين ممّن أتوا بعده، سواء بالاعتماد عليه والنقل عنه، أم بالسير على نهجه وطريقته، إذ اعتبروه الأنموذج الأندلسي المتميّز في كتابة التراجم.

كما أن كتاب ابن الفرضي، يعتبر زبدةَ وقمّةَ النُّضج التاريخي الأندلسي، بحيث أنه وضع أضخم كتاب أندلسي في مجال التراجم في ذلك العهد، واستطاع أن يسدّ به ثغرة كبيرة، في التاريخ الأندلسي.

المبحث الأول: التعريف بابن الفرضي (351-403هـ/962-1013م)

1/-حياته:

- **اسمه:** هو الإمام عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، الأندلسي، القرطبي[1].

- **نسبه:** هو الأزدي الأندلسي القرطبي. وأما **الأزدي:** فنسبة لِأَزْدشنوءة؛ بفتح الألف وسكون الزاي، وكسر الدال المهملة. وهي قبيلة في اليمن أبوها أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ[2]؛ وهم قومٌ مباركون، امتدحهم النبيﷺ. ففي الحديث عن

1- عن مظان ترجمته ينظر: ابن بسام الشنتريني أبو الحسن علي (ت542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، مج2، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1997، ص614. ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي (ت842هـ)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، حققه وعلق عليه: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1993، ج5، ص330 وج6، ص229. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص396-399، ترجمة: 538. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص278، ترجمة: 539. الضبي، بغية الملتمس، ص433، ترجمة: 891. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص103، ترجمة: 38. ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص132. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج9، ص59، ترجمة: 109. سير أعلام النبلاء، ج17، ص177، ترجمة: 101. تذكرة الحفاظ، ص1076، ترجمة: 981. العبر في خَبر مَن غَبر، ج2، حققها وضبطها: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1985، ص206. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص286، ترجمة: 6413. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص452، ترجمة: 33. ابن حجر، تبصير المنتبه، ج3، ص1004. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص105، ترجمة: 351. ابن العماد، شذرات الذهب، مج5، ص20. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص419، ترجمة: 946. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص284. ابن قُطْلُوْبَغَا الحنفي، الثقات، ج6، ص128، ترجمة: 6189. المقري، نفح الطيب، ج2، ص129، ترجمة: 72. حاجي خليفة، سلم الوصول، مج2، ص230، ترجمة: 2390. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص153، ترجمة: 297. محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري(ت1308هـ)، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2007، ص48، ترجمة 43.

2- عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي أبو محمد المصري(ت197هـ)، الجامع في الحديث، ضبط وتخريج وتحقيق: مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، الرياض: دار ابن الجوزي، ط1، 1996، ص89، هامش رقم: 01. ابن القيسراني أبو الفضل محمد بن طاهر(ت507هـ)، المؤتلفُ والمختلف المعروف بالأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، ويليه زيادات الحافظ محمد بن أبي بكر عمر بن أحمد بن عمر أبي موسى الأصفهاني (ت581هـ)، تقديم وفهرسة: كمال يوسف الحوت، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1991، ص154. ابن الأثير الجزري عز الدين (ت630هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، ج1، بغداد: مكتبة المثنى، د ط، د ت، ص46. الحازمي الهمذاني أبو بكر محمد بن أبي عثمان، كتاب عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب، حققه وعلق عليه وفهرسه: عبد الله كنون، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطبعة الأميرية، ط2، 1973، ص11. ابن ماكولا، الإكمال، ج1، ص85. السمعاني، الأنساب، ج1، ص180.

أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيﷺ أنه قال: "نِعْمَ الْقَوْمُ الْأَزْدُ، طَيِّبَةٌ أَفْوَاهُهُمْ، بَرَّةٌ أَيْمَانُهُمْ، نَقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ"[3].

وأما **الأندلسي**: نسبة إلى الأندلس؛ **والقرطبي**: نسبة إلى قرطبة.

- **كنيته:** أبو الوليد.

- **لقبه:** لُقّب بابن الفرضي، بفتح الفاء والراء، وفي آخرها الضاد المعجمَة إلى الفريضة، والفرض، والفرائض، وهو علم المقدرات. ويقال في النسبة إليه: فرضي، وفرائضي، وفارض[4]. وقد ذَكَر المُعلّمي اليماني محقق كتاب الأنساب للسمعاني؛ الإمامَ عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي، ضِمن نسبة الفرضي[5].

ولُقّب الفرضي؛ بابن الفرضي، وذلك لأنّ والدَه كان قد غَلب عليه عِلْمُ الفَرْضِ والحساب والمواريث، ولذلك عُرف مُترجَمُنَا عبد الله بن محمد بابن الفرضي، نسبة لوالده الذي كان على عِلْمٍ بالفرائض.

وقد أكّد هذا الأمر ابن الأبار في "تكملته"، في معرض ترجمته لوالد ابن الفرضي، حيث جاء على لسانه ما نصّه: "مُحَمد بن يُوسُف بن نصر الْأَزْدِيّ؛ وَالِد أبي الوليد بن الفَرَضيّ من أَهْل قرطبة، وَأَبوهُ يوسف انْتقل إِلَيْهَا من إستجة. سمع من أحمد بن خالد، وأخذ عَن حباب ابن عَبَادَة الفَرَضي وَغلب عليه عِلْمُ الْفَرْض والحساب، فنُسب إِلَيْهِ وَعُرف بِهِ"[6].

- **مولده ونشأته:** ذَكر لنا الإمام ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي تاريخ ميلاده في "تاريخ علماء الأندلس"، وأثبت لنا ذلك بشكل قطعي حين ترجم لعيسى بن أحمد ابن محمد بن حارث بن أبي عبدة المكنّى بأبي الأصبغ. والتاريخ الذي ذكره في ترجمة أبي الأصبغ، هو الذي تواتر به الخبر عند المصادر التاريخية وكُتب التراجم. فقد صرّح بأنه

3- حديث حسن. ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ)، ج14، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1997، ص264، حديث رقم: 8615. الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر(ت807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج10، بيروت: دار الكتاب العربي، ب ط، ب ت، ص49. ابن وهب، الجامع في الحديث، ص89، حديث رقم: 45. الألباني محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج3، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1995، ص33، حديث رقم: 1039.

4- السمعاني، الأنساب، ج10، ص ص183-184.

5- المصدر نفسه، ج10، ص186، هامش: 2.

6- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص296، ترجمة: 1024.

رأى النور بقرطبة سنة 351هـ/962م، إذ قال: "مولدُه ومولدي سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة؛ مولده منها -فيما أخبر به-في أحد شَهْري ربيع؛ ومولدي منها ليلة الثلاثاء لتسعة أيَّام باقية من ذي القعدة"[7].

نشأ ابن الفرضي وترعرع في أحضان عائلة تعود أصولها إلى مدينة إستجة موطن جدّ والده نصر الأزدي، حيث اشتهرت بالعلم والصلاح والتقوى. يُستشفّ ذلك من قوله، حين ترجمته لجدّه يوسف بن نصر الأزدي، إذ قال: "جدّي رحمه الله من أهل قرطبة؛ يكنّى أبا عمر[8]. أصله من إسْتَجَة، وتحول عنها زمن الفتنة. وذَكَر بعض أهلي أن نَصْرا قُتِل في الثائرة التي كانت بين الـــمولّدة[9] والْعرب بإسْتِجَة[10]، فتحول يوسف منها صغيرا. وكان رجلا صالحا، لم يتلبّس بشيء من الدّنيا؛ وكان ربـّـما شاهد بعض مـــجالس أهل العلم، وكان العمل أغلب عليه، وكان طَويل الصّمت. وحُدّثنا عنه أنه كان إذا صَلّى الصبح لم يتكَلّم في شَيء حَتّى يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[11] ألْف مرّة لترغيب بَلَغهُ في ذلك؛ وكان لا يتنفّل في الـــمسجد"[12].

وعلى ما يبدو، فإن ابن الفرضي كان شديد الـــمحبّة لوالده متعلّقا به، ويظهر ذلك جليا من خلال ذِكْره له في مواضع عدّة من كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، ومنها قوله: "إنه وجد بخط أبيه تاريخ وفاة جدّه"، وقال أيضا في ترجمة فتح بن أصبغ المعروف بابن ثاكلة[13]: "رأيته بطليطلة في جنازة أبي رحمه الله؛ وقُدّم للصلاة عليه"[14]. ورغم ذلك؛ فإنه لم يُفرد والده بترجمة خاصة في كتابه.

7- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص563، ترجمة: 987.

8- توفي في محرم سنة 332هـ/سبتمبر943م. ينظر: المصدر نفسه، ص939، ترجمة: 1626.

9- تقدم التعريف بهم في الهامش 227 من الفصل الأول.

10- يقصد الاضطراب الذي نتج عنه احتلال عمر بن حفصون لمدينة إستجة سنة 284هـ/897م. ينظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ص336.

11- الإخلاص، الآية: 01.

12- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص939، ترجمة: 1626.

13- **فَتْح بن أَصْبَغ (ت06جمادى الأولى 371هـ/07نوفمبر981م)**: من أهْل طليطلة يُعرَف بابن ثاكِلَة؛ ويُكَنّى أبا نَصْر. كَان عالما ذكيًّا مُتفننا، وَرِعا عابِدا مَشهور الفضل، وكان يقال: إنه مُجَاب الدَّعْوة. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص585، ترجمة: 1026. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص296، في ترجمة ابن الفرضي رقم: 1024. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص363، ترجمة رقم: 24.

14- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص585، ترجمة: 1026.

وبين ظهرانيي مدينة قرطبة مسقط رأسه؛ عاصمة الخلافة والعلم والحضارة وقتذاك؛ والتي احتضنت العلماء من شتى البقاع والأصقاع، على اختلاف تخصصاتهم ومشاربهم؛ بدأ ابن الفرضي رحلة الطلب، وهو في سنّ الخامسة عشر. يُفهَمُ ذلك من خلال ترجمته لشيخه يَحْيَى ابن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى اللّيثي[15]، حيث قال عنه: "اخْتَلْفتُ إلَيْه في سماع حديث الموطأ سنة ست وستين وثَلاث مائة، وكانت الدولة فيه في أيام الجمعِ بالغَدَواتِ، فتم لِي سَمَاعهُ منْهُ. وسمعت منه كتاب التَّفسير لعبد الله بن نافع...ولم أسمع منه غير الموطأ والتفسير. وفي هذا العام كان بدءُ سَمَاعي، ثُــمّ شغلني النظر في العربية عن مواصَلة الطلب إلى سنة تسع وستين، ومن هذا التَّاريخ اتصل سماعي من الشيوخ"[16].

وعليه، وباعتبار مولده شهر ذي القعدة سنة 351هـــ/962م بقرطبة ثم نشأته وتعلمه بها، وكذا بداياته في طلب الحديث سنة 366هـــ/976م، ثم انتقاله لدراسة العربية مدة ثلاث سنوات وصولا إلى سنة 369هـــ/979م، فإنه يكون قد بلغ سنّه الخامسة عشر وقتها.

2/-شيوخه وتلاميذه:

أ-شيوخه: تتلمذ ابن الفرضي لعدد كبير من العلماء الأعلام، في بقاع وأصقاع كثيرة[17]. ومــــمّن جاد علينا بذِكرهم في كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، نذكر:

- **من إلبيرة:**

- **محمد بن أحمد بن مسعود:** من أَهْلِ إلْبِيرَة؛ يُكَنَّى أبَا عبد الله، ويعرف بابن الفخار، وُلد في رمضان سنة 300هـــ/أفريل913م، وتوفي في ذي الحجة 378هـــ/مارس989م[18]. حلاه ابن الفرضي قائلا: "كان حافظا للمسائل، سَمِعَ منه جـــماعة من النّاس، وســـمعتُ أنا منه"[19].

15- مظان ترجمته في الهامش 69 من هذا الفصل.

16- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص919، ترجمة: 1595.

17- رتّب أحمد يوسف بني ياسين شيوخ ابن الفرضي على البلدان، وكإضافة لهذا الترتيب سنزيد عن ذلك، ونقدم تراجم وافية لهؤلاء المشايخ في هاته الجزئية. ينظر: أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص: 294-307.

18- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص767، ترجمة: 1352. الحميدي، جذوة المقتبس، ص77، ترجمة: 11. الضبي، بغية الملتمس، ص72، ترجمة: 17. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص456، ترجمة: 346.

19- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص767، ترجمة: 1352.

- **محمد بن أحمد بن سعيد المعافري**: من أهل إلْبِيرَة وأصله من إشبيلية، يكنَّى أبَا عبد الله ويُعرف بالقَزَّار. كان شيخاً صالحا ديّنا، نحويا شاعرا؛ تُوفي بإلْبِيرة سنة 379هـ/989م[20]؛ ذكره ابن الفرضي في قوله: "كتبنا عنه حكايات"[21].

- **علي بن عمر بن حفص الخولاني**: بن عَمْرو بن نُجَيْح بن سُلَيْمَان بن عِيسَى الخولَاني، مِن أهل إلْبيرة يكنى أبَا الحسن. كان فقيها حافظا للمسائل، وُلد في محرم 309هـ/أوت912م، وتوفي سنة 384هـ/994م[22]. قال عنه ابن الفرضي: "وقَرأْتُ أنا عليه التّفْسير بحاضِرة إلبِيرَةَ سنة ستَّ وسبعين؛ وكمل لَنا قِراءته في ستّة أيام"[23].

- **من إستجة:**

- **محمد بن محمد بن فتح بن نصر**: من أهل إسْتِجَة؛ يُكَنَّى أبا عبد الله، كان حافظا للمسائل عاقدا للشروط؛ تُوفِّيَ في ربيع الثاني 374هـ/سبتمبر 984م[24]. أورده ابن الفرضي قائلا: "لقيته بإسْتِجَة وكَتَبْتُ عنه"[25].

- **محمد بن عثمان بن سعيد بن محامس الشاعر**: من أهل إسْتِجَة، يُكنَّى أبَا عبد الله. مَدَح الخُلْفَاء والكِبار؛ تُوفِّيَ بإسْتِجَة في ذي الحجة 376هـ/أفريل 987م[26]. أشار إليه ابن الفرضي بقوله: "وكَتَبْتُ عنه من شعره"[27].

- **فرج بن عيشون بن إسحاق بن عيشون**: السطّي من أهل إسْتِجَة؛ يُكَنَّى أبا ثابت. كان صالحا قُدِّمَ إلى الصلاة بحاضرة أَستِجَة، فلم يزَل يلي ذلك إلى أن توفي في شهر رمضان 389هـ/أوت 999م[28]؛ ذكره ابن الفرضي قائلا: "حَدَّث وسَمِعتُ منهُ كَثيرا"[29].

20- السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص25، ترجمة: 38. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص765، ترجمة: 1354.

21- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص765، ترجمة: 1354.

22- المصدر نفسه، ص533، ترجمة: 928. عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص18. الضبي، بغية الملتمس، ص554، ترجمة: 1234. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص560، ترجمة: 134.

23- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص534، ترجمة: 928.

24- المصدر نفسه، ص761، ترجمة: 1341. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص408، ترجمة: 179.

25- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص761، ترجمة: 1341.

26- المصدر نفسه، ص764، ترجمة: 1344. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص434، ترجمة: 268.

27- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص765، ترجمة: 1344.

- **من إشبيلية:**

– **أحمد بن محمد بن أحمد:** من أهل إشبيلية؛ يُكَنَّى أبا عمر ويعرف بابن الخراز؛ مولده سنة 310هـ/922م. كان زاهدا فاضلا[30]، تُوفِّي يوم الخميس 27 محرم 373هـ/11جويلية983م؛ قال عنه ابن الفرضي: " كَتَبْتُ عنه بإشبيلية"[31].

– **أحمد بن عبادة بن عبد العزيز المرادي:** مِن أهلِ إشبيلية؛ يكنى أبا عُمرَ. صاحب صلاة أهل إشبيلية مدة طويلة، ثم صلى بالناس بقرطبة. وكان شيخا صالحا، وقُورا مُسْمِتا؛ توفي عقب شوال378هـ/فيفري989م[32]؛ ذكره ابن الفرضي ضمن شيوخه قائلا: "قرأنا عليه الكتاب الكامل"[33].

– **عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة:** بن رفاعة بن صخر بن سماعة اللّخمي المعروف بابن الباجي؛ من أهل إشبيلية يُكنى أبا محمد، مولده في رمضان291هـ/جويلية904م. كان ضابطا لِروايَته، ثِقَة صَدُوقا، حافِظا للحديث بصيرا بمعانيه. تُوفّي يومَ الأَرْبعاء 27 رمضان 378هـ/08 جانفي 989م[34]، وقد عدّه ابن الفرضي من الشيوخ الذين أخذ عنهم فقال: "لم ألق فيمن لقيته من شيوخ الأندلس أحدا أُفَضِّلُه عليه في الضّبط...وسمِعتُ منه بقرطبة كثيرا؛ ثم رحلت إليهِ إلى إشبيلية رحلتين سنة ثلاث وسبعين، وسنة أربعٍ وسبعين"[35].

- **من باجة:**

– **محمد بن سعدون:** يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الزنوني، مولده سنة 322هـ/933م. كان رجلا صالحا، فاضلا زاهدا ورعا. توفي في بطليوس فجأة يوم الأربعاء 15

28- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص588، ترجمة: 1034. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص434، ترجمة: 353. ابن نقطة، تكملة الإكمال، ج2، ص517، ترجمة: 3637. ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج5، ص330. ابن حجر، تبصير المنتبه، ج2، ص812.

29- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص588، ترجمة: 1034.

30- المصدر نفسه، ص175، ترجمة: 112.

31- نفسه، ص175، ترجمة: 112.

32- نفسه، ص116، ترجمة: 183. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص447، ترجمة: 314.

33- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص116، ترجمة: 183.

34- المصدر نفسه، ص413، ترجمة: 740. عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص34. الضبي، بغية الملتمس، ص429، ترجمة: 882. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص452، ترجمة: 334.

35- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص413، ترجمة: 740.

جمادى الأولى 392هـ/01 فيفري1002م[36]. قال عنه ابن الفرضي: "حدث بكتاب السنن لابن السّكن، والتفسير المنسوب إلى ابن عباس وغير ذلك كَتَبَ لي قطعة من حديثه، وأجَاز لي جميع روايته"[37].

● **من بجانة:**

- **مجاهد بن أصبغ بن حسان:** من أهل بَجَّانَة؛ يكنى أبا الحسن، كان شيخا صالحا طاهرا؛ مولده في شوال 305هـ/مارس918م، وتوفي سنة 382 أو 383هـ/992 أو 993م. وقد لقيَه ابن الفرضي وتتلمذ له، حين كان يترل قرية بين بجانة والـمُرية على الطّريق، وقرأ عليه كتبا عدّة[38]، فقال "وقَرْأتُ أنا عليه كتاب شرح غريب الموطأ لابن حبيب، وكتاب طبقات الزَمان له، وكتاب فساد الزمان له، والناسخ والمنسوخ له، وأجاز لنا جميع ما رواه"[39].

- **علي بن معاذ بن سمعان بن موسى:** يكنى أبا الحسن، مولده سنة 307هـ/919م. كان فصِيحا شاعرا، عالما بالنسب، طويل اللسان مفوها؛ توفي ببجانة في رجب سنة389هـ/جويلية 999م[40]. قال عنه ابن الفرضي: "سمع النَّاس منه ببجَّانة وقرطبة، وسَمِعتُ أنا منه"[41].

- **محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد بن ذي النون:** من أهل بجانة، يكنى أبا عبد الله؛ مولده سنة 326هـ/937م. كان معدودا في فقهاء بجانة، حدّث وسمع منه غير واحد بقرطبة وبجانة، وتوفي بالأخيرة في صفر390هـ/جانفي1000م[42]. ذكره ابن الفرضي قائلا: "وكَتَبْتُ عنه حكايات، وأَجَازَ لِي حديثه"[43].

- **محمد بن أحمد بن محمد القيسي:** المعروف بابن الخَلّاص، من أهل بجانة؛ يكنى أبا عبد الله. رحل إلى المشرق سنة 305هـ/917م، فتردد هنالك أعواما وسمع سماعا كثيرا بمصر

36- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص791، ترجمة: 1386. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص719، ترجمة: 65. الذهبي، ميزان الاعتدال، مج3، ص561، ترجمة: 5791.

37- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص791، ترجمة: 1386.

38- المصدر نفسه، ص856، ترجمة: 1466. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص548، ترجمة: 101.

39- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص856، ترجمة: 1466.

40- المصدر نفسه، ص534، ترجمة: 930. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص561، ترجمة: 350.

41- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص535، ترجمة: 930.

42- المصدر نفسه، ص788، ترجمة: 1381. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص668، ترجمة: 409.

43- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص788، ترجمة: 1381.

والشام ومكة. كان زاهدا فاضلا، منقبضا متواضعا؛ توفي في رجب 394هـ/أفريل 1004م[44]. أوردَه ابن الفرضي ضمن شيوخه قائلا: "وكان حافظا للحديث، كَتَبْتُ عنه ببجانة وسمع منه غير واحد، وأدَّب بالقُرآن وأجاز لي جميع روايته"[45].

- **من بطليوس:**

- **هاشم بن يحي بن حجاج البطليوسي:** من أهلِ بطليوس؛ يكنى أبا الوليد. رحل إلى المشرق سنة 338هـ/949م فسمع عن علماء مكة، وبيت المقدس، ومصر، والإسكندرية. ثم رحل إلى بلاد المغرب وسمع من علماء القيروان وباجة القيروان. وبعد عودته من رحلة الطلب أقام بحاضرة بطليوس، وسُعِي به إلى السلطان فامتُحن وأُسْكن قرطبة، فقرأ الناس عليه كثيرا؛ توفي في بطليوس سنة 385هـ/995م[46]. وكان من العلماء الذين تتلمذ لهم ابن الفرضي، إذ ذكره في معرض ترجمته له قائلا: "وسمعنا نحن منه قديما قبل المحنة وبعدها، وكان لا بأس به في ضبطه"[47].

- **من شذونة:**

- **يوسف بن محمد بن سليمان:** الهَمْداني من أهْلِ شَذُونَة؛ يُكنّى أبا عُمَر؛ مولده بقرطبة سنة 304هـ/916م. سمع بها من مشايخها، ثم رحل إلى المشرق وأقام به عشرة أعوام، سمع خلالها عن علماء مصر، وجُدَّة[48]، وكتب حديثا كثيرا مصنّفا ومنثورا، لينصرف في نهاية رحلته هاته إلى الأندلس، حيث قُدّم للصلاة؛ توفي سنة 383هـ/993م[49]. حلاّه ابن الفرضي وذَكره من جملة شيوخه فقال: "وقد كان خَطِيبا وأديبا وسيما، رَحَلْتُ إليه وقَرَأْتُ عليه كثيرا. وكان ثقة خيارا، وأجاز لي جميع ما رواه"[50].

44- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص795، ترجمة: 1389. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص741، ترجمة: 128.

45- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص795، ترجمة: 1389.

46- المصدر نفسه، ص889، ترجمة: 1539. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص586، ترجمة: 192.

47- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص890، ترجمة: 1539.

48- **جُدّة:** بالضم والتشديد، ساحل بحر اليمن، بينها وبين مكة ثلاث ليال. وبجدّة وُلد جدّة بن حزم بن ريّان ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فسمي جدّة باسم الموضع. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص114.

49- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص942-943، ترجمة: 1634. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص551، ترجمة: 113.

50- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص942، ترجمة: 1634.

● **من طرطوشة:**

- **يحي بن مالك بن عائذ بن كيسان:** بن مَعن بن عبد الرحمن بن صالح مولى هشام ابن عبد الملك بن مروان، من أهل قرطبة يكنى أبا زكرياء؛ مولده سنة 300هـ/912م. سمع من علماء طرطوشة، ثم رحل إلى المشرق سنة 347هـ/958م، وحج سنة 348هـ/فيفري960م. وهناك بالمشرق سمع من علماء مصر، ثم رحل إلى بغداد فسمع بها من جماعة، وبالبصرة وغيرهما. وفي بغداد جمع علما عظيما لم يجمعه أحد قبله من أصحاب الرحلة إلى المشرق، وتردد بالمشرق نحوا من اثنتين وعشرين سنة[51].

وبعد نهاية رحلته المشرقية، عاد أدراجه إلى الأندلس في رجب 369هـ/جانفي 980م، فسمع منه الناس وطلاب العلم وأبناء الملوك، وجماعة من الشيوخ والكهول؛ توفي فَجْأة ليلة السّبت 26 رجب 375هـ/12 ديسمبر 985م[52]. حلاّه ابن الفرضي بقوله: "روى لنا من الأخبار والحكايات ما لم يَكُن عند غيره، ولا أدخله أحدٌ الأندلس قبله"[53].

● **من طليطلة:**

- **تمام بن عبد الله:** بن تمّام المعافري، من أهل طليطلة، يكنى أبا غالب؛ مولده سنة 305هـ/917م. سمع من علماء طليطلة، ورحل حاجا فسمع بمكة عن علمائها، ودخل الشام فسمع بها كثيرا، ولقي بغزّة بعضا مشايخها، وسمع من علماء القيروان؛ توفي بطليطلة عشية يوم الأربعاء 21 جمادى الآخرة 377هـ/ 18أكتوبر 987م[54]. ذكره ابن الفرضي قائلا: "كَتَبْتُ عنه بقرطبة، وكتب عنه جماعة من أصحابنا"[55].

51- الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص921-923، ترجمة: 1597. الحميدي، جذوة المقتبس، ص506، ترجمة: 906. الضبي، بغية الملتمس، ص682، ترجمة: 1497. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص421، ترجمة: 226. تذكرة الحفاظ، ص1003، ترجمة: 936. سير أعلام النبلاء، ج16، ص421، ترجمة: 307.

52- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص921-923، ترجمة: 1597. الحميدي، جذوة المقتبس، ص506، ترجمة: 906. الضبي، بغية الملتمس، ص682، ترجمة: 1497. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص421، ترجمة: 226. تذكرة الحفاظ، ص1003، ترجمة: 936. سير أعلام النبلاء، ج16، ص421، ترجمة: 307.

53- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 922، ترجمة: 1597.

54- المصدر نفسه، ص 181، ترجمة: 303. عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص32. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص542، ترجمة: 83.

55- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 181، ترجمة: 303.

- **محمد بن سعد البكري الخطيب**: من أهل طليطلة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الأعْرج؛ مولده سنة 309هـ/921م. كان بصيرا بالقراءة، وله رحلة إلى المشرق. توفي يوم الأحد 13 ربيع الآخر 384هـ/27 ماي 994م[56]. أشاره إليه ابن الفرضي في قوله: "حَدَّث وكَتَبْتُ عنه"[57].

- **سعيد**: بن يُمن بن محمد بن عدل بن رضا بن صالح بن عبد الجبار المرادي المكادي[58]، يكنى أبا عثمان[59]. كان فقيها في موضعه؛ توفي حوالي 388هـ/997م[60]. قال عنه ابن الفرضي: "حَدَّث وكتبتُ عنه"[61].

- **عبدوس**: بن محمد بن عَبْدُوس، من أهل طليطلة؛ يكنى أبا الفرج. سمع بطليطلة من مشايخها، ثم رحل إلى المشرق برِحلتين الأولى سنة 356هـ/966م، والثانية سنة 371هـ/981م. سمع في رحلته الأولى بمكة عن مشايخها، وسمع عن علماء مصر كذلك. كما أنه دخل الشام في رحلتيه، وانصرف أخيرا إلى الأندلس. كان زاهدا فاضلا، ورعا متعلّلا، ثقة خيارا، حسن الضَّبط لِما كَتَب؛ توفي بطليطلة يوم الجمعة 02 ذي القعدة 390هـ/04 أكتوبر1000م[62]. ذكره

56- الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 781، ترجمة:1367.

57- المصدر نفسه، ص 781، ترجمة:1367. المقري، نفح الطيب، مج2، ص140، ترجمة: 84. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص562، ترجمة: 141.

58- **مكّادة:** مدينة بالأندلس نواحي طليطلة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج5، ص179.

59- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 312، ترجمة:526. وقد جعل الأبياري تاريخ وفاته 338هـ، وهو التاريخ الذي أثبته صاحب "معجم البلدان"، والتصحيح وضبط الاسم من نسخة بشار عواد. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، حققه وضبط نصّه وعلّق عليه: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2008، ص255، ترجمة: 526، وسنعتمد هذا التحقيق في بعض المحطات كلما دعت للضرورة لذلك، بينما سيبقى معتمدنا في الأطروحة على تحقيق الأبياري. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج5، ص179. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص ص244-245، ترجمة: 464. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص646، ترجمة: 336.

60- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 312، ترجمة:526.

61- المصدر نفسه، ص 312، ترجمة:526.

62- نفسه، ص ص 571-572، ترجمة: 1001. الضبي، بغية الملتمس، ص571، ترجمة: 1270. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص665، ترجمة: 397.

ابن الفرضي قائلا: "أجَاز لي جميع روايته، وكتب لي جزءا من حديثه بخطِّه، وقد كتب عن كثير من شيوخنا بالأندلس"[63].

- **من فَرَج[64]:**

- **أيوب بن الحسين بن محمد بن أحمد:** من أهل مدينة الفَرج يكنى أبا سليمان، ويُعرف بِابن الطّويل. رحل إلى المشرق سنة 340هـ/951م فسمع عن علماء مصر، وحجَّ سنة341هـ/أفريل953م. توفي سنة 382 أو 383هـ/992 أو993م[65]. عدّه ابن الفرضي ضمن شيوخه فقال: "سمع منه جماعة من الناس، وسَمِعْتُ منه كثيرا"[66].

- **من قرطبة:**

- **محمد بن عمر بن القوطية:** المتوفي سنة 367هـ/977م، صاحب كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس"[67]. ذكره ابن الفرضي ضمن لائحة شيوخه بقرطبة فقال: "اختلفت إليه أيام نظري في العربية في سماع الكامل لمحمد بن يزيد المبرّد"[68].

- **يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى الليثي:** من أهل قرطبة؛ يكنى أبا عيسى. كان قاضيا ببجَّانة وإلبِيرة، وولي أحكام الرد أيام كان أخوه قاضيا بقرطبة، ورحل الناس إليه من جميع كور الأندلس. توفي ليلة الثلاثاء، بعد صلاة العشاء 08 رجب 367هـ/19 فيفري 978م[69].

63- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 572، ترجمة: 1001.

64- **فرج:** وهي وادي الحجارة، وتقدم التعريف بها في الهامش: 80 من الفصل الثاني.

65- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 165، ترجمة: 273. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج4، ص247.

66- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 165، ترجمة: 273.

67- تقدم التعريف به بالتفصيل في الفصل الأول، ص ص76-83.

68- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص748، ترجمة: 1316.

69- المصدر نفسه، ص ص919-920، ترجمة: 1595. الحميدي، جذوة المقتبس، ص600، ترجمة: 896. الضبي، بغية الملتمس، ص676، ترجمة: 1482. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص280، ترجمة: 260. سير أعلام النبلاء، ج16، ص267، ترجمة: 188. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص154، ترجمة: 20. ابن العماد، شذرات الذهب، مج4، ص366.

عدّه ابن الفرضي من شيوخه الذين أخذ عنهم، فقال: "اختَلَفْتُ إليه في سماع حديث الموطأ...فتم لي سماعه منه. وسمعت منه كتاب التفسير لعبد الله بن نافع، ولم أشهد بقرطبة مجلسا أكثر بِشرا من مجلسنا في الموطأ...ولم أَسمع منه غير الموطأ والتفسير"[70].

- **محمد بن أحمد بن محمد**: بن مِسْوَر بن عمر بن محمد بن علي بن مِسْور بن ناجية ابن عبد الله بن يسار، مولى الفضل بن العبَّاس بن عبد المطلب، من أهل قرطبة، يُكنى أبا بكر. مولده في شعبان 298هـ/أفريل 911م، ووفاته ليلة الخميس 25 صفر 370هـ/ 15أوت 980م[71]. وقد ذكره ابن الفرضي ضمن شيوخه فقال: "وكان شيخا قليل العلم، سمعت منه يسيرا، وسمع منه غيري"[72].

- **عبد الله بن محمد بن نصر الزاهد**: من أهل قرطبة، يكنى أبا محمد. كان زاهدا ورعا فاضلا، مائلا إلى الحديث والآثار، مُشاركا في علم الرأي وعقد الشروط، حسَن اللّسان؛ توفّي ليلة الثّلاثاء 03 ربيع الآخر 371هـ/06 أكتوبر 981م[73]. قال عنه ابن الفرضي: "كان صَدُوقا مأْمونا، كتبَ عنهُ جماعة، وكَتَبْتُ عنهُ"[74].

- **حسين بن محمد بن قابل**: من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر؛ مولده سنة 296هـ/908م. رحل إلى المشرق سنة 333هـ/944م فحج، وسمع علماء مكة والإسكندرية ومصر. كان شيخا صالحا، وكان له حظ من حفظ الرَّأي وعقد الشُّرُوط، وكان مُتصرِّفا في العربية والغريب والشّعر؛ توفي في03 ذي الحجة 372هـ/19 ماي 983م[75]. ذكره ابن الفرضي قائلا: "حَدَّثَ وكتبتُ عنه كَثيرا"[76].

70- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 920، ترجمة: 1595.

71- المصدر نفسه، ص 753، ترجمة: 1324. الحميدي، جذوة المقتبس، ص328، في ترجمة خلف ابن قاسم بن الدباغ رقم: 423. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص328، ترجمة: 377.

72- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 753، ترجمة: 1324.

73- المصدر نفسه، ص406، ترجمة: 723. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص361، ترجمة: 18.

74- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص406، ترجمة: 723.

75- المصدر نفسه، ص ص207-208، ترجمة: 353. وقد جاءت في نسخة بشار عواد باسم "نابل" وكذا تاريخ الإسلام للذهبي، و"نائل" عند السيوطي في بغية الوعاة، وليس "قابل" كما في الأبياري. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (تحقيق بشار عواد)، مج1، ص170، ترجمة: 353. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص373، ترجمة: 54. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص539، ترجمة: 1124.

76- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص208، ترجمة: 353.

- **محمد بن أغلب:** بن سليمان بن مروان، من أهلِ قرطبة، يكنى أبا عبد الله؛ كان كثير الصلاة والخشوع، وقد توفّي قريبا من الثمانين سنة 372هـ/982م[77]. أشار إليه ابن الفرضي فقال: "لقيته وكَتَبْتُ عنه"[78].

- **محمد بن رفاعة:** بن محبوب المُكَتِّب[79]، من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله. كان شيخا فاضلا، ذا فهم ومعرفة. رحل في آخر عمره حاجا، فمات بسببه قبل وصوله إلى القيروان سنة 372هـ/982م. عدّه ابن الفرضي ممن أخذ وروى عنهم فقال: "وهو الذي روى لنا تاريخ أحمد بن محمد بن عبد الله عنه"[80].

- **محمد بن محمد بن عبد الله:** بن أبي دُليم، من أهل قرطبة؛ يكنى أبا عبد الله. ولد يوم الإثنين 29 ربيع الأول 288هـ/23 مارس 901م. كان ضابطا لكتبه متفننا بروايته، ثقة مأمُونا، كثير الصلاة والصيام، عابدا متهجدا. توفي ليلة الجمعة 14 رمضان 372هـ/02 مارس 983م[81]. ذكره ابن الفرضي في قوله: "واختلفتُ إليه في أكثر ما قُرئَ عليه"[82].

- **عبد الله بن تمام بن أزهر:** الكِندي الفَرائضِيُ، يُعرَف بالمُسَدِّي، من أهل قرطبة وأصله من بادية إستجة؛ يكنى أبا محمد. رحل حاجا، فشَهِد بعض مجالس علماء مصر. توفي في 10 ذي الحجة 373هـ/14 ماي 984م [83]. ذكره ابن الفرضي في جملة من أخذ عنهم فقال: "حدّثَ، وكَتَبَ عنه بعض أصحابنا، وكَتَبْتُ عنهُ"[84].

- **خلف بن محمد بن خلف الخولاني:** المُكْتِب، من أهل قرطبة ويكنى أبا القاسم. رحل إلى مكة، والإسكندرية، والقيروان، فسمع من علمائها. كان شيخا صالحا؛ توفي يوم

77- الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص759-760، ترجمة: 1336.

78- المصدر نفسه، ص ص759-760، ترجمة: 1336.

79- نفسه، ص670، ترجمة: 1337. وقد جاءت في نسخة بشار عواد "المُكْتِب". ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (تحقيق بشار عواد)، مج2، ص113، ترجمة: 1337.

80- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص670، ترجمة: 1337.

81- المصدر نفسه، ص ص758-759، ترجمة: 1334. الضبي، بغية الملتمس، ص68، ترجمة: 03. الحميدي، جذوة المقتبس، ص98، ترجمة: 50. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص150. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص ص202-203، ترجمة: 34. مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص148، ترجمة: 281.

82- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 759، ترجمة: 1334.

83- المصدر نفسه، ص 408، ترجمة: 727. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص390، ترجمة: 102.

84- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 408، ترجمة: 727.

الجمعة 15 ربيع الأول 374هـ/16 أوت 984م[85]. قال عنه ابن الفرضي: "اختلفْتُ إليه وسَمِعْتُ منه"[86].

- **محمد بن وازع بن محمد الضرير:** من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله. رحل إلى المشرق سنة 351هـ/962م، فسمع عن علماء المدينة ومكة، ثم حج ودخل العراق فسمع من علماء البصرة وبغداد، وانصرف إلى الأندلس وكفّ بصره؛ توفي سنة 374هـ/984م[87]. أشار إليه ابن الفرضي قائلا: "وكَتَبْتُ عنه"[88].

- **محمد بن عبد الله بن هانئ العطار:** من أهل قرطبة؛ يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن اللبّاد. توفي ليلة الجمعة 13 شعبان 375هـ/29 ديسمبر 985م[89]. ذكره ابن الفرضي قائلا: "وكَتَبْتُ عنه"[90].

- **رشيد بن فتح:** الدجّاج، من أهل قرطبة، ويكنى أبا القاسم. رحل إلى المشرق حاجا، فسمع من علماء مصر ومكة. كان معتنيا بالحديث جامعا للآثار، كثير الكتاب. توفي يوم السبت 29 رجب 376هـ/04 ديسمبر 986م[91]. أشار إليه ابن الفرضي قائلا: "وقد كَتَب عنه بعض أصحابنا، وكتبت أنا عنه حديثا واحدا"[92].

- **سليمان بن أيوب بن سليمان:** بن حَكَم بن عبد الله بن بَلكَايِشَ القُوطيّ، من أهل قرطبة؛ يكنى أبا أيوب. كان من أهل العلم والنظر، بصيرا بالاختلاف، حافظا للمذاهب، مائلا

85- الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص249، ترجمة: 413. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص400، ترجمة: 147.
86- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص249، ترجمة: 413.
87- المصدر نفسه، ص763، ترجمة: 1344. عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص165. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص408، ترجمة: 182.
88- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص763، ترجمة: 1344.
89- المصدر نفسه، ص ص763-764، ترجمة: 1345. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص420، ترجمة: 221.
90- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص763-764، ترجمة: 1345.
91- المصدر نفسه، ص ص267-268، ترجمة: 437. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، 426، ترجمة: 242.
92- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص268، ترجمة: 437.

إلى الحجة والدليل. سمع منه الناس كثيرا؛ توفي يوم الخميس 28 شعبان 377هـ/23 ديسمبر 987م[93]. عدّه ابن الفرضي من شيوخه فقال: "سَمِعْتُ منه كثيرا من روايته"[94].

- **علي بن محمد:** بن إسماعيل مَحمد بن بشر من أهل أنطاكية[95]، يكنى أبا الحسن، مولده سنة 299هـ/911م بأنطاكية. وهو من الغرباء الذين قدموا قرطبة؛ قَدِمَها سنة 352هـ/962م، فنزل من الخليفة الحَكَم المستنصر (350-366هـ/961-976م)[96] ومن الناس منزلة رفيعة. كان عالما بالقراءات، لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته، وأدخل الأندلس علما جَمّا من القراءات. كما كان بصيرا بالعربية والحساب، وله حظٌّ من الفقه على مذهب الشافعي؛ توفي بقرطبة يوم الجمعة 29 ربيع الأول 377هـ/29 جويلية 987م[97]. قال عنه ابن الفرضي: "قرأ الناس عليه وكتبوا عنه، وسمعوا منه، وسمعت أنا منه"[98].

- **أحمد بن عون الله:** بن حُدَير بن يحيى بن تبع بن تُبَيْع البزَّاز، من أهل قرطبة يكنى أبا جعفر؛ مولده سنة 300هـ/912م. سمع من علماء الشام ودمشق ومصر. كان شيخا صالحا صدوقا، صارما في السنة، متشددا على أهل البدع، صبورا على الأذى فيه؛ توفي ليلة السبت 17

93- الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص330-331، ترجمة: 564. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص347-348، ترجمة: 452. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص290. الضبي، بغية الملتمس، ص379، ترجمة: 765. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص439، ترجمة: 288.

94- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص331، ترجمة: 564.

95- **أنطاكية:** بتخفيف الياء، مدينة عظيمة بالشام على ساحل البحر، وهي مدينة حسنة الموضع كريمة البقعة ليس بعد دمشق أنزه منها داخلاً وخارجاً، بناها بطليموس بن هيفلوس الثاني من ملوك اليونانيين. وقيل: نسبت إلى الذي بناها انطيخين ولما عربت غيرت صورتها. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص38.

96- تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 147 من الفصل التمهيدي.

97- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص536، ترجمة: 932. الضبي، بغية الملتمس، ص541، ترجمة: 1199. القِفطي، إنباه الرواة، ج2، ص ص308-309، ترجمة: 488. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص442، ترجمة: 298. تذكرة الحفاظ، ص973، في ترجمة الغطريفي رقم: 912. اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص306. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص499، ترجمة: 2308. ابن العماد، شذرات الذهب، مج4، ص410. السبكي تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (727-771هـ)، طبقات الشافعية، ج3، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، ط2، 1413هـ، ص468، ترجمة: 230.

98- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص536، ترجمة: 932.

ربيع الآخر 378هـ/04 أوت 988م[99]. عدّه ابن الفرضي ضمن جملة الشيوخ الذين تلقى عنهم فقال: "كتب عنه الناس قديما وحديثا، وكتبتُ عنه"[100].

- **أحمد بن عبد الله بن خالد:** أحمد بن عبد الله بن قِيبَل بن يَبْقى الجُذَاميّ التاجر، من أهل قرطبة، يكنى أبا عمر؛ مولده قبل 300هـ/912م. رحل إلى المشرق ودخل العراق تاجرا، فسمع بها عن علمائها، وسمع كذلك عن علماء مكة ومصر. كان رجلا صالحا صدوقا؛ توفي ليلة السبت 27 ذو القعدة 378هـ/08 مارس 989م[101]. وقد عدّه ابن الفرضي من ثلّة الشيوخ الذين نهل منهم فقال: "سمعتُ منه أكثر ما كان يَرْويه، وأجازَ لي جميع روايته وكُتُبه"[102].

- **عبيد الله بن الوليد بن محمد:** بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد العزيز بن عَمْرٍو بن عثمان بن محمد بن خالد بن عقبة بن أبي مُعَيْطٍ أبان بن أبي عَمْرٍو بن أميّة بن عبد شمس، من أهل قرطبة، يكنى أبا مروان، ومولده سنة 300هـ/912م. قَدِمَ الأندلس مع أبيه وأخيه، سنة 306هـ/918م[103].

كان عالما بالفُتْيا، بصيرا بالمسائل والشّروط؛ مشاورا في الأحكام، مستفتيا مع نُظرائه، حافظا للأخبار والأشعار؛ توفّي يوم الخميس 20 محرم 378هـ/10 ماي 988م[104]. وقد عدّه ابن الفرضي من شيوخه فقال: "حدّث وسمعَ منهُ جماعة، وسَمِعْتُ أنا منه كَثيراً"[105].

- **إبراهيم بن أحمد بن فتح:** من أهل قرطبة؛ يكنّى أبا إسحاق ويُعرَفُ بابن الحَدّاد. كان حافظا للمسائل، عالما بالفقه والعربية؛ توفّي سنة 379هـ/989م[106]. صنّفه ابن الفرضي ضمن الشيوخ الذين سمع منهم فقال: "حدّث وقُرئ عليه المدونة...وسمِعتُ منه"[107].

99- الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص114-115، ترجمة: 181. الضبي، بغية الملتمس، ص245، ترجمة: 454. فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص543. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص447، ترجمة: 316. سير أعلام النبلاء، ج16، ص390، ترجمة: 280. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج5، ص ص117-120، ترجمة: 66.

100- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص115، ترجمة: 181.

101- المصدر نفسه، ص117، ترجمة: 184. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص447، ترجمة: 313.

102- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص117، ترجمة: 184.

103- المصدر نفسه، ص ص431-432، ترجمة: 767. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص290. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص454، ترجمة: 341.

104- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص431-432، ترجمة: 767. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص290. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص454، ترجمة: 341.

105- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص431-432، ترجمة: 767.

- **عباس بن عمرو:** بن هارون الكناني الوَرّاق، من أهل صقلية[108] يكنّى أبا الفضل؛ مولده سنة 295هـ/907هـ. خرج من صقلية إلى القيروان سنة 315هـ/927م، ومنها إلى الأندلس سنة 336هـ/947هـ فصار من جملة الوراقين. كان بصيرا بالرد على أصحاب المذاهب، عالما بالكلام. عاش حتى عَلَت سِنُّهُ وذهب بصره، ومسّه ضرب من الفالِج، وتوفي يوم الجمعة 04 رمضان 379هـ/06 ديسمبر 989م[109]. حدّث عنه ابن الفرضي، فقال: "كَتَبَ عنهُ غير واحد، وكَتَبْتُ أنا عنه قطعة من حديثه"[110].

- **عثمان بن سعد:** البَزّاز، من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسِم. رحل إلى المشرق، فسمع من علماء مصر. توفي يوم الخميس 18 ربيع الآخر 379هـ/26 جويلية 989م[111]. قال عنه ابن الفرضي: "حدّث، وكَتَبْتُ عنهُ"[112].

- **عبد الله بن إسماعيل:** بن حَرْب بن خَيْر بن فرج، من أهل قرطبة، يكنى أبا محمد، ويُعْرَف بابن الثّور. سمع من مشايخ قرطبة، ثم رحل إلى المشرق فسمع من علماء القيروان ومصر والعراق. كان ثقة بصيرا بالرجال مذكورا بذلك؛ توفّي 18 صفر 380هـ/17 ماي 990م[113]. عدّه ابن الفرضي من مُجيزيه فقال: "سمع منه جماعة من الناس، وكَتَبْتُ عنه وأجاز لي كل ما رواه"[114].

106- الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص52-53، ترجمة: 45. عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص08. الضبي، بغية الملتمس، ص261، ترجمة: 488، وقد جعل وفاته سنة 376هـ. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص464، ترجمة: 370. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص405، ترجمة: 807.

107- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص53، ترجمة: 45.

108- **صِقِلِّيَة:** من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية، وهي مثلثة الشكل بين كلّ زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيّام، وإفريقية منها بين المغرب والقبلة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص416.

109- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص509، ترجمة: 884. الحميدي، جذوة المقتبس، 504، ترجمة: 730. الضبي، بغية الملتمس، ص561، ترجمة: 1250. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص466، ترجمة: 381.

110- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص509، ترجمة: 884.

111- المصدر نفسه، ص ص521-522، ترجمة: 907.

112- نفسه، ص 522، ترجمة: 907.

113- نفسه، ص ص416-417، ترجمة: 746. الضبي، بغية الملتمس، ص ص441-442، ترجمة: 910. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص ص478-479، ترجمة: 422.

114- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص417، ترجمة: 746.

- **عبيد الله بن محمد:** بن عُبَيد الله بن هاشم بن سابق بن صمَيْل بن بشير مولى الـــمُنْذر بن عبد الرحمن بن معاوية، من أهل قرطبة يكنّى أبا مروان ويُعرف بابن القاسِم. كان حافظا لأخبار الشيوخ، وربطته بابن الفرضي علاقة متميزة، خاصة وأنه كان صديقا لوالده، حيث شهد موته وغسله ودفنه يوم الأربعاء 19 رمضان 380هـــ/10 ديسمبر 990م[115]. كما عدّه ضمن شيوخه فقال: "سمِعْتُ منه كثيرا وكَتَب لي بخطه، وكان صديقا لأبي رحمه الله وسمع منه غيري"[116].

- **محمد بن أحمد بن محمد بن يحي:** بن مُفَرِّج مولى الإمام عبد الرحمن بن الحكم (206-238هـــ/821-852م)، من أهل قرطبة ويكنى أبا عبد الله؛ مولده سنة 315هـــ/927م. سمع من علماء قرطبة، ثم رحل إلى المشرق سنة 337هـــ/948م فسَمِع من مشايخ مكة والمدينة. ثم سمع من علماء اليمن ومصر والإسكندرية، ودخل الشام فسمع عن علمائها.

وبعد هاته الرحلة العلمية المثمرة، قفل عائدا إلى الأندلس سنة 345هـــ/956م، واتصل بالأمير الحكم المستنصر (350-366هـــ/961-976م)، فكانت له مكانة خاصة عنده، فألّف له عدة دواوين، واسْتَقْضَاه على إستجة ثم ريّة، فلم يزل قاضيا عليها إلى أن توفي المستنصر. كان حافظا للحديث عالما به بصيرا بالرجال، صحيح النقل جيّد الكتاب على كثرة ما جَمَع؛ توفي ليلة الجمعة 11 رجب 380هـــ/04 أكتوبر 990م[117].

وعلى ما يبدو فإنه كان من ضمن الشيوخ البارزين الذين تتلمذ لهم ابن الفرضي، حيث قال عنه: "سمع منه الناس كثيرا؛ وآلَيْتُ الاخْتَلاف إليه والسماع منه من سنة تسع وستين إلى أن اعتل علّته التي توفي بها. وأجاز لي جميع ما رواه غير مرة، وكتب لي ذلك بخطه"[118].

115- الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص432، ترجمة: 768. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص481، ترجمة: 434.

116- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص432، ترجمة: 768.

117- المصدر نفسه، ص ص770-773، ترجمة: 1358. الحميدي، جذوة المقتبس، ص76، ترجمة: 10. الضبي، بغية الملتمس، ص ص71-72، ترجمة: 14. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج51، ص ص114-117، ترجمة: 5963. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص ص482-483، ترجمة: 440. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص38، ترجمة: 335.

118- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص773، ترجمة: 1358.

- **محمد بن موسى**: بن مصْبَاح بن عيسى الـــمُؤَذِّن، من أهل قرطبة؛ يكنى أبا بكر، مولده في 15 ذي القعدة 296هـــ/05 أوت 909م. سمع من علماء قرطبة، ورحل سنة 339هـــ/950م إلى الـــمشرق للاستزادة، فسمع عن علماء مكة والـــمدينة ومصر، ثم يمّم شطر المغرب الأدنى فسمع عن علماء القيروان ومشايخها. توفي رحمه يوم الأربعاء 15 رمضان 381هـــ/25 نوفمبر 991م[119]. عدّه ابن الفرضي من المشايخ الذين نهل منهم فقال: "سَمِعْتُ منه، وسمع منه جماعة من أصحابنا كثيرا، وأجاز لي"[120].

- **أحمد بن عبد الله**: بن عبد الرَّحيم بن كِنانة اللخَميّ، من أهل قرطبة، يعرف بابن العَنَّان، ويكنى أبا عمر؛ مولده في 15 شوال 299هـــ/04 جوان 912م. كان ثقة خيارا...ضابطا لِما كَتب، جيد التقييد لِما روى؛ توفي ليلة الأحد 06 صفر 383هـــ/02 أفريل993م[121]. اعتبره ابن الفرضي من العلماء الموثوقين الذي أخذ عنهم فقال: "وكان مِن أَوثَق مَنْ كَتَبْنا عَنْهُ، وسَمِعتُ مِنْهُ-بـــحمد الله-علما كثيرا"[122].

- **إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم القيسي**: ثم النَّصري، يكنى أبا القاسم، ويُعْرَف بابن الطَّحَان؛ مولده سنة 305هـــ/917م. كان عالما بالآثار والسنن، حافظا للحديث وأسماء الرجال وأخبار المحدّثين...كما كان أكثر وقته، يُصنِّف الحديث والتواريخ، عالما بأخبار الشيوخ؛ وله في ذلك كتاب في رجال إستجة؛ توفي ليلة السبت 29 صفر 384هـــ/14 أفريل 994م[123]. ذَكره ابن الفرضي ضمن سلسلة شيوخه فقال: فقال: "وقد نقلنا عنه في كتابنا هذا كثيرا...سمعتُ منه كثيرا، وقد سمع منه أكثر أصحابنا"[124].

119- الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص776-777، ترجمة: 1362. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص528، ترجمة: 39. المقريزي، المقفى الكبير، ج7، ص220، ترجمة: 3283.

120- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص777، ترجمة: 1362.

121- المصدر نفسه، ص118، ترجمة: 185. الضبي، بغية الملتمس، ص232، ترجمة: 425. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص540، ترجمة: 74.

122- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص118، ترجمة: 185.

123- المصدر نفسه، ص ص153-154، ترجمة: 219. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص298. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص555، ترجمة: 120. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص290، ترجمة: 03.

124- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص154، ترجمة: 219.

- **محمد بن أحمد بن محمد:** بن عبد الله حَامِد بن موسى بن العباس بن محمد بن يزيد بن محمد بن مَسْلَمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، من أهل مصر، يكنى أبا بكر ويعرف بابن الأزرق، مولده بمصر سنة 319هـ/930م، وخرج منها سنة 343هـ/954م، فسار إلى القيروان فامتُحن بها مع الشِّيعة واعتُقل بالمهديّة[125]، وأقام بها سجينا في دار البحر ثلاثة أعوام وسبعة أشهر. وبعد تَخْلِيَةِ سبيله، وصل الأندلس سنة 349هـ/960م فأمر الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م) بإنزاله، وتَوسّع له في العطاء وأثبته في دِيوَان قُرَيْش؛ تُوفي بقرطبة في ذي القعدة 385هـ/نوفمبر 995م[126].

وقد كان من الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن الفرضي علم الحديث، وكانت بينهما روابط أُلفة كبيرة؛ يقول عنه ابن الفرضي: "كَتَبْنا عنه جزءا من حديثه...وذَاكَرْتُه الأوطان ونزوع النَّفس إليها، فأظهر التَّشَوُّق إلى مصر والحنين إلى وطنه"[127].

- **عباس بن أصبغ:** الهَـمْدَانِي من أهل قرطبة يُكَنّى أبا بكر، ويُعْرَف بالحِجاريّ ولم يكن من أهل وادي الحجارة؛ مولده سنة 306هـ/918م. كان شيخا حليما، ضابطا لِما كتب، طاهرا عفيفا؛ توفي يوم الخميس 05 ذي القعدة 386هـ/19 نوفمبر 996م[128]. عدّه ابن الفرضي من ضمن شيوخه فقال: "قرأتُ عَليه كثيرا...وأجازَ لي جميع رِوايته"[129].

- **محمد بن عمر بن سعدون:** المَـعافري الغَضائري، من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله؛ مولده سنة 309هـ/921م. رحل حاجا، فسمع من علماء مكة ومصر. وفي آخر حياته، سقط

125- **المهدية:** مدينة بساحل إفريقية، بناها عبيد الله الشيعي، وسماها المهدية ونسبها إلى نفسه؛ وكان ابتداء بنيانها في 300هـ. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص561.

126- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص706-709، ترجمة: 1403. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص ص582-583، ترجمة: 182.

127- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص807-808، ترجمة: 1403.

128- المصدر نفسه، ص ص507-508، ترجمة: 883. الحميدي، جذوة المقتبس، ص503، ترجمة: 728. الضبي، بغية الملتمس، ص560، ترجمة: 1248. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص592، ترجمة: 208. الكتاني، فهرس الفهارس، ص776، ترجمة: 425. وقد تقدّم التعريف به وبفهرسته في الفصل الثاني من الأطروحة، ص199.

129- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص507-508، ترجمة: 883.

عليه حائط سنة 386هـ/996م فمات تحته[130]. قال عنه ابن الفرضي: "كان شيخا صالحا، قليل العلم، حَدَّث وسَمِعتُ منه، وأجاز لي حديثه"[131].

- **أحمد بن عبد الله بن عبد البصير الجذامي:** من أهل قرطبة؛ يكنى أبا عُمر، مولده سنة 311هـ/923م. كانت له معرفة بالحديث، ووقوف على أحوال نَقَلَتِه، وكان مُقلًّا. توفي يوم الإثنين 02 جمادى الآخرة 388هـ/998م[132]. قال عنه ابن الفرضي: "وكَتَبْنا عنه كثيرا، وأجاز لي ولابني مصعب جميع ما رواه"[133].

- **أصبغ بن عبد الله:** بن مسرّة أبو القاسِم الحنَّاط، من أهل قرطبة؛ مولده سنة 310هـ/922م. رحل إلى المشرق، فسمع من مشايخ مصر ومكة. توفي ليلة السبت 02 رمضان 388هـ/28 أوت 998م[134]. ذكره ابن الفرضي ضمن من أخذ عنهم فقال: "كَتَبَ عنه جماعة من الناس، وسَمِعتُ منه أشياء"[135].

- **قاسم بن محمد بن قاسم:** بن أَصبَغ بن مُحمَّد بن يُوسُف بن نَاصِحْ بن عَطَاء البَيَّاني، من أهل قرطبة يكنى أبا محمد. كان أديبا، حَسَن الخُلق حليما. استَقضَاه الحَكَم المستنصر (350-366هـ/961-976م) على كُورة تُدْمير، واستَقضَاهُ هشام المؤيد (366هـ-399هـ/976-1009م) على مدينة الفرج؛ توفي يوم الأربعاء 29 ربيع الأول 388هـ/31 مارس 998م[136]. اعتبره ابن الفرضي أحد شيوخه فقال: "وكَتَبْتُ أنا عنه قديما، وأجاز لي جميع ما رواه"[137].

130- الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص783، ترجمة: 1372. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص601، ترجمة: 231.

131- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص783، ترجمة: 1372.

132- المصدر نفسه، ص119، ترجمة: 187. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص629، ترجمة: 287.

133- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص119، ترجمة: 187.

134- المصدر نفسه، ص ص156-157، ترجمة: 257. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص630، ترجمة: 257.

135- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص156، ترجمة: 257.

136- المصدر نفسه، ص618، ترجمة: 1077. الحميدي، جذوة المقتبس، ص525، ترجمة: 765. الضبي، بغية الملتمس، ص ص587-588، ترجمة: 1298. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص636-637، ترجمة: 311.

137- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص618، ترجمة: 1077.

- **أحمد بن محمد بن الحسن:** بن مالك الكِلَابي، من أهل قرطبة يكنى أبا القاسم ويُعرف بابن بُليطْ؛ مولده سنة 308هـ/920م، ووفاته في ذي القعدة 389هـ/أكتوبر999م[138]. عدّه ابن الفرضي من مجموع شيوخه فقال: "كان شيخا صالحا، حدَّث وكَتبتُ عنه"[139].

- **يحي بن هُذيل بن عبد الملك:** بن إسْماعِيل بن نُوَيْرَة بن إسماعيل بن نُويْرة بن مالك التميمي الشاعر، من أهل قرطبة يكنّى أبا بكر؛ مولده سنة 305هـ/917م، ووفاته ليلة الأربعاء 13 ذي القعدة 389هـ/26 أكتوبر 999م. كان الغالب عليه صناعة الشّعر، إذْ كان شاعر وقته[140]. جعله ابن الفرضي ضمن ثلّة الشيوخ الذين أخذ عنهم فقال: "وقد كَتَبتُ عنه من حَديثِه وشعرِه، وأجاز لي روايتَه وديوَان شِعرِه"[141].

- **يحي بن محمد بن أحمد القيسي:** بن محمد بن قاسِم بن هِلَال بن يزيد بن طاهِر القَيْسي، من أهل قرطبة يكنى أبا القاسم. كان أحد الشهود، وله حظ من فقه؛ وقد سُمِع منه. توفي ليلة الاثنين، 29 ذي الحجة 389هـ/11 ديسمبر 999م[142]. قال عنه ابن الفرضي: "وقد كَتَبْتُ أنا عنه"[143].

- **عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن:** بن يحي التُّجِيبـــي، من أهل قرطبة يعرف بابن الزيّات ويكنى أبا محمد، مولده في 17 ربيع الآخر 314هـ/02 جويلية 926م. رحل إلى المشرق رحلتين، دخل فيهما العراق فسمع ببغداد والبصرة، عن جِلّة من علمائهما، وسمع من علماء مصر والإسكندرية والقيروان. عُرِف عنه كثرة الحديث، وكان مُسنِدا صحيحا للسماع،

138- الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص120، ترجمة: 189. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص644، ترجمة: 330.

139- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص120، ترجمة: 189.

140- المصدر نفسه، ص924، ترجمة: 1600. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص607-609، ترجمة: 908. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص293. الضبي، بغية الملتمس، ص ص683-685، ترجمة: 1500. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص2833-2834، ترجمة: 1243. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص370، ترجمة: 41. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج19، ص143، في ترجمة أخيه أبو مروان القرطبي عبد الملك بن هذيل رقم: 7322.

141- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص924، ترجمة: 1600.

142- المصدر نفسه، ص ص924-925، ترجمة: 1601. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص654، ترجمة: 365.

143- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص924، ترجمة: 1601.

صدوقا في روايته، إلاّ أنّ ضبْطه لم يكن جيدا؛ توفي ليلة الخميس 14 رجب 390هـ/20 جوان 1000م[144].

وعلى ما يبدو، فقد جمعته بابن الفرضي أواصر محبة كبيرة، حيث سمع منه وأجاز له ولابنه، فقال: "كتَبَ الناس عنه قديما، وحَدّثَنا وسمعنا منه كثيرا، وأجاز لنا جميع ما رواه، وكذلك أجاز لابني وكتب بخَطِّه"[145].

- **عيسى بن سعيد بن سعدان الكلبي:** من أهل قُرطبَة يُكنَّى أبا الأَصْبَغ؛ مولده سنة 342هـ/953م. رحل إلى المشرق عام 371هـ/981م، فسمع عن جِلّة مِن علماء بغداد والبصرة ومصر، ثم قفل عائدا إلى الأندلس فَلزِم التَّأْدِيب؛ تُوفي ليلة الأحد 05 جمادى الآخرة 390هـ/13 ماي 1000م[146].

وقد كان بينه وبين ابن الفرضي صُحبة وصداقة متينة، حيث أخذ عنه-ابن الفرضي- وأجازه، وهو ما عبّر عنه في قوله: "صاحبنا...وكان لنا صديقا...كَتَبْنا عنه أخبار ابن مقْسَم، وأجاز لي جميع ما رواه"[147].

- **أحمد بن الحسين بن محمد:** بن أسد بن محمد بن إبراهيم بن زياد بن كعب بن مالك التميمي، من أهل طُبْنة[148] يكنى أبا عمر، وصل إلى الأندلس حَدَثا. سمع عن مشايخ قرطبة وعلمائها، ثم رحل إلى المشرق حاجا سَنة 342هـ/953م، وسمع في رحلته سماعا يسيرا؛

144- الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص423-424، ترجمة: 755. الضبي، بغية الملتمس، ص431، ترجمة: 885. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص663، ترجمة: 388.

145- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 424، ترجمة: 755.

146- المصدر نفسه، ص ص564-565، ترجمة: 990. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص472-473، ترجمة: 679. الضبي، بغية الملتمس، ص ص525-526، ترجمة: 1149. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص667، ترجمة: 403.

147- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص564-565، ترجمة: 990.

148- **طُبْنَةُ:** بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص21.

توفي بقرطبة ليلة الجمعة؛ 03 محرم 390هـ/15 ديسمبر 999م[149]. عدّه ابن الفرضي ضمن مَن أخذ عنهم من الشيوخ فقال: "كان رجلا صالحا فاضلا، حَدَّث وكَتَبْتُ عنه أحاديث"[150].

- **أحمد بن محمد بن أحمد:** بن موسى بن هارون الأنْصَاريّ، يكنى أبا بكر، من أهل قرطبة. رحل إلى المشرق فسمع من مشايخ وعلماء مكة ومصر، ثم يَمَّمَ شطر بلاد المغرب، فسمع من بعض شيوخ القيروان، وانصرف إلى الأندلس ولزم بها الانْقِبَاض والعبادة. اشتهر بالفضل، وكان عفيفا مُسْلما؛ توفي يوم الأربعاء 22 ربيع الأول 391هـ/19 فيفري 1001م[151].

صنّفه ابن الفرضي من ثلّة الشيوخ الذين نهل منهم فقال: "حَدَّثَ وَكَتَبَ عنه غير واحد، وكَتبتُ عنه كثيرا؛ وأجاز لي ما رواه"[152].

- **سعيد بن أحمد بن محمد:** بن سَعِيد بن مُوسَى بن حُدير، من أهل قرطبة يكنى أبا عثمان. وُلّي أحكام الشرطة في عهد هشام المؤيد (366هـ-399هـ/976-1009م)، ثم لزم بيته وتوقّف عن الخدمة، إلى أن توفي يوم الثلاثاء 21 ربيع الأول 391هـ/18 فيفري1001م. وقد عُرِف عنه، أنه كان رجلا فاضلا، صالحا مُتَقَشّفا زاهدا[153]. قال عنه ابن الفرضي: "كان له حَظٌّ من حفظ الفقه، كَتَبْتُ عنهُ"[154].

- **زكرياء بن بكر بن أحمد الغساني:** يُعرَف بابن الأشج، والأشَج هو أحمد-ويُكَنَّى أبا جعفر-من أهل تيهرت[155]، ومولده بها سنة 310هـ/922م، ويكنى أبا يحيى. دخل الأندلس مع أبيه وأخيه سنة 326هـ/937م فسمع من علماء قرطبة، ثم رحل إلى المشرق وسمع عن علماء

149- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص128-129، ترجمة: 203. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص656، ترجمة: 368.

150- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 129، ترجمة: 203.

151- المصدر نفسه، ص ص121-123، ترجمة: 193. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص698، ترجمة: 03.

152- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص122، ترجمة: 193.

153- المصدر نفسه، ص313، ترجمة: 529. الضبي، بغية الملتمس، ص393، ترجمة: 794. وقد حرّف اسمه فيه من من "حدير" إلى "خضير". الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص703، ترجمة: 11.

154- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص313، ترجمة: 529.

155- **تيهرت:** وهي مدينة جليلة بالمغرب الإسلامي، بين تلمسان وقلعة بني حماد، وكانت قديما تسمى عراق المغرب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص ص7-8.

مصر، ولقي بها الشاعر أبو الطيب المتنبي[156] وأخذ عنه ديوان شِعره رِواية، ثم انصرف إلى الأندلس وأقام بقرطبة إلى أن توفي بها ليلة الأربعاء 11 رمضان 393هـ/14 جويلية 1003م[157].

عدّه ابن الفرضي من شيوخه في الحديث فقال: "حدَّث بكتاب البخاري وغير ذلك من رِوايته وسمعنا منه كثيرا... وكان حليما طاهرا، وأجاز لنا جميع ما رواه"[158].

- **محمد بن يحي بن زكرياء بن يحيى التميمي:** المعروف بابن بَرْطْال، من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله؛ مولده في 10 رجب 299هـ/02 مارس 912م. سمع من علماء قرطبة، ورحل إلى المشرق للاستزادة سنة 341هـ/952م، فحجّ حججا سمع خلالها من علماء مكة ومصر، ثم رحل إلى الشام وسمع مِن علمائها[159].

وفي نهاية المطاف عاد أدراجه إلى الأندلس، فولاّه عبد الرحمن بن محمد الناصر (300-350هـ/912-961م) قضاء رَيَّة، ثم ولي قضاء جَيَّان وأحكام شرطتها في عهد هشام المؤيد (366هـ-399هـ/976-1009م)، وقضاء الجماعة بقرطبة والصلاة في 13 رمضان 381هـ/23 نوفمبر 991م. وقد بقي متولّيا أحكام القضاء، عشرة أعوام إلى 06 محرم 392هـ/25 نوفمبر 1001م. ولم يزل منذ صُرِف عن القضاء، مُلازما لبيته، ضعيفا عن الحركة إلى أن مات ليلة الأحد 22 جمادى الآخرة 394هـ/17 فيفري 1004م، وهو ابن ستٍّ وتسعين عاما. كان شيخا مُسمِتا جميلا، وقورا حليما متواضعا، كثير الصيام[160].

156- **أَبُو الطَّيِّبِ المتَنَبِّي (303-354هـ/915-965م):** أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي؛ ولد بالكوفة في محلة تسمى كندة وإليها نسبته، ونشأ بالشام ثم انتقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس، وقال الشعر صبيا؛ له ديوان شعر. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص120، ترجمة: 50. الزركلي، الأعلام، ج1، ص115.

157- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص275-276، ترجمة: 453. الضبي، بغية الملتمس، ص370، ترجمة: 746؛ وقد أخطأ بأن جعل وفاته سنة 524هـ.

158- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص276، ترجمة: 453.

159- المصدر نفسه، ص ص792-795، ترجمة: 1388. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص: 84. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص307. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص743، ترجمة: 136. سير أعلام النبلاء، ج17، ص57، ترجمة: 24. المقريزي، المقفى الكبير، ج7، ص427، ترجمة: 3511.

160- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص792-795، ترجمة: 1388. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص: 84. عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص307. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص743، ترجمة: 136. سير أعلام النبلاء، ج17، ص57، ترجمة: 24. المقريزي، المقفى الكبير، ج7، ص427، ترجمة: 3511.

عدّه ابن الفرضي من شيوخه في صحيح البخاري، فقال: "وقد حَدَّث بكتاب البخاري عن أبي علي بن السّكن وقرأته عليه...وكان مجلسنا من أجلّ المجالس التي شهدناها بالأندلس وأجاز لي جميع ما رواه"[161].

- **من قرمونة:**

- **خطّاب بن مسلمة بن محمد:** بن سعيد بن بُتْـرِيٍّ بن إسماعيل بن سليمان بن مُنْتِقم بن إسماعيل بن عبد الله الإيادي، من أهل قرمونة، سكن قرطبة ويكنى أبا المغيرة؛ مولده سنة 294هـ/906م. رحل إلى المشرق فحَجَّ عام 332هـ/943م، حيث سمع خلال رحلته هذه من علماء مكة. كان فاضلا مُجاب الدَّعوة، حافظا للرأي، بصيرا بالنحو والغريب؛ توفي يوم الجمعة 18 شوال 372هـ/05 أفريل 983م[162]. وقد اعتبَره ابن الفرضي من أهم شيوخه فقال: "سَمِعْتُ منه أكثر علمه"[163].

- **من قلعة أيوب**[164]:

- **عبد الله بن محمد بن القاسم:** بن حَزْم بن خَلَف الثّغْريّ، من أهل قلعة أيّوب، يكنى أبا محمد. سمع من علماء تُطيلة ومدينة الفرج (وادي الحجارة) وطليطلة، ثم رحل إلى المشرق سنة 350هـ/961هـ، دخل خلالها العراق فسمع من علماء البصرة وبغداد والكوفة، ثم ارتحل بعدها إلى الشام فسمع من علمائها، وانصرف أخيرا إلى الأندلس، فلَزِم العبادة والجهاد، واستقْضاهُ المستنصر (350-366هـ/961-976م)، ثمّ أعفاء من القضاء بطلب منه. كان ثقة مأمونا، فقيها فاضلا، دَيِّنا ورعا صليبا في الحق؛ توفّي 18 ربيع الآخر 383هـ/12 جوان 993م، وهو ابن ثلاث وستين سنة[165].

161- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص794، ترجمة: 1388.

162- المصدر نفسه، ص ص243-244، ترجمة: 402. عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص13. الضبي، بغية الملتمس، ص363، ترجمة: 731. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص ص373-374، ترجمة: 56. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص553، ترجمة: 1160. المقريزي، المقفى الكبير، ج3، ص ص759-760، ترجمة: 1368.

163- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص244، ترجمة: 402.

164- **قلعة أيوب:** بالأندلس بقرب مدينة سالم، مدينة عظيمة جليلة القدر بالأندلس، من أعمال سرقسطة، بالقرب منها مدينة لبلة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص469. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص390.

165- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص418-420، ترجمة: 751. عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص ص24-27. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص ص545-546، ترجمة: 95.

اعتبره ابن الفرضي من ضمن شيوخه الأجلاء فقال: "أخذنا عنه مِمّا لم يكن عند شيُوخنا...وقَرأتُ عليه علما كثيرا وأجاز لنا جميع روايته"[166].

- **من مرشانة**[167]:

- **عبد الرحمن بن هشام**: بن جَهْوَر، من أهل مرشانَة، يكنى أبا موسى. رحل إلى المشرق فحجّ، وسمع من علماء مكة. كان شيخا حليما طاهرا ديّنا؛ توفي بمرشانَة سنة 384هـ/994م[168]. قال عنه ابن الفرضي: "حَدّثَ بِقُرطُبة، سمعت منه"[169].

- **من جيان:**

-**الخشني محمد بن عبد السلام**: محمد بن الحارث بن أسد الخشني القيرواني ثم الأندلسي، من أهل كورة جَيَّان، المكنى أبو عبد الله، مؤرخ من الفقهاء الحفّاظ. انتقل إلى قرطبة صغيرا فتعلم بها، وألف للحكم كتبا كثيرة. كان خَيِّرا دَيِّنا، بصيرا بكلام العرب؛ له تأليف في شرح الحديث؛ توفي نحو 366هـ/976م[170].

ب-تلاميذه: طَبَقَت السمعة العلمية لابن الفرضي الآفاق، وبلغت أخبار رحلاته العلمية الكثيرة الأصقاع والبقاع، فكان يأتيه الطلبة والتلاميذ من كل فجّ لينهلوا من علمه ويغرفوا منه. وقد جادت علينا كتب التراجم والإخباريين بذِكر ثلّة منهم، ممّن تتلمذ له ولقيه وسمع منه، ولعلّ من أبرزهم:

- **ابن عبد البرّ**: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر، من كِبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب، صاحب التصانيف الفائقة؛ مولده بقرطبة في شهر ربيع الآخر سنة 368هـ/978م. له رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيّها، ولي قضاء

166- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص420، ترجمة: 751.

167- **مرشانة:** بالفتح ثم السكون، وشين معجمة، مدينة بكورة إشبيلية ومن أعمال قرمونة بالأندلس. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص542. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص107.

168- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص453، ترجمة: 804. الضبي، بغية الملتمس، ص ص483-484، ترجمة: 1050.

169- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص453، ترجمة: 804.

170- تقدم التعريف به ابتداء من الهامش رقم: 283 إلى الهامش رقم: 295 من الفصل الثاني.

لشبونة وشنترين[171]. توفي بشاطبة[172] في ربيع الثاني 463هـ/جانفي 1017م؛ من مؤلفاته: الاستيعاب، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وغيرهما[173]. حدّث عن شيخه ابن الفرضي وصاحبه قديما، ونقل عنه معظم رواياته وشعره، وأجاز له نقل مؤلفاته وروايتها[174].

- **أبو عبد الله الخولاني:** محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن غلبون، أبو عبد الله الخولانيّ القرطبي. كان معنيا بالحديث وجمعه، وتقييده، ثقة ثبتا ديّنا. توفي بإشبيلية في ذي الحجة 448هـ/فيفري 1057م، وهو ابن ستٍّ وسبعين سنة[175].

- **مصعب بن عبد الله بن محمد بن يوسف أبو بكر:** يعرف بابن الفرضي -ابنه- أديب محدث أخباري شاعر، ولي الحكم بالجُزيرة، وأصله من قرطبة. كان فاضلا روى عن أبيه أبي الوليد؛ وكان حيّا قبل سنة 440هـ/1048م[176]. ومن اللطائف التي يحسُن بنا ذكرها هنا، هو أن مصعب تتلمذ رفقة أبيه عند الشيخ أحمد ابن عبد الله بن عبد البصير الجذامي (ت388هـ/998م)[177]، حيث ذكر ذلك ابن الفرضي في "تاريخ علماء الأندلس" حين ترجم لشيخه المذكور، فقال:" وكَتَبْنا عنه كثيرا، وأجاز لي ولابني مصعب جميع ما رواه"[178].

171- **شَنْتَرِينُ:** كلمتان مركبة من شنت ورين، وهي مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة غربي الأندلس ثم غربي قرطبة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوما، وبينها وبين باجة أربعة أيام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص367.

172- **شَاطِبَةُ:** مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص309.

173- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص302. الحميدي، جذوة المقتبس، ص586، ترجمة: 874. الضبي، بغية الملتمس، ص ص659-661، ترجمة: 1447. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج2، ص ص310-312، ترجمة: 1431. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص ص367-370. ترجمة: 19. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص ص153-163، ترجمة: 85. مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص176، ترجمة: 373. الزركلي، الأعلام، ج8، ص240.

174- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج2، ص ص310-312، ترجمة: 1431.

175- المصدر نفسه مج2، ص ص185-186، ترجمة: 1114. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج9، ص716، ترجمة: 291. سير أعلام النبلاء، ج18، ص21، ترجمة: 14.

176- الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص563-564، ترجمة: 828. الضبي، بغية الملتمس، ص ص631-632، ترجمة: 1383.

177- تقدمت ترجمته في الهامش 132 من هذا الفصل.

178- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص119، ترجمة: 187.

- **أبو محمد بن حزم:** علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام؛ مولده 384هـ/994م، ووفاته سنة456هـ/1064م[179]. ويعدّ ابن حزم من تلاميذ ابن الفرضي المَهَرَة، حيث كان ابن حزم يذكره في حديثه دائما بلفظ "شيخنا القاضي أبي الوليد" عند حديثه عن كتابه[180] "المؤتلف والمختلف"[181].

- **عبد الرحمن بن يوسف بن نصر:** الرفاء، من أهل قرطبة يكنى أبا المطرف؛ روى عن أبي الوليد ابن الفرضي وغيره. عني بالحديث ونَقْله، وروايته وضبطه، وكتب بخطه علما كثيرا ورواه، وكان حسن الخط، جيد الضبط، ثقة فيما رواه وقيده[182].

- **محمد بن أحمد بن محمد بن حسن:** بن إسحاق بن عبد اللَّه بن إِسحاق بن مهلب ابن جعفر، من أَهْل قرطبة، وأصله من شذونة؛ يكنى أبا بكر. وقد عدّه ابن الأبار في "تكملته" من تلاميذ ابن الفرضي فقال: "روى عن أبي عبد اللَّه بن الفرضي، وسمع كثيرا واختص به، ورَأَيتُ له سماعا منه"[183]. كان من أهل الكتابة والبلاغة، ضابطا مُقَيِّدا، شديد العناية بالرواية، وله تعليق على تاريخ ابن الفرضي؛ تُوفِّي فِي حُدُود 450هـ/1058م[184].

3/رحلاته في طلب العلم:

نشأ ابن الفرضي منذ نعومة أظافره محبّا للعلم والعلماء، مقبلا على الاستزادة من كافة فروع المعرفة، وساعده في ذلك كلّه اهتمام والده بالعلم، فكان ذلك سببا كافيا ليشق طريقه نحو التعلم والتعليم[185].

179- تقدمت ترجمته في الهامش: 414 من الفصل الثاني. وعن مظان ترجمته ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص ص453-455، ترجمة: 1208. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص ص184-212، ترجمة: 99. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص325-329، ترجمة: 448. الزركلي، ج4، ص254. كحالة، معجم المؤلفين، ج7، ص16. الصادقي العماري، التراجم والسير الذاتية في التراث العربي الإسلامي، ص ص128-130.

180- تقدم الحديث عن كتاب ابن الفرضي في الفصل الثاني ص ص200-202.

181- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2، ص180.

182- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص338، ترجمة: 653.

183- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص315، ترجمة: 1111.

184- المصدر نفسه، ج1، ص315، ترجمة: 1111.

185- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص498.

وبالرغم من قصر مدّة ملازمته لوالده الذي توفي وتركه ابن أربع عشرة ربيعا، فقد حصّل قدرا طيّبا من العلوم، ترك له فسحة كبيرة لإكمال مسيرته العلمية، وخوض معركة الاستزادة من بحر العلوم والمعرفة بكل تفان واقتدار، خاصة بعد رحيل السند الأول له؛ والده[186].

وقد بدأت الرحلة العلمية لابن الفرضي في قرطبة، أيام كان يتروي لسماع دروس يحيى ابن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى اللّيثي (تـ367هـ/978م)[187] سنة 366هـ/976م؛ يُستَشَفّ ذلك من قوله في ترجمته له: "اختَلَفتُ إليه في سماع حديث الموطأ سنة ست وستين وثلاث مائة...فتم لي سماعه منه، وسمعت منه كتاب التفسير لعبد الله بن نافع"[188].

وبعد هذا التاريخ، تحول ابن الفرضي إلى سماع دروس اللغة العربية، فسمع من محمد بن يحي بن عبد العزيز المعروف بابن الخزّاز[189] سنة 368هـ/978م مدّة عام كامل حتى وفاته سنة 369هـ/979م؛ يُفهم ذلك من قوله في معرض ترجمته له: "وكان عالما بالنحو، فصيحا"[190].

وخلال هاته السنة التي صادفت وفاة شيخه الخزّاز، بدأ رحلة سماع العلم الشرعي من جديد بعد أن شغله عنه سماعه للنحو والعربية، فبدأ بسماع الحديث عن شيخه محمد بن أحمد ابن محمد بن يحي بن مفرج[191] حتى وفاته في 11 رجب 380هـ/04 أكتوبر 990م. وقد كان ابن مفرج هذا؛ على حدّ قول تلميذه ابن الفرضي حافظا للحديث عالما به، بصيرا بالرجال، وأجاز له جميع ما رواه عنه[192].

186- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص498.

187- تقدمت ترجمته في الهامش 69 من هذا الفصل.

188- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص919، ترجمة: 1595.

189- **محمد بن يحي بن عبد العزيز (تـ الأحد 07شوال369هـ/26 أفريل980م):** المعروف بابن الخَزّاز، من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله. كان عالما بالنحو فصيحا، وولي الصلاة بقرطبة، وتصرف في خطة القضاء بمدينة طليطلة وباجة؛ سمع منه النّاس أكثر روايته. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص752-753، ترجمة: 1323. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص160-161، ترجمة: 166، وفيه اسمه الخزّاز. الضبي، بغية الملتمس، ص187، ترجمة: 316، وفيه اسمه الخزّاز. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، 313، ترجمة: 340. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص ص262-263، ترجمة: 488.

190- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص753، ترجمة: 1323.

191- تقدمت ترجمته في الهامش 117 من هذا الفصل.

192- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص770-773، ترجمة: 1358.

وبعد وفاة شيخه ابن مفرج، بقي ابن الفرضي في قرطبة ليسمع من علمائها وأساتيذها، ويُفهم من قوله في ترجمة محمد بن أحمد بن يحي البغدادي[193] "قال لي أبو الطيب: حَجَجْنَا سنة أربع وعشرين وثلاث مائة، وقَدِمْتُ مصر"[194]، أنه تمّ له السماع منه سنة 371هـ/981م. كما حاول أن يسمع من مسعود بن خيران[195] فلم يتمّ له المراد في ذلك، وهو ما أشار إليه في معرض ترجمته له حيث قال: "ولما انتقل إلى قرطبة، دخلنا عليه لِنَكْتُب من حديثه فوعدنا أن يتفرغ لذلك...فتُوفِّي وما علمتُ أن أحدا كتب عنه"[196].

وبعد رحلة السماع الأولى في قرطبة العامرة، وَلّى ابن الفرضي وجهه تجاه عدد من المدن الأندلسية ليستزيد من علوم مشايخها، خاصة وأن الرحلة في طلب العلم وقتذاك، كانت تكتسي طابعا مهما، بل وكانت مشهورة إلى حدّ كبير.

وفي هذا الصدد؛ يـــمّم شطر إشبيلية التي وصلها في شعبان 372هـــ/جانفي 983م، فسمع بها مدّة إقامته بين ظهرانييها من أبي محمد الباجي (تـــ27رمضان 378هـــ/08 جانفي 989هـــ)[197]، ثم عاد إلى قرطبة خلال العام نفسه، ليحضر جنازة شيخه خطاب بن مسلمة[198] في شوال 372هـــ/أفريل 983م، وبقي بها حتى سنة 373هـــ/989م.

وبعد هذا التاريخ، عاد ابن الفرضي إلى إشبيلية، التي لَحِقَ فيها بشيخه أبي محمد الباجي، وبذلك يكون قد رحل إليه رحلتين؛ الأولى سنة 373هـــ/983م، والثانية سنة 374هـــ/984م، وهو ما عبّر عنه في قوله: "وسمِعْتُ منه بقرطبة كثيرا، ثمّ رحلتُ إليه إلى إشبيليّة رحلتين؛ سنة

193- **محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبي بردة الشّافعي البَغدَادِيّ (تـــ373هـــ/983م):** يكنى أبا الطيب. كان من أعلم الناس بمذهب الشافعي، وأحسنهم قياما به، لم يصل إلى الأندلس أفهم منه بالمذهب؛ توفي بتاهرت. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص804-805، ترجمة: 1401. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص393، ترجمة: 115. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص38، ترجمة: 336، وقد جعل وفاته سنة 380هـــ/990م.

194- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص804، ترجمة: 1401.

195- **مَسْعُود بن خيْران:** من أهْلِ بَجَّانَة؛ يُكَنّى أبا القاسم، سكن قرطبة وبها وفاته يوم السبت 29 ذي الحجة 371هـــ/25 جوان 982م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص827-828، ترجمة: 1425.

196- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 828، ترجمة: 1425.

197- تقدمت ترجمته في الهامش 34 من هذا الفصل.

198- تقدّمت ترجمته في الهامش 162 من هذا الفصل.

ثلاث وسبعين، وسنة أربع وسبعين"[199]. وخلال تواجده بإشبيلية كذلك، لقي ابن الفرضي عام 373هـ/983م الشيخ أبو عبد الله محمد بن هشام[200] وسأله عن أشياء.

وبعد إشبيلية، غادر ابن الفرضي إلى مدينة شذونة خلال العام نفسه (373هـ/983م)، والتي لقي بها طود بن قاسم بن أبي الفتح الشذوني[201]، وهو ما عبرّ عنه في قوله: "كَتَب لي جُزْءًا من شِعْر أبيه في الزُّهْدِ، وقَرأهُ عَلَيَّ بِشَذُونة"[202].

وبعد شذونة، التحق ابن الفرضي بإستجة العام 374هـ/984م، حيث سمع بها من محمد بن محمد بن فتح بن نصر (ت374هـ/984م)[203]، وهارون بن بَنْجِ[204]، ثم عاد منها إلى قرطبة من العام نفسه. وخلال تواجده بقرطبة، شَهِدَ في 26 رجب 375هـ/12 ديسمبر985م جنازة يحي بن مالك بن عائذ[205]، إذ صرّح عن ذلك بنفسه فقال: "وشهدت غسله ودفنه"[206].

وخلال سنة 376هـ/985م، غادر قرطبة مرّة أخرى ليلتحق بحاضرة إلبيرة، التي قرأ بها تفسير القرآن ليحي بن سلام على يدي الشيخ علي بن عمر الخولاني (ت384هـ/994م)[207]،

199- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص413، ترجمة: 740.

200- **محمد بن هشام:** من أهل إشبيلية؛ يُكَنّى أبا عبد الله. كان شيخا طاهرا فَهِما، حافظا للرأي والشروط؛ تُوفِّيَ عقب شوال 374هـ/مارس 985م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص762-763، ترجمة: 1343. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص408، ترجمة: 181.

201- **طَوْد بن قاسم بن أبي الفَتْح:** من أهل شذُونة، يكنى أبا الحزم. كان يُنْسَب إلى الفقه، وله فضل وورع ظاهر حليما. تُوفِّي أول سنة 386هـ/جانفي 996م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص623، ترجمة: 624. الضبي، بغية الملتمس، ص424، ترجمة: 871.

202- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص623، ترجمة: 624.

203- تقدمت ترجمته في الهامش: 24 من هذا الفصل.

204- **هَارُون بن بَنْج بن عثمان بن هارُون:** من أهْلِ إستجة، يُكَنّى أبَا موسى. كان شيخا صالحا ثقة، معتنيا بالآثار، مشاركا في حفظ الرّأي وعقد الشروط؛ توفي ليلة الاثنين 21 جمادى الأولى 374هـ/20 أكتوبر 984م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص886، ترجمة: 1531. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص408، ترجمة: 183.

205- تقدّمت ترجمته في الهامش: 52 من هذا الفصل.

206- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص923، ترجمة: 1597.

207- تقدمت ترجمته في الهامش: 22 من هذا الفصل.

ليعود في العام نفسه إلى قرطبة لشهود جنازة خَلَصَةَ بن موسى بن عمران[208]، ليلة الاثنين 21 جمادى الأولى 376هـ/20 أكتوبر 984م، وهو ما ذكره في معرض ترجمته له فقال: "توفي رحمه الله ليلة الأربعاء لخمسٍ بقين من رجب سنة ست وسبعين وثلاث مائة...وشهدْتُ جنازته، ولا أعْلَمُني شَهِدْتُ أعظم حفلا منها"[209].

وبعد هذا التاريخ؛ عاد ابن الفرضي ليستقرّ في قرطبة، فأقام بها زهاء الثلاث سنوات؛ مِن سنة 377هـ/987م إلى سنة 380هـ/990م[210]. وبعدها وخلال سنة 381هـ/991م، شهد في شهر رمضان جنازة قاضي الجماعة بقرطبة[211]، الشيخ محمد بن يبقى زَرْب[212].

وفي هذه السنة كذلك؛ توجه إلى مدينة شذونة، فسمع بها من عتّاب بن هارون بن عتّاب الغافقي[213]، ولقي مُجاهد بن أصبغ بن حسان (ت382 أو 383هـ/992 أو 993م)[214] على طريق قرية وَرْكَرْ بين بجانة والمرية، وقرأ عليه كتاب الفقهاء وفساد الزمان، والناسخ

208- **خَلَصَة بن مُوسى بن عُمْران:** الرِّيّي الزَّاهد؛ يُكَنَّى أبا إسحاق، أصله من رَيَّة وسكن قرطبة. كان زاهدا فاضِلا، مشهورا بالفضل، بعيد الاسم في الخير؛ تُوفي ليلة الأربعاء 25 رجب 376هـ/30 نوفمبر 986م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص255، ترجمة: 420. الضبي، بغية الملتمس، ص364، ترجمة: 733.

209- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص255، ترجمة: 420.

210- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص286.

211- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص775-778، ترجمة: 1361.

212- **محمد بن يَبْقَى بن محمد بن زَرْب:** بن يزيد بن مَسْلَمة، قاضي الجماعة بقرطبة؛ يكنى أبا بكر؛ مولده الجمعة 08 رمضان 317هـ/15 أكتوبر 929م. كان أحفظ أهل زمانه للمسائل، على مذهب مالك وأصحابه؛ تولّى قضاء الجماعة بقرطبة يوم الخميس 26 جمادى الآخرة سنة 367هـ/08 فيفري 978م. تُوفِّي ليلة الأحد 12 رمضان 381هـ/22 نوفمبر 991م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص775-778، ترجمة: 1361. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص162-163، ترجمة: 170. عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص114. الضبي، بغية الملتمس، ص189، ترجمة: 326. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص529، ترجمة: 40. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص230، ترجمة: 57. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص: 84. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، 260، ترجمة: 481. ابن العماد، شذرات الذهب، ج4، ص429. الزركلي، الأعلام، ج7، ص135. كحالة، معجم المؤلفين، ج12، ص97.

213- **عتّاب بن هارون بن عتّاب بن بِشْر الغافِقيّ:** من أهل شذونة، يكنى أبا أيوب؛ مولده في ربيع الأول 311هـ/جوان 923. كان حافظا للرأي على مذهب مالك وأصحابه، حَسن النظر؛ توفّي ليلة السبت 26 شعبان 381هـ/07 نوفمبر 991م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص510-511، ترجمة: 886. عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص ص15-16. الضبي، بغية الملتمس، ص570، ترجمة: 1667. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص523، ترجمة: 26.

214- تقدمت ترجمته في الهامش 38 من هذا الفصل.

والمنسوخ[215]. كما كان كثير التردد على شيخه عبد السلام بن السمح الهواري[216] في مدينة الزهراء[217]، وقرأ عليه نوادر علي بن عبد العزيز، وكتب أخرى.

وبالإضافة إلى ذلك؛ تنقل ابن الفرضي بين مدن أندلسية عدّة، ومنها وادي الحجارة التي سمع بها من أيوب بن الحسين بن محمد بن أحمد المعروف بابن الطويل (ت382 أو 383هـ/992 أو993م)[218]، وكذا طليطلة التي لقي بها أبا المفرج عبدوس بن محمد (ت390هـ/1000م)[219] وسمع منه، وأجاز له جميع مروياته، وكتب له جزءا من حديثه بخطّه عن ثلة من شيوخ الأندلس[220].

كما التقى في بجانة بأبي عبد الله محمود بن حكم بن منذر الأسدي[221]، فأجاز له جميع رواياته. وفي قلسانة[222] كذلك؛ لقي أبو عمر يوسف بن محمد بن سليمان الهمداني (ت383هـ/993م)[223] وسمع منه وقرأ عليه كثيرا، وأجاز له جميع ما رواه[224].

215- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص856، ترجمة: 1466.

216- **عبد السّلام بن السّمْح بن نابِل:** الهوّاري، يكنى أبا سليمان، أصله من مَوْرُور؛ مولده سنة 303هـ/915م. رحل إلى المشرق وتردد هنالك مدة طويلة، وسكن اليمن. كان رجلا صالحا، حافظا لِمذهب الشّافعي حَسن القيام به، سكن المدينة الزهراء وبها تُوفّي بها يوم الثُلاثاء 12صفر 387هـ/24 فيفري 997م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص492-493، ترجمة: 855. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص611، ترجمة: 258.

217- **الزّهراء:** مدينة صغيرة قرب قرطبة بالأندلس، اختطّها عبد الرحمن الناصر سنة 325هـ/936م، وعملها متنَزَّها له، وأنفق في عمارتها من الأموال ما تجاوز فيه عن حدّ الإسراف. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص161.

218- تقدمت ترجمته في الهامش 65 من هذا الفصل.

219- تقدمت ترجمته في الهامش 62 من هذا الفصل.

220- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص 571-572، ترجمة: 1001.

221- **محمود بن حَكَم بن مُنْذر بن عبد الله بن محمد الأسَدي:** من أهل بَجّانة، يُكَنّى أبَا عبد الله. كان شَيْخَا صالحا، طَاهرا صَدُوقا، وكان مُقلا؛ تُوفِّيَ في شهر ربيع الآخر 394هـ/جانفي 1004م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص814، ترجمة: 1412. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص743، ترجمة: 137.

222- **قَلْسَانَةُ:** بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، وبعد الألف نون، وهي ناحية بالأندلس من أعمال شذونة، وهي مجمع نهر بيطة ونهر لكّة، بينها وبين شذونة أحد وعشرون فرسخا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص389. أي حوالي 101كلم (1 فرسخ يساوي 4,82 كم).

223- تقدمت ترجمته في الهامش 49 من هذا الفصل.

224- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص942، ترجمة: 1634.

وبعد أن طاف ابن الفرضي بالمدن والحواضر الأندلسية، طالبا للعلم ناهلا من شيوخا وأساتيذها، تاقت نفسه إلى الرحلة والحجّ، للسماع من علماء الحواضر الإسلامية الأخرى، فبدأ رحلة جديدة توجّه خلالها نـــحو المشرق سنة 382هـــ/992م، فحجّ وجالس العلماء والمشايخ وأخذ عنهم، ونهل العلم منهم[225].

وهناك بالمشرق؛ أخذ بمكة عن أبي يعقوب يوسف بن أحمد بن يوسف المكي، وأبي الحسن علي بن عبد الله بن جهضم، وأبي عبد الله أحمد بن عمر بن الزجاج القاضي. كما سمع بمصر عن أبي بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل المهندس، وأبي بكر الخطيبي، وأبي الفتح بن سيبخت، وأبي محمد الحسن بن إسماعيل الضراب وغيرهم[226]. ونظرا لشهرته، وحسن معشره، رغب فيه أهل مصر، فطلبوا منه الإقامة بينهم، فرفض وقال: "من المروءة التزاع إلى الوطن"[227]، وهو ما يدلّ على تعلقه بوطنه وحبه له.

ثم رحل لحاضرة القيروان؛ فلقي جمعا غفيرا من العلماء وسمع منهم؛ ولعل من أبرزهم أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن النفزي المعروف بابن أبي زيد الفقيه، وأبو الحسن علي بن محمد

225- ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج2، ص614. ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج5، ص330 وج6، ص229. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص396-399، ترجمة: 538. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج1، ص278، ترجمة: 539. الضبي، بغية الملتمس، ص433، ترجمة: 891. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص103، ترجمة: 38. ابن دحية، المطرب، ص132. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج9، ص59، ترجمة: 109. سير أعلام النبلاء، ج17، ص177، ترجمة: 101. تذكرة الحفاظ، ص1076، ترجمة: 981. العبر في خَبر مَن غَبر، ج2، ص206. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص286، ترجمة: 6413. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص452، ترجمة: 33. ابن حجر، تبصير المنتبه، ج3، ص1004. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص105، ترجمة: 351. ابن العماد، شذرات الذهب، مج5، ص20. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص419، ترجمة: 946. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص284. ابن قُطْلُوبُغَا الحنفي، الثقات، ج6، ص128، ترجمة: 6189. المقري، نفح الطيب، ج2، ص129، ترجمة: 72. حاجي خليفة، سلم الوصول، مج2، ص230، ترجمة: 2390.

226- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج1، ص278، ترجمة: 539. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص396-399، ترجمة: 538. وهؤلاء الأعلام، لم نعثر لهم على تراجم.

227- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص104.

ابن خلف المعروف بالقابسي[228]، وأبو جعفر أحمد بن دحمون، وأحمد بن نصر الداودي[229] وغيرهم[230].

وبعد رحلته المشرقية التي استمرت عامين، عاد ابن الفرضي أدراجه إلى موطنه الأم الأندلس أوائل سنة 384هـ/944م، وهو ما تدلّ عليه بعض التواريخ التي ذكرها وتشهد عليه. فقد أرّخ لوفاة مجاهد بن أصبغ[231] بقوله: "وتُوفِّي وأنا في المشرق سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين وثلاث مائة"[232]، وهذا التاريخ الذي ذكره هنا يدلّ قطعا أنه كان لايزال في المشرق إلى حدود سنة 383هـ/993م. بينما ذكر أنه حضر جنازة شيخه إسماعيل بن إسحاق[233] آخر شهر صفر 384هـ/مارس 994م، حيث قال: "توفي عفا الله عنه، ليلة السبت ودُفِن يوم السبت بعد صلاة العصر في مقبرة قريش، آخر يوم من صَفر سنة أربع وثمانين وثَلَاث مائة...وشَهِدْتُ جنازته وشهدها معنا أُلوف من المسلمين"[234].

ويشهد تاريخ هاته الجنازة بما لا يدع مجالا للشكّ، على عودة ابن الفرضي من المشرق إلى الأندلس في التاريخ المذكور، حيث قدِم عليه محمد بن أحمد الأموي (ت385هـ/995م)[235]، مهنّئا له بعودته من المشرق[236].

كما أن جلّ التواريخ التي أوردها ابن الفرضي في "تاريخه" لتدلّ دلالة واضحة، أنه استقرّ بعد عودته من المشرق بقرطبة وأقام بها. حيث أورد أنه حضر جنازة أصبغ بن عبد الله بن

228- **علي القابسي (324-403هـ/936-1012م):** علي بن محمد بن خلف المعافري المالكي، المعروف بابن القابسي، يكنى أبو الحسن. محدث حافظ، فقيه أصولي متكلم، رحل إلى المشرق، وتوفي بمدينة القيروان. من تصانيفه: الممهد في الفقه وأحكام الديانة. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج7، ص194. الزركلي، الأعلام، ج4، ص326.

229- **أحمد الأسدي (ت402هـ/1011م):** أحمد بن نصر الداودي الأسدي المالكي؛ أبو جعفر. محدث فقيه ومتكلم. سكن طرابلس الغرب، وتوفي بتلمسان. له: النامي في شرح الموطأ. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص194.

230- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج1، ص278، ترجمة: 539. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص396-399، ترجمة: 538؛ و لم نعثر على تراجم لأغلبهم.

231- تقدمت ترجمته في الهامش 38 من هذا الفصل.

232- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص856، ترجمة: 1466.

233- تقدمت ترجمته في الهامش 123 من هذا الفصل.

234- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص153-154، ترجمة: 219.

235- تقدمت ترجمته في الهامش 126 من هذا الفصل.

236- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص809، ترجمة: 1403.

مسرة[237] الذي توفي ليلة السبت 02 رمضان 388هـ/28 أوت 998م[238]، وذكر بأن يوم الجنازة "كان يوما كثير السماء، فلم يشهده كبير أحد"[239].

وفي السياق ذاته؛ أورد بأنه في يوم 27شوال 390هـ/30 سبتمبر 1000م؛ شهد وفاة عبد الرحمن بن صاعد[240]، ووفاة مسلمة بن محمد بن مسلمة الإيادي في شهر ذي الحجة 391هـ/1001م[241]. كما أنه سمع في قرطبة خلال سنة 393هـ/1003م من قاسم بن أحمد بن محمد بن أرفع رأسه[242]، وحضر جنازة محمد بن يحي بن برطال[243] ليلة الأحد 22 جمادى الآخرة 394هـ/17 فيفري 1004م[244]، فقال: "كانت جنازته عظيمة، مشهودة من طبقات الناس"[245].

وعليه؛ ورغم قصر عمر الرحلة العلمية التي ساقت ابن الفرضي إلى بلاد المشرق، والتي ابتدأها سنة 382هـ/992م، وانتهت مع أوائل 384هـ/944م، إلا أنها كانت رحلة مباركة

237- تقدمت ترجمته في الهامش 134 من هذا الفصل.

238- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص156-157، ترجمة: 257.

239- المصدر نفسه، ص157، ترجمة: 257.

240- **عبد الرّحمن بن محمد بن صَاعِد بن وَثيق:** من أهل قرطبة، يُكنّى أبا المُطَرِّف، ونَبِيهٌ من فقهائها. كان حليما أديبا، نَزِها عن المطامِع؛ وُلِّيَ قضاء شذونة. توفّي لَيْلَة الأحَد 27 شوال 390هـ/30 سبتمبر 1000م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص454، ترجمة: 806. عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص161. الضبي، بغية الملتمس، ص463، ترجمة: 983. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص664، ترجمة: 392.

241- **مَسْلَمة بن محمد بن مَسْلَمة:** بن محمد بن سعيد بن بُتريّ الأيادي، من أهل قرطبة يكنى أبا محمد. كان زاهدا فاضلا، متبتلا مجتهدا، ورعا كثير الجهاد. تُوفِّي ليلة الجمعة 24 ذي الحجة 391هـ/14نوفمبر 1001م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص825-826، ترجمة: 1422. الحميدي، جذوة المقتبس، ص551، ترجمة: 802. عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص14. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص708، ترجمة: 32.

242- **قَاسِم بن أحمد بن مُحَمَّد بن عُثمان بن عبَّاس:** المعْرُوف بابن أرْفَع رَأْسه، من أهل طليطلة وسكن قرطبة؛ يكنى أبا محمد؛ مولده سنة 314هـ/926م. اسْتَقْضَاه الحكم المستنصر على قضاء طليطلة، وَوُلّي قضاء بطليوس. توفي عشية يوم الإثنين 28 جمادى الآخرة 393هـ/29 أفريل 1003م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص620، ترجمة: 1081. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج8، ص729، ترجمة: 94. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص148، ترجمة:05.

243- تقدمت ترجمته في الهامش 159 من هذا الفصل.

244- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص794، ترجمة: 1388.

245- المصدر نفسه، ص794، ترجمة: 1388.

وموفقة، مقارنة بغيرها من رحلات الأندلسيين[246]، انصرف بعدها إلى قرطبة، وقد جمع علما كثيرا في شتى فنون العلم والمعرفة[247]، وهو الأمر الذي أكّده ابن بشكوال في "صلته" الذي أكّد بأن ابن الفرضي "كان جمّاعا للكتب، فجمع منها أكثر ما جمعه أحدٌ من عظماء البلد"[248].

وخلاصة القول، فإنّه بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه، اكتسب ابن الفرضي عِلما عظيما، وفقها وحديثا، جعلته يتبوأ المراتب العليا، ويُعرف بالموسوعية في مختلف العلوم.

4/-المناصب التي تقلّدها:

كان للمؤهلات العلمية التي حازها ابن الفرضي؛ مِن علم وثقافة كبيرة، عاملا هاما ومؤثّرا، أهّله لاعتلاء عديد المناصب التي تليق بمكانته العلمية التي تبوّأها في علوم شتّى، من فقه وحديث وتاريخ.

وبالرغم مِن هذا التميّز الذي عُرف به ابن الفرضي، إلا أنه وللأسف الشديد، فإننا نسجل حضورا باهتا للمصادر التاريخية وكتب الإخباريين، حول ذِكر التفاصيل الكافية عن المناصب التي تقلّدها، فهي لا تمدّنا بمعلومات غاية في الأهمية في هذا الصدد، سوى أنه وُلّي قراءة الكتب في عهد الدولة العامرية[249]، بل إنها لم تحدد لنا طبيعة هذا العمل، وَوَقْت توليته إياه، ولمن كان يقرأ الكتب، ونوعية الكتب التي كان يقرأها[250].

246- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص192.

247- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص278، ترجمة: 539.

248- ابن بشكوال، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، 1955، ص248، ترجمة: 571. ونود الإشارة والتنبيه في هذا المقام، أن العبارة التي أوردناها أعلاه لابن بشكوال، ساقطة من تحقيق شريف أبو العلا العدوي، وقد اعتمدنا تحقيق الحسيني هنا لتوثيق المعلومة فقط، وسيبقى اعتمادنا إلى نهاية الأطروحة على تحقيق العدوي، وسنعتمد تحقيق الحسيني متى دعت الضرورة لذلك فقط.

249- ابن بشكوال، كتاب الصلة (نسخة الحسيني)، ص248، ترجمة: 571. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص179. **والدولة العامرية:** يبدأ عهدها بتولي المنصور محمد بن أبي عامر أمر الوصاية على هشام بن الحكم سنة 368هـ/978م، وامتدّ حتى سنة 399هـ/1009م. ولتفاصيل وافية؛ ينظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ص533. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص179.

250- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص503.

وتجدر بنا الإشارة في هذا المقام، أنه وفي الفترة التي تدهورت فيها الأحوال أواخر الدولة العامرية، رحل ابن الفرضي عن قرطبة إلى بلنسية[251]، فاستقضاه محمد المهدي[252] عليها[253]. كما وَلِـيَ قضاء مدينة إستجة[254] خلال الفتنة القرطبية[255]، ورحل بعدها إلى قرطبة.

ورغم أن ابن الفرضي غلب عليه لقب القاضي بسبب توليه منصب القضاء ردحا يسيرا من الزمن، إلا أن الغالب عليه كان اشتغاله بالعلم وتحصيله وتعليمه، أكثر من تعلّقه بالمناصب والوظائف الإدارية، إذ عُرِف عنه اهتمامه الدائم بالتأليف والبحث، حيث استمر مشتغلا بهما بقية حياته.

251- **بلنسية:** في شرق الأندلس، كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي برّيّة بحرية ذات أشجار وأنهار، وتعرف بمدينة التراب. بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوما. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص97. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص490.

252- **المهدي:** هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، آلت إليه الخلافة صبيحة يوم الأربعاء 17 جمادى الآخرة سنة 399هـ/16 فيفري 1009م وتلقّب بالمهدي، وذلك بعد أن ثار على الخليفة هشام المؤيد وخلعه. بقي في منصبه حتى ربيع الأول سنة 400هـ/1009م، ثم تولى مرة ثانية آخر شوال سنة 400هـ/1009م، حتى شهر ذي الحجة من السنة نفسها. ينظر: ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج2، ص ص196-197. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ص634 وص642.

253- ابن بشكوال، كتاب الصلة (نسخة الحسيني)، ص248، ترجمة: 571. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص179. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص106. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص452. المقري، نفح الطيب، مج2، ص130. ابن العماد، شذرات الذهب، مج5، ص20. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: صالح محمد الخيمي، ص18.

254- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص104.

255- **الفتنة القرطبية:** هي فتنة أسقطت العامريين وأبعدتهم عن الحكم، وأدخلت الأندلس في دوامة من الأحداث الدامية، وبدأت أولى تفاصيلها عندما عبر عبد الرحمن بن المنصور إلى الثغور الشمالية غازيا في شهر جمادى الأولى 399هـ/جانفي 1009م، فثار محمد بن هشام بن عبد الجبار وتبعته العامة في قرطبة على الخليفة هشام المؤيد بالله وخلعوه، ونصّب محمد بن هشام بن عبد الجبار نفسه خليفة وتسمى بالمهدي، وذلك في صبيحة يوم الأربعاء 17 جمادى الآخرة سنة 399هـ/16 فيفري 1009م. لتفاصيل أكثر؛ ينظر: عمر بوخاري، الإمارات البربرية الصغرى في جنوب الأندلس وعلاقتهم بملوك الطوائف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، كنوز للنشر والتوزيع، 2012، ص40. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ص634 وص642. سليم حاج سعد: "**ابن حيان الأندلسي والفتنة القرطبية**"، مجلة البحوث والدراسات، دورية أكاديمية دولية تصدر عن جامعة حمّة لخضر بالوادي، ع15، السنة 10، شتاء 2013، ص ص316-318.

5/-أقوال العلماء فيه:

حصّل ابن الفرضي علما كثيرا، وجمع بين أشتات العلم والمعرفة والفنون، فعُرف بكونه ناقدا، فقيها، محدّثا، عالما بالعربية وغيرها من العلوم[256]. وقد أوردته كتب التراجم والإخباريين بصيغ تنمّ عن مدى علو كعبه وقيمته بين أقران عصره، فنعَتَهُ بعضها بالإمام المحدّث الحافظ الواسع الرواية، العالم الجامع لفنون العلم، المؤرخ الفصيح، الأديب الماهر. كما وصفته أخرى؛ بمؤرخ الأندلس، الفقيه العالم في جميع فنون العلم؛ في الحديث وعلم الرجال، وكان كلفًا بالرواية ورحل في طلبها، وتبحّر في المعارف بسببها مع حظ من الأدب كثير، واختصاص بنَظْمٍ منه ونثير، فكان حافظا من الثقات[257].

وقد حظي بتقدير جمّ من العلماء؛ مِن أقرانه ومعاصريه وحتى مَن جاء بعده، فوصفوه بأبهى الأوصاف، وذكروه بجميل الصفات، ما أكسبه مكانة سامية، وحظوة عالية. فقد حلاّه تلميذه أبو عمر ابن عبد البرّ (تـ 463هـ/1017م)[258] فقال: "كان فقيها عالما في جميع فنون العلم في الحديث، وعلم الرجال. وله تواليف حسان، وكان صاحبي ونظيري، أخذت معه عن أكثر شيوخه، وأدرك من الشيوخ ما لم أدركه أنا...صَحِبْتُه قديما وحديثا. وكان حسن الصحبة والمعاشرة، حسن اللقاء"[259].

وحدّث عنه أبو عبد الله الخولاني (تـ448هـ/1057م)[260] فامتدحه قائلا: " كان من أهل العلم، جليلا ومقدما في الآداب، نبيلا مشهورا بذلك. سمع بالأندلس ورحل إلى الشيوخ في البلدان وسمع منهم، وكتب عنهم. ثم توجه إلى المشرق فطلب الحديث، وعني بالعلم وكان قائما به، نافذا فيه"[261].

256- عُلا كمال كامل الشيخ، منهج الإمام عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي(تـ403هـ) في نقد الرجال دراسة تطبيقية على كتابه تاريخ علماء الأندلس، أطروحة ماجستير في الحديث الشريف وعلومه، إشراف: أحمد إدريس عودة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، 2018، ص20.

257- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص288-289.

258- تقدمت ترجمته في الهامش 173 من هذا الفصل.

259- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص279، ترجمة: 539.

260- تقدمت ترجمته في الهامش 175 من هذا الفصل.

261- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص279، ترجمة: 539.

كما وصفه ابن حيان (تـــ469هـــ/1076م) بأوصاف تليق بمقام العالم، فقال عنه: "الفقيه الرّاوِيَةُ الأديب الفصيح، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي... لم يُرَ مثله بقرطبة من سعة الرواية وحفظ الحديث ومعرفة الرجال، والافتنان في العلوم إلى الأدب البارع والفصاحة المطبوعة، قَلَّ ما كان يَلْحَنُ في جميع كلامه من غير حوشية مع حضور الشاهد والمثل... وكان جماعا للكتب، فجمع منها أكثر ما جمعه أحدٌ من عظماء البلد...وكان حسن الشعر والبلاغة والخط، وأخباره كثيرة رحمة الله"[262].

وفي السياق ذاته كذلك؛ أورد الحميدي (تـــ488هـــ) أنه كان: "كان حافظا متقنا، عالما ذا حظّ من الأدب وافر"[263]، وقال عنه الفتح ابن خاقان الإشبيلي (تـــ529هـــ): "كان حافظا عالما كَلِفا بالرَواية"[264]، ووصفه ابن بسام الشنتريني (تـــ542هـــ) بقوله: "شاعر مُقِلّ، هو في العلماء أَدْخَل منه في الشعراء، ولكنه حسن النظام، مقترن الكلام، رَحل ورُحل إليه، وأخذ وأُخذ عنه"[265].

وجريًا على سَنَن كُتّاب التراجم، وَصَفَه ابن بشكوال (تـــ578هـــ) وابن العماد الحنبلي (تـــ1089هـــ) بـــ "الحافظ"[266]، وقال عنه ابن خلّكان (تـــ681هـــ): "كان فقيها عالما في فنون من العلم؛ الحديث وعلم الرجال، والأدب البارع وغير ذلك"[267].

وفيه كذلك؛ قال الذهبي (تـــ748هـــ): "الإمام الحافظ، البارع الثقة"[268]، وقال الصفدي (تـــ764هـــ) وابن فرحون (تـــ799هـــ): "الحافظ، مؤلف تاريخ الأندلس، كان فقيها عالما في جميع فنون العلم"[269].

262- ابن بشكوال، كتاب الصلة، (نسخة الحسيني)، ص248، ترجمة: 571.

263- الحميدي، جذوة المقتبس، ص396، ترجمة: 538.

264- ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص284.

265- ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج2، ص614.

266- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص279، ترجمة: 539. ابن العماد، شذرات الذهب، مج5، ص20.

267- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص105، ترجمة: 351.

268- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص177، ترجمة: 101.

269- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص286، ترجمة: 6413. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص452، ترجمة: 33.

كما أطراه ابن كثير (701-774هـ) بقوله: "علاّمة زمانه"[270]، وقال عنه ابن ناصر الدين (ت842هـ): "الحافظ، مؤرخ الأندلس"[271]. وذكر فيه ابن حجر (ت852هـ) كلاما عجيبا فقال: "جَهله ابن القطّان وهو عجيب، فهو أبو الوليد بن الفرضي الحافظ الكبير، وليس ممن يجهله مثله"[272]، وقال عنه السيوطي (ت911هـ): "الحافظ الإمام الحجّة"[273].

6/-إنتاجه العلمي:

رغم أن ابن الفرضي لم يعمّر طويلا؛ إذ لم يَعش سوى اثنين وخمسين عاما، إلا أنه ترك عدّة مصنّفات، تشهد بالقيمة العلمية العالية له. وتتميز هاته المصنّفات بتنوعها، رغم أن المصادر التاريخية أهملت ذِكر معظمها، اللهم إلا النّزر اليسير منها، حيث لم يصلنا منها سوى عدد محدود، وبقيت المؤلفات الأخرى في حكم المفقود.

والواقف على تراث ابن الفرضي، يلمس أن هناك نوعين من مؤلفاته؛ منها ما هو محفوظ، ومنها ما هو مفقود.

أ-المؤلفات المفقودة:

- **المؤتلف والمختلف**: وهو مصنّف حديثيٌّ، خاص بتسمية الرجال[274]، ذَكَره الحميدي[275] والضبي[276] والذهبي[277]. كما وصفه ابن بشكوال بالمؤلَّف الحَسن وأثنى عليه في قوله: "وجمع في المؤتلف والمختلف كتابا حسنا"[278].

وقد أشار إليه تلميذه ابن حزم في "رسائله"، وذكَره ضمن كتب الأندلس في أسماء الرجال وأشاد به كثيرا، وعَقَد مقارنة بينه وبين عبد الغني الأزدي حافظ مصر[279] الذي بلغ بمصنَّفه كتابين فقط، وهو ما جعل ابن حزم يؤكّد تفوق ابن الفرضي في هذا المجال، إذْ

270- ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص18.

271- ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، وج6، ص229.

272- ابن حجر، لسان الميزان، ج4، ص591، ترجمة: 4451.

273- السيوطي، طبقات الحفاظ، ص419، ترجمة: 946.

274- تقدم التعريف بالكتاب بالتفصيل في الفصل الثاني من الأطروحة، ص ص200-202.

275- الحميدي، جذوة المقتبس، ص396، ترجمة: 538.

276- الضبي، بغية الملتمس، ص433، ترجمة: 891.

277- تذكرة الحفاظ، ص1077، ترجمة: 981.

278- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص279، ترجمة: 539.

279- تقدمت ترجمته في الهامش 415 من الفصل الثاني.

بلغ في مصنَّفه هذا نحو الثلاثين كتابا، وأنّه لم يُعْلَم مثله في فنّه البتّة[280]. غير أن ابن حزم عندما قدّم محتوى الكتاب، أخّر لفظة "المؤتلف" وقدّم لفظة "المختلف" في ذِكره لتسمية الكتاب[281].

- **مشتبه النسبة**: ورد الكتاب بهاته التسمية عند المصادر التي ترجمت لابن الفرضي، حيث اتفقت في معظمها على أنه "كتاب حسن". فقد أشار إليه كلّ من ابن بشكوال في "الصلة"[282]، والمقري في "النفح"[283]، والذهبي في "تذكرة الحفاظ"[284]، وابن خلكان في "الوفيات"[285].

وقد اتّفق كُتّاب التاريخ الأندلسي، على أن هذا الطِّرس هو في عداد المفقود، وعليه فمن الصعوبة تحديد محتواه، إلا أنه يمكن أن يكون موضوعه في المتشابه من أسماء الرجال ورواة الحديث وكُناهم وأنسابهم[286].

- **أخبار شعراء الأندلس**: وهو من التآليف المهمة لابن الفرضي[287]، إلا أنه لازال في عداد المفقود كذلك. وقد ذكره ابن بشكوال في "الصلة" فقال: "وجمع كتابا حفيلا في أخبار شعراء الأندلس"[288]. ووصفه الذهبي بأنه "تصنيف مفردٌ في شعراء الأندلس"[289]، وهو ما ذهب إليه ابن خلكان والمقري في مواضع كثيرة من "وفيات الأعيان"[290]، و"نفح الطيب"[291].

280- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2، ص180.

281- المصدر نفسه، ج2، ص180.

282- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص279، ترجمة: 539. ابن العماد، شذرات الذهب، مج5، ص20.

283- المقري، نفح الطيب، ج2، ص129، ترجمة: 72.

284- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص1077، ترجمة: 981.

285- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص105، ترجمة: 351.

286- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص240.

287- تقدم الحديث عنه في الفصل الثاني من الأطروحة ص155.

288- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص279، ترجمة: 539.

289- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص1077، ترجمة: 981.

290- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص105-106.

291- المقري، نفح الطيب، مج2، ص ص129-131.

ومن الممكن أن يكون هذا المؤلَّف، هو الذي أشار إليه ابن حيان وأثنى عليه، واعتمده في حديثه عن شعراء وأدباء الأندلس، مؤكدا أنه قرأ ذلك في كتاب ابن الفرضي المؤلّف في طبقات أهل الدولة والأدب بالأندلس، في أكثر من موضع من كتابه "المقتبس"[292]، إلا أنه كان يورده أحيانا باسم "كتاب في العلماء والأدباء"[293]، أو "كتاب في الأدباء والشعراء بالأندلس"[294].

وكتاب ابن الفرضي هذا؛ ومن خلال الإشارات الواردة عند ابن حيان في "المقتبس"، فإنه عني بالأدباء والشعراء وطبقاتهم وذِكر أخبارهم، كذِكره للشاعر حسن بن حسان الطائي الأندلسي المعروف بالسناط[295]، وهو لقب غلب عليه في مديح الناصر لدين الله (300-350هـ/912-961م)[296].

وقد ألّف رُشيد الدين محمد بن إبراهيم الوطواط[297]، رسالة سمّاها "دُرر الغرر في شعراء الأندلس"، وَصَل بها "تاريخ شعراء الأندلس" لابن الفرضي[298]، حيث جعله ذيلا على كتاب ابن الفرضي[299].

- **كتاب في النحويين**: وهو من المؤلفات المفقودة كذلك، إذ لم يصل إلينا شيء عنه، عدا ما ذكره ابن الفرضي في كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، وذلك في معرض حديثه عن عباس بن

292- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص ص33، 47، 63، 127، 157، 163، 166، 179.

293- المصدر نفسه، ص166.

294- ابن حيان، المقتبس، ج5، اعتنى بنشره: ب. شالميتا، ص44.

295- **الحسن بن حسّان السِّناط:** شاعر زمانه وواحد أوانه، اشتهر بقرطبة في مدح الْخليفة الناصر، وأصله من وادي الْحِجَارَة. ينظر: ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص37، ترجمة: 356.

296- ابن حيان، المقتبس، ج5، اعتنى بنشره: ب. شالميتا، ص ص43-44.

297- **محمد الوطواط (632-718هـ/1235-1318م):** محمد بن ابراهيم بن يحيى بن علي الأنصاري الكتبي، المعروف بالوطواط، أديب مؤرخ، عارف بالكتب. من آثاره: حواش على الكامل في التاريخ لابن الأثير، والدرر والغرر في شعراء الأندلس. ينظر: ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي (ت852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، السفر الثالث، بيروت: دار الجيل، 1993، ص298-299، ترجمة: 799. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص ص14-15، ترجمة: 269. كحالة، معجم المؤلفين، ج8، ص222.

298- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص272. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص ص27-28.

299- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص748 وج2، ص1430.

ناصح الثقفي الشاعر[300]، وهِجْرَتُه لسماع الحسن بن هانئ أبي نواس[301]، حيث قال: "وقد ذكَرْتُ الخَبَر بتمامه في كتابي المؤَلَّف في النَّحَويين"[302].

ويدلّ عنوان الكتاب، على أن ابن الفرضي كان من أهل الأدب واللغة، إذْ ليس بغريب عنه التأليف في مجال اللغة وطبقات النحويين، لأنه كان مـــمَّن عُرِف عنهم العناية باللغة وعلمائها، وهو الأمر الذي تؤكده التراجم الواردة بين طيّي كتابه "تاريخ علماء الأندلس". ورغم هاته المساهمة الـــمتميّزة لابن الفرضي في مجال اللغة وطبقات النحويين، فإننا نأسَفُ كثيرا للإعراض الذي لقيه مؤلَّف ابن الفرضي "كتاب في النحويين"، حيث لم نعثر على من اعتنى به من المؤرخين، ولا حتى أهل اللغة.

- **رياض الأنس في علماء الأندلس**: ذكره البغدادي في "هدية العارفين"[303].

- **رياض النفوس النقية في علماء ومشايخ إفريقية**: ذكره حاجي خليفة في "كشف الظنون"[304].

- **مسند ابن الفرضي**: جمعه شيخه محمد بن أحمد بن يحي بن مفرج (تـــ380هـــ/990م)[305]، وهو في عداد المفقود كذلك.

- **الإعلام بأعلام الأندلس من العلماء المتقنين والقراء والمحدثين المتقنين والفقهاء والندباء ومن قدمها من العرفاء والغرباء**: ذكره البغدادي في "هدية العارفين"[306].

300- **عبّاس بن ناصح الثّقَفي الشّاعر:** من أهل الجزيرة، يكنى أبا العلاء. أُخبِر عن الحسن بن هانئ وأُنْشِد بعض شعره، فقال لأجهدنّ في أن ألْقَى هذا الرّجل، ثم رحل إلى العِراق فلَقيه واستنْشَده. كان مِن أهل العلْم باللغة والعربية، وله حظ من الفقه والرِّواية، ولم تُشْهَر عنه لِغَلَبة الشعر عليه. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص504-505، ترجمة: 879. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص262، ترجمة: 206. عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص268. القِفطي، إنباه الرواة، ج2، ص365، ترجمة: 520. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص28، ترجمة: 1348.

301- **أَبُو نُوَاس (146-198هـــ/763-814م):** الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكميّ، شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز، ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد. قال عنه الإمام الشافعيّ: لولا مجون أبي نواس، لأخذت عنه العلم. ينظر: الهِجراني، قلادة النحر، مج2، ص325، ترجمة: 940. الزركلي، الأعلام، ج2، ص225. كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص300.

302- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص505، ترجمة: 879.

303- البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص449.

304- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص603. كحالة، معجم المؤلفين، ج6، ص146.

305- تقدمت ترجمته في الهامش 117 من هذا الفصل.

306- البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص449.

وتـــجدر الإشارة إلى أن هاته المؤلفات المذكورة في هاته الجزئية، والتي هي في عداد المفقود، منها ما ذكرته المصادر التي ترجمت لابن الفرضي، ومنها ما سكتت عنه.

ب-المؤلفات الموجودة: والتي حُقّقت ونُشرت وهي؛

- **كتاب الألقاب**: وهو مؤلَّفٌ منسوب لابن الفرضي، وقد أهملت ذكره جلّ المصادر التي ترجمت له، ولم تُشر إليه حتى إشارات عابرة. وقد طُبع هذا السِّفر النّفيس الذي وصل إلينا منتخَبا من أبي القاسم بن جيش الأندلسي ولم يكن كاملا[307]؛ أوّل مرة بتحقيق محمد زينهم عزب، ونُشر بدار الجيل ببيروت العام 1992م. ولعلّ الـــمطبوع منه يكون نسخة مختصرة عنه، نُسخت بمدينة بجاية سنة 561هـــ/1253هـــ[308].

وقد ذَكَرَ فيه ابن الفرضي، الألقاب التي عُرف بها بعض الـــمحدّثين، وعرّف بهم تعريفا مقتضبا وسطحيا في الغالب. كما أنه كان يكتفي فيه بذكر شيء من أساتيذهم وتلاميذهم، وجزءٍ من حديث مَرويٍّ لهم؛ وبذلك يكون هذا الطّرسُ مؤلَّفًا في علم الرجال[309].

وبين طيّي الكتاب، عرَض ابن الفرضي من اشتهر بلقبه دون اسمه ورتبهم على حروف المعجم، وذَكَر الألقاب ثم أسماء أصحابها، موضحا سبب إطلاق اللقب على صاحبه[310]. ومثال ذلك، قوله: "الأشعث بن قيس، اسمه معدي كرب، له صحبة، سمي الأشعث لشعث رأسه، وفد على النبيﷺ"[311].

- **كتاب تاريخ علماء الأندلس**: وهذا السِّفر العظيم، هو الذي اشتهر به ابن الفرضي، وبه طبقت شهرته الآفاق، وبلغ فيه النهاية والغاية من الحفل والإتقان[312].

307- ابن الفرضي (تـــ403هـــ)، الألقاب، انتخاب أبي القاسم بن جيش الأندلسي، تحقيق: محمد عبد الفتاح النحال، نشر دار الفاروق الحديثة للنشر والتوزيع.

308- ابن الفرضي (تـــ403هـــ)، الألقاب، تحقيق: محمد زينهم عزب، بيروت: دار الجيل، ط1، 1992، ص13. أحمدي اليزيدي، أبو الوليد ابن الفرضي القرطبي عرض لشيوخه ومروياته وتحقيق لكتابه الألقاب، ج2، المغرب: مطبوعات وزارة الأوقاف، المحمدية: مطبعة فضالة، 1995، ص186.

309- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص502.

310- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص243.

311- ابن الفرضي، الألقاب، (تحقيق: محمد زينهم عزب)، ص245.

312- سوف يأتي الحديث عنه بالتفصيل، في المبحث الثاني من هذا الفصل، ص258.

وخلاصة القول: وبعد هذا العرض اليسير لأهم إنجازات ابن الفرضي في حقل البحث والتدوين التاريخي، والتي أتت في معظمها خلال فترة زمنية وجيزة من حياته التي لم تزد عن اثنين وخمسين عاما؛ وجاءت متميزة وفريدة في بابها، إذا ما قورنت بمثيلاتها من آثار مؤرخي الأندلس خلال القرن الرابع الهجري (ق04هـ/10م).

ثم إن كثيرا من مؤلفات ابن الفرضي المفقودة، هي في الغالب ذات صلة وطيدة بالتاريخ، ونابعة من اهتمامات ابن الفرضي وعلومه وثقافته المتنوعة بين الفقه والحديث، وكذا من اهتماماته بالنحو واللغة، ثم موهبته وإبداعه الشعري، وهي صفات كلها أهّلته لِئَنْ يكون صاحب ثقافة موسوعية.

7/-وفاته:

عايش ابن الفرضي آخر حياته، أحداث الفتنة التي عصفت بالأندلس موفّى القرن الرابع الهجري (ق04هـ/10م) والسنوات الأولى من القرن الخامس الهجري (ق05هـ/11م)، وما انجرّ عنها من صراع مرير على السلطة، وتقاتل القرطبيين والبربر، وانتشار الفوضى في كافة أنحاء البلاد.

وفي ظلّ هاته الأحداث الدائرة، ترك ابن الفرضي منصب القضاء بإستجة، ورحل إلى قرطبة التي كان الصراع بها على أشدّه، حيث تغلّب البربر، وهُزم جيش محمد بن هشام المهدي[313] شرّ هزيمة، ونجح البربر في دخول قرطبة خلال وقعة قُنْتيش[314] في شهر ربيع الأول 400هـ/نوفمبر 1009م، وعاثوا فيها فسادا، فسَلبوا ونَهبوا، وأَحرقوا وقَتّلوا، وحُصدت صفوف الأندلسيين حصدا[315].

وجدير بالذكر؛ أن ابن الفرضي كان ممّن أُزهقت روحه في خضم هاته الأحداث الدائرة، حيث قُتل شهيدا رحمه الله[316]. وقد وقع اختلاف كبير حول تاريخ مقتله، حيث ذهب

313- تقدمت ترجمته في الهامش: 252 من هذا الفصل.

314- **قُنتيش:** اسم جبل عند وادي الحجارة من أعمال طليطلة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص402.

315- عن هذه الأحداث ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج1، ص43. ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج2، ص197. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، ص ص133-136.

316- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص503.

الحميدي إلى أنه توفي بعد هاته الموقعة سنة 400هـ/1009م، وقد تابعه في ذلك الضبي في "بُغيته"[317].

بينما ذهب ابن حيان حسب ما نقله عنه صاحب "الصلة"[318]، إلى أنّ وفاته كانت يوم الإثنين 06 شوال 403هـ/21 مارس 1013م عن عمر ناهز اثنين وخمسين عاما، وهو التاريخ الذي ذهب إليه ابن الأثير[319]، وقرّره دوزي[320]، ومحمود مكي في تحقيقه لكتاب "المقتبس" لابن حيان[321].

وأيّا كان التاريخ الذي لقي فيه ابن الفرضي ربّه، فقد بقي-رحمه الله-في داره ثلاثة أيام مقتولا، دون أن يعلم عنه أحدٌ شيئا في ظل الفتنة العارمة التي كانت تعصف بقرطبة، حتّى تغيّر ريحه وعُلمت وفاته. فدُفِن من غير تغسيل ولا تكفين ولا صلاة بمقبرة مومرة، بعد أيام من مقتله[322].

ولقد كان ابن الفرضي في حياته يسأل الله الشهادة، وذلك عند تأديته لفريضة الحج الأكبر، وقد أجاب الله دعاءه. وفي هذا الصدد قال الحميدي: "أخبرني أبو محمد علي بن أحمد، قال: أخبرني أبو الوليد بن الفرضي، قال: تعلقت بأستار الكعبة وسألت الله الشهادة، ثم انحرفت وفكّرت في هول القتل فندمتُ، وهَمَمْتُ أنْ أرجع فأستقيل الله ذلك فاستحييت"[323].

وذكر الحميدي كذلك؛ نقلا عمّن رأى ابن الفرضي بين القتلى يوم قُتل، "فَدَنَا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف، وهو في آخر رمق: لا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، والله أعلم بِـمَنْ

317- الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص396-399، ترجمة: 538. الضبي، بغية الملتمس، ص433، ترجمة: 891.

318- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص280، ترجمة: 539.

319- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص567.

320- رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، الجزء الثاني: إسبانيا الإسلامية، ترجمة وتعليق وتقديم: حسن حبشي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1994، ص185.

321- ابن حيان، المقتبس (علي مكي، دار الكتاب العربي، ط1، 1973)، ص31.

322- الحميدي، جذوة المقتبس، ص397، ترجمة: 538. الضبي، بغية الملتمس، ص433، ترجمة: 891. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص286، ترجمة: 6413. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص452، ترجمة: 33. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص18. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص106، ترجمة: 351. ابن العماد، شذرات الذهب، مج5، ص20. المقري، نفح الطيب، ج2، ص130، ترجمة: 72. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص153، ترجمة: 297. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص271. دوزي، المسلمون في الأندلس، ج2، ص185.

323- الحميدي، جذوة المقتبس، ص397، ترجمة: 538.

يُكْلَمُ في سبيله، إلَّا جَاءَ يومَ القيامَةِ وجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَماً[324]، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ الـــمِسْكِ[325]؛ كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك"[326].

المبحث الثاني: التعريف بكتاب تاريخ علماء الأندلس ومنهج ابن الفرضي في كتابة التراجم

1/-تسمية الكتاب:

يعدّ كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي، من ذخائر الأندلس الثقافية، وفرائدها النفيسة، ومن المدونات الرائدة في ميدان التاريخ والتراجم. وقد ترجَم فيه لأمراء وخلفاء بني أمية بالأندلس، ومَن نبغ من أهل الفقه والحديث، والأدب والرواية، منذ الفتح الإسلامي وحتى أواخر القرن الرابع الهجري (ق04هـــ/10م)، حيث بلغ مجموع تراجمه 1650 ترجمة.

ويبدو أن ثـــمّة اختلاف بين مَن ترجموا لابن الفرضي حول تسمية الكتاب، حيث تفرقوا في ذلك على عدّة أقوال في تسمية الكتاب، وهي:

- **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس:** وقد أورد هاته التسمية الحميدي وابن بسام[327].

- **تاريخ الأندلسيين:** وقد وسمه بهذا الاسم، كل من ياقوت الحموي[328] وابن العديم[329]، والذهبي في "سير أعلام النبلاء"[330].

324- **يثعَب دما:** يجري دمه كثرة. ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1988، ص1283.

325- متّفق عليه؛ رواه أبو هريرة. ينظر: الخطيب التبريزي، محمد بن عبد الله، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1979، ص ص1119-1120، حديث رقم: 3802. الألباني، صحيح الجامع الصغير، ص1283، حديث رقم: 7772.

326- الحميدي، جذوة المقتبس، ص397، ترجمة: 538.

327- المصدر نفسه، ص397، ترجمة: 538. ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج1، ص43.

328- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص770.

329- ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (تـــ660هـــ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج4، حققه وقدّم له: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ص1950.

330- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص178.

- **تاريخ الأندلس:** وقد وردت هاته التسمية عند ابن فرحون[331]، وابن العماد[332]، والصفدي[333]، والذهبي في موضع واحد في "تاريخ الإسلام"[334].

- **رجال الأندلس:** وقد أورد التسمية القاضي عياض في "المدارك"[335].

- **تاريخ الأندلس ورجالها:** ورد هذا العنوان عند ابن خير الإشبيلي في "فهرسته"[336]. كما أورده في موضع آخر من الفهرسة نفسها تحت تسمية "تاريخ علماء الأندلس" فقال: "جزء منتخب من تاريخ علماء الأندلس، تصنيف أبي الوليد ابن الفرضي، يتضمّن أسماء الحفّاظ للحديث الـــمعتنين بالسّنن، ومَن برع منهم في الأدب، ومَن مال إلى النّظر والاختيار وترك التّعليم؛ انتخابُ أبي عليّ الحسين بن محمد بن أحمد الغسّاني لنفسه، رِوايته عن أبي عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النّمري الحافظ، عن ابن الفرضي، حدّثني به أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر -رحمه الله-عنه"[337].

- **رياض الأنس في تاريخ علماء الأندلس:** وقد ذكره البغدادي في "هدية العارفين" بهذا الاسم[338].

- **الاحتفال في تراجم الرجال:** وردت هاته التسمية عند الإمام السخاوي، حيث قال عنه: "ولأبي الوليد ابن الفرضي الاحتفال في تراجم الرجال، يعني مِن أهله والواردين عليه، ابتدأه مِن أول المئة الثانية إلى آخر الأربع مئة"[339]. كما أورده ابن بشكوال تحت اسم

331- ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص452.
332- ابن العماد، شذرات الذهب، مج5، ص20.
333- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص286، ترجمة: 6413.
334- الذهبي، تاريخ الإسلام، مج9، ص59، ترجمة: 109.
335- عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص122.
336- فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص272، رقم: 385.
337- المصدر نفسه، ص ص274-275، رقم: 396.
338- البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص449.
339- السخاوي شمس الدين محمد عبد الرحمن (تـــ902هـــ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التوريخ، تحقيق: سالم بن غتر بن سالم الظفيري، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، 2017، ص399.

"الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء"[340]، إلا أنّه نَسَبَه للحسن بن محمد بن مفرّج المعافري المعروف بالقبشي[341].

- **تاريخ علماء الأندلس:** وقد ذَكر تسمية الكتاب هاته ابن بشكوال، حيث مدحه قائلا: "بلغ فيه النهاية، والغاية من الحفل والإتقان"[342]. وقد أورد الكتاب بهاته التسمية كذلك، كل من ابن خلكان[343] واليافعي[344]، وذلك في معرض الحديث عن مصنفات ابن الفرضي. وقد تابعهم في ذلك المقري التلمساني في "نفحه" فقال: "وله من التصانيف تاريخ علماء الأندلس، وقفت عليه بالمغرب، وهو بديع في بابه"[345].

ولعلّ التسمية الأخيرة للكتاب هي الراجحة، سَنَدُنا في ذلك هو أن هاته التسمية جاءت من طريق ابن عبد البرّ (تـــ463هـــ/1017م)[346] صديق ابن الفرضي وهو أدرى به. كما تبعه في ذلك ابن بشكوال، وابن خلكان، واليافعي، وربما يؤيّد ذلك كلّه ما ذكره المقري التلمساني مِن أنه وقف عليه بالمغرب.

ولذلك، لا شك في أن كل التسميات السالفة للكتاب، ربما قد تكون وصفا لمحتوى الكتاب، وليست عنوانا له، وهذا الأمر هو الذي حدا بمحقق الكتاب بشار عواد معروف بأن يقول بأن التسمية الراجحة للكتاب هي "تاريخ علماء الأندلس"، إذْ هو العنوان الأنسب للكتاب[347].

وربما يكون عدم تسمية المؤلِّف لكتابه، سببا في اختلاف تسميته، ولذلك اجتهد مَن وقف عليه بعده، في وضع العنوان المناسب له، حسب ما أورده ابن الفرضي في مقدّمته.

340- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص162، ترجمة: 295.

341- **الحسن بن محمد بن مفرج بن حماد بن الحسين المعافري:** يُعرف بالقبشي، من أهل قرطبة يكنى أبا بكر. جمع كتابا سماه بكتاب الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال في أخبار الخلفاء، والقضاة والفقهاء؛ مولده سنة 348هـــ/959م، وتوفي بعد 430هـــ/1038م. ينظر: ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص ص161-162، ترجمة: 295.

342- المصدر نفسه، مج1، ص279، ترجمة: 539.

343- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص105، ترجمة: 351.

344- اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص05.

345- المقري، نفح الطيب، مج2، ص129.

346- تقدمت ترجمته في الهامش 173 من هذا الفصل.

347- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (تحقيق بشار عواد)، مج1، ص ص15-17 من مقدمة التحقيق.

ويعدّ هذا السِّفر النّفيس، مِن أجلّ ما أُلِّف في بابه، حيث إنّ صاحبه قد "بلغ فيه النهاية، والغاية مِن الحفل والإتقان"، وهو ما جعله يتبوأ مكانة عالية، وقيمة علمية راسخة بين أقرانه من المؤرخين.

2/طبعات الكتاب:

طُبع "تاريخ العلماء في الأندلس" لابن الفرضي أكثر من مرّة، حيث نشره المستشرق الإسباني كوديرا (Francisco Codera 1836-1917) لأول مرة بمدريد سنة 1890 ثم سنة 1891، معتمدا على نسخة خطّية وحيدة، وسماه "تاريخ علماء الأندلس"[348].

وقد أعادت الدار المصرية للتأليف والترجمة نشره ضمن المكتبة الأندلسية سنة 1966، تحت اسم "تاريخ علماء الأندلس"، مع إضافة بعض التحسينات التي أهملتها الطبعة الأوروبية، كإضافة الهوامش والإحالات والتي أتت النسخة الأوروبية خالية منها، وكذا إيضاح الغموض وتصحيح الأخطاء التي جاءت فيها، إلا أن أغلب الكتاب بقي دون تصحيح، بعد صدوره في الطبعة المصرية[349].

وقد طُبع "تاريخ علماء الأندلس" محقّقا عدّة مرات، وقد أتت تلك الطبعات في معظمها متباينة، من حيث جودة التحقيق والتعامل مع النص ضبطا وتدقيقا. ومن هذه التحقيقات نذكر:

- **تحقيق السيد عزت عطار الحسيني:** طُبع لأول مرة سنة 1954 وأعيد طبعه طبعة ثانية سنة 1988م، ضمن سلسلة كتب من تراث الأندلس، وقد سمّاه "تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس". وقد جاءت هاته التسمية استنادا على ما ذكره الحميدي في "جذوة المقتبس"، وحاول ما أمكنه أن يصحح الأخطاء التي وقع فيها كوديرا (Codera Francisco). ورغم الجهد الطيب الذي بذله الحسيني في هذا التحقيق، إلا أنه وقع في أخطاء كثيرة، وتصحيفات وتحريفات واضحة، وعد ضبط دقيق وسليم لنص الكتاب[350].

- **تحقيق إبراهيم الأبياري:** الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1984، ثم الطبعة الثانية سنة 1988 ضمن المكتبة الأندلسية، حيث وسمه بـــ "تاريخ علماء الأندلس". وللأسف الشديد فإن

348- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (تحقيق بشار عواد)، مج1، ص19.

349- عُلا كمال كامل الشيخ، منهج الإمام عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي، ص29.

350- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (تحقيق بشار عواد)، مج1، ص ص15-20.

الأبياري لم يسلم كسابقيه من الوقوع في أخطاء عدّة مسّت النص المحقّق، إذ اعتراه التصحيف والتحريف والسّقْط، والأخطر ما في الأمر -كما أكّده بشار عواد معروف-أن النص المحقق للأبياري ما هو إلا عملية سرقة لطبعة السيد الحسيني[351].

- **تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي:** التي طبعت الكتاب محققا سنة 1997 بدار الكتب العلمية، وأسمته "تاريخ علماء الأندلس: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس"، وعلى ما يبدو فإنها حاولت الجميع بين الاسمين للخروج من الخلاف الحاصل في تسمية الكتاب[352].

وقد بذلت المحققة جهدها في مراجعة النصوص، وتصحيح ما أمكنها من أخطاء، معتمدة في ذلك على "جذوة المقتبس" للحميدي، و"بغية الملتمس" للضبي، و "الصلة" لابن بشكوال، والمقارنة بين الروايات الواردة فيها، ثم ترجيح ما بدا لها صوابا وصحيحا. ورغم ذلك، إلا أن تحقيقها جاء خاليا من الضبط والتعريف بالبلدان[353].

- **تحقيق بشار عواد معروف:** وقد صدر التحقيق سنة 2008 عن دار الغرب الإسلامي، ضمن سلسلة التراجم الأندلسية، وسماه "تاريخ علماء الأندلس". وقد بيّن المحقّق فيه، أنه قابل في عمله هذا بين النصّ المحقق على الأصل.

وللأمانة، فإذا هذا التحقيق، يعتبر عملا مميزا جدا مقارنة بما سبق ذِكره من التحقيقات، لـــخلوّه من الأخطاء والتصحيفات والتحريفات، بل إنه ضبط نص المخطوط ضبطا دقيقا، وقيّد الأسماء والأماكن والبلدان الأندلسية؛ على ما ذكره المحقق[354].

ولذلك؛ فإنه من الإنصاف القول بأن، تحقيق بشار عواد معروف لكتاب ابن الفرضي، يعتبر من أجود التحقيقات الصادرة إلى الآن؛ إن لم يكن أحسنها على الإطلاق، والذي نشره -كما سلف ذكره-ضمن سلسلة التراجم الأندلسية.

وللتوضيح أكثر؛ فإن عزت العطار الحسيني وإبراهيم الأبياري اعتمدا في تحقيقهما على الطبعة الأوروبية التي حققها كوديرا (Francisco Codera). بينما اعتمدت روحية عبد الرحمن السويفي في مراجعة نص المخطوط على المصادر التي نقلت عن ابن الفرضي (جذوة المقتبس،

351- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (تحقيق بشار عواد)، مج1، ص15.

352- حول هذا الخلاف، راجع ص261 من هذا الفصل.

353- عُلا كمال كامل الشيخ، منهج الإمام عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي، ص30.

354- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (تحقيق بشار عواد)، مج1، ص25.

بغية الملتمس، كتاب الصلة) وتصحيح روايات ابن الفرضي، وهاته العملية في حدّ ذاتها قاصرة وناقصة –إضافة لتحقيق الحسيني والأبياري–؛ لأنها أهملت مبدأ مهما في عملية التحقيق، وهي الحصول على النسخ الخطية الأصلية للمخطوط على مراتبها المتعارف عليها عند علماء التحقيق، وهي العملية التي وُفّق فيها بشار عواد معروف، فكان حصوله على النسخة الخطية الأصل لكتاب ابن الفرضي، مَدْعَاةً لتميّزه عن بقية التحقيقات، فضلا عن كونه قام بكل ما تقتضيه عملية التحقيق، من إخراج النص كما أراد له مؤلفه أو قريبا منه.

كما أن فكرة طباعة سلسلة التراجم الأندلسية، تقوم على مبدأ إعادة تحقيق جميع كتب التراجم الأندلسية، تحقيقا علميا قائما على أحدث طرق التحقيق العلمي الرصين، بدءا بتحصيل واستيعاب الأصول الخطية للمخطوطات، والمقابلة بينها، والإشارة إلى مناهجها والعناية بالنّاقلين منها على مرّ العصور، وضبط نصوصها، والتعليق عليها بما يُجليها، لتعمّ الفائدة منها وترجى عوائدها[355]، وهي أمور غابت عن كل التحقيقات المذكورة، إلا تحقيق بشار عواد الذي حصّلها كلها.

3/-دواعي تأليف الكتاب:

أورد ابن الفرضي أن السبب وراء تأليفه لكتابه "تاريخ علماء الأندلس"، يعود إلى رغبته في أن يجمع تراجم فقهاء وعلماء ورواة الأندلس في سِفر واحد. حيث أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه قائلا: "هذا كتابٌ جَمَعناه في فُقهاءِ الأندَلسِ وعُلمائهم ورُواتهم، وأهل العِنايةِ منهم؛ مُلخَّصاً على حَرف الـمُعْجَم؛ قَصْدُنا فيه قصْد الاختصار"[356].

وفي السياق ذاته، ذكر ابن الفرضي أنه نوى تأليف كتاب موعب على المدن، يشتمل على الأخبار والحكايات، ولكنه وعلى ما يظهر، أنه حال دون ذلك حوائل، فجمع هذا الكتاب مختصَرا، فقال: "إذْ كانتْ نِيَّتُنا قديما، أن نُؤلفَ في ذلك كتابا مُوعبا على الـمُدُن؛ يَشتمِلُ على الأخبارِ والحكاياتِ؛ ثُم عاقتْ عوائقُ عن بُلوغِ المُـراد فيه، فَجَمعنا هذا الكتابَ مُختصراً"[357].

355- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (تحقيق بشار عواد)، مج1، ص ص5-6.

356- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص23.

357- المصدر نفسه، ص23.

وقد بيّن ابن الفرضي غرضه من تأليفه للكتاب فقال: "وغَرَضُنا فيه ذِكر أسماء الرجال وكُناهم وأنسابِهم، ومَن كان يَغلب عليه حِفْظُ الرَّأْي منهم، ومَن كان الحديث والرِّواية أمْلكَ به وأغلَبَ عليه؛ ومَن كانتْ له إلى الـمَـشرق رحلة وعَمّن رَوى، ومَن أجَلُّ مَن لقي، ومَن بلغ منهم مَبْلَغ الأخْذِ عنه، ومن كان يُشاوَرُ في الأحكام ويُستَفتى، ومَن وَلي منهم خُطَّةَ القضاء، ومِنَ الـمَولِد والوَفاةِ ما أمْكَنني على حسَبِ ما قَيَّدتُه"[358].

ويُفهم من كلام ابن الفرضي، أنه كان راضيا عمّا ألّفه وما بثّه في كتابه هذا، وأنه قد حقّق الكثير مما كان يطمح ويصبوا إليه ويتأمّله؛ يستشفّ ذلك من قوله في مدحه لابن الزامر القرطبي (320-369هـ/931-979م)[359]: "وقد رَأيت تَسْمية الرِّجال الذّين كَتَب عَنهُم بالأندلس والـمشرق، فكان عددهم زائدا على الأربعمائة، وقَلَّ ما كَتَبْتُ بالأندلس عن أحدٍ إلاّ وقَدْ كتَبَ عنْهُ"[360].

وقد صرّح بهذا الإعجاب في مقدمة كتابه قائلا: "ولم أزل مُهتَبلا[361] هذا الفن مُعتّنيا به، مُولَعا بجَمعه والبحث عنه، ومُساءلة الشيوخ عمَّا لم أعْلَمْ منه، حتى اجتمع لي من ذلك-بحمد الله وعونه-ما أمَلْتُه، وتَقَيَّد في كتابي هذا من التَّسمية ما لم أعلمْه، قُيِّدَ في كتابٍ أُلِّف في معناه في الأندَلُسِ قَبْلَه"[362].

وعليه؛ فقد كان هذا هو الباعث على تأليف ابن الفرضي لكتابه "تاريخ علماء الأندلس"، حسب ما أورده في مقدمته، إذ كانت الرغبة الذاتية في خدمة العلم وأهله، وجمع شتات فئة معيّنة من علماء الأندلس ومفكّريها، عاملا أساسيا في ذلك[363].

كما أنه لم تكون هناك دواعٍ ومؤثرات أخرى وراء هذا التأليف، ولا قَصَد أو رام من خلاله حصول حظوة سلطانية، بل كان هدفه أسمى، وغايته أغلى وأنبل. وهو بهذا الصنيع

358- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص23.

359-تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 405 من الفصل الثاني.

360- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص450-451.

361- في نسخة الأبياري "مهتما" والتصحيح من نسخة بشار عواد بشار معروف. **ومُهْتَبِلا:** مبتغيا؛ يقال: اهتبل الصيد، أي ابتغاه. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (تحقيق بشار عواد)، مج1، ص32، هامش: 01.

362- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص23.

363- السحيباني حمد بن صالح: **"مصادر الحافظ ابن الفرضي في كتابه تاريخ العلماء والرواة"**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المملكة العربية السعودية، ج12، ع19، 1420هـ، ص384.

والنهج القويم، خالف كثيرا من عادات العلماء والفقهاء قبله وبعده، ممن كان يرومون التأليف قصد التكسّب أو للحصول على منصبٍ، مثلما فَعَلَ شيخه الخشني (تـ361هـ/971م)[364] عندما ألّف كتابه "قضاة قرطبة" استجابة لأمر الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)، حينما كان وليا للعهد[365]. وكذلك صنع أبو بكر الزبيدي (316-379هـ/928-989م)[366] الذي ألّف كتابه المشهور "طبقات النحويين واللغويين"، نزولا عند رغبة الخليفة الحَكَم كذلك[367].

4/محتوى الكتاب:

ابتدأ ابن الفرضي كتابه بمقدّمة موجزة ومختصرة، استفتحها بالحمد والثناء على الله عزّ وجلّ، وثنّاها بالصلاة والصلاة على رسول اللهﷺ وآله والنبيين، ثم ذَكر ما يتعلّق بكتابه؛ موضوعا ومنهجا (الترتيب على الحروف مع الاختصار).

وقد ركّز على العناصر التي يذكرها في كل ترجمة، وموارده التي يستقصي منها معلوماته، وسؤاله العلماء عمّا لا يعرفه عن المترجَمين، ثمّ إنه وعد بالتقصّي والإطالة في كتاب آخر كان يزمع ترتيبه على البلدان.

وفي الإطار نفسه، أورد ابن الفرضي نُبذا مختصرة عن أمراء وخلفاء بني أمية بالأندلس، منذ عهد الداخل (138-172هـ/755م-788م) إلى وقته؛ عَهْدُ هشام المؤيد (366هـ-399هـ/976-1009م)[368].

كما أنه اقتصر في ذِكره للأمراء والخلفاء، على تاريخ الولادة والوفاة، وسنة توليهم الحكم ومدّتها. وقد علّل ذلك بقوله: "ولما رأيت كثيرا من الوفيات ترتبط بدول الملوك، لم أجد بدّا مِن ذِكرها في صدر هذا الكتاب، ليكون دليلا على ما تعلّق بها"[369].

364- تقدّمت ترجمته في الفصل الثاني من الأطروحة، ص175.

365- تقدم ذِكر ذلك في الفصل الثاني من الأطروحة، ص191.

366- تقدّمت ترجمته في الفصل الثاني من الأطروحة، ص155.

367- تقدم ذِكر ذلك في الفصل الثاني من الأطروحة، ص156.

368- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (تحقيق بشار عواد)، مج1، ص ص31-37. عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص510.

369- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص24.

ثم إن الغاية من ذكر هاته المقدمة التاريخية الخاصة بأمراء وخلفاء الأندلس، هي بمثابة مساعدة للقارئ على تحديد فترات حياة المُترجَم لهم الذين لم يستطع أن يقيّد تواريخ وفياتهم، فاكتفى بذكر عهد الإمام الذي عاش في عهده. وبالرجوع إلى هاته المقدمة المحدّدة زمنيا، يمكن للقارئ أن يحدّد زمن الشخصية المترجَم لها[370].

وقد بدأ ابن الفرضي، بعد المقدمة التاريخية التي أوردها، بتسجيل تراجم كتابه، فرتّبها على حروف المعجم (الألف والباء والتاء وهكذا حتى الياء)، مع ملاحظة خُلوّ باب حرف الظاء من التراجم، وتقديمه باب حرف الواو على باب حرف الهاء.

كما قسّم ابن الفرضي، الأبواب الرئيسة إلى أبواب فرعية، فمثلا ضَمّ حرفُ الألف عدّة أبواب هي: باب إبراهيم، باب أبان، باب أحمد، باب إدريس، باب إسحاق، باب أسد، باب أسامة، باب الأسعد، باب أصبغ، باب أفلح، باب أمية، باب أيوب.

وفي بعض الأحيان، كان يورد تراجم لأسماء متفرقات تبدأ بحرف الألف، فيجمعها في آخر الباب تحت عنوان: الأفراد في حرف الألف؛ وهكذا. كما أنه وفي حال ترجم لأشخاص غرباء قدموا من خارج الأندلس، وأقاموا بها، فيُترجِم لهم كلٌّ في باب تحت عنوان: الغرباء. وقد يُترجِم في نهاية الباب، لمن عُرف بكنيته[371].

هذا؛ وقد بلغت عدد التراجم في كتاب ابن الفرضي، 1650 ترجمة[372]. وقد وضّح لنا ابن الفرضي في مقدمة كتابه، الأصناف الذين ترجم لهم، من فقهاء الأندلس، وعلمائها ورواتها، وأهل العناية، فقال: "هذا كتابٌ جَمَعناه في فقهاءِ الأندلس وعلمائهم ورُواتهم، وأهل العناية منهم...وغَرَضُنا فيه ذِكْرُ أسـماءِ الرجال وكُناهم وأنسابِهم، ومن كان يَغلِبُ عليه حِفْظُ الرَّأْي منهم، ومَن كان الحديثُ والرِّوايةُ أَمْلَكَ به وأغلَبَ عليه، ومن كانت له إلى الـمَشرق رِحْلَةٌ وعَمّن رَوى، ومَن أجَلُّ مَن لَقِي، ومَن بَلَغ منهم مَبْلَغ الأخْذِ عنه، ومَن كان يُشاوَرُ في الأحكام ويُستَفتى، ومَن وَلِي منهم خُطَّةَ القضاء"[373].

370- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص329.

371- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص511.

372- يُلاحظ أن النسخة التي حققها عواد بشار معروف تحوي 1650 ترجمة، بينما حوت النسخة المحققة من السيد عطار الحسيني 1651 ترجمة، ثم النسخة المحققة من الأبياري التي حوت 1649 ترجمة.

373- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص23.

وخلاصة القول، فإن كتاب "تاريخ علماء الأندلس" اشتمل على تراجم لخلفاء وملوك الأندلس، وولاتها وعلمائها، ومَن تفوّق مِـــمَّن عاش في الأندلس أو رحل إليها؛ في الحديث والفقه والأدب، وكانت لهم آثار بين الناس، منذ الفتح الإسلامي، إلى نهاية القرن الرابع الهجري (ق04هـــ/10م).

5/-منهج ابن الفرضي في كتاب تاريخ علماء الأندلس:

5-1/**ترتيب التراجم:** يعدّ ترتيب المصنّفات التاريخية على السنين عادة جرى عليها كبار المؤرخين، وربما كانت هي الأنسب لذلك، لأن تتابع الحوادث التاريخية هو الذي يـــحتّم ترتيبها على النهج الحولي، أو على الحروف (حروف المعجم المشرقي أو حروف المعجم المغربي). وربما يكون ترتيب المصنفات التاريخية على نهج الحروف هو الأنسب للكتابة التراجمية، لأنه عند ترتيب المترجَم له بالحروف، تُذكَر أحداث حياته ومجرياتها عن طريق سنين حياته في مكانه دفعة واحدة، إما بالإجمال وهو الأكثر، أو التفصيل وهو القليل[374].

وكتب التراجم ترتب على عدة أنماط منها: حسب حروف المعجم؛ حسب العلوم؛ حسب الوفيات؛ حسب البلدان؛ وحسب الطبقات.

وعليه؛ فإن كُتب التراجم الخاصة، تُرتب في مجملها على الطبقات كما مرّ بنا[375]. وأما كُتب التراجم العامة، فتكون مرتبة على حروف المعجم؛ المشرقي أو المغربي[376].

وقد انقسم أصحاب كتب التراجم الأندلسية العامة، من حيث نمطية التأليف وترتيب التراجم إلى طائفتين:

374- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص53.

375- ومثال ذلك ما قام به محمد بن موسى بن هشام النحوي المعروف بالأُقشتين (ت307هـــ/919م) في كتابه "طبقات الكتاب بالأندلسّ"، الأندلسي عثمان بن ربيعة(تـــ310هـــ/922م)، الذي ألّف كتابا سمّاه "طبقات الشعراء بالأندلس"، وأبو داوود سليمان بن حسان بن جُلْجُل القرطبي (332-بعد 377هـــ/943-بعد 987م) الذي ألّف كتاب "طبقات الأطباء والـــحكماء"، وأبو بكر الزبيدي (316-379هـــ/928-989م) الذي ألّف كتاب "طبقات النحويين واللغويين". ينظر: الفصل الثاني من الأطروحة، ص156.

376- **حُرُوف أهل الْمشرق:** هِيَ ألف بَاء تَاء ثاء جيم حاء خاء ثمَّ تسرد متماثلين متماثلين إِلَى كَاف لَام مِيم نون هَاء وَاو لَام ألف يَاء وَبَعْضهمْ قدم الْوَاو على الْهَاء وَمِنْهُم الْجَوْهَرِي فِي صحاحه. وأما **حُرُوف المغاربة:** فَإِنَّهُم وافقوا المشارقة من أَولهَا إِلَى الزَّاي ثمَّ قَالُوا طاء ظاء كَاف لَام مِيم نون صَاد ضاد عين غين فَاء قَاف سين شين هَاء وَاو يَاء. وقد اختار الصفدي ترتيب المشارقة على أنه أحسن من ترتيب المغاربة. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص53. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص205.

الأولى: تأثرت بالمدرسة المشرقية منهجا وتخريجا، ومِن روادها: ابن الفرضي (تـــ403هـــ/1013م) في "تاريخ علماء الأندلس"، وابن بشكوال (تـــ578هـــ) في "كتاب الصلة"، وابن عبد الملك المراكشي(ت703هـــ/1303م) في "الذيل والتكملة"[377].

الثانية: رأت في نهج الأولى تقليدا، وأن الخروج منه ليس عنه محيدا، ونَأَتْ بنفسها استقلالا وتخليدا. ومن رواد هذا التوجه نذكر: ابن الأبار القضاعي البلنسي (تـــ658هـــ/1259م)، وابن فرتون (تـــ660هـــ/1262م)، وابن الزبير (ت708هـــ/1308م)، وابن الخطيب (776هـــ/1374م)[378].

وقد أشار إلى الاختلاف الحاصل بين الفئتين المذكورتين؛ ابن عبد الملك المراكشي في قوله: "إنّ الحافظَ أبا الوليد رحمه الله رتَّبَ أبواب كتابه على توالي حروف المعجم المعروف ببلاد المشرق...وتبعَه على ذلك الترتيبِ أبو القاسم ابن بشكوال في صلته تاريخَه...وخالَفَهم في ترتيبِ الحروف أبو عبد الله ابن الأبّار...وأبو العبّاس ابن فَرْتُون، ومُصلحُ كتابه ومكمِّلُه أبو جعفر ابنُ الزّبير، فرَتَّبوا أبوابَ كتُبِهم على نَسَقِ الحروف المعروف ببلاد المغرب"[379].

وأما ابن الفرضي؛ فقد بيّن النهج الذي اعتمده، والنمطية التي سار عليها في ترتيب تراجمه، من خلال ما ذكره في مقدّمة كتابه، حيث قال: "...مُلخَّصاً على حَرف الـــمُعْجَم؛ قَصْدُنا فيه قصْد الاختصار"[380].

بمعنى أنّه رتّب تراجمه على حروف المعجم المشرقي[381] مع الاختصار. حيث بدأ بحرف الألف وانتهى به إلى حرف الياء، وذكّر تحت كل حرف أسماء العلماء من أهل الأندلس، مُرتّبين في ذلك كلّه حسب الحرف الأول من الاسم فقط. كما في حرف الألف مثلا: بدأ بـــ

377- سيأتي الحديث عن هاته المصنّفات فيما سيأتي من مباحث الأطروحة.

378- سيأتي الحديث عن هاته المصنّفات فيما سيأتي من مباحث الأطروحة.

379- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص202-204.

380- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص23.

381- يمكن تفسير اعتماد ابن الفرضي على حروف المعجم المشرقي، بشدّة تأثير المدرسة المشرقية على الحياة الثقافية عموما، خاصة خلال الفترة التي عاشها ابن الفرضي، حيث شهدت الأندلس خلالها الكثير من الرحلات العلمية منها وإليها، وجُلبت معها الكثير من المصنّفات المشرقية. كما أنّ ابن الفرضي نفسه، كانت له رحلة إلى المشرق، درس خلاله على أيدي علمائه، ولا يُستبعد أن يكون قد وقف على عديد المؤلفات والكتب لعلماء المشرق هناك، وتأثّر بمناهجها.

"إبراهيم"، وانتهى بـــ "أيوب"، وهكذا. وقد كان هذا النمط الترتيبي الهجائي، هو السائد والمعمول به ليس في الأندلس فحسب، بل العالم الإسلامي ككل[382].

وبالإضافة إلى النمط المعجمي، اعتمد ابن الفرضي نمطا آخر، وهو الترتيب على السنين (تقادم الوفاة). وقد نبّه إلى هذا الأمر في ثاني ترجمة أوردها في كتابه، وهي لإبراهيم بن زرعة (تـــ212هـــ/827م)، حيث قال: "ولم أعرفْ له في الأندلس خبرا، وإنما قدَّمته لتقدُّم وفاتِه على ما نَحَوْنا إليه من السِّنين"[383]؛ أي سنوات الوفاة.

كما لم يلتزم ابن الفرضي كلّية بالنمطين معا، حيث نجده في النمط الأول "الحروف"، يقدّم حرف الواو على حرف الهاء، وهذا مخالف للترتيب الهجائي، إذ كان الأولى أن يتقدّم حرف الهاء على حرف الواو.

وأما النمط الثاني "السنين"، فنجده يقدّم مثلا إبراهيم بن يزيد (تـــ268هـــ/881م)[384]، على إبراهيم بن شعيب (تـــ265هـــ/878م)[385]، وهذا خلاف الأولى. على أنّ التزامه بالنمط الأول كان أكثر منه بالثاني[386].

وقد قسّم ابن الفرضي الحروف على أبواب فرعية (الأسماء)، فنجده مثلا قد ضمّن في حرف الألف عدّة أبواب فرعية منها: باب إبراهيم، باب أبان، باب أحمد، وهكذا حتى آخر باب[387].

كما أنه وفي أحايين كثيرة، كان يورد تراجم لأسماء متفرقة، تبدأ بحرف الألف، فيجمعها في آخر الباب تحت عنوان "الأفراد في حرف الألف"، وهكذا. والقصدُ بالأفراد هنا، هم مجموعة أشخاص لا يجمعهم اسم واحد، وإنما يجمعهم اشتراكهم في الحرف الأول من اسمهم في

382- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص53. متاجر صورية: "**الترتيب الهجائي وكيفيات استخدامه في الأندلس ما بين القرنين الثاني والرابع الهجريين**"، مجلة الحوار المتوسطي، تصدر عن مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة بلعباس، مج4، ع5، 2013، ص184.

383- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص34، ترجمة: 02.

384- عن ترجمته ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص34-35، ترجمة: 04.

385- عن ترجمته ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص35-36، ترجمة: 06.

386- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص329.

387- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص511.

الباب الذي يُترجِم له ابن الفرضي[388]. فمثلا قوله في حرف الألف: "أفرادٌ من الألف"[389]، وقد جمعهم في نهاية كل حرف تحت عنوان "الأفراد"، وهكذا فَعل في نهاية كلّ حرف، حيث اتبع في ترتيب أسمائهم؛ سنوات الوفاة.

كما كان ابن الفرضي، يضيف في بعض الأحيان عنوانا مستقلا نهايةَ كل حرف تحت عنوان "وممن عُرف بكنيته في هذا الحرف"[390]، فكان لا يرتبهم مع الأسماء، وإنما يُفرد لهم عنوان مستقلا.

وأما إذا وافق لديه وُرود حرفٍ لا أبواب فيه، فقد كان ينبه لذلك بقوله: "حرف الراء: أسماء مفردة"[391]، أو "حرف الكاف: أفراد"[392]، أو "حرف الضاد: وهو أفراد"[393]. كما أنه كان يورد الحرف فارغا من محتواه ليس تحته أبواب ولا أفراد، كما في حرف الظاء حيث أورده بقوله: "حرف الظاء: فارغ"[394].

وفي حال وُجد من المترجَمين، مَن قدم الأندلس وليس من أهلها، فإنه كان يُترجِم لهم في باب وضعه تحت عنوان: "الغرباء"، حيث وضع نهايةَ كل بابٍ قائمة بأسماء الغرباء في ذلك الباب إن وُجدوا[395].

وفي هذا الإطار، تشير بعض الدراسات التاريخية، أن ابن الفرضي قد ذهب في هذا مذهب ابن يونس المصري[396] في كتابه "تاريخ الغرباء"[397]، بإضافة الأجانب إِنْ كانوا

388- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص331.

389- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص166.

390- المصدر نفسه، ص320.

391- نفسه، ص267.

392- نفسه، ص623.

393- نفسه، ص357.

394- نفسه، ص365.

395- ومن أمثلة ذلك؛ ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص56 وص125 وص138 وص183 وص210.

396- ابن يونس عبد الرحمن بن أحمد المصري (281-347هـ/894-958م)، وقد تقدم التعريف به في الهامش: 134 من الفصل التمهيدي.

397- ويقصد بهم العلماء الذين لم يولدوا في مصر، ولكن أقاموا فيها ردحا من الزمن؛ ينظر: الصدفي، تاريخ ابن يونس، ج2، ص315.

موجودين بعد كل اسم[398]. بينما ترجّح دراسات أخرى، أنه قلّد أحمد الرازي (تـــ344هـــ/955م)[399] في ذلك[400].

وأما عن المنهج الذي اعتمده ابن الفرضي، في تقسيمه للأبواب التابعة لمختلف الأحرف، فالذي يظهر أنه ليس لديه منهج مـــحدد في ذلك، فنجده أحيانا يتبع ترتيب حروف المعجم في تقسيمه للأبواب في هذه الأحرف: الخاء، الزاي، الصاد، الغين، الفاء، الواو، الهاء، الياء. وأما في باقي الحروف، فإنه كان لا يعتمد منهج حروف المعجم ولا أي منهج آخر. ومثال ذلك، أنه كان في حرف الألف يقدّم باب إبراهيم على باب أبان، والأَوْلى حسب حروف المعجم أن يكون الثاني قبل الأول. بينما كان يعتمد على السنين في ترتيب الأسماء الواردة في الأبواب، ولكن ليس بشكل دقيق[401].

وقد ضمّن كتابه ترجمة لامرأتين من نساء الأندلس، هما: غَدا بنت عبد الله بن حمدون[402]، وفخر المعلّمة (تـــ317هـــ/929م)[403]، على أنه أدرجهما في سياق تراجمه، ولم يفردهما بباب مستقل، كما فعل مَن جاء بعده من كُتّاب التراجم.

5-2/ البناء الداخلي للتراجم:

5-2-1/-عناصر الترجمة:

بعد فراغه من ذِكر النمط الذي اعتمده في كتابه، شرع ابن الفرضي في بيان الأركان التي بَنَى عليها تراجمه، وقد حاول جُهده استجلاء ذلك. حيث يقول في هذا الإطار: "وغَرَضُنا فيه ذِكْر أسماء الرجال وكُناهم وأنسابهم، ومَن كان يَغلِب عليه حِفْظُ الرَّأْي منهم، ومَن كان الحديث والرِّواية أمْلكَ به وأغلَبَ عليه؛ ومَن كانت له إلى الـــمَـــشرق رحلة وعَمّن رَوى،

398- فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلي، دمشق: مؤسسة الرسالة، ط2، 1983، ص235، هامش: 86.

399- تقدم التعريف به في الفصل الأول، ص ص92-98.

400- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص331.

401- المرجع نفسه، ص331.

402- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص581، ترجمة: 1020.

403- المصدر نفسه، ص594، ترجمة: 1042.

ومَن أجَلُّ مَن لقي، ومَن بلغ منهم مَبْلَغ الأخْذ عنه، ومن كان يُشاوَرُ في الأحكام ويُستَفتى، ومَن وَلِي منهم خُطَّةَ القضاء، ومِنَ الـــمَولِد والوَفاةِ ما أمْكَنني على حسَبِ ما قَيَّدتُه"[404].

وعليه، فإن عناصر الترجمة التي أوردها ابن الفرضي في تراجم كتابه، هي كالتالي:

- **اسم المترجم له ونسبه:** كان ابن الفرضي يستهلّ تراجمه في الغالب، بذِكر اسم المترجَم له، ويُتبعه بسلسلة نسبه إنْ تـــَحَقّقها. وفي هذا الإطار، لابد من التأكيد على أن ابن الفرضي، قد تنوعّت أنساب المترجَمين الذين ذكرهم بين طيّي كتابه، حيث جاءت ما بين طويلة[405]، ومتوسطة[406]، ومختصرة[407]، وأحيانا كان يُسقط النسب جملة، كقوله: "إبراهيم الزاهد" فقط[408].

وقد أظهر ابن الفرضي اهتماما زائدا في النسب، فكان يسلسل نسب المترجَم له أحايين كثيرة، بغرض بيان أصل نسبه، خصوصا الخلفاء الذين ترجَم لهم في مستهلّ كتابه وغيره، سواء كانوا عربا أم بربرا، أو مَنْ كانوا من أصول إسبانية وعاشوا في كنف الأندلس، وكان لهم دور في الحياة العلمية، فما كان منه إلا أن قام بتقييدهم وأنسابهم في كتابه[409].

ومن أمثلة ذلك، قوله في معرض ترجمته لعبد الرحمن الداخل (138-172هـــ/755م-788م)[410]: "وهو عبد الرحمن بنُ معاويةَ بنِ هشامِ بن عبدِ الملكِ بنِ مروانِ بن الحَكمِ بن أبي العاص، بنِ أُميَّةَ بنِ عبدِ شَمسِ بنِ عبدِ مناف"[411].

404- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص23.

405- **التراجم الطويلة:** يصل النسب فيها إلى ما بعد الجدّ؛ ومثالها: إبراهيم بن حسين بن عاصم بن كعب بن بمحمد بن علقمة بن جناب بن مسلم بن عدي بن مرّة بن عوف الثقافي. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص34، ترجمة: 03.

406- **التراجم المتوسطة:** يمتدّ فيها النسب إلى الجدّ؛ مثل: "إبراهيم بن إسماعيل بن سهل". ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص41، ترجمة: 17.

407- **التراجم المختصرة:** كان يَكتفي فيها باسم المترجَم له واسم أبيه، مثل: إبراهيم بن زُرعة" و"إبراهيم بن شعيب" وإبراهيم بن خالد". ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص33، ترجمة: 2 وص ص35-36، ترجمة: 6-7.

408- المصدر نفسه، ص44، ترجمة: 22.

409- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص331.

410- تقدمت ترجمته في الهامش: 47 من الفصل الأول.

411- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص26.

وفي ذِكره للعلماء مِن العرب، كتب قائلا: "إسْماعيل بن إسْحَاق بن إبراهيم بن زِياد بن أَسْود بن زِياد بن نَافِع بن مُعَاوية بن عوف بن صَعْصَعة بن بكر بن هوزَان بن منْصُور بن عِكْرِمَة بن حفصة بن قَيس بن عَيلان بن مُضر، يُكَنَّى أبا القَاسِم ويُعْرَف بابنِ الطَّحَان"[412].

وعليه؛ فإن اهتمام ابن الفرضي بمسألة النسب، ظاهرة بجلاء ووضوح في كتابه "تاريخ علماء الأندلس".

كما كان يذكر أصل المترجَم له في بعض الأحيان، دون أن يسلسل نسبه أو حين إيراده للنسب، كأن يذكر القبيلة التي ينتمي إليها المترجَم له أو بلده، كقوله: التميمي، أو المصمودي، أو البغدادي، وغيرها. ومثال ذلك، قوله في ترجمة أحدهم: "أحمد بن الحسين بن محمد بن أسَد ابن محمدُ بن إبراهيم بن زيادِ بن كَعْب بن مالك التميمي"[413]؛ وقوله في ترجمة آخر: "إبراهيم ابن هارون بن خلَف بن عبدِ الكريم بن سعيد الـــمصْموديُّ؛ من البَرْبَر"[414]؛ وترجمته لثالث بقوله: "أحمد بن مُحمد بن هَارُون البَغْداديّ"[415].

وفي السياق ذاته؛ كان ابن الفرضي يهتم بصلة القربى، التي كانت تربط بين من يُترجِم لهم، وأمثلتها متعددة في الكتاب، ومنها قوله في ترجمة أحدهم: "أحمدُ بن محمدِ بنِ زياد، من أهل قرطبة يُكَنَّى أبا القاسم؛ سَمِعَ مِن عمّهِ أحمد بن زِياد"[416].

وأثناء ذِكره لسلسة النسب، كان ابن الفرضي يذكر الداخل من أجداد المترجَم له إلى الأندلس، ووقت ذلك، كقوله: "عَزير بن مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحمن بن عِيسَى بن عبد الواحِد بن صُبَيْح اللَّخْمِي، ودَخَل صُبَيْح معَ مُوسى بن نُصَيْر الأنْدَلُس"[417].

ولقد أولى ابن الفرضي كذلك؛ اهتماما بالولاء عقب ذِكره لسلسلة النسب، فكان يبيّن إن كان للشخص المترجَم له ولاءًا معيّن نحو شخص آخر، وغالبا ما كان الولاء ينحصر عنده

412- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص153، ترجمة: 219؛ ترجمته في الهامش 123 من هذا الفصل.

413- المتوفي تُوفِّيَ بقُرطبَة ليلة الجمعة؛ 03 محرم 390هـــ/15 ديسمبر 999م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 129، ترجمة: 203؛ وقد تقدمت ترجمته في الهامش 149 من هذا الفصل.

414- المتوفي سنة 360هـــ/970م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص50-51، ترجمة: 39.

415- المصدر نفسه، ص ص125-126، ترجمة: 199.

416- نفسه، ص94، ترجمة: 133.

417- نفسه، ص574، ترجمة: 1005.

في الأمراء والخلفاء الأمويين[418]، ومنه قوله: "أحمد بن محمد بن يعقوب بن داود مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام"[419].

وفي رحى مسألة الولاء، بيّن كذلك ما إذا كان الولاء لبني أمية أو لقوم آخرين، وبيّن نوعية الولاء الذي يربط الطرفين، إنْ كان "مولى عتاقة" أم "مولى نعمة"[420]. كما أشار إلى حالة المترجَم له، إنْ كان لا يزال مَوْلًى أو أُعتق[421]. وقد وردت في هذا أمثلة كثيرة، منها قوله: "سعدان بن إبراهيم بن عبد الوراث بن محمد بن زياد مولى الإمام عبد الرحمن بن معاوية وَلاءَ عتاقة"[422].

- **اسم الشهرة والكنية واللقب**: كان ابن الفرضي في العادة يَذكر في تراجمه اسم شهرة المترجَم له إن تيسّر له ذلك، وهو الأمر الذي حرص عليه كثيرا في تراجمه، حيث أورد ذلك بصور متعددة. ففي بعض الأحيان، نجده يذكر اسم الشهرة بعد ذِكر الاسم الأصل، ويثبت بعد ذكر الاسم عبارة: "ويُعرَف بـــ" أو "المعروف بـــ". وكان لا يكتفي بذكرها فقط، بل يبيّن سبب هاته التسمية التي اكتسبها صاحب الترجمة.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك، قوله: "محمد بن يحي السبئي، من أهل قرطبة يُكنّى أبا عبد الله، كان يُعرف بفطيس"[423]، وقوله: "محمد بن العباس بن وليد، المعروف بابن الحداد"[424]، وقوله: "محمد بن عبيد الله بن أيوب المعروف بالدبّاج...وكان يتعاطى عمل الديباج، فلذلك كان يُعرف بالدبّاج"[425].

418- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص331.

419- توفي سنة 335هـــ/946م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص82، ترجمة: 107.

420- **الولاء نوعان:** ولاء عتاقة ويسمى ولاء نعمة، وسببه الإعتاق. **وولاء الموالاة:** وسببه العقد الذي يجري بين اثنين. **والولي:** الصهر، وكل مَن ولي أمر واحد فهو وليه، ومنه: وليٌّ. ينظر: الشيخ قاسم القونويّ (تـــ978هـــ)، أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تحقيق: أحمد بن عبد الرحمن الكبيسي، جدة: دار الوفاء للنشر والتوزيع، ط1، 1986، ص262.

421- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص334.

422- توفي سنة 316هـــ/928م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص321، ترجمة: 541.

423- المصدر نفسه، ص ص629-631، ترجمة: 1094.

424- توفي سنة 294هـــ/916م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص656-657، ترجمة: 1144.

425- توفي سنة 317هـــ/929م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص684-685، ترجمة: 1197.

ولم يقتصر ابن الفرضي على ذكر اسم الشهرة في ذِكره لتراجمه، بل تعدّاه إلى آباء المترجَم لهم إنْ كان أحدهم ذا إسم شهرة، أو حتى شيوخه الذين سمع منهم، كقوله: "سَعْدَان ابن إبراهيم بن عَبْد الوَارِث بن مُحَمَّد بن زياد، مولى الإمام عبد الرحمن بن مُعاوية ولاء عَتَاقة، يُعرف: بابن الجُرز. والجرزُ هُو لَقَبٌ لإبراهيم، عُرِف به لِفَضْلِ قُوَّةٍ كانت فيه"[426].

كما كان ابن الفرضي، يذْكر لقب المترجَم له في بعض الأحيان، فيقول: "كان يُلقَّب بـــ"، أو "يُقال له". ومن أمثلة ذلك، قوله: "أحمدُ بنِ مُحَمد بنِ هَاشم بن خَلف بن عمرو بن سعيد بن عثمان بن سَلْمان بن سُليمان القيسي...يُكَنَّى أبا عُمر...وكان يُلقب بالقَاضِي لوقارِه"[427]. وقوله أيضا: "محمد بن عَبْد الرَّحمن بن مُحَمَّد بن كُليب...يُكَنَّى أبا عَبْد الله... وكان يلقَّب بغلام الله"[428]. وقوله كذلك: "خَلَفَ بن سُليمان بن عَمْرُون البَزَّاز، مَولَى إنعام لَبني أُميَّة... يُكَنَّى أبا القاسِم، ويُقال لَهُ: بُقَيْل"[429]. وقوله: "عيسى بن محمد بن عيسى بن أيوب المعروف بالبجّاني...ويقال له: عَيْسون"[430]؛ وهناك أمثلة أخرى كثيرة.

وبالإضافة إلى اسم الشهرة والكنية واللقب، اهتم ابن الفرضي كذلك بذِكر بعض الصفات الخُلُقية؛ حسنة أو مشينة لبعض الـــمُترجَمين، كقوله في معرض ترجمته لعبد الله بن محمد بن القاسم بن حَزْم بن خَلَف الثّغْريّ: "كان فقيها فاضلا، ديّنا ورعا، صليبا في الحق"[431]. وقوله في ترجمة محمد بن منبه: "وكان مِن أكذَب الناس"[432]. وأما في إيراده للصفات الخَلْقية، فكان يركز فيها على الصفات غير الطبيعية والملفتة للانتباه، كقوله: "كان أعور"[433] أو "أصمّ" أو "أعرج"[434].

426- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص321، ترجمة: 541.

427- توفي سنة 345هـــ/956م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص95-96، ترجمة: 136.

428- المصدر نفسه، ص675، ترجمة: 1177.

429- توفي 29 ذي القعدة 378هـــ/10 مارس 989م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص249-250، ترجمة: 414.

430- توفي سنة 355هـــ/966م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص561-562، ترجمة: 985.

431- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص419، ترجمة: 751؛ ترجمته في الهامش 165 من فصل3.

432-توفي في 11 ذي الحجة 388هـــ/04 ديمسبر998م. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص785، ترجمة: 1376.

433- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص124، ترجمة: 196.

434- المصدر نفسه، ص446، ترجمة: 789 وص639، ترجمة: 1111.

وفي السياق ذاته، لم يُهمل ابن الفرضي ذِكْر نوعية العلاقة التي كانت تربطه بالمترجَم له في كتابه، إنْ كان صديقًا أو شيخًا، أو حتى صديقا لوالده، فينبّه لذلك في معرض ذكره للشخص المترجَم له؛ ومنها قوله: "كتبت عنه"[435] و"قرأت عليه"[436] و"اختلفت إليه"[437].

كما كان يذكر الذين سمعوا معه من أصحابه، كقوله: "سمع معنا من أكثر شيوخنا"[438]، وإذا كان صاحبا له يقول: "صاحب لنا"[439] أو "كان لنا صديقا"[440].

- **مدينة المترجم له:** حرص ابن الفرضي على ذِكر اسم المدينة التي ينتمي إليها صاحب الترجمة[441]، ويبيّن إنْ كان سكنُه بها أصلا أم قدم عليها من مدينة أخرى. وإذا كان قد قدم من مكان آخر، فإنه يبيّن المكان الذي خرج منه، والمكان الذي هاجر إليه واستقر فيما بعد.

وقد كان الغالب على الهجرات الداخلية في الأندلس -وخاصة الهجرات العلمية-توجهها صوب قرطبة، حيث الازدهار الفكري، فنجده يقول: "أبانُ بن محمد بن دينار، مِن أهل طليطلة، سَكَن قرطبة"[442]. كما أنه كان لا يقتصر على الهجرات التي توجهت صوب قرطبة فقط، بل كان يذكر الهجرات الأخرى كذلك. وإذا كانت الهجرة من قرطبة مركز الإشعاع العلمي إلى غيرها من المدن الأندلسية، كان يقول: "أصله من قرطبة، سكن طليطلة"[443].

وقد وردت حالات قليلة جدا، لم يذكر فيها ابن الفرضي بلد المترجَم له، فكان يكتفي بذِكر أندلسية المترجَم له[444]، ويذكر مكان سكناه بدقّة[445].

435- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص303، ترجمة: 302.

436- المصدر نفسه، ص421، ترجمة: 752.

437- نفسه، ص920، ترجمة: 1595.

438- نفسه، ص311، ترجمة: 523.

439- نفسه، ص54، ترجمة: 49.

440- نفسه، ص176، ترجمة: 292.

441- فنسب البعض مثلا إلى إلبيرة (ترجمة: 1352-1354-928)، والبعض إلى قرطبة (ترجمة: 1316-1595).

442- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص58، ترجمة: 52.

443- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص336.

444- كقوله: "إبراهيم بن زرعة؛ أندلسي"، وقوله: "إبراهيم بن النعمان؛ أندلسي". ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص34، ترجمة: 02 وص39، ترجمة: 13.

445- كقوله: "حاتَم بن سليمان بن يوسف بن أبي مسلم الزُّهريّ، من أهل قرطبة كان يسكن منية الخَيّاطين". ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص198، ترجمة: 332.

- **مهنة المترجم له أو منصبه إن وجد:** كان ابن الفرضي، يورد في بعض الأحيان مهنة المترجَمين، مثل "خياط"[446] و"بوّاب" و"أمين في الزهراء"[447].

وأما المناصب العامة، فقد وَلي العلماء كثيرا منها، وقد أكثر ابن الفرضي من إيرادها في كتابه في تراجم العلماء، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: ولي أحكام الشرطة[448]، والسوق[449]، ومفتي السوق بقرطبة[450]، وكان مشاورا[451]، وأشرف على نفقات بناء جامع ريّة[452]، وولي أحكام القضاء[453]، وصاحب الصلاة[454]، وولي خطة الوزارة وأحكام المظالم[455]، والنظر في الأوقاف[456]، وصاحب المسائل والوثائق[457].

- **العلم الغالب على المترجم له:** من الأشياء الهامة التي دأب ابن الفرضي على ذكرها في معرض الترجمة لأعلام كتابه، علومهم وثقافاتهم حتى وإن تعددت مظاهرها، مع تركيزه على العِلْم الغالب عليه. ومن أمثلة ذلك، قوله: "أنه حافظ للفقه"[458]، أو "عالم بالمسائل والشروط"[459]، أو "مقدَّم في الفتيا"[460]، أو "كان متصرفا في ضروب العلم، متفننا في الآداب

446- كقوله: "كان إبراهيم الأندلسي خياطا". ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص44، ترجمة: 22.

447- كقوله: "وكان بواباً على باب الكامل وأميناً في الزّهراء". ينظر: المصدر نفسه، ص709، ترجمة: 1236.

448- كقوله: "سَعِيد بن أحْمد بن مُحَمَّد بن سَعِيد بن مُوسَى بن حُدير، منْ أهْل قُرْطُبَة يُكَنَّى أبا عُثْمان؛ وُلِّي أحْكام الشرطَة في صَدْر دَوْلة أمير المؤمنين المؤَيِّد بالله". ينظر: نفسه، ص313، ترجمة: 529.

449- كقوله: " إسماعيل بن بَدْر بن زياد...وُلِّيَ أحْكَامَ السُّوق". ينظر: نفسه، ص133، ترجمة: 214.

450- كقوله: "أحمدُ بن هِلَال بن زَيْد العَطَّار...وكان مفتياً في السوق بقُرطبة". ينظر: نفسه، ص101، ترجمة: 148.

451- كقوله: "إبراهيم بن يَزيد بن قُلْزُم...وكانَ مُشاوراً". ينظر: نفسه، ص35، ترجمة: 04.

452- كقوله: "إبراهيمُ بن هارونَ: من أهلِ رَيَّةَ...وهو أحدُ مَن جرَتْ على يديه نفقةُ الأميرِ محمدٍ رحمه الله في إقامةِ جامعِ رَيَّةَ". ينظر: نفسه، ص40، ترجمة: 15.

453- كقوله: "إبراهيم بن هارُون بن سهلٍ...وُلِّيَ أحكام القضاء بها". ينظر: نفسه، ص42، ترجمة: 20.

454- كقوله: "إبراهيمُ بن عُمَر الرُّعَيْنِيُّ، من أهلِ باجةَ...كان صاحبَ الصّلاة بها". ينظر: نفسه، ص46، ترجمة: 25.

455- كقوله: "أحمدُ بن محمدِ بن سَعيدٍ بنُ مُوسَى بنِ حُدَيرٍ...ووُلِّي خطة الوزارة وأحكام المظالم". ينظر: نفسه، ص87، ترجمة: 117.

456- كقوله: "محمد بن إبراهيم بن سَعِيد القيسي، من أهل قُرْطُبة...وكان محمد بن يحيى بن زكرياء أيام ولي القضاء قد قَدَّمه إلى النظر في الأوقاف". ينظر: نفسه، ص789، ترجمة: 1383.

457- كقوله: " أحمدُ بن حيّون...وكان صاحب مسائل ووثائق". ينظر: نفسه، ص104، ترجمة: 154.

458- نفسه، ص33، ترجمة: 01.

459- نفسه، ص35، ترجمة: 04.

460- نفسه، ص37، ترجمة: 10.

ورواية الأخبار، مشاركا في الفقه وعقد الشروط، بصيرا بالاحتجاج والكلام، نافذا في معاني الشعر وعلم العروض والتنجيم والطب"[461]. وأحيانا كان يكتفي بقوله: "إنه من أهل العلم"[462]، إلى غيرها من العبارات التي تدلّ على مختلف ثقافات وعلوم المترجَمين.

وبالإضافة لذلك، فقد كان ابن الفرضي يورد الكثير من العبارات الدالة على عبادة المترجَم له، وخلُقه، وعقيدته، كأن يقول: "زاهدا ورعا"[463] و"متعبّدا"[464]، و"يُنسب إلى اعتقاد محمد بن مسرة"[465]، و"كان منسوبا إلى الخير"[466]، و"من أهل الزهد والفضل"[467]، و"زاهد فاضل"[468]، و"عابد متبتل"[469]، و"على مذهب الاعتزال[470]"[471]، و"صالح صدوق متشدد على أهل البدع، صبور على الأذى"[472]، و"من أهل التصوف والسياحة"[473]. كما توجد عبارات كثيرة من هذا القبيل، ذكرها ابن الفرضي في تاريخه هذا.

461- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص913، ترجمة: 1578.

462- المصدر نفسه، ص35، ترجمة: 05.

463- نفسه، ص37، ترجمة: 10.

464- نفسه، ص38، ترجمة: 12.

465- نفسه، ص114، ترجمة: 179.

466- نفسه، ص73، ترجمة: 87.

467- نفسه، ص74، ترجمة: 89.

468- نفسه، ص80، ترجمة: 103.

469- نفسه، ص114، ترجمة، 180.

470- المعتزلة من الفرق التي ظهرت على مسرح الساحة العقدية والكلامية في العالم الإسلامي، حيث كان شغلها هو: "عرض موضوع علم الكلام في نسق مذهبي متكامل، حتى أصبحت قواعد علم الكلام في إطار الحدود التي وضعها رجالها". ينظر: محمد غزالي: "**المعتزلة وآراؤهم الفكرية والعقدية في بلاد المغرب من منتصف القرن 2هـ/8م-4هـ/10م**"، مجلة عصور الجديدة، العدد 21-22، 2016، ص: 167.

471- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص103، ترجمة: 152.

472- المصدر نفسه، ص115، ترجمة: 181.

473- نفسه، ص128، ترجمة: 202.

- **شيوخ المترجم له ورحلته:** عمد ابن الفرضي من خلال تراجمه، إلى ذِكر شيوخ المترجَم لهم. فكان يورد كثيرا منهم في بعض الأحيان[474]، أو ينصّ على القلّة منهم[475]، أو يغفل ذِكر البعض منهم[476].

كما اهتم كذلك؛ بذِكر رحلات المترجَم لهم، سواء بين مدن الأندلس وكورها، أو من الأندلس إلى المغرب وبلاد المشرق، وذِكر الشيوخ الذين تلقّى عليهم المترجَمون[477]. كما كان يذكر زمان ومكان هاته الرحلات، وفي بعض الأحيان يكتفي ببيان زمان الرحلة عامة، دون تحديد مكانها ولا تاريخها بدقة[478]. كما أنه كان في أحايين أخرى، لا يورد شيئا عن الرحلة[479]، بسبب أن المترجَم له ربما قد لا يكون قد غادر بلده، أو أن آثار الرحلة غير معلومة، ومادته عنها ضئيلة[480].

ومن بين العلماء المشهورين، أو ذوي القدر الكبير الذين ترجَم لهم ابن الفرضي في كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، وتوسّع في ذكر شيوخهم، ورحلاتهم؛ نجد:

بقي بن مخلد (201-276هـ/816-889م) حيث قال في ترجمته: "بقي بن مخلد منْ أهْلِ قرطبة؛ يُكَنَّى أبا عَبْد الرَّحمن. سَمِعَ من يَحيَى بن يَحيى، ورَحَل إلى المشْرق فَلقي إبراهِيم بن مُحمد الشَّافعي صَاحب ابن عُيَينَة وغيره. وسَمِع بإفريقيَّة مِن سحنُون بن سعيد وعون بن يوسف..."[481].

ونجد كذلك؛ محمد بن وضاح القرطبي (تـ287هـ/899م)، الذي ترجم له فقال: "محمد ابن وضاح بن بُزِيغ مولى الإمام عبد الرحمن بن مُعَاوية. من أهل قرطبة؛ يُكَنَّى أبَا عبد الله. رَوَى بالأنْدَلُس عن يحيى بن يحيى وغيره، ورحل إلى المشرق رحلتين إحداهما سنة 218هـ لقي

474- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص37، ترجمة: 10 وص ص42-43، ترجمة: 21 وص ص44-45، ترجمة: 23. وهاته التراجم، أورد فيها ابن الفرضي أكثر من أستاذين للمترجَم لهم.

475- المصدر نفسه، ص34، ترجمة: 03 وص36، ترجمة: 07 وص ص39-40، ترجمة: 14.

476- نفسه، ص33، ترجمة: 01.

477- نفسه، ص37، ترجمة: 10 وص ص40-41، ترجمة: 16 وص ص42-44، ترجمة: 21.

478- نفسه، ص34، ترجمة: 03.

479- نفسه، ص ص33-34، ترجمة: 02.

480- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص537.

481- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص169-172، ترجمة: 281.

فيها أحمد بن حنبل وغيره. ورحل رحلة ثانية، فسمع فيها من إسماعيل بن أبي أُوَيْس وغيره. وسمع بإفريقية من سحنون وغيره، وسعيد بن عَبْدُوس في جماعة كثيرة من البغداديّين، والمكّيين والشَّامِيّين، والمصريّين، والقرويّين. وعدّة الرجال الذين سمع منهم في الأمصار خمس وسبعون ومائة رجل...وبمحمد بن وضاح وبقي بن مخلد، صارت الأندلس دار حديث"[482].

- **تلاميذ المترجم له ومؤلفاته:**

لم يهتم ابن الفرضي في كتابه "تاريخ علماء الأندلس" بتلاميذ مترجَميه كثيرا، سواء كان ذلك خاصا بالأندلس[483] أو خارجها[484]. حتى إنه كان إذا أورد أحد التلاميذ، أورده بطريقة غير محددة[485]، كقوله عن الواحد منهم: "حدّث عنه الناس"[486]، و "قد حدّث"[487]، و "حدّث عنه الناس كثيرا"[488]، أو "حدّث عنه جماعة"[489].

كما أنه لم يهتمّ كثيرا بذِكر قائمة كتب الأشخاص المترجَم لهم، مع أنه كان يذكر في بعض الأحيان، ما إذا كان قد اطّلع على بعضها، ويبيّن إنْ كان للمترجَم له كذلك إسهام في الحركة الثقافية، كاختصار الكتب مثلا أو رواياتها وتدريسها، وكذا التعليق عليها[490].

وكان يذكر في بعض الأحيان، مصنّفات المترجَم له، كقوله مثلا في ترجمة يحي بن إبراهيم بن مُزين (ت259هـ/872م): "ألّف كُتبا حِسانا، منها كتاب تفسير الموطأ، وكتاب تسمية الرجال المذكورين فيه، وكتاب استقصى فيه علل الموطّأ سمّاه كتاب المستقصية، وكتاب في فضائل القرآن"[491].

482- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص650-653، ترجمة: 1134.

483- ومثال ذلك ما أورده في ترجمة إبراهيم بن نصر الجهني المتوفي سنة 287هـ/899م. ينظر: المصدر نفسه، ص ص40-41، ترجمة: 16.

484- كذِكْرِه تلاميذ المترجَمين في التراجم رقم: 01 و09. ينظر: نفسه، ص33، ترجمة: 01 وص37، ترجمة: 09.

485- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص537.

486- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص37، ترجمة: 10.

487- المصدر نفسه، ص38، ترجمة: 12.

488- نفسه، ص ص42-44، ترجمة: 21.

489- نفسه، ص ص913-914، ترجمة: 1579.

490- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص337.

491- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص901، ترجمة: 1556.

- **مولد المترجم له ووفاته:**

كان ابن الفرضي يَعمد إلى ذِكر تاريخي ميلاد المترجَم له ووفاته، في نهاية كل ترجمة.

فأما تاريخ الميلاد: فغالبا ما كان يَسأل أو يستفسر عنه من المترجَم نفسه إنْ معاصرا له، أو سؤال أحدٍ من أهل بيته. وفي ذلك، كان ابن الفرضي يستعمل عبارات مختلفة، كأن يقول: "مولده فيما بلغني يوم كذا، شهر كذا، سنة كذا"، أو "سألته عن تاريخ مولده فقال: ولدتُ سنة كذا، أو شهر كذا من سنة كذا".

ومثال ذلك، قوله في ترجمة عباس بن أصبغ (تـــ386هـــ/996م)[492]: "وسألته عن مولده، فقال لي: وُلدت سنة ستٍّ وثلاث مائة"[493]. وقوله في ترجمة حاتم بن عبد الله: "قال لنا: وُلدت سنة إحدى عشرة"[494]، وكقوله أيضا في ترجمة عبد العزيز بن حكم بن أحمد (تـــ387هـــ/996م): "قال لي: ولدتُ سنة عشر وثلاث مائة، أحسبه قال في شوال"[495].

وأما تاريخ الوفاة: فقد كان يتحرّى فيد الدقّة، حيث كان يحدّد اليوم وطرفه (في صبيحة اليوم، ظهيرة اليوم، أو في المساء)، والشهر (أوله وآخره)، والسنة، ويوم الدّفن ووقته، وكذا مكانه (اسم المقبرة التي دُفن بها)، وكان يزيد في بعض الأحيان، الأشخاص الذين صلّوا على الـــميّت. وبذلك؛ يكون ابن الفرضي قد أعطى لهذا الجانب من الترجمة اهتماما خاصا، فكان يوليه حرصا بالغا، ولا تكاد تخلو ترجمة مِن ذِكر وفاة صاحبها إلا نادرا.

ومثال ذلك، قوله عن وفاة عباس بن أصبغ: "وتُوفّي عفا الله عنه، يومَ الخَميس لخمسٍ خَلَوْن من ذي القعدة سنة ست وثمانين وثلاث مائة، ودُفن يومَ الجمعة بعدَ صلاة العَصْر في مَقْبَرة مُتْعَة وصلّى عليه إبراهِيم بن محمد الشرقيّ"[496]. وقوله كذلك في وفاة محمد بن وهب: "تُوفِّيَ رحمه الله، يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان، سنة إحدى وتسعين وثلاث مائة، ودُفِن يوم الأربعاء لصلاة العصر في مقبرة الرَّبض، وصَلّى عليه عبد العزيز بن أحمد ابن جهور، وكان أوصى إليه"[497].

492- تقدّم التعريف به وبفهرسته (فهرسة عباس ابن أصبغ) في الفصل الثاني من هذه الأطروحة، ص199.

493- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص508، ترجمة: 883.

494- المصدر نفسه، ص198، ترجمة: 334.

495- نفسه، ص473، ترجمة: 834.

496- نفسه، ص ص507-508، ترجمة: 883.

497- نفسه، ص879، ترجمة: 1520.

وفي حالة عدم قدرته على تحديد تاريخ الوفاة بدقّة من مصادره المعتمدة، كان ابن الفرضي يلجأ إلى تحديد العصر الذي توفي فيه المترجَم له، وذلك بتحديد زمن الإمام الحاكم الذي عاصره، وبذلك يسهُل عليه معرفة التاريخ، لأن وقت الحاكم الذي يذكرُه معروف، حيث وضع هو بنفسه مقدّمة تاريخية لكتابه، بيّن فيها عصر كل حاكم. وبتحديد أكثر دقّة من ذلك، قام بتحديد الفترة الدقيقة التي عاش بها الشخص المترجَم له في عصر الحاكم، كقوله: "توفي صدر أيام...ويذكر الحاكم"، أو "مات في أول أيام الأمير"، أو "توفي آخر أيام..." [498].

ومثال ذلك قوله في وفاة حسن بن يحي بن إبراهيم بن مُزين: "توفي رحمه الله في صدر أيام الأمير عبد الله بن محمد رحمه"[499]. وقوله في وفاة أحمد بن عبد الله بن خالد: "وتوفي رحمه الله بعد ثلاثة أعوام أو أربعة من أيام الأمير عبد الله"[500]، وقوله أيضا في وفاة إبراهيم بن عجنّس ابن أسباط الزيادي: "توفي إبراهيم بن عجنّسَ في أيام الأمير المنذر بن محمد"[501].

وفي حال عدم توفر المعلومات الكافية حول وفاة المترجَم له، كان ابن الفرضي يقتصر على ذِكر سنة الوفاة فقط، أو السنة والشهر. ومثال ذلك قوله في وفاة عبد الأعلى بن الليث: "وتوفي رحمه الله سنة خمس وسبعين ومائتين"[502].

وأما إذا لم يحصّل المعلومات الكافية عن الـــمُتوَفَّى من مصادره المعتمدة، فقد كان ابن الفرضي لا يذكر تاريخ الوفاة في ترجمة المتوفِّي. ومثال ذلك قوله في ترجمة عبد الأعلى بن معلى: "ولم أقف على تاريخ وفاته"[503].

وفي خضمّ التدقيق الذي كان يعتمده ابن الفرضي في حيثيات الوفاة، كان يذكر في بعض الأحيان سبب وفاة المترجَم له، فيذكر المرض الذي حلّ به قبل موته، كقول في وفاة عبد الله بن

498- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص339-340.
499- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص199، ترجمة: 335.
500- المصدر نفسه، ص63، ترجمة: 63.
501- نفسه، ص37، ترجمة: 09.
502- نفسه، ص476، ترجمة: 836.
503- نفسه، ص476، ترجمة: 837.

محمد بن زياد (تـــ389هـــ/998م): "أصابه الفالج وتوفي"[504]. وقوله في سبب وفاة أحمد بن بيطر(تـــ303هـــ/915م)، أنه "توفي في الطاعون"[505]، وغير ذلك من أسباب الوفاة غير الطبيعة.

كما كان يذكر أيضا، ما إذا كان المترجَم له المتوفّى قد خلّف عَقِبًا في مكان ما. ومثاله ما ذكره عن طيب الكناني في قوله: "ولطيب عقب بتدمير، يقال لهم بنو نعمان بن طيب"[506].

وعليه؛ فإن عدد تراجم كتاب ابن الفرضي "تاريخ علماء الأندلس" بلغ 1650 ترجمة، منها 1026 ترجمة ذَكر فيها تاريخ الوفاة بشكل صريح، و592 ترجمة لم يذكر فيها تاريخ الوفاة، و32 ترجمة ذكر فيها تاريخ الوفاة بتحديد عصر الحاكم[507].

ومجمل القول، فإن ابن الفرضي كان مهتما اهتماما بالغا في تدقيقه للحوادث والأخبار التي ذكرها بين طيّي سِفْره النفيس "تاريخ علماء الأندلس". ويمكن الوقوف على ذلك، من خلال إطلالة سريعة على محتوى الكتاب، الذي بلغ فيه قُصارى الجهد لذكر التواريخ الدقيقة، وخصوصا إذا كان الحديث قريبا مِن عصره، واستطاع مشاهدته أو الحصول على تفاصيله من مصادره.

فقد كان يحدّد تاريخ الوفاة بالسنة والشهر، واليوم والوقت من اليوم، ويوم الدّفن ووقته ومكانَه، وكذلك كان يفعل مع تاريخ الميلاد. وفي بعض الأحيان، كان يذكر عمر المترجَم له، وسنوات رحلته ومدّتها، وبعض التواريخ المتعلقة بحياته، كتاريخ تعيينه في بعض الوظائف ومدّتها.

5-2-2/-تراجم الكتاب بين الطول والقصر:

أشار ابن الفرضي في مقدّمة كتابه، أنه سيتبع أسلوب الاختصار في عرض مادة كتابه، حيث قال: "هذا كتابٌ جَمَعناه في فُقهاءِ الأندَلسِ وعُلمائهم ورُواتهم، وأهل العِنايةِ منهم؛ مُلخَّصاً على حَرف الـــمُعْجَم؛ قَصْدُنا فيه قصْد الاختصار"[508].

504- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص421، ترجمة: 752.

505- المصدر نفسه، ص70، ترجمة: 77.

506- نفسه، ص364، ترجمة: 625.

507- بلَغَتْ في النسخة التي حققها الأبياري 1649 ترجمة. وأما النسخة المعتمدة في هذا الإحصاء، فهي النسخة التي حققها بشار عوّاد معروف.

508- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص23.

كما أنه كان قد عزم تأليف كتاب يشتمل على الأخبار والحكايات، إلا أن ذلك لم يحصل لسبب مَا، وهو ما يُفهم من قوله: "إذْ كانتْ نيَّتُنا قديما، أن نُؤلفَ في ذلك كتابا مُوعِبا على الـــمُدُنِ؛ يَشتملُ على الأخبارِ والحكاياتِ؛ ثُم عاقتْ عوائقُ عن بُلوغِ المـُراد فيه، فَجَمعنا هذا الكتابَ مُختصراً"[509].

وقد جاء هذا السِّفر النفيس الموسوم بـــ "تاريخ علماء الأندلس" بديلا لِـــمَا كان ينوي تأليفه، رغم أن الأمل بقي يحدوه في أن يجمع كتابا يتقصّى فيه ما اختصره في الكتاب الأول من الحكايات والأخبار، حيث نبّه لذلك في قوله: "وأمَّلْنَا جَمع الكتابِ الذي تَقدَّمَ ذِكْرُه على البُلْدان، وتَقصي ما اختصرناه في كتابنا هذا من الحكايات والأخبار، إنْ تَأخَّرَتْ بِنا مُدّة، وصَحِبَتْنا مِن الله مَعُونة، ولا حول ولا قوة إلا بالله"[510].

وقد التزم ابن الفرضي، بوعده الذي قطعه على نفسه، في مقدّمة كتابه إلى حدّ بعيد. ذلك أن تراجمه أتت في مجملها قصيرة ومختصرة تـــماشيا والأصل الذي حدّه في مستهل سِفْره النّفيس، حيث إنها لم تكن لتتجاوز العشرة أسطر في الغالب، إلا ما نَدَرَ[511].

ومن مظاهر الاختصار في كتاب ابن الفرضي نذكر:

– أول ما ظهر من التزامه بوعده، أنه قام بحذف الأسانيد، وذلك في قوله: "وتَركنا تَكرارَ الأسانيدِ، مَخافةَ أنْ نَقعَ فيما رَغِبنا عنه من الإطالة، وبَيَّناها في صدْرِ الكتاب"[512]. وقد كفى نفسه مؤنة الحديث في ذلك بقوله: "فما كان في كتابنا هذا عن أحمدَ دُونَ أن نَنسُبَه، فهو أحمدُ ابن محمد بن عَبْدِ البَرَّ...وما كان فيه عن خالد، فهو خالدُ بن سَعد...وما كان فيه عن محمد دُونَ أن يُنْسَبَ، فهو محمدُ بن حارثٍ القرويُّ... وما كان فيه عن أبي سَعيد، فهو أبو سعيدٍ عبدُ الرحمن بنُ أحمدَ بن يُونُسَ"[513].

– وقد بان هذا الالتزام أيضا بجلاء، في إيراده لمقدّمة تاريخية ابتدأ بها مؤلَّفه، وجاءت على قدر كبير من الاختصار، فقال عنها: "فرَسمناهُ على المعنى الذي بَنينا عليه من الاخْتصار"[514].

509- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص23.

510- المصدر نفسه، ص25.

511- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص341.

512- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص23.

513- المصدر نفسه، ص ص23-24.

514- نفسه، ص25.

– ومن قَبيل الاختصار كذلك؛ لجأ ابن الفرضي إلى إحالة القارئ إلى كتاب آخر له، يبدو أنه لم يلجأ فيه لأسلوب الاختصار الذي اتبعه في كتابه هذا، وذلك توضيحا لما اختصره. ومثال ذلك قوله: "وقد ذكرت الخبرَ بتمامه، في كتابي المؤلَّف في النحويين"[515].

– ومن مظاهر الاختصار عن ابن الفرضي في كتابه هذا؛ حذفه لشيوخ وتلاميذ المترجَم لهم، في الكثير من التراجم الواردة فيه. ونتيجة لهذا النهج الذي حَذَاه ابن الفرضي، فقد أتت بعض مروياته غير واضحة وسطحية، لا تتجاوز السطر أو السطرين أو الثلاثة أسطر[516]. ومن رواياته التي جاءت مبهمة عصية الفهم، والتي لم يورد فيها أساب الوفاة، تماشيا مع أسلوبه الذي اعتمده في كتابه؛ قوله في ترجمة عَلْكَدَة بن نوح بن اليَسَع (تـــ237هـــ/851م): "أخْبَرَني بذلك عُبَيْد الله بن الْوَليد المُعَيْطي، وقالَ لي تُوفِّيَ في السجْن بقُرطبة، لقصة ذَكَرَها"[517].

وعليه؛ فإن الاختصار والإيجاز والقِصر، كانت هي السّمة البارزة الذي سادت في كتاب ابن الفرضي[518]، رغم وجود عدد من التراجم النادرة التي أتت سطحية جدا[519]، ثم تَلَتْها تراجم أخرى مطوّلة بعض الشيء، ذَكَر فيها تفاصيل شيوخ المترجَمين[520].

وفي الأخير، سرد لنا عددا محدودا من الرحلات المطوّلة، التي خاض فيها الحديث تفصيلا عن رحلات أصحابها إلى المشرق، فعدّدها بلدا تلوى الآخر، وحدّد الشيوخ الذين سمع منهم في كلّ بلدٍ بعينه، معرّجا على ذِكر جهودهم في نشر ونقل العلم ومصادره المشرقية إلى الأندلس

515– ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص505، ترجمة: 879.

516– راجع على سبيل المثال: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص36، ترجمة: 08 وص42، ترجمة: 18–19–20 وص46، ترجمة: 26 وص49، ترجمة: 34–35–36 وص641، ترجمة: 1114 وص949، ترجمة: 1649.

517– نفسه، ص576، ترجمة: 1009.

518– راجع على سبيل المثال: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص33، ترجمة: 01 وص ص34–35، ترجمة: 04 وص ص37–38، ترجمة: 10 وص ص45–46، ترجمة: 25.

519– راجع على سبيل المثال: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص131، ترجمة: 209 وص141، ترجمة: 225–226 وص ص213–214، ترجمة: 361؛ وغيرها من التراجم الأخرى.

520– راجع مثلا: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، وص ص42–43، ترجمة: 21 وص117، ترجمة: 184.

بعد رجوعهم إليها، وبيان ما خلّفوه من إنتاج علمي ومؤلفات في شتى فروع العلم[521]، إلى غير ذلك من محتوى التراجم المذكورة[522].

3-5/المظاهر الحضارية في كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي:

زاوج ابن الفرضي في نسج تفاصيل كتابه، بين سرد المعلومات التاريخية ذات الصلة بالمترجَمين (النسب، الكنية، البلد، المولد والوفاة، الأساتذة والتلاميذ)، وإبراز الجوانب الثقافية والاجتماعية المرتبطة بحياة الأعلام المترجَم لهم[523]. ومن الأمثلة التي يمكن أن تُساق في هذا الصدد، ترجمته للعلماء على اختلاف وتنوع فروع المعرفة، فترجم للنحاة والعروضيين[524] والشعراء[525]، ومَن لهم معرفة بالحديث وعِلله[526]، والأدباء[527]، وأهل الحديث ومعرفة الرجال[528]، وعلماء اللغة العربية[529]، والفرائض والحساب[530]، والقراءات[531]، والطب[532].

وبغرض تقديم تراجمه في أحسن حلّة، عمد ابن الفرضي إلى ذِكر كمّ هائل من التآليف المختلفة، موزّعة على مختلف ميادين العلم والمعرفة. فذكر مَالَه صلة بالعلوم اللغوية والنحوية[533]، والتفسير[534]، والحديث[535]، والزهد[536]، وأحكام القرآن[537].

521- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، على سبيل المثال: ترجمة بقي بن مخلد، ص ص169-172، رقم: 281. وحنش بن عبد الله، ص ص230-234، رقم: 389. وعبد الله بن مسرة، ص ص376-377، رقم: 650. وعبد الملك بن حبيب، ص ص459-463، رقم: 814. ومحمد بن وضاح، ص ص650-653، رقم: 1134.

522- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس، ج2، ص ص537-538.

523- المرجع نفسه، ج2، ص ص543-544.

524- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص82-83، ترجمة أحمد بن يوسف بن حجاج: 108.

525- المصدر نفسه، ص ص87-88، ترجمة أحمد بن محمد بن عبد ربه: 118.

526- نفسه، ص ص88-89، ترجمة أحمد بن محمد بن عبد البر: 120.

527- نفسه، ص ص95-96، ترجمة أحمد بن محمد بن هاشم بن خلف: 136.

528- نفسه، ص ص96-98، ترجمة أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفي: 140.

529- نفسه، ص ص208-209، ترجمة حسين بن ولد بن نصر: 354.

530- نفسه، ص ص211-212، ترجمة حسان بن عبد الله بن حسّان: 358.

531- نفسه، تاريخ علماء الأندلس، ص373، ترجمة عبد الله بن مسعود: 641.

532- نفسه، ص ص146-147، ترجمة أسد بن حيون رقم: 239.

533- ذكر ابن الفرضي الكثير من تآليف ابن القوطية في هذا الفنّ. ينظر: نفسه، ص ص747-749، ترجمة: 1316.

534- إبراهيم بن حسين بن خالد له: تفسير القرآن. ينظر: نفسه، ص33، ترجمة: 01.

535- نفسه، ص124، ترجمة: 196.

536- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص250-251، ترجمة: 415.

كما ذكر كذلك جملة من المؤلفات التاريخية، مثل: تاريخ مؤلف على الأمصار[538]، وكتاب في فقهاء وكتّاب وشعراء إلبيرة[539]، وطبقات الفقهاء والتابعين[540]، وكتاب عن تراجم فقهاء قرطبة[541]، وآخرُ في فقهاء رية[542]، وكتاب في رجال باجة[543]، وآخرُ في أخبار الأندلس[544].

وفي السياق ذاته، يحسُن بنا أن ننبه إلى العلماء الذين ترجم لهم ابن الفرضي في كتابه، كانوا أصحاب حظوة اجتماعية كبيرة، وشغلوا مناصب عدّة، أهّلتهم للقيام بدور فاعل في حركة المجتمع الأندلسي، حتى إنّ بعضهم كان يُستقدَم من كورته إلى قرطبة لصلاة القيام في رمضان[545]، وجيء بالبعض الآخر ليقوم بعملية التأديب[546]، وثالث ليقرأ[547] على الخليفة هشام المؤيد (366هـ-399هـ/976-1009م)، ورابع ليكون عينا على البحر للأمير[548]، إلى غير ذلك من الوظائف والمهن.

537- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص83-84، ترجمة: 110.

538- لِـمَروان بن عبد الملك القرطبي(تـ330هـ/941م)، وقد فُقد مع كتبه التي ضاعت. ينظر: نفسه، ص815، ترجمة: 1413.

539- لـمطرّف بن عيسى الألبيري (تـ356أو 357هـ/966-967م). ينظر: نفسه، ص837، ترجمة: 1443.

540- لـعبد الملك بن حبيب السلّمي (تـ238هـ/852م). ينظر: نفسه، ص ص459-463، ترجمة: 814.

541- لأحمد بن محمد بن عبد البر (تـ338هـ/949م). ينظر: نفسه، ص ص88-89، ترجمة: 120.

542- لـقاسم بن سعدان (تـ347هـ/958م). ينظر: نفسه، ص ص614-615، ترجمة: 1070.

543- لإبراهيم بن محمد (تـ350هـ/961م). ينظر: نفسه، ص ص48-49، ترجمة: 33.

544- لإسحاق بن سلمة القيني. ينظر: نفسه، ص145، ترجمة: 236.

545- استقدم الأمير الحكم (350-366هـ/961-976م)، حفص بن عبد السلام السرقسطي، ليؤم الناس كل عام في قيام رمضان. ينظر: نفسه، ص215، ترجمة: 363.

546- على سبيل المثال، أبو محمد عبد الله بن تمام بن أزهر (تـ373هـ/983م)، الذي كان ممن أدّب وعلّم علم الحساب. ينظر: نفسه، ص408، ترجمة: 727. أحمد بن قزلمان القرطبي (تـ377هـ/987م)، الذي كان يؤدب بالقرآن. ينظر: نفسه، ص179، ترجمة: 180. عبد الله بن نصر القرطبي (تـ315هـ/927م)، الذي كان مؤدبا عاما في مسجد أبي علاقة. ينظر: نفسه، ص385، ترجمة: 666.

547- كان أحمد بن نصر بن خالد، يقرأ على الخليفة المؤيد بالله. ينظر: نفسه، ص ص107-108، ترجمة: 165.

548- كان عبد المجيد بن عبد الصمد عَيْنًا على البحر لعبد الرحمن بن الحكم (206هـ-238هـ/821-852م). ينظر: نفسه، ص498، ترجمة: 865.

وفي الجهة المقابلة مِن ذلك، عَرفت الرّعية للعلماء قدرهم وأفضالهم، وبقوا على هذا الولاء لهم حتى بعد مماتهم، فكانوا يشيعونهم في جنائز مهيبة؛ وكان الازدحام لتشييعهم عظيما، وقد بيّنت هاته الصورة، عِظم مكانة العلماء في نفوس المجتمع الأندلسي[549].

وفي عرضه لأبرز الجوانب الثقافية التي عرفتها الأندلس منذ أوائل القرن الثاني الهجري الهجري(ق02هـ/08م) إلى نهاية الرابع الهجري(ق04هـ/10م)؛ عُدّ ابن الفرضي مُبرَّزا في ذلك. فقد تناول حياة أبرز فقهاء الأندلس وعلمائها ورواتها، وأهل العناية بالعلم منهم، وذلك من خلال ذِكر أبرز الجوانب الحياتية لهم؛ العلمية والثقافية، وتحديد جهودهم في الطّلب والتلقّي وبثّ العلوم، وإبراز توجهاتهم الفكرية والمذهبية، وذِكر وظائفهم الإدارية، مع تحديد تاريخ الميلاد والوفاة[550].

هذا، وتظهر لنا الجوانب الثقافية بجلاء عند ابن الفرضي، خلال عرضه لمجالات الحياة العلمية من خلال التراجم التي رصدها في كتابه، حيث يبرز لنا المتميّزين منهم من أبناء المجتمع الأندلسي في مختلف العلوم الشرعية، وعلوم اللغة وآدابها، فضلا عن رواة الأخبار والسِّيَـر[551].

وقد أبرز لنا ابن الفرضي مَاَلَهُ صِلة بـــمجال علوم القرآن وفضائله وتفسيره، وذلك في معرض ترجمته لبعض الشخصيات الأندلسية المتميزة في هذا الفنّ. فقد ذكر في ترجمة الغازي بن قيس(تـــ199هـــ/814م)[552]، أنه كان أول من أدخل قراءة نافع بن أبي نُعيم قارئ المدينة إلى الأندلس، وكان يُقرَأ عليه، فرُويت عنه وانتشرت في الأندلس[553].

وفي الإطار ذاته، ذَكر ابن الفرضي من خلال تراجمه، العلماء الأوائل الذين أسهموا في إدخال فقه مالك للأندلس، ومنهم الفقيه الغازي بن قيس، الذي كان ممن سمع من مالك موطأه

549- مثل جنازة مسلمة بن محمد بن مسلمة القرطبي (تـــ391هـــ/1000م)، التي قال عنها ابن الفرضي: "شهدتُه وشهدَه خلق عظيم، ودُفن بعد صلاة العصر، وما انصرفنا من جنازته إلا بِلَيْلٍ". ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص825-826، ترجمة: 1422.

550- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص646.

551- المرجع نفسه، ص647.

552- تقدمت ترجمته في الهامش: 19 من الفصل التمهيدي.

553- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص578، ترجمة: 1013.

وأدخله للأندلس[554]، وكذا يحي بن يحي الليثي (تـــ234هـــ/848م)[555]، الذي كان سببا رئيسا في انتشار المذهب المالكي وامتداد نفوذه في الأندلس[556].

وأما ما تعلّق بالجوانب الفكرية والعقائدية والمذهبية في تراجم ابن الفرضي، فهي كثيرة وبالأخص في الجوانب التي تختص بتحديد بعض الاتجاهات الفكرية لمعظم تراجمه، والتي أبرز من خلالها البدايات الأولى لحضور فِكر الاعتزال في الأندلس[557].

وفي خضم عرضه لتراجمه، تناول ابن الفرضي الجوانب الاقتصادية في حياة المترجَم لهم، وذلك عندما ذَكر نماذج منهم، ممن اهتموا بالتجارة خلال رحلاتهم العلمية، ومنهم على سبيل المثال؛ أبو بكر محمد بن معاوية بن عبد الرحمن القرطبي (تـــ358هـــ/969م)[558]، الذي بلغت همّته في التجارة، بِأَنْ رحل إلى المشرق والهند طلبا للعلم والتجارة[559].

ومن خلال سفره النّفيس هذا، عرض لنا ابن الفرضي كذلك؛ بعض الملامح العامة للنظام التربوي والتعليمي في حياة بعض مَن ترجَم لهم، وذلك من خلال التلميحات التي ساقها لنا عن فعاليات بعض الأندلسيين في مجال التأديب، فذَكر في ترجمة أحمد بن قزلمان القرطبي (تـــ377هـــ/987م) أنه كان يؤدب بالقرآن[560]، وعبد الله بن نصر القرطبي (تـــ315هـــ/927م) الذي كان مؤدِّبا عاما في مسجد أبي علاقة[561].

و لم يهمل ابن الفرضي النظم الإدارية والولايات الدينية، حيث تناول ولاية القضاء في الكثير من تراجمه ممن تولوا هذا المنصب وغيره من الولايات والخطط الدينية. وخلال عملية

554- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص578، ترجمة: 1013.

555- راجع ترجمته في الهامش رقم: 45 من الفصل التمهيدي.

556- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص898-900، ترجمة: 1554.

557- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص651-652.

558- تقدمت ترجمته في الهامش: 142 من الفصل التمهيدي.

559- يقول عنه ابن الفرضي: "ودخل أرض الهند تَاجراً، وكان يقول خرجت منصرفاً مِن أرض الهند وأنا أقرّ أنّ معي قيمة ثلاثين ألف دينار، فلما قاربت أرض الإسلام غرقتُ، فما نجوت إلاّ سبحا لا شيء معي". ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص733-735، ترجمة: 1287.

560- المصدر نفسه، ص408، ترجمة: 180.

561- نفسه، ص385، ترجمة: 666.

العرض، كان يذكر بعضاً مِن سماتهم وأساليبهم الإدارية في هاته المناصب، فضلا عن تحديد أماكنها والظروف المواتية لتولي بعضهم لتلك المناصب[562].

ويُلاحظ على كتاب ابن الفرضي كذلك، أنه أكثر مِن ذِكر تراجم العلماء والفقهاء الذين تولوا خطة القضاء[563]، ومنهم على سبيل المثال أيوب بن الحسين بن محمد المعروف بابن الطويل (تـــ382 أو 383هـــ/992 أو993م)، الذي استقضاه الخليفة المستنصر(350-366هـــ/961-976م)[564].

وعليه؛ فإن ابن الفرضي بصنيعه هذا، الذي وظف فيه تلك الإشارات المهمة في تراجمه، يكون قد أوضح لنا عدّة مسائل تتعلق بالجوانب الحضارية، خاصة منها ما تعلق بالنظام القضائي وتاريخه في الأندلس، حيث حرص أمراء وخلفاء الدولة الأمية أشدّ الحرص على نشره وبثّه في جميع مناطق الأندلس، منذ عصر عبد الرحمن بن معاوية (138-172هـــ/755م-788م)[565]، وصولا إلى عصر الخلافة.

وتعتبر الإشارات التي أوردها ابن الفرضي في تراجمه عن ذلك خير دليل في هذا السياق، كما في ترجمة عمرو بن شراحيل المعافري القرطبي[566]، الذي كان قاضيا في أيام الداخل، وسعيد بن محمد بن مسلمة القرطبي (تـــ386هـــ/995م) الذي ولي قضاء قرمونة[567].

وبذلك، يكون ابن الفرضي قد تتبع تواريخ القضاة، وعرض لهم في تلك الفترة، وذَكر مختلف المدن الأندلسية التي وَلِيُوا فيها منصب القضاء، كقرطبة، وطليطلة، وقرمونة، وإشبيلية، وغيرها من المدن الأندلسية.

كما أنه، وخلال تناوله لموضوع النظام القضائي في الأندلس في كثير من الجوانب، اهتم كثيرا بذِكر ممارسة القضاة لبعض الوظائف الأخرى، والتي لها صلة وطيدة بالقضاء، كالشورى والأحكام، والحسبة، والشرطة، وأحكام السوق، وخطة الردّ والمواريث وغيرها[568].

562- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص661.

563- هناك أمثلة كثيرة في هذا الجانب، يمكن الوقوف عليها من خلال كتاب ابن الفرضي.

564- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 165، ترجمة: 273.

565- تقدمت ترجمته في الهامش: 47 من الفصل الأول.

566- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص538، ترجمة: 934.

567- المصدر نفسه، ص ص310-311، ترجمة: 522.

568- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص666.

وفي هذا الإطار؛ استعرض ابن الفرضي عدّة نماذج من هذه الوظائف، للكثير ممن ترجَم لهم. ومن هؤلاء نذكر خلف بن عبد الله بن مخاوف الخولاني، الذي قال عنه: "وكان مفتيا في بلده، وفقيها مشاورا تدور عليه الفُتيا مع أصحابه"[569].

وهكذا، فقد قدّم ابن الفرضي خدمات جليلة للدراسات التاريخية في هذا الجانب، حيث أمدّنا بمجموعة من المرويات الوصفية، والتي بيّنت بجلاء أبرز المعالم الحضارية لنظام الشورى في الأندلس، خاصة ما تعلق منه بالمستوى العلمي لمن كان على رأس هاته المهمة، وكيفية اختياره وانتقائه، وضرورة الموافقة الرسمية على ممارسة هاته الوظيفة الجليلة، فضلا عن إيضاح حالات الشورى وجانبا من فعالياتها خلال فترة حكم بني أمية بالأندلس[570].

كما لم يُغفل ابن الفرضي خطة المظالم في الأندلس، وهي إحدى الخطط الدينية التي تَكْفُل لصاحبها حق إصدار الأحكام، كإحدى النظم القضائية في الأندلس. ومن قضاة المظالم الذين ذكرهم ابن الفرضي في كتابه، أحمد بن بمحمد بن سعيد بن موسى بن حُدير (تـــ327هـــ/938م)، الذي قال عنه: "وُلِّيَ خطَّة الوزارة وأحكام المظالم، وكان صلباً في أحكامِه، مهِيبا في الحق"[571].

وبتناوله خطة المظالم في كتابه، يكون ابن الفرضي قد أسهم إسهاما كبيرا في إبراز المعالم الحضارية التي عرفها الأندلسيون خلال عصر بني أمية، حيث قدّم لنا مجموعات من التلميحات المهمة والمتعلقة بأهم الخطط والنظم الإدارية في الأندلس[572].

ومما سبق عرضه؛ ندرك القيمة الكبيرة لعمل ابن الفرضي في كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، حيث أظهر همة كبيرة في تناول الجوانب الحضارية، واستعرضها بشكل ملفت للانتباه بلغ به حدّ التميّز. كما أنه قام برسم الخطوط العريضة للجوانب الفكرية، وما تعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية، وكذا الحياة السياسية بأبعادها الحضارية المختلفة.

569- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص246، ترجمة: 405.

570- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص666.

571- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص87، ترجمة: 117.

572- للاستزادة أكثر حول المظاهر الحضارية لكتاب ابن الفرضي؛ راجع الفصل السادس من الدراسة القيّمة التي أعدها أحمد الوزان. ينظر: أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص ص646-680.

وقد رصدت المادة التي أوردها ابن الفرضي، تلك الجوانب بعناية كبيرة وإتقان قلّ مثيله في ذلك العهد. هاته المادة وإن جاءت متفرقة ومشتتة بين طيّي الكتاب، إلا أنها أوضحت بشكل كبير، المعالم الحضارية التي تميزت بها الأندلس، والتي تجسّدت على أرض الواقع بممارسات راقية جدا، جسّدها في الحياة اليومية، وأكّدت على مدى الرقي والتحضّر الذي بلغته الكتابة التاريخية خلال القرن الرابع الهجري (ق04هـ/10م) في الأندلس.

ويستخلَص مما أوردناه سابقا، أن ابن الفرضي اعتمد في منهجه لتدوين تراجمه على أسس كثيرة، منها استخدامه للمنهج العلمي النقدي في التدوين التاريخي، والتوفيق بين التاريخ السياسي والتاريخ العلمي، وكذا التأريخ للتاريخ والمؤرخين الأندلسيين والعمارة الأندلسية، ثم الغزوات والمواقع الحربية، والتأريخ للتواصل العلمي بين الأندلس والمشرق. كما أنه كان دقيقا في اختيار تواريخه، فقدم لنا من خلال كتابه وفي شكل شذرات متفرقات مراحل حياته، نستطيع اعتبارها سيرة ذاتية موجزة له.[573]

6/مصادر ابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الأندلس:

تنوّعت المصادر التي استمدّ منها ابن الفرضي مادة كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، فهي كثيرة ومتنوعة وغزيرة، إلى درجة تعكس موسوعية وثقافته، وجهوده الكبيرة في عملية التحصيل العلمي.

وقد بيّن ابن الفرضي في مقدّمة كتابه، مصادره التي اعتمدها فقال: "ولم أزل مُهتَبلا[574] هذا الفن مُعتّنيا به، مُولَعا بجَمعه والبحث عنه، ومُساءلة الشيوخ عمَّا لم أعْلَمْ منه، حتى اجتمع لي من ذلك-بحمد الله وعونه-ما أمَلْتُه، وتَقَيَّد في كتابي هذا من التَّسمية ما لم أعلمه، قُيِّدَ في كتابٍ أُلِّف في معناه في الأندَلُسِ قَبْلَه"[575].

كما صرّح ابن الفرضي في مقدّمة كتابه عن بعض المصادر التي استقى منها معلوماته لكتابه "تاريخ علماء الأندلس"، وذلك في قوله: "فما من كتابنا هذا عن أحمد –دون أن ننسبه-

573- عيساوي محمد: **"المؤرخ أبي الوليد بن الفرضي وجهوده العلمية في فنّ التراجم تاريخ علماء الأندلس أنموذجا"**، مجلة آفاق للعلوم، تصدر عن جامعة الجلفة، مج05، عدد 18، 2020، ص ص103-104.

574- في نسخة الأبياري "مهتما" والتصحيح من نسخة بشار عواد بشار معروف. **ومُهْتَبِلا:** مبتغيا؛ يقال: اهتبل الصيد، أي ابتغاه. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (تحقيق بشار عواد)، مج1، ص32، هامش: 01.

575- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص23.

فهو أحمد بن محمد بن عبد البرّ، أخبرنا به عنه محمد بن رفاعة الشيخ صالح في تاريخه. وما كان فيه عن خالد؛ فهو خالد بن سعد، أخبرنا به عنه إسماعيل بن إسحاق الحافظ في تاريخه. وما كان فيه عن محمد –دون أن يُنسب–فهو محمد بن حارث القروي، أخذته من كتابه، وبعضه من خطّه. وما كان فيه عن أبي سعيد؛ فهو أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى المصري، خرّجته من تاريخه في أهل مصر والمغرب، أخذ ذلك من كتاب أنفذه إليه أمير المؤمنين الحكم ابن عبد الرحمن المستنصر بالله رحمه الله. وفيه عن غير ذلك الكتاب؛ أخبرنا به يحي بن مالك العائذي، عن أبي صالح أحمد بن عبد الرحمن، بن أبي صالح الحرّاني الحافظ، عن أبي سعيد، ومنه أخبرني به أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحي القاضي، عن أبي سعيد، وقد بيّنت ذلك في مواضعه. وما جاء في كتابي هذا عن محمد بن أحمد، فهو محمد بن أحمد بن يحي القاضي، هو ابن مفرّج، أخذته من كتاب مختصر كان قد جمعه للإمام المستنصر بالله رحمه الله، وما كان فيه عن الرّازي، فإن العائذي أخبرنا به. وما كان فيه –عن غيرِ هؤلاءِ–فقد ذكرتُ مَن حدَّثني به وعمَّن أخذتُه، إلَاّ أنْ يكونَ مَمَّا قَرُبَ عهدُه، وأدرَكْتُه بِسِني، وقَيَّدْتُه بخطي وحِفْظي، وأخذْتُه عن ثقة من أصحابي، فلم أحتَجْ إلى تَسميته"[576].

وفي ضوء قول ابن الفرضي هذا، يمكن تقسيم مصادره في "كتابه تاريخ علماء الأندلس" إلى:

المصادر الصريحة:

- المصادر المكتوبة والمؤلفات السابقة
- الرواية الشفوية والـــمكاتبة
- شواهد القبور والوثائق والمدونات
- المشاهدة والمعاينة المعاصرة

المصادر المجهولة:

- مصادر مجهولة قريبة من المترجَم له
- مصادر مجهولة قريبة من المؤلّف
- مصادر مجهولة تماما

576- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص23-24.

6-1/المصادر الصريحة:

6-1-1/-المصادر المكتوبة والمؤلفات السابقة:

يعتبر ابن الفرضي من أكثر مؤرخي الأندلس اعتمادا للمصادر المكتوبة، مِن مؤلفات مَن سبقه من الكُتّاب، وقد تشمل هاته المؤلفات كُتبًا في التاريخ والأدب واللغة والتراجم وغيرها. وقد اعتمد هذا النوع من المصادر بشكل كبير جدا، في تدوين تفاصيل أحداث كتابه "تاريخ علماء الأندلس".

وقد جاء الكُتّاب الأندلسيون ضمن لائحة مصادره الأساسية، أكثر من غيرهم من مؤرخي وكُتّاب الأمصار الإسلامية الأخرى، إذْ كان موغلا في الاعتماد على الأندلسيين، ولم يعتمد على غيرهم إلا نادرا، كاعتماده مثلا على ابن يونس المصري الصدفي أبو سعيد (281-347هـ/894-958م)[577] مِن غير الأندلسيين.

ومن المؤرخين الذين اعتمد ابن الفرضي مؤلّفاتهم، على ضوء ما جاء في مقدمة كتابه[578]:

- **أحمد بن محمد بن عبد البرّ القرطبي أبو عبد الملك (ت338هـ/950م)**[579]: له كتاب في "الفقهاء بقرطبة"، وقد استعان به ابن الفرضي في تراجم كتابه[580]، برواية محمد بن رفاعة الشيخ الصالح (ت372هـ/982م). وقد بلغت عدد المرويات المقتبسة منه؛ 143 رواية موزعة على الكتاب[581].

- **خالد بن سعد القرطبي (ت352هـ/963م)**[582]: له كتاب في "رجال الأندلس" ألّفه للحكم المستنصر[583]، وقد أخذ عنه ابن الفرضي برواية إسماعيل بن إسحاق الحافظ

577- تقدّم التعريف به وبجهوده في التاريخ، في الفصل التمهيدي من الأطروحة، ص ص31-33.

578- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص23-24.

579- تقدّم التعريف به وبكتابه في الفصل الثاني من الأطروحة، ص187.

580- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص23.

581- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص307.

582- تقدّم التعريف به وبكتابه في الفصل الثاني من الأطروحة، ص142.

583- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص239-240، ترجمة: 396. محمد بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص20.

(تـــ384هـــ/994م)[584]، ودوّن في كتابه ما نُسب إليه. وقد أكثر ابن الفرضي النقل من كتاب خالد بن سعد، فبلغت مجمل مروياته الموزعة على كتابه 272 رواية[585].

– **محمد بن حارث الخشني القروي (تـــ361هـــ/971م):** ألّف الخشني كتبا كثيرة للخليفة الحَكَم الـــمُسْتَنصر(350–366هـــ/961-976م)؛ منها مائة ديوان، وجمع له مؤلَّفا في رجال الأندلس[586]. ولم يذكر ابن الفرضي اسم الكتاب، هل هو كتاب أخبار الفقهاء والمحدّثين أو كتاب قضاة قرطبة[587]. ومهما كان الكتاب؛ فقد نقل عنه ابن الفرضي وبعضُه بخط المؤلِّف[588] ما يناهز 155 رواية، موزعة على الكتاب[589].

– **أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى المصري**[590]**:** كان آخر مؤرخي مصر الذين شاركوا بقسط وافر في كتابة التاريخ الأندلسي، وقد أفاد منه ابن الفرضي، واعتمده بشكل واضح، واستقى منه رواياته من ثلاثة طرق[591]: **الأول** مِنْ كتاب أنفذه إلى الحكم المستنصر، بمعنى الأخذ من الكتاب مباشرة، إذِ اطلع عليه في خزانة المستنصر. **والثاني:** من طريق يحي بن مالك العائذي، عن أبي صالح أحمد بن عبد الرحمن بن أبي صالح الحرّاني الحافظ، عن أبي سعيد. وأما **الثالث:** فمن طريق ابن مفرّج القاضي، عن أبي سعيد. وقد انصبّت روايات أبي سعيد التي نقلها ابن الفرضي عنه، على مَن دخل مصر من الأندلسيين، وبلغت رواياته التي نقلها عنه 88 رواية[592].

– **محمد بن أحمد بن يحي بن مفرج القاضي (تـــ380هـــ/990م)**[593]: ويعدّ من الذين أكثر ابن الفرضي في الأخذ عنهم، حيث لازمه وسمع منه وقرأ مباشرة من كتابه. وهو الأمر الذي

584– ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص24.

585– أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص308.

586– ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 802، ترجمة: 1398.

587– تقدّم التعريف به وبكتبه في الفصل الثاني من الأطروحة، ص191.

588– ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص24.

589– أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص309.

590– **أبو سعيد بن يونس:** الحافظ عبد الرحمن بن أحمد ابن الإمام يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري صاحب تاريخ مصر؛ مولده سنة 281هـــ، ووفاته سنة 347هـــ. ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص1000، ترجمة: 865.

591– ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص24.

592– أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص310.

593– ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص770، ترجمة: 1358؛ ترجمته في الهامش 117 من هذا الفصل.

أكّده ابن الفرضي في مقدمة كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، حين صرّح بأنه أخذ من كتاب محمد بن أحمد الذي جمعه للحكم المستنصر، ضمن دواوين عدّة. ونقل عنه كذلك، من كتاب مختصر كان قد جمعه للمستنصر نفسه[594]. وقد بلغت مرويات ابن الفرضي عن ابن مفرّج، سواء التي نقلها من كتبه أو سمعها منه مشافهة 125 رواية[595].

– **أحمد بن محمد بن موسى الرازي (تـــ344هـــ/955م)**[596]: ذكره ابن الفرضي في مقدمة كتابه فقال: "وما كان عن الرازي، فإن العائذي أخبرنا به عنه[597]. وقد نقل عنه مروياته من طريق، يحي بن مالك بن عائذ، وبلغت عدد رواياته التي نقله عنه 75رواية[598].

ولم يحدّد ابن الفرضي في مقدمة كتابه، عن أيٍّ من أبناء آل رازي أخذ ونقل، لكن بالرجوع إلى محتوى التراجم التي أوردها ابن الفرضي نقلا عن الرازي، نجد أنها تدل دلالة واضحة، أنه نقل عن أحمد الرازي –دون غيره من أبناء أسرة الرازي–صاحب كتاب "أخبار ملوك الأندلس"، والشّاهد في ذلك إفادة ابن الفرضي في 10 تراجم أوردها في كتابه "تاريخ علماء الأندلس" من الرازي[599].

وعليه؛ فقد كانت هذه ستة مصادر استقى منها ابن الفرضي معلوماته، وقد بيّنها في مقدّمة كتابه، وأشار إلى أنه إذا ما نقل عن أحد آخر غير هؤلاء الستّ، فإنه سيشير إلى ذلك في موضعه، حيث قال: "وما كان فيه عن غير هؤلاء، فقد ذكرتُ مَنْ حدَّثني به وعمَّن أخذته، إلَاّ أنْ يكون مما قَرُب عهدُه وأدرَكْتُه بِسِني، وقَيَّدْتُه بخطي وحِفْظي، وأخذْتُه عن ثقة مِن أصحابي؛ فلم أحتَج إلى تَسميته"[600].

594– ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص24.

595– أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص310.

596– تقدّم التعريف به وبكتبه في الفصل الأول، ص ص92–98.

597– ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص24.

598– أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص311.

599– ومنها على سبيل المثال، ما أورده في ترجمة أحمد بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن حبيب بن عبد الملك بن مروان القرطبي، حيث قال عنه: "توفي رحمه الله في صفر سنة ثلاث وثلاثمائة؛ ذكره الرازي في تاريخ الملوك". ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص82، ترجمة: 106.

600– ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص24.

ويُفهم من عبارة ابن الفرضي هذه، أنه أخذ عن عدد كبير من المؤرخين والكتّاب، ولم يذكرهم في مقدمة كتابه، لكنه أشار إليهم في ثناياه. ومن خلال قراءة متأنية وفاحصة للتراجم التي أوردها في كتابه، يمكن معرفة هاته المصادر التي اعتمدها ومنها:

- **عبد الملك بن حبيب (تـــ238هـــ/852م)**[601]: وقد أشار إليه ابن الفرضي في مواضع عدّة، واقتبس من كتابه "طبقات الفقهاء"، الذي كان يسميه في بعض الأحيان باسمه-طبقات الفقهاء-بينما كان يكتفي في مواضع أخرى بذكر اسمه "ابن حبيب"، وأحيان أخرى يورده بلفظة "ذكره عبد الملك بن حبيب في الطبقة الأولى"[602].

- **قاسم بن سعدان (تـــ347هـــ/958م)**: الذي ألّف كتاب "في فقهاء رية"[603]، وقد استفاد منه ابن الفرضي، وبلغت مروياته عنه 26 رواية[604].

ومن المواضع التي أفاد فيها ابن الفرضي من كتاب ابن سعدان المذكور، قوله في ترجمته للكثير من فقهاء ريّة: "ذكره ابن سعدان، وكتبنا من كتابه"[605] أي أن ابن الفرضي نقل منه نقلا مباشرا، أو بواسطة كتب محمد بن حارث الخشني كما في قوله: "ذكره ابن سعدان...من كتاب ابن الحارث"[606].

كما كان ابن الفرضي يصرّح أحيانا بذِكر كتاب قاسم بن سعدان، كقوله: "ذكره ابن سعدان في فقهاء ريّة"[607]. ومما يدلّ على اطلاعه على كتب ابن سعدان قوله: "رأيت سَماعَه عليه في بعض كتب ابن سعدان"[608].

- **إسحاق بن سلمة بن وليد القيني (تـــ.بعد 366هـــ/976م)**: جمع كتابا في "أخبار الأندلس"[609]، بأمر من الحكم المستنصر(350-366هـــ/961-976م)، وألّف كتابا آخر في "فقهاء

601- تقدّم التعريف به في الفصل الأول، ص ص44-54.
602- ينظر على سبيل المثال: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص35، ترجمة: 04.
603- المصدر نفسه، ص ص614-615، ترجمة: 1070.
604- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص315.
605- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص321، ترجمة: 541 وص334، ترجمة: 570-571.
606- المصدر نفسه، ص175، ترجمة: 291.
607- نفسه، ص548، ترجمة: 957.
608- نفسه، ص397، ترجمة: 699.
609- نفسه، ص145، ترجمة: 236.

مدينة ريّة". وقد استفاد منه ابن الفرضي في ترجمته لعلماء مدينة ريّة، وبلغ عدد ما نقل عنه من روايات 25 رواية[610]، حيث نقل عنه بقوله: "ذكره إسحاق"[611] دون تحديد الكتاب إلا في موضعين اثنين، موضع قال فيه: "فقهاء رية"[612]، وموضع آخر أخذ عنه مباشرة بقوله: "أخبرنا".

– **إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الباجي (ت350هـ/961م):** أورد له ابن الفرضي مؤلَّفا بعنوان "فقهاء باجة"[613]، واستفاد منه 17 رواية[614]، نقلها عنه من كتابه بقوله: "...ذكره إبراهيم الباجي"[615]. وروايات الباجي المذكور، تتعلق ببعض علماء بلده باجة، الذين ترجم لهم ابن الفرضي في "تاريخ علماء الأندلس".

– **أبو بكر الزبيدي (316-379هـ/928-989م)** [616]: وتعتبر مؤلفاته من أهم المصادر التي نهل منها ابن الفرضي مادة كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، خاصة مِن مؤلَّفه "طبقات النحويين واللغويين"، وعلى وجه التحديد ما تعلّق بالترجمة لِـمَن برعوا في علوم اللغة والشِّعر من الأندلسيين، حيث نقل عنه 17 رواية[617]؛ واحدة منها مشافهة، والباقي من كتابه دون ذكره لاسم الكتاب[618]. وبعمل مقارنة بسيطة بين تراجم ابن الفرضي وكتاب الزبيدي، نجد أن ابن الفرضي نقل عن كتاب "طبقات النحويين واللغويين" للزبيدي المذكور[619].

610- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص316.

611- وردت في 19 موضعا.

612- ورد ذلك في ترجمة عبد الرحمن بن مطرّف رقم: 794، ص448.

613- راجع ترجمته في: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص48-49، ترجمة: 33.

614- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص318.

615- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص180، ترجمة: 301 وص226، ترجمة: 379 وص247، ترجمة: 407.

616- تقدّمت ترجمته في الفصل الثاني من الأطروحة، ص155.

617- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص318.

618- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص95، ترجمة أحمد بن موسى الرازي رقم: 135 وص357، ترجمة ضياء أبي الضوء رقم: 616.

619- على سبيل المثال ترجمة إبراهيم بن عبيد الله المعافري؛ ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص51، ترجمة: 41. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص307، ترجمة: 287. ثم ترجمة أحمدُ بن محمدِ بن مُوسى بن بَشير بن حَمَّاد بن لَقِيط الرَّازِيّ الكناني. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص95، ترجمة: 135. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص302، ترجمة: 273.

وبالإضافة إلى المؤلفات السابقة، هناك تقييدات وخطوط للحكم المستنصر، نقل عنها ابن الفرضي، وهي كلها تدخل ضمن إطار المصادر المكتوبة.

فأما ما أخذه وقرَأه من تقييدات وخطوط الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)، فقد ذكره في ترجمته لحوشب بن سلمة بن عبد الرحمن الهذلي، وخبر توليه القضاء بتُطِيلة أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن، حيث يقول: "استَقضَاه الأمير محمد بن عبد الرحمن بتُطيلة، وذلك في ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائتين؛ وجدْتُ نَسَبه وكُنْيَته بخَط المستنصر"[620].

كما أورد ذلك في ترجمة زكريا بن خطّاب بن إسماعيل (ت373هـ/983م)، حيث قال: "وكان ثِقَة مَأمونا، وولي القَضَاء بموضعه...قرأتُ ذلك بخط المستنصر بالله رضي الله عنه"[621].

ومن أمثلة ذلك كذلك، ما ذكره في ترجمة عبد الله بن المغلس الوشقي، حيث قال: "وَقَرأْتُ بِخَط المستنصر رحمه الله، مُلْحَقاً في كتاب ابن حارِث"[622]. وكذلك في ترجمة عبيد الله بن عمر بن أحمد بن محمد بن جعفر القيسي الشافعي البغدادي، حيث قال: "وكان مسكنه ببغداد في الجانب الغربي بالكرم المفرش فيما يُجاوزُ نهر عيسى؛ رأيتُ ذلك بخط المستنصر"[623].

وإضافة لما سبق ذِكره؛ اعتمد ابن الفرضي على ما وجده مكتوبا بخط نَفرٍ من رجال العلم ممّن سبقوه، ومنهم والده الذي نقل من خطّه تاريخ مولده هو عام 351هـ/962م، حيث قال عن ذلك: "ومولدي منها ليلة الثلاثاء لتسعة أيام باقية من ذي القعدة؛ وجدت ذلك بخط أبي رحمه الله"[624].

كما تجدر الإشارة أيضا، أن ابن الفرضي لم يأخذ عن الكتّاب الأندلسيين فقط، بل إنه تعدّاهم في بعض الأحيان إلى غيرهم من مؤرخي المشرق. ومِن الذين نقل عنهم، خليفة بن

620- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص234، ترجمة: 390.

621- المصدر نفسه، ص271، ترجمة: 442.

622- نفسه، ص391، ترجمة: 681.

623- نفسه، ص435، ترجمة: 769.

624- نفسه، ص564، في ترجمة عِيسَى بن أحمد بن محمد بن حَارِث بن أبي عَبْدَة؛ رقم: 988.

خياط (تـــ240هـــ/854م)[625]، والإمام البخاري (194-256هـــ/810-870م)[626]، وعبد الغني ابن سعيد الأزدي (332-409هـــ/944-1018م)[627]، وغيرهم.

وقد اعتمد على هؤلاء المؤرخين، في الترجمة للشخصيات المشرقية، التي دخلت بلاد الغرب الإسلامي، ومنهم: عَلَيّ بن رباح اللخمي[628]، ومعاوية بن صالح الحضرمي[629]، وموسى بن نصير[630].

وخلاصة القول؛ فإن مصادر ابن الفرضي المكتوبة، أتت متعددة ومتنوعة، منها ما أورده في مقدمة كتابه، ومنه ما أشار إليه في مواضعه، ومنها ما أوضح في مقدمته أنه أخذه عن الثقات من أصحابه، و لم يحتج إلى تسميته.

6-1-2/-الرواية الشفوية والـــمكاتبة:

أ-الرواية الشفوية:

يُراد بالرواية، ما يسمعه المؤرخ مشافهة من أفواه الآخرين، أو ما يحفظه ويستظهره مِن خبر أو شعر وغيرهما من الآثار والأخبار. وما من شكّ أنّ الرواية والمكاتبة، كانت مصدرا مهما من مصادر التأليف التاريخي. فالرواية الشفوية أو المكتوبة، تعتبر ذا أهمية علمية وازنة في نقل المعلومة التاريخية، لما تحويه من مادة تاريخية خصبة ووفيرة. وقد تعدّدت صيغ الرواية لدى مؤرخي الأندلس، فجاءت على أنماط وألفاظ مختلفة؛ منها: "أخبرني" أو "حدّثني" أو "قال لي" أو "أنشدني".

وعادة ما تَرِدُ الـــمرويات بأسانيد متصلة ومطوّلة، وقد تأتي بأسانيد منقطعة بين الرّاوي ومصدر الرواية. كما قد تُسند الرواية إلى مُبهَم، كقول بعض المؤرخين: "قال بعض العلماء" أو "ذَكر بعض أهل العلم".

وعليه، فالتدوين التاريخي قام بدرجة أولى على الرواية، حيث حرص المؤرخون في هذا الصدد، على ذِكر رواة الراوية وإسنادِها، وفي بعض الأحيان كان يوردون مكان الرواية

625- تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 56 من الفصل التمهيدي.
626- تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 46 من الفصل الثاني.
627- تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 415 من الفصل الثاني.
628- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص526-528، ترجمة: 913.
629- المصدر نفسه، ص ص838-841، ترجمة: 1443.
630- نفسه، ص848-850، ترجمة: 1454.

وزمانها، وهو الأمر الذي أعطى دلالة واضحة على اهتمامهم وعنايتهم الفائقة بتوثيق مروياتهم التاريخية[631].

ويعدّ ابن الفرضي، من بين أكثر مؤرخي الأندلس تنوّعا في مصادره التاريخية، ومن بينها الرواية التي اعتمدها بشكل جليّ. ولا تكاد تخلو جزئية من كتابه "تاريخ علماء الأندلس" من هذا العنصر الهام، إذ هي مليئة بالإشارات له في رصد المادة التاريخية.

وفي هذا الإطار، يعدّ شيوخ ابن الفرضي، من المصادر الأساسية لرواياته، فقد حدّثوه وروى عنهم، وأسند كثيرا من مروياته لهم بشكل صريح في كتابه، خاصة وأنه كان يستعمل الإسناد غالبا في نقل الأحداث العامة، كما يستخدمه في رواية الكثير من آثاره ومروياته[632]. ومِن أشهر شيوخه الذين روى عنهم، نذكر:

– **يحي بن مالك العائذي (تـــ375هـــ/12985م)**[633]: وقد استعان برواياته في الكثير من تراجمه والبالغ عددها 20 رواية[634]، حيث سمع منه ابن الفرضي في المسجد الجامع بقرطبة، في حلقات الدرس مشافهة، بقوله: "قال لنا، أخبرنا"[635]. وأما الـــمحادثة المباشرة ففي قوله: "قال لي، أخبرني". وقد قام العائذي بدور الوسيط بين ابن الفرضي وكُتب أحمد بن محمد الرازي في نقل الرواية التاريخية، وهو ما عبّر عنه ابن الفرضي في مقدمة كتابه بقوله: "وما كان فيه عن الرازي، فإن العائذي أخبرنا عنه"[636].

– **إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم (تـــ384هـــ/994م)**[637]: وقد سمع منه ابن الفرضي، وأخذ عنه في كتابه. وقد بلغ مجموع رواياته التي استقاها من شيخه هذا 102 رواية، نقل منها 60 راوية مباشرة بقوله: "أخبرني، قال لي، حدّثني"، ومنها 17 رواية في حلقات الدرس بقوله:

631- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص312.
632- المرجع نفسه، ص355.
633- ترجمته في: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص921-923، ترجمة: 1597.
634- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص317.
635- على سبيل المثال في ترجمة شِـمْر بن نـــمير رقم: 593. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص346.
636- المصدر نفسه، ص 24.
637- نفسه، ص ص153-154، ترجمة: 219.

"أخبرنا، حدّثنا، سمعْتُ"، و21 رواية في قوله: "ذَكره إسماعيل" دون تسمية الكتاب الذي نقل عنه[638].

كما استقى ابن الفرضي عن طريق إسماعيل بن إسحاق رواياته التي نقلها عن خالد بن سعد، وهو ما أشار إليه في صدر كتابه بقوله: "وما كان فيه عن خالد؛ فهو خالد بن سعد، أخبرنا به عنه إسماعيل بن إسحاق الحافظ في تاريخه"[639].

– **عبد الله بن محمد بن القاسم الثغري (تـــ383هـــ/993م)**[640]: سمع منه ابن الفرضي علما كثيرا، وأجاز له جميع مروياته، وقد بلغ مجموع ما روى عنه 63 رواية مشافهة كلّها[641].

– **عبد الله بن محمد اللخمي المعروف بابن الباجي (تـــ378هـــ/989م)**[642]: وهو من الشيوخ الذي تتلمذ لهم ابن الفرضي، الذي وضف جلّ ما سمع منه من روايات البالغ عددها 29 رواية[643]، فجعل ما رواه عنه سماعا.

– **عباس بن أصبغ الهمداني (تـــ386هـــ/996م)**[644]: عدّه ابن الفرضي من ضمن شيوخه، وأكثر من الرواية عنه، فقال: "قرأتُ عَليه كثيراً، وقرأ الناس عليه ونفع الله به، وأجازَ لي جَميع رِوايته"[645]، وقد نقل عنه ما مجموعه 15 رواية كلها مشافهة[646].

– **عبيد الله بن الوليد الـــمُعَيْطيُّ (تـــ378هـــ/988م)**: سمع منه ابن الفرضي كثيرا، واستفاد منه في كتابه في 15 رواية، وقد أخذها منه مشافهة بقوله: "أخبرني، قال لي"[647].

638- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص ص311-312.

639- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 24.

640- المصدر نفسه، ص ص418-420، ترجمة: 751.

641- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص313.

642- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص413، ترجمة: 740.

643- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص314.

644- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص507-508، ترجمة: 883. وقد تقدّم التعريف به وبفهرسته (فهرسة عباس ابن أصبغ) في الفصل الثاني من هذه الأطروحة، ص199.

645- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص507-508، ترجمة: 883.

646- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، 319.

647- المرجع نفسه، ص319.

– **سليمان بن أيوب القوطي (تـــ377هـــ/987م)**[648]: عدّه ابن الفرضي من شيوخه، وقد سمع منه كثيرا فقال: "سَمعْتُ منه كثيرا من روايته"[649]، وأورد له 13 رواية في كتابه؛ جميعها مشافهة[650].

– **خطّاب بن مسلمة الإيادي (تـــ372هـــ/983م)**[651]: اعتبَرَه ابن الفرضي من أهم شيوخه، فقال: "سَمعْتُ منه أكثَر علمه"[652]. وقد سمع منه وأورد له 12 رواية في كتابه جميعها مشافهة[653].

– **علي بن عمر بن نجيح الإلبيري (تـــ384هـــ/994م)**[654]: سمع منه ابن الفرضي، وأثبت له 12 رواية في كتابه؛ جميعها مشافهة[655].

– **محمد بن يحي بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز (تـــ369هـــ/979م)**: سمع منه ابن الفرضي، وأورد له 11 رواية سمعها منه مشافهة[656].

محمد بن محمد بن أبي دليم (تـــ372هـــ/983م)[657]: سمع منه ابن الفرضي مباشرة، واستفاد منه 10 روايات مشافهة[658]. وتعود قلّة الروايات التي أثبتها عنه ابن الفرضي، لكونه كان يأبى من الإسماع إلى وفاة أصحابه، ورغب الناس في السماع منه، فأجاب لذلك، فقرئ عليه علم كثير[659].

648- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص330-331، ترجمة: 564.
649- المصدر نفسه، ص331، ترجمة: 564.
650- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص320.
651- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص243-244، ترجمة: 402.
652- المصدر نفسه، ص244، ترجمة: 402.
653- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، 320.
654- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص533، ترجمة: 928.
655- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص320.
656- المرجع نفسه، ص321.
657- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص758-759، ترجمة: 1334.
658- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص321.
659- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 759، ترجمة: 1334.

سهل بن إبراهيم بن سهل (تـــ387هـــ/996م): سمع منه ابن الفرضي واستقى منه 09 روايات مشافهة، وأثبتها في كتابه[660].

– **أحمد بن عبد الله بن البصير الجذامي (تـــ388هـــ/998م)**[661]: سمع منه ابن الفرضي، فقال: "وكَتَبْنا عنه كثيرا، وأجاز لي ولابني مصعب جميع ما رواه"[662]، وقد نقل عنه 07 روايات مشافهة[663].

– **أحمد بن خالد الجذمي التاجر (تـــ378هـــ/989م)**[664]: سمعه ابن الفرضي واستقى منه 05 روايات مشافهة[665]، فقال: "سَمِعتُ منه أكثر ما كان يَرْويه، وأجاز لي جميع روايته وكُتُبه"[666].

– **حسين بن محمد بن قابل (تـــ372هـــ/983م)**[667]: سمع منه ابن الفرضي 05 روايات مشافهة[668]، وقال عنه: "حَدَّثَ وكَتَبْتُ عَنْهُ كَثيرا"[669].

– **فرج بن عيشون بن إسحاق (تـــ389هـــ/999م)**[670]: سمع منه ابن الفرضي، وأورد له 05 روايات مشافهة[671].

– **يوسف بن محمد بن سليمان الهمداني (تـــ383هـــ/993م)**[672]: سمع منه ابن الفرضي، وأورد له 05 روايات مشافهة[673].

660- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص322.
661- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص119، ترجمة: 187.
662- المصدر نفسه، ص119، ترجمة: 187.
663- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص323.
664- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص117، ترجمة: 184.
665- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص322.
666- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص117، ترجمة: 184.
667- المصدر نفسه، ص ص207-208، ترجمة: 353.
668- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص323.
669- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص208، ترجمة: 353.
670- المصدر نفسه، ص588، ترجمة: 1034.
671- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص323.
672- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص942-943، ترجمة: 1634.
673- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص323.

وعليه؛ فقد كان هؤلاء هم بعض الشيوخ الذين سمع منهم ابن الفرضي وأخذ عنهم، إلا أننا لم نذكرهم بالكلّية، بل كان تركيزنا على المشهور منهم فقط، حيث اعتمدهم كمصدر أساسي ومهم في كتابه.

وبالإضافة إلى هؤلاء الشيوخ، أولى ابن الفرضي اهتماما ملحوظا للمصادر القريبة من المترجَم له، وذلك حرصا منه على توثيق معلوماته، فكان يعمد إلى أقاربه-أقارب المترجَم له- ويأخذ منهم المعلومات الضرورية حوله، وذلك إما من الأب، أو الابن، أو الأخ وغيرهم. وكان في العادة يعبّر عن ذلك بقوله: "قال لي أبوه"[674]، و"أخبرني بذلك أخوه"[675]، و"أخبرني بذلك ابنه"[676]، و"أخبرني بذلك ابن أخيه"[677]، و"أخبرني بذلك حفيده"[678]، و"أخبرني بذلك ابن ابنته"[679].

كما كان ابن الفرضي، يعتمد على ما سمعه من أصحابه، كأن يقول: "أخبرنا بذلك جماعة مِن أصحابنا"[680].

ب-المكاتبة:

وأما المكاتبة عند الفرضي، فقد أخذت شكلا واقعيا في مصادره، ذلك أنه كان يبعث بكتابه (رسالة) يضمّنه أسئلة معيّنة بموضوع معيّن إلى أناس بعيدين عنه، فيأتيه الجواب عن أسئلته واستفساراته مكتوبا[681]، ويسمى هذا المصدر أيضا بالمراسلات. حيث جرت بين ابن الفرضي وأشخاص آخرين خارج قرطبة، مراسلات للاستفسار عن قضايا أُشكلت عليه، ولم يستطع أن يحصّل على إجابات عنها في قرطبة. ولذلك، كان يقوم بإرسال الكتب للاستفسار عنها، ويرده الجواب عنها من الأشخاص الذين كتب لهم[682].

674- ينظر على سبيل المثال؛ ص750، ترجمة: 1318.
675- ينظر على سبيل المثال؛ ص447، ترجمة: 790.
676- ينظر على سبيل المثال؛ ص450، ترجمة: 796.
677- ينظر على سبيل المثال؛ ص501، ترجمة: 870.
678- ينظر على سبيل المثال؛ ص515، ترجمة: 892.
679- ينظر على سبيل المثال؛ ص69، ترجمة: 76.
680- ينظر على سبيل المثال؛ ص97، ترجمة: 140.
681- السحيباني حمد بن صالح، مصادر الحافظ ابن الفرضي في كتابه تاريخ العلماء والرواة، ص406.
682- أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص326.

وعادة ما كان يوردها في كتابه بالعبارات التالية: "كتب إلي يخبرني"[683]، و"وكتب إلينا"، أو "أنه نقل من كتابه إلينا"، وغيرها من العبارات التي تؤدي الغرض المطلوب. والشواهد من كتاب ابن الفرضي في ذلك كثيرة، ومنها ما أورده في ترجمة أيوب بن سليمان الرُّعيني، وفيها يقول ابن الفرضي: "كتب إلينا حَكَم بن محمد المرادي يخبرنا أنه سمع من أيوب بن سليمان بن معاوية"[684]. وذكر ذلك في ترجمة الصبّاح بن عبد الرحمن بن الفضل، حيث قال عند إيراده لتاريخ وفاته: "كتب إلينا وليد بن عبد الملك يذكر أنه توفي لعشر مضَينَ من المحرم سنة أربع وتسعين مائتين"[685].

وفي هذا الإطار كذلك؛ كان لابن الفرضي مكاتبة لشيخه أحمد بن محمد بن مفرج (ت380هـ/990م)[686]، حيث ذكر ذلك في ترجمته لسامي بن هانئ، وأكّد أن ابن مفرّج كتب إليه بخبره وترجمته[687]. وكذلك فعل في ترجمته لزكرياء بن محمد، حين أورد خبر وفاته[688].

وأما في ترجمته لعبد الرحمن بن سعيد القروي، فإنه كاتب المترجَم له شخصيا، حيث قال عن ذِكر موله: "وكتب إليّ بخط يديه، يذكُر أنه وُلد في يوم السبت للنصف من شهر ربيع الأول سنة ثلاثة عشرة وثلاثمائة"[689]. وكما في ترجمته لعبيد الله بن محمد بن عبيد الله القرطبي (ت380هـ/990م)، حيث قال ابن الفرضي: "كان حافظا لأخْبار الشيوخ، حَسن الحِكاية عنهم، سمِعْتُ منهُ كثيرا وكَتب لي بِخطه، وكان صديقا لأبي رحمه الله وسمع منه غيري"[690].

وخلاصة القول، فإن الرواية الشفوية أو المكتوبة، تعتبر من بين أهم مصادر التدوين التاريخي في الأندلس، فكان المؤرخ يلتقي بالناس ويسمع منهم، ويأخذ الأخبار والوقائع أولا

683- ينظر على سبيل المثال؛ ص220، ترجمة: 372.

684- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص164، ترجمة: 270.

685- المصدر نفسه، ص353، ترجمة: 605.

686- ترجمته في الهامش 117 من هذا الفصل.

687- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص339، ترجمة: 580.

688- المصدر نفسه، ص449، ترجمة: 450.

689- المصدر نفسه، (تحقيق بشار عواد)، مج1، ص358، ترجمة: 811. وتمام الترجمة ساقطة من نسخة الأبياري.

690- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص432، ترجمة: 768.

بأول من مصادرها الـــمُوثَقَة، أو كانت تقيّد وتُرسل إليه، أو من الأمثلة الحية التي كانت تُروى على مسامعه، وهو عندئذ يتولى صياغتها من جديد.

ولا شك أن ما وصلت به المشاهدة أو الرواية بالمشافهة أو بالكتابة، قد أَضْفَتْ على الكتابة التاريخية حيوية كبيرة، فبفضلها وصلتنا الأوصاف الحقيقة لأخبار العصر المراد التأريخ له، وأخبارا حية لملوك ووزراء، وكتّاب وعلماء وشعراء، شاهدهم الرواة أو شاهدهم المؤرخ نفسه؛ فهي بهذا المفهوم –الرواية الشفوية أو المكتوبة–الوثيقة الحية لأولئك جميعا.

6-1-3/-شواهد القبور والوثائق والمدونات:

أ-شواهد القبور:

استعان ابن الفرضي بالألواح المكتوبة على بعض قبور مَن ترجَم لهم، كوثيقة تاريخية (شواهد القبور)، حيث كانت هذه الألواح مصدره الذي عوّل عليه كثيرا في التأريخ لسنوات وفيات الشخصيات التي قام بالترجمة لها، باعتبارها شاهدا لا يقبل التحريف، وبالتالي التأكد من سنيّ الوفاة للمترجم لهم.

وقد كان في غالب تراجمه، يذكر سنة الوفاة متأكّدا منها، باعتباره شاهدا لجنازة بعض المترجم لهم. وأما إذا استعصى عليه الحصول على المعلومات المتعلقة بالمترجَم له، فإنه يقوم بالرحلة إلى أماكن وفاة المترجَمين ولو كانت بعيدة، حتى يتمكن من الحصول على تاريخ الوفاة من خلال قراءة شواهد ونواصب القبور، التي كانت عادة ما يُعمل بها عند مسلمي الأندلس وقتذاك.

ومن الأمثلة الدالة على إفادة ابن الفرضي من شواهد القبور في عملية بناء تراجمه، نجده في ترجمة تـــمام بن غالب، يقول عند ذِكر سنة وفاته: "قرأت تاريخ وفاته مكتوبا على قبره"[691]، أو كما في قوله في ترجمة سعيد بن عثمان بن منازل: "قرأت تاريخ وفاته في لوح على قبره"[692]، وكذا قوله في ترجمة أحمد بن خالد بن يزيد الأسدي عند ذِكر تاريخ وفاته: "قرأت هذا التاريخ في لوح مكتوب على قبره"[693].

691- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص180، ترجمة: 301.

692- المصدر نفسه، ص303، ترجمة: 498.

693- نفسه، ص102، ترجمة: 151.

وفي بعض الأحيان، كان ابن الفرضي يجمع بين الرواية الشفوية وخبر الوثيقة المادي. ومثال ذلك، أنه حينما ذَكر وفاة علي بن عبد القادر الكَلاعي؛ قال: "أخبرني بذلك الباجي، ورأيته مكتوبا على قبره"[694].

وللإشارة فقط، فإن الأمثلة في هذا الباب، كثيرة في كتاب ابن الفرضي "تاريخ علماء الأندلس".

ب-الوثائق والمدوّنات:

إضافة لاعتماده على شواهد القبور، اعتمد ابن الفرضي أيضا على بعض الوثائق الأخرى، كوثائق المبايعات. ومن أمثلة ذلك، ما أورده في كتابه عن محارب بن قطن عبد الواحد القرشي الفهري القرطبي، حيث قال: "ورأَيتُ شهادته في وثيقة تأريخها للنصف من ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ومائتين"[695]. وقد استعان بهذه الوثيقة، ليثبت أن وفاة محارب بن قطن كانت بعد سنة 256هـ/869م، وأنه عاش إلى هذا التاريخ. وليس كما ذكره إسماعيل بن إسحاق عن كتاب خالد بن سعد، الذي أشار إليه ابن الفرضي في ذِكر وفاة مُحارب[696].

ومن الأمثلة الدالة على ذلك، قول ابن الفرضي فيما جاء في ترجمة إبراهيم بن علي الصوفي، وهو أحد الغرباء الذين قدموا الأندلس: "وكان أبو إسحاق هذا، أحد مَن له الإجابات الظّاهرة، وقد سمِعتُ غير أبي القاسِم يذكره ممّن اجتمع به، وقد كتب الناس عنه بمصر؛ حدّثنا عنه سَهْل بن إبراهيم بصَكٍّ كتَبَه لي بِخطّه"[697].

وكذلك؛ في ترجمة محمد بن عبد الملك بن أيمن، عند الحديث عن مولده ووفاته، كتب ابن الفرضي يقول: "قرأت على بعض كتبه بخطّه، وُلد محمد بن أيمن يوم الجمعة أول يوم من ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين ومائتين. ووجدت بخط محمد بن محمد بن أبي دُلَيْم، وذَكر أنه وجده بخطّ ابنه أحمد؛ تُوفّي رحمه الله ليلة السبت لنصف من شوال سنة ثلاثين وثلاث مائة"[698].

694- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص530، ترجمة: 918.
695- المصدر نفسه، ص810، ترجمة: 1405.
696- نفسه، ص810، ترجمة: 1405.
697- نفسه، ص57، ترجمة: 50.
698- نفسه، ص705، ترجمة: 1228.

وخلاصة القول، فإن ابن الفرضي لم يكتف بالرواية والنقل من الكتب، بل اعتمد شواهد القبور والوثائق المدونات التاريخية، وقد كان بارعا في اختياره هذا العنصر من مصادره، لهمّته العالية في جمع المعلومة التاريخية، وعلو مكانته العلمية، وكذا توثيقه ودقّته المتناهية في حرصه على جلب المعلومات وتدوينها في كتابه "تاريخ علماء الأندلس". ولا نجد تأكيدا قويا على ذلك في هذا المقام من قول بالنثيا: "ويدلّ على حفله وإتقانه، ما يذكُره المؤلِّف نفسه مِن أنّه سأل عن هذا التاريخ أو ذاك، أو قرأ شاهد قبرٍ ليتحقّق بنفسه من شيء"[699].

6-1-4/-المشاهدة والمعاينة المعاصرة:

تعتبر مشاهدة الأحداث ومعاينتها، أو على الأقل معاصرتها، من بين أهم المصادر التي أمدّت المؤرخين ولا زالت، بمادة غزيرة من الأخبار والأحداث والمشاهد التاريخية. وقد مكّنت مشاهدة ابن الفرضي، ومعاصرته لأحداث عصره ومَن أرّخوا لها، وكتبوا عن سِيَرِ وتراجم المعاصرين لهذه الأحداث؛ مِن الاحتكاك المباشر بالحدث ومعايشته، واللقاءات في المجالس أو المناسبات العلمية وحِلق الدرس، وغيرها من المناسبات الاجتماعية.

وقد جعلت كل هاته المعطيات، من ابن الفرضي كشاهد على عيان على أحداث عصره، ولكثير من القضايا التي ذَكرها بين طيّي كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، حيث استفاد كثيرا، من عامل المشاهدة والمعاينة وكذا المعايشة، فهو بحق شاهد عيان على كثير من أحداث عصره، والأخبار التي رواها في كتابه، خاصة ما تعلّق منها بجانب العلماء، فكان يصفهم أوصافا دقيقة، ويعاين أحوالهم، ويتعايش مع عاداتهم وأخلاقهم، ليرصدها في الأخير ويدوّنها كاملة حال الحديث عنهم في كتابه. وبذلك، كان يعتمد المشاهدة والمعاينة، كرافد أساسي للحصول على المعلومة التاريخية، وكثيرا ما كان يصرّح بذلك تصريحا واضحا ويذكره، لأنه من المصادر الأساسية التي لا غنى له عنها[700].

ومن أمثلة ذلك؛ مشاهدته لبعض الجنائز ووصفِها، مع تأكيد تاريخ الوفاة، ليُثبت بذلك دقّته في توثيق روايته، وكذا أهمية تدوينه لبعض المعلومات التاريخية التي لها صلة بالحدث، ومنها عُمْرُ المتوفّي ومنزلته العلمية والاجتماعية، ومَن صلّى عليه، ومتى وأين دُفن[701].

699- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص271.

700- أحمد بن عبد الرحمن الوزان، التدوين التاريخي في الأندلس، ص310.

701- الأمثلة على مشاهدته لجنائز العلماء ومعاصرتهم؛ كثيرة في كتاب تاريخ العلماء والأندلس لابن الفرضي.

ومِن ذلك؛ ما ذكره في ترجمة شيخه ابن المفرّج، حيث قال عند ذِكْر وفاته: "وتوفي رحمه الله ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمانين وثلاث مائة، ودُفن يوم الجمعة بعد صلاة العصر في مقبرة الرّبض قرب قبر أبي جعفر أحمد بن عَوْن الله رحمهما الله، وصلى عليه القاضي محمد بن يبقى بن زَرْبْ؛ شهدتُ جنازته وشهدها أهل العلم"[702].

وفي مثال آخر، ذَكر ابن الفرضي كلاما في السياق ذاته، حينما ذَكر وفاة أبي إسحاق خَلَصَةُ بن موسى بن عِمران الزاهد، فقال: "توفي رحمه الله ليلة الأربعاء لخمسٍ بقين من رجب سنة ست وسبعين وثلاث مائة، ودُفن في مقبرة الرّبض، وصلى عليه محمد يبقى القاضي، وشَهِدْتُ جِنازته، ولا أعْلَمُني شَهِدْتُ أعظم حَفْلاً منها"[703].

وبالإضافة لما ذُكر، عاصر ابن الفرضي العلماء الذين ترجم لهم في كتابه، وقد كانت هاته المعاصرة مصدرا مهما اعتمده في حديثه عنهم. ومثال ذلك قوله في ترجمة أبي عمر يوسف بن يحي: "وَرَأيته قَدْ جاءَته كُتبٌ كَثيرة نَحْو المائة كتاب مِن جماعة مِن أهل مصر، بعضهم يسأله الإجازة، وبعضهم يسأله في كتابه الرّجوع إليهم؛ سألْتهُ عن مولده فأبى أن يخبرني"[704]. وكذلك قوله في ترجمة حَكَم بن محمد بن هشام القرشي: "وشهدته يقرأ ويُقرئ، ولم أكتب عنه شيئا"[705].

وعليه، فقد ذَكر ابن الفرضي في مقدمة كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، بأن معاصرته ومعايشته لعدد ممن ترجَم لهم خاصة من العلماء الأعلام على عهده، أو ما ارتبط بهم من أحداث ووقائع هامة، لم يحتج فيه إلى الاعتماد على مصدر آخر في التأريخ لذلك، وإنما قيّده بحفظه مستندا إلى خبرته ومعرفته التاريخية، حيث يقول: "وقَيَّدْتُه بخطي وحِفْظي، وأخذْتُه عن ثِقةٍ مِن أصحابي"[706].

702- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص770-773، ترجمة: 1358.

703- المصدر نفسه، ص255، ترجمة: 420.

704- نفسه، ص934، ترجمة: 1614.

705- نفسه، ص223، ترجمة: 375.

706- نفسه، ص24.

6-2/المصادر المجهولة:

استخدم ابن الفرضي المصادر المجهولة بكثرة في مختلف تراجمه، وذلك بصيغ مختلفة وكثيرة. وقد تنوعت أماكن ورود هاته المصادر، سواء كانت في بداية الرواية أو وسطها أو آخرها. ويمكن تقسيم مصادره المجهولة إلى:

6-2-1/-مصادر مجهولة قريبة من المترجَم له:

كان ابن الفرضي يعتمد في أحيان كثيرة على مصادر مِن أهل المترجَم له، دون أن يحدد المصدر أو حتى يشير إلى صلته بالمترجَم له، كقوله: "أخبرني بذلك بعض أهله"[707].

وأحيان أخرى، كان يعتمد مصدرا قريبا جغرافيا من المترجَم له دون أن يحدد طبيعته، كقوله: "أخبرني بذلك بعض أهل موضعه"[708]، أو قوله: "أخبرني بذلك شيخ مِن ناحيته"[709]. وكان يوثق مصدره المجهول، بقوله: "أخبرني بذلك بعض أهل موضعه مِن أصحابنا"[710].

كما أنه، كان يعتمد المصادر القريبة مِن المترجَم له كالتلاميذ. ومثال ذلك قوله: "أخبرني بذلك بعض مَن كَتَب عنه"[711]، أو "أخبرني عنه بعض أصحابه"[712].

6-2-2/-مصادر مجهولة قريبة من المؤلّف:

وظّف ابن الفرضي المصادر المجهولة القريبة منه، دون أن يحدّد طبيعتها، كقوله: "حدثنا عنه جماعة من شيوخنا"[713]، أو "أخبرنا بذلك جماعة من أصحابنا"[714]. ورغم أن هاته المصادر تعتبر مجهولة، إلا أن ابن الفرضي عادة ما كان يُخبر القارئ بصحة مصادره، فيقول: "أخبرني بذلك مَن أثق به"[715].

707- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص520، ترجمة: 903.

708- المصدر نفسه، ص49، ترجمة: 36.

709- نفسه، ص555، ترجمة: 972.

710- نفسه، ص862، ترجمة: 1483.

711- نفسه، ص154، ترجمة: 251.

712- نفسه، ص139، ترجمة: 221.

713- نفسه، ص695، ترجمة: 1211.

714- نفسه، ص98، ترجمة: 140.

715- نفسه، ص51، ترجمة: 39.

6-2-3/-مصادر مجهولة تماما:

كما وظف ابن الفرضي مصادر مجهولة تماما، ومثال ذلك في قوله: "فيما بلغني"[716]، أو "حُدِّثتُ أنه..." [717]، أو "قيل لي"[718]، أو "قال بعضهم"[719]، أو "ذَكر بعض الرواة"[720]، أو أخبرني بذلك جماعة"[721]، أو "وجدته بخط بعض أهل العلم"[722].

ومما سبق، نستنتج أن شهرة أبي الوليد بن الفرضي قد أتت من خلال كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، الذي جعل منه رائدا لعلم التراجم والتأريخ للأعلام بالأندلس. وقد اتسم فيه بمواصفات علمية راقية، كغزارة العلم والأمانة في النقل، والتحرّي الدّقيق في تتبّع أخبار العلماء وسِيرهم، فضلا عن إتقانه وضبطٍ لما كَتب ودوّن من تواريخ وأحداث ووقائع، وبذلك يكون قد أسهم في إثراء المكتبة التاريخية الأندلسية عموما، وعلى التراجم على وجه أخصّ.

وبكتابه هذا؛ نضجت مدرسة التراجم الأندلسية على يديه خلال القرن الرابع وبداية الخامس الهجريين (ق04-05/10-11م)، وحققت نهضة كبرى، سواء على مستوى الشمول والضخامة، وكثرة عدد العلماء المترجَم لهم، أم على مستوى التدقيق والتوثيق والمنهج المتّبع الذي طبّقه إلى حدّ كبير في كتابه، أو على مستوى المصادر الكثيرة التي وظفها وأورد قدرا من بقايا مؤلفاتها، أو في تثبّته قبل النقل، وحُسن اختياره لها. كما أن خاصية تنوع المصادر التاريخية لكتاب "تاريخ علماء الأندلس"، تعكس مدى اهتمامه بالبحث التاريخي عامة، وعلم التراجم الخاصة.

وقد أدّى توظيف ابن الفرضي معاصرته ومعايشته للأحداث في الكتابة التاريخية، إلى إضفاء أهمية كبيرة لنصوص التراجم التي أوردها بين طيي كتابه، حيث ارتقى بها إلى مصاف رواية الشاهد على العصر، خصوصا عندما أضاف لهاته الشهادة حسن الصياغة التاريخية، ودرايته الواسعة بعلم التاريخ.

716- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص100، ترجمة: 146.

717- المصدر نفسه، ص853، ترجمة: 1462.

718- نفسه، ص471، ترجمة: 830.

719- نفسه، ص689، ترجمة: 1202.

720- نفسه، ص875، ترجمة: 1513.

721- نفسه، ص84، ترجمة: 110.

722- نفسه، ص834، ترجمة: 1432.

كما أسهمت اقتباساته من خلال كتابه المذكور، في الاحتفاظ بنصوص كثيرة من المصادر التاريخية الأندلسية المفقودة، وبالتالي شكّل كتابه حلقة وصل هامة بين المصادر السابقة على غرار كتابات الرازي (تـــ344هـــ/955م) واللاحقة له، حيث جعلته ركيزة أساسية في نسج لـُـحْمَتِها التاريخية.

وقد ظلّ كتاب ابن الفرضي، عمدةَ تراجم الأندلسيين للمصادر التي أتت بعده. فقد نقل عنه كلٌّ من ابن حيان (تـــ469هـــ/1076م) في كتابه "المقتبس"، والقاضي عياض (تـــ544هـــ/1149م) في "المدارك"، وابن عساكر(تـــ571هـــ/1175م) في "تاريخ دمشق"، وابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) في "الصلة"، والضبي (تـــ599هـــ/1202م) في "بغية الملتمس"، والقِفطي (تـــ642هـــ/1244م) في كتابه "إنباه الرواة"، وابن الأبار(تـــ658هـــ/1259م) في "تكملة الصلة"، وابن العديم (تـــ660هـــ/1261م) في "بغية الطالب"، وابن خلكان (تـــ681هـــ/1282م) في "وفيات الأعيان"، وابن عبد الملك المراكشي (ت703هـــ/1303م) في "الذيل والتكملة"، وابن منظور (تـــ711هـــ/1311م) في "مختصر تاريخ دمشق"، والذهبي(تـــ748هـــ/1347م) في "ميزان الاعتدال" و"سير أعلام النبلاء" و"تاريخ الإسلام"، والصفدي(تـــ764هـــ/1362م) في "الوافي بالوفيات" وفي "أعيان النصر وأعوان العصر"، وابن الخطيب (تـــ776هـــ/1374م) في "الإحاطة"، وابن فرحون(تـــ799هـــ/1396م) في "الديباج المذهّب"، والمقريزي (تـــ845هـــ/1441م) في "المقفى"، والسيوطي (تـــ911هـــ/1505م) في "بغية الوعاة"، والمقري (تـــ1041هـــ/1631م) في "نفح الطيب".

كما أنه أثّر فيمن أتى بعده من المؤرخين الأندلسيين، إلا أن تأثيره لم يتوقّف عند هذا الحدّ، بل إنه وجّههم إلى تقليد منهجه وطريقته في التنظيم والتبويب وكذا اختيار الموضوع. ويكفي في هذا الصدد، أن نذكر أنه قامت على كتابه عدّة مصادر، أكملت واستدركت ما فاته.

وينضاف إلى ما سبق ذِكره، أنه استحدث نمطا جديدا في علم التراجم، ألا وهو كتب الصلات والتَكْمِلات الأندلسية (الصلة، تكملة الصلة، والذيل والتكملة وغيرها). كما أكّدت كتب التراجم التي صنّفها، وما جاء بعدها من كتب الصلات، شعور الأندلسيين بوطنيتهم، وحرصهم الكبير على تخليد هويتهم.

الفصل الرابع:
تطور الكتابة التراجمية في الأندلس
خلال (ق05-06هـ/11-12م)

المبحث الأول: كتب التراجم بعد ابن الفرضي

1/-الكتب المفقودة

2/-كتب الصلات والذيول

2-1/التعريف بكتب الصلات

2-2/أهم كتب الصلات والذيول الأندلسية

3/-كتب البرامج والفهارس والمشيخات والتبت في الأندلس

3-1/نشأة برامج الشيوخ في الأندلس

3-2/طرق تأليف كتب البرامج والفهارس ونظم ترتيبها

3-3/أهم كتب البرامج والفهارس في الأندلس

المبحث الثاني: كتب الصلات والذيول الأندلسية ومنهجها في الكتابة التراجمية في الأندلس (ق05-06هـ/11-12م)

1/-كتب الصلات والذيول الأندلسية ومنهجها في الكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق05هـ/11م)

1-1/ابن مطلب (توفي في حدود 450هـ)

2-1/الحميدي (توفي 488هـ) ومنهجه في كتابه المقتبس في تاريخ علماء الأندلس

2/-كتب الصلات والذيول الأندلسية ومنهجها في الكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق06هـ/12م)

2-1/ ابن بشكوال (ت578هـ)

2-2/ ابن سيدالة (ت558هـ/1162م)

2-3/ أبو القاسم القنطري (ت561هـ/1165م)

2-4/ ابن عياد (ت575هـ/1179م)

2-5/ ابن حبيش (ت584هـ/1188م)

2-6/ الضبي (ت599هـ/1202م)

تمهيد:

ظهرت في بلاد الأندلس العديد مِن كُتب التراجم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (ق05-06هـ/11-12م)، خاصة بعد ازدهار الحركة الفكرية خلال عصر الطوائف، وأصبح التخصص واضحا في ميادين العلوم المختلفة.

وبالرغم مِن أنّ المجتمع الأندلسي، عرف التخصص منذ فترات مبكّرة، إلا أنّ التأليف في شتّى ضروب العلم والمعرفة بالأندلس، وصل ذروته منتصف القرن الخامس (ق05هـ/11م) وحتى منتصف السادس الهجريين (ق06هـ/12م)، حين ظهر العديد مِن المؤرخين والعلماء، الذين اهتموا بعلم التراجم، ووضعوا مصنّفات كثيرة، وعلى وجه التحديد في التراجم الخاصة.

وعلى إثر ذلك؛ ظهرت كتب تراجم الرجال، وكتب تراجم الفقهاء والقضاة، وكتب تراجم الشعراء والأدباء، وكتب تراجم الأمراء والخلفاء والأعيان في الأندلس، وكتب الطبقات، وكتب تراجم الأطباء، وحتى كتب تراجم النساء.

وأيّا كانت تخصصات كتب التراجم التي ظهرت خلال هاته العهود، وبخاصة القرن الخامس الهجري (ق05هـ/11م) الذي شهد تطورا كبيرا وبلغ غايته في التأليف؛ فإنه ظهر نوع آخر مِن أنواع التراجم، ألا وهو تدوين فهارس الشيوخ أو ما عُرف بكتب البرامج، والذي يُعدُّ تطورا آخر حصل في علم التراجم، إضافة لِمَا ذُكِر.

ومع بداية القرن السادس الهجري (ق06هـ/12م)، تطور علم التراجم تطورا ملحوظا، تجسّد بظهور ما سمي بكتب الصلات والذيول الأندلسية، التي عرفت ذيوعا وانتشارا مُهمًّا في بلاد الأندلس، وكثرت التصانيف فيها.

وقد آثرنا الحديث في هذا الفصل عن موضوع كتب الصلات والذيول الأندلسية، دون غيرها مِن كُتب التراجم لعدّة اعتبارات؛ منها:

- كثرة كتب التراجم الخاصة في الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (ق05-06هـ/11-12م)؛ وبالتالي يصعب ضبطها وعَدُّها كلّها، إذْ أنّ أغلبها مفقود بسبب ما تعرضت له الأندلس مِن فِتَـن، عجّلت بضياع تراث هائل مِن تاريخها.

- ثم إن كتب الصلات والذيول الأندلسية، كانت كثيرة في الأندلس خلال الفترة المذكورة، وشملت حتى التراجم الخاصة. ولذلك خصصنا الحديث عن كتب الصلات والذيول التي شملت التراجم العامة لكل فئات وأطياف المجتمع الأندلسي، لتكون الدراسة أشمل وأوسع.

– أنّ كتب الصلات والذيول الأندلسية، تميّزت بخاصية التسلسل مِن القرن الخامس (ق05هـ/11م) إلى التاسع الهجريين (ق09هـ/15م)، حيث شملت تراجم مختلف فئات المجتمع الأندلسي؛ مِن خلفاء وعلماء وقضاة وفقهاء، وأدباء وشعراء وأطباء، بَلْ إنَّ التراجم شملت حتى النساء. وبدراستها يُدرَك جليا، ذلك التطور الملحوظ للكتابة التراجمية في الأندلس، بداية مِن القرن الخامس (ق05هـ/11م) ووصولا إلى التاسع الهجريين (ق09هـ/15م).

المبحث الأول: كتابة التراجم بعد ابن الفرضي

1/-الكتب المفقودة:

عرفت الأندلس العديد من المؤرخين الذين اهتموا بكتابة التراجم، وصنّفوا مؤلفات كثيرة في هذا العِلْم بعد ابن الفرضي (351–403هـ/962–1013م)؛ ومن أبرزهم نذكر:

– **ابن عفيف القرطبي**[1]: أحمد بن محمد بن عفيف بن عبد الله بن مريول بن جراح بن حاتم الأموي، مِن أهل قرطبة يكنى أبا عمر. مؤرّخ من القضاة، له شِعر حسن؛ مولده بقرطبة في ربيع الثاني 348هـ/جوان 959م. بدأ بالسماع في آخر عام 359هـ/970م، واستوسع في الرواية والجمع والتقييد، والإكثار من طلب العلم، فروى عن جَمْعٍ من العلماء والمشايخ، وأجازوا له ما رَوَوْهُ. واهتم بالفقه وعَقْدِ الوثائق والشروط، فلم يكن في عصره أعلمَ بِـهَا منه، ثم شارف كثيرا من العلوم، فأخذ بأوفر نصيب منها[2].

وفي أيام محمد المهدي[3] تولى عقد الوثائق بقرطبة، فلما كانت الفتنة خرج عنها إلى المرية فأكرمه صاحبها خيران الصَّقلبي[4] وأدناه منه، وعرف فضله وأمانته فقلّده قضاء لورقة، حيث التزم

1– عن مظان ترجمته ينظر: ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص ص62–63، ترجمة: 71. الضبي، بغية الملتمس، ص705، ترجمة: 1543. عياض، ترتيب المدارك، ج08، ص08. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص ص175–176، ترجمة: 52. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص313. الزركلي، الأعلام، ج1، 211.

2– المصادر والمراجع نفسها.

3– تقدم التعريف به في الهامش: 252 من الفصل الثالث.

4– **خَيْران الصَّقْلَبي (تـ419هـ/1028م):** مِن موالي آل أبي عامر، له حروب ووقائع في أيام المؤيد والمرتضى الأمويين بالأندلس، ثم مع ملوك الطوائف. كان قائدا مـحنّكا أطاعه فتيان العامريين، ورأى أمراء البلاد يستقل كل واحد منهم بما تحت يده بعد خراب الخلافة، فوثب على مدينة المريّة وأعمالها واستقل بها واستقرَّ إلى مماته. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، مج09، ص317، ترجمة: 394. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، ج08، ص192. الزركلي، الأعلام، ج2، ص326.

الصلاة والخُطبة بجامعها. ولم يزل حَسَن السيرة فيهم، محمودا لديهم مُحبّبا إليهم، إلى أن توفي ضحوة يوم الأحد 16 ربيع الثاني 420هـ/04 ماي 1029م[5].

وبعد وفاته؛ ترك وراءه عدّة مؤلفات منها: "كتاب المعلمين"، و"الاحتفال في علماء الأندلس" وَصَلَ به كتاب ابن عَبْد البَر (ت338هـ/950م)[6]. وفي ذلك يقول ابن بشكوال: "جمع أيضا كتابا حسنا في آداب المعلمين خمسة أجزاء، وصنّف في أخبار القضاة والفقهاء بقرطبة كتابا مختصرا، وقد نقلنا منه في كتابنا هذا ما نسبناه إليه"[7].

- **ابن خزرج الإشبيلي:** إسماعيل بن محمد بن خرزج بن محمد بن إسماعيل بن حارث الداخل؛ أبو القاسم الإشبيلي؛ مولده في 20 صفر 344هـ/15 جوان 955م[8]. دخل إلى قرطبة، ثمّ رحل إلى المشرق وحج في 411هـ/مارس 1021م وجاور بمكة ردحا من الزمن، ثم عاد إلى بلده آخر سنة 412هـ/1022م. كان من أهل العلم، وغلب عليه معرفة الحديث وأسماء رجاله؛ توفي في 12 محرم 421هـ/20 جانفي 1030م، وترك وراءه من المصنّفات كتاب "الانتقاء" في تراجم شيوخه البالغ عددهم 170 شيخا، وما أخذ عن كل واحد منهم؛ في أربعة أسفار[9].

- **القُبَّشي القرطبي:** الحسن بن محمد بن مفرج بن حماد بن الحسين المعافري، المعروف بالقُبَّشِي[10] أبو بكر القرطبي؛ مولده سنة 348هـ/959م. عني بالحديث وروايته وسماعه، وجمع

5- جعل صاحب الديباج وفاته سنة 410هـ، وجعل صاحب المدارك مولده سنة 346هـ، ووفاته سنة 410هـ. ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص 176، ترجمة: 52. عياض، ترتيب المدارك، ج08، ص09.

6- يراد به كتاب "الفقهاء بقرطبة"، وقد تقدّم التعريف به وبمؤلِّفه في الفصل الثاني من الأطروحة، ص187.

7- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص ص62-63، ترجمة: 71.

8- ورد هذا التاريخ في كتاب الصلة في النسخة التي حققها الحسيني، ولم ترد في النسخة التي اعتمدناها بتحقيق العدوي. ينظر: ابن بشكوال، كتاب الصلة (نسخة الحسيني)، ص104، ترجمة: 237.

9- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص125، ترجمة: 223. ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي محي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم (696-775هـ)، الجواهر المُضِية في طبقات الحنفية، ج3، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، السعودية: دار هجر للطباعة والنشر، ط2، 1993، ص299، في ترجمة أبو هاشم العباسي رقم: 1460. الزركلي، الأعلام، ج1، 323.

10- نسبة إلى عين قُبّش، التي كان يسكنها بالقرب من قرطبة في غربيّها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص306. مرزوق بن هياس آل مرزوقي الزهراني، نسبة ومنسوب، بدون دار نشر، ط1، 2014، ص653.

كتابا سماه "كتاب الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء"[11]، وقد استغرق مدةّ ثلاثة أعوام كاملة قبل أن يُكمل تأليفه، حيث ابتدأه في مرسية شهر محرم 417هـ/فيفري 1026م، وأتمّ تبييض مسوّدته في النصف من محرّم 420هـ/فيفري 1029م[12].

ويؤكّد ذلك، جملة النّقول الواردة إلينا منه، عن ابن بشكوال في "الصلة"، إذ يقول: "نقلت منه في كتابي هذا ما نسبتُه إليه ونقلتُه من خطه"؛ وقوله: "وقرأت بخطه في آخره: ابتدأتُ بالاحتفال في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء رحمنا الله وإياهم في المحرم سنة سبع عشرة وأربع مائة بمرسية...فتم بحمد الله وعونه للنصف من المحرم من سنة عشرين وأربع مائة"[13]؛ توفي القُبّشي بعد 430هـ/بعد 1038م[14].

- **أبو عمر الداني**: عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد المقرئ؛ مِن موالي بني أمية، المعروف بابن الصيرفي القرطبي، أحد حفّاظ الحديث، ومن الأئمة الأعلام في علم القرآن. وُلد سنة 371هـ/981م، وبدأ في طلب العلم بعد سنة 385هـ/995م، ثم رحل إلى المشرق فحج سنة 398هـ/أوت 1008م. وفي طريق عودته إلى بلده الأندلس التي وصلها في ذي القعدة سنة

11- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص ص161-162، ترجمة: 295. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص306. البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص275. ابن العمادية وجيه الدين منصور بن سليم الإسكندراني (607-673هـ)، ذيل تكملة الإكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، السعودية: منشورات جامعة أم القرى، ط1، 1416هـ، ص530، ترجمة: 785. الزركلي، الأعلام، ج2، ص213. كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص290.

12- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص ص161-162، ترجمة: 295. وقد قدم يوسف أحمد يوسف بني ياسين دراسة مستفيضة عن الكتاب. ينظر: يوسف أحمد يوسف بني ياسين: **"الحسن بن محمد القُبّشي (348-بعد 430هـ/958-بعد 1038م) وكتابه الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال"**، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن عمادة البحث العلمي، جامعة الأردن، مج36، ع3، 2009، ص ص550-574.

13- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص ص161-162، ترجمة: 295.

14- المصدر نفسه، مج1، ص162، ترجمة: 295. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص306. ابن العمادية، ذيل تكملة الإكمال، ص530، ترجمة: 785. البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص275. الزركلي، الأعلام، ج2، ص213. كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص290. أحمد يوسف بني ياسين، الحسن بن محمد القُبّشي، ص ص550-574.

399هـ/جوان 1009م، زار مصر والقيروان. له أكثر من مئة تصنيف، منها: "طبقات القرّاء والمقرئين"؛ توفي بـ "دانية"[15] يوم الإثنين منتصف شوال 444هـ/07 فيفري 1053م[16].

- **ابن مُطاهِر:** أحمد بن عبد الرحمن بن مُطَاهِر الأنصاري[17]، مِن أهل طليطلة ويكنى أبا جعفر. عني بسماع العلم ولقاء الشيوخ والأخذ عنهم، وكان له بصر بالمسائل وميل إلى الأثر وتقييد الخبر. قال عنه ابن بشكوال: "له كتاب في تاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها...وقد نقلنا منه في كتابنا هذا ما نسبناه إليه، وكان ثقة فيما رواه ونقله"[18]؛ توفي بطليطلة 489هـ/1095م.

وعليه؛ فهذه هي أهم المصنّفات التي أُلّفت في علم التراجم بعد ابن الفرضي، خلال القرن الخامس الهجري (ق05هـ/11م). وكما ضاعت المصنّفات التي أُلّفت قبل ابن الفرضي، فقد ضاعت المؤلفات التي أتت بعده كذلك، و لم يبق منها إلا مَا نَقله عنها أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (ت578هـ/1182م)، وذلك في كتابه المسمى "الصلة"، حيث وصَلَ به كتاب ابن الفرضي "تاريخ علماء الأندلس"[19].

وبعد هذا العهد، سيبزغ نجم عهدٍ جديد من الكتابة التراجمية بالأندلس بعد ابن الفرضي، حيث قام بعض مؤرخي الأندلس ممن اعتنوا بالكتابة التاريخية في ميدان التراجم، باستحداث طريقة مبتكرة ومتميزة في الكتابة التراجمية، وهي ما اصطلح على تسميته بكتب الصلات

15- **دانية:** مدينة بشرق الأندلس على البحر. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ص230-231.

16- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج2، ص ص49-50، ترجمة: 829. فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص106، رقم: 121. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص447، ترجمة: 2091. المقري، نفح الطيب، مج2، ص ص135-136، ترجمة: 76. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص56. التجيبي السبتي القاسم بن يوسف (ت730هـ)، برنامج التجيبي، تحقيق وإعداد: عبد الحفيظ منصور، ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1981، ص 245. الذهبي شمس الدين، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: طيار آلتي قولاج، استمبول، 1995، ص773، ترجمة: 495. العبر في خبر من غبر، ج2، ص286. سير أعلام النبلاء، ج18، ص ص77-83، ترجمة: 36. الحميري، الروض المعطار، ص231. الزركلي، الأعلام، ج4، ص206.

17- عن مظان ترجمته ينظر: ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص ص91-92، ترجمة: 142. الضبي، بغية الملتمس، ص236، ترجمة: 435. ابن نقطة، تكملة الإكمال، ج3، ص368، ترجمة: 5659. ابن قُطْلُوبَغَا الحنفي، الثقات، ج1، ص394، ترجمة: 371. البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص ص80-81. الزركلي، الأعلام، ج1، ص146. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص269.

18- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص92، ترجمة: 142.

19- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص ص28-29.

الأندلسية، والتي اتّخذ أصحابها مِنْ كتاب ابن الفرضي "تاريخ علماء الأندلس" قاعدة وأساسا، لسلسلة مِن المصنّفات التاريخية التراجمية التي أُلِّفت على منواله وتذييلا عليه.

2/-كتب الصلات والذيول:

2-1/التعريف بكتب الصلات الأندلسية: شُغل أهل الأندلس بالتأليف والكتابة عن سِيَر علمائهم ومثقّفيهم إلى حدّ الشَّغَفْ، وأنتجوا في ذلك العديد من كتب التراجم، اتّبعوا فيها نمطا خاصا وفريدا تميزوا فيه لحدّ البراعة؛ ألا وهو نمط الصلات، الذي عُني بتتمة جهود بعضهم بعضا على نحوٍ مُتَوَالٍ، بأنْ يتابع مؤلِّف الكتاب اللاحق جهد مؤلِّف الكتاب السابق؛ في رصد أسماء وحياة ونشاط العلماء والمثقفين، وكذا السير على المنهج نفسه الذي سار عليه الأصل، واتّباع الحدود المكانية ذاتها، والتي تشمل كامل أرض وطنهم الأندلس.

كما أنه، وبانفتاحهم الكامل على كلّ التخصصات الثقافية، احتوت كتبهم على تراجمَ عموم المثقفين والمبرّزين في الحياة الثقافية الأندلسية، مع فارق أساسي بين السابق واللاحق، يخصّ ما يـَمنح الكتاب اللاحق شرعية وجوده، ألا وهو الفارق الزمني المنشود بالتأريخ والتسجيل. فيبدأ اللاحق عادة مِن لحظة إقفال التقييد في الكتاب السابق وانتهائه، ويستمر هو بنفسه بالتأريخ إلى لحظة الإقفال الجديدة الخاصة به، والتي عادة ما تكون فترة قريبة من وفاته، دون إعادة منه للعلماء المذكورين في الأصل الأوّل مِن باب احترام الصلة للأصل، إذْ لكلٍّ منهما حدود زمنية، التزَمها وتقيّد بها في تأليفه[20].

وعليه؛ فكتب الصلات هي مؤلفات تكمّل سابقتها، أي تَذْكر ما فات المؤلِّف الأول ذِكره في كتابه مِن تراجم وفوائد، ويبدأ مؤلِّفها مِن حيث انتهى سابقه[21]. وتجدر الإشارة هاهنا، إلى أن ظاهرة الاتصال أو الذيول على الكتب، لم تظهر في أوّل أمرها في المشرق الإسلامي، وإنما ظهرت في بلاد الأندلس والمغرب الإسلامي[22].

ولذلك، إنّ الكتابة في هذا النوع-الصلات والتكملات والذيول-كان أمرا مألوفا لدى الأندلسيين، حيث ظهر منذ الوهلة الأولى، واستمر طيلة العصور المتوالية، إلا أنه اشتهر أكثر في

20- يوسف أحمد يوسف بني ياسين: "**تعقبّات ابن الأبار (تـ658هـ/1260م) في كتابه التكملة لكتاب الصلة على ابن بشكوال (تـ578هـ/1183م) في كتابه الصلة**"، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، تصدر عن عمادة البحث العلمي بجامعة الأردن، مج6، ع3، 2012، ص ص32-33.

21- مارية دادي، كتب التراجم نشأتها وتطورها، ص323.

22- وداد القاضي، معاجم التراجم تنظيمها الداخلي وأهميتها الثقافية، ص93.

ميدان علم الرجال. وقد وُجد غير واحد من الأندلسيين ممن ألّف في هذا النوع من الكتابة قبل مؤلِّفي الصلات بعد ابن الفرضي. ومن أمثلة ذلك، ما قام به المحدّث مَسلمة بن القاسم القرطبي[23] في مؤلَّفه "الصّلة" الذي وصل به التاريخ الكبير للبخاري[24] وجعله ذيلا عليه، على أنه قيّده لذكر مَنْ أغفلهم البخاري رحمه الله من الرجال في تاريخه، وفي هذا يقول ابن حجر: "جمع تاريخًا في الرجال، شَرَطَ فيه ألا يذكر إلّا مَن أغفله البخاري في تاريخه"[25].

كما أنّ التأليف في هذا النوع-الصلات والذيول-لم يقتصر على التراجم بالأندلس فحسب، ولكنه تعدّاه إلى الفروع التاريخية الأخرى؛ كالتاريخ العام مثلا، ومن ذلك ما قام به عَريب بن سعيد القرطبي (تـ369هـ/979م)[26] مع تاريخ الطبري (224-310هـ/839-923م)[27]، حيث كتب عَريب هذا مختصرا لتاريخ الطبري، اختصر فيه "تاريخ الطبري" فيما يتّصل بأخبار المشرق من سنة 289هـ/901م إلى سنة 319هـ/930م، وأضاف إليه أخبار المغرب والأندلس، بمعنى أنه قام بوصله وتذييله والاستدراك عليه[28].

غير أنّ تخصيص هذا النوع لتراجم أهل العلم بالأندلس، برز بشكل واضح وجليّ مع المؤرخ ابن عفيف الأموي القرطبي (تـ420هـ/1029م)[29]، الذي صنّف مختصرا في "أخبار القضاة والفقهاء بقرطبة"[30]، وجعله صلةً لكتاب "تاريخ الفقهاء والقضاة" لابن عبد البر

23- مسلمة بن القاسم: بن إبراهيم بن عبد الله بن حاتم، من أهل قرطبة يُكَنّى أبا القاسم. سمع بالأندلس عن مشايخها، ثم رحل إلى المشرق فسمع عن جماعة، وانصرف إلى الأنْدَلُس وقد جمع حديثاً كثيراً، وكُفّ بصره بعد قدومه من المشرق وسمع الناس منه كثيرا؛ تُوفّي يوم 28 جمادى الأولى 353هـ/12 جوان 964م وهو ابن ستين سنة. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص823، ترجمة: 1421. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج08، ص63، ترجمة: 117. ابن حجر، لسان الميزان، ج8، ص61، ترجمة: 7737. السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص361.

24- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص361.

25- ابن حجر، لسان الميزان، ج8، ص61، ترجمة: 7737.

26- تقدمت ترجمته في الهامش: 158 من الفصل التمهيدي.

27- تقدمت ترجمته في الهامش: 155 من الفصل التمهيدي.

28- بالنثيا، تاريخ الفكري الأندلسي، ص ص206. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ص317-318. الزركلي، الأعلام، ج4، ص227.

29- تقدمت ترجمته في ص315 من هذا الفصل.

30- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص ص62-63، ترجمة: 71.

(تـــ338هـــ/950م)[31]، حيث سار على نهجه وطريقته وموضوعه وحدوده المكانية، مع اختلاف في الزمن[32].

ويعدّ كتاب ابن عفيف القرطبي هذا، أوّل كِتابٍ أُلِّف في الأندلس في تراجم الفقهاء الأندلسيين[33]. كما كان قد ألّف قبله عبد الملك بن حبيب الإلبيري (تـــ238هـــ/852م)[34] كتاب "طبقات الفقهاء"، إلا أنه خصصه للصحابة والتابعين، ولم يكن للأندلسيين[35]. وبالرغم من أنّ ابن عفيف، يعدّ أول مؤرخ كَتَبَ في الصلات، إلا أنّ كتابه لا يزال في عداد المفقود.

ولذلك، فحلقات كُتب الصلات الأندلسية المؤلّفة بوضوح وصراحة كصلة لسابقيها، تبدأ مع كتاب "الصلة" لابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) الذي وصل به كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي (تـــ403هـــ/1013م)[36].

ثم جاء كتاب "التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م)، الذي وصل به كتاب ابن بشكوال السابق[37]. وكذلك فعل ابن فرتون (تـــ660هـــ/1261م) في تذييله[38]، وكذا ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م) في كتابه "صلة الصلة"[39]، ويلي ذلك كتاب "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" لابن عبد الملك المراكشي (تـــ703هـــ/1303م) [40].

وبعد هؤلاء، ختم ابن الخطيب السلماني (تـــ776هـــ/1374م) هذه السلسلة من كتب الصلات الأندلسية بكتابه "عائد الصلة"، الذي وصل به كتاب "الصلة" لابن الزبير[41]، وبذلك

31- تقدّم التعريف به وبكتابه في الفصل الثاني من الأطروحة، ص187.

32- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، الحسن بن محمد القُبّشي، ص ص555-556.

33- توصل يوسف أحمد يوسف بني ياسين من خلال دراسته للحسن بن محمد القُبّشي وكتابه الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال، إلى نتيجة مفادها أن عنوان كتاب ابن عفيف الذي جعله صلة وتكملة لكتاب أحمد بن محمد بن عبد البرّ هو "الانتخاب". ينظر: يوسف أحمد يوسف بني ياسين، الحسن بن محمد القُبّشي، ص ص555-556.

34- تقدّم الحديث عنه في الفصل الأول ص ص44-54. وعن مظان ترجمته راجع الهامش 33 من الفصل الأول.

35- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، الحسن بن محمد القُبّشي، ص ص555-556.

36- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص29.

37- المرجع نفسه، ص32.

38- نفسه، ص38.

39- نفسه، ص39.

40- نفسه، ص42.

41- نفسه، ص44.

يكون هو الحلقة الأخيرة في هاته الصلات. ومِن المعروف أن الموصول والصلة والعائد، هي مصطلحات نحوية، استُعملت في عناوين هاته الكتب، لما تدل عليه من معاني الترابط والتتابع[42].

هذا، وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من التآليف لم يظل مقصورا على بلاد الغرب الإسلامي، وإنما كان لابد له وأن يتّجه إلى المشرق، غير أنه لم يقتصر في تسميتها على الصلة أو الذيل أو التكملة، وإنما ظهرت له مُسمَّيات أخرى كالوافي والفوات وغيرها، مما ظهر هناك ببلاد المشرق.

فبعد أن ألّف ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) أول كتاب من كُتب التكملات وهو "كتاب الصلة"، ظهر بعده ابن الدُّبَيْثِي[43] في المشرق وألّف ذيلا لتاريخ بغداد للخطيب البغدادي[44] سماه "ذيل تاريخ مدينة السلام"، وفيه أكمل تراجم مَن أقام في بغداد، وأسهم في إثراء الحضارة الإسلامية بعد عصر الخطيب البغدادي. وبعد ذلك بفترة وجيزة، ظهرت تتمة أخرى لكتاب الخطيب المذكور؛ أضخم من سابقتها التي وضعها ابن الدبيثي، وهي لابن النجّار[45] والتي سمّاها "ذيل تاريخ بغداد"[46].

42- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص44.

43- **ابن الدُّبَيْثي:** محمد بن سعيد بن يحيى، أبو عبد الله بن الدبيثي؛ مولده يوم الإثنين 26 رجب 558هـــ/30 جوان 1163هـــ بواسط. مؤرخ مِن حفاظ الحديث، من أهل واسط، ونسبته إلى دبيثا من نواحي واسط؛ توفي ببغداد يوم الإثنين 08 ربيع الثاني 637هـــ/07 نوفمبر 1239م. له: ذيل على تاريخ السمعاني جعله ذيلا لتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، واختصره الذهبي في كتاب: المختصر المحتاج إليه. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص ص394-395، ترجمة: 661. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص129، ترجمة: 3030. الزركلي، الأعلام، ج6، ص139.

44- تقدمت ترجمته في الهامش 65 من فصل الثاني.

45- **الحافظ ابن النَّجّار:** محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، أبو عبد الله، محب الدين بن النجار، مؤرخ حافظ للحديث من أهل بغداد، مولده في بغداد شهر ذي القعدة 578هـــ/فيفري 1183م. رحل إلى الشام ومصر والحجاز وفارس وغيرها؛ توفي في بغداد سنة 643هـــ/1245م. له: ذيل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، ج4، ص ص36-37، ترجمة: 494. ابن كثير، البداية والنهاية، ج15، ص ص254-255. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص2644-2646، ترجمة: 1114. الزركلي، الأعلام، ج7، ص86.

46- وداد القاضي، معاجم التراجم وتنظيمها الداخلي، ص ص94-95.

وقد حصل الأمر نفسه مع ابن خلكان[47]، الذي يعدّ كتابه "وفيات الأعيان" من أهم المصنّفات والمصادر في التاريخ والتراجم بالمشرق، حيث حظي بزيادات واستدراكات عدّة منها:

– **كتاب الوافي بالوفيات للصفدي خليل بن أيبك**[48]: وهو كتاب تراجم ضخم جدا، يقع في حوالي 29 مجلدا، أورد بين طيّيه تراجم وافية لأعلام عصره ومن سبقه.

– **كتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكُتبي**[49]: وقد ترجم فيه لمن لم يشمله كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، ومَن أتوا بعد ابن خلكان حتى عصره، حيث انتقى من هذا الكتاب حوالي 600 ترجمة[50].

– **كتاب عقود الجمان ذيل وفيات الأعيان للزركشي**[51]: حيث ألّفه في وقت قريب من الكتُبي.

47- **ابن خَلّكان (608-681هـ/1211-1282م):** أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكيّ، أبو العباس؛ مولده في إربل. مؤرخ حجة، وأديب ماهر، صاحب "وفيات الأعيان" أشهر كتب التراجم، وأحسنها ضبطا وإحكاماً؛ توفي في دمشق. ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص110، ترجمة: 45. الزركلي، الأعلام، ج1، ص220.

48- **صَلَاح الدِّين الصَّفَدي (696-764هـ/1296-1363م):** خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، أديب ومؤرخ. ولد في صفد بفلسطين، وإليها نسبته. تعلم في دمشق، فولع بالأدب وتراجم الأعيان. تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، إلى أن توفي فيها. له زهاء مئتي مصنف منها: الوافي بالوفيات؛ توفي بالطاعون في 10 شوال 764هـ/23 جويلية 1363م. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج10، ص05، ترجمة: 1352. ابن حجر، الدرر الكامنة، السفر الثاني، ص87، ترجمة: 1654. الزركلي، الأعلام، ج2، ص315.

49- **ابن شاكِر الكتبي (تـ764هـ/1362م):** محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي الدمشقي، صلاح الدين، مؤرخ عارف بالأدب؛ مولده في داريّا من قرى دمشق التي نشأ وتوفي بها. كان فقيرا جدا، واشتغل بتجارة الكتب، فربح منها مالا طائلا؛ له: فوات الوفيات. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، السفر الثالث، ص451، ترجمة: 1218. ابن العماد، شذرات الذهب، ج1، ص63، ترجمة: 31. الزركلي، الأعلام، ج6، ص156.

50- الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص04 من مقدمة المحقق إحسان عباس. وقد خالفت وداد القاضي ما ذكره إحسان عباس في مقدمة تحقيقه لكتاب الكتبي، حيث ذكرت بأن الصفدي كرّر معظم التراجم الموجودة في كتابي ابن خلكان وابن شاكر الكتبي. ينظر: وداد القاضي، معاجم التراجم وتنظيمها الداخلي، ص95.

51- **الزَّرْكَشِي (745-794هـ/1344-1392م):** محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي؛ أبو عبد الله، بدر الدين. من علماء الشافعية، تُركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة منها: عقود الجمان ذيل وفيات الأعيان. ينظر: ابن حجر، إنباء الغُمر بأنباء العمر، ج1، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة: لجنة إحياء التراث العربي، 1969، ص446. الدرر الكامنة، السفر الثالث، ص397، ترجمة: 1059. ابن العماد، شذرات الذهب، ج8، ص572. الزركلي، الأعلام، ج6، ص ص60-61.

– **كتاب تجريد الوافي بالوفيات للصفدي:** صنّفه ابن حجر العسقلاني[52] في فترة تالية، وقام فيه بحذف ما في الوافي للصفدي مِن زيادات[53].

– **كتاب المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي:** ألّفه ابن تغري بردي الأتابكي[54]، كمحاولة لاستيعاب واستقصاء ما فات وما أخلّ به الصفدي[55].

وخلاصة القول: فإن كتب الصلات الأندلسية، ظهرت في الأندلس منذ العهود الأولى، واستمر معها عبر عصورها المختلفة، إذْ كانت هي السبّاقة في تطور هذا النمط من الكتابة التراجمية، عن غيرها من مثيلاتها في المشرق.

2-2/أهم كتب الصلات والذيول الأندلسية:

تتفق المصادر التاريخية على أن الفضل في تألّق وتطور الكتابة التراجمية في الأندلس، يعود في الأساس إلى المحاولة الأولى على يدي ابن الفرضي (تـــ403هـــ/1013م) في كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، حيث أَحْدَث مِن خلاله نقلة نوعية، بقيت أنموذجا يحتذى به مِن بعده لدى أهل الغرب الإسلامي عامة. كما أن كتابه هذا تميّز عن غيره بميزتين اثنتين هما:

– **الأولى:** أنه قد غطّى فترة مديدة من تاريخ الأندلس، تـــمتد زمنيا من الفتح الإسلامي إلى مطلع القرن الخامس الهجري (ق05هـــ/11م)، وهي فترة لم يصلنا عنها إلا النزر اليسير من كتابات أصحاب التاريخ والتراجم، إذ ضاعت ضمن ما ضاع من الكتابات التاريخية. وقد حفظ

52- ابن حَجَر العَسْقَلَاني (773-852هـــ/1372-1449م): أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين ابن حَجَر، من أئمة العلم والتاريخ، وحافظ الإسلام في عصره. أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة. له مؤلفات جليلة منها: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص ص36-40، ترجمة: 104. الزركلي، ج1، ص178.

53- ابن حجر، تجريد الوافي، مج1، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، بيروت: مؤسسة الريان، ط1، 2013، ص46.

54- **ابن تَغْري بِرْدِي (813-874هـــ/1410-1470م):** يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين؛ مؤرخ بحاثة. من أهل القاهرة، مولدا ووفاة. كان أبوه من مماليك الظاهر برقوق ومن أمراء جيشه المقدمين. ولما مات أبوه بدمشق سنة 815هـــ، نشأ يوسف في حجر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني المتوفي 824هـــ، وتأدب وتفقه وقرأ الحديث، وأولع بالتأريخ. صنف كتبا نفيسة منها: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص305، ترجمة: 1178. ابن العماد، شذرات الذهب، مج1، ص ص75-76، ترجمة: 41. الزركلي، الأعلام، ج8، ص222.

55- ابن تغري بردي أبو المحاسن يوسف جمال الدين، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج1، تحقيق: محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص09.

لنا ابن الفرضي من خلال كتابه المذكور، الكثير من النصوص التاريخية لهؤلاء المؤرخين الأندلسيين ممن عاشوا قبله، فضلا عن معايشته للعديد من الأعلام، والأحداث والوقائع التاريخية التي كان شاهد عيان عليها، فأرّخ لها بنفسه معتمدا على خبرته ودرايته التاريخية الواسعة[56].

– **الثانية:** أن كتاب ابن الفرضي، أصبح بعده مرجعية وأساسا متينا، لمجموعة من التآليف التي ذيّلت عليه ونسجت على منواله، وهي ما اصطُلِح عليها بكتب الصلات الأندلسية[57].

وبذلك، أصبح ابن الفرضي، شيخ أصحاب المعاجم التراجمية بالأندلس[58]. وقد حظي كتابه باهتمام كبير ومبكّر في الحياة الثقافية بالأندلس، إذ لم يكد يمضي على وفاة مؤلِّفه نصف قرن من الزمن، حتى انبرى ثلة من علماء الأندلس، يعملون على وصله وإكماله والتتمة عليه، لرصد أسماء العلماء اللاحقين عليه، سيرا على منهجه وترتيبه.

وقد اتّفق المؤرخون كذلك، على أن كتاب ابن الفرضي، مثّل النواة الأولى لهاته السلسلة التراجمية، فكان بذلك الموصول الذي وصلته الكتب عبر فترات متتالية.

ومن أهم العلماء الذين قاموا بوصل وتتمّة كتاب ابن الفرضي والتذييل عليه نذكر[59]:

1- ابن مهلّب محمد بن أحمد بن جعفر القرطبي (توفي في حدود 450هـ/1058م): الذي صنّف ذيلا على تاريخ ابن الفرضي سماه "تعليق على تاريخ ابن الفرضي واستلحاق"، وهو في عداد المفقود.

2- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1182م): وقد وصل كتاب ابن الفرضي بكتاب سمّاه "كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم"؛ وهذا الكتاب من المصادر التي وصلت إلينا.

3- ابن سيدالة محمد بن عبد الله التجيبي (ت558هـ/1162م): وصل كتاب ابن بشكوال وألّف "مجموعًا في رجال الأندلس"؛ وهو في عداد المفقود.

56- شعيب عبد الواحد عبد السلام: "**كتب الصلات الأندلسية نهج فريد في فن التراجم الإخبارية**"، أعمال الملتقى الدولي الأول: النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات، تونس، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، 2012، ص220.

57- شعيب عبد الواحد، كتب الصلات الأندلسية نهج فريد في فن التراجم الإخبارية، ص220.

58- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص99.

59- سنقتصر على ذكر أسماء المؤلِّفين ومؤلفاتهم في هاته الجزئية، وسيأتي بيان وتفصيل كتب الصلات والذيول، فيما سيأتي من مباحث الأطروحة، ابتداء من ص340 من هذا الفصل، والفصل الخامس.

4- أبو القاسم القنطري محمد بن عبد الله (تـــ561هـــ/1165م): له استدراكات كثيرة وزيادات على تاريخ ابن بشكوال، حيث ألّف في هذا الصدد كتاب "زيادة على ابن بشكوال في تاريخه"؛ وهو في عداد المفقود كذلك.

5- ابن عياد يوسف بن عبد الله (تـــ575هـــ/1179م): ألّف كتابا وصل به تاريخ ابن بشكوال، وجعله ذيلا عليه؛ وهو في عداد المفقود كذلك.

6- ابن حُبيش عبد الرحمن بن محمد (تـــ584هـــ/1188م): له تعليقات واستلحاق على صلة ابن بشكوال، وهو في عداد المفقود كذلك.

7- أبو الخطاب بن واجب أحمد بن محمد (تـــ641هـــ/1243م): له استدراكات على تاريخ ابن الفرضي، وهو في عداد المفقود كذلك.

8- عبد الله بن قاسم الحرّار (تـــ646هـــ/1248م): ألّف كتابا سماه "المنهج الرضي في الجمع بين كتابي ابن بشكوال وابن الفرضي مع زيادة على ذلك"؛ وهو في عداد المفقود كذلك.

9- ابن الأبار محمد بن عبد الله (تـــ658هـــ/1260م): ألّف كتابه "التكملة لكتاب الصلة"، أراد من خلاله أن يُكمّل الصلة البشكوالية؛ والكتاب موجود ومطبوع.

10- ابن فرتون أحمد بن يوسف (تـــ660هـــ/1261م): ألّف كتاب "الذيل على صلة ابن بشكوال"، وهو في عداد المفقود.

11- ابن الزبير أحمد بن إبراهيم (تـــ708هـــ/1308م): ألّف كتاب "صلة الصلة"، الذي ذيّل به الصلة البشكوالية، وهو مطبوع ومتداول.

12- ابن عبد الملك المراكشي محمد بن محمد (تـــ703هـــ/1303م): ألّف كتاب "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"، حيث قام فيه بتذييل وتكملة كتابي ابن الفرضي "تاريخ علماء الأندلس" و"الصلة" لابن بشكوال، مع زيادات كثيرة؛ وهو من الكتب المطبوعة والمتداولة.

13- لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله (تـــ776هـــ/1374م): ألّف كتابا سماه "عائد الصلة" وضعه كذيل على كتاب "صلة الصلة" لابن الزبير؛ وقد حُقق بعضُه وطُبع من طرف لطيف خلف الدليمي وإيمان محمود حمادي العبيدي، ونُشر بدار آمنة للنشر.

14- ابن عاصم أبو يحي بن أبي بكر الملقّب بان الخطيب الثاني (تـــ857هـــ/1452م): وقد ألّف كتاب "الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقريض"، جعله ذيلا على كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" لابن الخطيب السلماني؛ وهو من الكتب المفقودة، التي عنيت بتدوين

تراجم الطبقة الأخيرة التي عاشت في القرن التاسع الهجري (ق09هـ/15م)، وأدركت نهاية الأندلس.

هذا؛ ويتضّح مما سبق ذِكره، أن هذه الذيول والصلات التي أُلّفت على نسق ابن الفرضي في كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، تعدّ دليلا على أهميته العلمية القصوى من جهة، ومن جهة ثانية اعتناء هؤلاء المؤرخين بالتأريخ لأعلام الأندلس ورجالاتها، وهو ما جعل من كتب الصلات الأندلسية المذكورة، مصدرا تاريخيا أساسيا لدراسة تاريخ الأندلس وحضارتها، عبر عصورها الإسلامية المختلفة[60].

إن تتابع هاته السلسلة من كتب التراجم، والتي سماها ابن الخطيب بكتب الصلات[61]، التي بدأت بتاريخ ابن الفرضي، وخُتمت بالروض الأريض لأبي يحي بن عاصم[62]، فرض عليّ أن أؤخر الكلام على كتب أخرى في التراجم الأندلسية، مع أن لها حقّ التقديم زمنيا[63]، ومنها:

1- **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس:** لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي، المتوفي 488هـ/1094م؛ وهو من المصادر الموجودة والمتداولة[64].

2- **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس:** لأحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضبي، المتوفي سنة 599هـ/1202م[65]، وهو من المصادر الموجودة والمتداولة.

وكذلك:

1- **مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس، وقلائد العقيان في محاسن الأعيان:** وهما من تصنيف الفتح ابن خاقان[66].

60- شعيب عبد الواحد عبد السلام، الكتابة التاريخية ومناهجها في الأندلس، الرباط: دار الأمان، ط1، 2014، ص161؛ نقلا عيساوي محمد، المؤرخ أبي الوليد بن الفرضي، ص105.

61- لعل أصل تسمية الصلات واعتمادها، يعود بالأساس إلى المصنّف الماتع الذي وضعه ابن الخطيب وسماه "بعض أوصاف الناس في الأغراض والصلات"، وهو قسم من مؤلّفه الضخم "ريحانة الكُتّاب ونجعة المنتاب"، الذي حققه ونشره منفردا محمد كمال شبانة تحت عنوان: "أوصاف الناس في التواريخ والصلات". ينظر: ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج1، ص20.

62- سيأتي بيان وتفصيل كتابه فيما سيأتي من مباحث الأطروحة.

63- الكتب التي سيأتي ذِكرها، ليست من الصلات، وإنما هي كتب تراجم أندلسية مختلفة، لها أهمية في تاريخ الأندلس.

64- سيأتي بيان وتفصيل كتابه فيما سيأتي من مباحث الأطروحة.

65- سيأتي بيان وتفصيل كتابه فيما سيأتي من مباحث الأطروحة.

66- **ابن خاقان (480-528هـ/1087-1134م):** الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان، بن عبد الله القيسي، أبو نصر. كاتب مؤرخ من أهل إشبيلية، وُلد ونشأ فيها. كان كثير الأسفار والرحلات؛ مات ذبيحا بمدينة مراكش في الفندق،

2- **سِمْطُ الجمان وسَقْط الأذهان:** لأبي عمرو ابن الإمام[67].

3- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:** لابن بسام الشنتريني[68].

4- **الـــمُسهب في غرائب المغرب**[69]: للحِجَاري[70]

5- **الـــمُطرب من أشعار أهل المغرب:** لابن دحية الكلبي[71].

أوعز بقتله الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين. من تصانيفه: قلائد العقيان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، راية المحاسن وغاية المحاسن. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص2157-2163، ترجمة: 889. وفيات الأعيان، ص ص23-24، ترجمة: 525. ابن العماد، شذرات الذهب، مج6، ص176. الزركلي، الأعلام، ج5، ص134.

67- **عثمان بن علي بن عثمان:** شلبي أو إستجي، وإليها نَسبه أبو عبد الله بن أبي الخصال، سكن إشبيلية؛ أبو عمرو بن الإمام؛ كان من جِلّة الأدباء وعلية الكتّاب والشعراء، صنف كتاباً على منحى المطمح وقلائد العقيان لابن خاقان، سماه سمط الجمان وسقط الأذهان، دلّ به على حسن إنشائه وجودة انتقائه؛ توفي بعد 550هـــ/1155م. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص112، ترجمة: 272. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج3، ص168، ترجمة: 421. الذهبي، المستملح، ص298، ترجمة: 637. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج12، ص ص99-100، ترجمة: 406.

68- **ابن بَسّام (تـــ542هـــ/1147م):** علي بن بسام الشنتريني الأندلسي، أبو الحسن. أديب من الكتّاب الوزراء، نِسبته إلى شنترين، اشتهر بكتابه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، الذي يشتمل على 154 ترجمة مسهبة لأعيان الأدب والسياسة ممن عاصرهم أو تقدموه قليلا. ينظر: ابن سعيد، المُغرب، ج1، ص ص417-418، ترجمة: 293. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص1667، ترجمة: 726. الزركلي، الأعلام، ج4، ص266.

69- ذُكر الكتاب بهاته التسمية عند ابن الخطيب في الإحاطة. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص ص328-330.

70- **أَبُو إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن وَزّمر الصنهاجي الحجاري:** الأديب، مولده بوادي الحجارة 499هـــ/1106م، ووفاته 549هـــ/1155م. من آثاره كتابه الشهير "المسهب". ينظر: ابن سعيد، المغرب، ج2، ص33، ترجمة: 352. ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص ص328-330. عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج3، عصر المرابطين، ص449. بوشريط أمحمد: "**الحجاري وإسهاماته الثقافية كتاب المسهب أنموذجا**"، مجلة عصور الجديدة، تصدر عن مختبر تاريخ الجزائر، مج3، ع10، 2013، ص ص96-115.

71- **ابن دحية الكَلْبي (544-633هـــ/1150-1236م):** عمر بن الحسن بن علي بن محمد، أَبُو الخَطَّاب، أديب ومؤرخ، حافظ للحديث، من أهل سبتة، ولي قضاء دانية، ثم رحل إلى مراكش والشام والعراق وخراسان، واستقر بمصر؛ توفي بالقاهرة. له: المطرب من أشعار أهل المغرب. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص448، ترجمة: 497. الذهبي، ميزان الاعتدال، ج3، ص186، ترجمة 6073. لسان الميزان، ج6، ص80، ترجمة: 5597. المقري، نفح الطيب، ج2، ص99، ترجمة: 55. ابن العماد، شذرات الذهب، مج7، ص280. الغبريني، عنوان الدراية، ص269، ترجمة: 86. سبط ابن الجوزي أبو المظفر يوسف بن قِزْ أوغلي بن عبد الله (581-654هـــ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج22، حققه وعلق عليه: إبراهيم الزيبق، دمشق: دار الرسالة العالمية، ط1، 2013، ص339. الزركلي، الاعلام، ج5، 44.

6- **الـــمُغرب في حلى المغرب:** لابن سعيد المغربي[72].

ولهذه الكتب قيمتان؛ أدبية وتاريخية، إلا أن الغالب عليها قيمتها الأدبية الكبيرة[73].

ولابن الخطيب السلماني[74]؛ في مصنّفات في مجال التراجم، خاصةٌ بتراجم أدباء الاندلس، خلال المائة الثامنة[75]، وهي:

1- **الكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة.**

2- **التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى** لابن سعيد المغربي، **والإكليل الزاهر فيمن فضل عند نظم التاج من الجواهر:** وهما قسمان من كتابه ريحانة الكتاب لابن الخطيب[76].

3- **أوصاف الناس في التواريخ والصلات.**

وفي السياق ذاته؛ نجد مؤلفات ابن الأحمر أبو الوليد[77]، وهي "نثير الجمان في شعر من نظمني وإياهم الزمان"، و"نثير أفراد الجمان في نظم فحول الزمان من أهل المائة الثامنة من فرسان الكتيبة الكامنة"، و"مستودع العلامة". وكُتب ابن الأحمر هاته؛ هي مصنّفات خاصة بتراجم الأدباء خلال القرن الثامن الهجري (ق08هـــ/14م)، أُلِّفت كامتداد واستمرار لكتب سبقتها، مثل

72- **ابن سعيد الـــمغربي (610-685هـــ/1214-1286م):** علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، العنسيّ المدلجي، أبو الحسن نور الدين. مؤرخ أندلسي، من الشعراء العلماء بالأدب. ولد بقلعة يحصب، قرب غرناطة، ونشأ واشتهر بغرناطة. وقام برحلة طويلة زار بها مصر والعراق والشام، وتوفي بتونس، وقيل في دمشق. من تآليفه: المغرب في حلى المغرب. ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص103. المقري، نفح الطيب، ج2، ص270. الزركلي، الأعلام، ج5، ص26. محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984، ص ص37-40.

73- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص48؛ ولهذا السبب لم نقدم له دراسة وافية وشاملة.

74- سيأتي بيان وتفصيل كتابه فيما سيأتي من مباحث الأطروحة.

75- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص46.

76- ابن الخطيب السلماني، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ج2، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1981، ص ص: 361-410 وص ص411-428.

77- **ابن الأَحْمَر (تـــ807هـــ/1404م):** إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي الأنصاري النصري، أبو الوليد، المعروف بابن الأحمر، مؤرخ أديب، غرناطي الأصل، أقام وتوفي بفاس. من كتبه: نثر الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، ونثير أفراد الجمان في نظم فحول الزمان. ينظر: الكتاني، فهرس الفهارس، ص144، ترجمة: 33. الزركلي، ج1، ص329.

كتاب "زاد المسافر" لأبي بحر التجيبي[78]، وتحفة القادم[79] لابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م)[80] قبلها، والغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة[81]، والقدح المعلّى في التاريخ المحلى لابن سعيد[82] وغيرها.

وعليه، فإن هاته الاستمرارية في كتابة تراجم الأندلس، كانت سببا لهاته التراكمية التي أدت إلى الثراء الثقافي والتنوع العلمي بالأندلس[83].

3/-كتب البرامج والفهارس والمشيخات والثبت في الأندلس:

3-1/نشأة برامج الشيوخ في الأندلس:

يعتبر هذا النوع من التأليف أصلا أصيلا من الفروع التي تتصل اتصالا وثيقا بكتب التراجم، وقد برع فيها الأندلسيون وساهموا فيها بأوفر نصيب. وتحوي هاته التآليف، على مادة بيوغرافية وبيبليوغرافية هامة، تفيد كثيرا في عملية إحصاء العلماء من جهة، وفي إيراد الاستطرادات المتنوعة عن توليهم للخطط الدينية، والنشاطات الاقتصادية، وكذا دورهم السياسي[84].

هذا؛ وتنمّ فهارس وبرامج الشيوخ التي عُرفت بالأندلس، عن سعة وكثرة مؤلفات علماء الإسلام، وتحيلنا إلى مصادر المعرفة في شتى مناحي الحياة العلمية، إذ هي مصنّفات تعجّ بأسماء الشيوخ ومصنّفاتهم. وقد اهتمت هاته التصانيف التي شغف بها الأندلسيون-الفهارس والبرامج-

---

78- **صَفْوان بن إدريس (561-598هـــ/1166-1202م)**: بن إبراهيم التجيبي المرسيّ، أبو بحر. أديب من الكتاب الشعراء، من بيت نابه، في مرسية؛ مولده ووفاته بها. من كتبه: "زاد المسافر" في أشعار الأندلسيين، و"بداهة المتحفز وعجالة المستوفز" ويسمى العجالة، وهو عبارة عن مجموعة شعره ونثره، و"الرحلة" وكتاب في "أدباء الأندلس". ينظر: ابن الأبار القضاعي البلنسي أبو عبد الله محمد (تـــ658هـــ)، تحفة القادم، أعاد بناءه وعلق عليه: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1986، ص119، ترجمة: 52. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص1448-1450، ترجمة: 603. الزركلي، الأعلام، ج3، ص205. كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص19-20.

79- هذا السفر النّفيس أعاد بناءه وعلق عليه إحسان عباس وطبع بدار الغرب الإسلامي في بيروت سنة 1986.

80- ستأتي ترجمته فيمت سيأتي من مباحث الأطروحة.

81- حققه ابراهيم الأبياري وطبع في القاهرة سنة 1959، وترتيب هذا الكتاب على ثلاثة أقسام: الأول؛ في تراجم الذين تحققت سنة وفاتهم: والثاني؛ في تراجم الذين لم يقف منهم على ذلك، والثالث؛ من استقر العلم على حياته عند انتهاء هذا التصنيف وذلك في سنة 676هـــ/1277م. ينظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، ص38.

82- اختصره محمد بن عبد الله بن خليل، وحقق هذا المختصر ابراهيم الأبياري ونشره في القاهرة سنة 1959. ينظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، ص39.

83- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص46.

84- متاجر صورية، العلماء في الأندلس من خلال كتب التراجم والصلات خلال القرنين 4-5هـــ/10-11م دراسة بيوغرافية بيبليوغرافية، مذكرة ماجستير في علم المكتبات والعلوم الوثائقية، إشراف: محمد صاحبي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران السانية، قسم علم المكتبات، 2007-2008، ص51.

بمختلف طبقات العلماء والرواة، رغبة من أصحابها في الالتحاق بالسند والإجازة والعناية بالرواية. حيث عُرف أول ظهور لها بالأندلس، منذ العصور الإسلامية المتقدمة، وكثر الاهتمام بها وزاد وتواصل إلى عهود المسلمين المتأخرة بالأندلس.

وإلى علم الحديث، يُعزى ظهور وانتشار كتب الفهارس بالأندلس، إذ هو أصلها الأصيل، الذي كان له بالغ الأثر في توجيه مناهجهم العلمية، والتي تعتمد نقد مصادر المعرفة وتتبع طرق الأخذ مصدرا أساسيا لها، لضمان سلامة أساليب الرواية، وهو ما أنتج لنا في الأخير ما سمي بكتب الفهارس والبرامج، التي تعتبر في الأساس نتيجة حتمية لاتجاه المحدّثين لضبط أسانيدهم ومروياتهم[85].

وفي ظل هذا التنوع والثراء في المفاهيم الخاصة بهذا النوع من التآليف، تعدّدت المسمّيات التي أطلقت عليها ووُسمت بها. إلا أن القاسم المشترك بينها كلّية، هو أنه تدور في رحى وظيفة واحدة، ألا وهي إعداد القوائم في الفكر العربي الإسلامي، إذ عُرفت بعدد قليل من المصطلحات العربية أو المعرّبة[86].

كما أن هناك في الأفق، مصطلحات أخرى شاع استعمالها عند بعض المتخصصين، تؤدي المعنى والغرض ذاته، وهي:

– **الفهارس:** وهي جمع لكلمة فهرست، الفارسية الأصل قبل ان تعرّب وتصبح فِهْرِسْ (بكسر الفاء والراء). وتعني هاته الكلمة في الاصطلاح، بأنها الكتاب الذي يَجمع فيه الشيخ شيوخه وأساتذته وما يتصل بذلك[87]. وقد درج العلماء على استعمالها بأحد معنيين؛ الأول بأسماء الكتب، والثاني ببيان مختصر أبواب الكتب[88].

85– متاجر صورية، العلماء في الأندلس، ص51. عبد العزيز الأهواني: **"كتب برامج العلماء في الأندلس"**، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، جامعة الدول العربية، مج1، ع1، مايو 1955، ص94.

86– متاجر صورية، العلماء في الأندلس، ص52.

87– مشيخة ابن حجر العسقلاني المسماة المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار المعرفة، ط1، 1992، ص47. الترغي، فهارس علماء المغرب ص ص30–32.

88– متاجر صورية، العلماء في الأندلس، ص52.

– **البرامج:** هو جمع لكلمة فارسية هي "البرنامج"، والتي تدل على الورقة الجامعة للحساب، مُعَرَّبُ: بَرْنامَهْ[89]. وقد عبر المحدّثون عن الكتاب الذي يضم أسماء الشيخ المحدّث ومروياته عنهم، باسم "المشيخة"، والتي أطلق عليها فيما بعدُ "المعجم"، وذلك حينما تم ترتيب الشيوخ على الحروف الهجائية[90].

وتجدر الإشارة إلى أن الأندلسيين استعملوا كثيرا مصطلح البرنامج وتوسعوا فيها، فأطلقوها على ملخص الكتاب المركز الذي يضمّ كل العناصر والمسائل. وفي المقابل من ذلك؛ فإن هاته التسمية لم تُعرف عند المشارقة بالشكل الذي اشتهرت به في الغرب الإسلامي، رغم غزارة التأليف في الفهارس، إذ ربما يعود ذلك إلى تداول كتب فقه الإمام مالك في المغرب والأندلس، وشُهرة لفظ البرنامج لدى فقهائه[91].

– **المشيخة:** هي الجزء الذي يجمع فيه المحدّث أسماء شيوخه ومروياتهم، ثم صاروا يطلقون عليه بعد ذلك المعجم، لما صاروا يفردون أسماء الشيوخ ويرتبونهم على حروف المعجم، فكثر استعمال وإطلاق المعاجم مع المشيخات[92]. ثم استعمَلت المشيخة علماً على الكراريس التي يجمع الإنسان فيها شيوخه وهو اصطلاح قديم[93].

وفي هذا الإطار، بيّن ابن حجر الفروق الدقيقة والجوهرية بين المعجم والمشيخة فقال: "وَهِي فِي معنى المعاجم إِلَّا أَن المعاجم يرتب المشايخ فيها على حروف المعجم فِي أسمائهم بِخِلَاف المشيخات"[94].

وقد فسّر الترغي مُراد ابن حجر من كلامه السابق، فقال: "وعلى هذا؛ يكون لفظ المشيخة أعمّ في إطلاقه من معجم الشيوخ، إذ أن خصوصية هذا الأخير في عرض الشيوخ وفق الترتيب

89- الفيروزآبادي مجد الدين محمد (تـ817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، ص180. الكتاني، فهرس الفهارس، ص71.

90- متاجر صورية، العلماء في الأندلس، ص52.

91- حول الموضوع ينظر: الأهواني، كتب برامج العلماء في الأندلس، ص ص91-120. عبد الله المرابط الترغي، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها تطورها قيمتها العلمية، تطوان: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، سلسلة الأطروحات رقم: 02، ط1، 1999، ص34.

92- القنوجي البخاري محمد صديق حسن خان (تـ1308هـ)، الحِطّة في ذِكر الصحاح الستة، دراسة وتحقيق: علي حسن الحلبي، بيروت: دار الجيلي، عمان: دار عمار، ب ط، ص ص124-125. الكتاني، فهرس الفهارس، ص67.

93- الكتاني، فهرس الفهارس، ص624.

94- ابن حجر، المجمع المؤسس، ص47. الكتاني، فهرس الفهارس، ص624. الترغي، فهارس علماء المغرب، ص41.

المعجمي، يحصر دلالته على المشيخة في وضع معين منها. في حين يضم لفظ المشيخة كل المصنّفات التي تُعرّف بشيوخ المؤلِّف، خضعت في ترتيبها للحروف المعجمية، أو اتبّعت ترتيبا آخر"[95].

– **المعجم:** هو الكتاب الذي يترجم فيه الشيخ لشيوخه، مرتّبين على حروف المعجم، ويذكر ما رواه عن كل واحد في ترجمته من حديثه[96]. ومصطلح المعجم، يُستعمل في مجال الفهرسة، ويطلق على عدّة معانٍ منها: القاموس، فهرس الكتب، فهرس الألفاظ والمصطلحات.

وعليه؛ فقد أُطلق لفظ المعجم للدلالة على كثير من المصنّفات، التي تخضع في ترتيب مادتها لحروف المعجم[97].

– **الثبت:** هو كتاب يترجِم فيه مؤلِّفه لحياة أساتيذه العلمية، مع ذِكر إسنادهم ومروياته عنهم، وإجازتهم له؛ وهو ما عبر عنه السخاوي بقوله: "ما يثبت فيه المحدث مسموعة مع أسماء المشاركين له فيه، لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره"[98].

كما أنّ الثبت يعني الحجّة والبيّنة، وقد استعمل الثبت بالفتح والتحريك في الفهرسة التي يجمع فيها المحدث مروياته وأشياخه، أي كأنه أخذ من الحجة، لأن أسانيده وشيوخه حجة له[99].

– **الإجازة:** وهي أن يأذن الشيخ لغيره، بأن يروي عنه مروياته أو مؤلفاته[100].

3-2/طرق تأليف كتب البرامج والفهارس ونظم ترتيبها:

تعدّدت طرق تأليف كتب البرامج والفهارس، واختلفت معها أساليب الترتيب. ومن خلال عمل دراسة فاحصة لبعض المؤلفات، فإننا نجدها تخضع لطرق أربع؛ هي:

– **الطريقة الأولى:** تبويبها على أساس الكتب مرتّبة حسب موضوعاتها، وهاته الطريقة تمثلها بشكل دقيق فهرسة ابن خير الإشبيلي[101].

95- الترغي، فهارس علماء المغرب، ص41.

96- ابن حجر، المجمع المؤسس، ص47. الكتاني، فهرس الفهارس، ص609.

97- متاجر صورية، العلماء في الأندلس، ص53.

98- السخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، ج2، تحقيق وتعليق: الشيخ علي حسن علي، القاهرة: مكتبة السنة، ط1، 2003، ص115.

99- الكتاني، فهرس الفهارس، ص ص68-69. الترغي، فهارس علماء المغرب، ص ص46-48.

100- ابن حجر، المجمع المؤسس، ص47.

101- الأهواني، كتب برامج العلماء في الأندلس، ص96؛ وسيأتي الحديث عنها في الجزئية الموالية ص336.

– **الطريقة الثانية:** وقد مثّلها بحقّ عبد الحق بن عطية بن غالب[102] في فهرسته، التي بدأها بذكر أسماء شيوخه، وابتدأ بأبيه الفقيه أبي بكر غالب، والكتب التي درسها عليهم أو رواها عنهم[103].

– **الطريقة الثالثة:** وفيها يتّضح أن عددا من المؤلّفين أرادوا الجمع بين الطريقتين السابقتين، بسرد المرويات من الكتب، وتراجم الشيوخ على سبيل الإيجاز المعهود، وأحسن من مثل هاته الطريقة هو الوادي آشي في برنامجه[104].

– **الطريقة الرابعة**[105]: ويعبر عنها صراحة النص الذي نقله ابن عبد الملك المراكشي في "الذيل والتكملة"، حيث أورده في ترجمة علي بن عَتيق بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن مؤمن الأنصاري الخَزْرَجي[106]؛ هذا النص وصفَ لنا من خلاله برنامجا لم يصل إلينا–في حدود ما اطّلعنا عليه–وجعل صورته واضحة أتم الوضوح للقارئ؛ يقول ابن عبد الملك: "وقد ضمَّنَهم برنامجَه الذي سمّاه: بغية الراغِب ومُنْيَةَ الطالب، وهو برنامج حفيل أودعه فوائد كثيرة كاد يخرج بها عن حدّ الفهارس إلى كتب الأمالي المفيدة...وعرَّف فيه أحوال رجاله الذين رَوى عنهم وذكَر أخبارهم ومناقبَهم ومَراتبَهم في العلم وسِيَرَهم وأخلاقَهم، وأسند عن جمهورِهم أحاديَ وحكايات وأناشيد وأدعيةً وطُرَفًا مُستَطرَفة، فجاء كثير الإمتاع منوّعَ الفنون والأغراض، وصدَّره بطرف صالح من بيان فضلِ العلم وصناعة الحديث وطُرُقِ الرِّواية وكيفيّة الضَّبط، إلى غير ذلك من آداب علمية وفوائد حديثية نافعة"[107].

وأما عن نُظم الترتيب الداخلي؛ التي اتّبعها مؤلفو البرامج والفهارس، فهي ترتبط إلى حدّ كبير بطرق تأليفها، وهي[108]:

102– سيأتي الحديث عنه وعن فهرسته في الجزئية الموالية، ص336.

103– الأهواني، كتب برامج العلماء في الأندلس، ص101.

104– المرجع نفسه، ص106؛ وسيأتي الحديث عنه في الجزئية الموالية ص338.

105– الأهواني، كتب برامج العلماء في الأندلس، ص ص108–109.

106– مولده في 09 شوال 522هـ، ووفاته بفاس سنة 598م. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص216، ترجمة: 225.

107– ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص219.

108– متاجر صورية، العلماء في الأندلس، ص55.

– **الترتيب الـــموضوعي:** يراعى فيه ترتيب الكتب التي قرأها صاحب البرنامج؛ وقد جاءت معظم هاته البرامج مندرجة تحت موضوعات العلوم المختلفة.

– **الترتيب الـــهجائي:** يراعى فيها ترتيب أسماء الشيوخ الذين قرأ عليهم صاحب البرنامج.

– **الترتيب الـــمَزجي:** يُراد بها الجمع بين المرويات من الكتب، وتراجم الشيوخ.

– **الترتيب الـــجغرافي:** وفيها يرتب الشيوخ المترجَمين، بحسب المكان الجغرافي.

3-3/ أهم كتب البرامج والفهارس في الأندلس:

تعدّدت كتب البرامج والفهارس في الأندلس بشكل لافت، ولا تسعفنا طبيعة موضوع الأطروحة في رصدها كلّية؛ لكثرتها وضياع أغلبها الذي لا يزال مفقودا، بل سنقتصر على ذِكر أهم من ألّف في هذا المجال والتي وصل إلينا منها عدد محدود جدا. ومن أهم كتب الفهارس، التي ذاعت شهرتها وأهميتها في الأندلس، نذكر:

– **فهرس ابن عطية**[109]: تحتوي تراجم هاته الفهرسة على ثلاثين شيخا من شيوخه، وقد ترجمهم، بإعطاء صورة واضحة لحياتهم العلمية. وأما عدد الكتب المروية التي ذُكرت في الفهرسة، فقد بلغت 120 كتابا.

كما احتوت هاته الفهرسة؛ على أسماء الكثير من المحدّثين والفقهاء والعلماء في الأندلس، خلال القرن السادس الهجري (ق06هـــ/12م)، وإنتاجهم الفكري، وكذا اهتمامهم برواية العلوم[110].

– **فهرس ابن خير الإشبيلي**[111]: تعتبر هاته الفهرسة التي روى فيها عن شيوخه من الدواوين المصنّفة في شتى ضروب العلم وأنواع المعارف؛ من أغنى المصنّفات التي مسحت مقتنيات المكتبة

109- **عبد الحق بن عطية (481-541هـــ/1088-1147م):** بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام ابن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية المحاربي، الغرناطي المالكي، أبو محمد. عالم مشارك في الفقه والحديث، والتفسير والنحو واللغة والأدب. ولي قضاء مدينة المرية، ورحل الى المشرق؛ توفي بلورقة في 15 رمضان. مِن مؤلفاته: الجامع المحرر الصحيح الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وبرنامج ضمنه مروياته وأسماء شيوخه. ينظر: عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي أبو محمد، فهرسة ابن عطية، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص ص45-46. المقري، نفح الطيب، ج2، ص526. كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص93.

110- فهرسة ابن عطية، ص ص45-46.

111- **ابن خَيْر الإشبيلي (502-575هـــ/1109-1179م):** محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي، أبو بكر. مقرئ من حفاظ الحديث، ولغويّ أديب، من أهل إشبيلية. يقال له الأَمَوي –بفتح الهمزة والميم–نسبة إلى أَمَة وهو جبل بالمغرب؛ وَصَلَنا من تصانيفه: فهرسة ما رواه عن شيوخه. ينظر: فهرسة ابن خير الإشبيلي (تحقيق بشار

الأندلسية، حيث حصر فيه ابن خير الكتب المؤلَّفة في الأندلس والواردة إليه حتى عصره، وذلك رواية عن شيوخه إسناداً. والذي يظهر لقارئ هاته الفهرسة، أن صاحبها أُجيز له ما يفوق 1040 كتابا.

وفي عرضه للكتب التي أُجيز فيها، كان ابن خير الإشبيلي، يذكر عنوان الكتاب واسم مؤلِّفه وإسناداته. وعلى ما يبدو، فإنه رتّب كتابه "الفهرسة" على أساس الموضوعات (العلوم)، فذَكر علوم القرآن، الموطّآت، كتب الحديث، كتب التاريخ، كتب التراجم، السير والأنساب، الفقه، أصول الدين، الفرائض، الآداب واللغات والشّعر[112].

وقد بلغ مجموع ما ذكره من الكتب في الفهرسة حوالي 1177 كتابا[113]، في حين بلغ عدد المؤلفين 705 مؤلِّفا[114]، بخلاف ما ذكره كوديرا وريبيرا في تحقيقهما لفهرسة ابن خير اللذان ذكرا أن عدد الكتب هو 1040[115].

– **فهرس أبو الحسن الرُّعيني الإشبيلي**[116]: وسماه "الإيراد لنبذة المستفاد من الرواية والإسناد بلقاء حملة العلم في البلاد، على طريق الاقتصار والاقتصاد". وقد رتّبه على الطبقات، وهو ما

عواد)، ص ص6-7. أبو بكر محمد بن خير بن خليفة الأموي الإشبيلي، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، وقف على نسخها وطبعها ومقابلتها: فرانسيسكو كوديرا وخوليان ريبيرا، ط3، 1963، ص: ي. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص49. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج5، السفر الثامن، ص184. ابن العمادية، ذيل تكملة الإكمال، ص252. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص85، ترجمة: 34. تاريخ الإسلام، ج12، ص559، ترجمة: 172. ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص416. الزركلي، الأعلام، 6، ص119.

112- فهرسة ابن خير (تحقيق كوديرا وريبيرا)، ص: ل-ص. فهرسة ابن خير الإشبيلي (تحقيق بشار عواد)، ص ص10-16. الأهواني، كتب برامج العلماء في الأندلس، ص ص97-98.

113- متاجر صورية، العلماء في الأندلس، ص56.

114- المرجع نفسه، ص56.

115- فهرسة ابن خير (تحقيق كوديرا وريبيرا)، ص: ن.

116- **الرُّعَيْني (592-666هـ/1196-1268م):** علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الرعينيّ، ويقال له ابن الفخار، مِن بني الحاج، أديب أندلسي، من الكتّاب العلماء. كان أبوه فخارا، وَوُلد هو وتعلم في إشبيلية. استُقضي على مذهب مالك في مورور قرب إشبيلية سنة 615هـ/1218م وغلبت عليه الكتابة، فتنقل في الأعمال الديوانية بين غرناطة وإشبيلية ومرسية؛ توفي بمراكش. من مؤلفاته: برنامج شيوخه. ينظر: برنامج شيوخ الرعيني أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي، حققه: إبراهيم شبوح، دمشق: مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، 1962، ص ص: ط-ك. إبراهيم شبوح: "**برنامج شيوخ ابن الفخار الرعيني 592-666هـ**"، مجلة معهد المخطوطات العربية، تصدر جامعة الدول العربية، مج5، ع1، ماي 1959، ص ص103-137. الزركلي، الأعلام، ج4، ص333.

نستشفه مما ذكره في إجازته لابن عبد الملك المراكشي. كما أنه عمد في تراجمه إلى ذِكر أسماء شيوخه كاملة في غالب الأحيان، وكذا موضع لقائه بهم، وذَكر ما أخذ عنهم من الكتب، وعدد تآليفهم ومن استجازهم، وأنهى بذِكر سني وفياتهم[117].

– **برنامج ابن جابر الوادي آشي**[118]: يحتوي هذا البرنامج على 279 شيخا، ويشتمل على 238 كتابا. ويُلاحَظ على هذا البرنامج أن **جزأه الأول** مقسّم إلى قسمين:

القسم الأول: خصصه لتراجم الشيوخ الذين لقيهم وأخذ عنهم، وبلغ عددهم 70 شيخا، ذَكرهم غير مرتبين هجائيا، وإنما رتبهم بحسب كثرة الأخذ عنهم، فيذكر في كل ترجمة اللقب والكنية والاسم والبلد، وتاريخ المولد، والشيخ، وما قُرئ عليه، والكتب المسموعة والوفاة[119].

القسم الثاني: وقد خصصه لتراجم الشيوخ الذين أجازوه، ووضع لهذا عنوانا ووسمه بـــ: "ممن أجازوني من أهل المشرق والمغرب"، وأورد فيه 194 ترجمة، لم يرتّبها على حروف الهجاء. كما أنه أورد تراجم لـــ 12 امرأة في هذا القسم بعنوان: ومن النساء المجيزات، حيث اقتصر فيها على ذِكر اسم الشيخ، تاريخ الميلاد، الشيوخ، تاريخ الوفاة.

وأما **الجزء الثاني**: فقد خصّصه للكتب التي أخذها عنهم، وقد وسمه بـــ "هذا ذِكر ما حضرني ذِكره شرح في أول التأليف سره"، ويحتوي على 228 كتابا. وفي إيراده لهاته الكتب، كان يذكر البيانات الآتية: العنوان كاملا، اسم المؤلِّف كاملا، اسم الشيخ الذي أخذ عنه[120].

ويلاحظ على هذا الجزء؛ أن ترتيب الكتب كان موضوعيا بحسب العلوم، وجاء متداخلا في معظم موضوعاته، ومثال ذلك، أنه ذَكر كتب التصوف وكتب اللغة، وضم إليها كتب الحديث.

117– برنامج شيوخ الرعيني، ص: ل. إبراهيم شبوح، برنامج شيوخ ابن الفخار الرعيني، ص104.

118– **محمد بن جابِر الوادي آشي (673 –749هـ/1274–1338م):** محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسي، شمس الدين، أبو عبد الله الوادي آشي، شاعر أندلسي رحال، عالم بالحديث، أصله من وادي آش؛ مولده ووفاته بتونس. وهو من مشايخ لسان الدين ابن الخطيب، وعبد الرحمن ابن خلدون؛ له: ديوان شعر. ينظر: برنامج الوادي آشي، تحقيق: محمد محفوظ، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط3، 1982، ص09. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص299، ترجمة: 104. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص413، ترجمة: 1099. الزركلي، الأعلام، ج6، ص68.

119– برنامج الوادي آشي، ص ص99–173

120– المصدر نفسه، ص ص186–322.

وعليه؛ فقد كانت هاته بعض النماذج-على سبيل المثال لا الحصر-من كتب البرامج والفهارس في الأندلس، لإعطاء تصور عام حول نمطية التأليف في هذا النوع من الكتابة التراجمية في الأندلس، باعتبار أن كتب البرامج والفهارس، تدخل ضمن كتب التراجم الأندلسية.

وخلاصة القول: فإن كتب برامج الشيوخ، تشكّل دواوين لأسماء أجيال حملت أمانة تبليغ المعارف والعلوم لتلاميذها. فهي تمدّنا بصورة صادقة عن تطور الحركة العلمية، والحياة الثقافية في العصر الذي دُونت فيه. كما تساعدنا على معرفة الكتب المتداولة وقتذاك، وإحصائها في مختلف الفنون والعلوم، وكذا النشاط الفكري في شتى المجالات.

وهي توضح لنا كذلك، العلاقات وطرق الاتصال العلمي بين الطلاب وشيوخهم من جهة، وبين علماء المشرق والأندلس من جهة ثانية. وعليه تكون قد أماطت اللثام عن حركة التعليم والتدريس في الأندلس، خاصة خلال القرن الخامس الهجري (ق11/05م)، والذي شهدت فيه الفهرسة نموا وتطورا سريعا، بكثرة أعدادها، وإقبال الشيوخ على كتابتها، فازدادت معها أهميتها، وأصبح اعتماد كتب التراجم والطبقات عليها أمرا لا مفرّ منه، لتغطية مواد تآليفهم.

المبحث الثاني: كتب الصلات والذيول الأندلسية ومنهجها في الكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق05-06هـ/11-12م)

ما مِن شَكٍّ أنّ الكتابة التراجمية في الأندلس عرفت ازدهار قلّ نظيره، منذ أن وضع أُسُسَها العامة؛ ابن الفرضي (ت403هـ/1013م) صاحب كتاب "تاريخ علماء الأندلس"، الذي يعتبر من ذخائر الأندلس الثقافية، وفرائدها النفيسة. حيث مثّل أولى حلقات كتب الصلات الأندلسية، ومن أجلّ من ألّف في بابه، إذ "بلغ فيه النهاية، والغاية من الحفل والإتقان"[121].

ولأجل ذلك؛ عدّ حسين مؤنس ابن الفرضي، شيخ أصحاب معاجم التراجم الأندلسية، ومقرّر أصول هذا الفنّ الذي اتّصل في الأندلس والمغرب، بعد ذلك قرونا طويلة[122]، مما جعله يحظى بمكانة عالية بين أقران عصره، وعلماء مَصره، الذين راحوا يتأسّون بصنيعه، ومشيا على سَنَنِه. ولم تكد تمضي سنون على وفاته، حتى شرع العلماء في الوصل على كتاب ابن الفرضي، ويعملون له صلات وتكملات وذيول.

121- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج1، ص279، ترجمة: 539.

122- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص99.

ولعلّ أوّل وأقدم مؤلّفٍ ورد ذِكره عند كتب الإخباريين في هذا السياق، هو تلميذ ابن الفرضي (ت403هـ/1013م)؛ ابن مهلّب محمد بن أحمد بن جعفر القرطبي (توفي في حدود 450هـ/1058م)، الذي يعدّ من أول تلاميذ ابن الفرضي الذين شرعوا في الاقتداء بشيخهم ابن الفرضي، وَوَصْلِ مؤلَّفه بمؤلفات تالية، لتأتي بعدهم أجيال كاملة من المؤرخين، درجوا على النهج نفسه وتتابعوا عليه؛ منذ القرن الخامس الهجري (ق05هـ/11م) إلى غاية القرن التاسع الهجري (ق09هـ/14م).

وسنعكف في هذا المبحث، على رصد أهم كتب الذيول والصلات الأندلسية، خلال الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى السادس الهجريين (ق05-06هـ/11-12م)، مع بيان منهجيتها في الكتابة التراجمية في الأندلس.

1/-كتب الصلات والذيول الأندلسية ومنهجها في الكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق05هـ/11م):

1-1/ابن مهلب (توفي في حدود 450هـ/1058م):

- حياته:

هو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن إسحاق بن عبد الله بن إسحاق بن مهلّب ابن جعفر القرطبي الشَذوني الأصل، من بيت وزارة وجلالة. تتلمذ لكبار علماء الأندلس، كابن حزم (ت456هـ/1064م) [123]، وابن عبد البرّ القرطبي (ت 463هـ/1017م)[124]. إلا أنّ تعلّقه الأكبر كان بشيخه ابن الفرضي (ت403هـ/1013م)، الذي لازمه طويلا وسمع منه كثيرا، وهو الأمر الذي أكسبه فصاحة وبلاغة، وعناية بالرواية والكتابة[125].

123- تقدمت ترجمته في الهامش 414 من الفصل الثاني.

124- تقدمت ترجمته في الهامش 173 من الفصل الثالث.

125- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص315، ترجمة: 1111. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج4، السفر السادس، ص ص39-40، ترجمة: 71. الذهبي، المستملح، ص23، ترجمة: 23. تاريخ الإسلام، مج9، ص ص753-754، ترجمة: 357.

ونظير ما تمتّع به من حظوة سلطانية؛ اشتغل كسفير لإصلاح ذات البين بين ملوك الطوائف، وكان من أعيان ووجهاء الخليفة المستظهر أبو المطرف عبد الرحمن بن هشام[126]، لحُسن أدبه وسعة معرفته، ثم تحول إلى شرق الأندلس فجلّ قدره عند أهله، وعُرف فضله لديهم[127].

- إنتاجه العلمي:

لم يَرد في كتب الإخباريين، كبيرُ أثر لابن مهلّب القرطبي في مجال التأليف، حيث أنه ورغم سعة علمه واطّلاعه، إلا أنه صنّف ذيلا واحدا فقط على تاريخ شيخه ابن الفرضي، سماه "تعليق على تاريخ ابن الفرضي واستلحاق"[128].

ويعدّ كتاب ابن مهلّب القرطبي هذا، حلقة مهمة ضمن حلقات سلسلة الصلات، والظاهر أنه أتى لإتمام ما شرع فيه ابن الفرضي من تاريخه، بزيادة بعض التراجم لأهل العلم بالأندلس؛ من جهة. ومن جهة ثانية؛ فإنه لم يكتف بالزيادة فحسب، بل إنه قام بالتعليق على تراجم ابن الفرضي والاستدراك عليه بما فاته أو نقص عنده.

126- **المستظهر بالله أبو المطرّف عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبّار الأموي:** (أخو المهدي المذكور في الهامش 252 من الفصل الثالث)؛ مولده في ذي القعدة 392هـ/سبتمبر 1002م، وبويع له بالخلافة في 13 رمضان 414هـ/29 نوفمبر 1023 وهو ابن 22 عاما. وهو أحد مَن ولي إمارة قرطبة أيام ضعف الدولة الأموية بالأندلس، ثار عليه محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر مع طائفة من الغوغاء فقتلوه، بعد سبعة وأربعين يوما من ولايته. كان لبقا ذكيّا وأديبا لوذعيا. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص56. الضبي، بغية الملتمس، ص53. ابن بسام، الذخيرة، ج1 ص ص48-59. رسائل ابن حزم، ج2، ص50. المراكشي أبو محمد عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 2006، ص48. ابن الفوطي الشيباني كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (تـ723هـ)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، مج5، تحقيق: محمد الكاظم، إيران: مؤسسة الطباعة والنشر، ط1، 1416هـ، ص207، ترجمة: 4942. السيوطي جلال الدين، المحاضرات والمحاورات، تحقيق: يحي الجبوري، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003، ص394. النويري شهاب الدين (تـ733هـ)، نهاية الأَرَب في فنون الأدب، ج23، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004، ص255.

127- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص315، ترجمة: 1111. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج4، السفر السادس، ص40، ترجمة: 71.

128- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص315، ترجمة: 1111. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ص271-272. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص32. شعيب عبد الواحد، كتب الصلات الأندلسية، ص222. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، تعقبات ابن الأبار، ص35. يوسف أحمد يوسف بني ياسين وعصام مصطفى عقلة: "**منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة**"، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، تصدر عن عمادة البحث العلمي بجامعة الأردن، مج4، ع2، 2010، ص02.

هذا، وتدلّ الإشارات الواردة عند من ترجَم لابن مهلّب القرطبي، أن كتابه جاء مفيدا في تراجمه. وقد أشاد غير واحد، ممن اطّلع على الكتاب أو خَبَره؛ بذلك. فقد حلاه ابن الأبّار بقوله: "وله تعليق على تاريخ ابن الفرضي واستلحاق، يشهد بنباهته ومعرفته"[129]، وأشاد به ابن عبد الملك كذلك، فقال: "وله استدراك نبيل عليه في تاريخه، يشهد بنباهته ومعرفته"[130].

ولا يساورنا أدنى شكّ، في أنّ مثل هذا الاستدراك الذي وضعه ابن مهلّب، قد انتفع به كُتّاب التراجم ممن أتوا بعد ابن الفرضي وابن بشكوال، وفي مقدّمتهم ابن الأبّار[131]. وبالرغم من أهمّية هذا الذّيل، إلا أنه لا يزال في عداد المفقودات من مؤلفات الأندلسيين[132].

1-2/الحميدي (توفي 488هـ/1095م) ومنهجه في كتابه المقتبس في تاريخ علماء الأندلس:

بالرّغم من أن كتاب "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس" للحميدي، لا يدخل ضمن إطار كتب الصلات الأندلسية، إلا أننا آثرنا أن نخصّه بالدراسة والبيان في هذا المبحث، لاعتبارات كثيرة أهمها:

– هو أن الحميدي عاش خلال القرن الخامس الهجري (ق05هـ/11م)، ولا يمكن بأيّ حال استبعاد مؤلّفه وتأخيره إلى المباحث اللاحقة، احتراما للتَراتُبية التاريخية والترتيب الزمني لمصادر الكتابة التراجمية الأندلسية.

– كما أن كتاب "جذوة المقتبس" للحميدي، يعتبر من كتب التراجم الهامة والوازنة في الأندلس خلال الفترة المذكورة، ولا يمكن للباحث إغفاله، خاصة وأن كتب الصلات التي أتت بعده، قد نقلت عنه العديد من التراجم، وفي مقدّمتهم ابن بشكوال (ت578هـ/1182م).

- حياته:

هو الإمام القدوة، الأثري المتقن الحافظ، شيخ المحدّثين، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حُمَيْد بن يصل الأزدي، الحُمَيْدِي، الأندلسي؛ الميورقي؛ الفقيه الظاهري، صاحب ابن حزم وتلميذه؛ مولده بالجزيرة في الأندلس، سنة 420هـ/1028م. سمع عن

129– ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص315، ترجمة: 1111.
130– ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج4، السفر السادس، ص40، ترجمة: 71.
131– بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص32.
132– يوسف أحمد يوسف بني ياسين، تعقبات ابن الأبار، ص35.

علماء الأندلس وأساتيذها، ثم رحل إلى المشرق سنة 448هـ/1056م؛ فحجّ وسمع بمكة، وبإفريقية ومصر والشام والعراق، واستوطن بغداد وتوفي فيها العام 488هـ/1095م[133].

ويظهر لمتصفّح كتب التراجم التي عقدت ترجمات وافية للحميدي، أنه كان يتمتع بصيت وقبول حسن عند أقران عصره، وحتى اللاحقين له، فتعددت عبارات الثناء والتقدير له في تلك المصادر. ولا نجد في هذا المقام وصفا يليق به، سوى ما ذكره عنه المقري في "نفحه"، ولأهميته نورده كاملا؛ حيث يقول: "كان إماماً من أئمة المسلمين، في حفظه ومعرفته وإتقانه وثقته وصدقه ونُبله وديانته وورعه ونزاهته، حتى قال بعض الأكابر ممّن لقي الأئمة: لم تر عيناي مثل أبي عبد الله الحميدي في فضله ونبله ونزاهة نفسه، وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم وبثّه في أهله. وكان ورعًا ثقة إمامًا في علم الحديث وعلله، ومعرفة متونه ورواته، محقّقا في علم الأصول على مذهب أصحاب الحديث، متبحّراً في علم الأدب والعربية"[134].

- إنتاجه العلمي:

ترك الحميدي تراثا علميا زاخرا، في التفسير والتراجم والتاريخ والأدب وغيرها؛ منها ما هو مطبوع متداول، ومنها ما هو في حكم المفقود، ومنها ما يزال مخطوطا.

ومن أبرز مؤلفاته التي ذَكرها أصحاب التراجم، ما يلي[135]: "أدب الأصدقاء"، "أسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر"، "الأماني الصادقة"، "بلغة المستعجل"، "تاريخ الإسلام"، "تحفة المشتاق في ذِكر صوفية العراق"، "التذكرة"، "تسهيل السبيل إلى علم الترسيل"، "تفسير غريب ما في الصحيحين"، "الجمع بين الصحيحين للبخاري ومسلم"، "جمل من تاريخ الإسلام"، "ديوان شعر"، "ذم النّميمة"، "الذهب المسبوك في وعظ الملوك"، "الفوائد المنتقاة"،

133- الضبي، بغية الملتمس، ص161، ترجمة: 258. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج2، ص ص199-201، ترجمة: 1167. المقري، نفح الطيب، ج2، ص ص113-115. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص ص120-127، ترجمة: 69. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص282، ترجمة: 616. المقريزي، المقفى الكبير، ج6، ص ص504-508، ترجمة: 3007. الزركلي، الأعلام، ج6، ص327. كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص121.

134- المقري، نفح الطيب، ج2، ص113.

135- عن مؤلفاته ينظر المظان التالية: الضبي، بغية الملتمس، ص161، ترجمة: 258. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج2، ص ص199-201، ترجمة: 1167. المقري، نفح الطيب، ج2، ص ص113-115. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص ص120-127، ترجمة: 69. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص282، ترجمة: 616. الزركلي، الأعلام، ج6، ص327. كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص121.

"كتاب الترسل"، "ما جاء في النصوص والأخبار في حفظ الجار"، "المتشاكه في أسماء الفواكه"، "مخاطبات الأصدقاء في المكاتبات واللقاء"، "مختارات من مروياته"، "من ادّعى الأمان من أهل الإيمان"، "المختلف والمؤتلف"، "نوادر الأطباء"، "منظومة دالية في النقض على من عاب الحديث وأهله"، "وفيات الشيوخ"، "وجذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس"؛ الآتي تفصيله بعد حين[136].

- عنوان الكتاب:

اختلف المؤرخون قديما في اسم كتاب الحميدي؛ فسماه ابن خير الإشبيلي (تـــ575هـــ/1179م) في فهرسته "جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس"[137]، وأثبته كل من ياقوت الحموي (تـــ626هـــ/1228م) والمقريزي (تـــ845هـــ/1441م) والمقري (تـــ1041هـــ/1631م) باسم "جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس"[138].

وأما ابن النجار البغدادي (تـــ643هـــ/1245م)، فقد سماه "تاريخ الأندلس" وتابَعه في ذلك كل من الصّفدي (تـــ764هـــ/1362م) والذهبي (تـــ748هـــ/1347م)[139]. وأما ابن خلكان (تـــ681هـــ/1282م) فقد أورده قائلا: "وله أيضا تاريخ علماء الأندلس، سماه جذوة المقتبس"[140]، بينما أورده حاجي خليفة وإسماعيل البغدادي باسم "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس"[141].

136- عن جذوة المقتبس؛ ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص14-15. الضبي، بغية الملتمس، ص161، ترجمة: 258. ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج2، ص ص199-201، ترجمة: 1167. المقري، نفح الطيب، ج2، ص ص113-115. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص ص120-127، ترجمة: 69. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص282، ترجمة: 616. الزركلي، الأعلام، ج6، ص327. كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص121.

137- فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص281، رقم: 421.

138- الحموي، معجم الأدباء، ص2600. المقريزي، المقفى الكبير، ج6، ص506. المقري، نفح الطيب، ج2، ص113.

139- ابن النجار البغدادي محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن (تـــ643هـــ)، ذيل تاريخ بغداد، ج03، بيروت: دار الكتاب العربي، ب ط، ص184، في ترجمة أبو الحسن الفخري، رقم: 664. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص123، ترجمة: 69. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص258، في ترجمة ابن الكتاني المغربي رقم: 809.

140- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص282، ترجمة: 616.

141- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص581. البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص77.

وتداولت أغلب الكتب الأخرى بالاقتصار على ذكر الجزء الأول من اسم الكتاب فقط "جذوة المقتبس"، ومثال ذلك السخاوي (تـــ902هـــ) في "الإعلان بالتوبيخ"[142].

وفي السياق ذاته، ذَكَره الضبي (تـــ599هـــ/1202م) تحت مسمى "جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس" وقال عنه: "عليه اعتمدت، ومنه نقلت"[143]، بينما قال عنه ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) في "الصلة": "وله كتاب في علماء الأندلس، نقلنا منه في كتابنا هذا ما نسبناه إليه"[144].

ومما سبق ذِكره، يتضح جليا أن وُرود كتاب الحميدي تحت مسمّى "جذوة المقتبس" لا خلاف فيه بين جمهور مَن ترجَم له، وأن الخلاف باقٍ في تتمة العنوان. إلا أن القاسم المشترك بين هاته التسميات، هو أن العنوان الأقرب للصواب هو "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس"[145]، الأمر الذي أكّده حجي خليفة وإسماعيل البغدادي[146]، وهو أقرب لما ذَكره ابن خير الإشبيلي والضبي[147].

وللفائدة فقط؛ فإن كلمة **المقتبس؛** هي اسم فاعل من اقتَبَس، بمعنى طلب نارا أو أوْقدها. و**الجـُـذوة؛** هي الجمرة الملتهبة، و**العنوان على هذا** يعني: الشعلة المضيئة التي يعثر عليها الساعي في طلبها[148].

- طبعات الكتاب:

طُبع كتاب "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس" أول الأمر طبعتين؛ أولاهما على يد الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي سنة 1952، والثانية تولّتها الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة 1966. وبعد ذلك بمدّة، أعاد الأستاذ إبراهيم الأبياري نشره مُحقّقا سنة 1983 في طبعته الأولى،

142- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص399.

143- الضبي، بغية الملتمس، ص161، ترجمة: 258.

144- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج2، ص200، ترجمة: 1167.

145- وهو العنوان الذي اعتمده بشار عواد معروف في تحقيقه للكتاب ورآه صوابا. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2008، ص14. وسنعتمد على هذا التحقيق في مواضع محدودة جدا من الأطروحة، وننبه لذلك في مواضعه، بينما يبقى معتمدنا طبعة الأبياري إلى نهاية الأطروحة.

146- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص581. البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص77.

147- فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص281، رقم: 421. الضبي، بغية الملتمس، ص161، ترجمة: 258.

148- الحميدي، جذوة المقتبس (تحقيق بشار عواد)، ص18.

وسنة 1989 في طبعةٍ ثانية، ضمن السلسلة الأندلسية. وخلال السنوات الأخيرة، أعاد نشره الأستاذ بشار عواد معروف بمعية ابنه محمد بشار عواد، محقّقا تحقيقا طيبا، سنة 2008.

وفي خضم الحديث عن طبعات الكتاب، لابد من الإشارة إلى الدراسة الوافية والقيّمة التي صدّر بها بشار عواد وابنه لتحقيق كتاب الحميدي. حيث ذكرا بأن الطبعة التي أشرف عليها محمد تاويت الطنجي، جاءت مليئة بالتصحيف والتحريف، إلى درجة لم يوفّق فيها، و لم يُتقن حتى قراءة النّص. كما أنه لم يقم بمقابلة النسخة المعتمدة على أصلها، إذ هذا أصل أصيل من عمل المحقّق. ثم إن الملاحظات التي ذكرها بشار عواد، فيما تعلق بطبعة بن تاويت الطنجي، تنسحب في أغلبها على طبعات الأبياري، التي وردت بها أخطاء كثيرة[149].

وأما عن الطبعة الأخيرة سنة 2008 والتي أشرف عليها بشار عواد معروف وابنه، فقد ذكر المحقّق أنه بذل جهودا مضنية في عملية تحقيق الكتاب، وذلك من خلال تقصي نسخ المخطوط، حيث حصل على نسخة خطّية فريدة من الكتاب، محفوظة في مكتبة البودليان بأكسفورد تحت رقم: 464، تعود لأحد النسّاخ من القرن السابع الهجري (ق07هـ/13م)، وقام بمقارنتها مع المصادر التي نقلت عن الحميدي ومنها: الضبي (ت599هـ/1202م) في "بغيته"، وابن ماكولا (ت475هـ/1082م) في "إكماله"، وابن بشكوال (ت578هـ/1182م) في "صلته"، وياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) في "معجم الأدباء"، والذهبي (ت748هـ/1347م) في "تاريخ الإسلام"، والسيوطي (ت911هـ/1505م) في "بغية الوعاة".

وفي الإطار نفسه، قام المحقّق كذلك؛ بضبط نص المخطوط مع التعليق على ما ورد فيه في الهوامش، ثم ختم الكتاب بفهارس فنية رتّبها على حروف المعجم (ذَكر فيه الأنساب والألقاب والأسماء)، وأضاف إليها فهارس خاصة بأسماء للكتب الواردة فيه، والمواضع والبلدان. كما أثبت فهارس أخرى تتضمن فهارس القوافي، وأطراف الأحاديث المرفوعة، وختم ذلك بثبت عام للمصادر والمراجع المعتمدة في عملية التحقيق[150].

وعليه؛ ومما تقدّم ذِكره، يَحْصُل بنا القول: إن تحقيق بشار عواد معروف وابنه –في تقديرنا– هو من أحسن وأجود الطبعات التي اشتغلت على كتاب "جذوة المقتبس" للحميدي، وذلك

149– الحميدي، جذوة المقتبس (تحقيق بشار عواد)، ص ص14–15.

150– لتفاصيل أكثر؛ ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس (تحقيق بشار عواد)، ص ص15–16.

للجهود الكبيرة التي بذلها في لملمة ما توزع من نسخ وتراجم الكتاب، ومقابلتها وتدقيقها وتحقيقها، ثم طبعها أخيرا.

- دواعي تأليف الكتاب:

ذَكر الحميدي صراحة الداعي وراء تأليفه لكتابه "جذوة المقتبس"، حيث جاء على لسانه ما نصه: "أما بعد: فإنّ بعض مَنْ أَلتزِم واجب شكره على جميل برّه، لما وصلتُ إلى بغداد، وحصلتُ مِن إفادته على أفضل مستفاد، نبّهني على أنْ أجمع ما يحضرني مِن أسماء رواة الحديث بالأندلس، وأهل الفقه والأدب، وذوي النباهة والشّعر، ومَن له ذِكر منهم، أو مِمَّن دخل إليهم، أو خرج عنهم في معنى من معاني العلم والفضل، أو الرياسة والحرب"[151].

ويذكر محقق الكتاب بشار عواد؛ أن الحميدي ألّف كتاب "الجذوة" تلبية لطلب أحد البغداديين وهو المظفر ابن رئيس الرؤساء، الذي كان الحميدي على صلة وثيقة به، ومقيما بداره في بغداد[152]، يُفهم ذلك من خلال قوله: "فإنّ بعض مَنْ أَلتزِم واجب شكره على جميل برّه، لما وصلتُ إلى بغداد، وحصلتُ مِن إفادته على أفضل مستفاد"[153].

- محتوى الكتاب ومنهجه:

ذَكر الحميدي في مقدمة كتابه، ما احتواه مصنّفه من معلومات وتراجم، ثم منهجه في تحرير هاته التراجم، فقال: "فأول ما نبدأ به أن نذكر وقت افتتاحها، ومَن فتحها، ومن وقع إلينا ذِكره مِمَّن دخلها من التابعين، ومِمّن وليها من الأمراء وهلمّ جَرًّا، ثم نذكر سائر مَن قَصَدْنا ذكره مما في الحفظ أو في حاضر الكتب، مرتباً على حروف المعجم. ونعتمد ذلك أيضا في كل حَرف إذْ لم يصح لنا ترتيبهم على الأوقات، ولا على الطبقات؛ وكل ذلك على الاختصار المقصود"[154].

هذا، وافتتح الحميدي كتابه بمقدمة تاريخية ضافية عن الأندلس، بدأ فيها بذِكر وقت افتتاحها ومَن فتحها[155]، ومَن دخلها من التابعين[156]، ومَن ولِيَها من الأمراء. كما عَقد فصلا

151- الحميدي، جذوة المقتبس، ص29.
152- الحميدي، جذوة المقتبس (تحقيق بشار عواد)، ص12.
153- الحميدي، جذوة المقتبس، ص29.
154- المصدر نفسه، ص31.
155- نفسه، ص ص31-34.
156- نفسه، ص ص35-36.

كاملا لذكر أمراء الأندلس، ابتدأها بعبد الرحمن الداخل، وختمها بولاية هشام بن محمد بن عبد الملك[157] الملقب بالمعتمد بالله[158]، ثم أعقب هذا الفصل بأجزاء تحتوي على أسماء التراجم[159]. كما أنه ضمّ الكتاب بين طيّيه؛ لمحة تاريخية عن الأندلس، منذ بداية الفتح الإسلامي إلى وفاة محمد بن إدريس بن يحي بمالقة سنة 445هـ/1053م[160].

وقد تضمّن الكتاب 987 ترجمة، منها 984 رجلا وثلاثة (03) نساء؛ من أعلام الأندلس على اختلاف توجهاتهم العلمية والفكرية والأدبية[161].

ابتدأ الحميدي تراجم كتابه بمن اسمه "محمد" وليس بمن اسمه "إبراهيم"، وذلك تيمّنا باسم الرسولﷺ، وذلك من الترجمة: 01 إلى الترجمة: 171[162]، ثم أعقبها بباقي التراجم مرتّبة على حروف المعجم، ابتداء من الترجمة: 172. كما أنه رتّب أسماء الآباء، فبدأ بمن اسمه محمد بن محمد، ثم محمد بن أحمد دون مراعاة اسم الجدّ[163].

و لم يلتزم الحميدي كذلك، بالتسلسل الألفبائي في الباب الواحد من أبواب الحروف، فهو في حرف "الألف" مثلا يبدأ بمن اسمه أحمد[164]، ثم إبراهيم[165]، وإسماعيل[166]، وإسحاق[167]، وإدريس[168]، وأيوب[169]، وغيرها من الأسماء.

157- مولده سنة 364هـ/974م، بويع له في ربيع الأول سنة 418هـ/أفريل 1027م، توفي سنة 427هـ/1036م بلاردة التي فرّ إليها هاربا. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص59 وص61.

158- الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص37-70. حميداتو مصطفى والعيادي خدومة، فن التراجم عند الأندلسيين، ص15. أحمد هاشم، علم تاريخ الرجال في الأندلس، ص109.

159- الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص73-652.

160- المصدر نفسه، ص69.

161- متاجر صورية، العلماء في الأندلس، ص78.

162- الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص73-164.

163- المصدر نفسه، ص ص73-164.

164- من الترجمة: 172 إلى الترجمة: 258. ينظر: نفسه، ص ص164-231.

165- من الترجمة: 259 إلى الترجمة: 295. ينظر: نفسه، ص ص232-246.

166- من الترجمة: 296 إلى الترجمة: 305. ينظر: نفسه، ص ص249-257.

167- من الترجمة: 306 إلى الترجمة: 312. ينظر: نفسه، ص ص258-260.

168- من الترجمة: 313 إلى الترجمة: 314. ينظر: نفسه، ص ص261-262.

169- من الترجمة: 315 إلى الترجمة: 317. ينظر: نفسه، ص ص263-264.

كما أنه خصص فصلا مستقلا في كل باب من أبواب الحروف للأسماء المفردة، فهو في باب "الحاء" مثلا يخصص فصلا يشتمل على أسماء مفردة مثل: حُمام، حَمد، حيان[170]. وفي باب "الزاي"، خصص فصلا ضمّ فيه أسماءَ مثل: زَقْنُون، زِيادة، زُهير[171].

وفي إطار التسلسل الألفبائي كذلك؛ نجده لم يتبّعه في ترتيبه للأسماء المفردة، مثل باب "العين" كان من المفروض أنْ يبدأ بمن اسمه عزيز، ثم عفان، وعجنّس، وهكذا[172].

وفي السياق ذاته، نجده يذكر مَن ذُكر بالكنية و لم يتحقق اسمه، على نفس الترتيب السابق مثل: أبو محمد الحجاري، أبو بكر الخولاني، أبو سعيد الوراق، وغيرهم[173]. كما أورد بابا لِمن نُسب لأحد آبائه و لم يَعلم اسمه، مثل: ابن آمنة الحجاري، ابن ثعلبة، ابن طريف، ابن الهيثم وغيرهم[174]. ثم أعقب ذلك بِمن ذُكر بالنسبة، مثل: الجرفي، الزبيري، اليحصبي، اليربوعي وغيرهم[175]، ثم مَن ذُكر بالصفة، مثل: غلام الفصيح، الناجم[176].

وخَتَم الكتاب بِذكر باب للنساء[177]، ترجم فيه لثلاث نسوة أندلسيات شهيرات، وهنّ: صفية بنت عبد الله الربّي الأديبة الشاعرة[178]، ومريم بنت أبي يعقوب الفُصُولي الشلبي الحاجة؛ الأديبة الشاعرة، الجزلة المشهورة، التي كانت تعلّم الناس الأدب[179]، وأخيرا الغسانية الشاعرة المشهورة، التي عُرفت بمدحها للملوك[180].

وعليه، وبالنظر لما ذُكر سلفا، يكون الحميدي قد قسّم "جذوة المقتبس" إلى عشرة أقسام، إلا أنّنا نجده في ختام الكتاب أورد عبارة، تدل أن هناك تجزئة أخرى اعتمدها وجعلته يُجزئه إلى

170- من الترجمة: 396 إلى الترجمة: 408. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص312-318.
171- من الترجمة: 446 إلى الترجمة: 448. ينظر: المصدر نفسه، ص343.
172- من الترجمة: 736 إلى الترجمة: 747. ينظر: نفسه، ص ص507-514.
173- من الترجمة: 917 إلى الترجمة: 959. ينظر: نفسه، ص ص619-638.
174- من الترجمة: 960 إلى الترجمة: 976. ينظر: نفسه، ص ص639-644.
175- من الترجمة: 977 إلى الترجمة: 982. ينظر: نفسه، ص ص645-648.
176- من الترجمة: 983 إلى الترجمة: 984. ينظر: نفسه، ص649.
177- الترجمة: 985-986-987. ينظر: نفسه، ص650-652.
178- الترجمة: 985. ينظر: نفسه، ص650.
179- الترجمة: 986. ينظر: نفسه، ص ص650-651.
180- الترجمة: 987. ينظر: نفسه، ص ص651-652.

أجزاء خمسة؛ كل قسمين جزءا. والعبارة كما وردت في الصفحة الأخيرة هي قوله: "تم الجزء الخامس بتمام الكتاب، وهو آخر العاشر من الأصل، والحمد لله حق حمده"[181].

وأما عن عناصر ترجمته؛ فقد كان الحميدي يركّز على إظهار الاسم والكنية وإلى أي بلاد ينتمي المترجَم، وعمّن روى، ومن روى عنه، وسنة وفاته، ودرجته من الثقة، وإلى أين رحل، وأيّ العلوم غلبت عليه. إلا أن هاته العناصر لم تكن هي الغالب على جلّ تراجمه، إذ كان يترجم تبعا لشخصية المترجَم له.

وفي ذِكره لسني الوفاة، كان إذا لم يقف على سنة وفاة أحد المترجَمين، نسبه إلى أيام مَن عُرف أنه كان في أيامه من الأمراء، كما في قوله في مقدمة الكتاب: "إذا لم نقف على تحديد وقت وفاة أحد ممن ذكرناه من غيرهم، نسبناه إلى أيام مَن عرفنا أنه كان في أيامه من الأمراء، فاستبانت بذلك طبقته، وعُرف زمانه"[182].

كما أن تراجمه، كان في أغلبها مختصرة إلا ما ندر، لأنه اعتمد على الاختصار، وذَكر ذلك في مقدّمة كتابه حين قال: "وكل ذلك على الاختصار المقصود"[183]. إلا أنه كان يشذّ أحيانا عن هاته القاعدة فيورد تراجم مطولة، يذكر فيها حتى القصائد الشعرية[184].

- مصادر الحميدي في كتابه "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس":

أشار كل مَن ترجم وكتب عن الحميدي وكتابه "جذوة المقتبس"، أنه صنّف وألّف اعتمادا على ذاكرته فقط، بناء على ما ورد في مقدّمة الكتاب. وبالرجوع إلى المقدمّة، فإننا لا نجد ما يؤكّد ذلك صراحة، بل إنه أشار إلى قلّة ما بين يديه من كتب تعينه على التأليف، فاستعان بها على قلّتها مع إعمال ذاكرته؛ فقال: "فأعلمته ببعدي عن مكان المطلوب، وقلّة ما صحبني من الغرض المرغوب، وأني إن رميته على قلّة ما عندي"[185]. وقال مؤكّدا ذلك: "ولحرصي على قبول التنبيه، وإن قلّ ما عندي فيه، بادرت إلى جمع المفترق الحاضر، وإخراج ما في الحفظ منه، وإتعاب الخاطر"[186].

181- الحميدي، جذوة المقتبس، ص652.
182- المصدر نفسه، ص31.
183- نفسه، ص31.
184- نفسه، ص ص651-652، ترجمة: 987.
185- نفسه، ص29.
186- نفسه، ص30.

وقد كان الحميدي شديد الكَلف والتعلّق بكتب شيخه ابن حزم الأندلسي (تـــ456هـــ/1064م)[187] فاعتمده كثيرا، وهو الأمر الذي أكّدته المصادر التالية للحميدي، والتي أكّدت على أن كتب ابن حزم كانت هي المصدر الرئيس للحميدي في "جذوته"، إضافة إلى كتب أخرى سمّاها بعينها، وهي ما يؤكد أنّه لم يعتمد على حفظه فقط في تصنيفه لكتابه[188].

ومن خلال عرضه لتراجمه؛ كان الحميدي يفصح عن مصادرها التي اعتمدها في تراجم كتابه، حيث كان يورد آخر كل ترجمة المصدر الذي اعتمده في ذلك[189]، إذ جاءت أغلب تراجمه منسوبة إلى المصادر التي أخذ عنها، وهي كثيرة ومتنوعة[190]. ومثال ذلك قوله بعد فراغه من ذِكر أخبار ولاة الأندلس: "هذا آخر ما استفدنا أكثَرَه من شيخنا أبي محمد علي بن أحمد رحمه الله، وعلمناه نحن من جمل أخبار مَن ذَكرنا من ملوك تلك البلاد، إلى وقت خروجنا منها"[191].

ويستشف من هذه التراجم، أنه اعتمد على مَن سبقه من المصنّفين في التراجم الأندلسية[192]، من أمثال الخشني (تـــ361هـــ/971م)[193]، وابن عبد البرّ القرطبي (تـــ 463هـــ/1017م)[194]، وأحمد بن محمد التاريخي[195]، وابن حيان القرطبي (ت469هـــ/1076م)، وابن يونس أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي القرطبي (تـــ350هـــ/962م)[196]، وغيرهم.

187- تقدمت ترجمته في الهامش 414 من الفصل الثاني.

188- الحميدي، جذوة المقتبس (تحقيق بشار عواد)، ص13.

189- ومن أمثلة ذلك: الترجمة: 400، ص313، والترجمة: 436، ص337، والترجمة: 438، ص337، والترجمة: 442، ص339.

190- لا يسعفنا المقام هنا لذكر كل مصادر الحميدي التي ذكرها في كتابه، إذ يمكن العودة إليها مباشرة.

191- الحميدي، جذوة المقتبس، ص69.

192- المصدر نفسه، ص30.

193- تقدمت ترجمته في الفصل الثاني، ص175.

194- تقدمت ترجمته في الهامش 173 من الفصل الثالث.

195- **أحمد بن محمد التاريخي:** عالم بالأخبار، ألف في مآثر المغرب كتباً جمة، منها كتاب ضخم ذكر فيه: مسالك الأندلس، ومراسيها، وأمهات مدنها، وأجنادها الستة، وخواص كل بلد منها، وما فيه مما ليس في غيره. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص168، ترجمة: 174. الضبي، بغية الملتمس، ص ص193-194، ترجمة: 330. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص472، ترجمة: 165. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص262، ترجمة: 1058.

196- تقدمت ترجمته في الهامش 275 من الفصل الثاني.

وخلاصة القول، فإن "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس" للحميدي يعتبر من المصادر الوازنة في الكتابة التراجمية بالأندلس خلال القرن الخامس الهجري (ق05هـ/11م)، وهو ما جعله قبلة لعديد كتّاب التراجم ممن أتوا بعده، وفي مقدّمتهم ابن بشكوال (ت578هـ/1182م) والضبي (ت599هـ/1202م) اللذان نقلا عنه تراجم كثيرة، خاصة الضبي الذي نقل كل تراجم كتابه "بغية الملتمس" عن الحميدي.

2/-كتب الصلات والذيول الأندلسية ومنهجها في الكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق06هـ/12م):

واصلت الحركة الفكرية بصورة عامة تقدّمها في الأندلس، خلال القرن السادس الهجري (ق06هـ/12م)، والذي يعدّ بامتياز امتدادا للتطور والازدهار الفكري والعلمي الذي شهده القرن الخامس الهجري (ق05هـ/11م)، امتدادٌ جسّده كثرة المصنّفات الأندلسية في مختلف مجالات العلوم، ومن ضمنها المصنّفات التراجمية، التي انصبّت جلّ اهتماماتها على إكمال ما أُلِّفَ مِن قبلُ، فوصلت المؤلفات السابِقَة في شكل استلحاقاتٍ وتتمّاتٍ واستدراكات[197]. ومن أمثلة ذلك، ما قام به ابن بشكوال (ت578هـ/1182م) في "صلته"، وتابعه فيه مجموعة من العلماء كابن سيدالة (ت558هـ/1162م)، وأبي القاسم القنطري (ت561هـ/1165م)، وابن عياد (ت575هـ/1179م)، وابن حبيش (ت584هـ/1188م) وغيرهم.

2-1/ابن بشكوال (ت578هـ/1182م):

2-1-1/ حياته:

هو خلفُ بنُ عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بَشْكُوال بن يوسف بن داحة الأنصاري الأندلسيُّ، أبو القاسم؛ الحافظُ الإمامُ المتقنُ، محدَّثُ الأندلس ومؤرخها. وُلد بقرطبة يوم الإثنين 03 ذي الحجة 494هـ/29 سبتمبر 1101م، ونشأ في عائلة علمية عالمة؛ إذْ كان والده ذا حظٍّ وافر

197- العبيدي إيمان، التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس، ص27.

من القراءات وفقه مالك، وكذا أخوه الذي كان من أهل الرواية والفقه كذلك. وبقرطبة تتلمذ بادئ الأمر لجماعة من جلّة علمائها منهم والده، ومحمد بن عتّاب[198] الذي أكثر عنه الرواية[199].

وبعد رحلة الطلب الأولى بقرطبة، ولّى وجهه قِبَل إشبيلية وتفقّه على كبار علمائها، كالفقيه العالم أبو بكر بن العربي المالكي[200] وآخرون، فنال شرف الإجازة منهم[201]. وقد عدّه الذهبي

198- **أبو محمد بن عتّاب (433-520هـ/1041-1125م):** عبدُ الرحمن بن محمد بن عتّاب بن مُحسِن القرطبي، الشيخ العلامة، المحدِّث الصدوق، مُسنِدُ الأندلس، وهو آخر الشيوخ الجلة الأكابرِ بالأندلس في علوّ الإسناد، وسَعَةِ الرواية، وكان عارفا بالطرق، واقفاً على كثيرٍ من التفسير والغريب والمعاني، مع حظّ وافرٍ من اللغة والعربية. ينظر: السجستاني، سنن أبي داوود، ج1، ص86. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص514، ترجمة: 297.

199- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص248، ترجمة: 851. أبو إسحاق إبراهيم الطليطلي المعروف بابن الأمين (489-544هـ)، الاستدراك على الاستيعاب رواية أبي القاسم ابن بشكوال (494-578هـ) مع زياداته، دراسة وتحقيق: حنان الحداد، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، منشورات وزارة الأوقاف بالمغرب، ط1، ص2008، ج1، ص32 وج2، ص10. أبو داوود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (202-275هـ)، سنن أبي داوود، ج1، حققه وضبط نصه وخرّج أحاديث وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دمشق: دار الرسالة العلمية، ط1، 2009، ص85. الذهبي: ذِكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل (مطبوع ضمن أربع رسائل في علوم الحديث)، اعتنى بها: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط5، 1990، ص ص218-219، رقم: 624. كتاب المعين في طبقات المحدّثين، تحقيق: همام عبد الرحمن سعيد، الأردن: دار الفرقان، ط1، 1984، ص177، رقم: 1886. تذكرة الحفاظ، ص1339، ترجمة: 1097. سير أعلام النبلاء، ج21، ص139، ترجمة: 71. تاريخ الإسلام، ج12، ص612، ترجمة: 271. شهاب الدين أحمد بن يحي العدوي العمري (ت749)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج5، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2010، ص261، رقم: 53. العيني بدر الدين محمود (ت855هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج1، تحقيق ودراسة: محمود رزق محمود، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط2، 2010، ص325. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص353، ترجمة: 07. الصفدي، الوافي، ج13، ص ص229-230. ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص430. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص497، ترجمة: 1062. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص85. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص240. ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص318. الحجوي، الفكر السامي، ج2، ص264، رقم: 593. علي الرضا قره بلوطو أحمد طوران قره بلوط، معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم المخطوطات والمطبوعات، قيصري تركيا: دار العقبة، ط1، 2001، ص1079، الزركلي، الأعلام، ج2، ص311. كحالة، معجم المؤلفين، ج4، ص105.

200- **أبو بكر بن العربي المعافري (468-543هـ/1075-1148م):** محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو بكر ابن العربي المعافري ولد بإشبيلية، وكان أبوه من أعيانها وفقهائها. ترك للمكتبة الأندلسية تراثا ضخما منها: الناسخ والمنسوخ، وقانون التأويل، والقبس في شرح موطأ مالك، وغيرها. ينظر: ابن أمين، الاستدراك على الاستيعاب، ص32.

201- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص248، ترجمة: 851. ابن أمين، الاستدراك على الاستيعاب ج1، ص32 وج2، ص10. السجستاني، سنن أبي داوود، ج1، ص85. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص353، ترجمة: 07. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص497، ترجمة: 1062. الذهبي، ذِكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل، ص ص218-

ممّن يُعتَمَد قوله في الجرح والتعديل[202]، وغدا كما قال ابن الأبار: "متسعَ الرِّواية شديد العناية بها عارفا بوجهها حجَّة فيما يرويه ويسنده مقلِّدا فيما يلقيه ويسمعه مقدَّمًا على أهل وقته في هذا الشَّأن معروفا بذلك حافظا إخباريا مُمتَّعا تاريخيا مُفِيدا ذَاكِرًا لأخبار الأندلس القَديمَة والحديثة"[203].

ونظير علمه وسمعته الطيبة، كان ابن بشكوال عاقدا للشروط بقرطبة، وتولى منصب القضاء في جهة إقليم إشبيلية، نيابة عن شيخه أبي بكر بن العربي[204]، إلا أنه اعتزله بعد مدة، وعكف على الاشتغال بالعلم رواية وسماعا وتعليقا[205].

وقد أكّد هذا الأمر الحافظ ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م) الذي وصل "صلة" ابن بشكوال بمصنّفه الموسوم بـــ "صلة الصلة"، حيث ترجم فيه لابن بشكوال ترجمة وافية، إلا أنها وللأسف الشديد ضاعت ضمن ما ضاع، من الأجزاء المفقودة من هذا السفر التراجمي النفيس[206]. ولحسن الحظ، فقد حفظ لنا الإمام الذهبي (تـــ748هـــ/1347م) بعضا منها، نقلا عن "صلة الصلة" لابن الزبير نفسه قبل ضياع النص الأصلي، حيث قال: "كان رحمه الله تعالى يؤثر الخمول والقنوع بالدّون من العيش، و لم يتدنّس بخطة تحطّ من قدره، حتى لم يجد أحد إلى كلام فيه من سبيل"[207].

219، رقم: 624. كتاب المعين في طبقات المحدّثين، ص177، رقم: 1886. تذكرة الحفاظ، ص1339، ترجمة: 1097. سير أعلام النبلاء، ج21، ص139، ترجمة: 71. تاريخ الإسلام، ج12، ص612.

202- الذهبي، ذِكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل، ص ص218-219، رقم: 624. كتاب المعين في طبقات المحدّثين، ص177، رقم: 1886. تذكرة الحفاظ، ص1339، ترجمة: 1097. سير أعلام النبلاء، ج21، ص139، ترجمة: 71. تاريخ الإسلام، ج12، ص612.

203- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص248، ترجمة: 851.

204- تقدمت ترجمته في الهامش: 200 من هذا الفصل.

205- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص250. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص1339، ترجمة: 1097. سير أعلام النبلاء، ج21، ص131، ترجمة: 71. تاريخ الإسلام، ج12، ص612، ترجمة: 271. الصفدي، الوافي، ج13، ص ص229-230. ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص430.

206- فُقدت الأجزاء الأولى من "صلة الصلة" لابن الزبير، والتي شملت حياة ابن بشكوال، ما تبقى منها حقّقه ونشره عبد السلام الهراس وسعيد اعراب ونشرته وزارة الأوقاف بالمغرب سنة 1995، ثم أعاد نشره محققا شريف أبو العلا العدوي، في مجموع يضم كتاب الصلة لابن بشكوال ومعه كتاب صلة الصلة لابن الزبير، وطبع بمكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة 2008.

207- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص1340. سير أعلام النبلاء، ج21، ص141.

لقد طبقت سمعة ابن بشكوال الآفاق، فأتاه التلاميذ من كل حدب وصوب، يطلبون علمه وروايته، وقد كانوا كثرة لا يحصون على حدّ قول ابن الأبار، إذ يقول: "والرواة عنه–لعلو الإسناد وسعة المسموع–لا يُحْصَوْنَ كثرة"[208]؛ ومِنْ أبرز تلاميذه الذين اشتهروا بعده؛ ابن خير الإشبيلي[209]، وابن دحية الكلبي[210].

وبعد حياة علمية حافلة، كتب خلالها بخطه علما كثيرا، وأسند عن شيوخه أكثر من 400 كتاب بين كبير وصغير؛ توفي ابن بشكوال رحمه الله بقرطبة، ليلة الأربعاء 08 رمضان 578هـ/05 جانفي 1183م، ودُفن بمقبرتها[211].

2-1-2/ إنتاجه العلمي:

خلّف ابن بشكوال تراثا علميا جليلا؛ رصينا وكبيرا، يدلّ على إمامته وحفظه وإتقانه، حيث كان من المُكثرين في التأليف كمّا ونوعا، فصنّف ما يربو عن الخمسين كتابا، في شتى صنوف العلم والمعرفة، بقيت شاهدة له "بالحفظ والإكثار"[212].

وقد اهتم منذ بواكير حياته العلمية، بالتأليف في سِيَر الرجال وتقييد أخبارهم، وكان هذا النوع من التصانيف، هو الأكثر اهتماما لديه، إذْ جاءت الكثير مِنْ تآليفه في هذا الجانب غزيرة، ونالت الأندلس النصيب الأوفر في ذلك كلّه.

ومن مؤلفاته التي شهدت له بالرسوخ في العلم، نَذْكُر[213]:

–**معجم شيوخه وبرنامجه:** سجّل فيه مجموع شيوخه الذين أخذ عنهم وتتلمذ لهم[214].

208– ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص248، ترجمة: 851.

209– تقدمت ترجمته في الهامش: 111 من هذا الفصل.

210– تقدمت ترجمته في الهامش: 71 من هذا الفصل.

211– ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص249.

212– المصدر نفسه، ج1، ص250.

213– أحصى له سعد قاسم علي، اثنين وأربعين مؤلفا. ينظر: سعد قاسم علي: "**محدّث الأندلس الحافظ ابن بشكوال (ت578هـ/1183م) شخصيته ومؤلفاته**"، **مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة**، مكة المكرمة، ج16، ع28، شوال 1424هـ، ص ص230–250.

214– ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص250. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص141، ترجمة: 71. السخاوي، القول المعتبر في ختم النسائي رواية ابن الأحمر، تحقيق: جاسم بن محمد بن محمود الفجي، بيروت: دار ابن حزم، المكتب الإسلامي، ط1، 1999، ص63.

-**كتاب الغوامض والمبهمات:** في عشرة أجزاء، أو ما يسمى بغوامض الأسماء المبهمة الواقعة في الأحاديث المسندة[215].

-**المحاسن والفضائل في معرفة العلماء الأفاضل**[216]: هذا الأخير اعتمده ابن الزبير في كتابه "صلة الصلة"[217]، وهو ما يجعلنا نميل إلى القول بأن ابن بشكوال تطرّق فيه لعلماء الأندلس.

-**من روى الموطأ عن مالك:** في جزئين؛ ذَكره ابن خلكان والذهبي[218].

-**اختصار تاريخ أبي بكر القبشي:** في تسعة أجزاء؛ ذَكره الذهبي في "تاريخه" إلا أنه غَلَط في اسم القبّشي فجعله الفنشي، والصحيح ما أوردناه؛ وكتاب القبّشي هو "الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال"[219].

-**كتاب مختصر في تاريخ الأندلس:** ذَكَره ابن خلكان، وقال: "وله تاريخ صغير في أحوال الأندلس وما أقصر فيه"[220].

-**قضاة قرطبة:** ذَكَره الذهبي[221].

-**التنبيه والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين:** الذي رصد به جِلّة من التابعين الذين دخلوا الأندلس[222].

-**زهاد الأندلس وأئمتها**[223].

215- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص250. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص240. السخاوي، فتح المغيث، ج4، ص299. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص612. سعد قاسم علي، محدّث الأندلس الحافظ ابن بشكوال، ص233.

216- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص250. ابن الأمين، الاستدراك على الاستيعاب، ج1، ص33. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص612. ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص430.

217- يوسف أحمد يوسف بني ياسين وعصام مصطفى عقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة، ص7.

218- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص240. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص613.

219- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص613.

220- ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص240.

221- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص613.

222- ابن الأمين، الاستدراك على الاستيعاب، ج1، ص33. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص189، في ترجمة المغيرة بن أبي بردة رقم: 495. المقري، نفح الطيب، ج3، ص10 وص64.

223- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص166.

-**طبقات المحدثين:** الذي أورده بين طيَّي كتابه "الصلة"[224].

-**الذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر**[225].

-**الزيادات على كتاب الاستدراك على أبي عمر بن عبد البرّ في كتابه الاستيعاب في الصحابة رضي الله عنهم لابن الأمين القرطبي**[226].

كما صنّف ابن بشكوال مجموعة من السِّير المفردة لبعض الأعلام[227]، أوردها الذهبي والصفدي، ومنها[228]:

-**أخبار سفيان بن عيينة:** في جزء كبير.

-**أخبار بن المبارك:** في جزئين.

-**أخبار الأعمش:** في ثلاثة أجزاء.

-**أخبار النسائي:** في جزء واحد.

-**أخبار زياد شبطون:** في جزء واحد.

-**أخبار المحاسبي:** في جزء واحد.

-**أخبار ابن القاسم:** في جزء واحد.

-**أخبار إسماعيل القاضي.**

-**أخبار ابن القاسم.**

-**أخبار ابن وهب.**

-**أخبار أبي المطرف عبد الرحمن بن مرزوق القنازعيّ.**

وإضافة لما ذُكر؛ صنّف ابن بشكوال في الحديث، وكذا الزهد والرقائق والوعظ[229].

224- ابن بشكوال، الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1989، ص897، ترجمة: 1376. وهاته المعلومة مبتورة من نسخة العدوي المعتمدة في هاته الأطروحة.

225- الكتاب حققه عبد القادر محمد عطا صوفي، ونُشر في طبعته الأولى بمكتبة العلوم والحكم، سنة 1992.

226- سعد قاسم علي، محدّث الأندلس الحافظ ابن بشكوال، ص ص230-250.

227- ابن بشكوال، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم، ج1، حققه وضبط نصه وعلّق عليه: بشار عواد معروف، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2010، ص08 من مقدمة المحقق.

228- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص ص612-613. تذكرة الحفاظ، ص1340، ترجمة: 1097. الصفدي، الوافي، ج13، ص ص229-230. سعد قاسم علي، محدّث الأندلس الحافظ ابن بشكوال، ص ص230-250.

229- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص09 من مقدمة المحقق.

فأما في الحديث؛ فصنّف[230]:

-**طرق حديث المغفر:** في ثلاثة أجزاء.

-**طرق حديث منْ كذب علي:** في جزء واحد.

-**المسلسلات:** في جزء واحد.

وأما في الزهد والرقائق والوعظ؛ فألّف:

-**كتاب الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة:** أنزله كما ذَكر ابن الأبار في عشرين جزءا، بينما أكّد الذهبي أنه في جزء واحد[231].

-**كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات والمتضرعين إليه سبحانه بالرغبات والدعوات، وما يسر الله الكريم لهم من الإجابات والكرامات:** أورده ابن خلكان والذهبي مع اختلاف في تسمية الكتاب[232].

-**القربة إلى الله بالصلاة على نبيه:** أشار الذهبي إلى أنه جاء في جزء كبير[233].

وأما الكتاب الذي عَرف به ابن بشكوال شهرة واسعة، وطار صيته في البقاع والأصقاع؛ فهو كتابه التراجمي الكبير، الذي لقي قبولا من لدن أقران عصره وحتى من لحقه من المؤلّفين، وهو:

-**كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم:** الآتي ذِكره بعد قليل، والذي ذيّل ووصل به كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي (ت403هـ/1013م).

2-1-3/ التعريف بكتاب "الصلة":

يعدّ كتاب "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم"، مِن أَنْفسِ وأجلّ ما صنّف ابن بشكوال (ت578هـ/1182م)، حيث رصد فيه علماء الأندلس والغرباء الواردين إليها.

230- هاته الثلاث ذَكرها الذهبي في تاريخه. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص613.

231- ابن الأمين، الاستدراك على الاستيعاب، ج1، ص33. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص250. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص612.

232- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص240. العيني، عقد الجمان، ج1، ص325. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص141.

233- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص141. تاريخ الإسلام، ج12، ص613. تذكرة الحفاظ، ص1340.

أَنْزَل ابن بشكوال (تـ578هـ/1182م) مصنَّفه في مجلّدين، وجعله صِلة على "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي (تـ403هـ/1013م)، وقد لَمْلَمَ فيه تراجم عدد كبير من علماء الأندلس ومحدّثيها، ووصل بهم إلى حدود 1573 ترجمة؛ ما بين عالم وعالمة. وبهذا المؤلّف التراجمي الهام، الذي يعدّ مِن أجود ما ألّف ابن بشكوال، سار اسمه ولَمَع نَجْمُه، بشهادة معاصريه.

1-3-1-2/عنوان الكتاب:

الظاهرُ أن عنوان الكتاب مستوحى مِن قول ابن بشكوال (تـ578هـ/1182م) ردّا على سؤال بعض أصحابه، في أن يصل لهم كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي (تـ403هـ/1013م)، حيث قال: "فإن أصحابنا -وَصَل الله توفيقهم، ونَهَجَ إلى كل صالحة من الأعمال طريقهم-سألوني أن أَصِلَ لهم كتاب القاضي الناقد أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ، المعروفِ بابن الفرضي رحمه الله، في رجال علماء الأندلس"[234].

هذا؛ وتدلّ المعلومات الواردة في الكتاب، خاصة ما تعلق منها بترجمة أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف (تـ536هـ/1141م)[235] أنّ عنوان الكتاب لم يرد صراحة ضمن تراجم الكتاب. وقد كان ابن العريف قد استجاز ابن بشكوال كتابَه عقب فراغه مِن تأليفه، إلا أنه لم يذكر عنوانا له، ونَصُّ ما ذَكر: "وقد استجاز مني تأليفي هذا، وكتبه عني، وكتبتُ إليه بإجازته مع سائر ما عندي"[236].

وعلى ما يبدو، فإن تسمية الكتاب بـ "الصلة" كانت معلومة ومتداولة في حياة ابن بشكوال[237]. سَنَدُنا في ذلك، أنّه لما فرغ مِن تأليفه في جمادى الأولى 534هـ/ديسمبر 1139م[238]،

234- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص31.

235- عن مظان ترجمته ينظر: ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي أبي علي حسين بن محمد (تـ594هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1989، ص27، ترجمة: 14. الضبي، بغية الملتمس، ص209، ترجمة: 361. ابن دحية، المطرب، ص90. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص211. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص168. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج11، ص648، ترجمة: 273. سير أعلام النبلاء، ج20، ص11، ترجمة: 68. العبر، ج2، ص449. الصفدي، الوافي، ج8، ص88، ترجمة: 1209. ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص183. المقري، نفح الطيب، ج3، ص229.

236- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص131، ترجمة: 176.

237- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق الأبياري)، ص15.

238- المصدر نفسه، ص1014.

نسخه عنه أحد تلاميذه وهو أحمد بن علي الأنصاري القرطبي (تـــ606هـــ/1209م)[239] سنة 550هـــ/1155م-وابن بشكوال لا يزال حيّا وقتذاك-وسماه بـــ "الصِّلة"[240].

كما أنه أورد في موفّى كتابه، عبارة أخرى ذُكر فيها اسم الكتاب صراحة، مـــمّا جاء فيها: "تم الجزء العاشر من كتاب الصلة لكتاب ابن الفرضي بحمد الله وعونه، وبتمامه كمل جميع الديوان؛ وكان الفراغ منه عشيّ يوم الثلاثاء السادس عشر من ذي القعدة سنة خمسين خمسمائة، وكتبه أحمد بن علي وفقه الله إلى ما يحبه ويرضاه، بمدينة قرطبة حرسها الله"[241].

وتدلّ جملة الآثار المروية الواردة إلينا في هذا الصدد، أنه قد عُثر على نسخة من كتاب ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) تحمل عنوان "الصلة"، تعود لملكية الشيخ أبي الحسن علي بن المفضَّل المقدسي صاحب كتاب "وفيات النقلة"[242]، مُدَوَّن فيها إجازة ابن بشكوال له، وعليها سماع تلميذه ابن دحية الكلبي (تـــ633هـــ/1235م) صاحب "المطرب"[243].

كما نصّ ابن دحية صراحة على اسم الكتاب في معرض ترجمته لولادة بنت المستكفي في كتابه "المطرب" نقلا عن كتاب ابن بشكوال؛ فقال: "حدثني القاضي العدل أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الأنصاري، بقراءتي عليه بقرطبة أم بلاد الأندلس؛ في العشر الآخر من صفر سنة أربع وسبعين وخمسمائة، قال في كتاب الصلة له"[244].

وقد رجّح الأبياري، أن ابن دحية الكلبي (تـــ633هـــ/1235م) هو من أطلق تسمية "الصلة" على كتاب شيخه ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م)[245]. بَيْدَ أنّ المتتبع لتاريخ ورود تسمية "الصلة"، يلمس جليا أنّها قد استخدمت بادئ الأمر على لسان أحمد بن علي الأنصاري القرطبي (تـــ606هـــ/1209م) الذي نَسخ الكتاب سنة 550هـــ/1155م، ثم شاع ذِكرها بعده على أيدي

239- عن ترجمته؛ ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص88، ترجمة: 257.

240- يوسف أحمد يوسف بني ياسين وعصام مصطفى عقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتابه الصلة، ص8.

241- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق الأبياري)، ص997.

242- **أبو الحسن علي بن المفضّل المقدسي** (544-611هـــ/1149-1214م): المالكي المحدث المشهور، صاحب كتاب "وفيات النقلة" الذي ذيل عليه الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري في كتابه "التكملة لوفيات النقلة". ينظر: المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج2، ص306، ترجمة: 1354. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص290، ترجمة: 431. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص66، ترجمة: 49.

243- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص16 من مقدمة التحقيق.

244- ابن دحية، المطرب، ص7.

245- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق الأبياري)، ص15.

المؤرخين اللاحقين[246]، ابتداء من ابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م) في "التكملة لكتاب الصلة"[247]. هذا الأخير يكون أحسن مصدر تراجمي، أمدّنا بترجمة وافية وكافية لابن بشكوال، حيث سمّاه فيها بـــ "صاحب التاريخ"، فقال: " صاحب التَّاريخ الذي وصل به كتاب ابن الفرضي وأكملناه بكتابنا هذا بقية المسندين بقرطبة، والمسلّم له في حفظ أخبارها ومعرفة رجالها... وألَّف خمسين تأليفًا في أنواع مختلفة أجلّها كتاب الصِّلَة، سلم له أكفاؤه فيه و لم ينازعه أَهل صناعته الانفراد به، ولا أنكروا مزية السّبق إليه، بل تشوفوا للوقوف عليه، وأنصفوا من الاستفادة منه... فاتسعت فائدته، وعظمت منفعته، وهو كتاب في فنّه خطير القيمة، ضروري الاستعمال، لا يستغني أهل الفقه عنِ التَّبَلُّغ به، والنَّظَر فيه والاحتجاج منه"[248].

كما تجدر الإشارة، إلى أن ياقوت الرومي (تـــ626هـــ/1228م)، قد اعتمد مادة "الصلة" فيما تعلق بالأندلسيين ضمن كتابه "معجم البلدان"، ونقل عنه في 34 موضعا، أثبتها بعبارة "قال: ابن بشكوال"، وذلك دون أن يصرح باسم كتاب "الصلة"، وهو ما يجعلنا نميل إلى القول بأنه قد عرف الكتاب من تلميذ ابن بشكوال؛ ابن دحية الكلبي (تـــ633هـــ/1235م)، الذي التقاه سنة 612هـــ/1215م، واستقى منه بعض الأخبار حول الأندلس[249].

وفي ظل هذا التنازع حول اسم الكتاب، وبعد أخذ وردّ، وتمحيص وتدقيق، اتضّح لدينا أن ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) سمّى كتابه صراحة وبخطّ يده "الصّلة". معتمَدُنا في ذلك، ما ورد في النسخة التي وقف عليها ابن عبد الملك المراكشي (تـــ703هـــ/1303م)، والتي تعود في الأصل لأحد أصحاب ابن بشكوال، وتدل دلالة قطعية أن ابن بشكوال سمى كتابه صراحة بـــ "الصلة"، ونصُّ ما جاء عند ابن عبد الملك: "سألني صاحبُنا الفقيه الزكي المحدِّث الكامل أبو محمدٍ عبد الله بن إسماعيل ابن فرج -تولَّى الله تعالى كرامته، وضاعف جلالته-مُناولة كتاب

246- ابن الأمين، الاستدراك على الاستيعاب، ج1، ص32. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص1339، ترجمة: 1097. سير أعلام النبلاء، ج21، ص139، ترجمة: 71. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص353، ترجمة: 07. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص240. ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص318.

247- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص248، ترجمة: 249.

248- المصدر نفسه، ج1، ص248، ترجمة: 249.

249- أحمد يوسف بني ياسين وعصام مصطفى عقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتابه الصلة، ص ص8-9.

الصِّلة، فأجَبْتُه إلى ما سأل، على وجه الطاعة له"[250]. وهكذا؛ شاعت تسمية كتاب ابن بشكوال باسم "الصلة"، على ألسن وأقلام المؤرخين الذين جاؤوا بعده.

2-1-3-2/طبعات الكتاب:

صدر كتاب "الصلة" لابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) في عدة طبعات مختلفة وهي كالآتي:

❖ طبعة مدريد سنة 1883 بإشراف المستشرق الإسباني كوديرا (Francisco Codera)، الذي بذل جهدا متميزا في إخراج نص المخطوط، وقدّم لهاته الطبعة بمقدّمة قصيرة باللغة الإسبانية، عرّف فيها بالمؤلّف وبعض مؤلفاته تعريفا مختصرا، مشيرا إلى بعض المراجع العربية التي استقى منها معلوماته[251].

❖ طبعة القاهرة سنة 1955 بعناية عزّت عطار الحسيني، الذي اعتمد في تحقيقه لكتاب "الصلة" على مصوّرة من الكتاب عن مخطوطة بمكتبة فيض الله بالآستانة تحت رقم: 1471. وقد كانت هاته المصورة، مِن بين ما صوّرته الجامعة العربية في القاهرة، عن مكتبة فيض الله، ويعود تاريخ هاته النسخة إلى سنة 560هـــ/1164م، وهو ما يعني أنها نسخت في حياة ابن بشكوال. وعلى هاته النسخة، كان اعتماد السيد عزت العطار الحسيني، بالرغم مما اعتراها من لُبس وطمس وبياض، فاستعان بطبعة مدريد 1883 لفكّ رموز وإشكالات هاته النسخة[252].

❖ ثم أعيد طبع كتاب "الصلة" لابن بشكوال، سنة 1966 بالدار المصرية للتأليف والترجمة، وكان الاعتماد في هاته الطبعة على أصول ثلاثة وهي: مصورة جامعة الدول العربية، وطبعة مدريد، وكذا طبعة السيد عزت العطار الحسيني[253].

❖ وخلال سنة 1981 ظهرت طبعة أخرى لكتاب "الصلة" بعناية الأستاذ إبراهيم الأبياري. وما ميّز هاته الطبعة عن سابقاتها، هو اعتماد المحقق على أربعة أصول وهي: مصورة جامعة الدول العربية، وطبعة مدريد، وطبعة السيد عزت العطار الحسيني، وكذا مطبوعة الدار المصرية. وقد قام المحقق في هاته الطبعة بتصويبات كثيرة، وتخريجٍ للأعلام والبلدان، وتصحيح واستيفاء

250- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج2، السفر الرابع، ص168، في ترجمة عبد الله بن إسماعيل بن فرج الأموي المعروف بابن العطار؛ رقم: 337.

251- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص17-18 من مقدمة المحقق.

252- المصدر نفسه، ص18 من مقدمة المحقق.

253- نفسه، ص18 من مقدمة المحقق.

الكلمات المبهمة والغامضة، وتصويب الكلمات المحرّفة. كما ذيّل تحقيقه، بمجموعة من الفهارس الفنية الشاملة والجامعة[254].

❖ وفي سنة 2008، قام شريف أبو العلا العدوي، بإعادة طبع الكتاب محققا في مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ومعه كتاب صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي المعروف بابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م)، وقد اعتمد في تحقيقه هذا، على مصورة ونسخة مخطوطة واحدة فقط، إلا أنه لم يذكر اسم المطبوعة والمخطوط اللذان اعتمدهما في عملية التحقيق[255]. كما أنه قام بتسطير مقدمة تاريخية مختصرة، ضمّنها الحديث بشكل مختصر عن التاريخ الأندلسي وأهميته، ثم قدّم من خلالها ترجمة موجزة لمؤلّف الكتاب[256].

وفي تقديرنا، فإن هاته الطبعة لم تحقق المقصد المنشود من إعادة تحقيق وطبع الكتاب، ذلك أن النشرات السابقة له وخاصة تحقيق الأبياري، جاءت ذا فائدة ونفع كبيرين، خاصة في ظل اعتماد -الأبياري-على الطبعات السابقة، وهو ما لم يتيسّر لشريف أبو العلا. وينضاف إلى ذلك كلّه، أنه نشر كتاب "الصلة" خاليا من مقدمة المؤلِّف، حيث ولج لتراجم الكتاب مباشرة، وهو أمر آخر وجب التنبيه عليه.

– وفي السنوات القليلة الأخيرة، ظهرت طبعة جديدة عن دار الغرب الإسلامي بتونس لكتاب "الصلة" لابن بشكوال سنة 2010، إذ طُبعت بتحقيق علمي وازن وجاد، قام عليه الأستاذ بشار عواد معروف، واستوفى به حقّ الكتاب منهجا ومضمونا.

وفي هذا التحقيق، اعتمد بشار عواد أربعة نسخ خطّية، أتت كلها غاية في الجودة والإتقان، وهي:

❖ **نسخة الإسكوريال:** وقد نسخت سنة 609هـــ/1112م، وهي النسخة التي حققها المستشرق الإسباني كوديرا (Francisco Codera). إلا أنّ ما يعاب على تحقيقه هذا، هو أنه أخطأ في الكثير من القراءات التي كُتبت بالخط الأندلسي، وجاءت مبتورة في بعض المواضع، رغم أن النسخة التي اعتمدها جاءت متقنة ومشكولة[257].

254- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص18-19 من مقدمة المحقق.
255- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج1، ص16 من مقدمة المحقق.
256- المصدر نفسه، مج1، ص ص9-21 من مقدمة المحقق.
257- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص ص15-16 من مقدمة التحقيق.

❖ **نسخة فيض الله:** وهاته النسخة كُتبت بخط أندلسي مقروء، في حياة المؤلِّف سنة 550هـ/1155م، على يد أحمد بن علي الأنصاري القرطبي (ت606هـ/1209م). وقد صوّرها معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية، واستعان بها كذلك عزت العطار الحسيني[258].

❖ **نسخة المكتبة الوطنية بتونس:** تتكون من مجلدين، محفوظة في المكتبة الوطنية بتونس تحت رقم: 16101، وقد كُتبت بخط أندلسي، عارٍ من اسم الناسخ وتاريخ النسخ. ويرجّح أن تكون مِنْ منتسخات المائة السابعة، وقد اطّلع عليها الذهبي واعتمدها في تحرير تراجمه الواردة في كتابه "تاريخ الإسلام"، وظهر في نسخة "الصلة" هاته؛ خطُّ الذهبي في عدّة مواضع منها. كما وردت في المجلد الأول منها كذلك؛ تعليقات أبي القاسم القنطري[259]، حيث توزّعت على صفحات كثيرة منها، وتدلّ في معظمها على تتبُّع ونقد وتصويب، وزيادات مفيدة[260].

❖ **النسخة التونسية الخاصة:** وهي نسخة متأخرة، كُتبت سنة 1155م بخط مغربي، برسم خزانة السلطان أبي الحسن علي باي. وتتميز هذه النسخة عن سابقتها من النسخ، بإفراد الزيادات التي زادها المؤلِّف على كتابه، في أواخر حياته[261].

وعليه، كانت هاته النسخ الخطية الأربع التي اعتمدها بشار عواد معروف في تحقيقه لكتاب "الصلة". كما أنه قام بوضع مقدمة هامة، عرّف فيها بابن بشكوال وإنتاجه العلمي، وأردف ذلك بتصويبات هامة وكثيرة للأسماء والمواضع الأندلسية، وذيّل الكتاب بفهارس للأنساب والشهرة والألقاب، وفهرسا لأسماء العلماء المنسوبين إلى كل بلد، قَصَدَ من ورائها إفادة الدارسين والباحثين للحركة الفكرية في الأندلس خلال القرن الخامس والسادس الهجريين (ق05-06هـ/11-12م). كما أنه وضع فهرسا خاصا بالبلدان، والأشعار، والأحاديث النبوية المرفوعة، والكتب الواردة في المتن، وختَم بقائمة المصادر والمراجع الأساسية المعتمدة في عملية التحقيق[262].

وخلاصة القول، فإن بشار عواد بذل جهدا طيبا في تحقيق كتاب "الصلة" لابن بشكوال، جعله التحقيق الأجود مِن بينِ أقرانه ممن قاموا على تحقيقه من قبل، خاصة وأنه استقصى نسخ

258- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص16 من مقدمة التحقيق.

259- سيأتي الحديث عنه وعن الاستدراك والذيل الذي كتبه على كتاب "الصلة" لابن بشكوال، ص96 من هذا الفصل.

260- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص ص16-17 من مقدمة التحقيق.

261- المصدر نفسه، ج1، ص17 من مقدمة التحقيق.

262- أورد بشار عواد منهجه في تحقيق كتاب "الصلة" بالتفصيل في مقدمة تحقيقه للكتاب، وللاستزادة أكثر؛ ينظر: ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص ص17-18 من مقدمة التحقيق.

المخطوط من المكتبات العالمية، وهذا من مقتضيات التحقيق العلمي الرصين، وبه حصّل مزية تفرّد بها عن غيره في التحقيقات التي أتت في معظمها مليئة بالأخطاء والنقائص، جرّاء عدم استنفاذها نسخ المخطوط المتاحة.

2-1-3-3/دواعي تأليف الكتاب:

ألّف ابن بشكوال (تـ578هـ/1182م) كتابه "الصلة" تلبية لطلب أصحابه في قرطبة، ونزولا عند رغبتهم. فقد طلبوا منه، لمكانته العلمية العالية في الأندلس وقتذاك، أن يَصل لهم "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي (تـ403هـ/1013م)، والذي ترجم فيه لعلماء الأندلس منذ بداية الإسلام فيها، إلى ما يقرب مِن وفاته في حدود سنة 395هـ/1004م[263]، وحاز به إعجاب الأندلسيين، خاصة وأنه "بلغ فيه النهاية، والغاية من الحفل والإتقان"[264].

وقد صرّح ابن بشكوال في مقدمة كتابه "الصلة"، بأنه أقدم على تأليف كتابه هذا، تلبية واستجابة لرغبة بعض أصحابه، حيث قال: "فإن أصحابنا -وَصَل الله توفيقهم، ونَهَجَ إلى كل صالحة من الأعمال طريقهم-سألوني أن أَصِلَ لهم كتاب القاضي الناقد أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ، المعروف بابن الفرضي رحمه الله، في رجال علماء الأندلس...وأنْ أبتدئَ مِن حيث انتهى كتابُه، وأين وصل تأليفه، متصلا إلى وقتنا"[265].

وعلى ما يبدو، فإن دعوة الأصحاب تلك صادفت -فيما يظهر لنا-هوًى في نفس ابن بشكوال في تأليف كتابٍ، على غرار تأليف ابن الفرضي، يقيّد به علماء الأندلس الذين نجموا وظهروا بعد ابن الفرضي، بدليل أنه قد قيّد كثيرا من أخبار ومآثر أهل العلم بالأندلس، وهو ما أفصح عنه بقوله: "وكنتُ قد قيّدت كثيرا من أخبارهم وآثارهم، وسيرهم، وبلدانهم، وأنسابهم وموالدهم ووفياتهم، وعمّن أخذوا من العلماء، ومَن روى عنهم مِن أعلام الرواة وكبار الفقهاء"[266].

ولذلك؛ نجده قد لبّى الطلب مسرعا ودون تردد، بكل غبطة ورغبة منه؛ يدل على ذلك قوله: "فسارعت إلى ما سألوا، وشرعت في ابتدائه على ما أَحَبُّوا"[267]، فخالف بذلك سلفه

263- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، تعقبات ابن الأبار، ص33.
264- ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج1، ص279، ترجمة: 539.
265- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص31.
266- المصدر نفسه، ص31.
267- نفسه، ص31.

الحميدي (تـــ488هـــ/1094م)، الذي أحجم عن تأليف كتابه "جذوة المقتبس"، لـــمّا سأله ذلك أحد الأفاضل، فجعل يتردّد ويتريّث، مخافة أن يبخس الناس حقهم وفضلهم إذا ما ترجَم لهم، فاعتذر عن ذلك وتحجّج بكثرة تصانيف هذا الفنّ ووفرتها[268].

لقد كان لإعجاب ابن بشكوال بكتاب ابن الفرضي؛ منهجا ومادة، الدافع الأكبر والأساسي وراء تأليف كتاب "الصلة"، فقال مترجِمًا لابن الفرضي: "وهو صاحب تاريخ علماء الأندلس الذي وَصَلْناهُ بكتابنا هذا"[269].

والواقع أنّ إعجاب المؤرخين التالين لابن الفرضي، بكتابه "تاريخ علماء الأندلس"، فاق كل اعتبار، و لم يتوقّف الأمر عند ابن بشكوال فحسب، بل تعدّاه إلى غيره من مؤرخي وعلماء الأندلس، فألّف ابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م) كتابه "التكملة لكتاب الصلة"، وكذا فعل ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م) في كتابه "صلة الصلة"، وابن عبد الملك المراكشي (تـــ703هـــ/1303م) في كتابه "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"؛ حيث تأثر هؤلاء جميعا بصنيع ابن الفرضي.

2-1-3-4/محتوى الكتاب:

أنزل ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) كتابه "الصلة" في مقدمة وعشرة أجزاء؛

❖ **فأما المقدّمة:** ومن خلال قراءة متأنّية وفاحصة لمضمونها، فإننا نجدها تحوي ما يلي:

– ذَكَر فيها ابن بشكوال سبب تأليف كتابه "الصلة"، وقال بأن ذلك كان تلبية لطلب أصحابه في أن يَصِلَ لهم كتاب ابن الفرضي (ت403هـــ/1013م) "تاريخ علماء الأندلس"، ويظهر ذلك من خلال قوله: "فإن أصحابنا –وَصَل الله توفيقهم، ونَهَجَ إلى كل صالحة من الأعمال طريقهم–سألوني أن أَصِلَ لهم كتاب القاضي الناقد أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ، المعروفِ بابن الفرضي رحمه الله، في رجال علماء الأندلس"[270].

– بيّن ابن بشكوال في المقدمة حدود كتابه الزمانية بقوله: "وأنْ أبتدئَ مِن حيث انتهى كتابُه، وأين وصل تأليفه، متصلا إلى وقتنا"[271]، ومعلوم أن ابن الفرضي توقف عند حدود سنة

268– الحميدي، جذوة المقتبس، ص30.

269– ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص337، ترجمة: 571.

270– ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص23.

271– المصدر نفسه، ص23.

395هـ/1004م، وهي السنة التي ابتدأ بها ابن بشكوال كتابه ووصل بها إلى حدود سنة 534هـ/1139م، وهي سنة فراغه من تأليف "الصلة"، أي أنه ترجم لأعلام 139 سنة هجرية.

– رَغّب إليه أصحابه، في أن يكون كتابه على غرار الأصل–كتاب ابن الفرضي–في الترتيب والتنظيم، تقديرا منهم لذلك الأصل؛ يُستشَفُّ ذلك من قوله: "فسارعت إلى ما سألوا، وشرعتُ في ابتدائه على ما أَحَبُّوا، ورتّبتُهُ على حروف المعجم ككتاب ابن الفرضي، وعلى رسمه وطريقته"[272].

– بيّن ابن بشكوال في مقدمة كتابه "الصلة"، منهجه في ترتيب مادته متّبعا نسق الحروف مع السنين؛ يُفهم ذلك من قوله: "ورتبتُه على حروف المعجم ككتاب ابن الفرضي، وعلى رسمه وطريقته، وقصدت إلى ترتيب الرجال في كل باب على تقادم وفياتهم، كالذي صنع هو رحمه الله، وعلى رسمه وطريقته"[273].

– بيّن ابن بشكوال في المقدمة أسلوبه في اختصار الأسانيد، وأكّد على ذلك في قوله: "واختصرت ذلك جهدي، وقدّمتُ هنا ذِكر الأسانيد إليهم، مخافة تكرارها في مواضعها"[274].

– كما أنه ذَكر في مقدمة الكتاب، المصادر العامة التي اعتمدها مُسنِدا إياها إلى أصحابها ومؤلِّفيها؛ ومثال ذلك قوله: "ونسبتُ كثيرا مِن ذلك إلى قائله، واختصرت ذلك جهدي...فما كان في كتابي هذا مِن كلام أبي عمرو المقرئ، فأخبَرَنا به القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الأنصاري، وأبو عامر محمد بن حبيب الشاطبي؛ جمعيا عن أبي داوود الـمُقرِئ، عن أبي عمرو؛ ذَكَر ذلك في كتاب طبقات القرّاء والمقرئين مِن تأليفه. وما كان فيه من كلام أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحُميدي نزيل بغداد، فهو مِن كتابه الذي جمعه لأهل بغداد في تاريخ علماء الأندلس"[275].

– وفي المقدمة كذلك؛ بيّن مصادره المتنوعة في تحرير تراجم كتابه "الصلة"؛ المسموع منها والشفوي، وكذا المعاينة والمشاهدة؛ كما في قوله: "وكثيرا مِن ذلك ما سألتُ عنه شيوخنا، وثقات أصحابنا، وأهل العناية بهذا الشأن، ومَن شُهِرَ منهم بالحفظ والإتقان. وقد نَسبتُ ذلك

272– ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص23.
273– المصدر نفسه، ص23.
274– نفسه، ص ص23–24.
275– نفسه، ص ص23–24.

إلى مَن قاله لي منهم، إلاّ ما لحقتُه بسنّي، وشاهدته بنفسي، وقيّدته بخطّي، فلستُ أُسنِده إلى أحدٍ، وأقتصر في ذلك على ما علِمتُه وتحقّقتُه"[276].

❖ **وأما ما تعلّق بالأجزاء:** فقد وزّع ابن بشكوال تراجم كتابه "الصلة" البالغ عددها 1573 ترجمة عالم وعالمة، على عشرة أجزاء[277]. وقد نبّه لبداية كل جزء ونهايته، باستثناء الحدّ الفاصل بين نهاية الجزء التاسع وبداية العاشر[278].

وقد جاءت التراجم التي ضمّنها ابن بشكوال كتابه "الصلة" بأجزائه العشرة، شاملة لكل مدن الأندلس، بجميع تخصصات رجالها. حيث إنه لم يقتصر على قرطبة فقط، بل شمل حديثه كذلك مختلف التخصصات العلمية والأدبية. فأرّخ للفقهاء والمحدّثين والقضاة، واللغويين والأدباء والشعراء، والمقرئين والإخباريين والمؤدِّبين، وعلماء الحساب والأطباء، وكل مَن كان له اهتمام بطلب العلم.

وعلى هذا النهج، سار ابن بشكوال في جميع أجزاء الكتاب العشرة، وترجَم أحيانا لأعلامٍ لَـــمْ يرقوا إلى درجة المعرفة، وإنما عُرفوا بالطيب وحسن السيرة، مع أنه كان من المفروض أن يوردهم ضمن كتابه "زهاد الأندلس وأئمتها"[279].

2-1-4/منهج ابن بشكوال في كتابه "الصلة":

أشار ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) صراحة في مقدمة كتابه "الصلة"، إلى المنهج الذي اعتمده وسار عليه. واللافت للانتباه أن لم يتكلّف منهجا جديدا في هذا الإطار، حيث إنه اكتفى بتقليد الكتاب الأصل-كتاب ابن الفرضي-عرضا وترتيبا، وهو ما يُفهَمُ من قوله: "ورتبتُه على

276- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص26.

277- وردت آخر ترجمة أثبتها الأبياري في تحقيقه لكتاب الصلة تحت رقم: 1573. ينظر: ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص1008. بينما وردت آخر ترجمة في تحقيق بشار عواد والحسيني تحت رقم: 1541. ينظر: ابن بشكوال، الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج2، ص347. كتاب الصلة (تحقيق الحسيني)، ج2، ص658. بينما وردت آخر ترجمة في تحقيق العدوي تحت رقم: 1471. ينظر: كتاب الصلة (تحقيق العدوي)، ج2، ص327.

278- سنقوم بتوضيح آلية تقسيم ابن بشكوال لأجزاء كتابه في الجزئية التالية والمتعلقة بمنهج ابن بشكوال في كتابه "الصلة".

279- يوسف أحمد يوسف بني ياسين وعصام مصطفى عقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة، ص10، هوامش: 69 إلى 78.

حروف المعجم ككتاب ابن الفرضي، وعلى رسمه وطريقته، وقصدت إلى ترتيب الرجال في كل باب على تقادم وفياتهم، كالذي صنع هو رحمه الله، وعلى رسمه وطريقته"[280].

أ-تنظيم التراجم وترتيبها: نظّم ابن بشكوال تراجمه في كتاب "الصلة" ورتّبها على الأجزاء والحروف والأبواب، وعلى تقادم سنيّ الوفاة، وذلك على النحو الآتي:

1- الأجزاء: وزّع ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) تراجم كتابه البالغة 1573 ترجمة لعالم وعالمة[281]، على عشرة أجزاء، حيث نبّه إلى بداية كل جزء ونهايته، عدا الحد الفاصل بين نهاية الجزء التاسع وبداية العاشر. وقد جاءت على النحو التالي:

الجزء الأول: وقد بلغ عدد تراجمه 116 ترجمة، وشملت حرف "أ"[282].

الجزء الثاني: وقد بلغ عدد تراجمه 177 ترجمة، وشملت حروف "أ، ب، ت، ث"[283].

الجزء الثالث: وقد بلغ عدد تراجمه 149 ترجمة، وشملت حروف "ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز"[284].

الجزء الرابع: وقد بلغ عدد تراجمه 135 ترجمة، وشملت حروف "س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع"[285].

الجزء الخامس: وقد بلغ عدد تراجمه 123 ترجمة، وشملت حرف "ع"[286].

الجزء السادس: وقد بلغ عدد تراجمه 141 ترجمة، وشملت حرف "ع"[287].

الجزء السابع: وقد بلغ عدد تراجمه 141 ترجمة، وشملت حرف "ع"[288].

الجزء الثامن: وقد بلغ عدد تراجمه 183 ترجمة، وشملت حروف "غ، ف، ق، ك، ل، م"[289].

280- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص23.

281- المصدر نفسه، ص1008.

282- نفسه، ص ص23-97.

283- نفسه، ص ص99-206.

284- نفسه، ص ص207-305.

285- نفسه، ص ص307-396.

286- نفسه، ص ص398-479.

287- نفسه، ص ص480-567.

288- نفسه، ص ص569-661.

289- نفسه، ص ص663-772.

الجزء التاسع والعاشر: لم يحدد ابن بشكوال نهاية التراجم في الجزء التاسع ولا في بداية العاشر، وقد شملت حروف "م، ن، هـــ، و، ي"، وقد بلغت عدد التراجم في هذين الجزئين 388 ترجمة[290].

وفي موفّى الجزء العاشر، أثبت ابن بشكوال نهايته بقوله: "تم الجزء العاشر من كتاب الصلة لكتاب ابن الفرضي بحمد الله وعونه، وبتمامه كمل جميع الديوان"[291].

وعليه، يتضّح من طريقة تقسيم ابن بشكوال لكل جزء من أجزاء كتابه "الصلة" المذكورة سلفا، ما يلي[292]:

– لم يعتمد عدد التراجم أساسا لتقسيم الأجزاء، حيث جاء في كل جزء عدد معين من التراجم مختلفا عن عدده في بقية الأجزاء الأخرى، فضم الجزء الأول 116 ترجمة، والثاني 177 ترجمة، بينما ضم الثالث 149 ترجمة، وهكذا أكمل بقية أجزاء كتابه بأعداد متفاوتة في التراجم.

– لم يعتمد الحروف كأساس لتقسيم أجزاء الكتاب؛ فقد اشتمل الجزء الأول وبعض الثاني على حرف الألف، بينما اشتمل الجزء الرابع على أحرف: س، ش، ص، ض، ط، ظ، وبعضا من حرف العين، وهذا الأخير امتد ليتوزّع على الجزء الخامس والسادس والسابع.

– لم يَعْمَد ابن بشكوال إلى ذِكر بدايات ونهايات الأسماء كأساس لتقسيم الأجزاء، داخل كل باب من الأبواب. فقد انتهى الجزء الأول في منتصف تراجم حرف الألف فيمن اسمه أحمد، واستكمل الأحمدين في الجزء الثاني.

– لم يسلك ابن بشكوال المساحة الزمنية للمترجم لهم كأساس لتقسيم الأجزاء، حيث لم يشغل الجزء سنوات معيّنة ومحددة مِن أول ترجمة إلى آخر ترجمة في الجزء.

وهكذا؛ بقي الأمر منوطا بعدد الورقات المخطوطة التي كتب عليها ابن بشكوال أجزاء الكتاب. وليس بين أيدينا في الكتاب المطبوع إشارة إلى الصفحات المخطوطة، وإنما تراوح الجزء في المطبوع من الكتاب ما بين ثمانين إلى مائة صفحة، وهو ما يجعلنا نميل إلى القول بأنّ ابن

290– ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص779–997.

291– المصدر نفسه، ص997.

292– يوسف أحمد يوسف بني ياسين وعصام مصطفى عقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة، ص ص11–12.

بشكوال قد اعتمد على عدد الأوراق في ذلك، فجعل لكلّ جزء كراسة محدّدة ومتساوية في جميع الأجزاء[293].

2- **الحروف:** اعتمد ابن بشكوال (تـ578هـ/1182م) في ترتيب وعرض أسماء العلماء المترجَم لهم، على مبدأ الحروف، وهو اعتبار الحرف الأول في الاسم، بصرف النظر عن الأحرف الأخرى، وقد اعتمد هذا الأمر وراعاه في تقسيم الحروف إلى أبواب.

وقد اتبع في ترتيب الحروف الطريقة المشرقية، فبدأ بحرف الألف وانتهى إلى حرف الياء، مع تقديم حرف الواو على حرف الهاء، متأسّيا في ذلك بما صنع ابن الفرضي (تـ403هـ/1013م) في كتابه "تاريخ علماء الأندلس"[294].

كما أنه لم يوزّع أسماء النساء اللواتي ترجم لهنّ حسب الحروف التي تبتدئ بها أسماؤهنّ، بل إنه أفرد لهنّ بابا مستقلا في آخر مصنّفه، بعد الانتهاء من حرف الياء، ولم يُراع الحروف في ترتيب أسمائهن، بل اعتمد تقادم سنيّ الوفاة ما أمكنه ذلك[295].

ومما تجدر الإشارة إليه، هو أن ابن الفرضي كان دقيقا في استخدام مصطلح "الحرف" للإشارة إلى بداية الأسماء في ذلك الحرف، ومصطلح "باب" للإشارة إلى بداية ذِكر الأسماء المتشابهة في ذلك الحرف[296]، وهو الأمر الذي شذّ عنه ابن بشكوال-رغم أنه صنف كتابه مشيا على خطى ابن الفرضي-ولم يكن دقيقا في استخدام هذين المصطلحين، فاستخدم مصطلح "باب" بدلا عن مصطلح "حرف" للإشارة إلى بدايات الحروف في الحروف "أ، غ، ف، ق، هـ، ي"، وكان الأولى أنْ يستخدم مصطلح "حرف".

كما أنه، لم يستخدم مصطلح "باب" في كل بدايات الأبواب، بل اقتصر ذلك لديه على حرف الحاء في اسم "حكم" و"حامد"[297]، وفي حرف السين في أسماء "سعيد" و"سلمة"

293- يوسف أحمد يوسف بني ياسين وعصام مصطفى عقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة، ص12.
294- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص329.
295- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص991-997.
296- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص330.
297- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص239 وص243.

و"سراج"[298]، وفي حرف العين، في أسماء "عبيد الله" و"عبد الرحمن"[299]، واستعاض عن مصطلح "باب" بعبارة "مَنِ اســـمُه..." في بقية الأبواب[300].

إن هاته الملاحظات المنهجية التي سجّلناها على تأليف ابن بشكوال، لا تمنعنا من القول بأنه كان دقيقا في مواطن أخرى فيما تعلق بترتيبه للحروف، حيث إنه عمد إلى التنبيه على الحروف التي لا تشمل إلا بابا واحدا، كما فعل في حرف الطاء[301]، أو تلك التي لا تشتمل أبوابا في الأصل، وإنما مجموعة أسماء مفردة كما في حرف الشين[302]. أو إنْ كان الحرف غير مشتمل إلا اسما واحدا، كما في حرف الضاد[303]. أو إن كان الحرف فارغا لا يحوي أية أسماء، كما في حرف الظاء[304].

وبالرغم من الدقّة التي سجّلناها على كتاب ابن بشكوال "الصلة" في المواضع المذكورة، إلا أنه خلط في مواطن أخرى، كما في باب الغرباء، الذي أورد بين طيّيه علماء أندلسيين، كان من المفروض أن يذكرهم في مواضعهم الأصلية، حينما ذَكر علماء الأندلس، كما في حرف الميم[305]، وحرف الكاف[306]. وفي باب "الأفراد في حرف الميم" ترجَم لمن اسمه مطرف[307]، مع أنه أفرد سابقا بابا خاصا لمن كان اسمه مطرف[308].

وفي السياق ذاته؛ فَاتَه كذلك أنْ ينبّه إلى ذِكر عناوين بعض الأبواب، فمثلا أورد أسماء لبيب ولب في باب "من اسمه ليث"[309]، في حين كان من المفروض أنْ يفرد لهم بابا منفصلا بعنوان "الأفراد في حرف اللام".

298- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص326 وص350 وص353.
299- المصدر نفسه، ص454 وص462.
300- نفسه، ص378 وص699، على سبيل المثال.
301- نفسه، ص375.
302- نفسه، ص365.
303- نفسه، ص374.
304- نفسه، ص377.
305- نفسه، ص913، تراجم رقم: 1404-1405-1406.
306- نفسه، ص696.
307- نفسه، ص913.
308- نفسه، ص898.
309- نفسه، ص697 وص698.

وكذلك؛ أورد ثلاثة أسماء متوالية باسم مغيث[310] في باب "تفاريق الأسماء في حرف الميم"، وكان من المفروض أن يُفردهم بباب مستقل بعنوان "باب من اسمه مغيث". كما أنه أورد اسما واحدا فيمن اسمه كامل[311]، وغرباء قاسم[312]، دون أن ينبّه إلى ذلك، كما فعل في السابق.

3- الأبواب: قسّم ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) الحروف تقسيما داخليا، معتمدا على مبدأ الأبواب، أو مجموعة الأسماء المتشابهة في الرسم مع بعضها، فوضع كلّ مَنِ اسمه أحمد في باب أحمد بغضّ النظر عن مكانه الجغرافي أو زمانه. معنى ذلك، أنّ كل حرف من الحروف قسّمه وجزّأه داخليا إلى مجموعة أبواب، بِناء على الأسماء وتشابهها، حيث تشترك جميع الأبواب في الحرف الأول الذي تبتدئ به الأسماء، كونها تنتمي لذلك الحرف.

وأما منهجه وعَمَلُه في تقديم وتأخير الأبواب في كل حرف، فلم يكن باديا واضح المعالم، وإنما أخضعه لعامل ومعيار اجتماعي متغيّرٌ بتغيّر الزمن، ومرتبطا بالعدد والشُّهرة. ورغم أنه لم يصرّح بذلك بنفسه، فإن ابن عبد الملك المراكشي (تـــ703هـــ/1303م) أشار إليه بقوله: "وجَعَلا الأسماءَ في كلِّ باب على حسَبِ الأكثرِ فالأكثر، والأشهرِ فالأشهر"[313]؛ وقَصْدُ ابن عبد الملك بـــ "جعلا" يعني الطريقة التي اعتمدها ابن الفرضي (ت403هـــ/1013م) وابن بشكوال.

وبالنسبة لـــمبدأ العدد، فإنه ومن خلال عدِّ التراجم في كل باب ومقارنتها بالترتيب الذي وضعها فيه، يتبيّن لنا جليا أنه لم يلتزم بها التزاما تاما في كل الحروف. وقد راعى مبدأ العدد مِن حيث الأكثر إلى الأقل في ترتيب الأبواب في حروف "أ، ج، ح، ز، ي"، بينما أهمل ذلك في ترتيب الأبواب في حروف "ع، خ، س، ف، م"[314].

310- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص906، ترجمة: 1395 وص907، ترجمة: 1396 وص908، ترجمة: 1397.

311- المصدر نفسه، ص695، ترجمة: 1030.

312- نفسه، 694، ترجمة: 1029.

313- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص205.

314- فعلى سبيل المثال، ابتدأ في حرف العين بمن اسمه عبد الله (96 ترجمة)، ثمن بمن اسمه عبيد الله (11 ترجمة)، ثم بن اسمه عبد الرحمن (79 ترجمة)، ثم بمن اسمه عبد الملك (19 ترجمة)، ثمن بمن اسمه عبد العزيز (20 ترجمة)، وهكذا. ينظر: يوسف أحمد يوسف بني ياسين وعصام مصطفى عقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة، ص14.

وفي هذا السياق، لابد من التنويه إلى أنّ حرف العين، حمل خصوصية عند ابن بشكوال؛ ذلك أنه قَدَّم العبادلة ثم سار على نسق أسماء الخلفاء الراشدين؛ عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ثم شيوع استخدام الاسم.

وبالعودة إلى الأصل-كتاب ابن الفرضي-الذي ألف ابن بشكوال على منواله، نجد أن ابن الفرضي (ت403هـ/1013م) لم يتّبع ترتيب الحروف في تقسيمه للأبواب، إلا في حروف "خ، ز، ص، غ، ف، و، هـ، ي"، وأما باقي الحروف، فإنه لم يعتمد حروف المعجم ولا العدد[315].

وبناء على ما ذُكر سلفا، يتّضح لنا أن المبدأ الأول الذي أشار إليه ابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1303م)، في توصيف طريقة ترتيبهما-ابن الفرضي وابن بشكوال-للأبواب، والقائم على مبدأ العدد لم يكن موفّقا ولا مُصِيبا، إذْ لم تكن الطريقة المتّبعة لديهما طريقة العدد ولا طريقة ترتيب الحروف الألفبائية[316].

وأما المبدأ الثاني الذي ذَكَره، والمتمثل في اعتماد الأَشْهَر فالأَشْهَر، فإن الشُّهرة التي أشار إليها ابن عبد الملك هي شهرة تداول الاسم في الفضاء الاجتماعي الأندلسي، إلا أنها كانت شهرةً متبدّلة ومتغيّرة مع تعاقب السنين وتواليها[317].

ومما يجدر بنا ذِكره هاهنا كذلك؛ هو أنّ ابن بشكوال كان يبدأ في كل باب بعرض أسماء علماء الأندلس دون الغرباء، وقد بلغ تعدادهم 1415 مترجَما بين عالم وعاملة، وبذلك كانوا هم أساس مصنّفه وعموده. وقد رتّبهم على مبدأ المشابهة في الرّسم، كعقده سبعة أبواب مثلا في حرف الألف، وبدأ التراجم فيها جميعها بحرف الألف، وابتدأها بمن اسمه أحمد من علماء الأندلس[318].

315- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، ص330. وللاستزادة أكثر، ينظر المقارنة التي عقدها المؤلّف بين طريقة ابن الفرضي وابن بشكوال وابن الأبار؛ ينظر: يوسف أحمد يوسف بني ياسين وعصام مصطفى عقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة، ص15.

316- المرجع نفسه، ص16.

317- يوسف أحمد يوسف بني ياسين وعصام مصطفى عقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة، ص16.

318- وعددهم 181 ترجمة. ينظر: ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص29-139.

وقبل أن يُكمل ذِكره للعلماء الأندلسيين الآخرين في الباب الموالي ممن اسمه إبراهيم مِن حرف الألف، انتقل إلى ذِكر الغرباء الأحمدين، وهكذا أكمل سِفره على هذا النّمط[319]، في كل باب من أبوابه.

وفي تحريره لتراجم سِفره النفيس، لم يهمل ابن بشكوال-جريا على سَنَن ابن الفرضي- ذِكر مَن قدم إلى الأندلس، حيث خصص لهم حيّزا خاصا تحت مسمّى "الغرباء" وهم الطارئون على الأندلس مِن غيرها، سواء كان أصلهم منها أم مِن غيرها[320].

هذا؛ وشكّلت الترجمة للغرباء ركنا أساسيا في كتب التراجم الأندلسية، وهو ما ينمّ عن طريقة تفكيرهم الفريدة وتعاطيهم مع هاته الفئة، والتي رأوا أنها متمايزة عن بقية أمصار العالم الإسلامي. فهذا ابن الفرضي (ت403هـ/1013م) مثلا، جعل الأندلسي صاحب الأصل؛ هو أندلسي المولد لا أندلسي الهجرة أو الوفاة، فكان تحديد الهوية لديه يرتكز أساسا على مكان الولادة لا غير.

وكمثال على ذلك، فقد اعتبر ابن الفرضي أبي علي القالي المشرقي (288-356هـ/901-967م)[321] الذي قَدِم الأندلس وعاش فيها؛ مِن الغرباء رغم إقامته الطويلة في الأندلس ووفاته بها[322]. كما أثبت في صنف الغرباء كذلك؛ كل العلماء الذين رحلوا إلى الأندلس ثم غادروها[323].

وقد خالف ابن حزم الأندلسي (ت456هـ/1064م)[324]؛ ابن الفرضي فيما شَرَطه في ذلك، فاعتبر الأندلسي كلّ مَن أقام ومات بالأندلس، بغض النظر عن مكان ولادته، وهذا النهج هو الذي سار عليه المشارقة كابن سعد (ت230هـ/844م)[325] صاحب "الطبقات".

ورغم ذلك؛ فإن ابن بشكوال لم يَذْهب مذهب ابن حزم في تحديد هوية المترجَم له، بل إنه قلّد ابن الفرضي في ذلك جملة، واعتبر كلّ مَن وُلد في الأندلس أندلسيا بصرف النظر عن مكان وفاته، وكل من وُلد خارجها عدّه غريبا، بصرف النظر عن مكان إقامته ومماته.

319- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص140-146.

320- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص205.

321- تقدمت ترجمته في الهامش: 164 من الفصل الأول.

322- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ص138-139، ترجمة: 221.

323- المصدر نفسه، ص ص125-126، ترجمة: 199.

324- تقدمت ترجمته في الهامش: 414 من الفصل الثاني.

325- تقدمت ترجمته في الهامش: 44 من الفصل الثاني.

وللتأكيد، فإن الأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة في تراجم الغرباء وفي كل أبواب كتاب "الصلة" لابن بشكوال، وسنقتصر على إيراد مثال عن كل حالة للتمثيل على منهجه في تعامله مع تراجم الغرباء[326].

ومِن أمثلة ذلك، فِيمَن بقي في تقدير ابن بشكوال أندلسيا كونه وُلد فيها، وترجَم له ضمن الأندلسيين؛ أحمد بن محمد بن إسماعيل بن سعيد القيسي (ت429هـ/1037م)، أصله من إشبيلية وبها سَكَن، ثم رحل إلى سبتة[327] وتوفي بها[328].

وأما مَن لم يعدّه ابن بشكوال أندلسيا، رغم أنه قدِم إليها وهو غلام حَدَثُ السنّ، وبها عاش وتوفي، نجد أحمد بن قاسم التاهرتي (ت395هـ/1004م)، الذي وُلد في تيهرت، وقدم الأندلس صغيرا سنة 317هـ/929م وهو ابن ثماني سنين، وسكنها ومات فيها[329].

ومن الجدير بالملاحظة، أن ابن بشكوال كان يعرض في بعض الأحيان في خاتمة كل باب، للكُنى المتوافقة مع الأسماء في الباب المذكور دون ترتيب دقيق في وضع الكنى، وقد أتت قليلة جدا، حيث ذَكَرها مرّة بعد ذِكره للغرباء[330]، ومرّتين قبل ذِكر الغرباء[331].

وفي الأخير، وبعد أن أنهى ابن بشكوال تحرير تراجم علماء سِفره النفيس؛ سواء كانوا أندلسيين أم غرباء، أم حسب ورودهم في قائمة الكُنى حسب أبواب الكتاب، عمد إلى ذِكر ما تبقى لديه من العلماء الذين أوردهم بالأسماء المفردة في الحروف الغير مكررة.

ففي حرف الألف مثلا، وزّع أسماء العلماء على سبعة أبواب على النحو التالي: باب أحمد، باب إبراهيم، باب إسماعيل، باب أصبغ، باب أمية، باب إسحاق، باب أيوب. ولَـمَّا بقيت لديه

326- لا يسعنا في هذا المقام، أن نأتي على ذِكْر كل تراجم الغرباء في كتاب الصلة، وحَسْبُ القارئ أو الباحث في هذا المقام، أن يقوم بعملية تصفّح للكتاب، وسيجد الأمثلة في ذلك كثيرة ومتنوعة.

327- **سبتة:** بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، وهي على برّ البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق، الذي هو أقرب ما بين البرّ والجزيرة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص182.

328- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص85، ترجمة: 93.

329- المصدر نفسه، ص140، ترجمة: 182.

330- نفسه، ص364.

331- نفسه، ص588 وص693.

أسماء علماء أفراد تبتدئ أسماؤهم بحرف الألف لكنها غير مكررة، فقد أوردها تحت عنوان "ومِن تفاريق الأسماء في حرف الألف"[332].

وقد التزم ابن بشكوال هذا النسق مع بقية الحروف[333]، فاستخدم عناوين أخرى تدل على ذلك ومنها "الأفراد"[334]، أو "الأسماء المفردة"[335]. وكذلك كان يفعل إنْ توافر لديه أسماء مفردة من الغرباء مثل قوله: "ومن الغرباء في الأسماء المفردة"[336]، حيث رتّبهم على تقادم الوفاة في الغالب، لا على الترتيب الألفبائي.

4- **تقادم الوفاة:** يظهر للباحث أن ابتداء ابن بشكوال في جمع المادة المتعلقة برجاله، كان منذ بواكير حياته العلمية، ذلك أنه قد بِلَمْلَمَتِها مِن خلال المناولات والإجازات التي كانت تأتيه من الشيوخ والعلماء.

ولا يوجد بين أيدينا ما يؤكد على وجه التحديد وبشكل صريح، تاريخ شروعه في تأليف كتاب "الصلة"، بخلاف تاريخ فراغه منه، حيث ذَكر أنه أنهى نشرته الأولى في جمادى الأولى 534هـ/ديسمبر 1139م؛ فقد ورد في نصّ صريح يؤكّد ذلك، وهو لابن خلكان (ت681هـ/1282م) نقلا عن تلميذه ابن دحية الكلبي (ت633هـ/1235م)، ومما جاء فيه: "نقلتُ من خطّ شيخنا-يعني ابن بشكوال-أنه فرغ من تأليف الصلة في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة"[337].

وبين يدي مقدمة "الصلة"، أوضح ابن بشكوال منهجه فيما تعلّق بالفترة الزمنية التي ترجم فيها لأعلام سِفره النّفيس، حيث أكّد أنه ابتدأ مِن حيث انتهى ابن الفرضي (ت403هـ/1013م) في كتابه "تاريخ علماء الأندلس" إلى تراجم سنة 395هـ/1004م، فوصله ابن بشكوال ابتداء من هاته السنة إلى وقته؛ أي سنة الفراغ مِن تأليفه، مما يعني أنه أرّخ وترجم لأعلام الفترة الواقعة بين

332- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص191.
333- ينظر على سبيل المثال: ص217 وص249 وص358، من المصدر نفسه.
334- نفسه، ص199 وص669 وص681 وغيرها.
335- نفسه، ص558.
336- نفسه، ص571.
337- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص240.

سنتي 395هـ/1004م وسنة 534هـ/1139م، وهو ما نستشفّه من قوله: "وأنْ أبتدئَ مِن حيث انتهى كتابُه، وأين وصل تأليفه، متصلا إلى وقتنا"[338].

وبين ثنايا مقدمة كتابه "الصلة" كذلك؛ ذَكر ابن بشكوال أنه رتّب الرجال في كل باب على تقادم سنيّ وفياتهم، وذلك في قوله: "وقصدتُ إلى ترتيب الرجال في كل باب، على تقادم وفياتهم"[339].

❖ **وفيما تعلّق بالنقطة الأولى:** الخاصة بتاريخ ابتداء تدوين أحداث كتابه، لم يلتزم ابن بشكوال بما حدّه في مقدمة الكتاب مِن حيث نقطة ابتداء التقييد سنة 395هـ/1004م. ويكفينا للوقوف على ذلك والتأكد منه؛ العودة للكتاب والتدقيق في تواريخ وفيات العلماء الذي ترجَم لهم في أوائل الأبواب.

ولا نجد تبريرا لما ذهب إليه ابن بشكوال في ذلك، سوى أنه دَرَج على سَنَنِ أصحاب الصلات، الذين كان مِن عادتهم الاستدراك على ما فات المؤلفين السابقين لهم، فنجده يعود ليترجِمَ لعلماء قَضَوْا خلال الفترة السابقة التي صادفت نهاية كتاب ابن الفرضي. ولعلّ مِن أبرز الأمثلة على ذلك، أنه بدأ في حرف الألف في باب أحمد بالترجمة لأحمد بن عمر بن أبي الشعري الوراق المقرئ المتوفي بعد سنة 350هـ/961م[340]. وفي باب إبراهيم، بدأ بالترجمة لإبراهيم بن سعيد بن سالم بن أبي عصام القلعي المتوفي سنة 390هـ/999م[341].

كما أنه، كان في كل باب من الأبواب يؤرخ في بدايته لبعض العلماء الذين عاشوا ضمن الفترة التي خصصها ابن الفرضي لأعلام كتابه. بَيْدَ أنه، كان عليه ولاعتبارات منهجية عدم العودة إلى تلك الفترة، خاصة أنه قد بلغ تعداد الفئة خارج الفترة الزمنية، التي حدّها لكتابه 75 عالما[342].

وعليه، يتّضح وبشكل جليٍّ أنّ ابن بشكوال، لم يلتزم بشرط الابتداء الزمني، بلْ إنه خَرَقَ كذلك شرط الانتهاء الذي حدّه في كتابه، وهو وقت فراغه من تأليفه سنة 534هـ/1139م. وتدلّ على ذلك تراجم العلماء، الذين ضمّنهم أخريات الأبواب في كتابه، أنّ سنوات وفاتهم

338- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص31. ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص23.
339- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص23.
340- المصدر نفسه، ص29، ترجمة: 01.
341- نفسه، ص147، ترجمة: 193.
342- يوسف أحمد يوسف بني ياسين وعصام مصطفى عقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة، ص19.

تأخرت عن سَنَةَ فراغه من تأليف الكتاب، ولعلّ من أبرزهم أحمد بن محمد موسى بن عطاء الله الصنهاجي (تـــ536هـــ/1141م)، الذي استجاز من ابن بشكوال كتاب "الصلة"، ثم أُلحقت ترجمته بتراجم الكتاب بعد وفاته[343]، أي بعد سنتين من فراغ ابن بشكوال من تأليف "الصلة".

كما أن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن قزمان (المتوفي مستهل ذي القعدة 564هـــ/أخريات جويلية 1169م)، يُعتبر آخر مَن ترجَم لهم ابن بشكوال، من حيث تأخر سنة الوفاة[344].

وعلى ما يبدو، فإن ابن بشكوال ظلّ يتعاهد سِفره بالزيادة، فكان يضيف إليه ما يستجدّ مِنْ معلومات تتعلق أساسا بذِكر وفيات بعض مَن تأخّرتْ وفياتهم عن تاريخ الفراغ من تأليف الكتاب سنة 534هـــ/1139م.

ومِنْ أمثلة ذلك، ذِكرهُ لوفاة بعض المترجَمين، ومنهم شيخه شريح بن محمد بن شريح سنة 539هـــ/1144م، والخضر بن عبد الرحمن القيسي سنة 540هـــ/1145م، وإبراهيم بن محمد بن ثبات سنة 541هـــ/1146م، وإبراهيم بن يحي المعروف بابن الأمين سنة 544هـــ/1149م، وعبد الملك بن مسرّة اليحصبي سنة 552هـــ/1157م، وأبي القاسم بن رشد سنة 563هـــ/1167م، وغيرها من التراجم[345].

وقد بلغ عدد العلماء الذين تأخّرت وفاتهم عن سنة الانتهاء من تأليف الكتاب سنة 534هـــ/1139م؛ 45 عالما[346]، وهو عدد ليس كبيرا جدا، خاصة إذا وضعنا في الحسبان أن ابن بشكوال امتدّت حياته بعد فراغه من تأليف "الصلة"؛ 44 عاما. وبذلك، يتأكّد لدينا أنّ بشكوال لم يغلق باب الإضافة إلى كتابه بعد ما فرغ من تأليفه خلال سنة 534هـــ/1139م، بل إنّه كان يضيف إليه كل ما جدّ جديد لديه من وفيات معاصرة لشيوخه وأقرانه.

ومما يؤكّد ذلك، هو ما ذَكره بعض العلماء والمؤرخين الذين اعتمدوا كتاب "الصلة" كابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م)، حيث أورد في ترجمة أحمد بن طاهر الأنصاري عبارة تدلّ على ما

343- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص136، ترجمة: 176. وقد تقدم ذِكر مظان ترجمته في الهامش: 235 من هذا الفصل.

344- المصدر نفسه، ص518، ترجمة: 761.

345- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص11 من مقدمة التحقيق.

346- ذَكر بشار عواد في مقدمة تحقيقه للصلة، العلماء الذين أضافهم ابن بشكوال إلى كتابه أواخر عُمُره وعددها 52 ترجمة، مع أرقام ورودها في تلك الطبعة. ينظر: ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص ص12-14.

ذهبنا إليه سابقا، حيث قال: "ذَكره ابن بشكوال في ملحقاته وزياداته التي ذيّل بها كتابه بعد الفراغ منه"[347].

وتجدر الإشارة، إلى أنّ الزيادات التي ضمّنها ابن بشكوال مصنَّفه، أتت في موضعها مِن حيث الترتيب، فأحمد بن طاهر الأنصاري المذكور، ورد في مكانه في حرف الألف في باب أحمد[348]. وربما يكون ابن بشكوال هو مَن دَوّن تلك الزيادات على حواشي الكتاب، أو بِفِعْل النسّاخ من بعده[349]، والذين ربما أخلطوا في مرات عدّة، حينما وضعوا علماء أندلسيين في باب الغرباء، أو أَلْـــحقوا أسماءَ كان مِن المفروض أن تُضمّ إلى أبواب موجودة ألحقوها بمفاريد الأسماء، ومنها التراجم رقم: 1404 و1405 و1406 حيث وردت في باب الغرباء مِن حرف الميم وهُمْ أندلسيون[350]. وكذلك، ورد معهم اسم مطرف في باب الأفراد، مع أنّ ابن بشكوال قد أفرد قبل ذلك بابا خاصا لمطرف[351].

❖ **وأما ما تعلّق بالنقطة الثانية:** الخاصة بترتيب أسماء العلماء في الأبواب حسب تقادم سنيّ الوفاة، فإن اعتماده لهاته الطريقة، كان يتطلّب منه إلماما ومعرفة دقيقة بتواريخ الوفاة، وذلك حتى يتمكّن من وضع المترجَم لهم في الخانات المناسبة حسب سنوات الوفاة.

ومن الواجب التنبيه، إلى أن هاته المسألة ليست بالأمر السهل اليسير، خاصة في ظل الزخم الكبير من العلماء الذين حواهم كتاب الصلة، وهو ما جعل ابن بشكوال يلجأ إلى اعتماد تواريخ

347- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص44، ترجمة: 128.

348- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص130، ترجمة: 168.

349- ذَكر بشار عواد في مقدمة تحقيقه للصلة، أنّ ابن بشكوال زاد على كتابه في آخر عمره 52 ترجمة لم تكن في الأصل الأوّل، لكنها دخلت في النسخ المنتسخة عنه فيما بعد. وأشار إلى أن النسخة التونسية الخاصة، أفردت في آخرها التراجم التي زادها ابن بشكوال أواخر عمره، وجاء في الورقة الأولى منها ما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. وهذه زيادات الحافظ أبي القاسم رحمه الله في تاريخه بآخرة عمره". كما جاء في آخر الورقة السادسة منها ما نصه: "انتهت الزيادة والحمد لله على كل حال، وصلى الله على محمد وآله وصحبه خير صحب وخير آل". ينظر: ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص12.

350- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص913.

351- المصدر نفسه ص898.

أخرى في حياة المترجَمين، حينما كان يعجز عن العثور على تواريخ الوفاة. ويمكن تصنيف تعامله مع مسألة التواريخ إلى ما يلي[352]:

– مَن جَهل تاريخ وفاته، وعَلِم تاريخا آخر في حياة المترجَم لهم دالٌّ على وقته، مثل تاريخ الإجازة، أو تاريخ آخر معين في حياة المترجَم لهم، أو تاريخ العبور للأندلس فيما تعلق بالغرباء، أو تاريخ الميلاد؛ وقد بلغ عدد مَن أخذوا هاته الصفة 141 عَلما[353].

– مَن جَهل تاريخ وفاتهم، وعددهم 270 عَلما[354].

– مَن عَلِم تاريخ وفاتهم على غير وجه دقيق، وعددهم 110 عَلما[355].

– مَن عَلِم تاريخ وفاتهم بدقة، وعددهم 1032 عَلما[356].

وهكذا، يتّضح لدينا أنّ ابن بشكوال، لم يكن دقيقا بالشكل المطلوب في ترتيب تراجمه، فيما تعلّق بمعلومات الوفاة على مبدأ تقادم الوفاة، بل إنه كان في كثير من الأحيان، يقدّم المتأخر وفاةً، ويؤخّر المتقدّم وفاةً. ومن أمثلة ذلك–وهي كثيرة في كتاب الصلة–أنه أخّر ترجمة إبراهيم ابن جعفر الزهري (تـــ435هـــ/1043م)[357] إلى ما بعد ترجمة إبراهيم بن خلف الغساني (تـــ455هـــ/1062م)[358]، إذْ كان من المفروض حسب مبدأ تقادم الوفاة أن تكون ترجمة إبراهيم ابن جعفر الزهري، إلى ما بعد ترجمة إبراهيم بن عبد الله الغافقي (تـــ425هـــ/1033م)[359]، قبل ذلك بثماني تراجم.

إنّ تعاطي ابن بشكوال مع هاته المسألة على الوجه المذكور، ربما يجعلنا نلتمس له عذرَ كِبَر الأبواب، بَيْدَ أن هذا الأمر تكرر حتى في الأبواب الصغيرة ذوات الأعداد القليلة مِن التراجم، وهو ما يعطينا صورة أخرى، تفيد بأن هذا الخلط وعدم الدقّة في الترتيب على مبدأ تقادم الوفاة،

352– للتوضيح أكثر؛ ينظر: يوسف أحمد يوسف بني ياسين وعصام مصطفى عقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة، ص ص21–23.

353– المرجع نفسه، ص ص21–22.

354– نفسه، ص22.

355– نفسه، ص22.

356– نفسه، ص23.

357– ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص158، ترجمة: 214.

358– المصدر نفسه، ص158، ترجمة: 213.

359– نفسه، ص154، ترجمة: 205.

ترك أثرا لافتا للانتباه، حيث بانَ ذلك في الفرق الشاسع بين تواريخ الوفيات مع تقارب ترتيب التراجم مِن بعضها، وبدا فيه الخلط واضحا وجليا.

وخلاصة القول، فإن العجلة التي لبّى بها ابن بشكوال دعوة أصحابه، أثّرت في تأليف الكتاب، إذْ لم يكن دقيقا في ترتيبه، مع أنّ الزيادات التي أدخلها والإجازات التي منَحها، تدلان بوضوح على عنايته وتعاهده للكتاب إلى فترات متأخّرة من عُمُره، حيث كان من الـــمُمْكِن أنْ يُصلح الخلل الحاصل في ترتيب مُصنَّفه. وربما يكون لانشغاله بتصانيفه الأخرى على كثرتها، عاملا وزانا في ذلك، يُضاف إليه ما ذَكره عنه ابن الزبير في "صلة الصلة" ونقله لنا الذهبي في "تذكرة الحفاظ"، حيث قال: "كان رحمه الله تعالى يؤثر الخمول"[360].

ب-البناء الداخلي للتراجم وعناصرها: أورد ابن بشكوال في مقدّمة مصنَّفه عناصر التراجم التي ذَكَرها فيه، كما في قوله: "وكنتُ قد قيّدت كثيرا مِن أخبارهم وآثارهم، وسِيَرهم، وبلدانهم، وأنسابهم وموالدهم ووفياتهم، وعمّن أخذوا من العلماء، ومَن روى عنهم مِن أعلام الرواة وكبار الفقهاء"[361].

وعليه، فإن التراجم الواردة في "الصلة"، اشتملت على العناصر التالية:

1- اسم المترجَم له ونسبه: عمد ابن بشكوال في أول كل ترجمة إلى ذِكْر اسم المترجم له، واسم أبيه أو جدّه، وغالبا ما كان يكتفي بهذا في أغلب التراجم؛ ومثال ذلك قوله: "أحمد ابن يوسف بن حماد الصدفي"[362].

كما كان يرفع النسب أحيانا، إلى ذِكْر سلسلة النسب، كقوله: "أحمد بن يحي بن أحمد بن سُميق بن محمد بن عمر بن واصل بن حرب بن اليسر بن محمد بن علي"[363]. وفي أحايين أخرى، كان يذكر ولاء الشخص إن وُجد، كقوله: "أحمد بن عبد الله بن بدر مولى أمير المؤمنين المستنصر بالله"[364].

360- تذكرة الحفاظ، ص1340، ترجمة: 1097.

361- ابن بشكوال، كتاب الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص31.

362- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص101، ترجمة: 118.

363- المصدر نفسه، ص102، ترجمة: 119.

364- نفسه، ص77، ترجمة: 79.

2. نسبة المترجَم له: ذَكر ابن بشكوال الكثير من العبارات التي تدلّ على نسبة المترجَم له؛ ومنها قوله: "التميمي البُستي"[365]، و"العبسي"[366]، و"الأزدي"[367]، و"القضاعي"[368]، و"الأموي"[369]. كما أنه كان يضيف كثيرا إلى تراجمه نسبة العَلَم أو ما اشتهر به المترجَم له، كقوله: "المقرئ"[370]، و"النحوي"[371]، وغيرها من الألفاظ التي تدلّ على نسبة المترجَم لهم[372].

3. مدينة المترجَم له: أورد ابن بشكوال في معظم تراجمه، مدينة المترجَم له، كما في قوله: "مِن أهل قرطبة"[373]، و"مِن أهل بطليوس"[374]، و"مِن أهل شاطبة"[375]، و"مِن أهل المرية"[376]، و"مِن أهل إشبيلية"[377]، وغيرها من المدن التي أوردها في تراجم كتابه.

4. الكنية واسم الشهرة: عادة ما كان المصنِّف يورد كنية الشّخص المترجَم له، واسم شهرته إن وُجدت، وذلك في غالب التراجم. والأمثلة في كتاب "الصلة" كثيرة، ومنها قوله: "عبد الله بن يحي بن أحمد الأموي، يُعرَف بابن دحّون ويُكنّى أبا محمد"[378]؛ وقوله: "عبد الرحمن ابن محمد بن أحمد بن عبيد الله الرُّعيني، المعروف بابن المشّاط، ويكنى أبا المطرف"[379]؛ وقوله: "عبد الملك بن سليمان بن عمر بن عبد العزيز الأموي...يُكنى أبا الوليد، ويعرف بابن

365- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص874، ترجمة: 1336.
366- المصدر نفسه، ص525، ترجمة: 773.
367- نفسه، ص402، ترجمة: 585.
368- نفسه، ص411، ترجمة: 596.
369- نفسه، ص411، ترجمة: 595.
370- نفسه، ص343، ترجمة: 504.
371- نفسه، ص344، ترجمة: 506.
372- توجد الكثير من الألفاظ في التراجم، ولا يسعفنا المقام هاهنا إلى ذِكْرها كلّها.
373- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص241، ترجمة: 341؛ وهي كثيرة في الصلة.
374- المصدر نفسه، ص244، ترجمة: 344؛ وهي كثيرة في الصلة.
375- نفسه، ص376، ترجمة: 551؛ وهي كثيرة في الصلة.
376- نفسه، ص620، ترجمة: 825؛ وهي كثيرة في الصلة.
377- نفسه، ص630، ترجمة: 938؛ وهي كثيرة في الصلة.
378- نفسه، ص411، ترجمة: 595.
379- نفسه، ص464، ترجمة: 685.

القوطية"[380]؛ وقوله: "علي بن إبراهيم بن علي التبريزي المعروف بابن الخازن، يكنى أبا الحسن"[381].

5. شيوخ المترجَم له ورحلته: تابع ابن بشكوال ابن الفرضي في طريقته لعرض شيوخ المترجَم له، حيث اقتصر على المشهورين منهم فقط، وأتبعه بعد ذِكرهِم بعبارات دالة على ذلك، ومن أمثلتها قوله: "وعن جماعة سواه"، و"نظرائهم"، و"لقي بها جماعة يكثر تعدادهم"، و"عُني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم"[382].

كما كان يذكر مكان سماع ورواية المترجَم مِن شيوخه، كقوله: "أخذ بقرطبة عن"[383]، و"روى بمكة عن"[384]، وغيرها من العبارات. وفي بعض الأحيان، كان يتوسّع في سرد رحلات أعلامه، كأن يقول: "عطية بن سعيد...أخبرني أبو محمد القيسي أنه طاف بلاد المشرق سياحة، وانتظمها سماعا، وبلغ إلى ما وراء النهر، ثم عاد إلى نيسابور[385] وأقام بها مدة...ثم عاد إلى بغداد...وانتقل من مصر إلى مكة، وتوفي بها"[386].

6. المؤهلات العلمية للمترجَم له: ما يلاحَظ على كتاب "الصلة"، أن ابن بشكوال كان يَذكُر في الكثير من تراجمه أهم علوم المترجَم له ودرجاته العلمية إن وُجدت. كما كان يورد بعض الصفات الخَلقية والخُلقية للمترجَم له، ومن أمثلة ذلك-وهي كثيرة-، قوله: "طاهر بن مفوّز بن أحمد بن مفوز المعافري...كان مِن أهل العلم، مقدَّما في المعرفة والفهم، عني بالحديث العناية الكاملة، وشُهر بحفظه وإتقانه...وكان حَسَن الخط، جيّدٌ بالضبط، مع الفضل والصلاح والورع، والانقباض والتواضع، وله شِعر حسن"[387].

380- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص525-526، ترجمة: 774.

381- المصدر نفسه، ص621، ترجمة: 926.

382- أورد ابن بشكوال العديد من هاته العبارات في الكثير من التراجم، ولا يسعفنا المقام هاهنا لإيرادها كاملة.

383- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص660، ترجمة: 981.

384- المصدر نفسه، ص670، ترجمة: 990.

385- **نيسابور:** سميت بذلك لأن سابور مر بها، فلما نظر إليها قال: هذه تصلح لأن تكون مدينة، فأمر بها فقطع قصبها ثم كبس ثم بنيت، فقيل لها نيسابور وهي من بلاد خراسان، افتتحها عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ثلاثين. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص588. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص331.

386- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص651-654، ترجمة: 970.

387- المصدر نفسه، ص376، ترجمة: 551.

ومنها كذلك؛ قوله: "عبد العزيز بن محمد بن سعد...وكان فقيها مشاورا ببلده"[388]. وقوله: "عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حزمون...وكان فقيها مشاورا في الأحكام بقرطبة، صَدْرًا في المفتين بها، حافظا للرأي، بصيرا بالفتيا، وناظر الناس عليه في الفقه"[389]. وقوله كذلك: "محمد بن تمام بن عبد الله بن تمام...وكان فقيها عالما، متفننا شاعرا، موثقا، حسن الخط، مهيبا؛ وكان نهما في الأكل..." [390].

7. مهنة ووظيفة المترجَم له: كان صاحب "الصلة" يورد في أحايين كثيرة، مهنة ووظيفة المترجَم له في مصنّفه، كقوله: "أيوب بن عمر البكري، صاحب خطّة الردّ بقرطبة، والقاضي ببلدة لبلة[391]"[392]. وقوله أيضا: "حامد بن محمد بن حامد بن درّاج القيسي، صاحب الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بقرطبة"[393]. وقوله: "طاهر بن هشام بن طاهر الأزدي...وكان مفتيا بالمرية[394]"[395]. وقوله: "علي بن عثمان بن الحسين الرّبعي الصقلي...قَدِم قرطبة تاجرا"[396].

8. مؤلفات وتلاميذ المترجَم له: كان ابن بشكوال يذكُر في بعض تراجمه مؤلفات وتلاميذ المترجَم لهم إن وُجدت، وخاصة العلماء المشهورين منهم. ومن أمثلة ذلك، قوله: "عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الأنصاري...وجمع كتابا في شِعر الخلفاء مِن بني أمية، وله كتاب

388- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص542، ترجمة: 798.

389- المصدر نفسه، ص544، ترجمة: 801.

390- نفسه، ص716، ترجمة: 1046.

391- **لَبْلَةُ:** بفتح أوله ثم السكون، ولام أخرى، قصبة كورة بالأندلس كبيرة، يتصل عملها بعمل أكشونية وهي شرق من أكشونية وغرب من قرطبة، بينها وبين قرطبة على طريق إشبيلية خمسة أيام أربعة وأربعون فرسخا، وبين إشبيلية اثنان وأربعون ميلا، وهي برّيّة بحرية، وتعرف بالحمراء. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص10. الحميري، الروض المعطار، ص508.

392- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص189، ترجمة: 270.

393- المصدر نفسه، ص243، ترجمة: 342.

394- **المَرِيّةُ:** بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها، يجوز أن يكون من مَرَى الدم يمري إذا جرى، والمرأة مرئية، ويجوز أن يكون من الشيء المريّ فحذفوا الهمزة كما فعلوا في خطيّة ورديّة؛ وهي مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس، وكانت هي وبجّانة بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص119.

395- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص375-376، ترجمة: 550.

396- المصدر نفسه، ص626، ترجمة: 931.

التوّابين مِن تأليفه"[397]. وقوله أيضا: "عبد الله محمد بن نصر بن أبيض...وجمع كتابا في الردّ على محمد بن عبد الله بن مسرّة...وهو كتاب كبير حفيل"[398]. وقوله كذلك: "عبد الله بن أحمد بن سعيد...وجمع أبو محمد هذا كتُبا حسانا، منها كتاب الإقليد في بيان الأسانيد، وكتاب تاج الحلية وسراج البغية في معرفة أسانيد الموطّأ، وكتاب لسان البيان عما في كتاب أبي نصر الكلاباذي من الإغفال والنقصان، وكتاب المنهاج في رجال مسلم بن الحجاج وغير ذلك"[399].

9ـ المولد والوفاة: حرص ابن بشكوال على ذِكر مولد ووفاة المترجم لهم في "الصلة"، حيث كان في بعض الأحيان يحددها زمانا ومكانا، بل إنه كان يذكر في بعض التراجم حتى سبب الوفاة، واليوم والشهر والسنة.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك-على كثرتها-، قوله: "...توفي لثمان بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وقد ناهز الثمانين؛ ومولده سنة خمس وستين وثلاثمائة"[400]. وقوله أيضا: "توفي أبو عمرو المقرئ بدانية[401] يوم الإثنين في النصف من شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة. وكان دفنه بعد صلاة العصر في اليوم الذي توفي فيه، ومشى السلطان أمام نعشه، وكان الجمع في جنازته عظيما"[402].

ومنها كذلك، قوله: "...وتوفي سنة ثماني عشرة وأربعمائة؛ وكان مولده في رجب سنة سبع وستين وثلاثمائة"[403]. وقوله أيضا: "...واستُشهِد بقتندة[404] في ربيع الأول سنة أربع عشرة وخمسمائة"[405].

10ـ التراجم بين الطول والقصر: تراوحت تراجم كتاب "الصلة" لابن بشكوال، بين الطول والقِصر، وذلك لاعتبارات مهمة، منها توفر مادة التراجم، والمنزلة السياسية والاجتماعية

397- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص378، ترجمة: 552.
398- المصدر نفسه، ص388، ترجمة: 570.
399- نفسه، ص ص444-445، ترجمة: 650.
400- نفسه، ص456، ترجمة: 674.
401- **دانِيةُ:** مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص434.
402- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص593، ترجمة: 882.
403- المصدر نفسه، ص745، ترجمة: 1117.
404- **قُتْنْدَةُ:** بلدة بالأندلس، ثغر سرقسطة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص310.
405- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص834، ترجمة: 1269.

وحتى العلمية للمترجَمين. وقد وردت أغلب التراجم عنده قصيرة مختصرة، والأمثلة في ذلك كثيرة، ولا يسع المقام للاستطراد فيها.

ومِن التراجم ما جاءت مطوّلا إلا أنها قليلة؛ ويكفي القيام بعملية تصفّح للكتاب، للوقوف على ذلك. ومِن الأمثلة فيها، ترجمة عثمان بن سعيد الأموي المقرئ المعروف بابن الصيرفي[406]، وكذا ترجمة محمد بن يحي بن أحمد المعروف بابن الحذّاء[407]، وترجمة محمد بن عمر بن يوسف المالكي الحافظ المعروف بابن الفخار[408].

ومن خلال ما سبق ذِكره حول منهج ابن بشكوال في كتابه "الصلة"، نستنتج ما يلي:

– أنه اعتمد مبدأ الحروف الألفبائية المشرقية، على غرار الأصل الذي ألّف على منواله (كتاب ابن الفرضي).

– قسّم كل حرف من هذه الحروف إلى مجموعة من الأبواب؛ والباب عنده يُقصَد به مجموعة الأسماء المتشابهة في الرّسم.

– عرض في كل باب من الأبواب أسماء العلماء الأندلسيين أولا، ثم الغرباء الواردين إليها. وقد تعامل مع كلّ منهما على أساس مكان الولادة، لا على أساس مكان الإقامة أو الوفاة؛ إذ الأندلسي عنده هو الذي وُلد على أرضٍ أندلسية، حتى لو كانت نشأته ووفاته في مكان آخر.

– لم يلتزم بالفترة الزمنية التي حدّها لكتابه "الصلة"، ما بين سنتي 395هـ/1004م وسنة 534هـ/1139م، وإنما شمل سِفره عُلماء كانوا قبل وبعد الفترة الزمنية التي حدّها لكتابه، وبقي يتعاهد مصنّفه بالزيادة حتى سنة 564هـ/1168م.

إلا أننا نودّ التأكيد على أنّ هاته الزيادات التي أضافها ابن بشكوال لكتابه، تعدّ أمرا إيجابيا وشائعا لدى كتب التراجم وقتذاك، إذْ أنها تستدرك على بعضها، وتمدّنا بمعلومات جديدة فات السابق أنْ يذكرها.

– لم يكن ابن بشكوال دقيقا كفايةً في ترتيب تراجمه على تقادم الوفاة، حسبما شرَط في مقدمة كتابه، وإنما قدّم معلومةَ الوفاةِ وأخّرها كثيرا في ترتيب التراجم.

406- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص592-593، ترجمة: 882.

407- المصدر نفسه، ص ص740-742، ترجمة: 1111.

408- نفسه، ص ص746-748، ترجمة: 1121.

– وقد شملت تراجمه العناصر التالية: اسم المترجَم له ونسبه ونِسبته، ومدينته وكنيته، واسم شهرته، وكذا شيوخه ورحلاته، ومؤهلاته العلمية ومهنته، ومولده ووفاته.

– كما أنّ تراجمه تراوحت بين الطول والقصر، وذلك حسب شخصية المترجَم له.

5-1-2/مصادر ابن بشكوال في كتابه "الصلة":

صرّح ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) في مقدمة "الصلة" بمصادره الرئيسية والأساسية، التي استقى منها مادة كتابِه، وأشار إلى أهم العلماء والمؤرخين، الذين كان مستنَده في معلوماته. ويتّضح من خلال القراءة المتأنية لمقدّمة الكتاب، أنّ مصادره تتمثل في: المصادر المكتوبة، والمسموعة، وكذا المشاهدة والمعاينة. وفيما يلي بيان ذلك:

أ/-المصادر المكتوبة:

اعتمد ابن بشكوال في تأليف "الصلة" على العديد من المصادر المكتوبة، ومِن أبرزها نذكُر:

– **أبو إسحاق إبراهيم بن شِنظير**[409]: نقل ابن بشكوال مِن خَطِّه في كتاب "رِواياته" و"تاريخه"، فيما أخبره به أبو الحسن عبد الرحمن بن عبد الله العدل، عن أبي محمد القاسم بن محمد عنه وصاحبه أبو جعفر بن ميمون عنه[410].

– **أبو عمر بن عفيف (348–420هـــ/ 959–1029م)** [411]: أورد ابن بشكوال، أنه نقل عنه مِن كتابه "المؤتلف في فقهاء قرطبة"، الذي أخبره به غير واحد من شيوخه، عن أبي العباس العذري عنه[412].

409– **إبراهيم بن شِنْظير (352–402هـــ/963–1012م):** إبراهيم بن محمد بن حسين شنظير الطليطلي الأندلسي، مِن فقهاء المالكية، والمحدّثين بالأندلس. حج وسمع بمكة والمدينة، ومصر وطرابلس والقيروان، ثم رجع إلى طليطلة واستوطنها. من مؤلفاته: مختصر المدونة، وتاريخ رجال الأندلس، والمستخرجة في الفقه. ينظر: ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص150–151، ترجمة: 200. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص151، ترجمة: 93. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص69، ترجمة: 183. البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص7. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص91. الزركلي، الأعلام، ج1، ص61.

410– ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص24–25.

411– تقدّمت ترجمته في الهامش رقم: 01 من هذا الفصل.

412– ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص24.

– **أبو بكر الحسن القُبّشي (348–بعد 430هـ/959–بعد 1038م)**[413]: نَقَل ابن بشكوال مما قرأه بخط القبّشي نفسه في كتابه "الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال"، الذي أخبره به أبو محمد ابن يربوع عن أبي محمد بن خزرج عنه[414].

– **أبو عمر بن مهدي المقرئ**[415]**:** قرأ عليه ابن بشكوال بخطه كتاب "تسمية رجاله" الذين لقيهم ونقل عنه[416].

– **أبو عمرو الداني المقرئ**[417]**:** صاحب كتاب "طبقات القراء والمقرئين"، الذي نقل عنه ابن بشكوال من طريق القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز الأنصاري، وأبو عامر محمد بن حبيب الشاطبي، جميعا عن أبي داوود المقرئ، عن أبي عمرو[418].

413– تقدّمت ترجمته في الهامش 10 إلى 14 من هذا الفصل.

414– ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص24. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، الحسن بن محمد القُبّشي، ص ص454–456.

415– **أبو عمر بن مهدي المقرئ:** أحمد بن محمد بن خالد بن مهدي، أبو عمر القرطبي المقرئ؛ مولده سنة 394هـ/1003م. اعتنى بالرّواية والضبط، وكان بارعا في معرفة القراءات؛ توفي شابا في 10 ذي القعدة 432هـ/12 جويلية 1041م. ينظر: ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص88–89، ترجمة: 99. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج9، ص516. ابن الجزري، غاية النهاية، ج1، ص104، ترجمة: 519. ابن قطلوبغا، الثقات، ج2، ص9، ترجمة: 640. القُنازعي القرطبي الأندلسي أبي المطرف عبد الرحمن بن مروان (341–413هـ)، تفسير الموطأ، حققه وقدّم له وخرّج نصوصه: عامر حسن صبري، قطر: الهيئة القطرية للأوقاف، ط1، 2008، ص54.

416– ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص26.

417– **أبو عمرو الداني (ت444هـ/1052م):** عثمان بن سعيد الأندلسي، القرطبي ثم الداني، كان يعرف قديمًا بابن الصيرفي. الإمام الحافظ، المجود المقرئ الحاذق، عالم الأندلس، والمحدّث المكثر. من تآليفه: التيسير، جامع البيان، طبقات القراء. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص483–484، ترجمة: 702. الضبي، بغية الملتمس، ص583، ترجمة: 1189. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص77، ترجمة: 36. ابن فرحون، الديباج، ج2، ص84، ترجمة: 4.

418– ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص24.

– **أبو طالب المرواني عبد الجبار بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ**[419]: نقل عنه ابن بشكوال مِن كتابه "عيون الإمامة ونواظر السياسة" عن النّابهين من أئمة الأندلس وحكامها[420]، وقد أجازه لابن بشكوال بخطّه[421].

– **أبو مروان بن حيان**[422]: كلّ ما أخذه عنه ابن بشكوال، أخبره به أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد عنه، وقرأ أكثره بخطّه[423].

– **ابن خزرج أبي محمد عبد الله بن إسماعيل بن محمد**[424]: نقل ابن بشكوال مِن كتابه "طبقات النحويين واللغويين"[425]، فيما أخبره به غير واحد مِن شيوخه، ومنهم أبو محمد بن يربوع[426].

– **أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (تـــ488هـــ/1094م)**[427]: نقل عنه ابن بشكوال من كتابه الذي جمعه ببغداد في تاريخ علماء الأندلس، والمعروف بـــ "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس"، وقد أخبره به القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري، عن أبي بكر

419- **ابن أَصْبَغ (450-516هـــ/1058-1122م):** عبد الجبار بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ، أبو طالب الأموي المرواني الهشامي القرطبي. كان أديبًا أخباريًا، شاعرًا ذكيًا، جمع تاريخا كبيرا سماه "عيون الإمامة ونواظر السياسة". ينظر: ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص553-554، ترجمة: 817. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج11، ص254، ترجمة: 227. الزركلي، الأعلام، ج3، ص275. كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص80.

420- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص275.

421- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص26.

422- **ابن حيان القرطبي (377-469هـــ/987-1076م):** حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، أبو مروان، مؤرخ من أهل قرطبة. مِن كتبه: المقتبس من أنباء أهل الأندلس. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص312، ترجمة: 398. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص218، ترجمة: 210. الزركلي، الأعلام، ج2، ص289.

423- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص24.

424- **ابن خزرج (جمادى الأولى 407-شوال 478هـــ/أكتوبر 1016-جانفي 1089):** الفقيه المالكي المشاور، الحافظ المجود المؤرخ المحدّث، أبو محمد عبد الله بن إسماعيل بن محمد بن خزرج اللخمي الإشبيلي، صاحب "التاريخ"؛ بلغ عدد شيوخه 260 شيخا؛ توفي بإشبيلية. ينظر: ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص433، ترجمة: 631. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص488، ترجمة: 251. الكتاني، فهرس الفهارس، ص378.

425- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص275.

426- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص25.

427- تقدّمت ترجمته في الهامش رقم: 133 من هذا الفصل.

محمد بن طرخان عن الحميدي، وأخبره به أيضا أبو الحسن عباد بن سِرحان عنه[428]؛ يُستشفّ ذلك من قول ابن بشكوال في ترجمته للحميدي قائلا: "وله أيضا كتاب في علماء الأندلس، نقلنا عنه في كتابنا هذا ما نسبناه إليه"[429].

– **أحمد بن عبد الرحمن بن مُطاهر أبو جعفر (ت489هـ/1095م)**[430]: نقل ابن بشكول مِن كتابه في تاريخ فقهاء طليطلة، مِن طريق أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن بقي الحاكم وغيره عنه[431].

– **ابن مُدَير المقرئ أبي القاسم**[432]: نقل ابن بشكوال مِن كتابه "التاريخ"[433]، وقد أخبره به أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن الفقيه[434].

كانت هذه بعض المصادر المكتوبة التي اعتمدها ابن بشكوال في تحرير تراجم كتابه "الصلة"، والتي أوردها في مقدمة الكتاب. إلا أن المتصفّح للكتاب كاملا، يجد أنه اعتمد مصادر أخرى متعددة[435] كان يوردها في نهاية كل ترجمة، و لم يذكرها في مقدمة الكتاب. ومِن هاته المصادر نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

– طبقات الشعراء لابن الفرضي (ت403هـ/1013م)[436].

428– ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص819، في ترجمة الحميدي، رقم: 1238.

429– المصدر نفسه، ص24.

430– تقدمت ترجمته في الهامش رقم: 17 من هذا الفصل.

431– ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص24.

432– **خلف بن عبد الله بن سعيد بن مُدير الأزدي (427-495هـ/1035-1102م)**: أبو القاسم، الخطيب بالمسجد الجامع بقرطبة. أصله من أشونة وسكن المرية مدة، ثم صار إلى قرطبة فاستوطنها وأقرأ الناس بها، وسمع منه جماعة مِن أهلها. كان ثقة فيما رواه، ضابطاً لما كتبه؛ توفي بقرطبة في 21 رمضان 495هـ. ينظر: ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص275، ترجمة: 398. ابن قطلوبغا، الثقات، ج4، ص153، ترجمة: 3583.

433– بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص275.

434– ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص25.

435– بثّ ابن بشكوال أغلب مصادره بين طيّي التراجم الواردة في كتابه، ويكفي القارئ القيام بقراءة متأنية للكتاب، وسيدرك ذلك جليا، إذْ كان يوردها في آخر كل ترجمة. ولا يسعنا المقام هنا لذكرها كاملة، وقد ذكرنا نماذج عن المصادر التي اعتمدها بشكل كبير.

436– ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص655، في ترجمة عبادة بن عبد الله رقم: 973.

- فضائل المتهجدين للقاضي يونس بن عبد الله[437].

- مشتبه النسبة لعبد الغني بن سعيد[438].

وبالإضافة إلى المؤلفات المكتوبة، اعتمد ابن بشكوال كذلك على المكاتبة والمراسلة والمساءلة، متأسّيا في ذلك بسابقه ابن الفرضي (ت403هـ/1013م). وقد كان يشير إلى ذلك بالعبارات التالية: "كتبه بخطه"، و"كتب به إليّ"، و"سألته"، وغيرها من العبارات التي تدلّ على المعنى نفسه. ومِن أمثلة ذلك قوله: "وسألته عن مولده، فقال لي:..."[439]، وقوله: "وسألت شيخنا أبا القاسم عن مولده"[440]، وقوله أيضا: "وكتب إلينا بمولده مع إجازة ما رواه عن شيوخه بخطّه"[441].

وإضافة لما ذُكر من المصادر المكتوبة، اعتمد ابن بشكوال على شواهد القبور، حيث كان يستدلّ بها في توثيق سنوات وفاة المترجَمين، فكان يهرع أحيانا لقراءة شواهد القبور للتأكّد من تواريخ الوفاة. ومثال ذلك قوله: "وقرأت تاريخ وفاته على قبره بالمسجد المذكور، بعد أن سألتُ عنها غير واحد من أصحابه، فما عرفوها على قُرب عهدهم به"[442].

ب/-مصادر المشاهدة والمعاينة:

أشار إليها ابن بشكوال في مقدمة كتابه في قوله: "وقد نَسبتُ ذلك إلى مَن قاله لي منهم، إلاّ ما لحقتُه بسِنّي، وشاهدته بنفسي، وقيّدته بخطّي، فلستُ أُسنِده إلى أحدٍ، وأقتصر في ذلك على ما علِمْتُه وتحقّقتُه"[443].

437- **يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله:** قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها؛ يكنى أبا الوليد، ويعرف بابن الصفار؛ مولده في 02 ذي القعدة 338هـ/23 أفريل 950م.كان كثير الرواية، وافر الحظ من علم اللغة والعربية، قائلا للشعر النفيس في معاني الزهد وما شابهه، بليغا في خطبه، كثير الخشوع. من تآليفه: كتاب فضائل المنقطعين إلى الله عز وجل؛ فضائل المتهجدين؛ توفي ليلة الجمعة 28 رجب 429هـ/06 ماي 1038م. ينظر: ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص981-982، ترجمة: 1524.

438- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص39، في ترجمة أحمد بن عبد الله بن محمد رقم: 15. وص685، ترجمة: 1017 في قوله: "ذكره أبو محمد عبد الغني بن سعيد في كتاب نسبة النسبة من تأليفه".

439- المصدر نفسه، ص857، ترجمة: 1305.

440- نفسه، ص135، ترجمة: 174.

441- نفسه، ص137، ترجمة: 177.

442- نفسه، ص896، ترجمة مالك بن عبد الله بن محمد العتبي اللغوي؛ رقم: 1375.

443- نفسه، ص26.

لقد عايش ابن بشكوال جِلّة من العلماء خاصة منهم شيوخه، الذين كان يحضر مجالسهم العلمية، فكان بذلك شاهد عيان على بعض أخبار علماء عصره، الذي قيّدهم في كتابه "الصلة"، ومثال ذلك قوله: "وقد رأيته قبل الخمسين وأربعمائة"[444]، وقوله: "...وأريت ذلك بخطّه"[445]. كما كان يحضر العديد من جنائز العلماء، وهو ما جعله شاهد عيان على تلك الجنائز، وساعده في كثير من الأحيان على توثيق تاريخ الوفاة في تراجمه. ومثال ذلك قوله في ترجمة يحيى بن محمد ابن فرج بن فتح الـــمجريطي المعروف بابن الحاج: "حضرت جنازته"[446].

ت/-المصادر الشفوية:

أشار ابن بشكوال كذلك، في مقدمة سِفره النفيس، إلى مصادره الشفوية، حيث قال: "فما كان فيه عن أبي عمر بن عبد البرّ الحافظ، فأخبرني به غير واحد مِن شيوخي عنه. وما كان فيه عن عبد الله بن عابد، فأخبرني به الشيخ الأوحد أبو محمد بن عتّاب عنه. وما كان فيه عن أبي عبد الله الخولاني، فأخبرني به القاضي شُريح بن محمد مناولة منه بإشبيلية، عن خالد أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني عن أبيه. وما كان فيه عن أبي عمر أحمد ابن محمد بن الحذّاء، فأخبرني به شيخنا أبو الحسن بن مغيث مناولة عنه. وما كان فيه أبي عبد الله محمد بن عتّاب الفقيه، فأخبرني به ابنه أبو محمد شيخنا...وما كان فيه عن أبي الغساني فأخبرني به القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد التجيبي، وغير واحد مِن شيوخي...وكثيرا مِن ذلك ما سألتُ عنه شيوخنا، وثقات أصحابنا، وأهل العناية بهذا الشأن، ومَن شُهر منهم بالحفظ والإتقان"[447].

وقد وردت المصادر الشفوية عند ابن بشكوال بعدة ألفاظ وصِيَغ، منها: "قال لي شيخنا"، و"أخبرني عنه"، و"سمعتُ بعض شيوخنا"، و"قال لنا قاضي الجماعة..."، وغيرها مِن الصيغ. ومِنْ أمثلة ذلك في تراجمه، قوله: "أخبرني بوفاته ابنه القاضي أبو عبد الله محمد بن أصبغ"[448]، وقوله: "أخبرنا عنه أبو الحسن على بن أحمد المقرئ"[449]، وقوله كذلك: "سمعتُ شيخنا أبا بكر بن العربي

444- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص182، ترجمة: 259.
445- المصدر نفسه، ص226، ترجمة: 320.
446- نفسه، ص965، ترجمة: 1495.
447- نفسه، ص25.
448- نفسه، 183، ترجمة: 260.
449- نفسه، 225، ترجمة: 319.

يصفه بالنُّبل والذكاء"[450]، وقوله أيضا: "أخبرنا عنه أبو القاسم بن صواب بقصيدته التي نظمها في قراءة نافع"[451]، وقوله: "أخبرنا عنه القاضي أبو الفضل بن عياض"[452].

وخلاصة القول: فإن ابن بشكوال ذَكر مصادره الأساسية في مقدمة سِفره النفيس "الصلة"، وكان يشير في كل ترجمة، إلى مصدرها في الغالب وهي: طبقات القرّاء والمقرئين لأبي عمرو الداني (تـــ444هـــ/1052م)، وجذوة المقتبس للحميدي (تـــ488هـــ/1094م)، وفقهاء قرطبة لابن عفيف (تـــ420هـــ/1029م)، والاحتفال في تاريخ أعلام الرجال للقبّشي (توفي بعد 430هـــ/بعد 1038م)، وكُتب ابن حيان القرطبي (تـــ469هـــ/1076م)، وشيوخ ابن شِنظير (تـــ402هـــ/1012م)، وتاريخ فقهاء طليطلة لابن مُطاهر (تـــ489هـــ/1095م)، وكتابات أبي عمر بن عبد البر (تـــ 463هـــ/1017م)، وأبي عبد الله بن عابد، وأبي عبد الله الخولاني، وابن الحذّاء، وأبي عبد الله محمد بن عتّاب، وأبي محمد بن خزرج (تـــ478هـــ/ 1089)، وأبي القاسم ابن مُدَير (تـــ495هـــ/1102م)، وأبي علي الغساني، وأبي عمر بن مهدي، وكتاب عيون الإمامة ونواظر السياسة لأبي طالب المرواني (تـــ516هـــ/1122م)، ومساءلاته لشيوخه وثقات أصحابه، وغيرهم فضلا عما شاهده بنفسه، وقيّده بخطّه لا سيما شيوخه الذين أخذ عنهم.

وعليه، فإن كتاب "الصلة" لابن بشكوال، يعدّ مِن أجود مؤلفاته وأكثرها شهرة، وقد صار مصدرا لكلّ مَن أرّخ وترجَم للأعلام الأندلس خلال الفترة التي ألّفه فيها ولِمَن جاء بعده، وفي مقدّمتهم الذهبي في "تاريخ الإسلام" وبقية مؤلفاته الأخرى. وبذلك، عُدّ مصنَّفُ ابن بشكوال هذا، مِن المصادر الأساسية التي لا غنى للباحث عنها، ولا يمكنه إغفالها حين الحديث عن الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في الأندلس عامة.

لقد كان لظهور كتاب "الصلة" لابن بشكوال خلال القرن السادس الهجري (ق06هـــ/12م)، والذي وصل به كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي (ت403هـــ/1013م)، دور بارز وكبير في انتشار كتب الصلات الأندلسية وذيوعها؛ انتشارا وذيوعا واسعا، برز خلاله نُخبٌ من المؤرخين وأصحاب التراجم.

450- ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص227، ترجمة: 323.
451- المصدر نفسه، ص627، ترجمة: 933.
452- نفسه، ص628، ترجمة: 934.

وقد لاقى كتاب "الصلة" احتفاء كبيرا، وتقديرا عاليا ووازنا، في أوساط المجتمع الثقافي الأندلسي، إذْ جرى عليه ما جرى على تاريخ ابن الفرضي، فحظي بكثير من الذيول والتتمات مِن قِبَل العلماء والمؤرخين، خاصة وأنه شكّل واحدا مِن ضمن كتب التراجم الهامة واللامعة في الأندلس، وثاني أبرز حلقة مِن حلقات الصلات الأندلسية. فبظهوره ارتسمت واتضحت معالم الكتابة التراجمية في الأندلس، ومِن هؤلاء المؤرخين الذين وصلوا وذيّلوا كتاب "الصلة" لابن بشكوال، نذكر:

2-2/ ابن سيدالة (ت558هـ/1162م):

حياته: هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن سفيان بن سيدَالة التجيبـــي، مِن أهل شاطبة. تتلمذ لشيوخ عصره من أمثال أبي الوليد بن الدبّاغ[453]، وأبي بكر بن العربي (تـــ543هـــ/1148م)[454]، وتفقّه عليهم. وقد شُهر بجمع الأخبار وحفظ أسماء الرواة، حيث روى عنه غير واحد، ومنهم وَلَدُه عبد الله[455].

إنتاجه العلمي: لم يصلنا مِن تراث ابن سيدالة شيئا يُذكَر، سوى أنّه ألّف "مجموعا في رجال الأندلس"، وصل به كتاب "الصلة" لابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م). ورغم أنّ كُتب التراجم حفظت لنا اسم مؤلَّف ابن سيدالة، إلا أنه لازال في عداد المفقود[456]، حيث إنه يعدّ من ضمن الكتب التي فُقدت في وقت مبكّر، على ما ذكره ابن عبد الملك (تـــ703هـــ/1303م) في "الذيل والتكملة"[457].

453- **ابن الدباغ أبو الوليد (تـــ546هـــ/1151م):** يوسف بن عبد العزيز بن يوسف، من أهل أندة بكور بلنسية؛ محدّث الأندلس في عصره؛ توفي بدانية. من مؤلفاته: طبقات الفقهاء والمحدّثين. ينظر: ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص ص978-979، ترجمة: 1522. البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص552. الكتاني، فهرس الفهارس، ص412، ترجمة: 206. عبد العزيز بنعبد الله، معلمة الفقه المالكي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983، ص70.

454- تقدمت ترجمته في الهامش: 200 من هذا الفصل.

455- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص ص24-25، ترجمة: 70. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، ص306، ترجمة: 739، وقد أثبته بـــ "سِيدالُه". الذهبي، المستملح، ص59، ترجمة: 116. تاريخ الإسلام، ج12، ص151، ترجمة: 291.

456- بن شريفة، كتابه التراجم في الغرب الإسلامي، ص38. عبد الواحد عبد السلام شعيب، كتب الصلات الأندلسية، ص223. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، تعقبات ابن الأبار، ص35. بالثنيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص275.

457- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص ص24-25، ترجمة: 70. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، ص306، ترجمة: 739.

3-2/ أبو القاسم القنطري (ت561هـ/1165م):

حياته: هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن مسعود بن مُفرِّج بن مسعود بن صَنَعون بن سفيان، أبو القاسم القَنْطريُّ؛ من أهل شِلْب[458]، سَكَنَ بعض سَلَفه قَنْطرةَ السَّيف[459]. كان من بيت علم وفقه وحديث وجلالة، مُحدِّثًا كامل المعرفة بصناعة الحديث، واسع الرِّواية ثقة حافظا، فقيها مشاوَرًا مشاركا، أديبا جمّاعة للدواوين جيد الانتقاء لها، ضابطا متقنا، حَسَن التقييد نبيل الخط. وقد عُني بالعلم والرِّحلة فيه أتمَّ عناية، وسمع من جِلّة علماء الأندلس من أمثال ابن العربي (ت543هـ/1148م)[460] وغيره. وحُدِّث عنه، وأجاز لغير واحد، ومنهم ابن خير الإشبيلي (ت575هـ/1179م)[461]. استَدْرَك على أبي القاسم ابن بشكوال في "صلته" كثيرا؛ وتوفِّي بمراكش ليلة الأربعاء 04 ذي الحجة 561هـ/01 أكتوبر 1166م[462].

إنتاجه العلمي: كان لابن القنطري مشاركات عدّة في فنون مختلفة، وكان من أصحاب صَنعة الحديث، إذ اجتمع له بذلك علم غزيرٌ، وهو ما أهّله لأن يكون صاحب علم ومشورة. وقد حفظت له كتب التراجم استدراكات كثيرة على ابن بشكوال (ت578هـ/1182م)، ألّفها زيادة عليه في تاريخه "الصلة"، ونقلها عنه ابن الأبار (ت658هـ/1260م)[463].

وقد أكّد هذا الأخير، أنه ضَمَّنها برمّتها في كتابه "التكملة"، حيث قال: "وله زيادة على ابن بشكوال في تاريخه قد كتبتُها بجملتها"[464]. كما أشار ابن عبد الملك (ت703هـ/1303م)

458- **شِلْبْ:** من بلاد الأندلس، وهي قاعدة كورة أكشونبة، تقع غربي الأندلس بقبلي مدينة باجة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص342. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص357.

459- **قنطرة السيف:** بالأندلس، وهو حِصن منيع على نهر القنطرة، بينه وبين ماردة يومان. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص473.

460- تقدمت ترجمته في الهامش: 200 من هذا الفصل.

461- تقدمت ترجمته في الهامش: 111 من هذا الفصل.

462- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، ص ص263-264، ترجمة: 700. ابن الأبار، التكملة، ج2، ص29، ترجمة: 85. الذهبي، المستملح، ص62، ترجمة: 123. تاريخ الإسلام، ج12، ص265، ترجمة: 30. المراكشي العباس ابن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، ج4، راجعه: عبد الوهاب بن منصور، الرباط: المطبعة الملكية، ط2، 1993، ص ص105-106، ترجمة: 500.

463- يذكر بشار عواد أنّ هاته التعليقات تدل على تتبع ونقد وتصويب وزيادات مفيدة. ينظر: ابن بشكوال، الصلة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص17 من مقدمة التحقيق. بن شريفة، كتابه التراجم في الغرب الإسلامي، ص38. عبد الواحد عبد السلام شعيب، كتب الصلات الأندلسية، ص223. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، تعقبات ابن الأبار، ص35.

464- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص29، ترجمة: 85.

إلى هاته الزيادة بقوله: "واستدرك على أبي القاسم ابن بشكوال في صلته كثيرا"[465]؛ وللأسف فهي كذلك في عداد المفقود.

4-2/ ابن عياد (505-575 **هـ**/1111-1180**م**):

حياته[466]: هو يوسف بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن أبي زيد الأندلسي المكنّى أبو عمر، والمعروف بابن عياد؛ مؤرخ مُقرئ، مِن رجال الفقه والحديث؛ مولده ببلدة لَرِيَّة[467] سنة 505هـ/1111م، التي أخذ بها القراءات عن علمائها. جاب عدّة مدن أندلسية طالبا للعلم محصّلا له، ومنها مدينة بلنسية التي دخلها العام 528هـ/1133م، وسمع بها سماعا مستفيضا مِن مشايخها وعلمائها في علم القراءات والحديث، كابن الدباغ (ت546هـ/1151م)[468].

وبعد هذا التاريخ، رحل إلى مرسية ثم شاطبة، وكتب عن علمائها وفقهائها، فأَتَتْ إليه الإجازات مُنقادَةً مِن غير واحد مِن الأكابر كابن عطية (ت541هـ/1147م)[469] وغيره، وحدّث عنه كثير مِن الفضلاء، ومنهم ابناه محمد وأحمد اللذان اختصا به.

كما كان له اهتمام منقطع النظير بعلم الحديث، الذي جمع فيه دواوين كثيرة، وألّف العديد من الأسْفار-بترقيق السين-النفيسة. ثم إنه أوتي حظا وافرا في الفقه والأدب والقراءات، فكانت له فيها مشاركات وازنة.

465- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، ص264، ترجمة: 700.

466- عن مظان ترجمته؛ ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج4، ص ص، 211-213، ترجمة: 598. ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة ومعه صلة الصلة)، ص ص429-430، ترجمة: 1000. الذهبي، المستملح، ص418، ترجمة: 448. تاريخ الإسلام، ج12، ص568، ترجمة: 189. تذكرة الحفاظ، ص ص1366-1367، ترجمة: 1109، وسماه ابن عياذ. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج29، ص101، ترجمة: 99. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص357، ترجمة: 2182. الزركلي، الأعلام، ج8، ص240. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص276. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص ص37-38. عبد السلام شعيب، كتب الصلات الأندلسية، ص223. يوسف بني ياسين، تعقبات ابن الأبار، ص35.

467- **لُرِيَّة**: بضم اللام وكسر الراء وتشديد الياء؛ قرية من عمل بلنسية. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ج2، ص243. المقري، نفح الطيب، ج2، ص509.

468- تقدمت ترجمته في الهامش: 453 من هذا الفصل.

469- تقدمت ترجمته في الهامش: 109 من هذا الفصل.

عاش ابن عياد حياة حافلة، تميزت في أغلبها بالاشتغال بالعلم وبثّه بين أقران عصره، وختَمها مجاهدا في سبيل الله، حيث توفي شهيدا ببلده عندما دخل العدو داره، فقاتل حتى أثخن جراحا، فأجهزوا عليه وقتلوه ضحى يوم العيد سنة 575هـ/1180م، وكان قد بلغ السبعين عاما وقتها.

إنتاجه العلمي: خلف ابن عياد إنتاجا علميا لا يستهان به، حيث ترك مجموعة من المصنّفات، في تخصصات مختلفة منها[470]:

- كتاب بهجة الألباب شرح الشهاب.
- كتاب المرتضى في شرح المنتقى لابن جارود.
- كتاب وظائف العبادات وآداب الصحبة والعيادات.
- كتاب بهجة الحقائق في المدخل إلى الزهد والرقائق.
- كتاب المنهج الرائق في المدخل إلى علم الوثائق.
- كتاب الكفاية في مراتب الرواية، وهو عبارة عن برنامج لشيوخه.
- كتاب طبقات الفقهاء من عصر ابن عبد البر إلى عصره.

وقد قام بتقييد أخبار مشايخ بلده، كونه كان ذا اهتمام بالحديث ورجاله، والأخبار ورواتها؛ فألّف في ذلك كتابا وَصَل به تاريخ ابن بشكوال (تـ578هـ/1182م) وجعله ذيلا عليه؛ وهو في عداد المفقود. وقد ضمّنه الكثير من أحوالهم وصفاتهم، إلا أنّه دوّن ذلك أواخر عمره، فجاءت أخباره مضطربة، تحمل الكثير من الوهم والاختلال[471].

470- هاته المؤلفات ورد ذِكْرها في المصادر التي ترجمت له؛ ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج4، ص ص، 211-213، ترجمة: 598. ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة ومعه صلة الصلة)، ص ص429-430، ترجمة: 1000. الذهبي، المستملح، ص418، ترجمة: 448. تاريخ الإسلام، ج12، ص568، ترجمة: 189. تذكرة الحفاظ، ص ص1366-1367، ترجمة: 1109. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج29، ص101، ترجمة: 99. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص357، ترجمة: 2182. الزركلي، الأعلام، ج8، ص240. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص276. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص ص37-38. عبد السلام شعيب، كتب الصلات الأندلسية، ص223. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، تعقبات ابن الأبار، ص35.

471- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص ص، 211-213، ترجمة: 598. ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة ومعه صلة الصلة)، ص ص429-430، ترجمة: 1000. الذهبي، المستملح، ص418، ترجمة: 448. تاريخ الإسلام، ج12، ص568، ترجمة: 189. تذكرة الحفاظ، ص ص1366-1367، ترجمة: 1109. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص276. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص ص37-38. عبد السلام شعيب، كتب الصلات الأندلسية، ص223. يوسف أحمد يوسف بني ياسين، تعقبات ابن الأبار، ص35.

هذا؛ وأورد ابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م) في ترجمته لابن عياد، أن هذا الأخير أنفق عمره في جمع أخبار العلماء وتدوين تراجمهم فقال: "وكان قد شرع في تذييل كتاب ابن بشكوال وقيّد في ذلك ما عثرتُ على كثيرٍ منهُ بخَطِّه أو منقول عنه، فنسبتُه إليه وتحفّظت جهدي من وهم يَصْحَبهُ أَو اضْطِرَاب"[472]، بمعنى أن الأبار أفاد منه الكثير، إلا أنه كان دائم التحفّظ فيما أخذه عنه.

5-2/ابن حبيش (504-584هـ/1111-1188م):

حياته[473]: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري الأندلسي، المكنّى أبا القاسم، ويُعرَف بابن حُبَيْش نسبة إلى خاله. هاجَرَت أُسرتُه إلى المرية التي رأى بها النور سنة 504هـــ/1110م. وبهذه المدينة ابتدأت حياته العلمية، فأخذ بها علم القراءات والفقه عن جِلّة من علمائها كابن عطية (تـــ541هـــ/1147م)[474] وغيرِه، ودَرَس اللغة والأدب عن لُغويّيها.

وبعد رحلة الطلب الأولى في مسقط رأسه المرية، انتقل إلى قرطبة للاستزادة والتحصيل، فسمع من مُحدّثيها الذين أجازوه فيما أخذ عنهم. ثم رحل بعد هذا التاريخ إلى مرسية إلا أنه لم يُعمِّر فيها طويلا، فيمّم شطر جزيرة شَقْر[475] التي تمثل خاتمة المطاف في رحلاته. وقد ولي قضاء هاته الجزيرة، ثم صُرف إلى مرسية سنة 556هـــ/1160م، وعُيّن خطيبا بمسجدها، وبقي على ذلك ما يقرب من عشرين عاما، حتى ولِيَ قضاءها سنة 575هـــ/1179م.

كان رحمه الله مؤرخا من الحُـفّاظ، عالـــما بالعربية والقراءات، إماما في الحديث لا يجاريه فيه أحد، فصيح اللسان والبيان، وافر الأدب واللغة، حافظا لأخبار العرب وتواريـــخها. أُصيب آخر أيام حياته بعلّة أقعدته الفراش، وتوفي على إثرها سنة 584هـــ/1188م.

472- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص ص، 211-213، ترجمة: 598. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص ص37-38. يوسف بني ياسين، تعقبات ابن الأبار، ص35.

473- عن مظان ترجمته؛ ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج3، ص ص34-36، ترجمة: 93. ابن الجزري، غاية النهاية، ج1، ص341، ترجمة: 1611. الذهبي، المستملح، ص249. سير أعلام النبلاء، ج21، ص ص118-121، ترجمة: 59. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج18، ص154، ترجمة: 3. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص99. السيوطي، بغية الوعاة، 2، ص85، ترجمة: 1503. أحمد بابا التنبكتي (963-1036هـــ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ليبيا: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1989، ص ص238-239، ترجمة: 278. حاجي خليفة، سلم الوصول، ج2، ص ص262-263، ترجمة: 2545. الزركلي، الأعلام، ج3، ص327.

474- تقدمت ترجمته في الهامش: 109 من هذا الفصل.

475- **شَقْر**: بفتح أوله، وسكون ثانيه، جزيرة في شرقي الأندلس. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص354.

إنتاجه العلمي: خلّف ابن حُبيش تراثا علميا متنوعا، توزّع على عدّة مجالات، يشهدُ بذلك ما ذكره عنه ابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م)، إذْ قال: "وكان آخر الأئمة المحدّثين بالمغرب، والمسلّم له في حفظ أغربة الحديث، ولغات العرب وتواريخها، ورجالها وأيامها؛ لم يكن أحدٌ من أهل زمانه يجاريه في معرفة رجال الحديث وأخبارهم، وموالدهم ووفياتهم"[476].

ومِن مؤلفاته التي خلّفها: كتاب الألقاب[477]، وكتاب المغازي[478]. كما أورد ابن الأبار كذلك، أنّ له تعليقات واستلحاقات على كتاب "الصلة" لابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) نَقَل هو عنها؛ وهي في عداد المفقود. كما أنه قام باقتضاب كتاب "الصلة"، واستلحق أشياء عنها[479].

6-2/ الضبي (ت599هـ/1202م):

بالرغم مِنْ أنّ كتاب "بغية الملتمس" للضبي، لا يدخل ضمن كتب الصلات الأندلسية، إلا أننا قمنا بإدراجه ضمن هذا المبحث، لاعتبارات كثيرة منها:

– هو أن الضبي عاش في القرن السادس الهجري (ق06هـــ/12م) ولا يمكن استبعاده وتأخير الحديث عنه إلى المباحث التالية، احتراما للترتيب الزمني الذي التزمنا به في هاته الأطروحة.

– أنّ كتاب "بغية الملتمس" يُعتبر مِن كتب التراجم الهامة في الأندلس ولا يمكن إغفاله، خاصة وأنه ذَيْلٌ لكتاب "جذوة المقتبس" للحميدي (تـــ488هـــ/1094م)، وقد حوى العديد مِن تراجم العلماء الأندلسيين، واعتمده الكثير من المؤرخين في مؤلفاتهم للترجمة لعلماء الأندلس.

حياته: هو أحمد بن يحي بن أحمد بن عَميرة الضبي الأندلسي، المكنّ أبو جعفر وأبو العباس. مؤرخ أندلسي، مولده بمرسية مِن أعمال تُدمير. وقد نشأ بهاته المدينة وتلقى علومه الأولى وهو صغير حَدَثُ السِنّ، فأخذ عن أبي عبد الله بن حميد وهو لم يجاوز العاشرة مِن عُمرِه، فكان ابن

476– ابن الأبار، التكملة، ج3، ص36، ترجمة: 93.

477– المصدر نفسه، ج3، ص36، ترجمة: 93. الذهبي، المستملح، ص249.

478– ابن الأبار، التكملة، ج3، ص36، ترجمة: 93.

479– بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص276. عبد السلام شعيب، كتب الصلات الأندلسية، ص223.

حميد هذا أول مَن قرأ عليه؛ كما تتلمذ لابن حبيش (تـــ584هـــ/1188م)[480] وصَحِبه مدة طويلة[481].

اشتُهر عن الضبي كثرة الترحال والتجوال، حيث اختلف إلى بلاد كثيرة ومنها سبتة، التي رحل إليها وسمع بها مِن ابن عبيد الله. ثم انتقل بعدها إلى مراكش[482]، فسمع مِن ابن عمّ أبيه؛ أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن عَميرة[483]. على أنّ أهم لقاء له بمراكش، كان مع ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) صاحب "الصلة" الذي سمع منه وأجازه، ثم يمّم شطر مدينة ببجاية[484]، فلقي بها جِلّة مِن العلماء[485] ومنهم عبد الحق الإشبيلي[486].

480- تقدمت ترجمته في الهامش: 473 من هذا الفصل.

481- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص83-84، ترجمة: 242. الضبي، بغية الملتمس، ص ص15-17 من مقدمة التحقيق. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص1163، ترجمة: 494. عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج2، ص ص102-103، ترجمة: 142. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص276. مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص233، ترجمة: 534. الزركلي، الأعلام، ج1، ص268. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص200.

482- **مَرّاكُشُ:** بالفتح ثم التشديد، وضم الكاف، وشين معجمة؛ أعظم مدينة بالمغرب وأجلّها وبها سرير ملك بني عبد المؤمن، وهي في البرّ الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام. وأول من اختطها يوسف بن تاشفين في حدود سنة 470هـــ/1077م، بينها وبين جبل درن الذي ظهر منه ابن تومرت ثلاثة فراسخ وهو في جنوبيها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص94.

483- **أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى الضبي:** مِن أهل لورقة؛ كان منقبضاً زاهداً صواماً قواماً، وأقرأ القرآن، وسمع الحديث؛ توفي سنة 577هـــ/1181م، وقد قارب المائة. ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص72، ترجمة: 213. المقري، نفح الطيب، 2، ص601، ترجمة: 225.

484- **بِجَايةُ:** مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من اختطّها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكّين، في حدود سنة 457هـــ/1064م، بينها وبين جزيرة بني مزغنّاي أربعة أيام، وقد كانت قديما ميناء فقط، ثم بنيت المدينة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص339.

485- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص83-84، ترجمة: 242. الضبي، بغية الملتمس، ص ص15-18 من مقدمة التحقيق. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص1163، ترجمة: 494. عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج2، ص ص102-103، ترجمة: 142. مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص233، ترجمة: 534. الزركلي، الأعلام، ج1، ص268. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص200.

486- **عبد الحق الإشبيلي (510-581هـــ/1116-1185م):** أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي؛ ينظر: الغبريني، عنوان الدراية، ص ص41-44. الزركلي، الأعلام، ج2، ص203.

وفي طريقه إلى بلاد الحرمين، توقّف بالإسكندرية ولقي بها جمعا غفيرا مِن العلماء ومنهم أبا الطاهر بن عوف[487]، وأبا الثناء الحراني[488]، وأبا الفضل الغزنوي[489]، وأبا الرضا أحمد بن طارق بن سنان[490]، وأبا محمد بن بري[491]، وأبا القاسم البوصيري[492]، وغيرهم. كما لقي في بلاد الحرمين بمكة غير واحدٍ مِن الشيوخ وسمع منهم العلم وأخذه عنهم، ثم حجّ وقفل راجعا بعدها، إلى مسقط رأسه مدينة مرسية[493].

وبعد عودته إلى الديار، سقط عليه هدمٌ، فأُخرج مِن تحته وبه رَمَقٌ فَنِيَ بسرعة، فتوفي مِن حينها شهيدا؛ ظُهْرَ يوم الأحد 25 ربيع الثاني 599هـ/11 جانفي 1203م، ودُفن عصر يوم الإثنين

487- **أبو الطّاهِر بن عَوْف (تـ581هـ/1185م):** إسماعيل بن مكيّ بن إسماعيل أبو الطّاهِر بن عَوْف، القرشي الزهري العوفي؛ شيخ المالكية بالإسكندرية. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص122، ترجمة: 60.

488- **حماد بن هبة الله بن حماد (511-598هـ/1117-1201م):** أبو الثناء الحرانيُّ، التاجرُ السَّفارُ، المحدِّثُ المؤرخُ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص385، ترجمة: 194. القنوجي، التاج المكلل، ص202، ترجمة: 216. الصفدي، الوافي، ج13، ص95، ترجمة: 3816. ابن العديم، بغية الطلب، ج6، ص2920. ابن المِبْرَد الحنبلي يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الدمشقي (841-909هـ)، تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ، سوريا: دار النوادر، ط1، 2011، ص88، ترجمة: 232. ابن نقطة أبو بكر محمد بن عبد الغني الحنبلي، التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد، حققه وضبط نصه وعلق عليه: أبو إدريس شريف بن صالح التشادي، قطر: إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار النوادر، ط1، 2014، ص489، ترجمة: 317.

489- **محمد بن يوسف بن علي أبو الفضل الغزنوي:** المقرئ الفقيه الحنفي، نزيل القاهرة؛ مولده سنة 522هـ/1127م، وتوفي بمصر في ربيع الأول سنة 599هـ/نوفمبر 1202م؛ وكان سماعه صحيحا. ينظر: الذهبي، معرفة القراء، ص ص1126-1127، ترجمة: 853. ابن نقطة الحنبلي، التقييد، ص ص292-293، ترجمة: 144.

490- **موفّق الدّين أبو الرّضا أحمد بن طارق بن سنان (527-592هـ/1132-1195م):** بن محمّد بن طارق الكركيّ التاجر المحدّث؛ توفّي ببغداد. ينظر: ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج5، ص587، ترجمة: 5754.

491- **أبو محمد بن بري (تـ582هـ/1186):** الشيخ الفقيه، القاضي النحوي. ينظر: ابن قنفذ، الوفيات، ص293.

492- **البُوصِيري (506-598هـ/1112-1201م):** هبة الله ويسمى أيضا سيد الأهل، ابن علي بن ثابت بن مسعود الأنصاري الخزرجي، أبو القاسم البوصيري، المصري المولد والدار؛ كاتب أديب، كان في آخر حياته مسند الديار المصرية، حدّث بالقاهرة والإسكندرية. من مؤلفاته: مختصر في علم الناسخ والمنسوخ. ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص550. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص67، ترجمة: 778. الزركلي، الأعلام، ج8، ص75. عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، ج2، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، 1988، ص711. وللتنبيه فالبوصيري المترجَم له ليس هو البوصيري صاحب البردة (محمد بن سعيد بن حماد تـ696هـ/1295م).

493- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص83-84، ترجمة: 242. الضبي، بغية الملتمس، ص ص15-18 من مقدمة التحقيق. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص1163، ترجمة: 494. مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص233، ترجمة: 534. الزركلي، الأعلام، ج1، ص268. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص200.

في اليوم الموالي، بمسجده حِذاء جنينته التي وقع حائطها عليه، وكانت جنازته مشهودة. وقد أخبرنا ابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م) أنه كان قد بلغ بضعا وأربعين سنة عند وفاته، وهو ما يجعلنا أنْ نضع احتمال ولادته بعد سنة 550هـــ/بعد 1155م[494].

إنتاجه العلمي:

عاش ابن عَميرة الضبي (تـــ599هـــ/1202م) في مسقط رأسه مرسية، التي كانت مركزا للثقافة والعلوم شرق الأندلس خلال عهد الطوائف. وقد ساعده مَكْثُه الطويل بها على تقويم حِسّه العلمي، وتنمية رصيده الثقافي.

ورغم أنه كان كثير الترحال و لم يعمّر طويلا؛ إذْ فاجأه الموت وهو ابن بضعة وأربعين عاما بمسقط رأسه، إلا أنه ترك لنا بعض التصانيف-على قِلّتها-ومنها[495]:

- المسلسلات النبوية.
- مطلع الأنوار لصحيح الآثار، وهو كتاب يجمع بين صحيح البخاري ومسلم.
- كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس؛ استوفى فيه ما كتبه الحميدي (تـــ488هـــ/1094م) في "جذوة المقتبس"، إلى حدود سنة 450هـــ/1058م وزاد عليه إلى أيامه[496].

وفي صدد الحديث عن مؤلفاته؛ حلاّه ابن الأبار بقوله: "كان حَسن الخط، صحيح النقل والضبط، ثقة صدوقا، جلدا على الوراقة محترفا بها؛ أكل منها مالا كثيرا. وكتب بخطه علما كثيرا، وربما تسور على النظم"[497]. كما أنه كان سريع الكتابة، لدرجة نَسخَ موطأ مالك رحمه الله في ثمانية أيام. وكان محدّثا بارعا حَسَن القراءة، ذا قدرة عظيمة على فهم المتون وشرحها، وهو مشهور بكتابه بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس[498].

494- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص83-84، ترجمة: 242. الضبي، بغية الملتمس، ص18 من مقدمة التحقيق. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص1163، ترجمة: 494. عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج2، ص ص102-103، ترجمة: 142.

495- الضبي، بغية الملتمس، ص18 من مقدمة التحقيق. الزركلي، الأعلام، ج1، ص268. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص200.

496- الزركلي، الأعلام، ج1، ص268.

497- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص84. مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص233، ترجمة: 534.

498- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص276. الزركلي، الأعلام، ج1، ص268. مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص233، ترجمة: 534.

التعريف بكتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي:

أ/ طبعات الكتاب:

❖ صدرت أول طبعة لكتاب الضبي (تـــ599هـــ/1202م) "بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس" بمدريد مِن طرف المكتبة الأهلية، وأشرف على إخراجها المستشرق الإسباني كوديرا (Francisco Codera) سنة 1885، وقد وُفّق إلى حدٍّ ما في إخراجها بالرغم مما اعتراها مِن طمس وخروم، بَيْدَ أنه كان ينقصها الدقّة والضبط[499].

❖ وفي سنة 1967، قامت الدار المصرية للتأليف بإخراج نسخة أخرى للكتاب، اعتمدت فيها على طبعة مدريد السابقة مع بعض الإضافات، إلا أنها لم تستوف حقّ الكتاب إخراجا وضبطا[500].

❖ وخلال سنة 1981، قام الأستاذ إبراهيم الأبياري بتحقيق وطبع كتاب "بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس" للضبي (تـــ599هـــ/1202م)، معتمدا على الطبعتين السابقتين للكتاب؛ طبعة مدريد والدار المصرية للتأليف. ومما يلاحظ على هاته الطبعة، أن محقق الكتاب أثراها بإضافات كثيرة، على غرار ضبطه لكلمات نص المخطوط، والتعريف بالبلدان الواردة فيه، مع وضع تعريفات للشخصيات والكتب الواردة في نصّ المخطوط[501].

كما أن الأبياري، أخطأ بأنْ أثبت في بداية كتاب "بغية الملتمس" مقدمة كتاب "التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م) واعتبرها مقدمة "للبغية"، بلْ إنه لم ينتبه لذلك رغم أنّ الأبار أثبت في هاته المقدمة تاريخ محرم سنة 631هـــ/أكتوبر 1233م وهو تاريخ تأليف "التكملة"، أي بعد قرابة 32 سنة مِن وفاة الضبي[502].

ب/ محتوى الكتاب:

يعتبر كتاب "بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس" للضبي، كتابا جامعا لحقبة زمنية مِن تاريخ الأندلس، تمتد لنحو خمسة قرون. وقد ابتدأه بأحداث الفتح الإسلامي للأندلس سنة 92هـــ/711م، إلى سنة وفاته-الضبي-599هـــ/1202م أو قبلها بقليل. وبذلك يكون هذا المصنّف

499- الضبي، بغية الملتمس، ص ص20-21.

500- المصدر نفسه، ص21.

501- نفسه، ص21.

502- كما أنه قام بإثبات مقدمة أخرة في الكتاب نفسه. قارن بين: الضبي، بغية الملتمس، ص5 وص22. وابن الأبار، التكملة، ج1، ص6.

الهام، نِتاج كُتب أُولَى سبقت ابن الفرضي (ت403هـ/1013م)، وكذا الحميدي (ت488هـ/1094م) الذي كان مُعتمَدَ الضبي في كتابه. كما أنه يمكن اعتباره حصيلة فترة سابقة، تمتد مِن حيث انتهى الحميدي سنة 450هـ/1058م إلى وفاة الضبي 599هـ/1202م أو قبلها[503].

وتفيدنا المعلومات الواردة إلينا حول كتاب "بغية الملتمس" للضبي، أنّه يعتبر ذيلا على كتاب الحميدي "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس"[504]، حيث نقل الضبي تراجمه عن كتاب الحميدي المذكور إلى غاية سنة 450هـ/1058م[505]، وزاد عليه مِن التراجم[506] إلى أيامه ما يقرب من القرن والنصف، أي حتى سنة 599هـ/1202م، وهو ما أكّده بنفسه قائلا: "و لم أجد في كتب مَن تقدّم كتابا أقبل مِن كتاب أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحُميدي، إلا أنّه انتهى إلى حدود الخمسين وأربعمائة، فاعتمدتُ على أكثر ما ذَكَره، وزدتُ ما أغفَله وغادره، وتَمّمتُ مِن حيث وقف"[507].

وعليه، يكون الضبي قد أكمل طريق الحميدي في تذييل تراجمه، واستفاض كتابه-جذوة المقتبس-بـــمصادر أخرى، وتَرجَم لـــ 1602 عالما أندلسيا بين رجل وامرأة؛ 1589 رجلا و13 امرأة، على اختلاف مستوياتهم واختصاصاتهم، واتجاهاتهم العلمية والفكرية.

وقد ابتدأ الضبي كتابه بمقدمة أوضح فيها المعالم الكبرى للاتجاهات العلمية لتراجمه، وكذا الإطار الزماني والمكاني، والمنهج الذي سلكه في تحرير تراجمه، وهو ما عبّر عنه بقوله: "...وأجعلُ ذلك مِن وقت افتتاحها، والذي تولّى فتحها، ومَن دخلها من التابعين...مرتّبا على حروف المعجم...جاريا في ذلك على سبيل الاختصار، تاركا التطويل والإكثار"[508].

هذ، وضم كتاب "بغية الملتمس" للضبي، تراجم-موجزة في الغالب-لرواة الحديث بالأندلس، وأهل الفقه والأدب، وذوي النباهة والشِّعر، ولـِمَن وفد على الأندلس مِن المشارقة،

503- الضبي، بغية الملتمس، ص20.

504- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص276.

505- يذكر بشار عواد معروف، أنّ كتاب الضبي "بغية الملتمس"، يعدّ نسخة ثانية من كتاب "جذوة المقتبس" للحميدي. حيث اقتبس الضبي جميع التراجم الواردة عند الحميدي، وأضاف إليها تراجم جديدة. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس (تحقيق بشار عواد)، ص15 من مقدمة التحقيق.

506- الزركلي، الأعلام، ج1، ص268.

507- الضبي، بغية الملتمس، ص22.

508- المصدر نفسه، ص22.

وأقام بها؛ يُستشَفّ ذلك مِن قوله: "استخرتُ الله تعالى على أنْ أجمع رواة الحديث بالأندلس، وأهل الفقه والأدب، وذوي النباهة والشِّعر، ومَن له ذِكرٌ مِن كلّ مَن دخل إليها أو خرج عنها، فيما يتعلّق بالعلم والفضل، أو الرياسة والحرب"[509].

منهج الضبي في كتابه بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس:

استهلّ الضبي (تـــ599هـــ/1202م) مصنّفه بمقدمة ضافية عن تاريخ الأندلس منذ افتتاحها سنة 92هـــ/711م وصولا إلى عصره. حيث أورد الأطوار التي مرّ بها هذا الـــمَصْر منذ الفتح إلى قيام الإمارة الأموية سنة 138هـــ/755م، فذَكر الأندلس وفضائلها ومَن دخلها مِن التابعين[510]، ثم ترجم لأمراء بني أمية ومَن أتى بعدهم[511].

وفي الإطار ذاته، شرع الضبي في إيراد تراجم سِفره النفيس، مِن رواة الحديث وأهل الفقه والأدب والشعر، والمشهورين بالعلم والفضل من الأندلسيين والوافدين إليها[512]، حيث كان كتاب "جذوة المقتبس" للحميدي (تـــ488هـــ/1094م)، معتمَدَه الأول في تحرير تراجمه والزيادة عليها، وابتدأها مِن حيث انتهى الحميدي ووصل إلى عصره.

ومن خلال قراءة متأنية لمقدمة كتاب الضبي "بغية الملتمس"، يتضح لنا المنهج الذي سلكه في كتابه هذا، ومِن أهم ما جاء فيه[513]:

– ترجم لرواة الحديث وأهل الفقه والأدب والشعر، والمشهورين بالعلم والفضل مِن الأندلسيين والوافدين إليها.

– تبدأ الفترة الزمنية التي تناول فيها الضبي كتابه من الفتح الإسلامي سنة 92هـــ/711م، وحتى موفّى القرن السادس الهجري (ق06هـــ/12م).

– قسم الحروف إلى أبواب.

– افتتح التراجم بذِكر من اسمه محمد، تيمّنا بالرسولﷺ[514].

509– الضبي، بغية الملتمس، ص ص22–23.
510– المصدر نفسه، ص ص23–31.
511– نفسه، ص ص32–67.
512– نفسه، ص ص68–733.
513– نفسه، ص ص22–23.
514– نفسه، ص68.

– رتّب باقي الأسماء على حروف المعجم بالنسبة للحرف الأول مِن اسم صاحب الترجمة، وكذلك الحرف الأول مِن اسمِ والدِه، لكنه مع ذلك كان يقدّم ذِكْر مَنِ اسم والده محمدًا ثم يسير على الترتيب المذكور.

– لم يلتزم التسلسل الألفبائي في الباب الواحد، مِن أبواب الحروف. ففي باب العين مثلا، كان يبدأ بمن اسمه عبد الله ثم عبيد الله، لينتهي بمن اسمه عامر[515].

– خصّص فصلا مستقلا في كلٍّ مِن أبواب الحروف للأسماء المفردة. فعلى سبيل المثال، وضع في باب الصاد فصلا لأفراد الأسماء[516]، وكذلك فعل مع باب الزاي حيث وضع كذلك فصلا لأفراد الأسماء[517].

– بعد إتمامه لتراجم مَن عُرِفوا بأسمائهم من الرجال، خصّص أربعة أبواب أخرى هي:

- بابٌ لِمَن ذُكر بالكنية و لم يُتَحَقَّق مِن اسْمه[518].
- بابٌ لِمَن نُسب إلى أحد آبائه و لم يُعرَف اسْمُه[519].
- بابٌ لِمن ذُكِر بالنسبة[520].
- بابٌ لِمن ذُكِر بالصفة[521].

– خَتم الكتاب بِبابٍ خصّصه لتراجم النساء المشهورات في الأندلس، حيث بلغ عددهن 13 امرأة[522]. والملاحظ عليه في هذا الباب، عدم التزامه بالترتيب الألفبائي، فجعل–على سبيل المثال–"مريم"[523] قبل "الغسانية"[524].

– وأما عن عناصر ترجمته؛ فقد كان الضبي يركّز على إظهار الاسم والكنية والبلاد التي ينتمي إليها المترجَم، وعمّن روى، ومَن روى عنه، وسنة وفاته، ودرجته من الثقة، وإلى أين رحل،

515– الضبي، بغية الملتمس، ص ص427–562، من الترجمة: 874 إلى 1253.
516– المصدر نفسه، ص ص418–419، من الترجمة: 856 إلى 860.
517– نفسه، ص376، من الترجمة: 760 إلى 763.
518– نفسه، ص ص693–715، من الترجمة: 1513 إلى 1564.
519– نفسه، ص ص717–722، من الترجمة: 1565 إلى 1581.
520– نفسه، ص723–725، من الترجمة: 1582–1587.
521– نفسه، ص727، من الترجمة: 1588 إلى 1589.
522– نفسه، ص ص729–733، من الترجمة: 1590 إلى 1602.
523– نفسه، ص729، ترجمة: 1591.
524– نفسه، ص730، ترجمة: 1592.

والعلوم الغالبة عليه، ووظيفته ومهنته إنْ وُجدت، ومَن غلب عليه الأدب، كان يذكُر نماذج مِن أشعارهم، إلا أن هاته العناصر لم تكن هي الغالب على جلّ تراجمه، إذ كان يترجم تبعا لشخصية المترجَم له[525].

- امتازت أغلب تراجم الضبي بالاختصار، وعدم التطويل[526].

مصادر الضبي في كتابه بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس:

إن المتتبع لِما ورد في كتاب "بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس" للضبي، يدرك جليا أن اعتماده الأكبر كان على كتاب "جذوة المقتبس للحميدي (تـــ488هـــ/1094م)، على اعتبار أنه نقل عنه جلّ تراجمه إلى غاية سنة 450هـــ/1058م، بمعنى أنه كان المصدر الأول له في مصنّفه هذا، هو كتاب الحميدي[527].

ومِن مصادره التي استقى منها مادة كتابه؛ كتاب ابن الفرضي (ت403هـــ/1013م) "تاريخ علماء الأندلس"، وكذا أبو سعيد بن يونس (تـــ347هـــ/958م)[528]، وكتاب الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله محمد بن عبد البرّ النمري (تـــ 463هـــ/1017م)[529]، وابن حزم (تـــ456هـــ/1064م)[530]، وغيرهم فكان يغيّر فيزيد شيئا وينقص شيئا ويصحح شيئا، وهو فيما زاد أو أنقص أو صحح، كان معتمده مصادر أخرى أشار إليها في مواضعها؛ حيث كان يوردها نهايةَ كل ترجمة[531].

ومن المصادر الأخرى التي اعتمدها الضبي كذلك؛ نذكر تمثيلا لا حصرا:

525- الأمثلة في ذلك كثيرة في كتاب الضبي "بغية الملتمس" ولا يسع المقام لذكرها هاهنا. وللاستزادة أكثر؛ ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص ص68-733.

526- نلمس ذلك من خلال تراجم الكتاب؛ وللاستزادة؛ ينظر: المصدر نفسه، ص ص68-733.

527- ينظر مثلا: الضبي، بغية الملتمس، ص85، ترجمة: 56 وص87، ترجمة: 63، والأمثلة في ذلك كثيرة.

528- تقدم التعريف به في الهامش: 134 من الفصل التمهيدي. ومن التراجم التي اعتمده فيها الضبي؛ ص106، ترجمة: 121 وغيرها.

529- تقدمت ترجمته في الهامش 173 من الفصل الثالث. ومن التراجم التي اعتمده فيها الضبي؛ ترجمة: 03، ص68.

530- تقدمت ترجمته في الهامش 414 من الفصل الثاني. ومن التراجم التي اعتمده فيها الضبي؛ ترجمة: 76، ص92.

531- بعض التراجم، لم يذكر فيها الضبي مصادره.

- **المقرئ أبو الحسن نجبة بن يحي بن خلف بن نجبة**[532]: وقد ذكره قائلا: "أخبرني المقرئ أبو الحسن نجبة بن يحي بن خلفة بن نجبة، وقرأت عليه في داره..."[533].

- **أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن عَميرة (تـ577هـ/1181م)**[534]: وهو ابن عمّ أبيه، أشار إليه بقوله: "حدثني عنه ابن عمّ أبي، قرأ عليه سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة"[535].

- **القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد:** شيخه؛ أورده في قوله: "كان شيخي القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد يصفه لي ويقول لي:..."[536].

- **محمد بن مدرك الغساني:** وذلك في قوله: "ذكره محمد بن مدرك الغساني"[537].

- **الفتح ابن خاقان (تـ528هـ/1134م)**[538]**:** من كتابه مطمح الأنفس.

وعليه؛ فإن الضبي اعتمد على ما أخذه من عِلم شيوخه الذين سمع منهم، فجاء شيوخه ضمن لائحة مصادره الأساسية التي أخذ عنها، إضافة إلى بعض المؤلفات الأخرى، التي كانت متاحة بين يديه[539].

532- **نجبة بن يحيى بن خلف بن نجبة (بعد 520هـ-جمادى الآخرة 591هـ/بعد 1125-ماي 1195م):** أبو الحسن الرعيني الإشبيلي، مقرئ كامل، تصدر للإقراء ببلده، وكان إماما مقدما مع الصلاح والتواضع، استوطن مراكش مدة وأقرأ بها وبأفريقية، وكان مقرئا محققا نحويا حافظا؛ توفي بشريش عن سبعين عاما. ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص ص218-219، ترجمة: 609. ابن الجزري، غاية النهاية، ج2، ص291، ترجمة: 3719.

533- الضبي، بغية الملتمس، ص ص112-113، ترجمة: 146.

534- تقدمت ترجمته في الهامش: 483 من هذا الفصل.

535- الضبي، بغية الملتمس، ص ص436-437، ترجمة: 896.

536- المصدر نفسه، ص438، ترجمة: 901.

537- نفسه، ص449، ترجمة: 933.

538- تقدمت ترجمته في الهامش: 66 من هذا الفصل.

539- لا يسعنا المقام أن نذكر هاهنا كل مصادر الضبي في تراجمه التي أضافها بعد سنة 450هـ/1058م، خاصة وأن أغلب تراجمه بعد هذا التاريخ، لم يذكر المصادر التي استقى منها معلوماته.

وقد كان الضبي في بعض الأحيان، يورد ألفاظا تدل على مصدر المعلومات التي استعملها، ومنها قوله: "أنشدني بعض أصحابنا"[540]، و"أخبرني من أشهر به"[541]، و"رأيت له رسالة كتبها"[542]، و"أَذِن لي في الرواية عنه...أنشدتُ من شعره"[543]، و"قرأتُ عليه بها أشهرا"[544].

كانت هذه بعض الأمثلة فقط، عن مصادر الضبي (تـــ599هـــ/1202م) في كتابه "بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس"، وهي في مجملها تدلّ على تنوع مصادره في تحرير تراجم كتابه، إذْ كان منها المسموعة والشفوية، ومنها مصادر المعاينة والمشاهدة، حيث إنّه كان شاهد عيان على بعض الشخصيات التي أوردها في كتابه، بحكم معاصرته لها.

وخلاصة القول: فإن كتاب "بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس" للضبي، يعتبر بحقّ من المصادر الأندلسية الهامة، على الرغم من أنه نقل جلّ تراجمه عن الحميدي (تـــ488هـــ/1094م) إلى غاية سنة 450هـــ/1058م من جهة. ومن جهة أخرى، فإن تراجمه أتت موجزة وقصيرة في كثير من الأحيان، إلا أنّ هذا لم يمنع المؤرخين اللاحقين من الاستفادة من تراجمه، والنقل عنه[545].

ومما سبق ذكره في هذا الفصل: نستنتج أن الكتابة التراجمية في الأندلس، عرفت ازدهارا كبيرا منذ أنْ وضع أسسها العامة ابن الفرضي (ت403هـــ/1013م) في كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، وهو الذي سار على مَنواله العديد مِن المؤرخين الذين عملوا على وَصل وتكملة وتذييل كتابه، حيث ظهرت في هذا الصدد العديد من الأسفار والتصانيف التراجمية الماتعة بعد وفاته؛ منها ما هو مطبوع ومحقّق متداول، ومنها ما هو في تعداد المفقود.

كما ظهرت أيضا، كتب البرامج والفهارس ومعاجم الشيوخ، التي ذاعت وانتشرت بشكل خاص خلال القرن الخامس الهجري (ق05هـــ/11م). ويعتبر هذا النوع من التآليف، من المصادر الهامة التي لا يستغني عنها الدارس للحركة الثقافية والعلمية في الأندلس، خلال الفترة المذكورة والفترات اللاحقة.

540- الضبي، بغية الملتمس، ص466، ترجمة: 991.

541- المصدر نفسه، ص466، ترجمة: 992.

542- نفسه، ص470، ترجمة: 1008.

543- نفسه، ص477، ترجمة: 1028.

544- نفسه، ص485، ترجمة: 1054.

545- يذكر بالنثيا أنّ معلومات الضبي التي كان يُوردها تتفق في بعض الأحيان مع ما كان يذكره ابن بشكوال، مما يدلّ على أنّ مادته التاريخية، مادة عظيمة ويوثق فيها. ينظر: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ص276-277.

ويعدّ هذا النوع من التصانيف كذلك، وثيقة مصدرية هامة، حيث إنها حفظت لنا مجموعة قيّمة من المعلومات الهامة عن بيئة مؤلّفيها وعصورهم التي عاشوا فيها، وكذا ثقافتهم وشيوخهم. كما أنها تساعدنا على معرفة الكتب المتداولة خلال تلك العهود وإحصائها، في مختلف الفنون والعلوم، وكذا الطرق التعليمية السائدة وقتذاك.

وبذلك، تكون كتب الفهارس والبرامج، قد أعطتنا صورة واضحة المعالم، عن علماء الأندلس في مختلف العلوم، وكذا أسامي الكتب الخاصة التي ضاعت فيما ضاع من تراث الأندلس، ولعل خير مثال يُساق في هذا الصدد؛ فهرسة ابن خير الإشبيلي (تـ575هـ/1179م)، التي حفظت لنا عناوين الكثير من المصنّفات الأندلسية.

ثم إن الكتابة التراجمية في الأندلس عرفت نوعا آخر من التآليف في هذا الفنّ، ألا وهو كتب الصلات والذيول، التي وضع أُسُسَها العامة ابن الفرضي (تـ403هـ/1013م) في كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، والذي مثّل بحقّ أولى حلقاتها، ومِن أجلّ من أُلّف في بابه.

وقد بوّأ كتاب "تاريخ علماء الأندلس"؛ ابن الفرضي لأن يكون أُسوةً لأقران عصره وعلماء مَصره، فراحوا يؤلّفون على نهجه ويمشون على سَنَنِه. و لم تَكَد تَمضِ عهود قليلة عن وفاته، حتى شرع العلماء في الوَصل والتذييل عليه.

ويعدّ ابن مهلّب (توفي في حدود 450هـ/1058م)؛ تلميذ ابن الفرضي (تـ403هـ/1013م)، أوّل وأقدم مؤلِّف وَرد ذكره عند كتب الإخباريين في هذا السياق، حين وصل مؤلف شيخه ابن الفرضي، بمؤلَّف مهّد لظهور أجيال كاملة مِن أصحاب التراجم، دَرَجوا على النهج نفسه وتتابعوا عليه، منذ القرن الخامس الهجري (ق05هـ/11م) إلى غاية القرن التاسع الهجري (ق09هـ/14م). وقد تعاقب على ذلك، ثلة من خِيرة كُتّاب التراجم، ابتداءً بابن بشكوال (تـ578هـ/1182م)، وانتهاء بالضبي (تـ599هـ/1202م) الذي ذيّل على كتاب "جذوة المقتبس للحميدي (تـ488هـ/1094م).

وسيأتي بيان بقية كُتب الصلات والذيول الأندلسية، في الفصلين الـمُواليين من الأطروحة، والتي تمتد زمنيا من القرن السابع إلى التاسع الهجريين (ق07-09هـ/12-15م).

الفصل الخامس:

الكتابة التراجمية في الأندلس في طور الانتشار خلال (ق07هـ/13م) ومطلع (ق08هـ/14م)

المبحث الأول:

كتب الصلات والذيول الأندلسية في طور الانتشار في الأندلس خلال (ق07هـ/13م)

1/-أبو الخطاب بن واجب (ت614هـ/1217م)

2/-عبد الله بن فاسم الحرار (ت646هـ/1248م)

3/-ابن الأبار القضاعي (ت658هـ/1260م)

4/-ابن فرتون (ت660هـ/1261م)

المبحث الثاني:

كتب الصلات والذيول الأندلسية في طور الانتشار في الأندلس إلى مستهلّ (ق08هـ/14م) ابن الزبير (ت708هـ/1308م) أنموذجا

1/-حياته

2/-إنتاجه العلمي

3/-التعريف بكتاب صلة الصلة

4/-طبعات الكتاب

5/دواعي تأليف كتاب صلة الصلة

6/-صلة الصلة؛ تاريخ التأليف والمحتوى

7/-منهج ابن الزبير في كتابه صلة الصلة

8/-مصادر ابن الزبير في كتابه صلة الصلة

تمهيد:

تطورت الكتابة التراجمية في الأندلس، وارتسمت معالمها واتّضحت خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (5-6هـ/11-12م)، من خلال كتب الصلات والذيول الأندلسية، بداية مِن ابن بشكوال (ت578هـ/1182م) في كتابه "الصلة"، إلى غاية ظهور تتمّات واستكمالات واستدراكات على كتاب الأخير، وهذا دليل على الاستمرار في تطور المدرسة التراجمية في الأندلس؛ إلا أنّ الأمر السيّء فيها، كان فقدان هاته الكتابات والزيادات والتعليقات والتصويبات.

ومع بداية القرن السابع الهجري (07هـ/13م)، عرفت الكتابة التراجمية في الأندلس، مرحلة جديدة وحاسمة ألا وهي مرحلة انتشار وذيوع الكتابة التراجمية، حيث بلغ التأليف في الصلات والذيول أوجّه؛ مع ابن الأبار (ت658هـ/1259م) وابن فرتون (ت660هـ/1261م)، اللذَّيْنِ واصلا في تكملة وتذييل "الصلة البشكوالية".

ومع نهاية القرن السابع (07هـ/13م) ومطلع الثامن الهجريين (08هـ/14م)، برز إلى الوجود مؤرخ آخر، سيكون له شأن وشأوٌ كبير في الكتابة التراجمية في الأندلس، ونعني به أبو جعفر بن الزبير الغرناطي (ت708هـ/1308م)، الذي أكمل مسيرة سابقيه، ووصل كتاب "الصلة" لابن بشكوال؛ في تناغم وتسلسل فريد من نوعه.

المبحث الأول:

كتب الصلات والذيول الأندلسية في طور الانتشار في الأندلس خلال (ق07هـ/13م)

1/-أبو الخطاب بن واجب (ت614هـ/1217م):

1-1/ حياته:

هو أحمد بن محمّد بن عمر بن محمد بن واجِب بن عمر بن واجِب بن عمر بن واجب القيسي البلنسي، يكنّى أبا الخطاب. وُلد ببلنسية سنة 537هـ/1142م، والتي تلقى بها علومه الأولى عن جدّه أبا حفص، ثم عن أبا الحسن بن هُذَيْل[1] الذي تلقّى عنه القراءات. بينما تعلم العربية، وقيّد كتب اللغات والآداب عن أبي الحسن ابن النِّعْمَة[2]. وبعدها، أخذ يجول في المدن الأندلسية الواحدة تلوى الأخرى، باحثا عن الاستزادة والتضلع في العلوم، فيمّم شطر مدينة مرسية التي سمع بها عن كبار علمائها، خاصة منهم أبو القاسم بن حُبَيْش (ت584هـ/1188م)[3]. ثم رحل إلى غرب الأندلس مرات وكرات ابتداءً سنة 564هـ/1168م، فَسمع بقرطبة من أبي القاسم بن بشكوال (ت578هـ/1182م)[4] ولازمه وأكثر عنه، وَاقْتصر عليه دون الرواة مِن أَهْلها[5].

1- **أبو الحسن ابن هذيل:** علي بن محمد بن علي، أبو الحسن ابن هذيل، البلنسي، الشيخ الإمام المعمر، مقرئ العصر، كان منقطع القرين في الفضل والزهد والورع مع العدالة والتقلل من الدنيا، صوّامًا قوامًا كثير الصدقة، توفي في رجب 564هـ/1169م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص ص506-507، ترجمة: 323. ابن الجزري، غاية النهاية، ج1، ص ص506-507، ترجمة، 2329. ابن قُرقُول أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الحمزي الوهراني، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ج1، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط1، 2012، ص44.

2- **أبو الحسن ابن النِّعمة:** علي بن عبد الله بن خَلَف بن محمد بن عبد الرّحمن بن عبد الملك الأنصاري، أبو الحسن ابنُ النِّعمة. عالم بالعربية حافظ مفسر، وُلد بالمرية وسَكَنَ بَلَنْسية وكان خطيبها، وانتهت إليه رئاسة الإقراء والفتوى فيها. كان عالما متقنا، حافظا للفقه والتفاسير، ومعاني الآثار والسنن، متقدما في علم اللسان، فصيحا مفوها ورعا، معظما عند الخاصة والعامة وهو خاتمة العلماء بشرق الأندلس. رحل إلى المشرق ودخل القاهرة، وتوفي في رمضان سنة 567هـ/1172م. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج3، السفر الخامس، ص190. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص376، ترجمة: 262. ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص369. الهجراني، قلادة النحر، ج4، ص248، ترجمة: 2504. الداودي، طبقات المفسرين، ج1، ص362، ترجمة: 355. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص ص181-182، ترجمة: 1718. طبقات المفسرين، ص179، ترجمة: 71. محمد بن أحمد الأدنة وي، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1997، ص189، ترجمة: 229. محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، السعودية: دار ابن الجوزي، ط1، 1426هـ، ص428، ترجمة: 49.

3- تقدمت ترجمته في الهامش: 473 من الفصل الرابع.

4- تقدمت ترجمته في الصفحة 352-355 من الفصل الرابع.

5- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص94-96، ترجمة: 276. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، السفر الأول، ص ص635-637، ترجمة: 713. المنذري، التكملة، ج2، ص403، ترجمة: 1543. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج13،

كما لقي بأشونة، أبو مروان بن قُزمان[6] وهو أعلى شيوخه إسنادا، وكان سنّه وقتها قد علا وكَبُر، فسمع منه وأجاز له ما رواه. وسمع بإشبيلية من جلّة علمائها، ومنهم أبو بكر ابن خيِّر الإشبيلي (تـــ575هـــ/1179م)[7] الذي سمع منه كثيرا. ومِنْهَا؛ كتب إليه أبو بكر بن العربي (تـــ543هـــ/1148م)[8] وأبو الوليد بن الدّباغ (تـــ546هـــ/1151م)[9] وغيرهم، فأجازوا له ولم يسمع منهم. ولعلمه وتبحّره، أتته الإجازات منقادة من المشرق، فكتب له بها أبو الطَّاهِر السِّلَفي[10] وغيره، وكان على انتقائه مَن يأخُذ عَنْهُ، ينتقي ما يُسمع منه[11].

لقد طبقت سمعة أبي الخطاب بن واجب الآفاق، فعاد هو حامل راية الرواية بشرق الأندلس، وآخر محدّثيها ومسنديها، وكانت الرحلة إليه في زمانه. كما تصدر للإقراء والوعظ، واجتمع إليه كبار العلماء، فسمعوا منه وحدّثوا عنه، وتخرج عليه ثلة من العلماء الجهابذ الفضلاء، على غرار

ص393. العبر في خبر من غبر، ج3، ص162. ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص105. الرعيني، البرنامج، ص ص48-49. النباهي، قضاة الأندلس، ص116. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ص226-228، ترجمة: 115. ابن القطان الفاسي (تـــ628)، إحكام النظر في أحكام النظر بحاسة البصر، تحقيق: إدريس الصمدي، راجعه وضبطه: فاروق حمادة، دمشق: دار القلم، ط1، 2012، ص ص27-28.

6- **أبو مروان بن قزمان:** الفقيه المشاور، القاضي الحافظ أبو مروان عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن قزمان؛ مولده سنة 479هـــ/1086م، ووفاته بأشونة سنة 564هـــ/1168م. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، 12، ص321، ترجمة: 152. فهرسة ابن خير الإشبيلي (تحقيق بشار عواد)، ص564. ابن بشكوال، الصلة، ص518، ترجمة: 761. الضبي، بغية الملتمس، ص466، ترجمة: 992.

7- تقدمت ترجمته في الهامش: 111 من الفصل الرابع.

8- تقدمت ترجمته في الهامش: 200 من الفصل الرابع.

9- تقدمت ترجمته في الهامش: 453 من الفصل الرابع.

10- **أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم:** بن سِلَفة الحافظ، أبو الطاهر السلفي الأصبهاني، نزيل الأسكندرية؛ مات في 05 ربيع الآخر 576هـــ/29 أوت 1180م، وقد جاوز عمره المائة. ينظر: المقريزي، المقفى الكبير، ج1، ص706، ترجمة: 660. الفاسي المكي المالكي تقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد (775-832هـــ)، ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد، ج1، تحقيق: يوسف كمال الحوت، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1990، ص371، ترجمة: 721.

11- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص94-96، ترجمة: 276. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، السفر الأول، ص ص635-637، ترجمة: 713. المنذري، التكملة، ج2، ص403، ترجمة: 1543. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج13، ص393. العبر في خبر من غبر، ج3، ص162. ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص105. الرعيني، البرنامج، ص ص48-49. النباهي، قضاة الأندلس، ص116. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ص226-228، ترجمة: 115. ابن القطان، إحكام النظر، ص ص27-28.

ابن الحرار (تـــ646هـــ/1248م) وابن فرتون (تـــ660هـــ/1261م) وابن الأبار (تـــ658هـــ/1259م) [12] وغيرهم[13].

هذا؛ وأهّلت السمعة العلمية الطيبة، والورع والعدالة التي تمتع بها أبو الخطاب بن واجب، لأن يتولى قضاء شاطبة سنة 597هـــ/1200م ثم بلنسية؛ حِقبا عدّة وأوقات مختلفة، فقام فيها خَيْرَ مُقام، وحُمدت فيهما سيرته وعُرف بالعدالة[14].

توفي ابن واجب بمراكش، في رحلته إليها لاستدرار جار من بيت المال انقطع له، فقُبض بها بعد مضي نحو الثلث من ليلة يوم الإثنين 06 رجب 614هـــ/09 أكتوبر 1217م، وله من العمر وقتها 77 عاما[15].

1-2/ إنتاجه العلمي:

عُرف عن أبي الخطاب بن واجب (تـــ614هـــ/1217م)، كثرة التأليف وجودة التصنيف، وتركّز جلّ ما ألّف على الحديث والآداب والتاريخ، وجاءت معظم آثاره، في شكل اختصارات واستدراكات؛ ومنها:

- اختصار كتاب الغوامض والمُبهَمات لأبي القاسم بن شكوال (تـــ578هـــ/1182م).
- اختصار كتاب الفصل للوصل المدرج في النقل؛ وهو مؤلف في الحديث لأبي بكر الخطيب البغدادي (تـــ463هـــ/1072م)[16].
- استلحاق على معجم الشعراء لأبي عبد الله المرزباني البغدادي[17].

12- سيأتي الحديث عنهم فيما تبقى من الأطروحة.

13- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص94-96، ترجمة: 276. الرعيني، البرنامج، ص ص48-49.

14- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص94-96، ترجمة: 276. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ص226-228، ترجمة: 115. النباهي، قضاة الأندلس، ص116.

15- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص94-96، ترجمة: 276. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، ص ص635-637، ترجمة: 713. المنذري، التكملة، ج2، ص403، ترجمة: 1543. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج13، ص393. العبر في خبر من غبر، ج3، ص162. ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص105. الرعيني، البرنامج، ص ص48-49. النباهي، قضاة الأندلس، ص116. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ص226-228، ترجمة: 115. ابن القطان، إحكام النظر، ص ص27-28.

16- تقدمت ترجمته في الهامش: 65 من الفصل الثاني.

17- **محمد بن عمران بن موسى بن سعيد:** بن عبد الله المرزباني أبو عبد الله؛ الراوية الاخباري الكاتب؛ مولده في جمادى الآخرة 297هـــ/فيفري 910م. كان راوية صادق اللهجة، واسع المعرفة بالروايات كثير السماع، وكان ثقة صدوقا؛ توفي سنة 387هـــ/996م. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص2582-2584، ترجمة: 1092.

وقد أورد ابن الأبار تآليف ابن واجب في "تكملته" فقال: "وكان يرتاح إلى الآداب وكتب منها كثيرا بخطِّه، واختصر تأليف ابن بشكوال في الغوامض والمبهمات، ورتبه ترتيبًا مُفيدا، واختصر أيضا كتاب الفَصْل للوصل المدرج في النقل لأبي بكر الخطيب. وله في غير ذلك تَنَابِيه نَبِيهة، واستدراكات حسنة استلحق على أبي عبيد اللَّه المرزباني، في معجم الشّعراء له؛ ما يدل على مطالعته وإحاطته"[18].

كما أنّ له تنبيهات واستدراكات حسنة أخرى، ومنها استدراكه على تاريخ ابن الفرضي (ت403هـ/1013م) وفي عداد المفقود. وقد أشار إلى هذا الاستدراك، ابن الأبار في "التكملة" حين الترجمة لناصر بن أحمد الرعيني، فقال: "قرأته بخط أبي الخطاب بن واجب، وقرأته بخطِّه أيضا فيما استدرك على ابن الفرضي"[19].

2/-عبد الله بن قاسم الحرار (ت646هـ/1248م):

2-1/ حياته:

هو عبد الله بن قاسم بن عبد الله بن محمد بن خلف اللخمي، مِن أهْل إشبيلية يُكنى أبا محمد ويُعرف بالحرار أو الحريري والثاني هو اختياره فعُرف به. وُلده بجزيرة قَبطيل[20] مستوطن أسلافه، يوم الجمعة 12 شعبان أو رجب 591هـ/22 جوان أو 22 جويلية 1195م. وبها نشأ وسمع من جِلّة علماء عصره، إذْ زاد شيوخه على المائتين، وله معجم فيهم سمّاه "كتاب الدُّرَر والفرائد في نخب الأحاديث وتحف الفوائد"[21].

ومن شيوخه الذين سمع منهم ابن بقي[22] الذي سمع منه الموطأ ثلاث مرّات، والزُّهْرِي الذي أخذ عنه صَحِيح البخاري. كما كان له حَظٌّ مِن قرض الشّعْر، والاعتناء بصناعة الحديث، بارعا

18- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص96.

19- المصدر نفسه، 2، ص217، ترجمة: 603.

20- **القَبْطيل:** بالأندلس، وتعني القناة، وهي مفرغ وادي طرطوشة في البحر، ويعرف أيضاً بالعسكر لأنه موضعٌ عَسْكَرَ به المجوس واحتفروا حوله خندقاً. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص454.

21- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص298، ترجمة: 850. ابن الزبير، صلة الصلة، ص104، ترجمة: 233. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص518، ترجمة: 369. المستملح، ص225، ترجمة: 494.

22- **ابن بقي:** من ذرية بقي بن مخلد (201-276هـ/816-889م)، وهو أبو القاسم أحمد بن بقي، عاش إلى سنة625هـ/1227م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص84.

في الخط؛ توفي في حصار الرّوم إشبيلية سنة 646هـ/1248م، وقيل توفي في ذي القعدة 545هـ/فيفري 1151م[23].

2-2/إنتاجه العلمي:

ترك ابن قاسم الحرار مصنّفات كثيرة، في علوم عديدة، ومنها:

- كتاب الدرر والفرائد في نُخب الأحاديث وتحف الفوائد[24].
- كتاب حديقة الأنوار في تذييل اقتباس الأنوار والتماس الأزهار[25].
- كتاب نثر النور والزّهر، ألّفه في مناقب شيخه ابن الرومية[26].
- كتاب المنهج الرضي في الجمع بين كتابي ابن بشكوال وابن الفرضي بزيادة على ذلك[27].

وعلى ما يبدو فإنّ هذا المؤلّف الأخير، قد يكون حلقةً مهمة ضمن حلقات الصلات الأندلسية المفقودة، وجاء كمحاولة جديدة تعبّر بصدق عن نضج كبير كانت قد بلغته الكتابة التراجمية وقتذاك بالأندلس.

ومن خلال عنوان الكتاب الذي وسمه بـــ "المنهج الرضي في الجمع بين كتابي ابن بشكوال وابن الفرضي بزيادة على ذلك"، فإنه يُفهَم منه أنه حاول الجمع بين كتابي ابن الفرضي وابن بشكوال والتوفيق بينهما.

3/-ابن الأبار القضاعي (ت658هـ/1260م):

3-1/ حياته:

هو الإمام العلاّمة، الحافظ المجوّد المقرئ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي، الأندلسي البلنسي، الكاتب الـــمُنشئ؛ مولده

23- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص298، ترجمة: 850. ابن الزبير، صلة الصلة، ص104، ترجمة: 233. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص518، ترجمة: 369. المستملح، ص225، ترجمة: 494.

24- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص298، ترجمة: 850.

25- المصدر نفسه، ج2، ص298، ترجمة: 850. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص518، ترجمة: 369.

26- البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص461.

27- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص298، ترجمة: 850.

ببلنسية سنة (595هـ/1199م)[28]. نشأ في بيت علم ودين، إذْ كان والده مِن حفاظ القرآن، عارفا بالقراءات، مشاركا في حفظ المسائل[29].

وفي مسقط رأسه بلنسية، تلقى ابن الأبار علومه الأولى، فسمع من جِلّة علمائها، ومنهم والده الإمام أبو محمد الأبار[30]. كما أخذ عن القاضي أبي عبد الله محمد بن نوح الغافقي[31]، وأبي الخطاب بن واجب[32] اللذان نهل منهما علم القراءات على أصولها، ثم اتّصل بعدها بشيخه أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي[33]، ولازمه لِمَا يزيد عن العشرين عاما، وهو مَن نَدَبَه لوضع كتابه "التكملة" لصلة ابن بشكوال[34]. ولم يَشف ابن الأبار بذلك غليله وشغفه من العلوم، فارتحل في مدائن الأندلس، ونهل من علمائها معارف كثيرة، وكتبوا له بالإجازة[35].

لقد كانت رحلات ابن الأبار العلمية، عاملا مهما في تكوينه وصقل شخصيته العلمية الفذّة، حتى غدا على حدّ تعبير الذهبي "متفنّنا متقدما في الحديث والآداب، سَنِيًّا متخلقا فاضلا، بصيرا بالرجال المتأخرين، مؤرخا حُلْوَ التترجم، فصيح العبارة"[36]. كما مَدحه الصفدي بقوله:

28- ابن الأبار الأندلسي، درر السمط في خبر السبط، تحقيق: عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، ب ط، ب ت، ص158. التكملة لكتاب الصلة، ج1، تحقيق: بشار عواد معروف، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2011، ص8 من مقدمة التحقيق. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، السفر السادس، ص ص276-300، ترجمة: 709. ابن خلدون، العبر، ج6، ص418. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص336، ترجمة: 234. الصفدي، الوافي، ج3، ص ص283-285، ترجمة: 1483. الزركلي، الأعلام، ج6، ص233.

29- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص ص290-292، ترجمة: 893.

30- ترجمته في: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص ص290-292، ترجمة: 893.

31- **محمد بن نوح الغافقي:** فقيه مقرئ، توفي ببلنسية 608هـ/1211م. ينظر: ابن قنفذ، الوفيات، ص304.

32- تقدمت ترجمته في الصفحة: 414 من هذا الفصل.

33- **الحافظ سليمان بن موسى بن سالم (565-634هـ/1169-1234م):** بن حسان الحميري الكَلاعي أبو الربيع؛ الأندلُسي البَلَنْسي، الحافظ المحدّث، شيخ الحديث والبلاغة. ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج4، ص100، ترجمة: 292. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص134، ترجمة: 99.

34- الغبريني، عنوان الدراية، ص310، ترجمة: 95. ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص13.

35- ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص12 وص ص17-18 من مقدمة التحقيق. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، السفر السادس، ص ص276-277، ترجمة: 709. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص336، ترجمة: 234. وللإشارة فقط، فإن شيوخ ابن الأبار الذين ذكرهم ابن عبد الملك، يكون قد اطلع عليهم هذا الأخير في كتاب معجم الشيوخ لابن الأبار نفسه، حيث ساعده ذلك في الترجمة لابن الأبار ترجمة وافية.

36- الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23، ص337، ترجمة: 234.

"وكان بصيرا بالرِّجال عارفا بالتاريخ، إماما في العربية، فقيها مقرئا، إخباريا فصيحا، له يد في البلاغة، والإنشاء في النظم والنثر، كامل الرياسة، ذَا جلالة وأبّهة"[37].

هذا، وأهّلت كل هاته الصفات ابن الأبار، لِأَن يكون قِبلة ومقصدا لطلبة العلم مِن كل مَصر، فاجتمع حوله طلاب العلم، وتخرج على يديه جِلّة من الأعلام، ومنهم أبي بكر بن سيد الناس[38] وغيرهم كثير[39].

كما بوّأته مكانته العلمية الوازنة، في أن يتقلّد عدّة وظائف سلطانية، حيث كان له طموح لا يقف عند حدٍّ في حبّ الوظائف، والتقرب مِن السلطان بأي وسيلة، إلى درجة أنه كان يسعى إليها السعي الحثيث، ووصل به الحدّ إلى مصاحبة الأمراء المستعينين بالنصارى والكتابة لهم. فقد أصبح كاتبا سنة 615هـ/1218م، لواليي بلنسية؛ محمد الناصر أبي عبد الله بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن ثم ابنه مِن بَعدِه أبو زيد عبد الرحمن. هذا الأخير كان قد استعان بالنصارى ومِنهم صاحب أرغون[40]، ففاوضه ومعه ابن الأبار، ليستقرّ ببعض حصون النصارى فكان له ذلك. وقد ذهبت بعض المصادر إلى أنّ أبا زياد عبد الرحمن المذكور، قد ارتدّ عن الإسلام، بينما عاد ابن الأبار إلى بلنسية، فاستخدمه أبو زيان جميل بن أبي الحجاج يوسف بن مردنيش، فصار كاتبا لرسائله[41].

إنّ إقدام ابن الأبار على اقتراف أخطاء قاتلة مِن هذا القبيل، تجعلنا نطرح الكثير من علامات الاستفهام حول هاته الشخصية العالمة، التي ساهمت بتراث علمي زاخر، ذلك أنّ تعاونه مع مَنِ استعان بالنصارى على إخوانه المسلمين، استمرّ طويلا وكانت قاصمة ظهره، حيث إنه بقي على ذلك حتى استيلائهم على بَلنسية سنة 636هـ/1238م، ووقعت الهزيمة في جيش المسلمين،

37- الصفدي، الوافي، ج3، ص283، ترجمة: 1483.

38- **ابن سيد الناس:** محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس اليعمري، الحافظ أبو بكر بن سيد الناس الإشبيلي الظاهري؛ أحد حفاظ الحديث المشهورين؛ مولده سنة 597هـ/1200م، ووفاته في رجب659هـ/جوان1261م بتونس. ينظر: المكي الفاسي، ذيل التقييد، ج1، ص48. كحالة، معجم المؤلفين، ج8، ص283.

39- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، ص ص276-277، ترجمة: 709. ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص17 من مقدمة التحقيق.

40- **أراغون:** بالأندلس، اسم بلاد غرسية بن شانجة يشتمل على بلاد ومنازل. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص27.

41- المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج3، ضبطه وعلق عليه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939، ص205. ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص20 من مقدمة التحقيق.

واستشهد الكثير من مسلميها، بينما لم يحضر ابن الأبار هاته الواقعة ولا صرّح بذلك، رغم أنه ذَكَرها في كتبه[42].

وبعد هاته الهزيمة، قرّر الأمير زيان أبو جميل الاستعانة بالحفصيين في تونس، فأرسل ابن الأبار في وفادة رسمية إلى السلطان أبي زكريا يحي بن حفص يستنجده فيها[43]، فأرسل له بضعة سفن مشحونة بالمال والعتاد والزاد، إلا أنها لم تستطع الوصول لوجهتها المفروضة[44].

وعن هاته الوفادة والاستنجاد، نظم ابن الأبار قصيدة حماسية، وردت كاملة في "ديوانه" وعند ابن عبد الملك المراكشي (تـــ703هـــ/1303م) في كتابه "الذيل والتكملة"، وكذا المقري (تـــ 1041هـــ/1631م) في "أزهار الرياض"، حيث قال في مطلعها [البسيط][45]:

أَدْرِكْ بِـــخَيْلِكَ خَيْلَ اللهِ أَنْدَلُسَا * إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنْجَاتِهَا دَرَسَا**
وهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصرِ مَا التَمَسَتْ * فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عِزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسَا**
وحَاشِ -مِمّا تُعانِيهِ- حُشَاشَتَهَا * فَطَالَمَا ذَاقَتِ البَلْوَى صَبَاحَ مَسَا**

وقد توقّفت تلك المساعدات التي أرسلها السلطان الحفصي بدَانية و لم تصل إلى بلنسية، فقرر حينها أبو جميل تسليم بلنسية للنصارى، بقيادة حاكم أرغون خايمة الأول؛ في شهر صفر 636هـــ/سبتمبر 1238م بعد مفاوضات، وكان ابن الأبار هو مَن دوّن نص الاتفاق[46]. وبعد هذا التنازل المُخزي لصالح النصارى، استقر أبو زيان جميل ومعه ابن الأبار في دانية التي لم يَطُل مقامهما بها، وقررا الرحيل والالتحاق بالحفصيين في تونس.

42- المقري، أزهار الرياض، ج3، ص205. ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص ص20-21 من مقدمة التحقيق.

43- للاستزادة حول موضوع الحفصيين في تونس زمن السلطان أبي زكرياء؛ ينظر: روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988، ص50.

44- ابن خلدون، العبر، ج6، ص418. ابن الأبار، درر السمط، ص159. ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص21 من مقدمة التحقيق.

45- ديوان ابن الأبار، قراءة وتعليق: عبد السلام الهراس، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1999، ص ص408-412. ابن الملك، الذيل والتكملة، ج4، ص ص282-286. المقري، أزهار الرياض، ج3، ص ص207-210.

46- ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص21 من مقدمة التحقيق.

وكعادته، وبَدَلَ أن يقوم ابن الأبار بلملمة جراحه النازفة، جرّاء تسلط النصارى على بلنسية، عاد طموحه الجارف الذي لا يقف عند حدٍّ في حبّ الوظائف والتقرب من السلطان بأي وسيلة؛ للظهور من جديد. حيث إنه لما دخل تونس قاعدة الحفصيين، طلب الوظائف الكبرى والمناصب العليا، ودخل بذلك في منافسة قوية مع أشياخها، مما أوجد له أعداء كثر بها. كما أنّ أهل البلاد هناك، كان يشعرون بثقل هذا الضيف القادم والمتمثل في الأندلسيين ومنهم ابن الأبار، هؤلاء الأندلسيين، اعتبروا أنفسهم أكثر حضارة وتقدما من غيرهم من أهل تونس، وهو مال يتقبله أهل هاته البلاد، وزداوا بذلك حنقا على ابن الأبار[47].

ولم يرفّ لابن الأبار جفن، حتى سعى في تحصيل المناصب بتونس الحفصية، فولاّه السلطان أبو زكريا كتابة الإنشاء والعلامة، والتي لم يمكث فيها طويلا وصُرفت لغيره، فكان ذلك بداية لأحداث مريرة عصفت بحياة ابن الأبار بتونس، رغم أنه سعى سعيا حثيثا لإرضاء السلطان وصنّف كتابا أسماه "إعتاب الكُتّاب" وأُعيد بسببه لعمله.

ولِأَنّ أعداءه كانوا كُثُر، لم يتمّ له المراد بتونس الحفصية، فَوُشي به وانتهى الأمر بنفيه إلى بجاية أواخر سنة 645هـ/1247م، حيث بقي عاطلا عن العمل، وانصرف بها لتنقيح وإنهاء بعض مصنّفاته[48].

ورغم ذلك، فإن العقلية التي كان يتمتع ابن الأبار في استعطاف السلاطين والتودد لهم، لم تبارحه حتى وهو في بجاية طريدا، حيث كان دائم التودد والاستعطاف للسلطان الحفصي المستنصر ابن أبي زكرياء[49]، بإرسال رسائل الودّ والاستعطاف، إلا أنّ كثرة أعدائه هناك، وقفوا حائلا بينه وبين قَبول السلطان برجوعه لتونس، حيث أمعنوا في الوشاية به وأوغروا صدره ضدّه، بل حتى إنهم اتهموه بالخيانة العظمى ومحاولة قلب الدولة والاستبداد بها، فأمَر السلطان بقتله شرّ قتلة رَمْيًا

47- ابن خلدون، العبر، ج6، ص418. ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص22 من مقدمة التحقيق. الغبريني، عنوان الدراية، ص311، ترجمة: 95.

48- ابن خلدون، العبر، ج6، ص418. ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص22 من مقدمة التحقيق. الحلة السيراء، ج1، ص ص42-43. درر السمط، ص ص159-160.

49- للاستزادة حول موضوع الحفصيين في تونس زمن السلطان المستنصر؛ ينظر: برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ص69.

بالرّماح في 20 محرم 658هـ/06 جانفي 1260م، وأُحرقت جثّته وكُتُبه، لتنتهي بذلك رحلة ابن الأبار في الحياة، بهاته الطريقة والكيفية المريعة والمفجعة[50].

2-3/ إنتاجه العلمي:

عاش ابن الأبار فترات قلق كثيرة في حياته، واتّسمت الفترة التي عاشها بالاضطراب السياسي في ظل الدولة الموحدية (541-668هـ)، التي تولّى الحكم بها أواخر عهودها، مجموعة من الحكام الذين اتّسموا بالضعف والهوان، فأسهموا في إضعاف الدولة بتراعاتهم الداخلية، وفقدوا المناطق الواحدة تولى الأخرى من الأندلس، سواء لمصلحة أحدهم، أو لمصلحة ملوك وأمراء الممالك النصرانية بها[51].

وبالرّغم مِن كل هاته الظروف الصعبة التي عرفتها الأندلس في ظل حكم الموحدّين في العهود الأخيرة، والتي خلقت نوعا من عدم الاستقرار في حياة ابن الأبار (تـ658هـ/1260م)، واضطرّته إلى كثرة التنقل، وتقلّد المناصب السياسية[52]، إلا أنّ ذلك لم يكن عائقا بينه وبين الاهتمام بمختلف العلوم والمعارف، خاصة وأنه جُبل على محبة العلم منذ نعومة أظْفاره. وقد أثبت في ذلك علو كعبه، وغزارة علمه، وتوسع معارفه، من خلال تصانيفه الماتعة.

ولقد تعدّدت المواضيع التي صنّف فيها ابن الأبار؛ بين التاريخ والحديث والأدب، حتى غدا كما لقّبه ابن الأحمر بـ "سراج العلوم"، وقد شعّت مِن هذا السِراج أضواء نيّرة ومتوهّجة، في شتى الاتجاهات، وهو ما يظهر مِن إنتاجه العلمي الضخم والمتنوع[53].

50- ابن خلدون، العبر، ج6، ص418. ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص23-24 من مقدمة التحقيق. الحلة السيراء، ج1، ص ص42-43. درر السمط، ص ص159-160. المقري، أزهار الرياض، ج3، ص205. الغبريني، عنوان الدراية، ص313، ترجمة: 95. وقد قيل: إنه قتل مظلوماً بتونس على يد صاحبها لأنه تخيل منه الخروج وشق العصا، وقيل إن بعض أعدائه ذكر عند صاحب تونس أنه ألف تاريخاً وأنه تكلم فيه جماعة. ينظر: ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص405، ترجمة: 471.

51- لتفاصيل وافية عن الدولة الموحدية؛ ينظر: أمبروسيو هويثي ميراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة: عبد الواحد أكمير، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2004، ص ص29-549.

52- المقري، أزهار الرياض، ج3، ص205. ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص20 من مقدمة التحقيق.

53- عبد السلام الهراس: "**إنتاج ابن الأبار البلنسي**"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، تصدر عن المعد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج22، 1983، ص106.

ألّف ابن الأبار كتبا كثيرة، أحصى معظمها كارل بروكلمن (Carl Brockelmann) والمرحوم عبد العزيز عبد المجيد في كتابه عن ابن الأبار[54]، وإبراهيم الأبياري في مقدمته "للمقتضب من تحفة القادم"، وصالح الأشتر في مقدمة تحقيقه "لإعتاب الكتّاب"، وكذا تحقيق حسين مؤنس لكتاب الحلة السيراء[55].

ولابن الأبار كذلك، رسائل وأشعار كثيرة، أوردها مَن أرّخوا له وبخاصة المقري (تـــ 1041هـــ/1631م) في "نفح الطيب" و"أزهار الرياض"، والغبريني (تـــ714هـــ/1314م) في "عنوان الدراية".

و لم يستطع مَن حاولوا إحصاء تصانيف ابن الأبار، إعطاءنا القول الفصل في ذلك، حيث إنهم لم يحصوا معظمها، وَفَاتَهم إحصاء أكثر مِن نصفها. فيرى حسين مؤنس أن له 45 مؤلفا، ضاع منها 39 ووصل إلينا 06 فقط، بينما أحصى عبد العزيز عبد المجيد 18 مصنّفا فقط، وأحصى إبراهيم الأبياري 10 منها[56]. وذهب صالح الأشتر مذهب حسين مؤنس وقال بأنها 45 مؤلفا، وأحصى له منها 15 مصنّفا[57]، كما أحصى بشار عواد 36 مصنّفا[58].

وأما عبد السلام الهراس، فذهب إلى أن عدد مؤلفاته أكثر بكثير مما ذهب إليه هؤلاء جميعا، وقال بأنها تربو عن الخمسين، سَنَدُه في ذلك أنّ ما عثر عليه في كتابي "الذيل والتكملة" لابن عبد

54- قام عبد العزيز عبد المجيد بدراسة مفصّلة عن ابن الأبار وحياته، دَرَس فيها عصره وشخصيته ومؤلفاته، نُشرت بتطوان سنة 1951. وهناك دراسة ثانية مفصلة عن ابن الأبار لأنيس عبد الله الطباع، وهي في الأصل أطروحة دكتوراه نوقشت بجامعة مدريد سنة 1959، ثم ترجمت إلى العربية ونشرت ببيروت. ينظر: ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص10 من مقدمة التحقيق. وهناك دراسة ثالثة لعبد السلام الهراس، أصلها أطروحة دكتوراه دولة نوقشت سنة 1966 تحت عنوان: "إنتاج ابن الأبار الأندلسي".

55- الهراس، إنتاج ابن الأبار البلنسي، ص106.

56- المرجع نفسه، ص107. بينما ذَكر الأبياري في مقدمة تحقيقه لكتاب "التكملة" أنه أحصى له 15 مصنّفا. ينظر: ابن الأبار، التكملة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1989، ص ص9-13.

57- الهراس، إنتاج ابن الأبار البلنسي، ص ص106-107.

58- ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص ص14-17 من مقدمة التحقيق.

الملك (تـــ703هـــ/1303م)، وابن رشيد السبتي أبي عبد الله بن عمر في "رحلته" وبعض المصادر الأخرى، ساعده في عملية إحصاء مؤلفات ابن الأبار، والتي بلغت 41 مؤلفا، وهي كالتالي[59]:

- الـــمورد السَّلْسَل في حديث الرحمة الـــمُسلسل.
- الـــمأخَذ الصالح في حديث معاوية بن صالح.
- الأربعون حديثا عن أربعين شيخا، من أربعين مصنّفا، لأربعين عالما، من أربعين طريقا، إلى أربعين تابعا، عن أربعين صاحبا، بأربعين اسما، من أربعين قبيلا، في أربعين بابا.
- قصد السبيل وَوِرد السلسبيل في الـــمواعد والزهد؛ وهو في أربع مجلدات.
- الإيـــماء إلى الـــمنجيين من العلماء.
- التكملة لكتاب الصلة؛ في مجلدين ضخمين.
- هداية الـــمعتسف في الـــمؤتلف والمختلف.
- معجم أصحاب أبي علي الصدفي[60].
- معجم شيوخ ابن الأبار.
- برنامج رواياته.
- إعتاب الكُتّاب.
- إعصار الـــهبوب في ذِكر الوطن الـــمحبوب.
- قِطْعُ الرياض في بِدع الأغراض؛ في مجلدين ضخمين.
- الـــحلة السيراء في أشعار الأمراء.
- خضراء السُّندُس في شِعر الأندلس.
- إيـــماضُ البرق في شعراء الشرق.
- تـــحفة القادم في شعراء الأندلس.
- دُرر السّمط في أخبار السّبط.
- مَعدِن اللُّجَيْن في مراثي الحسين.

59- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص37. الهراس، إنتاج ابن الأبار البلنسي، ص ص107-114. وهذا المقال الأخير، هو اختصار لما أنجزه المؤلف في أطروحة الدكتوراه سنة 1966. ديوان ابن الأبار، ص ص11-20.

60- القاضي الصدفي أبي علي حسين بن محمد المتوفي 594هـــ/1197م.

– فُضالة العُباب ونُفاضة العياب في نحو أرجوزة ابن سِيده ومَن نـــحا منحاه فيما اســـمك يا أخا العرب على حروف المعجم.

– شرح صحيح البخاري.

– الكتاب الـــمحمّدي.

– الاستدراك على أبي محمد بن القرطبي بـــما أغفله من طرق روايات الموطّأ.

– مختصر أحكام ابن أبي زَمنِين[61] في الفقه.

– الشفاء في تـــمييز الثقات من الضعفاء.

– معجم أصحاب أبي عمر يوسف بن عبد البرّ[62].

– معجم أصحاب أبي عمرو المقرئ[63].

– معجم أبي داود الـــهِشَّامِي.

– معجم أبي علي الغساني.

– معجم شيوخ أبي الحسين أحمد بن مـــحمد بن السرّاج[64].

– معجم أصحاب أبي بكر بن العربي[65].

– الوَشي القَيْسي في اختصار الفتح القيسي[66].

– الانتداب للتنبيه على زَهر الآداب.

61- **ابن أَبي زَمَنِين (324-399هـــ/936-1008م):** محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي، أبو عبد الله المعروف بابن أبي زمنين؛ فقيه مالكي من الوعاظ الأدباء. أصله من إلبيرة وسكن قرطبة، ثم عاد إلى إلبيرة فتوفي بها. له كتب كثيرة في الفقه والمواعظ، منها: أصول السنّة ومنتخب الأحكام. ينظر: الزركلي، ج6، ص227.

62- أبو عمر يوسف بن عبد الله محمد بن عبد البرّ النمري (تـــ 463هـــ/1017م)، وقد تقدمت ترجمته في الهامش 173 من الفصل الثالث.

63- توفي بدانية في يوم الإثنين 15 شوال 444هـــ/7 فيفري 1053م، وكان دفنه بعد صلاة العصر في اليوم الذي توفي فيه، ومشى السلطان أمام نعشه، وكان الجمع في جنازته عظيما. ينظر: ابن بشكوال، الصلة (تحقيق الأبياري)، ص593، ترجمة: 882.

64- **أبو الحسن أحمد بن محمد بن السراج:** الإشبيلي؛ الشيخ المحدّث الراوية. توفي ببجاية سنة 657هـــ/1258م، وسنه يقرب من مائة سنة. ينظر: ابن قنفذ، الوفيات، ص323، ترجمة: 657.

65- أبو بكر بن العربي المتوفي 543هـــ/1148م؛ وقد تقدمت ترجمته في الهامش: 200 من الفصل الرابع.

66- **أبو الفتح القيسي المصري:** عبد الهادي بن عبد الكريم بن علي، خطيب جامع المقياس، وُلد سنة 577هـــ/1181م، ومات في شعبان 671هـــ/فيفري 1273م. ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص502، ترجمة: 92.

– إحضار الـــمرهج في مضمار الـــمُبهج، على نحو كتاب أبي منصور الثعالبي.

– مظاهرةُ الـــمسعى الجميل ومـــحاذرة الـــمرعى الوبيل في معارضة مَلْقى السبيل على حروف الـــمعجم بنَظْمِ ما يُنثَر بعد نَثْرِ ما يُنظَم.

– ديوان رسائله.

– ديوان شعره.

– كتاب التاريخ.

– إفادة الوِفادة.

– أنيس الجليس ونديـــم الرئيس.

– إعانة الحقير في شرح زاد الفقير.

وعليه، فإن أكثر مؤلفات ابن الأبار لحقها الإتلاف، ولا زال أغلبها في تعداد المفقود، و لم يصلنا منها إلى الآن سوى 08 مؤلفات، وهي:

– **إعتاب الكُتّاب:** حققه صالح الأشتر، ونُشر سنة 1961.

– **المقتضب من تحفة القادم:** حققه إبراهيم الأبياري، وأعاد تحقيقه إحسان عباس ونشره سنة 1986.

– **الـــحلّة السيراء في أشعار الأمراء:** حققه حسين مؤنس ونُشر في القاهرة في طبعته الأولى سنة 1963، ثم الطبعة الثانية سنة 1985.

– **مظاهرةُ المسعى الجميل ومـــحاذرة الـــمرعى الوبيل في معارضة مَلْقى السبيل:** نشره صلاح الدين المنجد.

– **معجم أصحاب أبي علي الصدفي:** حققه بشار عواد معروف، وهو الإصدار الثامن من سلسلة التراجم الأندلسية، وقد طُبع بدار الغرب الإسلامي في تونس سنة 2011.

– **دُرر السَّمْط في أخبار السِّبط:** حققه عبد السلام الهراس بالاشتراك مع سعيد أعراب. كما حققه عز الدين عمر موسى، ونشره في دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة 1987.

– **ديوان شِعره:** حققه عبد السلام الهراس، ونشرته وزارة الأوقاف بالمغرب سنة 1999.

– **التكملة لكتاب الصلة:** حُقق وطُبع، عدّة مرات[67].

67– سيأتي الحديث عنه في المادة التالية من مادة هذا الفصل.

وبالتالي، فإن مصنّفات ابن الأبار كثيرة ومتنوعة، على ما أخبر به ابن عبد الملك المراكشي (تـــ703هـــ/1303م)، حيث قال بأنها تزيد عن الخمسين مصنّفا[68]، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على موسوعية ابن الأبار. إلا أنه من المؤسف أن أغلب هذا التراث لا زال في عداد المفقود، وأغلبه خاص بأعلام الأندلس وتاريخها، وهو ما جعل بالنثيا يصرّح بأنّ ابن الأبار ربما كان مؤرِّخ "أكبر مصنَّف لمعاجم الرجال، أَطْلَعَه الأندلس"[69].

3-3/ التعريف بكتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (ت658هـ/1260م):

1-3-3/ عنوان الكتاب:

تعدّدت الفنون التي صنّف فيها ابن الأبار، فتوزّعت على التاريخ والحديث والأدب. ومما يُلاحظ عليه أنه كانَ مُكثِرا في الكتابة كمّا ونوعا، وهو ما جعل ابن عبد الملك المراكشي (تـــ703هـــ/1303م) يُثني عليه قائلا: "برَّزَ في إجادتِها، وأعجَزَ عن الوفاءِ بشُكرِ إفادتِها"[70]، وعدّ منها 35 عنوانا مع أنه ذَكر بأنها "تنيف على خمسين مصنّفا"[71].

ويعدّ كتاب ابن الأبار "التكملة"، الذي أكمل به كتاب "الصلة" لابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م)، وسماه "التكملة لكتاب الصلة"؛ مِن أبرز ما ألّف وصنّف[72].

و لم يُبق ابن الأبار الجدل قائما حول تسمية الكتاب-كما فعل سلفه ابن بشكوال، الذي ذاع اسم "الصلة" في حَياته-إذْ نصّ صراحة على أنّ عنوان كتابه هو "التكملة لكتاب الصلة".

ومن المهمّ جدا الوقوف على سرّ كلمة "التكملة" التي اختارها في عنوانه، إذْ كان بإمكانه أنْ ينهج نهج ابن بشكوال في استخدامه لكلمة "الصلة" لوصل كتاب ابن الفرضي (ت403هـــ/1013م)، أو ينحى المنحى نفسه الذي نـــحاه ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م) لاحقا في "صلة الصلة"، والذي وصل به كتاب "الصلة" لابن بشكوال. إلا أنّه ربما يكون لاختيار كلمة

68- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، السفر السادس، ص282.

69- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص277.

70- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، السفر السادس، ص281.

71- المصدر نفسه، ج4، السفر السادس، ص282.

72- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، السفر السادس، ص281، ترجمة: 709. الصفدي، الوافي، ج3، ص ص283-285، ترجمة: 1483.

"التكملة" دلالات ومفاهيم أخرى، غير الوَصْل والمتابعة في تقييد تراجم علماء الأندلس، مِن حيث انتهى ذلك الأصل[73].

وبذلك، لم يكن تصنيف ابن الأبار هذا، صلةً بمعنى الإضافة والمتابعة مِن حيث انتهى الأصل وحسب، وإنما هو إعادة نظر وتصويب وإكمال للأصل مِن حيث بدأ لا من حيث انتهى، ومراجعة ما اعتراه مِن ثغرات وهنّات. وبالتالي، فهو يروم مراجعة الأصل، ووضع استكمال وتصويب للنقائص والهنّات الواردة فيه، حيث عبّر عن ذلك بقوله: "ولم أقتصر بِهِ على الابتداء مِن حيثُ انتهى ابن بشكوال، بل تجاوَزْتُه وابن الفرضي، أتولى التَّقَصِّي وأتوخى الإكمال، وربـــما أعدتُ مَنْ تَحَيَّفَا ذِكره، ولم يتعرّفا أمره"[74].

إنّ هاته الإشارة الأخيرة التي أوردها ابن الأبار، تجعلنا نعتقد بأنّ تأليفه "الصلة"، إنما هو عودة للتدقيق مِن جديد في الفترة الزمنية التي دوّن فيها ابن الفرضي وابن بشكوال كتابيهما، على النسق والفهم الذي أراده هو، والذي يعني المراجعة لغرض استكمال النقائص الواردة فيهما، وهو ما جسّده عمليا في مادة كتابه "التكملة"[75]، بإعادة كتابة بعض التراجم الموجودة عند ابن الفرضي وابن بشكوال، معتمدا في ذلك على مادة جديدة حول هاته التراجم، التي كان قد وقف عليها[76].

وفي المعنى المذكور، يقول ابن الأبار متحدّثا عن كتاب "الصلة" لابن بشكوال: "وهو كتابٌ في فنّه خطير القيمة، ضروري الاستعمال، لا يستغني أهل الفقه عن التبلُّغ به، والنظر فيه والاحتجاج منه، وأغلاطه الواقعة له فيه قليلة، وقد نبّهتُ على أكثرها في كتابي هذا، واستدركتُ ما أغفَلَ وتَمَّمْتُ مَا نَقَص وجوّدتُ ما اقتضب، مِمَّا وقع إِلَيَّ وترجّح لدَيّ. ولذلك ما أعدتُ هُنَا جملة مِمَّا ذَكَرَ هُنَالك، مُؤْتَسِيًا بِفِعْلِهِ في أسماءٍ مِن كتاب ابن الفرضي"[77].

3-3-2/ طبعات الكتاب:

حُقّق كتاب "التكملة لكتاب الصلة"، وطُبِع العديد من المرات، مِن قِبل المؤرخين. ومِن هاته الطبعات؛ نذكُر:

73- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، تعقبات ابن الأبار، ص ص37-38.

74- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص6.

75- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، تعقبات ابن الأبار، ص ص37-38.

76- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص35.

77- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص249، في ترجمة ابن بشكوال رقم: 851.

❖ طُبع طبعة أولى في إسبانيا سنة 1987، من طرف المستشرق الإسباني كوديرا (Francisco Codera)، وهي طبعة غير كاملة[78].

❖ وفيما بين سنتي 1955 و1956، أعيد طبعه في القاهرة طبعةً ثانية نقلا عن الطبعة الأولى السابقة، إلا أنّ كلا الطبعتين جاءتا ناقصتين من الجزء الأول والأخير.

فأما الجزء الأول، فقد استطاع محمد بن شنب الحصول على نسخة خطّية للمخطوط من مكتبة فاس، ونشر الكتاب محقّقا. وأما الجزء الأخير، فقد كانت عنه نسخة خطية بمكتبة أباظة بالقاهرة[79].

❖ ثم قام الأبياري بتحقيق جزء من كتاب التكملة سنة 1989، وصدّره بمقدّمة ذَكر فيها قائمة المراجع التي اعتمدها في عملية التحقيق والتعريف بالمؤلف وكتابه. وما يعاب على هذا التحقيق، هو شروعه في ذِكر تراجم الكتاب مباشرة، دون ذِكر مقدّمة المؤلّف.

وبعد بحث وتقصٍّ، وجدنا أنه ربما كان قد اختلط عليه الأمر، فأدرج مقدّمة "التكملة" لابن الأبار، كمقدّمة لكتاب "بغية الملتمس" للضبي (تـــ599هـــ/1202م)[80]، بالرغم مِنْ أنّ لكتاب "البغية" للضبي مقدّمة خاصة به[81]، فوضع مقدمتين لكتاب "البغية"، وهو خطأ–حتى وإن كان غير متعمد–غير مقبول عند أرباب التحقيق.

كما أن الأبياري، لم يحقق كتاب "التكملة" كاملا، وإنما حقق جزءا منه فقط وهو المجلد رقم 18 ضمن السلسلة الأندلسية التي أشرف على نشرها، وتوقّف فيه عند الترجمة رقم 501 وهي لإسماعيل بن الإسكندراني أبو الطاهر[82].

❖ وقد أعاد عبد السلام الهراس تحقيق كتاب "التكملة" وطبعه سنة 1995 في أربعة أجزاء، حيث صدّره بمقدمة المؤلِّف نفسه، ثم ذَكر بعدها تراجم الكتاب. إلا أنّ الشيء الذي يُلام عليه كثيرا، هو أنه لم يثبت مقدمة تحقيقه للكتاب–وهو أمر مطلوب–ولم يذكر النسخ التي اعتمدها

78– ابن الأبار، التكملة (تحقيق الأبياري)، ج1، ص19 من مقدمة التحقيق.
79– المصدر نفسه، ص19.
80– الضبي، بغية الملتمس، ص05.
81– المصدر نفسه، ص22.
82– نفسه، ص247، ترجمة: 501.

في تحقيقه للكتاب، واكتفى فقط بوضع فهرس للأسماء الواردة في الكتاب (أسماء المترجَمين في الكتاب)[83].

❖ وفي سنة 2011، قام بشار عواد معروف بتحقيق كتاب "التكملة لكتاب الصلة" كاملا، وطبعه في أربعة أجزاء بدار الغرب الإسلامي بتونس. وقد دبّجه بمقدمة ضافية تحدّث فيها عن منهجه في تحقيق المخطوط[84]، ثم أردفه بمقدمة المؤلِّف وتراجم الكتاب.

وأما مقدّمة التحقيق التي وضعها، فقد اشتملت على التعريف بالمؤلِّف (الأسرة، مولده، دراسته، مؤلفاته، تلاميذه، مترلته العلمية، رحلته إلى تونس، ونهايته المأساوية)، ثم أردفه بذِكر مصادره في التعريف بالمؤلِّف، وثنّى بالتعريف بالكتاب وبداية تأليفه، ومنهج مؤلِّفه وموارده. كما قام بوصف النسخ الخطية التي اعتمدها في تحقيق الكتاب، وذَكَر منهجه في تحقيقه، وألحقه بجملة من الفهارس الفنية[85].

وعلى ما يبدو، ومن خلال اطلاعنا على التحقيقات المذكورة لكتاب "التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار، يظهر لنا أن التحقيق الذي قام به بشار عواد معروف، هو أحسنها وأجودها، وذلك لعدّة اعتبارات منها:

– أنه ذَكر في مقدّمة تحقيقه النسخ الخطية التي اعتمدها في تحقيقه وهو أمر مطلوب جدا، على عكس مَن سبقوه، إذ لم يذكروا شيئا من ذلك.

– اعتماده على خمسة نسخ خطية في تحقيق المخطوط وهي: النسخة الأصل، ونسخة أولى الخزانة العامة بالرباط[86]، ثم نسخة ثانية بالخزانة نفسها، ونسخة الإسكوريال، وكذا نسخة الأزهر[87].

– حصوله على النسخة الأصل–وهو المطلوب في عملية التحقيق–، وهي نسخة تامة كاملة متقنة، كُتبت بخط أندلسي جميل، يظهر عليها الاعتناء الكبير. وقد نُقلت مِن نسخة المؤلِّف المبيّضة وقوبلت بكل دقّة وإتقان من طرف أحد تلامذة ابن الأبار النجباء، وهو أبو عبد الله محمد بن

83– خصّ كل جزء من الأجزاء الأربعة، بفهرس لأسماء تراجم الكتاب، التي أثبتها في نهاية كل جزء.

84– ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص ص7–38 من مقدّمة التحقيق.

85– المصدر نفسه، ج1، ص ص285–926.

86– نُقلت محتوياتها إلى المكتبة الوطنية بالمغرب وأصبحت جزءا منها.

87– ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص ص31–37 من مقدمة التحقيق.

أحمد بن محمد بن عمر بن إبراهيم الفهري الإشبيلي الأصل، نزيل تونس المعروف بابن الجلاب[88]. ثم كُتبت هاته النسخة برسم أمير منورقة[89]، العالم الفاضل أبي عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد بن حكم بن عبد العزيز بن حكم القرشي[90].

– وعلى هاته النسخة –التي اعتبرها بشار عواد أصلا–كان اعتماده، فاعتبرها أصلا دون النسخ الأخرى التي لم تَرْقَ إلى مستواها؛ دقّة وضبطا وإتقانا. كما استعان ببقية النسخ، عند وجود خُرم أو تلف في الأصل بسبب الرطوبة، أو مَحْوٍ لسبب من الأسباب[91].

– وفي إطار استكمال تحقيق الكتاب، قام بشار عواد بمقابلة النصوص مع بعضها البعض وتصحيحها، ووضع النقط والفواصل، وضبط النص بالحركات، وضبط الأسماء، وغيرها من التصويبات المهمة التي تقتضيها عملية التحقيق[92].

– وفي الأخير، وعلى عكس بقية التحقيقات الأخرى، فقد أورد بشار عواد فهارس عامة للكتاب المحقّق في الجزء الرابع منه. حيث شملت هاته الفهارس؛ فهرس الأحاديث المرفوعة، فهرس الكتب الواردة في المتن، فهرس المواضع والبلدان، فهرس الأشعار، المترجَمون على المعجم، فهرس الأنساب والشهرة والألقاب، المترجَمون المنسوبون إلى بلدانهم، ثم جريدة المصادر والمراجع[93]. وبذلك يكون بشار عواد معروف، قد أعطى للكتاب حقّه إخراجا وضبطا وتدقيقا وتحقيقا، حتى يعمّ نفعه، ويسهل على القارئ الإفادة منه على أحسن وجه.

88- توفي في رمضان 664هـ/جوان 1266م؛ ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، ص56، ترجمة: 102.

89- **مَنُورَقَةُ:** جزيرة عامرة في شرقي الأندلس قرب ميورقة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص216.

90- ابن الأبار، التكملة (بشار عواد)، ج1، ص ص31–34 من مقدمة التحقيق. **وأبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد بن حكم بن عبد العزيز بن حكم القرشي:** كان نحويا أديبا، حَسَن التصرف في إنشاء الكلام نظما ونثرا، مشاركا في الفقه والحديث ومعرفة رجاله، ذا حظ صالح من علم الطبّ؛ مولِده في جمادى الأولى 601هـ/ديسمبر 1204م، ووفاته في 27 رمضان 680هـ/9 جانفي 1282م. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج2، ص ص30–34، ترجمة: 67. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص ص583–584، ترجمة: 1223.

91- ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص37 من مقدمة التحقيق.

92- المصدر نفسه، ج1، ص ص37–38 من مقدمة التحقيق.

93- نفسه، ج4، ص ص285–926.

3-3-3/ دواعي تأليف الكتاب:

صرّح ابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م) في مقدمة كتابه بالدوافع والأسباب التي جعلته يُقدِم على تأليف كتابه "التكملة لكتاب الصلة". وعلى ما يبدو، فإنّ هناك أسباب ودوافع شتّى أثّرت في ابن الأبار، وحفّزته كثيرا وجعلته يؤلّف الكتاب، وتوزّعت بين دافع ذاتي وآخر خارجي.

فأما الدافع الذاتي، فيمكن القول بأنه تحصيل حاصل لديه، وأنه تبلور لديه نتيجة تكوينه الثقافي العميق والرصين، واطلاعه على العديد من كتب تراجم الأندلسيين المُحسن منها والمقصّر، ثم إدراكه لقيمة وأهمية إبقاء ذِكر المؤلَّف خالدا في الأذهان، فضلا عن تخليد المترجَم لهم. وقد بدا هذا الأمر واضحا جليا في حديثه عن كتاب "الصلة" لابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م)، حين وصفه بقوله: "واتّفقَ أَنْ خُلِّد حتى هِيلَ على أَتْرابه التُّراب، وخَبّأْتْهُم فِي حقائبها الأحقاب، فانْتَظَمَهم حِسابه، وشملهم كِتَابه"[94].

وأما الدافع الخارجي، فهو شيخه أبو الربيع سليمان الكلاعي (تـــ634هـــ/1236م)[95] الذي لازمه لأكثر من عشرين عاما وأثّر فيه تأثيرا عميقا، وهو مَن نَدَبَه وشجّعه-على ما ذَكره الغبريني- لوضع كتابه "التكملة" لصلة ابن بشكوال[96]. كما صرّح هو بذلك، في "التكملة" حيث قال: "ولما تعرَّف غرضي على هذا التأليف، حضَّني عليه وندبني إليه، وأمدّني مِن تقييداته الصَّحَاح، وحكاياته المستظرفة بِما شحنته فوائدَ"[97].

وعليه، فلم يبخل ابن الأبار على شيخه الكلاعي بتأليفِ ما وَعدْ، خاصة حينما عدّه "السببَ في جمعه، والداعي إلى تصنيفه، والـــمُنهِض إليه والـــمُنجد عليه، بما حوته خزانة كُتبِه"[98].

إنّ إقدام ابن الأبار على تأليف كتابه "التكملة"، يُعتبر توصيفا حقيقيا للدور الإيجابي الذي قام به الشيخ في حضّه وندبه وتشجيعه على تأليف الكتاب. كما أنّ تدوين سِير أعلام بلده، كان

94- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص5.

95- تقدمت ترجمته في الهامش 33 من هذا الفصل.

96- الغبريني، عنوان الدراية، ص310، ترجمة: 95.

97- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص102.

98- المصدر نفسه، ج4، ص103.

يـــمثّل بالنسبة إليه تجسيدا عمليا لمحبة وطنه الأندلس، الذي وُلد فيه، وبه شُهر وعُرف[99]. وقد أدّاه ذلك إلى اعتبار بعض العلماء الغرباء الواردين إلى الأندلس مِن غيرها ضِمن علمائها، وقد وصل به الحدّ إلى الإفراط في ذلك، إذ كان الغالب عليه حتى الغُلو. كما أنه عمَد إلى التعبير عن محبّة وطنه الأندلس، من خلال تقييد أسماء علمائه الذين نبغوا فيه، بالرغم من الظروف السياسية القاسية التي كانت تَحْيَاها الأندلس على عهده[100].

هذا، كانت غُربة الإسلام في الجزيرة الأندلسية، وغَلَبة الروم عليها، مِن ضمن الأسباب الداعية لتأليف كتاب "التكملة لكتاب الصلة"، وهو ما عبّر عنه بقوله: "وكان انبعاثي لهذا التقْييد الملتمس من الله فيه حسن العون والتأييد، أوّل شهر الله المحرم مُفتتح سنة إحدى وثلاثين وستمائة، امتعاضا للجزيرة، وارتـِماضا مِنْ كوائنها الـــمُبيرة، لِيُعلم أنها ما أَفَلَتْ أَهِلَّتُها...ولا هَوَت نجومها وإنْ أَقْوَت رسومها...ومع غُربة الإسلام فيها، وعجْز قومها عن تلافيها...إلى أنْ ذَهب السكن والمسكون، وكان مِن أمر الله ما عَلِم أنْ سيكون"[101].

ومما سبق، نخلص إلى القول بأنّ دوافع ابن الأبار لتأليف لكتاب "التكملة" كانت متعددة، حيث أذْكَتها رغبته في الإحاطة بمختلف أصناف العلوم والعلماء، ونقل صورة عامة عن مختلف جوانب الحياة الثقافية بالجزيرة الأندلسية؛ بما يُخلّد آثارها، ويعيد مجدها، ويحفظ لها مكانتها، خاصة وأنها كانت قد بدأت تشرف على نهايتها في عهده.

3-3-4/ تاريخ تأليف الكتاب ومحتواه:

قبل الشروع في الحديث عن محتوى الكتاب، لابد أن نعرّج على ذِكر تاريخ تأليف ابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م) لكتاب "التكملة لكتاب الصلة".

أ-تاريخ تأليف الكتاب:

صرّح ابن الأبار في مقدمة "التكملة" بتاريخ التأليف فقال: "وكان انبعاثي لهذا التقْييد الملتمس من الله فيه حسن العون والتأييد، أوّل شهر الله المحرم مُفتتح سنة إحدى وثلاثين

99- تطرح علاقات ابن الأبار بوالي بلنسية الذي كان كاتبا له؛ العديد من الأسئلة، حول التعلّق الحقيقي بوطنه الأندلس وحبّه له، خاصة في ظل تعاون الوالي المذكور مع النصارى. راجع ما تمّ تدوينه بهذا الخصوص، في الصفحة 419 في الحديث عن حياة ابن الأبار.

100- يوسف أحمد بني ياسين، تعقبات ابن الأبار، ص39.

101- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص6.

وستمائة"[102]؛ وبذلك كان أول محرم سنة 631هـ/7 أكتوبر 1233م، هو بداية شروعه في تحرير مادة كتابه.

ومن الجدير بالذِّكر، أنه وخلال الفترة التي شرع فيها في تأليف كتابه المذكور، كان ابن الأبار كاتبا في بلاط بلنسية، وعلى اتصال وثيق بشيخه أبي الربيع الكلاعي (ت634هـ/1236م)[103]، الذي وعلى ما يظهر؛ رعى المشروع منذ أن نشأ فكرةً، ووفّر للمؤلِّف أصولا ومقتنيات من مكتبه.

ولم يكن ابن الأبار يُدرك ثقل الحمل وعبء مسؤولية هذا التأليف بدايةً حتى شرع فيه، ولذلك فزع لشيخه، طالبا إعفاءه منه[104]. وقد عبّر عن ذلك بصدق حينما قال في معرض ترجمته لشيخه الكلاعي قائلا: "وكُنْتُ قد أفهمته في أوّل اشتغالي به عجزي عنه، وسألته إعفائي منه، ورغبتُ إليه في أن يتولاه ليكسوه رائق حُلاه، فأبى مِن إعفائي وأنكر أنْ لا أتحلّى به دون أكفائي"[105].

وبعد هذا الحدَث، عاود ابن الأبار إلى متابعة تأليف الكتاب، حتى إذا ما حرّر بعضا منه، سارع به إلى شيخه ليعرضه عليه؛ فتلقاه بالقبول والاستحسان. وقد عبّر عن ذلك بقوله: "فعندها شرعتُ فيه، ولم تمض إلَّا مُدَّة يسيرة، حتى أطلعتُه منه على حروف وأبواب، فأطال العجب مِن احتِشادي فيها، وانتهائي بمعونة الله من ذلك"[106].

ولم تَكد تمضي إلا أزمنة يسيرة نازهت الخمس سنوات، حتى اكتمل بدر "التكملة"، وصارت جاهزة في مسودتها الأولى سنة 636هـ/1238م[107]، وهو التاريخ الذي أورده في سياق ترجمته لصاحبه محمد بن غَلبون المرسي[108]، إذْ قال: "ولقيتُه بمرسية في آخر سنة ستٍّ وثلاثين وستّمائة، ووقَف على التكملة هذه حينئذ مِن تأليفي"[109].

102- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص6.

103- تقدمت ترجمته في الهامش 33 من هذا الفصل.

104- يوسف أحمد بني ياسين، تعقبات ابن الأبار، ص39.

105- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص102، في ترجمة الكلاعي رقم: 290.

106- المصدر نفسه، ج4، ص102.

107- ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص29 من مقدّمة التحقيق.

108- توفي في شعبان 650هـ/جويلية 1238م؛ ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص153، ترجمة: 392.

109- المصدر نفسه، ج2، ص153، ترجمة: 392.

ورغم انتهائه من تبييض مسودة كتابه في التاريخ المذكور، إلا أنه ظل يتعاهده بالتنقيح تارة، والزيادة والتصحيح تارات أخرى، إلى ما قبل وفاته بسنتين أو ثلاث؛ إذ ذَكر مَن توفي سنة 655هـ/1258م. ومن ملامح ذلك، أنه أخّر تدوين مقدّمة الكتاب عن تدوين متنه، إلى آخر سنة 646هـ/1248م؛ يُفهم ذلك من قوله: "وفي وقتنا هذا؛ وهو آخر سنة ستٍّ وأربعين"[110]، وهو الأمر الذي أكّده ابن عبد الملك عنه، حيث أورد بأنه كان معروفا بتيقُّظِه وتحفُّظِه من متعلّقات النّقد وأسبابه[111].

ومما يعزّز ما ذكره ابن عبد الملك عنه، هو تأنّيه في تحبير مصنّفه، لإخراجه خاليا من كل خلل محتمل، فجدّ في ذلك واجتهد وسَهِر، وهو ما أفصح عنه في قوله: "ويعلم الله أنّي وهبت الكرى[112] للسهاد[113]، وذهبتُ أبعد مذهب في الاجتهاد، وعُنيتُ بهذا التصنيف أتمّ عناية، وبلغتُ به من التصحيح أقصى نهاية، وما زِلتُ أسمو إليه حالا على حال، وأعكف عليه بين حِلٍّ وارتحال، إلى أنْ بَهَر[114] فجره وضّاحا، وزَخَر وَشَلُه[115] نَهْرا طفّاحا[116]"[117].

وقد ظلّ ابن الأبار على هاته الحال، ما يزيد عن العشرين حولا، إلى أنْ أخرج تصنيفه في نسخته الأخيرة، وهو الأمر الذي أكّده في قوله: "فلما أنْ استوفى عِشرين حولا بل زاد، واستولى على الأمد الذي مَنْ تَأنّى فيه أصاب أو كاد؛ أبرزتُه بعد طول الحِجاب"[118].

وعلى القول بأنّه ظل يتعاهد كتابه بالزيادة والتصحيح، إلى ما قبل وفاته بسنتين أو ثلاث، فُتح باب اختلاف النسخ التي جاءت بعد النسخة الأصل، والتي من المرجّح أن يكون قد أتـــمّها وهو ببجاية التي رحل إليها أواخر سنة 645هـــ/1247م مغضوبا عليه من طرف السلطان[119]،

110- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص6.

111- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، ص206.

112- **الكرى:** النعاس والنوم. ينظر: المعجم الوسيط، ص785.

113- **السهاد:** اليقظة والحذر. ينظر: المرجع نفسه، ص458.

114- **بَهَر:** انْقَطع نَفسه من الإعياء. ينظر: نفسه، ص73.

115- **وشله:** سَالَ وَقلّ وقَطَر. ينظر: نفسه، ص1053.

116- **طفاحا:** نقول طفح الإناء أو النهر أو الحوض، أي امْتَلَأَ حتى فاض من جوانبه. ينظر: نفسه، ص559.

117- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص6.

118- المصدر نفسه، ج1، ص6.

119- ابن خلدون، العبر، ج6، ص418. ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص22 من مقدمة التحقيق. الحلة السيراء، ج1، ص ص42-43. درر السمط، ص ص159-160.

الذي أمَر بقتله-بعد رجوعه لتونس-وحرق كُتُبه[120]، ومنها مبيضة "التكملة" التي تكون قد سلمت من الحرق، بفضل بعض تلامذته ومنهم ابن الجلاب (تـــ664هـــ/جوان 1266م)[121]، أو لأنه كان قد أرسل بعض كتبه ومنها "التكملة" و"المعجم في أصحاب القاضي الصدفي" إلى أمير جزيرة منورقة سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي (تـــ680هـــ/1282م)[122]، الذي كانت مبيضة "التكملة" عنده أوائل سنة 661هـــ/1262م[123].

ب-محتوى الكتاب:

جاء كتاب "التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار في مجلدين ضخمين على ما ذكره ابن عبد الملك (تـــ703هـــ/1303م)، وفي ثلاثة أسفار على حدّ قول صاحب "الوافي بالوفيات"[124]، بينما جاءت أقدم نسخة وصلت إلينا منقولة عن مبيضة المؤلِّف في مجلّد واحد ضخم[125].

هذا، واحتوى كتاب "التكملة" على مقدمة، وأبواب للحروف تشتمل على عدد من تراجم.

❖ **فأما المقدمة؛** فقد أورد فيها ما يلي:

- ذَكر تسمية الكتاب في أوّل مقدّمته فقال: "فهذا كتاب التكملة لكتاب الصلة، الذي ألّفه أبو القاسم بن بشكوال"[126]. ثم شرع بعد ذلك في بيان الباعث على تصنيف الكتاب، حيث قال: "وكان انبعاثي لهذا التقْييد، الملتمس مِن الله فيه حسن العون والتأييد"[127].

120- ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص31 من مقدمة التحقيق.

121- تقدم ذِكره في الهامش: 88 من هذا الفصل.

122- تقدم التعريف به الهامش: 90 من هذا الفصل.

123- ابن خلدون، العبر، ج6، ص418. ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص23-24 من مقدمة التحقيق. الحلة السيراء، ج1، ص ص42-43. درر السمط، ص ص159-160. المقري، أزهار الرياض، ج3، ص205. الغبريني، عنوان الدراية، ص313، ترجمة: 95.

124- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، ص281. الصفدي، الوافي، ج3، ص283، ترجمة: 1483. الكتاني، فهرس الفهارس، ص142.

125- المقري، نفح الطيب، ج3، ص181. ابن شاكر الكتبي، ج3، ص405، ترجمة: 471.

126- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص5.

127- المصدر نفسه، ج1، ص6.

– ثم انتقل بعدها لذِكر الإطار الزماني والمكاني للكتاب ومنهجه، وأشار في هذا السياق إلى اعتماده على النسق المغربي للحروف[128]، كما في قوله: "ولم أقتصر بِهِ على الابتِداء مِن حيثُ انتهى ابن بشكوال، بل تجاوَزْتُه وابن الفرضي، أتولى التَّقَصِّي وأتوخى الإِكمال، وربـــما أعدتُ مَنْ تَحَيَّفَا ذِكره، ولم يتعرّفا أمره، وإنْ خالفتهما في نسق الحروف"[129].

– وفي نهاية مقدّمته؛ استرسل في عرض مصادره التي اعتمدها في تحرير تراجمه، حيث ذَكَر ذلك في قوله: "فما كان في كتابي هذا عن أبي بكر أحمد بن محمد الرازي، فأخبرني به القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي جمرة مكاتبة... مِمَّا وجدته فِي تواليفهم، واستفدته من فهارسهم...فذلك بيده، هو حسبي ونعم الوكيل"[130].

❖ **وأما أبواب الحروف:**

أو متن الكتاب؛ فقد حوى 3607[131] أو 3610[132] ترجمة لمختلف فئات المجتمع الأندلسي، مِن فقهاء وقضاة، ومحدّثين وقرّاء، وأطباء، وكُتّاب، وزهّاد، ومَن عُرفوا بالخير والصلاح؛ إذ لم يقتصر ابن الأبار على فئة دون أخرى، ولم يختلف بذلك عن سابقيه، حيث اتصف بالشمولية في ذلك.

3-4/ منهج ابن الأبار (ت658هـ/1260م) في كتابه التكملة لكتاب الصلة:

أشار ابن الأبار صراحة في مقدمة مصنَّفه الماتع، إلى المنهج الذي رسمه وسار عليه في تدوين تراجم الكتاب، وذلك في قوله: "ولم أقتصر به على الابتِداء مِن حيث انتهى ابن بشكوال، بل تجاوَزْتُه وابن الفرضي، أتولى التَّقَصِّي وأتوخى الإِكمال، وربـــما أعدتُ مَنْ تَحَيَّفَا ذِكره، ولم يتعرّفا أمره، وإنْ خالفتهما في نسق الحروف، فَجَرْيًا على النهج المعروف"[133].

128– **حروف المشارقة هي:** ألف باء تاء ثاء جيم حاء خاء ثم تُسرد متماثلين متماثلين إلى كاف لام ميم نون هاء واو لام ألف ياء. بينما قدّم بعضُهم الواو على الهاء. **وأما المغاربة؛** فإنهم وافقوا المشارقة في حروفهم من أولها إلى الزاي، ثم قالوا طاء ظاء كاف لام ميم نون صاد ضاد عين غين فاء قاف سين شين هاء واو ياء. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص53.

129– ابن الأبار، التكملة، ج1، ص6.

130– المصدر نفسه، ج1، ص ص7–9.

131– أورد الهراس في تحقيقه لكتاب "التكملة"؛ 3607 ترجمة وزعها كما يلي: الجزء الأول: يحتوي 1320 ترجمة؛ الجزء الثاني: يحتوي 917 ترجمة؛ الجزء الثالث: يحتوي 633 ترجمة؛ الجزء الرابع: يحتوي 737 ترجمة.

132– أورد بشار عواد في تحقيقه للكتاب 3610 ترجمة، وجاءت متواصلة من الجزء الأول إلى الرابع.

133– ابن الأبار، التكملة، ج1، ص6.

3-4-1/تنظيم التراجم وترتيبها:

❖ لم يبدأ ابن الأبار مصنَّفه، بتدوين سِيَر وحياة علماء الأندلس، مِن بداية المرحلة الزمنية التالية لـــ "صلة" ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م)، على غرار ما قام به هذا الأخير مع كتاب ابن الفرضي (تـــ403هـــ/1013م) "تاريخ علماء الأندلس" مثلا.

وقد أعلن صراحة بأنه لم يقتصر فيه على الابتداء مِن حيث انتهى ابن بشكوال، بل وعاد إلى الحديث عن بداية الإسلام بالأندلس، وشَرَطَ أنْ لا يكرّر ما ذُكر جملةً، مما أورده ابن الفرضي وابن بشكوال؛ مِن أسماء وتراجم العلماء الواردة فيهما، مُتّخِذا مِن منهج ابن بشكوال مع ابن الفرضي، نموذجا له في ذلك؛ فقال: "وهو كتابٌ في فنّه خطير القيمة، ضروري الاستعمال، لا يستغني أهل الفقه عن التبلُّغ به، والنظر فيه والاحتجاج منه، وأغلاطه الواقعة له فيه قليلة، وقد نبّهتُ على أكثرها في كتابي هذا، واستدركتُ ما أغفَلَ وتَمَّمْتُ مَا نَقَص وجوّدتُ ما اقتضب، مِمَّا وقع إِليَّ وترجّح لدَيّ. ولذلك ما أعدتُ هُنَا جملة مِمَّا ذَكَرَ هُنَالك، مُؤْتَسِيًا بِفِعْلِهِ في أسماءٍ مِن كتاب ابن الفرضي"[134].

❖ التزم ابن بشكوال بشرطه الذي حدّه في كتابه "الصلة"، مِن حيث التزامه بعدم العودة للفترة السابقة له، واعتبر بأن ابن الفرضي استوفى الحديث فيها و لم يرجع إليها، لا مراجعا لها بغية استكمالها أو معقّبا عليها، بحيث لا تزيد عدد الحالات، التي ذَكر فيها ابن الفرضي في كتابه 10 مرات.

بينما بلغ عدد الحالات التي ذَكَرها ابن الأبار في "التكملة"، والتي تدخل ضمن الفترة الزمنية لكتاب "الصلة" لابن بشكوال؛ واعتبرها أخطاء وزلّات وقع فيها ابن بشكوال؛ 161 حالة[135]، مبرِّرا ذلك بأنه أراد التقصي وتوخي الإكمال[136]، بل إنّه اعتبر عمله في كتابه "التكملة"، إنما هو مِن باب الوفاء للعلم ولابن بشكوال، فقال: "فقد وفّيتُ ما اقتضاه الوفاء"[137].

❖ لما كان كتاب "التكملة" كاسْمِه تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال، الذي كان صلة لابن الفرضي، فإنّ ابن الأبار سار نهجهما واقتفى أثرهما، في خطتها في التنظيم والمنهج، عدا

134- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص249، في ترجمة ابن بشكوال رقم: 851.
135- يوسف أحمد بني ياسين، تعقبّات ابن الأبار، ص42، هامش: 78.
136- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص6.
137- المصدر نفسه، ج1، ص5.

اختلافات يسيرة في ترتيب الحروف، والتي نهج فيها ابن الفرضي وابن بشكوال النهج المشرقي، بينما اتبع ابن الأبار نهج الأندلسيين والمغاربة[138] في الحروف[139].

كما أنه جرّد كتابه هذا من الأدباء، إذ أفردهم بمؤلّف خاص، حيث أكّد ذلك بقوله: "وأفردتُ لكافة الأدباء، كتابا يلحق بهذا في الاكتفاء، إلا بعضا ممن دُوِّنَ كلامه، أو عُرف بمجالس العلم إلمامُه، وعلى مشاريع الخير حِيَامُه"[140].

❖ ابتدأ ابن الأبار تراجمه بحرف الألف، وانتهى بها إلى حرف الياء، حسب الأبجدية المغربية، فذكَر تحت كل حرف أسماء العلماء ورتّبهم حسب الحرف الأول من الاسم فقط. كما قسّم الأبواب الرئيسة-الحروف-إلى أبواب فرعية وهي الأسماء. ومثال ذلك؛ أنّه عقد تحت حرف الألف عدّة أبواب، بدأها بباب "أحمد"، ثم باب "إبراهيم"، ثم باب "إسماعيل" وهكذا في كل الحروف. إلا أنّ ما يُلاحَظُ عليه، أنه لم يراع في تقسيم الأبواب، العدد ولا الحرف ولا الألفبائية؛ والأمثلة في كتابه كثيرة[141].

❖ كما أنه وضع في آخر كل حرف؛ الأفراد من الأسماء، وذَكَر بعد كلّ حرفٍ بابا للكنى[142]، وآخر للغرباء[143].

❖ وأما منهجه في ترتيب الأبواب الفرعية-الأسماء-فإنه لم يلتزم فيها منهجا واضحا، حيث نجده يتبع حروف المعجم أحيانا، ويخالفه في أحايين كثيرة؛ والأمثلة في كتابه كثيرة.

❖ ومِن حيث ترتيب التراجم ضمن الاسم الواحد، فإنه لم يراع اسم الأب، بل رتّب الأسماء في كلّ حرف على حسب تقدّم سني وفياتهم؛ أي أنه رتبهم على حسب الأسبق فالأسبق. وكان إذا تعذّر عليه ذلك، اعتمد زمن الرواية عن الشيوخ؛ فمَن روى سنة 520هـ مثلا رتّبه بين مَن روى سنة 519هـ ومَن روى سنة 521هـ[144].

138- **حروف المغاربة**؛ وافقوا المشارقة في حروفهم من أولها إلى الزاي، ثم قالوا طاء ظاء كاف لام ميم نون صاد ضاد عين غين فاء قاف سين شين هاء واو ياء. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص53.

139- ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص ص29-30 من مقدمة التحقيق. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص ص35-36.

140- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص6.

141- يوسف أحمد بني ياسين وعصام مصطفى عقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة، ص16.

142- ومثال ذلك قوله: "ومن الكنى في هذا الباب (باب أحمد)"؛ ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص110.

143- ومثال ذلك قوله: "من الغرباء"؛ ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص147.

144- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، السفر الأول، ص209.

❖ وضع ابن الأبار في آخر الكتاب بابا للنساء، ترجَم فيه لـــ 76 من النساء، لم يراع في ترتيبهنّ حروف المعجم، وأوردهنّ بغير ترتيب. كما أنه لم يُراع في ذِكرهنّ شرط العلم والمعرفة؛ وهو ما عابه عليه كثير من المؤرخين. فقد ترجم للعابدات الزاهدات[145]، والجواري[146]، والمغنّيات[147]، والحِسان[148]، والشاعرات[149].

ومما يلاحَظُ على كتاب "التكملة لكتاب الصلة" كذلك، ارتفاع نسبة النساء والغرباء فيه، مقارنة بمن سبقوه. وربما يدلّ هذا التطور، على نشاط الحركية العلمية النسوية في الأندلس خلال تلك الفترة، ويفسّر الإقبال الكبير لأهل الطلب والعلم، على الرحلة إليهما خلال القرنين السادس والسابع الهجريين (ق6-7هـــ/12-13م)، بحكم الوحدة التي حققها المرابطون والموحدون[150].

3-4-2/البناء الداخلي للتراجم وعناصرها:

مِن خلال تصفّح التراجم الواردة في "التكملة"، فإننا نجدها لا تخرج أسلوبًا عن مسار سابِقَيْه ابن الفرضي وابن بشكوال، بل إنها تشمل العناصر نفسها وهي:

أ-اسم ونسب المترجَم له:

ابتدأ ابن الأبار تراجم كتابه بذِكْر اسم المترجَم له ثم اسم أبيه؛ ومثال ذلك قوله: "أحمد ابن سليمان"[151]. وفي بعض الأحيان يذكُر اسم المترجَم له واسم أبيه واسم جدّه؛ كقوله: "إبراهيم ابن محمد بن خليفة النفزي"[152].

وفي أحيان أخرى، كان ابن الأبار يرفع النسب إنْ توفّر له، كقوله: "أيوب بن محمد بن وهْب بن محمد بن وهْب بن محمد بن وهْب بن أيّوب بن وهْب بن بكر بن سهل بن أيّوب الجائز، مِن العدوة في الرعيل الأوّل، ابن إبراهيم بن ناجية بن داود بن أَوْد بن أُدَدْ بن عزمان بن

145- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص ص243-244، ترجمة: 675 إلى ترجمة: 678.
146- المصدر نفسه، ج4، ص ص239-240، ترجمة: 663 و664.
147- نفسه، ج4، ص241، ترجمة: 668، وص246، ترجمة: 682.
148- نفسه، ج4، ص ص240-241، ترجمة: 667، وص ص245-246، ترجمة: 681.
149- نفسه، ج4، ص240، ترجمة: 666.
150- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص36.
151- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص19، ترجمة: 30؛ والأمثلة في ذلك كثيرة عند الأبار.
152- المصدر نفسه، ج1، ص129، ترجمة: 390؛ والأمثلة في ذلك كثيرة عند الأبار.

داود بن معاذ بن نصر بن يارد الغافقي"[153]. وقد يكتفي في بعض الأحيان بالكنية فقط، ومثال ذلك قوله: " أبو بكر السلالجي"[154]، وقوله: "أبو بكر الزهري"[155].

ب-نسبة المترجَم له:

كان صاحب "التكملة"، يذكر نسبة المترجَم له بعد ذكر الاسم والنسب. وقد تختلف هاته النسبة، كأن تكون نسبة قبيلة كقوله: "الغساني"[156]، أو "التميمي"[157]، أو "القيسي"[158]، أو التغلبي"[159]، أو "القرشي الفهري"[160]. أو قد تكون نسبة ولاءٍ مثل قوله: "محمد بن زيد مولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم"[161]. وقد تكون نسبة عِلمٍ وصفةٍ أو صنعةٍ، كأن يقول: "محمد بن خطّاب الأزدي النحوي"[162]؛ والأمثلة في ذلك كثيرة عند ابن الأبار.

ت-مدينة المترجَم له:

عادة ما كان ابن الأبار، يورد مدينة المترجَم له في أغلب تراجمه. ومن الأمثلة الدالة على ذلك؛ قوله: "مِن أهل جيان"[163]، أو "من أهل قرطبة"[164]، أو "من أهل بلنسية"[165]، أو "من أهل إشبيلية"[166]. وفي أحايين أخرى، كان يدقّق في مدينة المترجَم له، ومِن ذلك ما جاء في ترجمة

153- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص166، ترجمة: 533؛ والأمثلة في ذلك كثيرة عند الأبار.
154- المصدر نفسه، ج1، ص178، ترجمة: 580.
155- نفسه، ج1، ص178، ترجمة: 581.
156- محمد بن عبد الخالق الغساني؛ ينظر: نفسه، ج1، ص287، ترجمة: 987.
157- أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطرف التميمي؛ ينظر: نفسه، ج1، ص104، ترجمة: 296.
158- غالب بن عبد الله بن أبي اليمن بن محمد بن عامل القيسي؛ ينظر: نفسه، ج4، ص49، ترجمة: 136.
159- أحمد بن خالد التغلبي؛ ينظر: نفسه، ج1، ص11، ترجمة: 01.
160- عبد الله بن الأشعث بن الوليد بن المسيب بن مدركة بن وهب بن عبد اللّه بن الجراح بن هلال بن وهب بن ضبة ابن الحارث بن فهر بن مالك القرشي الفهري؛ ينظر: نفسه، ج2، ص228، ترجمة: 631.
161- نفسه، ج1، ص291، ترجمة: 1006.
162- نفسه، ج1، ص303، ترجمة: 1055.
163- نفسه، ج1، ص23، ترجمة: 49.
164- نفسه، ج1، ص24، ترجمة: 51.
165- نفسه، ج1، ص80، ترجمة: 235.
166- نفسه، ج1، ص142، ترجمة: 433.

حسين بن عبد الرحمن بن أحمد بن يعقوب، حيث ذَكَر بأنه "مِن أهل لرية، ومِن قرية بني وزفر منها عمل بلنسية"[167]؛ على أن الأمثلة في "التكملة" كثيرة، ويمكن الرجوع إليها.

ث-الكنية واسم الشهرة:

درج ابن الأبار في كتابه "التكملة" على ذِكر كنية واسم الشهرة للمترجَم له، وذلك في أغلب تراجمه؛ ومِن أمثلة ذلك قوله: "يُعرف بابن الزبديلة، ويكنى أبا العاص"[168]، وقوله أيضا: "يعرف بابن المالقي، ويكنى أبا إسحاق"[169].

كما أنه كان يُورد أكثر مِن كنية واسم شهرة للمترجَم له، كقوله: "يكنى أبا زيد، وأبا القاسم، وأبا الحسن"[170]، وقوله: "يعرف بابن صاحب الصلاة، وبابن الحاج، ويكنى أبا عبد الله"[171]. وفي بعض الأحيان، كان يفسّر حتى سبب هاته التسميات، كقوله: "يعرف بالقراق، وبالخزاز لأنه كان يبيع القرق"[172]؛ وهناك أمثلة أخرى كثيرة في كتاب "التكملة".

ج-شيوخ المترجَم له ورحلته:

كان ابن الأبار يورد شيوخ المترجَم له، مقرونين بالعلوم التي برعوا فيها؛ ومن الأمثلة على ذلك، قوله: "أخذ الآداب عن أبيه محمد، والعربية عن أبي عبد الله بن أبي العافية، وتفقّه بأبي القاسم الربحاني"[173].

كما كان يذكُر في أحايين أخرى، الكتب التي سمعها أو قرأها على شيوخه، كقوله: "وكتب عنه برنامجه"[174]، وقوله أيضا: "فسمع منه صحيح مسلم"[175]؛ والأمثلة كذلك، في هذا الصدد كثيرة في كتاب ابن الأبار.

وفي مواضع أخرى، كان يكتفي بذِكر عبارات تدلّ على الأخذ عن الشيوخ كقوله: "تردّد على الفقهاء، وسمع منهم، وروى عنهم"، وقوله: "اختلف إلى الفقهاء وأخذ عنهم"، وقوله:

167- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص233، ترجمة: 740.
168- المصدر نفسه، ج1، ص227، ترجمة: 753.
169- نفسه، ج1، ص133، ترجمة: 399.
170- نفسه، ج3، ص 32، ترجمة: 89.
171- نفسه، ج2، ص99، ترجمة: 266.
172- نفسه، ج3، ص52، ترجمة: 127.
173- نفسه، ج2، ص4، ترجمة: 03.
174- نفسه، ج2، ص8، ترجمة: 12.
175- نفسه، ج2، ص141، ترجمة: 365.

"جماعة سواهم يَكثُر عددهم، وأجاز له لفظا آخرون يطول سردهم"، وقد أسهب في ذلك كثيرا[176].

كما أنه، كان يورد الرحلة العلمية لبعض المترجَمين، إلا أنه ذَكر في بعضها رحلة المترجَم له مفصّلة، وفي أخرى مختصرة، تماشيا والمادة المتاحة في ذلك. ومِن أمثلة ذلك–وهي كثيرة–قوله: "أحمد بن محمّد بن مفرج النباتي، من أهل إشبيلية، يكنى أبا العباس، ويعرف بابن الرومية...وتجوّل في طلب العلم وسماع الحديث، وجاز البحر بعد الثمانين وخمسمائة للقاء ابن عبيد اللّه بسبتة...ورحل حاجا فأدى الفرِيضة سمِع بِبغداد والموصل ودمشق"[177].

ح-المؤهلات العلمية للمترجَم له:

عمد ابن الأبار إلى ذِكر المؤهلات العلمية للمترجَمين في بعض التراجم، إذْ كان يوردها بعبارات مختلفة–والأمثلة عليها كثيرة في كتابه–ومنها: "وكان بصيرا بصناعة الحديث، حافظا لأسماء رواته مثقفا"[178]؛ وقوله أيضا: "وكان مِن أحفظ أهل زمانه للغات العرب، وأعلمهم بها"[179]؛ وقوله أيضا: "وكان مِن أهل المعرفة بالعربية والقراءات، حافظا لها مُقرئا بها، وكان يُلقّب أَرُون النحو، وكان له حظ وافر من الأدب"[180].

ح-وظيفة المترجَم له ومهنته:

درَج ابن الأبار في غالب تراجمه، على ذِكر وظائف المترجَمين، وذلك تبعا لشخصية كل مترجَمٍ، وللمادة المتوفرة حوله. ومن أمثلة ذلك–على كثرتها–قوله: "وولي الصلاة والخطبة بجامع لوشة"[181]؛ وقوله: "وولي صلاة الفريضة والخطبة"[182]؛ وقوله: "وولي خطة السوق ببلده"[183].

كما كان في بعض الأحيان، يعرّج على ذِكر الأوصاف الخُلُقية للمترجَم، ومنها قوله: "وكان موصوفا بالصلاح، والهدي الحسن"[184]. وكان يذكر كذلك؛ الصفات الخَلقية، كقوله:

176- الأمثلة في كتب "التكملة" كثيرة ولا يسع المقام لذكرها كلها.
177- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص107، ترجمة: 304.
178- المصدر نفسه، ج2، ص141، ترجمة: 366.
179- نفسه، ج3، ص46، ترجمة: 115.
180- نفسه، ج3، ص47، ترجمة: 116.
181- نفسه، ج1، ص 101، ترجمة: 289.
182- نفسه، ج2، ص5، ترجمة: 6.
183- نفسه، ج2، ص139، ترجمة: 363.
184- نفسه، ج2، ص142، ترجمة: 367.

"الحسين بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن فتوح الأنصاري الضرير...وكان حَسَن الإلقاء والآداء، معروفا بالتحقيق والتجويد، مشاركا في الفنون، آية من آيات الله تعالى في الفطنة والحدس، على عَمى بصره"[185].

د-مؤلفات وتلاميذ المترجَم له:

كثيرا ما كان ابن الأبار يعدّد مؤلَّفات المترجَمين إنْ وُجدت، ومثال ذلك قوله في ترجمة ابن بشكوال: "وألّف خمسين تأليفا في أنواع مختلفة أجلّها كتابة الصلة...ومن تواليفه أيضا: كتاب الغوامض والمبهمات...وكتاب الفوائد المنتحبة والحكايات المستغربة...وكتاب المحاسن والفضائل في معرفة العلماء الأفاضل...إلى غير ذلك من مؤلفاته"[186]؛ والأمثلة في هذا الصدد كثيرة عند الأبار.

وأما تلاميذ المترجَم لهم؛ فإن كان يقتصر على ذِكْر المشهورين منهم، وفي بعض التراجم كان لا يوردهم بالكلّية، بل يشير إلى جماعة أخذت عنه، كقوله: "فسمع منه الناس وتنافسوا في الأخذ عنه"[187]، وقوله: "وقد أخذ عنه بعض أصحابنا"[188]؛ والأمثلة في ذلك كثيرة عند ابن الأبار.

ذ-مولد ووفاة المترجَم له:

حرص ابن الأبار في الكثير من تراجمه، على إيراد مولد ووفاة المترجَم لهم، وذلك تبعا لتوفر المادة. حيث كان لا يقتصر على ذِكر تاريخ المولد والوفاة فحسب، بل يُتبعهما أحيانا بذِكر المكان والساعة والشّهر، إن توفّر له ذلك.

ومن أمثلة ذلك قوله: "وتوفي في آخر المحرم سنة 502هـ"[189]، وقوله أيضا: "وتوفي بعد الظهر من يوم الخميس، لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة 437هـ، وهو محبوس مع أخيه القاضي محمد بن إسماعيل بربض حصن منتشون، ودُفن بسرقسطة يوم السبت صلاة الظهر لليلتين بقيتا من ربيع الأول المذكور"[190].

185- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص223، ترجمة: 742.
186- المصدر نفسه، ج1، ص ص248-250، ترجمة: 851.
187- نفسه، ج1، ص102، ترجمة: 292.
188- نفسه، ج2، ص143، ترجمة: 370.
189- نفسه، ج3، ص50، ترجمة: 124.
190- نفسه، ج3، ص69، ترجمة: 166.

وقد كان يذكُر سبب الوفاة في بعض الأحيان، كقوله: "وأَسَرَتْهُ الروم في البحر، وامتُحن بالتعذيب، وتوفي على إثر ذلك بميورقة في سنة ثلاث وأربعين وستمائة"[191].

كما كان، يذكر دائما تاريخ المولد والوفاة في آخر التراجم، كقوله بعد الفراغ مِن ترجمة أحمد بن محمد ابن عمر بن محمد بن واجب القيسي، البلنسي: "...ومولده في شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة"[192]؛ والأمثلة في هذا كثيرة عند ابن الأبار، في تراجم كتابه "التكملة"[193].

ر-تراجم الكتاب بين الطول والقِصر:

ذَكر ابن الأبار في كتابه "التكملة لكتاب الصلة" 3610 ترجمة، وكانت تختلف عن بعضها تبعا لعدد العناصر التي أوردها في كل ترجمة. فمنها ما يذكُر فيها كل العناصر التي أوردناها سابقا (الاسم، الكنية، النسب، المدينة، الوظيفة، اسم الشهرة، الشيوخ، الرحلة، المؤهلات العلمية، المؤلفات، التلاميذ، المولد، الوفاة)، ومنها ما كان يذكُر فيها بعض هاته العناصر، وذلك لعدّة اعتبارات أهمها: شخصية المترجَم له، وتوفر المادة العلمية لدى ابن الأبار. وعليه؛ تكون تراجم كتاب "التكملة لكتاب الصلة"، قد تراوحت بين الطول والقصر، تبعا لشخصية المترجَم له[194].

3-4-3/ منهج ابن الأبار في التعقّب على المصادر السابقة له:

لا ينبغي أنْ نُهمل بعض الملاحظات المهمة، في منهج ابن الأبار في "التكملة"، ومنها تعقّباته على المصادر السابقة له، والتي نوجزها فيما يلي:

– أنه قضى أكثر مِن عشرين حولا في تأليف "التكملة"، بين تدوين وتصحيح ومراجعة، حتى يكون عمله كاملا، وخشية أن يُستدرَك عليه ويُجوّد مِن بعده[195]، وهو ما نصّ عليه صراحة في كتابه حين ترجمته لعبد الله بن محمد المطماطي حيث قال: "وإنما ذكرتُه في هذا الباب لئلا يقع

191- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص109، ترجمة: 307.

192- المصدر نفسه، ج1، ص ص107-108، ترجمة: 305.

193- ما أوردناه في هاته الجزئية (البناء الداخلي للتراجم وعناصرها) من أمثلة، ما هو في الحقيقة إلا المعالم الكبرى لعناصر الترجمة لدى ابن الأبار، والأمثلة في ذلك كثيرة جدا، خاصة وأن كتابه يحتوي على 3610 ترجمة، تختلف كل ترجمة عن الأخرى من ناحية عناصرها. وللوقوف والاستزادة على ذلك، يكفي الباحث أو القارئ الرجوع إلى تراجم الكتاب، للوقوف عليها عن كثب، إذْ لا يسع المقام هاهنا لإيرادها كلّية.

194- هذا الأمر يصبح أكثر وضوحا، عند تصفّح تراجم كتاب "التكملة لكتاب الصلة".

195- يوسف أحمد بني ياسين، تعقّبات ابن الأبار، ص39.

لمن لا يتأمّل حاله، فيتسرّع إلى استدراكه عليَّ بكونه أندلسيا"[196]. وبذلك، كان حريصا في أسلوبه ومنهجه على التجويد والدقّة في التراجم، حتى لا يستَدرَك عليه.

– اتّسمت شخصية ابن الأبار بالصراحة والجرأة، والتي ارتسمت بوضوح في متن كتابه، اعتزازا منه بعمله مِن ناحية، إذْ كَثُرت عبارات التصويب لعملِه بقوله: "والصواب ما بيَّنتْ"[197]؛ ثم التخطئة لأعمال الآخرين مِن ناحية ثانية، حيث لم يَسلَم أحد في مصادره مِن عبارات التخطئة والاستدراك.

وقد أَقْدَم في هذا الإطار، على إعادة الكثير مِنْ تراجم كتاب ابن الفرضي (ت403هـ/1013م) "تاريخ علماء الأندلس"، مُعلّلا ذلك بقوله: "وقد أعدتُ ذكره في هذا الكتاب، لزيادة عليه"[198]، أو أعاده لغايةِ رفْع الاشتباه الذي وقع فيه ابن الفرضي[199]، أو بسبب الإغفال التام مِن قِبَلِه[200].

– كما أنّ ابن الفرضي لم يَلْقَ المصير نفسه لوحده مع ابن الأبار، حيث إنّ هذا الأخير فعل ذلك مع علماء آخرين، كالقاضي عياض (ت544هـ/1149م) صاحب "المدارك"، عندما اعتمده في بعض المواضع، علّق عليه قائلا: "لم يستوف خَبَره"[201]. وكذلك صنع مع الحميدي (ت488هـ/1094م) في "جذوة المقتبس"، حيث علّق عليه بقوله: "ذَكَره وغلط فيه"[202]. وكان هذا دأب ابن الأبار مع كثير ممن سبقه من أصحاب المصادر التي اعتمدها، فأكثر من استخدام كلمة "وغلط فيه"[203].

– هذا، ولم يتحرّج ابن الأبار مِن الاعتراف بالتقصير أو عدم المعرفة التي كانت تصادفه أحيانا بقوله: "لا أعرفه"[204]، أو "لا أعرف موضعه"[205]، أو "لا أدري[206]. كما أنه في حالة

196– ابن الأبار، التكملة، ج2، ص229، ترجمة: 632.
197– المصدر نفسه، ج1، ص185، ترجمة: 611. وهاته على سبيل المثال فقط، والأمثلة في كتابه متعددة.
198– نفسه، ج1، ص77، ترجمة: 225. والأمثلة في كتابه متعددة.
199– نفسه، ج3، ص173، ترجمة: 429. والأمثلة في كتابه متعددة.
200– نفسه، ج2، ص217، ترجمة: 601. والأمثلة في كتابه متعددة.
201– نفسه، ج4، ص154، ترجمة: 448. والأمثلة في كتابه متعددة.
202– نفسه، ج3، ص68، ترجمة: 160. والأمثلة في كتابه متعددة.
203– نفسه، ج2، ص252، ترجمة: 724. والأمثلة في كتابه متعددة.
204– نفسه، ج3، ص71، ترجمة: 170. والأمثلة في كتابه متعددة.
205– نفسه، ج3، ص153، ترجمة: 385. والأمثلة في كتابه متعددة.
206– نفسه، ج2، ص257، ترجمة: 744. والأمثلة في كتابه متعددة.

التيقّن من الشيء، كان يؤكّد على ذلك بقوله: "أحسب...وفيما أحسب"[207]، وقوله: "وفيه عندي نَظَرٌ"[208]. كما أنه كان إذا عجز عن إتمام المعلومات المتعلقة بأحد المترجَمين، يقول: "لم أَقِفْ على أسماء شيوخه"[209].

وبذلك، يكون ابن الأبار بهاته المبادئ التي حدّها في تأليفه، قد بلغ رتبة عالية من الموضوعية والإنصاف، سواء مع نفسه أو مع غيره[210].

– أورد ابن الأبار هنّات كتاب "الصلة" لابن بشكوال، كما فعل مع غيره من الكتب الأخرى، حيث قال: "وقد نبّهت على أكثرها في كتابي هذا"[211]. حيث أَكْثَر من التنبيه إليها باستخدام كلمات الاستدراك والتتميم والتجويد، كما في قوله: "واستدركتُ ما أغفل وتممتُ وجودتُ ما اقتضب، مما وقع إلـــيَّ وترجح لديّ"[212].

– اطّلع ابن الأبار على نسخ عديدة من كتاب "الصلة" لابن بشكوال، التي كانت في الأندلس (وبخاصة بلنسية وقرطبة)، كما أنه اطّلع على نسخ أخرى أوفى وأتمّ، كانت في مدينة تونس، واتّخذ من نسخ "الصلة" الأندلسية أصلا اعتمده، فما ورد بها من أسماء العلماء الأندلسيين ترك ذِكره في كتابه، و لم يقم بإعادة ذِكره مرة أخرى، وما لم يَرِد في النسخ الأندلسية، أعاد ذِكرَه في كتابه "التكملة" مرة أخرى[213].

وبذلك، يكون ابن الأبار قد أعاد ذِكر العديد من تراجم العلماء في "التكملة" الواردة أصلا في كتاب "الصلة" لابن بشكوال، وذلك لعدم وجودها في نسخته التي اعتمدها غداة تأليف "التكملة".

– لم يتعامل ابن الأبار مع الزيادة (الملحق) التي وضعها ابن بشكوال في نهاية كتاب "الصلة"، والتي هي جزء من متن الكتاب، بل اعتبرها خارجة عنه، بالرّغم من أنه اطّلع عليها واعتمد

207– ابن الأبار، التكملة، ج3، ص141، ترجمة: 346. والأمثلة في كتابه متعددة.

208– المصدر نفسه، ج4، ص38، ترجمة: 110. والأمثلة في كتابه متعددة.

209– نفسه، ج3، ص43، ترجمة: 104. والأمثلة في كتابه متعددة.

210– يوسف أحمد بني ياسين، تعقّبات ابن الأبار، ص41.

211– ابن الأبار، التكملة، ج1، ص249، ترجمة: 851.

212– المصدر نفسه، ج1، ص249، ترجمة: 851.

213– للاستزادة أكثر؛ ينظر الأمثلة الكثيرة التي ذَكرها بني ياسين في دراسته عن ابن الأبار. ينظر: يوسف أحمد بني ياسين، تعقّبات ابن الأبار، ص ص43-44.

محتوياتها. إلا أنّه أعاد في التكملة ذِكر بعض ما ورد فيها، مخالفا بذلك ما شرطه على نفسه في البداية[214].

– ذَكر ابن الأبار في "التكملة" العديد من التراجم التي أغفلها ابن بشكوال، والتي تقع زمنيا ضمن فترة كتابه "الصلة"، إذْ كان ينبغي عليه ذِكرها، ولكنه غفل عنها أو تغافل، فقام ابن الأبار بالترجمة لها، معلقا عليها بقوله: "أغلفه ابن بشكول"[215].

ومن أمثلة ذلك، أن ابن بشكوال لم يَذكُر في كتابه "الصلة" شيوخه الذين نَهل منهم، إذْ خصص لحياتهم كتابا مستقلا هو "معجم مشيخة ابن بشكوال"، إلا أنّ ابن الأبار عدّ ذلك من موجبات الاستدراك عليه، وأقدم على الترجمة للعديد منهم في "التكملة"؛ وأمثلة ذلك كثيرة فيمن استدركهم ابن الأبار[216].

– أعاد ابن الأبار ذِكر العديد مِن تراجم العلماء الواردة في كتاب "الصلة"، بداعي نقص المعلومات التي أوردها ابن بشكوال حولها. فهي كما ذَكر ناقصة، وغير مستوفية لجوانب عديدة مِن حياة أولئك العلماء. لذلك أعاد ذِكرهم في "التكملة" مع إضافة معلومات جديدة، فاستدرك مثلا تاريخ الوفاة، أو النّسب، أو المؤلفات، أو الشيوخ؛ هاته الإضافات كان ابن الأبار قد حصّلها من مصادر أخرى، وأضافها إلى تلك التراجم[217].

وعليه يتّضح أن هاته الاستدراكات التي قام بها ابن الأبار على ابن بشكوال في "الصلة"، كان سببها ما يلي:

– سوء تنظيم وترتيب ابن بشكوال لكتابه، وعدم مراجعته له بعدما أضاف له العديد من التراجم الجديدة، خاصة تلك التي أثبتها في الملحق.

– عدم استيفاء ابن بشكوال ذِكر العلماء الأندلسيين، ضمن الفترة المخصصة لكتابه، وقد كان بعض هذا الإغفال مقصودا، والآخر غير مقصود.

– عدم استيفاء ابن بشكوال المعلومات المتعلقة بتراجم العلماء الذي ترجَم لهم، وكذا الاختصار الواضع في ترجمته لبعضهم.

214– للاستزادة أكثر؛ ينظر: يوسف أحمد بني ياسين، تعقّبات ابن الأبار، ص44.

215– ابن الأبار، التكملة، ج1، ص41، ترجمة: 120.

216– للاستزادة أكثر؛ ينظر: يوسف أحمد بني ياسين، تعقّبات ابن الأبار، ص ص45–46.

217– للاستزادة أكثر؛ ينظر: المرجع نفسه، ص ص47–48.

– لم يُفرد ابن بشكوال تراجم مستقلة لبعض العلماء الذين ذَكرهم بين طيّي كتابه "الصلة". وعليه؛ كانت هاته أهم تعقّبات ابن الأبار في "التكملة" على كتاب "الصلة" لابن بشكوال[218].

3-5/ مصادر ابن الأبار (ت658هـ/1260م) في كتابه التكملة لكتاب الصلة:

أشار ابن الأبار إلى المصادر التي اعتمدها في تحرير مادة كتابه، في مقدمة سِفره النفيس. حيث سرَد منها أزيد من عِشرين مصدرا، أغلبها مصادرٌ في التراجم، وفهارس العلماء وبرامجهم؛ عَرَضَها مع أسانيدها في روايتها، إلا أنّ معظمها مفقود. وتؤكد المصادر التي اعتمدها وذَكرها في كتابه–على كثرتها–سعة اطّلاعه في مجال التراجم[219].

وعن مصادره التي اعتمدها، يقول ابن الأبار: "والذين استضأت بشعاعهم، واستملَيْتُ مِن أوضاعه، أتيتُ بالأسانيد إليهم بدءا، ورأيتُ أنِ أضع مِنْ عناء تكرارها عبئا، وكثير ممن أفاد القليل، قد أحذفهم لئلا أُطيل، فما كان في كتابي هذا..."[220].

ومن خلال ما ورد في مقدمة "التكملة" لابن الأبار، وكذا تراجم أو متن الكتاب، فإنه يمكننا القول بأنّ المصادر التي اعتمدها ابن الأبار في كتابه هذا، كثيرة ومتنوعة، ويمكننا تصنيفها إلى مصادر مكتوبة، ومصادر المعاينة والمشاهدة، والمصادر الشفوية؛ وفيما يلي بيان ذلك:

أ-المصادر المكتوبة:

تعدّدت مصادر ابن الأبار كثرة وتنوّعا، حيث ذَكَر في مقدمة كتابه أصحاب المصادر التي أكثر عنها، ومنها المكتوبة وهم:

– أبو بكر أحمد بن محمد الرازي (تـــ344هـــ/955م)[221].

– أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان[222].

218– للاستزادة أكثر؛ ينظر: يوسف أحمد بني ياسين، تعقّبات ابن الأبار، ص ص41–54.

219– بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص36.

220– ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص7–9.

221– تقدمت ترجمته في ص ص92–98 من الفصل الأول؛ ذكره ابن الأبار في التكملة، ج1، ص7 وصفحات أخرى.

222– ذكره ابن الأبار في التكملة، ج1، ص7 وصفحات أخرى كثيرة. وهو **أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان: (تـــ355هـــ/966م):** ابن القُرطي، ويقال له ابن شعبان، مِن نسل عمار ابن ياسر رضي الله عنه، وهو رأس الفقهاء المالكيين بمصر في وقته، كان متفننا في التاريخ والأدب، كثير الذمّ لبني عبيد؛ توفي وقت دخولهم إلى مصر عن نيف وثمانين سنة. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص335.

- أبو بكر الزبيدي (تـــ379هـــ/989م)[223]، صاحب "طبقات النحويين واللغويين"[224].
- أبو بكر بن عُزير الذي ذيّل على طبقات الزبيدي[225].
- أبو عبد الله بن عبد السلام الطليطلي المعروف بابن شُقَّ اللَّيل[226].
- أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله بن أبي مضر التميمي الطبني[227].
- القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي[228]، صاحب كتاب "طبقات الأمم"[229].
- أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد الغرناطي المعروف بابن الباذَش[230].
- القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (تـــ544هـــ/1149م)[231].
- أبو القاسم محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالقنطري (تـــ561هـــ/1165م)[232].

223- تقدّمت ترجمته في الفصل الثاني من الأطروحة، ص155.

224- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص7 وصفحات أخرى.

225- ذكره ابن الأبار في التكملة، ج1، ص7 وصفحات أخرى.

226- ذكره ابن الأبار في التكملة، ج1، ص7 وصفحات أخرى كثيرة. **وابن شُقَّ الليل:** الإمام الحافظ المجود الرحال، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبد السلام الأنصاري الطليطلي، المعروف بابن شق الليل؛ ولد في حدود سنة 380هـــ/990م. كان فقيها إماما متكلما، عارفا بمذهب مالك، حافظا متقنا، بصيرا بالرجال والعلل، نحويا، شاعرا مُجيدا، لغويا، ديّنا، فاضلا، كثير التصانيف؛ توفي بمدينة طلبيرة في نصف شعبان 455هـــ/ منتصف أوت 1063م، وله بضع وسبعون سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص ص129-130، ترجمة: 67.

227- ذكره ابن الأبار في التكملة، ج1، ص7 وصفحات أخرى كثيرة؛ **والطُّبْني (396-457هـــ/1006-1065م):** عبد الملك بن زيادة الله بن أبي مضر التميمي الحماني، أبو مروان الطبني، عالم باللغة والحديث وشاعر، أصله من طبنة بالأندلس، وهومن أهل قرطبة، وبها قُتل من طرف جواريه لتقتيره عليهنّ، إذ كان يوصف بالبخل المفرط. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص ص158-159.

228- **صاعِد الأَنْدَلُسي (420-462هـــ/1029-1070م):** صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد، الأندلسي التغلبي، أبو القاسم، مؤرخ بحاث أصله من قرطبة، ومولده في المرية؛ ولي القضاء في طليطلة إلى أن توفي. مِن مؤلفاته: طبقات الأمم. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص186.

229- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص7 وصفحات أخرى.

230- ذكره ابن الأبار في التكملة، ج1، ص8 وصفحات أخرى كثيرة؛ **وابن البَاذِش (491-540هـــ/1098-1145م):** أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر المعروف بابن الباذَش، عالم بالقراءات أديب؛ كان خطيب غرناطة. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص173.

231- تقدم التعريف به في الهامش: 424 من الفصل الثاني؛ ذكره ابن الأبار في التكملة، ج1، ص8 وصفحات كثيرة

232- تقدم التعريف به في ص396 من الفصل الرابع؛ ذكره ابن الأبار في التكملة، ج1، ص8 وصفحات كثيرة.

- أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر[233]، صاحب "تاريخ دمشق"[234].

- أبو عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عياد (تـــ575هـــ/1179م)[235].

- أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي المعروف بابن نقطة[236]، صاحب "إكمال الإكمال"، الذي نقل مِن تأليفه "المؤتلف والمختلف"[237].

- ثم مؤلفات أبي سعيد بن يونس المصري (تـــ347هـــ/958م)[238]، وأبي عمر بن عبد البر (تـــ463هـــ/1017م)[239]، وأبو عبد الملك بن عبد البر (تـــ338هـــ/950م)[240]، وأبو بكر القبّشي (توفي بعد 430هـــ/بعد 1038م)[241] صاحب كتاب "الاحتفال"، والصاحبان[242]، وابن عفيف (تـــ420هـــ/1029م)[243]، وابن حيان (ت469هـــ/1076م)[244]، والخولاني، والحميدي

233- **ابن عَسَاكِر (499-571هـــ/1105-1176م):** علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم ثقة الدين، ابن عساكر الدمشقي، المؤرخ الحافظ الرحالة، محدث الديار الشامية؛ مولده ووفاته في دمشق. له: تاريخ دمشق الكبير المعروف بتاريخ ابن عساكر. ينظر: الزركلي، الأعلام، 4، ص273.

234- ابن الأبار في التكملة، ج1، ص8 وصفحات أخرى كثيرة.

235- تقدم التعريف به في ص397 من الفصل الرابع؛ ذكره ابن الأبار في التكملة، ج1، ص8 وصفحات أخرى كثيرة.

236- **ابن نُقْطَة (579-629هـــ/1183-1231م):** محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي، عالم بالأنساب، حافظ للحديث. سئل عن "نقطة" التي ينسب إليها، فقال: هي جارية ربت جدّ أبي. له تصانيف منها: ذيل على الإكمال لابن ماكولا. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص211.

237- ابن الأبار في التكملة، ج1، ص8 وصفحات أخرى كثيرة.

238- ابن يونس عبد الرحمن بن أحمد المصري، وقد تقدم التعريف به في الهامش: 134 من الفصل التمهيدي.

239- تقدمت ترجمته في الهامش 173 الفصل الثالث.

240- تقدّم التعريف به في الفصل الثاني من الأطروحة، ص187.

241- تقدّمت ترجمته في الهامش 10 إلى 14 من الفصل الرابع.

242- **الصاحبان هما:** هما الحافظان الإمامان الرفيقان؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة بن ميمون، وابن شنظير إبراهيم بن محمد بن حسين (تـــ402هـــ/1012م) وقد تقدمت ترجمته في الهامش: 409 من الفصل الرابع. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص150. وأما أبو جعفر؛ **فهو أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة بن ميمون:** الأموي مولاهم الطليطلي، كان من أهل العلم والفهم، حافظا للفقه، راوية للحديث، دقيق الذهن في جميع العلوم، ذا أخلاق وآداب مع الزهد والفضل، والورع، مقبلا على طريق الآخرة؛ توفي في شعبان سنة 400هـــ/مارس 1010م بطليطلة كهلا؛ وصلى عليه صاحبه ابن شنظير. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص150.

243- تقدمت ترجمته في ص315 من الفصل الرابع.

244- تقدمت ترجمته في الهامش: 422 من الفصل الرابع.

(تـــ488هـــ/1094م)[245]، إضافة إلى ابن الفرضي (ت403هـــ/1013م)[246]، وابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م)[247] صاحب "الصلة"[248].

هذا؛ واعتمد ابن الأبار على مصادر أخرى لم يذكرها في مقدمة الكتاب خشية الإطالة، إلا أنّه نبّه إليها باختصار شديد، فقال: "وكثير ممن أفاد القليل، قد أحذفهم لئلا أُطيل"[249].

ورغم ذلك، فإنّ مُعتمَدَه في تحرير تراجم كتابه "الصلة"، قائمةَ كتبٍ طويلة وثرية جدا، أحصاها بشار عواد في تحقيقه لكتاب "التكملة"، وبذل في ذلك جهدا كبيرا. وقد أثبتها في الجزء الرابع من تحقيق كتاب "التكملة" في فهرس خاص وسمه بـــ: "فهرس الكتب الواردة في المتن"، وقد حوى هذا الفهرس كل المصادر التي اعتمدها ابن الأبار؛ سواء مِن كتب التاريخ، الحديث، الشعر، البرامج والفهارس، التراجم، الطبقات، المعاجم، المشيخات، وغيرها من المصادر[250].

❖ ومن بين المصادر التي اعتمدها ابن الأبار، وجاء ذِكرها في هذا الفهرس؛ نذكُر[251]:

- "اقتباس الأنوار" للرُّشَاطي[252].
- "الإلماع" للقاضي عياض (تـــ544هـــ/1149م)[253].
- "الأمالي" لأبي علي القالي المشرقي (ت356هـــ/967م)[254].

245- تقدمت ترجمته في ص342 من الفصل الرابع.

246- تقدمت ترجمته والتعريف به في المبحث الأول من الفصل الثالث ابتداء من ص210.

247- تقدمت ترجمته والتعريف به في الفصل الرابع، ابتداء من ص352. ابن الأبار في التكملة، ج1، ص ص8-9 وصفحات أخرى كثيرة.

248- ابن الأبار في التكملة، ج1، ص ص8-9 وصفحات أخرى كثيرة.

249- المصدر نفسه، ج1، ص7.

250- ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج4، ص ص289-342.

251- المصدر نفسه، ج4، ص ص289-342.

252- **الرُّشَاطي (466-542هـــ/1074-1147م):** عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الأندلسي، أبو محمد المعروف بالرشاطي؛ عالم بالأنساب والحديث من أهل أوريولة؛ وسكن المرية وتعلم بها. مِن كتبه: اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار؛ استشهد بالمرية عند تغلب الروم عليها. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص107، ترجمة: 352. الزركلي، الأعلام، ج4، ص105.

253- تقدم التعريف به في الهامش: 424 من الفصل الثاني.

254- تقدمت ترجمته في الهامش: 164 من الفصل الأول.

- "بداية الهداية" لأبي حامد الغزالي[255].

❖ كما استفاد ابن الأبار مِن كُتب البرامج والفهارس ومنها[256]:

- برنامج ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م)[257].
- برنامج أبو بكر بن العربي (543هـــ/1148م)[258].
- برنامج ابن خير الإشبيلي (تـــ575هـــ/1179م)[259].

❖ واعتمد أيضا على كتب التراجم والطبقات[260]، والمعاجم والمشيخات[261]، والتي كان لها حضور مهم ضمن مادة كتابه؛ ومنها على سبيل المثال:

- مشيخة أبي عبد الله التجيبي[262].
- معجم شيوخ ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م).
- معجم شيوخ أبي الربيع الكلاعي (تـــ634هـــ/1234م)[263].
- طبقات الأطباء لابن جلجل (توفي بعد 377هـــ/بعد 987م)[264].

255- **أبو حامد الغَزالي (450-505هـــ/1058-1111م):** محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد حجة الإسلام، فيلسوف متصوف له نحو 200 مصنف؛ مولده ووفاته بخراسان. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد والحجاز والشام ومصر، وعاد إلى بلدته؛ مِن كتبه: إحياء علوم الدين. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج6، ص220. ابن العماد، شذرات الذهب، ج9، ص ص283-284. الزركلي، الأعلام، ج7، ص22.

256- لمعرفة أهم البرامج والفهارس التي اعتمدها ابن الأبار في التكملة، ينظر: ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج4، ص ص296-299.

257- تقدمت ترجمته والتعريف به في الفصل الرابع، ابتداء من ص352.

258- تقدمت ترجمته في الهامش: 200 من الفصل الرابع.

259- تقدمت ترجمته في الهامش: 111 من الفصل الرابع.

260- لمعرفة أهم كتب الطبقات والتراجم التي اعتمدها ابن الأبار في التكملة، ينظر: ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج4، ص319.

261- لمعرفة أهم كتب المعاجم والمشيخات التي اعتمدها ابن الأبار في التكملة، ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص ص332-334.

262- **التُّجِيبي (540-610هـــ/1145-1213م):** محمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي المرسي نزيل تلمسان، أبو عبد الله، من علماء التراجم؛ مولده في لقنت من عمل مرسية، نشأ بأوريولة، ورحل إلى المشرق رحلة واسعة، وعاد فاستقر في تلمسان إلى أن توفي بها. من كتبه: معجم في تراجم شيوخه. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص191.

263- تقدمت ترجمته في الهامش: 33 من هذا الفصل.

264- تقدمت ترجمته في الصفحة 161 والهامش: 195 من الفصل الثاني.

- طبقات الفقهاء لأبي الوليد الدباغ (تـــ546هـــ/1151م)[265].

- طبقات القراء والمقرئين لأبي عمرو الداني (تـــ444هـــ/ 1053م)[266].

❖ ثم إنّ المتصفّح لكتاب "التكملة"، يدرك جيدا أن الإجازات كانت أيضا رافدا مهما من روافد ابن الأبار، حيث استفاد منها في ذِكر أسماء شيوخ المترجَم له؛ والأمثلة في ذلك كثيرة، ومنها قوله: "ووقفت على إجازته لبعض أصحابنا، ومنها نقلتُ أسماء شيوخه"[267]، وقوله أيضا: "وقفتُ على إجازته لبعض تلاميذه"[268].

❖ ومما تجب الإشارة إليه، هو أنّ ابن الأبار بتقلّده للمناصب السياسية والإدارية، سَهُلَ عليه الحصول على الوثائق والعقود المادية ومعاينتها، فحصّل منها معلومات تاريخية وعلمية هامة تتعلق بأصحاب التراجم. ومن الأمثلة التي يمكن أن تُساق في هذا الصدد، قوله في ترجمة حسين ابن إسماعيل بن حسين الغفاري: "قرأتُ اسمه بخط أبي الحكم بن غَشِيلْيان، في نسخة العقد الـــمتّسم ببراءة أبي عمر الطلمنكي، وإسقاط شهادة الذين نسبوه إلى مخالفة السنّة"[269]. وقوله كذلك عن معن بن محمد بن معن: "قرأتُ اسمه ونسبه في الأمان الذي عقده الناصر عبد الرحمن بن محمد، لصاحب سرقسطة محمد بن هاشم التجيبي، عند انخلاعه عنها"[270].

❖ وبالإضافة إلى ما ذُكِر، مثّلت شواهد القبور دليلا آخر من الدلائل المادية التي شكّلت رُكنا هاما ارتكز عليه ابن الأبار في "التكملة"، للتأكّد من سنة وفاة المترجَمين. والأمثلة في ذلك كثيرة، ومنها قوله في تاريخ وفاة أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن أحمد الأنصاريّ: "وتاريخ وفاته مكتوب في لوح رخام على قبره"[271]، وقوله في تاريخ وفاة الحسين بن أبي بكر الحضرمي: "وقرأت

265- تقدمت ترجمته في الهامش: 453 من الفصل الرابع.

266- تقدمت ترجمته في: ص ص318-319 من الفصل الرابع.

267- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص181، ترجمة أبو بكر بن أحمد بن عبد الملك بن منخل بن محمّد بن مشرف النفزي؛ رقم: 600.

268- المصدر نفسه، ج2، ص200، ترجمة مفرج بن حسين بن إبراهيم بن خلف الأنصاري الكفيف؛ رقم: 543.

269- نفسه، ج1، ص220، ترجمة: 730.

270- نفسه، ج2، ص202، ترجمة: 550.

271- نفسه، ج1، ص76، ترجمة: 222.

في لوح رخام بإزاء قبره"[272]، وقوله في تاريخ وفاة محمد بن حسين بن أبي بكر الحضرمي: "قرأت ذلك في رخامة بإزاء قبره"[273].

ب-مصادر المعاينة والمشاهدة:

عاصر ابن الأبار جِلّة من شيوخ عصره وأعيان بلده من أهل القرن السابع الهجري (ق07هـ/12م)، فكان بذلك شاهد عيان على حياتهم، وأعمالهم ومؤلفاتهم. حيث إن أغلب التراجم التي شملت النصف الأول من القرن السابع الهجري (ق07هـ/12م)، والذين عاصرهم ابن الأبار، كان مصدرُه الرئيس فيها للترجمة لهم، هو المعاينة والمشاهدة. فكان عند الترجمة لمن عاصرهم يورد في تراجمهم عبارات تدلّ على ذلك-على كثرتها-وهي إنما تدلّ على مشاهدته ومعاينته للمترجَم له.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك؛ قوله في ترجمة أحمد بن محمد بن مفرج النباتي: "وهنالك رأيته ولقيته غير مرّة"[274]، وقوله في ترجمة أحمد بن محمد بن وهب البكري: "وجرت بيني وبينه مذاكرة بمجلس القاضي أبي الحسن بن قطرال، وكان صاحبا لأبي"[275]. وقوله كذلك؛ في ترجمة أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد اللّه الأنصاري: "لقيته بمدينة تونس وأخذتُ عنه يسيرا...وناولني جَميعه بمنزلي عشية يوم الخميس الحادي والعشرين لشهر ربيع الآخر سنة ستٍّ وأربعين وستمائة"[276].

ومِنْ مُشاهداته كذلك؛ حضور جنائز الكثير من العلماء والأعلام المترجَمين، فعُدّ بذلك شاهد عيان على تواريخ وفاتهم. ومن أمثلة ذلك-وهي كثيرة-قوله في جنازة إبراهيم بن إسحاق ابن محمد بن علي بن خلف بن أحمد بن محمد بن علي العبدري: "وتُوُفّي ظهر يوم الثلاثاء التّاسع عشر لذي قعدة سنة اثنتين وأربعين وستمائة، ودفن لعصر ذلك اليوم خارج تونس، وشهِدتُ جنازته في طائفة أتبعوه ثناء جميلا"[277].

272- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص220، ترجمة: 732.
273- المصدر نفسه، ج1، ص339، ترجمة: 1202.
274- نفسه، ج1، ص107، ترجمة: 304.
275- نفسه، ج1، ص109، ترجمة: 310.
276- نفسه، ج1، ص110، ترجمة: 312.
277- نفسه، ج1، ص146، ترجمة: 452.

ت-المصادر الشفوية:

ورد ذِكْرُ المصادر الشفوية التي اعتمدها ابن الأبار، في مقدمة كتاب "التكملة"، وذلك في قوله: "وما كان فيه عن غير المذكورين مِن شُيُوخ شُيُوخِنا، فحدَّثوني به عنهم، وكذلك ما كان لهم وأكثرهم إفادة في هذا المعنى، جازى الله جميعهم بالحسنى أبو عبد اللَّه محمد بن عبد الرحمن التجِيبِي، وأبو سليمان بن حوط اللَّه، وأبو الربيع بن سالم وهو ندبني إليه وحضّني عليه؛ فرِوايةً لي عنهم بين سماع وإجازة مِنْهُم. وما كان فيه عن آباء القاسِم الملاحي، وابن فرقد ابن الطيلسان؛ فحدّثتُ به عنهم"[278].

ويتّضح لنا من خلال ما أورده ابن الأبار في مقدمة سِفره النفيس، أنه أفاد مما زوّده به شيوخه؛ وفي مقدّمتهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي، وأبو سليمان بو حوط الله، وأبو الربيع بن سالم، وما كان فيه عن آباء القاسم الملاحي، وابن فرقد، وابن الطيلسان؛ فحدّث به عنهم.

وبالإضافة إلى هؤلاء الشيوخ، هناك ثلّة من الشيوخ الآخرين الذي سمع منهم، و لم يذكُرهم في مقدّمته، وإنما أتى على ذِكرهم في متن كتابه في سياق الحديث عن الأعلام المترجَمين، حيث أورد ذلك بعبارات مختلفة، ومنها قوله: "قال لي"، و"سألت عنه"، و"سمعتُ منه"، و"أخبرني"، و"سألته فأجابني"، وحدّثنا عنه"، و"سمعت منه جلّ ما كان عنده"[279]، وقوله: "وسمعت أنا منه في منتصف رمضان سنة خمس وثلاثين وستمائة"[280]، وقوله: "وقال لي ابنه أبو عامر نذير بن وهب أنه توفي..."[281]، وقوله: "حدّثنا عنه أبو محمد الناميسي القاضي..."[282].

وينضاف إلى ما ذُكر كله؛ بعض المصادر المجهولة عند ابن الأبار، والتي أوردها في تراجمه؛ إذْ كان لا يذكر المصادر التي اعتمدها في بعض الأحيان، وإنما أورد عبارات تدلّ على ذلك، ومنها قوله في ترجمة نصر بن محمد الأندلسي: "أخبرني بذلك غير واحد من شيوخنا"[283]، وقوله

278- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص8.
279- المصدر نفسه، ج1، ص108، ترجمة: 305.
280- نفسه، ج1، ص ص215-216، ترجمة: 708.
281- نفسه، ج4، ص157، ترجمة: 459.
282- نفسه، ج2، ص160، ترجمة: 411.
283- نفسه، ج2، ص212، ترجمة: 582.

في ترجمة الحسن بن موسى بن أبي البسَّام: "أفادني ذلك بعض أصحابنا"[284]، وغيرها من العبارات الدالة علة ذلك.

وفي نهاية الحديث عن الأبار (تـــ658هـــ/1260م) وكتابه "التكملة لكتاب الصلة"، نخلص إلى أنه قد سار على الطريق نفسه التي سلكها مَن سبقه من مؤلفي كتب التراجم الأندلسية. ومع أنّ كتابه يعتبر تكملة لما كتبه ابن بشكول كما يظهر مِن عنوانه، إلا أنه لم يبدأ مِن حيث انتهى ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م)، بل أعاد النظر في كثير من التراجم التي رأى فيها قصورا.

وعلى الرغم مِن أنه قد ترجم لأعلام أندلسيين ممن جاءوا بعد عصر ابن بشكوال، إلا أنه ألزم نفسه بمراجعة مَن نَسيه كل مِن ابن الفرضي (ت403هـــ/1013م) وابن بشكوال، وحتى مَن ذَكروهم أيضا. وبذلك يكون ابن الأبار قد شذّ عن المبدأ الأول الذي مِن أجله جاءت كتب الصلات الأندلسية، وهو تقديم سِير علماء الأندلس الذين عاشوا في الفترة اللاحقة زمنيا على فترة الأصل.

ورغم ذلك، فإنّ كتابه "التكملة لكتاب الصلة" يعتبر الحلقة الثالثة من سلسلة كتب الصلات الأندلسية، والأكثر أهمية بينها في تاريخ علماء الأندلس، خاصة وأنه ألّفه في ظروف صعبة، إذْ لم تَصْرِفْهُ الكوارث التي حلّت بوطنه، والخطوب التي عاناها بعد أن أُخرج منه؛ عن تصنيف كتابه الذي قضى في إعداده ما يربو عن العشرين حولا.

4/-ابن فرتون (ت660هـ/1261م):

4-1/ حياته:

أبو العباس أحمد بن يوسف السلمي الفاسي المعروف بابن فرتون، يعتبر أحد أعلام الرواية والتاريخ، أخذ ببلده فاس عن أبي ذر الخشني[285]، وأبي القاسم عبد الرحيم بن الملجوم[286] وغيرهم. وقد انتقل خلال سنة 630هـــ/1232م من مسقط رأسه فاس نحو سبتة، التي أخذ بها عن علمائها وكثير مِن الواردين عليها. وبعد فترة امتدت قرابة الخمس سنوات قضاها بسبتة، دخل الأندلس

284- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص210، ترجمة: 690.

285- **أبو ذر الخشني:** مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الجياني الأندلسي، قاض، من العلماء بالحديث والسير والنحو. له شعر توفي بفاس سنة 604. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص249.

286- **عبد الرحيم بن الملجوم (524-603هـــ/1129-1206م):** عبد الرحيم بن عيسى بن يوسف بن عيسى بن علي ابن يوسف بن عيسى بن قاسم بن عيسى بن محمد الأزدي، المعروف بابن الملجوم؛ أبو القاسم. محدّث ولد في صفر وتوفي في ربيع الآخر؛ له برنامج الأشياخ. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص210.

في حدود سنة 635هـ/1237م، فأخذ بالجزيرة الخضراء ومالقة عن علمائها وأخذوا عنه. ولما كان بالأندلس، عَرض له ما أوجب رجوعه إلى سبتة، فعاد إليها وبقي بها، ولم يَخْرُج عنها إلى حين وفاته عن سنٍّ عالية تَنيف عن الثمانين عاما، وذلك في 26 شعبان سنة 660هـ/16 جويلية 1262م[287].

عاش ابن فرتون زاهداً ورعاً ما اعتزّ بغير دينه، ولا تصدّى لأحد مِن أهل الدنيا، ولا تعرّض لخطّة ولا غيرها. وقد اجتمع له سماع جمٍّ، وكتب بخطه كثيراً، وقيّد واعتنى غاية الاعتناء حتى كان آخر المُكثرين. وكان ذاكراً للرجال والتواريخ، ولكثير من متون الأحاديث، وقِسْطٍ صالح من الجرح والتعديل وطبقات الناس، وروى عنه جمع غفير من العدوتين، ومنهم تلميذه أبو جعفر ابن الزبير (ت708هـ/1308م)[288].

2-4/ إنتاجه العلمي:

خلّف ابن فرتون تراثا علميا وازنا، أبقى ذِكره بين أقران عصره، وعند لاحِقيه. ومما خلّفه مِن تصانيف نذكر:

287- ابن الأبار، تحفة القادم، ص22، ترجمة: 6. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص ص117-119. المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص204، في ترجمة مجاهد الأندلسي، رقم: 179. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ص79-80، ترجمة: 44. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص929، ترجمة: 523. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص280، ترجمة: 710. الكتاني، فهرس الفهارس، ص910، ترجمة: 524. الزركلي، الأعلام، ج1، ص274. كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص208. عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، بدون دار نشر، ط2، 1960، ص155. ابن سودة المري عبد السلام بن عبد القادر، دليل مؤرخ المغرب الأقصى ويليه ذيل دليل مؤرخ المغرب الأقصى، بيروت: دار الفكر العربي، ط1، 1997، ص178، رقم: 1058.

288- ابن الأبار، تحفة القادم، ص22، ترجمة: 6. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص ص117-119. المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص204، في ترجمة مجاهد الأندلسي، رقم: 179. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ص79-80، ترجمة: 44. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص929، ترجمة: 523. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص280، ترجمة: 710. الكتاني، فهرس الفهارس، ص910، ترجمة: 524. ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص178، رقم: 1058. كنون، النبوغ المغربي، ص155. الزركلي، الأعلام، ج1، ص274. كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص208.

– كتاب الاستدراك والإتمام: استدرك فيه على السهيلي[289] في كتاب التعريف والإعلام[290].

– برنامج: ضمّنه ما رواه عن شيوخه[291].

– كتاب الذيل على الصلة لابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م)[292]، الآتي الحديث عنه في الجزئية الموالية.

3-4/ منهج ابن فرتون في كتابه الذيل على الصلة:

أ–التعريف بكتاب الذيل لابن فرتون:

هذا السِّفر النفيس لا زال في عِداد المفقود، ويعدُّ أَحَدَ أهمّ كتب الصلات الأندلسية في القرن السابع الهجري (07هـــ/13م)، حيث جاءت تراجمه حافلة بالأخبار[293]، إذْ شكّلت مادة علمية دسمة، لجميع كتب الصلات التي أتت بعده[294].

وعن أهمية الكتاب وقيمته التاريخية الكبير، تحدّث ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م)، وذلك حينما أشار إلى لقاء جمعه بشيخه ابن فرتون (ت660هـــ/1261م)، وذلك غداة زيارته مدينة سبتة سنة 645هـــ/1247م، غير أنه وقف فيه على كثير من الأوهام والاختلالات، والتي لم يقم شيخه

289– **أبو القاسم السهيلي (508–581هـــ/1114–1185م):** الحافظ أبو القاسم وأبو زيد وأبو الحسن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حسين بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح، الخثعمي ثم السهيلي الأندلسي المالقي الضرير، عَمِيَ وهو ابن سبع عشرة سنة؛ مولده بإشبيلية، ووفاته بمراكش. ينظر: ابن دحية، المطرب، ص ص:230–243، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص143.

290– ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص ص117–119. ابن الأمين، الاستيعاب، ج1، ص107. الزركلي، الأعلام، ج1، ص274. النبوغ المغربي، ج1، ص155. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص280، ترجمة: 710.

291– الزركلي، الأعلام، ج1، ص274. الكتاني، فهرس الفهارس، ص910، ترجمة: 524. النبوغ المغربي، ج1، ص155.

292– ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص ص117–119. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص929، ترجمة: 523. برنامج التجيبي، ص263. المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص98، في ترجمة ابن جريدة المالقي (تـــ645هـــ/1247م) رقم: 1639. المقري، نفح الطيب، ج2، ص53، في ترجمة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن غالب، المالقيّ، رقم: 20. الزركلي، الأعلام، ج1، ص274. كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص155. كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص208. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص38. عبد الواحد عبد السلام شعيب، كتب الصلات الأندلسية، ص223.

293– محمد المنوني، حضارة الموحدين، الدار البيضاء: دار توبقال، ط1، 1989، ص48.

294– كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص155.

بتنقيحها وتصحيحها، فقام بذلك بنفسه، فأصلح واستدرك عليه في عدّة مواضع، واحتفظ بكثير من تراجمه وضمّها إلى صلته[295].

وقد عبّر الذهبي عن ذلك نقلا عن ابن الزبير فيما ضاع من كتابه فقال: "قال ابن الزبير: تأملت تذييله[296] على الصلة، فوجدته كثير الأوهام والخلل، فاستخرت الله في استئناف ذلك العمل، ووصلت الصلة بكتابٍ"[297]. وللإشارة، فقد أكثر صاحب "جذوة الاقتباس"، من النقل عن ابن فرتون[298].

وبين يَدَيْ نصّ آخر لابن الزبير يصب في السياق ذاته، نقله عنه صاحب "الجذوة" مما جاء فيه: "كنتُ وقَفتُ على كتاب الذيل لشيخنا الراوية أحمد بن فرتون، في أوّل لقائي إياه بسبتة سنة 645هـ[/1247م]، فألفيتُه كتابا لم يتجرّد الشيخ لتنقيحه، ولا فَرَغَ لاختياره وتصحيحه، وقد استدركت عليه عددا"[299].

وتدلّ الإشارات التي أوردها ابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1303م) في كتابه "الذيل والتكملة"، أن ابن الزبير (ت708هـ/1308م) تلميذ ابن فرتون هو مَن أصلح كتاب شيخه المذكور وكمّله، وأن كتاب "الذيل" لابن فرتون رتّبه صاحبه على نسق الحروف في المغرب، إلا أنّ ترتيبه كان غير دقيق، لأنه أتى بالأسماء كيف ما اتّفق له. كما أنه انتقد كتاب ابن فرتون جملة وتفصيلا، وقال إنه لم يَعتبر في كتابه تطبيقا، ولا سلَك من ذلك الترتيب طريقا، وأنه أتى بالأسماء كيف اتَّفق له، وأنه لم يكن يعقِلُ منهج مؤلِّفي الصِّلات، والترتيبَ الذي بَنَوْا عليه كتبهم[300].

وعلى أساس كتاب "الذيل" لابن فرتون، بنى ابن الزبير كتابه "صلة الصلة"، حيث إننا نصادف في أكثر تراجمه العبارة التالية، التي تدلّ على أنه اعتمد كتاب شيخه وجعله أساسه ومعتمده؛ حيث يقول: "ذَكره الشيخ في الذيل"[301].

295- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص929، ترجمة: 523. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص ص117-119.

296- يقصد كتاب الذيل على الصلة لابن بشكوال الذي ألّفه ابن فرتون.

297- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص929، ترجمة: 523.

298- ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص178، رقم: 1058.

299- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص117.

300- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص121. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص39.

301- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص39.

أ-منهج ابن فرتون في كتاب الذيل:

ليس من السّهل الحديث عن منهج الكتابة التراجمية لمصدر تراجمي مفقود، مثل كتاب ابن فرتون "الذيل"، والذي تعوزنا فيه المادة المصدرية إلى درجة النُّدرة. وما وَصَلَنا عن هذا السفر التراجمي النفيس، لا يعدو أن يكون شذرات متفرقات، أوردتها المصادر التي ترجمت له، أو مَن نقلت عنه، وفي مقدّمتهم ابن الأبار في "التكملة"، وابن عبد الملك المراكشي في "الذيل والتكملة". وعلى ضوء هاته الشذرات، أمكننا تقفي بعض الإشارات التي من خلالها عقدنا قراءة نقدية لكتاب ابن فرتون.

ومن تلك الإشارات، تأكّد لنا على أنّ ابن فرتون لم يتابِع الأصول السابقة له في التأليف منهجاً، وهو الأمر الذي أكّده ابن عبد الملك في قوله: "وخالَفَهم في ترتيبِ الحروف[302]؛ أبو عبد الله ابن الأبّار وهو أنبَل تابعيه، وأبو العبّاس ابن فَرْتُون، ومُصلِح كتابه ومكمّلُه أبو جعفر ابن الزّبير. فرَتَّبوا أبوابَ كُتُبِهم على نَسَقِ الحروف المعروف ببلاد المغرب، وهو متّفِقٌ مع التّرتيب المشرِقي إلى الزاي، وبعدَه عندَ أهل المغرِب والأندَلُس"[303].

ولا يُفهَم مما أورده صاحب "الذيل والتكملة" عن ابن فرتون، سوى انتقاده وتحامله كثيرا عليه، وانتقاص كتابه "الذيل" جملة وتفصيلا، حيث أكّد بأنّه لم يَعتبر في كتابه تطبيقا، ولا سلَك مِن ذلك الترتيب طريقا، وأنه أتى بالأسماء كيف اتَّفق له، وأنه لم يكن يعقِلُ منهج مؤلِّفي الصِّلات، والترتيبَ الذي بَنَوْا عليه كتبهم[304]، بل إنّه ذهب إلى أبعد من ذلك فقال بأن ابن الزبير هو من أصلح كتابه وأكمله[305]، و لم يلتمس له العُذرَ كما التمس له تلميذُه ابن الزُّبير[306].

وعلى الرغم من ذلك، فإن كتاب "الذيل والتكملة" لابن عبد الملك المراكشي، رغم ما ورد فيه من انتقاص لابن فرتون وكتابه "الذيل"، إلا أنه يُعتبر المصدر الوحيد-في حدود ما اطّلعنا

302- يريد ابن الفرضي وابن بشكوال.

303- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص204.

304- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص121. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص39.

305- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص204. ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص ص26-27 من مقدمة التحقيق. الحسيني، صلة التكملة، ص474، هامش: 02. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص929، ترجمة: 523. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص ص117-119.

306- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص121.

عليه-الذي يمكن مِن خلاله تلقّف بعض الجوانب المنهجية في كتاب "الذيل" لابن فرتون. وينضاف إليه ابن الأبار، الذي نقل عنه في "التكملة" في أكثر من أربعين موضعا.

❖ فأما ابن عبد الملك، فقد أورد ما سماه "أوهام" ابن فرتون"[307] في عدّة مواضع مِن كتابه؛ ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة أحمد بن عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحي: "وظن أبو العباس يوسف بن فرتون أنه اسمه فترجم به في حرف الحاء"[308]. وقوله كذلك في ترجمة أحمد بن خلف ابن عيشون: "وعَدَّ أبو العباس بن يوسف بن فرتون في أشياخه: أبا عبد الله جعفر بن محمد بن مكّي، قال أبو جعفر ابن الزُّبير: وذلك وهمٌ وتخليطٌ بيِّنٌ"[309]. وكذلك قوله في ترجمة أحمد بن عبد الله بن الحسن: "وظنّ أبو العبّاس بن يوسف بن فَرْتُون أنه اسمُه فترجَمَ به في بابِ الحاء، وإنّما هو شُهرةٌ عُرف بها"[310].

وعلى النقيض مِن ذلك، فإننا نجد ابن عبد الملك، ورغم هذا التحامل على ابن فرتون؛ ينتصر له في أكثر من مرة. ومن الأمثلة الدالة على ذلك، قوله في ترجمة أحمد بن خلف بن عيشون المذكور، ردا على ابن الزبير، الذي اتهم ابن فرتون في قوله: "وذلك وهمٌ وتخليطٌ"[311]؛ إذ قال: "لا أدري ما الذي حمل أبا جعفر على توهيم ابن فرتون في هذا، ونسبة التخليط في ذلك إليه"[312].

وفي موضع آخر كذلك، نجده ينتصر لابن فرتون على حساب ابن الزبير، حيث أورد في ترجمة أحمد بن خليل بن إسماعيل، متحدّثا عن شيوخه ما نصه: "وعد أبو العباس بن يوسف بن فَرْتُون في شيوخه أبا جعفر بن عبد العزيز بن المُرْخِي، وأنكر ذلك أبو جعفر ابن الزُّبير زاعما أنّ وفاة ابن جعفر تقدمت على مولدِ أبي العبّاس بنحوِ سنتينِ أو ثلاث، فوفاةُ أبي جعفر سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة، ومولد أبي العبّاس سنة ستٍّ وثلاثين، وهذا تخليطٌ من أبي جعفرٍ لا أدري من أين جاءه"[313].

307- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص121.
308- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص323، ترجمة: 214.
309- نفسه، مج1، السفر الأول، ص294، ترجمة: 141.
310- نفسه، مج1، السفر الأول، ص323، ترجمة: 214.
311- نفسه، مج1، السفر الأول، ص294، ترجمة: 141.
312- نفسه، مج1، السفر الأول، ص294، ترجمة: 141.
313- نفسه، مج1، السفر الأول، ص298، ترجمة: 148.

❖ وأما ابن الأبار الذي نقل عن "الذيل" لابن فرتون، في أكثر من أربعين موضعا، وهي لا تعدو أن تخرج عن مجموعة من النقاط، نوجزها فيما يلي:

– أغلب ما نقله ابن الأبار عن ابن فرتون، كان بغرض رفع النسب وتحديد تاريخ الوفاة وقد حكم بغلطه فيها، ومثال ذلك قوله في ترجمة عمر بن عبد الله بن عمر السلّمي: "وقال ابن فرتون توفّي سنة 608هـ وهو غلط"[314]. وقوله كذلك في ترجمة عيسى بن حزم: "عيسى بن حزم بن عبد اللّه بن اليسع بن عمر الغافقي، ويقدّم ابن عياد في نسبه عمر على اليسع، وابن فرتون يقدم اليسع على عبد الله، وكلاهما غلط"[315].

– تؤكد نُقُول ابن الأبار، على أن ابن فرتون اعتمد النسق المغربي في الحروف، وهو الأمر الذي أكده ابن عبد الملك في قوله: "وخالَفَهم في ترتيبِ الحروف"[316]، أي خالف ابن الفرضي وابن بشكوال في ترتيب الحروف، ومعلوم أنهما اعتمدا النسق المشرقي في ذلك.

– وفي بعض التراجم، تَبيَّن لنا من خلال ما ذكره ابن الأبار، أن ابن فرتون استدرك على ابن بشكوال في "الصلة"، ومثال ذلك–وهي متعددة–إضافة ما ذكره ابن فرتون وغفل عنه ابن بشكوال في ترجمة جدّ ابن فرتون؛ إبراهيم بن أحمد بن خلف بن الحسن بن الوليد السُّلمي (ت538هـ/1143م)، حيث علّق ابن عبد الملك نهاية الترجمة بقوله: "ذكره حفيده أبو العباس"[317]؛ أي ابن فرتون.

– وتفيد نقول ابن الأبار عن ابن فرتون، أن هذا الأخير أدرج ضمن "ذيله" تراجم النساء، حيث نقل عنه ابن الأبار ترجمة امرأتين، وهما: حبيبة بنت عبد العزيز بن موسى بن طاهر بن مناع زوج أبي القاسم بن مُدَير[318]، ووَرْقَاء بنت ينتان الْحَاجة[319].

– وَوَرَد بين تراجم ابن الأبار؛ ترجمة ورد فيها ذِكر سنة وفاة متأخرة نسبيا، يمكن من خلالها أن نضع احتمال تاريخ تأليف "ذيل ابن فرتون"، وهي لإبراهيم بن علي بن أحمد بن علي الفهري المعروف بالبونسي؛ مما جاء فيها: "وتوفيّ منتصف سنة إحدى وخمسين وستّمائة، وقال

314– ابن الأبار، التكملة، ج3، ص162، ترجمة: 408.
315– المصدر نفسه، ج4، ص9، ترجمة: 24.
316– ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص204.
317– ابن الأبار، التكملة، مج1، ص148، ترجمة: 458.
318– المصدر نفسه، مج4، ص253، ترجمة: 704.
319– نفسه، مج4، ص256، ترجمة: 714.

ابن فرتون أنه توفي في العشر الأواخر من ربيع الآخر من السنة، وذكر أنَّه أجاز لَهُ ولابنه"[320].

وتعتبر السنة الواردة في هذا النص (ربيع الآخر 651هـ/جوان 1253م)، آخر سنة وفاة ذكرها ابن الأبار نقلا عن ابن فرتون، إذْ لم يذكر غيرها بعد ذلك. وإذا وضعنا في الحسبان أن تاريخ وفاة ابن فرتون هو سنة 660هـ/1261م، وابن الأبار قبله بسنتين أي في سنة 658هـ/1260م، والذي وصل بوفاة تراجمه إلى ما قبل وفاته بسنتين، حيث ظل يتعاهده إلى ما قبل وفاته بسنتين أو ثلاث، والذي من المرجّح أن يكون قد أتـــمّه وهو ببجاية التي رحل إليها أواخر سنة 645هـ/1247م مغضوبا عليه من طرف السلطان[321]؛ وهو ما يجعلنا نَنْزَعُ إلى القول باحتمال أنّ ابن فرتون أنهى تأليف كتابه "الذيل" في الفترة الممتدة بين سنتي 652-655هـ/1254-1256م.

ويؤيّد ما ذهبنا إليه نصّ ابن الزبير في أوّل لقائه بابن فرتون بسبتة سنة 645هـ/1247م، ونقله عنه صاحب "الجذوة"، ونص ما جاء فيه: "كنتُ وقَفتُ على كتاب الذيل لشيخنا الراوية أحمد بن فرتون، في أوّل لقائي إياه بسبتة سنة 645هـ[/1247م]، فألفيتُه كتابا لم يتجرّد الشيخ لتنقيحه، ولا فَرَغَ لاختياره وتصحيحه، وقد استدركت عليه عددا"[322].

ويؤكد هذا النص بما لا يدع مجالا للشكّ، أن ابن فرتون كان قد فرغ من تأليف كتابه سنة 645هـ/1247م. وبالاعتماد على ما ذُكر من رواية ابن الأبار سابقا، يمكن القول أنه ظل يتعاهدُ كتابه بالإضافة والزيادة إلى سنة 651هـ/جوان 1253م، وهو تاريخ وفاة البونسي الذي ذكره ابن الأبار نقلا عن ابن فرتون في "الذيل"[323]، أي قبل وفاته بثماني سنوات أو تسع.

وعليه؛ يُعتبَر كتاب "الذيل" لابن فرتون، مِن أشهر ذيول "الصلة" لابن بشكوال، ويُعتبر أيضا مِن مصادر ابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م) في "التكملة"[324].

320- ابن الأبار، التكملة، مج1، ص146، ترجمة: 454.

321- ابن خلدون، العبر، ج6، ص418. ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص22 من مقدمة التحقيق. الحلة السيراء، ج1، ص ص42-43. درر السمط، ص ص159-160.

322- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص117.

323- ابن الأبار، التكملة، مج1، ص146، ترجمة: 454.

324- عبد الواحد عبد السلام شعيب، كتب الصلات الأندلسية، ص223.

المبحث الثاني:
كتب الصلات والذيول الأندلسية في طور الانتشار في الأندلس إلى مستهلّ (ق08هـ/14م)
ابن الزبير (ت708هـ/1308م) أنموذجا

يعتبر ابن الزبير، من المؤرخين الذين برعوا في وصل كتاب "الصلة البشكوالية"، وذلك من خلال كتابه "صلة الصلة"، الذي يعدّ علامة فارقة فيما يتعلّق بكتب الصلات والذيول الأندلسية في طور الذيوع والانتشار، إذْ به بلغت الكتابة التراجمية في الأندلسية أوجّها، ومهّدت للمرحلة التالية؛ مرحلة نضج الكتابة التراجمية في بلاد الفردوس المفقود.

1/ـحياته[325]:

هو الأستاذ الجليل، والعلاّمة الحافظ، شيخ القُرَّاء والمحدِّثين بالأندلس، أحمد بن إبراهيم بن الزبير العاصمي الثقفي الغرناطي، يكنى أبو جعفر، وعُرف بنسبته إلى جدّه الأول الزبير، وغلب عليه ذلك؛ انتهت إليه الرياسه بها في العربية، ورواية الحديث والتفسير والأصول.

وُلد بـــجيان في ذي القعدة 627هـــ/سبتمبر 1230م؛ وقيل في السنة التي بعدها حيث صادفت ولادته بداية انهيار الدولة الموحدية بالأندلس، وسقوط الكثير من المدن الأندلسية فريسة صائغة في يد النصارى؛ وبروز مملكة بني الأحمر على مسرح الأحداث، وبسط سيادتها على غرناطة في الوسط والمرية شرقا ومالقة جنوبا.

ترعرع ابن الزبير بـــمدينة جيان، في أسرة عريقة مِن أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس، فقد كانت أسرة ثرية، وذات وجاهة كبيرة. وبهاته المدينة أقام سنوات حياته الأولى وهو لا يزال

325- مظان ترجمته في: ابن الزبير الثقفي أحمد بن إبراهيم (تـــ708)، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي، السعودية: دار ابن الجوزي، ط1، 1428هـــ، ص ص19-35 من مقدمة التحقيق. البرزالي الإشبيلي الدمشقي علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف (تـــ739هـــ)، المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، ج3، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 2006، ص376، ترجمة: 916؛ وقد جعل وفاته سنة 707هـــ. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، ص231، ترجمة: 31. ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص72. ابن حجر، الدرر الكامنة، السفر الأول، ص85. الدمشقي، طبقات علماء الحديث، ج4، ص267، ترجمة: 1150. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص1484، ترجمة: 1169. المعين، ص228، ترجمة: 2344. العبر، ج4، ص19. اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص184. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص516، ترجمة: 1135. بغية الوعاة، ج1، ص ص 291-292، ترجمة: 532. الهجراني، قلادة النحر، ج6، ص53، ترجمة: 3634. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص ص188-189، ترجمة: 66. حاجي خليفة، سلم الوصول، ج1، ص113، ترجمة: 283. ابن العماد، شذرات الذهب، ج8، ص31. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص303، ترجمة: 773. الكتاني، فهرس الفهارس، ص454، ترجمة: 236. الزركلي، الأعلام، ج1، ص68. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، ص466.

غلاما حدث السنّ، وغادرها بعد ذلك مع والده إلى مالقة سنة 643هـ/1245م، وكان وقتها قد بلغ سنّ الرّشد. وخلال إقامته بهاته المدينة، حدثت له فيها شؤون ومنغّصات، ومنها تغلَّبَ الروم عليها، الأمر الذي عجّل بمغادرتها، ليتوجه إلى حاضرة غرناطة، التي سكنها وطاب له بها العيش وصفا، وأكمل ما شرع فيه من مصنفاته.

تنقل ابن الزبير بين الحواضر الأندلسية وخارجها، طالبا للعلم والاستزادة، حيث عني بالرواية كثيرا، ورحل بسببها لسبتة. وقد تتلمذ في رحلاته تلك، لشيوخ وأعلام كُثر على اختلاف تخصصاتهم ومشاربهم؛ منهم مَنِ التقى بهم وسمع منهم، ومنهم من راسلهم أو أجازوه دون أن يلتقي بهم، حتى بلغ عددهم على ما ذكره ابن فرحون؛ الأربعمائة شيخا.

ومن هؤلاء الشيوخ نذكر على بسيل المثال لا الحصر: الشيخ أبو إسحاق الشافعي المكي (ت722هـ/1322م) الذي كتب إليه ولم يلقه[326]. ثم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن هلال الرعيني (ت652هـ/1254م)[327]، وأحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد المرادي المعروف بالعشاب (ت736هـ/1335م)[328].

ونظرا لكثرة شيوخه وعلوّ إسناده، فقد حلاه أصحاب التراجم، بأوصاف عديدة، تنمّ عن عظم شخصيته، وكبير تأثيره، وعلوّ كعبه. فقد وصفه ابن فرحون بقوله: "كان خاتمة المحدثين وصدور العلماء والمقرئين، نسيج وحده في نشر التعليم، والصبر على التسميع، والملازمة للتدريس، كثير الخشوع والخشية، مسترسل العبرة، صليبًا في الحق شديدًا على أهل البدع، ملازمًا للسنّة مهيبا جزلًا، معظّما عند الخاصة والعامة، انتهت إليه الرياسة بالأندلس في صناعة العربية وتجويد القرآن، ورواية الحديث، إلى المشاركة في الفقه، والقيام على التفسير والخوض في الأصلين"[329].

326- **إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الطبرى:** الشافعى المكى، الفقيه المحدّث، الراوية، إمام المقام الشريف؛ رضي الدين أبو إسحاق. مولده بمكة سنة 636هـ/1238م، ووفاته في 10 ربيع الأول 722هـ/29 مارس 1322م. ينظر: ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص187، ترجمة: 249.

327- **محمّد بن عيسى بن هلال الرعيني:** من أهل مالقة، يكنى أبا عبد اللّه. ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص153.

328- **أحمد العشّاب (649-736هـ/1251-1335م):** أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد المرادي القرطبي، المعروف بالعشاب؛ أبو العباس. مُقرئ وعالم بالتفسير، والمعاني والبيان. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ج1، ص93، ترجمة: 461. كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص62.

329- ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص ص188-189، ترجمة: 66.

وعنه قال السيوطي كذلك: "وقعد بالجامع يُفيد النَّاس، وَولي الخطابة والإمامة بالجامع الكَبير، وقضاء الأنكحة، وتـــخرج عليه جماعة، وبه أبقى الله ما بأيدي الطّلبة من العربية وغيرها؛ وكان مُحدّث الأندلس بل المغرب في زمانه"[330].

كما أن ابن عبد الملك المراكشي (تـــ703هـــ/1303م) تحدّث عن علو مكانته ورفعة قدره، وأنه كان مقصد الناس في كل الأندلس وخارجها؛ فقال: "رَوى عنه جماعةٌ من أهل بلدِه، وطائفةٌ من الراحِلينَ إليه من أقطار الأندَلُس وغيرِها"[331].

توفي ابن الزبير في غرناطة بعد حياة حافلة، يوم الثلاثاء 08-وقيل12-ربيع الأول 708هـــ/26 أوت 1308م؛ عن ثمانين عاما[332].

2/ إنتاجه العلمي:

خلّف ابن الزبير إنتاجا علميا قيّما، أبان فيه عن علو كعبٍ، ومكانة علمية وازنة بين أقران عصره، وتبيّن مِن خلاله أصالته الفكرية وصلابة عقيدته. ومن المؤسف وعلى غرار مَن سبقه، فقد ضاع أغلب تراثه، خاصة عندما نَهب العامة بيته بمالقة[333].

وربما يعود سبب ذلك إلى حسد وحِقد خصومه عليه، وهو الأمر الذي نبّه إليه ابن الخطيب في "الإحاطة" بعد حديث طويل، فيه من الحسرة على تراث ابن الزبير ما فيه، حيث قال: "وبلغ الأستاذ النياحة، ففرّ لوجهه، وكبس منزله لحينه، فاستولت الأيدي على ذخائر كتبه، وفوائد تقييده عن شيوخه، على ما طالت له الحسرة، وجلّت فيه الرزيّة"[334].

ومن أشهر مصنّفاته التي خلّفها، نذكر:

- البرهان في تناسب سور القرآن[335].
- ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل في الردّ على الشوذية[336].

330- السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص ص 291-292، ترجمة: 532.

331- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، ص235.

332- السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص ص 291-292. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج، ص ص85-86، ترجمة: 232.

333- ابن الزبير، البرهان، ص ص35-36 من مقدمة التحقيق. ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص74.

334- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص74.

335- ذكره حجي خليفه في كتابه؛ ينظر: كشف الظنون، ج1، ص241. وقد حققه سعيد بن جمعة الفلاح، ونُشر بدار ابن الجوزي بالسعودية سنة 1428هـــ/2007م.

336- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، ص236. ابن حجر، الدرر الكامنة، السفر الأول، ص85.

– معجم شيوخه[337].

– الإعلام بمن خُتم به القطر الأندلسي من الأعلام[338]، وهو كتاب في الأعلام، لعلّه خاص بأعلام عصره، ويبدو أنه أرخى فيه لنفسه العنان، فأورد بعض الحكايات التي أحال عليها في الصلة[339].

– صلة الصلة[340].

3/ التعريف بكتاب صلة الصلة:

يدخُل هذا السِّفر التراجمي النفيس، ضمن كتب تراجم أعلام الأندلس، وقد ذيّل به ابن الزبير "الصلة البشكوالية"[341]. والحق أنّ فكرة كتاب "صلة الصلة" لابن الزبير، ما هو إلا نسخة عن كتاب "الذيل على الصلة" لشيخه ابن فرتون (تـــ660هـــ/1261م)، حيث قام بتنقيحه وتصحيحه، وأضاف له تراجم لبعض الأعلام، وأخرجه إخراجا آخر، وجعله تأليفا جديدا، يتضمن بعض التعقيبات والاستدراكات، وسماه "كتاب الصلة لصلة ابن بشكوال"[342]، وضمّنه 1067 ترجمة عالم وعالمة[343].

وتجدر الإشارة في هذا الصدد، إلى أن ابن الزبير كان من المفروض أن يذيّل على ابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م) قبل أن يذيّل على ابن فرتون، إلا أنه لم يكن قدّ اطلع عليه–التكملة لابن الأبار–وقتها، ولكنه اطّلع على تذيل ابن فرتون فقط، وجعله أصلا لكتابه بعدما أصلح ما فيه من الأوهام[344].

337– ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، ص236. ابن حجر، الدرر الكامنة، السفر الأول، ص85.

338– ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، ص236. ابن حجر، الدرر الكامنة، السفر الأول، ص85. حجي خليفة، سلم الوصول، ج1، ص114.

339– بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص40.

340– ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص189. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص138.

341– ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص189. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص138.

342– محمد بن عبد العزيز الدباغ: **"أبو جعفر أحمد بن الزبير من خلال كتابه الصلة لصلة ابن بشكوال"**، مجلة المناهل، تصدر عن وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب، السنة 13، ع34، 1986، ص107.

343– ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص460.

344– ابن الأبار، التكملة (تحقيق بشار عواد)، ج1، ص ص26–27 من مقدمة التحقيق. الحسيني، صلة التكملة، ص474، هامش: 02.

وكتاب "صلة الصلة" يشترك في التراجم مع التذييلات السابقة عليه، إلا أنّه كان يزيد عليها أحيانا بزيادات جديدة لا توجد في الأصول الأولى. كما أنه كان يطعّمها بتراجم مَن تأخّرت وفياتهم إلى نهاية القرن السابع وبداية الثامن الهجرين (07-08هـ/13-14م)؛ ومما يؤسَف له كثيرا، هو أنه لم يصلنا من "صلة الصلة" إلا النصف الأخير منها[345].

4/ طبعات الكتاب:

نشر المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال (Évariste Lévi-Provençal)[346] عام 1938 بالرباط، قطعة من كتاب "صلة الصلة" لابن الزبير، من الأصل الموجود وقتها بالخزانة الكتانية بفاس. وتبدأ هاته القطعة بمن اسمه "عبد العزيز" من الغرباء، وتنتهي بـــ "يوسف" بن عبد الرحمن المعروف بابن الـــمُرِينَة. وتجدر الإشارة، إلى أن هذا الأصل الذي اعتمده بروفنصال، مبتور الأول والآخر، وغير مُثبت عليه عنوان الكتاب ولا اسم المؤلِّف؛ إلا أنه قام بتحقيق نسبة الكتاب إلى ابن الزبير معتمدا على مراجعة بعض تراجمه بما ورد في "الإحاطة" لابن الخطيب، وما ورد في كتاب "التكملة" لابن الأبار[347].

وعليه، فإن النسخة التي حققها بروفنصال، كانت مبتورة الأول والآخر، بمعنى أنه حقّق الورقة الأولى من الكتاب التي تحمل عنوانه، وحقق ورقات فقط من السفر الثالث للكتاب.

وبعد تحقيق بروفنصال، ظهرت إلى الوجود نسخة جديدة في خزانة أحمد تيمور باشا في قسم التاريخ والتي هي جزء من دار الكتب المصرية بالقاهرة. وقد ورد في هاته النسخة النصف الأخير من كتاب "صلة الصلة" لابن الزبير، يبدأ بالغرباء من المحمدين، وينتهي بآخر التأليف حيث تراجم النساء، ثم تليها ديباجة الختام[348].

وعليه، يتّضح من خلال النسخ التي تم العثور عليها، أنّ كتاب "صلة الصلة" لابن الزبير، يحتوي على مقدمة وثلاثة أسفار. فأما المقدّمة فهي مفقودة، وأما السفر الأول والثاني فمفقودان

345- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص39.

346- بروفنصال (1894-1956)، وقد تقدم التعريف به في الهامش: 272 من الفصل الأول.

347- محمد بن عبد العزيز الدباغ: **"صلة الصلة لابن الزبير: الربط بين القسم المطبوع من كتاب صلة الصلة لابن الزبير وبين شذرات أخرى منه موجودة بخزانة القرويين"**، مجلة المناهل، تصدر عن وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب، السنة 12، ع33، 1985، ص ص365-366. الأهواني، مخطوطان جديدان، ص01.

348- للاستزادة أكثر حول مواصفات هاته النسخة؛ ينظر: الأهواني، مخطوطان جديدان، ص ص2-4.

أيضا، وما هو موجود ومتاح سوى قطعة من السفر الثالث، تبدأ بباب الغرباء في المحمدين، وتنتهي بتراجم النساء، ثم الخاتمة.

وقد قام بعض الباحثين بتحقيق ما تم العثور عليه من مخطوط "صلة الصلة"، معتمدين في ذلك على النسخ السالفة الذكر، أي أنهم حققوا قطعة من السفر الثالث فقط من الكتاب. ومن هاته التحقيقات نذكر:

- قام بتحقيقه عبد السلام الهراس بالاشتراك مع سعيد أعراب، وطبع بالمغرب في وزارة الأوقاف سنة 1994[349].
- ثم أعاد تحقيقه جلال الأسيوطي، وطبع بدار الكتب العلمية سنة 2008.
- وخلال السنة ذاتها، أعاد شريف أبو العلا العدوي تحقيق المخطوط وطبعه بمكتبة الثقافية الدينية القاهرة، وهي النسخة التي تم اعتمادها في الأطروحة، لعدم حصولنا على التحقيقات الأخرى.

ونأمل أن يتمّ العثور على ما بقي من أجزاء المخطوط المفقودة (المقدمة، السفر الأول، السفر الثاني)، وتحقيقها ونشرها، حتى تتم الاستفادة المثلى منها.

5/ دواعي تأليف كتاب صلة الصلة:

وأما فيما تعلّق بدواعي تأليف "صلة الصلة"، فإنه ليس في المُستطاع والوسع الحديث عن الدافع لتأليف هذا الطِّرس التراجمي الهام، في غياب مقدمة الكتاب والقسم الأول منه، إذْ لا يزالان في حكم المفقود[350].

وبالنظر إلى البيئة السياسية والثقافية التي عاش في كنفها ابن الزبير، يمكننا القول أنه إنما جاء تأليفه هذا، ليحفظ به شيئا من تراث بلده، ويخلّد فيه رسم سلفه[351] من جهة. ومن جهة ثانية، فإن ابن الزبير أشار إلى سبب آخر دفعه لتأليف كتابه، وذلك في مَعرض حديثه عن لقائه بشيخه ابن فرتون (تـــ660هـــ/1261م)، حيث أطلعه على ذيله على كتاب الصلة، وحدّثه بأنه قد وقف

349- ابن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (تـــ708)، كتاب صلة الصلة القسم الرابع، تحقيق عبد السلام الهراس والشيخ سعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، 1994.

350- الدباغ، صلة الصلة لابن الزبير، ص365. الأهواني، مخطوطان جديدان، ص11.

351- الزويني خليل هاشم عباس، ابن الزبير ومنهجه في كتابه صلة الصلة، رسالة دكتوراه، العراق: جامعة البصرة، بإشراف: محمد سعيد رضا، 1995، ص71.

فيه على اختلالات وأوهام كثيرة، فقام ابن الزبير بتصحيحها وتصويبها[352]، ثم أخرجه على هيئته الجديدة، وسماه "الصلة لصلة ابن بشكوال"[353].

6/-صلة الصلة؛ تاريخ التأليف والمحتوى:

6-1/-تاريخ تأليف الكتاب:

تعتبر المقدمة الصورة والمرآة لأي تأليف تاريخي، إذْ من خلالها يُبصِر القارئ كل ماله علاقة بتفاصيل ذلك التأليف، ويضطلع على محتواه ودوافع تأليفه، والمنهج الذي سلكه المؤلف، والمصادر التي اتبّعها في تحرير مادته.

وقد شذّ كتاب "صلة الصلة" لابن الزبير عن هاته القاعدة، ليسن لأن مؤلِّه لم يضع مقدمة لكتابه، وإنما لأن مقدمة الكتاب ضاعت فيما ضاع من القسم الأول من الكتاب. وبضياعها، ضاع معها العديد من الحيثيات المتعلقة بهذا السفر التراجمي الهام، كتاريخ شروعه في تأليفه الكتاب.

وفي ظل ضياع مقدمة الكتاب، وبعدَ بحث وتقصٍّ وتدقيق، أمكننا الركون إلى بعض الروايات التي يفهم من سياقاتها التاريخية أنها لا تخرج عن احتمالين لا ثالث لهما؛

أولهما: أنّ ابن الزبير أشار إلى لقاء جمعه بشيخه ابن فرتون (تـــ660هـــ/1261م) خلال سنة 645هـــ/1247م غداة زيارته مدينة سبتة؛ حينها كان قد اطّلع على كتاب شيخه "الذيل" ووقف فيه على كثير من الأوهام والاختلالات، والتي لم يَقُم شيخه بتنقيحها وتصحيحها، فأخذ على عاتقه ذلك وأصلح واستدرك عليه في عدّة مواضع، واحتفظ بكثير من تراجمه وضمّها إلى صلته[354]. وهو ما يُفهَم كذلك مِن قول ابن الزبير فيما نقله عنه الذهبي؛ فيما ضاع من تأليفه "صلة الصلة" حيث قال: "تأمّلت تذييله[355] على الصلة، فوجدته كثير الأوهام والخلل، فاستخرت الله في استئناف ذلك العمل، ووصلت الصلة بكتابٍ"[356]؛ وكلامه هذا يقتضي الآنية أي الشروع

352- ابن القاضي، جذوة المقتبس، ص117. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص929، ترجمة: 523. ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص178، رقم: 1058.

353- الدباغ، صلة الصلة لابن الزبير، ص367.

354- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص929، ترجمة: 523. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص ص117-119.

355- يقصد كتاب الذيل على الصلة لابن بشكوال الذي ألّفه ابن فرتون.

356- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص929، ترجمة: 523.

والمباشرة في التصحيح. وهو ما يجعلنا نميل إلى القول بأن ابن الزبير شرع في ذلك بعد انتهاء اللقاء مع شيخه وفي حياته، أي بعد سنة 645هـ/1247م.

ثانيهما: أنه ابتدأه في ذلك، بعد وفاة شيخه ابن فرتون (ت660هـ/1261م).

إلا أنه وفي ظل عدم وجود حقائق كافية سوى ما تم ذِكره، والتي لا تعدو أن تكون سوى تخمينات واجتهادات أتاحتها النصوص المذكورة؛ فإننا نميل إلى القول بأن الاحتمال الأول هو الأقرب للقبول والصواب وأن الثاني مردود؛ سَنَدُنا في ذلك هو جملة التراجم التي أمكننا تتبعها فيما وصلنا مِن تأليف ابن الزبير "صلة الصلة"[357].

وتتيح لنا هاته التراجم، فهم العديد من المسائل المتعلقة بالكتاب-ومنها تاريخ تأليفه-وعلى ضوئها اهتدينا إلى عدة حقائق تخصّ تاريخ التأليف، ومنها أنّ بعض العبارات التي تكررت معه كثيرا في تراجمه، ومنها قوله: "ذكره الشيخ في الذيل" دون أن يزيد عن ذلك؛ هاته العبارة يُفهم منها أن شيخه كان لا زال على قيد الحياة، وتحيلنا إلى القول كذلك بأنه قد شرع في تأليف الكتاب قبل وفاته، إذْ لو كان شيخه قد مات لأثبته بعبارة رحمه الله على عادة المؤلفّين وقتذاك.

وفي هذا السياق، لابد من التنويه بالأهمية الكبيرة للنص التاريخي النفيس الذي يعضّد ما ذهبنا إليه سابقا؛ وقد نقله لنا صاحب "جذوة الاقتباس" نقلا عن كتاب "صلة" ابن الزبير. هذا النّص يكون قد حفظ لنا بعض التفاصيل عن لقاء تاريخي بامتياز، جرى بين ابن الزبير وشيخه ابن فرتون بمدينة سبتة سنة 645هـ/1247م. ولأهمية النص القصوى نعيد ذكره هنا، ومما جاء فيه: "كنتُ وقَفتُ على كتاب الذيل لشيخنا الراوية أحمد بن فرتون، في أوّل لقائي إياه بسبتة سنة 645هـ[/1247م]، فألفيتُه كتابا لم يتجرّد الشيخ لتنقيحه، ولا فَرَغَ لاختياره وتصحيحه، وقد استدركت عليه عددا"[358].

ومما يجب التنبّه له في هذا النصّ، هو أن ابن الزبير ذكر شيخه خاليا من عبارة رحمه الله على عادة المؤلفّين وقتذاك، إذْ لو كان ميّتا لأثبته بعبارة رحمه الله، وهو دليل آخر أنه شرع في تأليف الكتاب في حياة شيخه؛ حيث إنّ مدة 15 عاما-وهي المدة بين اللقاء ووفاة ابن فرتون- كافية لإعادة التذيل على مؤلَّف الشيخ، بل والتصنيف مِن جديد.

357- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص7، ترجمة: 7؛ ص8، ترجمة: 8؛ ص9، ترجمة: 10؛ ص11، ترجمة: 15؛ وغيرها من التراجم وهي كثيرة.

358- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص117.

وفي خضم الحديث عن تاريخ تأليف ابن الزبير دائما؛ أورد هذا الأخير في ترجمة شيخه محمد بن عبد الله الأزدي، إشارات بالغة الأهمية تفيد بأن شيخه ابن فرتون كان لازال حيّا خلال تأليفه "صلة الصلة". ومما جاء في هاته الترجمة قوله: "توفي رحمه الله ليلة الإثنين السادس والعشرين لرمضان سنة ستين وستمائة...روى عنه الخطيب أبو عبد الله الترياسي...والراوية المسنّ أبو العباس بن فرتون صاحب كتاب الذيل، ولم يذكره لتأخر وفاته"[359]. على أنّ الشاهد في هاته الترجمة هو قوله: "والراوية المسنّ أبو العباس بن فرتون صاحب كتاب الذيل"، والتي تفيد بما لا يدع مجالا لشك، بأن ابن فرتون إلى حدود تدوين هاته الترجمة كان لا يزال على قيد الحياة، إذْ لو كان ميّتا لقال عنه ابن الزبير رحمه الله، كما ترحّم على صاحب الترجمة المذكورة.

وعلى ضوء هاته النقول والإشارات التاريخية الهامة، يمكننا أن نـــجزم بأن ابن الزبير شرع في تحبير كتابه "صلة الصلة" لَمَّا رجع إلى الأندلس بعد العودة مِن لقاء شيخه ابن فرتون بسبتة سنة 645هـــ/1247م، وربما يكون ذلك خلال الفترة الممتدة من سنة 655هـــ/1257م إلى سنة 660هـــ/1261م. وما يؤيّد ذلك، هو أنّ ابن الأبار (تـــ658هـــ/1259م)، كان قد انتهى من تأليفه كتابه "صلة الصلة" في حدود سنة 655هـــ/1257م[360]، ولم يورد شيئا عن ابن الزبير وكتابه "صلة الصلة"، إذْ لو كان هذا التأليف-صلة الصلة-موجودا لأخبر به وأثبته.

وأما عنْ تاريخِ الانتهاء مِن تأليف الكتاب، فقد وردت إشارة بالغة الأهمية بين طيي "صلة الصلة" لابن الزبير، قد تحيلنا إلى تحديد تاريخ انتهائه من تحرير كتابه، وهي لشيخه يوسف بن يحي بن أبي الدنيا الأنصاري المتوفي في سنة 679هـــ/1280م أو التي بعدها؛ ومما جاء فيها: "وأخذتُ عنه، وتكرّرت عليه بموضعه[361]، وتوفّي بالجبل المذكور بعد تأليفي لهذا الكتاب، وكان ذلك سنة ثمان وسبعين أو تسع وسبعين وستمائة رحمه الله"[362].

وتُحيلنا سنة وفاة شيخه المذكور، إلى أنه قد يكون انتهى مِن تبييض النشرة الأولى لكتابه، وأنه ضل يتعاهدها بالزيادة إلى ما بعد هذا التاريخ بكثير؛ تدلّ على ذلك العديد مِن التراجم الواردة في كتابه، وهي لِمَن تأخّرت سنوات وفاتهم عن السنة المذكورة-679هـــ/1280م أو التي

359- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص ص18-19، ترجمة: 29.

360- تقدم الحديث في ذلك في هذا الفصل، ص ص433-436.

361- بجبل الفتح بالجزيرة الخضراء. ينظر: ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص442، ترجمة: 1031.

362- المصدر نفسه، مج3، ص442، ترجمة: 1031.

بعدها-[363]، ومنها ترجمة ابن عبد الملك المراكشي (تـــ703هـــ/1303م) صاحب "الذيل والتكملة"[364]، وهي آخر سنة وفاة ذَكرها ابن الزبير، وبها أقفل كتابه الذي أفنى أكثر من نصف عمره في تصنيفه.

2-6/ محتوى الكتاب:

أنزل ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م) كتاب "صلة الصلة"، في مقدمة وثلاثة أسفار وخاتمة[365].

فأما المقدّمة، فهي من ضمن الجزء المفقود من الكتاب، وكذلك السفر الأول والثاني.

وأما السفر الثالث، فقد وصلتنا عنه قطعة تبتدئ بباب "الغرباء في المحمّدين"[366]، وتنتهي بآخر التأليف حيث تراجم النساء وآخرهنّ عائشة بنت أبي الخطاب في الترجمة 1067[367]. تلتها بعد ذلك ديباجة ختام الكتاب، أتى فيها المؤلّف على ذِكر منهجه في التأليف[368]، وابتدأها بقوله: "وهنا انتهى ما تيسّر في الإمكان، وإنْ لم نبلُغ الغاية في الإحسان...قد آن أنْ أختم بالصلاة على نبيّنا محمدﷺوعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى سائر أنبياء الله ورسله، وكافة عباده الذين اصطفى"[369].

وقد أنهى هاته القطعة من السفر الثالث بقوله: "كمل السفر الثالث مِن كتاب الصلة لصلة الإمام أبي القاسم بن بشكوال، وبه تمّ جميع الكتاب والحمد لله جلّ حمده، والصلاة على سيدنا محمدﷺرسوله وعبده، وعلى آله الطيبين، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وسلّم كثيرا إلى يوم الدين، وغفر الله لكاتبه ومؤلفّه وكاسبه ولجميع المسلمين، على سيدنا محمدﷺ وآله وسلّم تسليما، وكان الفراغ من (...)[370]شعبان المكرم عام سبعة وتسعين وستمائة"[371].

363- الأهواني، مخطوطان جديدان، ص ص3-4.

364- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص ص22-23، ترجمة: 35.

365- كان النساخ ينسخون كتاب ابن الزبير في حياته، مجزّأً إلى ثلاثة أسفار، كما أنه نُسخ مجزّأً إلى اثنتين فقط. ينظر: الدباغ، صلة الصلة لابن الزبير، ص369.

366- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص05.

367- المصدر نفسه، مج3، ص460، ترجمة: 1067.

368- الأهواني، مخطوطان جديدان، ص2.

369- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص ص460-461.

370- فراغ في الأصل؛ ينظر: المصدر نفسه، ص462.

371- نفسه، مج3، ص ص461-462.

وخلاصة ما في خاتمة ابن الزبير، أنّه راعى في كتابه المنحى الخاص بكتب رجال الحديث، ورأى رأي ابن الفرضي، بأنّ للأخبار والحكايات كتب أخرى[372].

وعليه، فإن كتاب "صلة الصلة" لابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م)، لازال أغلبه مفقودا-في حدود ما اطّلعنا عليه-إلا قطعة مِن السفر الثالث، والتي تحوي تراجم لـــ 1067 عالما وعالمة، وهي في الأصل تراجم منقولة من كتاب "الذيل" لابن فرتون (تـــ660هـــ/1261م)، مع تراجم أخرى أضافها ابن الزبير مرفقة بتراجم مَن تأخّرت وفاتهم إلى نهاية القرن السابع وبداية الثامن الهجريين (7-8هـــ/13-14م). كما أن كتاب ابن الزبير هذا، تميّز كسابقيه من كتب التراجم بالشمولية المكانية، حيث ترجم لأعلام من مختلف المدن الأندلسية، إضافة إلى أنه حوى إفادات مهمة حول التعددية الفكرية والمذهبية للأعلام المترجمين؛ رجالا ونساء.

7/ منهج ابن الزبير في كتابه صلة الصلة:

ما من شكّ أن ابن الزبير صدّر لكتابه "صلة الصلة" بمقدمة بيّن فيها منهجه في تأليفه، إلا أن هاته المقدّمة ضاعت فيما ضاع من أسفار الكتاب. ورغم ذلك فإنه أمكننا تتبع بعض الإشارات الموجودة في خاتمة الكتاب، والتي ربما قد تعطينا صورة قريبة عن البناء المنهجي الذي سلكه ابن الزبير في تأليف كتابه[373]، ووضّح فيها الأسس التي اعتمدها في تصنيفه، وقارنه بمن سبقه في هذا الحقل، ودافع عنه[374].

وقبل الخوض في الحديث عن هذا السّفر التراجمي الهام، لابد من التنبيه إلى أن الجزء الذي بين أيدينا، ما هو إلا قطعة من السِّفر الثالث، التي تبدأ بباب "الغرباء في المحمدّين"، ومن خلال هذا القسم سنحاول استجلاء منهجه.

7-1/-تنظيم التراجم وترتيبها:

❖ يتضح من القطعة الموجودة بين أيدينا لكتاب "صلة الصلة"، أن ابن الزبير خالف الأصل الذي جرى عليه صاحب "الصلة" في نسق الحروف[375]، إذ اعتمد النسق المغربي في ذلك[376]. إلا

372- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص40.

373- المرجع نفسه، ص39.

374- الزويني، ابن الزبير ومنهجه في كتابه صلة الصلة، ص70.

375- **حروف المغاربة**؛ فإنهم وافقوا المشارقة في حروفهم من أولها إلى الزاي، ثم قالوا طاء ظاء كاف لام ميم نون صاد ضاد عين غين فاء قاف سين شين هاء واو ياء. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص53.

376- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص39.

أنّه كان يرتّب الأسماء حسب تاريخ الوفيات، تأسيا بابن الفرضي (ت403هـ/1013م) وابن بشكوال (ت578هـ/1182م)[377].

❖ وبالرّغم من ضياع السفر الأول للكتاب، إلا أنه يمكن القول بأنّ ابن الزبير قد يكون بدأ كتابه بمن اسمه "أحمد"، على غرار ما فعل أصحاب الصلات، عدا ابن الفرضي. ففي حرف الميم مثلا بدأ بمن اسمه "محمد" تأسيا بما صنع ابن بشكوال في "الصلة" وابن فرتون (ت660هـ/1261م) في "الذيل"، فيكون بذلك قد وافق الأصل. كما أنه قدّم في حرف العين من اسمه "عبد الله و"عبيد الله" وهكذا إلى حرف الياء، ثم ختم الكتاب بعقد باب خصصه للنساء.

❖ التزم ابن الزبير بمنهجه في ترتيب كتابه على نسق المغاربة في الحروف، فيما تبقّى من حروف الكتاب: الميم، النون، الصاد، الضاد، العين، الغين، الفاء، القاف، السين، الشين، الهاء، الواو، الياء.

❖ وبالنسبة للترتيب الداخلي للكتاب، فقد رتّب ابن الزبير الأعلام المترجَم لهم في مصنّفه، حسب كثرة المترجَمين في الاسم. ومثال ذلك، أنه بدأ في حرف الميم بمن اسمه "محمد" وهو أكثر شهرة وعددا في التراجم من الاسم الذي بعده وهو "موسى"، ومن اسمه "موسى" أكثر شهرة وعددا ممن اسمه "مالك"، وهو الباب الذي أورده بعد "موسى"؛ إلا أنه لم يلتزم بهذا المبدأ في كامل الكتاب، ولذلك فإننا نلحظه يقدّم مَن اسمه "عتيق" على من اسمه "علي"، مع أن عليا أكثر شهرة وعددا من "عتيق"[378]، والأمثلة في ذلك كثيرة.

❖ وبعد ذِكره لكل اسم من أسماء المترجَم لهم داخل كل حرف، كان يخصص بابا لـ "الغرباء"، ومثال ذلك قوله: "الغرباء في المحمّدين"[379]، أو "من الغرباء في هذا الاسم"[380]. إلا أنه لم يلتزم بهذا النهج كذلك في بعض الأسماء، كما فِيمن "اسمه مسعود"، ومن "اسمه مفرّج" و"مالك"، حيث خلت أسماؤهم من ذِكر الغرباء، والأمثلة في ذلك متعددة.

وفي بعض الأحيان، كان يذكر الغرباء من الاسم، ولا يذكر لهم تراجم في الأصل، كما فعل مع من اسمه "ميمون"، حيث خلا من التراجم إلا من تراجم الغرباء[381]. وقد يخلو الحرف

377- الأهواني، مخطوطان جديدان، ص4.

378- بلغت تراجم من اسمه "عتيق" تسعة تراجم فقط، في حين فاقت تراجم "علي" ذلك بكثير في الكتاب.

379- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص05.

380- المصدر نفسه، مج3، ص32.

381- نفسه، مج3، ص53.

كله من الغرباء كما في حرف "النون"[382]، وأحيانا تنعدم التراجم والغرباء من الحرف جملة كما في حرف "الضاد"[383].

❖ كما أنه كان إذا أنهى باب الغرباء، جعل بابا لمن تفرّقت أسماؤهم كقوله: "ومن تفاريق الأسماء في حرف الميم"[384]، إلا أنه لم يلتزم بذلك في كل تراجمه، إذْ خلا حرف "الصاد" من هاته التفاريق.

❖ وأما في تراجم الأعلام الذين عُرِفوا بكناهم، ففي العادة كان يجعلها في آخر الحرف، كما فعل مع حرف "العين"، حيث ذَكر من اسمه "عبد الله"، ثم جعل بابا في "من اشتهر بكنيته"[385]، وقد خالف منهجه في هذا أحايين كثيرة، كما في حرف "الميم" و"النون" و"الصاد" و"الضاد" وغير ها من الحروف.

❖ ورتّب ابن الزبير أسماء المترجَم لهم داخل الحرف الواحد حسب الحرف الأول من المعجم، دون مراعاة لباقي الحروف الأخرى. ومثال ذلك في حرف "الصاد" الذي بدأه بمن اسمه "صالح"، ثم أردفه بمن اسمه "صفوان" ثم "صهيب". إلا أنه وعلى عادته، خالفه في كثير من الحروف، ومن ذلك تقديمه "نصر" على "نام"[386].

❖ وقد حاول ابن الزبير جهده، ترتيب تراجمه في الاسم الواحد حسب تاريخ الوفاة كالتراجم الأربع الأولى التي رتبها حسب تاريخ الوفاة، إلا أنه حاد عن هذا الترتيب في الترجمة الخامسة، وعاد ليكمل الترتيب ابتداء من الترجمة السادسة[387].

❖ وفي الباب المخصص للنساء وهو الأخير، فقد ترجم فيه لأربعة عشر امرأة، ولم يلتزم حروف المعجم في ترتيبهن، بل رتّبهنّ حسب تقادم سنة الوفاة، وهو النهج الذي سلكه والتزم به إلى آخر ترجمته لهنّ[388]. ومن هؤلاء النسوة اللواتي ترجم لهن؛ كان يذكرهنّ بأوصافهن الحسنة، ومنها قوله فيهن مثلا: الفقيهة العالمة، والأديبة الشاعرة، الحافظة لكتاب الله، الحسنة الخط القارئة

382- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص54.

383- المصدر نفسه، مج3، ص64؛ فنجد في حرف الضاد اسم مفرد فقط وهو "الضحاك بن سعيد ثغري".

384- نفسه، مج3، ص46.

385- نفسه، مج3، ص115.

386- نفسه، مج3، ص54 وغيرها من الصفحات.

387- نفسه، مج3، ص ص5-7.

388- للاستزادة أكثر؛ ينظر: نفسه، مج3، ص ص455-460.

الكاتبة، وفي هذا دلالة على أنه ترجم للنساء العالمات العاملات الزاهدات فقط[389]، بخلاف ابن الأبار الذي ترجم للكثير من النساء العابدات منهنّ والزاهدات، والجواري والمغنّيات، والحِسان والشاعرات[390].

7-2/-البناء الداخلي للتراجم:

مِن خلال عملية تصفّح السفر المتبقي لكتاب "صلة الصلة" لابن الزبير، فإننا نجد أنّ تراجمه لا تخرج عن أسلوب مَن سبق ابن الزبير من أصحاب الصلات، إذ شملت الترجمة العناصر نفسها وهي:

أ-اسم ونسب المترجَم له:

عادة ما كان ابن الزبير يذكر في تراجمه اسم المترجَم له واسم أبيه، وبعض الأحيان يزيد اسم الجدّ، ويرفع النسب إن توافر له، كما في ترجمة: "محمد بن عمران المزدغي"[391]، و"محمد بن علي بن مروان"[392]، وكذا "محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن يعاض اليحصبي"[393].

ب-نسبة المترجَم له:

أورد ابن الزبير في بعض تراجمه نسبة المترجَم لهم في مواضع كثيرة، وكانت إمّا نسبة لقبيلة كقوله: "الأنصاري الخزرجي"[394]، أو "الأنصاري"[395]، أو "الصنهاجي"[396]، أو "الحميري"[397].

389- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص ص455-460.
390- راجع ذلك في ص441 من هذا الفصل.
391- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص16، ترجمة: 26.
392- المصدر نفسه، مج3، ص09، ترجمة: 12.
393- نفسه، مج3، ص08، ترجمة: 09.
394- نفسه، مج3، ص17، ترجمة: 27.
395- نفسه، مج3، ص20، ترجمة: 32؛ وص21، ترجمة: 34.
396- نفسه، مج3، ص32، ترجمة: 56.
397- نفسه، مج3، ص29، ترجمة: 52.

وإما نسبة علمية كقوله: "المقرئ"[398]، أو "النحوي"[399]، أو "اللغوي"[400]، أو "الشاعر"[401]، أو "الفقيه"[402].

ت-مدينة المترجَم له:

كان ابن الزبير يورد في أغلب تراجمه مدينة المترجَم له، ومن أمثلة ذلك قوله: "مخلد بن يزيد بن عبد الرحمن...من أهل قرطبة"[403]، وقوله: "من أهل غرناطة"[404] وغيرها من المدن الأندلسية. وفي بعض الأحيان كان يفصّل في مدينة المترجَم له فيقول: "ميمون بن أحمد...من قلعة بني حماد مِن نَظَرِ بجاية، وسكن قرطبة"[405]، وقوله: "من أهل قرية همدان من غرناطة"[406].

ث-الكنية واسم الشهرة:

في العادة، كان ابن الزبير يورد كنية واسم المترجَم له في غالبية التراجم، بل إنه كان مهتما بإثباتها، إلاّ في حالة قليلة جدا، فكان يورد شخصية مترجَمة بدون كنية. ومن أمثلة ذلك قوله: "يكنى أبا مروان، ويعرف بابن الوحش"[407]، وقوله: "يكنى أبا محمد، ويعرف بالرشاطي"[408].

ج-شيوخ المترجَم له ورحلته:

ظهر اهتمام ابن الزبير في ذِكر شيوخ المَترجَمين ورحلاتهم في كتابه ظهورا بيّنا، حيث ذَكر ذلك في أغلب التراجم، خاصة ممن لهم شهرة كبيرة، ومادة علمية غزيرة. وقد كان عند ذِكره للشيوخ يورد عبارات: "روى عنه"، أو "أخذ عنه"، أو "مِن شيوخه"، أو "اختلف إليهم"، أو "قرأ عن"، وغيرها من العبارات الدالة على ذلك. ومن أمثلتها قوله: "قرأ بمدينة بلنسية على أبي

398- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص33، ترجمة: 57.
399- المصدر نفسه، مج3، ص115، ترجمة: 257.
400- نفسه، مج3، ص78، ترجمة: 169.
401- نفسه، مج3، ص61، ترجمة: 117.
402- نفسه، مج3، ص70، ترجمة:144.
403- نفسه، مج3، ص51، ترجمة: 99.
404- نفسه، مج3، ص54، ترجمة: 103.
405- نفسه، مج3، ص53، ترجمة: 101.
406- نفسه، مج3، ص71، ترجمة: 149.
407- نفسه، مج3، ص68، ترجمة: 134.
408- نفسه، مج3، ص74، ترجمة: 157.

محمد بن سعدون الضرير بقراءات السبعة، وبغرناطة على أبي الحسن بن محمد التميمي...وقرأ على أبي الحسن عمرو بن بدر وأجاز له"[409]؛ والأمثلة كثيرة في كتاب ابن الزبير[410].

وفي بعض الأحيان، كان ابن الزبير يشير إلى الشيوخ بعبارة معينة، كقوله: "جماعة آخرون"، أو "جماعة كثيرة غيرهم"[411]، أو "جماعة غير هؤلاء"[412].

كما كان يورد رحلة المترجَم لهم أو رحلاتهم إنْ وجدت، فكان في الغالب يذكرها مختصرة، كقوله: "علي بن مالك بن سعيد اليحصبي، من أهل قلعة يحصب، رحل إلى المشرق وأقام بدمشق بعد أن حج وأخذ عن علمائها"[413]. وقوله أيضا: "علي بن أحمد...أصله من طليطلة ولد بقرطبة...ورحل فحجّ وأقام بالقدس تسعة أشهر يعلّم القرآن...وقفل إلى المغرب، واستقر بمدينة فاس"[414].

ح-المؤهلات العلمية للمترجَم له:

مِن الأشياء المهمة التي كان يذكرها ابن الزبير في تراجمه، المؤهلات العلمية للمترجَمين، خاصة العلماء المشهورون منهم في المدن الأندلسية. ومن أمثلة ذلك قوله: "وكان مقرئا جليلا، ونحويا عارفا، وفقيها مشاورا"[415]. وقوله: "وغلبت عليه الكتابة، واعتمدها وتقدّم فيها، وكتب لجِلّة من الملوك بالأندلس والعدوة، وكان من الجِلّة في دينه وعلمه، واعتنى بالرواية والنقل والقراءات"[416]. وقوله كذلك: "كان من أكابر الطلبة والفقهاء، ومن أهل المعرفة بالأدب والكتابة"[417].

409- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص82، ترجمة: 183؛ وص87، ترجمة: 199؛ وقد ذكر شيوخ المترجم له بكثرة.

410- من الملاحظات الهامة هو أن ابن الزبير، أورد عددا كبيرا من الشيوخ في الكثير من التراجم، خاصة تراجم العلماء البارزين والمشهورين في الأندلس.

411- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص ص29-330، ترجمة: 52.

412- المصدر نفسه، مج3، ص93، ترجمة: 206.

413- نفسه، مج3، ص265، ترجمة: 634.

414- نفسه، مج3، ص273، ترجمة: 657.

415- نفسه، مج3، ص ص274-275، ترجمة: 660.

416- نفسه مج3، ص304، ترجمة: 737.

417- نفسه، مج3، ص177، ترجمة: 422.

خ-الوظيفة أو المهنة:

درج ابن الزبير على ذِكر وظيفة ومهنة المترجَمين، خاصة الوظائف الدينية منها. ومثال ذلك قوله: "وولي الخطبة والقضاء ببلده وأقرأ"[418]. وقوله: "خطب بجامع المرية، وكان معلم كتاب بغربيه يقرئ القرآن، وشيئا من العربية والفقه"[419]. وقوله أيضا: "وكان مقرئا بقرطبة، يؤم بمسجد أم هشام، ويقرئ بالمسجد الجامع"[420].

كما أنه، كان يورد في بعض الأحيان الصفات الخُلقية للمترجَمين، ومنها قوله: "...وكان خيّرا فاضلا، متواضعا جوادا، ضابطا متقنا، حسن الصوت"[421]. وقوله: "وكان ورعا زاهدا...وحلاوة أغراض جرت طباعه على عنانه إليها..."[422].

وفي أحيان أخرى، كان يذكر الصفات الخَلقية للمترجَم لهم، كقوله: "...وكان مكفوف البصر، معتذر اليدين، مُقعدا"[423].

د-مؤلفات وتلاميذ المترجَم له:

من الأشياء التي ركّز عليها ابن الزبير في تراجمه، هو ذِكره لمؤلفاتهم إن وُجدت. ومثال ذلك قوله: "...ألّف في أنواع من العلوم تواليف كثيرة منها كتاب منهاج السداد في شرح الإرشاد، وكتاب مدارك الحقائق في أصول الفقه"[424]. وقوله: "وألّف كتاب المقدمات على كتاب سيبويه، وكتاب الإفصاح على كتاب الإيضاح"[425]. وقوله أيضا: "وألّف في الفقه كتابا حسنا في تسعة أسفار سماه بالمسائل المجموعة على كتاب التهذيب للبراذعي"[426].

وأما تلاميذ المترجَم لهم، فكان لا يذكرهم إلا قليلا، وفي بعض الأحيان يقتصر على الإشارة لهم بعبارات تدل عليهم ومنها: "وروى عنه جلّة منهم"، و"وروى عنه"، و"أخذ الناس عنه"، و"قرأ عليه وذَكَره"، و"روى عنه عن غير هؤلاء"، و"روى عنه جماعة وذَكَروه"، وغيرها من

418- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص269، ترجمة: 647.
419- المصدر نفسه، مج3، ص306، ترجمة: 741.
420- نفسه، مج3، ص323، ترجمة: 772.
421- نفسه، مج3، ص323، ترجمة: 772.
422- نفسه، مج3، ص203، ترجمة: 475.
423- نفسه، مج3، ص ص294-295، ترجمة: 715.
424- نفسه، مج3، ص ص267-268، ترجمة: 641.
425- نفسه، مج3، ص354، ترجمة: 832.
426- نفسه، مج3، ص357، ترجمة: 839.

العبارات الدالة على ذلك. ومثاله قوله: "روى عنه قريبه الخطيب الفاضل أبو عبد الله...قرأ عليه وذَكَره"[427].

ذ-مولد ووفاة المترجَم له:

عادة ما كان ابن الزبير يعرّج على ذِكر تاريخ المولد والوفاة للمترجَمين، إنْ تيسّر له ذلك، وتوفرت المادة. وفي بعض الأحيان، كان يورد سنة الوفاة فقط، بينما يورد المعلومات كاملة في تراجم أخرى؛ مِن مولد ووفاة باليوم والشهر والسنة، وحتى سبب الوفاة، وذلك تماشيا والشخص المترجَم له، والمعلومات الواردة إليه حوله.

ومن أمثلة ذلك قوله: "توفي في آخر عشر العشرين وستمائة قبل وفاة أخيه"[428]. وقوله: "ولد في الثالث والعشرين من رجب سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وتوفي في عاشر شعبان اثنتي عشرة وستمائة"[429]. وقوله أيضا: "فتوفي بسبتة يوم الإثنين تاسع صفر عام سبعة وأربعين وستمائة، شرب دواءٍ فكان في ذلك حتفه رحمه الله"[430].

ر-تراجم الكتاب بين الطول والقصر:

ترجم ابن الزبير في سفره النفيس لـــ 1067 عالما وعالمة، وقد اختلفت هاته التراجم تبعا لعدد العناصر التي أوردها في تراجمه. فمنها ما كان يذكُر فيها كل العناصر التي تم سردها سابقا (الاسم، الكنية، النسبة، اسم الشهرة، المدينة، الوظيفة، الشيوخ، الرحلة، المؤهلات العلمية، المؤلّفات، التلاميذ، المولد والوفاة). ومنها ما كان يذكُر فيها جزءا فقط من هاته العناصر[431]، وذلك حسب الشخصية المترجَم لها، وتوفر المادة حولها لدى ابن الزبير.

ومن الملاحظات التي يمكن أن نسجّلها على تراجم ابن الزبير، هو أنه كان عند ترجمته للعلماء المشهورين والبارزين في الأندلس، كان يورد عددا كبيرا من شيوخهم. ومن الأمثلة الدالة على ذلك، ما أورده في ترجمة عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله، التي ذَكَر فيها

427- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص30، ترجمة: 53.
428- المصدر نفسه، مج3، ص ص147-148، ترجمة: 349.
429- نفسه، مج3، ص146، ترجمة: 346.
430- نفسه، مج3، ص ص104-105، ترجمة: 235.
431- هذا الأمر يبدو واضحا وجليا في العديد من تراجم الكتاب.

عددا كبيرا من شيوخه في مختلف المدن الأندلسية[432]. وكذلك، فعل في ترجمة علي بن محمد بن يحي الغافقي المعروف بالشاري، حيث أورد له عددا كبيرا من الشيوخ في مختلف العلوم[433].

وخلاصة القول، فإن تراجم ابن الزبير في كتابه "صلة الصلة"، تراوحت بين الطول[434] والقِصر[435]، وذلك تبعا لشخصية المترجَم له، وتوفر المادة العلمية حوله لدى ابن الزبير. وعلى العموم فتراجم الكتاب، كانت طويلة نوعا ما، إذا ما قورنت مع سابقيه من أصحاب الصلات الأندلسية.

8/ مصادر ابن الزبير في كتابه صلة الصلة:

يعود الحديث عن مقدمة الكتاب مرة أخرى، ونحن بصدد الحديث عن مصادر ابن الزبير في كتابه "صلة الصلة". إذْ ليس في المقدور الحديث عن ذلك في ظل غياب جزء هام من الكتاب وهو المقدمة، التي دأب المؤرخون القدامى على ذكر مصادرهم فيها؛ إذ الحديث في ظل فَقدها هو في الحقيقة أمر من الصعوبة بمكان.

ورغم ذلك، فإننا قمنا بعملية تتبع للتراجم التي بثّها ابن الزبير في القطعة الموجودة بين أيدينا من السِّفر الثالث، فوجدناها حافلة وثرية بالمصادر التي كانت معتمَده في تحرير مادة هاته القطعة؛ ومنها المصادر المكتوبة، والمشاهدة والمعاينة، وكذا المصادر الشفوية، وهي على النحو التالي:

8-1/ المصادر المكتوبة:

اعتمد ابن الزبير مجموعة من المصادرال مكتوبة، إلا أنه كان وفي غالب الأحيان لا يذكُر اسم الكتاب أو المصدر، بل يذكر المؤلِّف فقط. ومن المؤلِّفين أصحاب المصادر الذي ذكرهم، نشير إلى:

432- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص ص87-90، ترجمة: 199.

433- المصدر نفسه، مج3، ص ص314-316، ترجمة: 762.

434- من بين التراجم الطويلة التي أوردها؛ ينظر: نفسه، مج3، ص ص87-90، ترجمة: 199؛ وص ص314-316، ترجمة: 762.

435- من بين التراجم القصيرة التي أوردها؛ ينظر نفسه، مج3، ص64، ترجمة: 120؛ وص84، ترجمة: 189.

– محمد بن عتاب[436]: نقل ابن الزبيرِ من كتبه دون الإشارة إلى عناوينها، وكان يكتفي بقوله: "ذَكَره أبو عبد الله بن عتاب"[437].

– أبو مروان بن حيان (ت469هـ/1076م)[438]: اعتمده ابن الزبير، و لم يشر إلى كتابه الذي اعتمده ونقل منه[439].

– ابن الباذَش (ت540هـ/1145م)[440]: اعتمده ابن الزبير، دون أن يذكُر اسم كتابه الذي نهل منه، واكتفى بعبارة "ذكره الأستاذ أبو جعفر ابن الباذَش[441].

– الملاحي[442]: اعتمده ابن الزبير كثيرا في تراجمه، وكان يحيل إليه بقوله: "ذكره الملاحي"[443]، وعلى ما يبدو فإن كتاب الملاحي الذي اعتمد هو "علماء إلبيرة وأنسابهم وأنبائهم"[444].

436- **أبو عبد الله محمد بن عتاب (383-462هـ/993-1069م):** شيخ أهل الشورى في زمانه، قدم إلى تلك الخطة سنة 414هـ/1023م؛ وكان عليه مدار الفتوى أيضا، وكان في المائة الخامسة في زمن المعتمد بن عباد. ينظر: ابن بشكوال، كتاب الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة وصلة الصلة)، مج2، ص184، ترجمة: 1133. ابن سعيد، المغرب، ج1، ص165، ترجمة: 111. الهجراني، قلادة النحر، ج3، ص446، ترجمة: 1953. الحجوي، الفكر السامي، ج2، ص247، ترجمة: 572.

437- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص ص141-142، ترجمة: 332؛ وغيرها.

438- تقدمت ترجمته في الهامش: 422 من الفصل الرابع.

439- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص05، ترجمة: 02؛ وغيرها من التراجم.

440- تقدمت ترجمته في الهامش: 230 من هذا الفصل.

441- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص06، ترجمة: 04؛ وص69، ترجمة: 140؛ وغيرها من التراجم.

442- **المَلّاحي (549-619هـ/1154-1222م):** محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقي الملّاحي أبو القاسم؛ من أهل قرية الملّاحة ضواحي غرناطة، مؤرخ من حفاظ الحديث. من كتبه: تاريخ في "علماء إلبيرة وأنسابهم وأنبائهم"؛ توفي بغرناطة. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج4، ص ص452-457، ترجمة: 1113. الزركلي، الأعلام، ج6، ص655.

443- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص56، ترجمة: 105-106؛ وص68، ترجمة: 136؛ وغيرها من التراجم.

444- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص: 41.

– ابن خميس[445]: أورده ابن الزبير بعبارة "ذَكَره ابن خميس"[446]، أو "ذَكَره ابن خميس في تتميمه"[447]، والكتاب المقصود هنا هو كتاب "أعلام مالقة"، الذي بدأه خاله ابن عسكر ومات قبل إتمامه، فأتمه ابن خميس، ولذلك سمي بتتميم ابن خميس[448].

– القاضي عياض (تـــ544هـــ/1149م)[449]: نقل ابن الزبير من كتابه "الغُنية"[450]، وفي بعض الأحيان كان لا يسمّ أي كتاب مِن كُتبه نقل عنه، بل يثبته بعبارة "ذكره القاضي عياض"[451].

– ابن خيِّر الإشبيلي (تـــ575هـــ/1179م)[452]: اقتبس من "فهرسته"، و"برنامجه"، وفي بعض الأحيان، كان يورد أخبارا ذَكرها ابن خير الإشبيلي تتعلق بالمترجَم له، دون أن يعزو ذلك إلى أي مصدر من مصادر ابن خير[453].

– أبو القاسم بن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م)[454]: اعتمد ابن الزبير على كتابه "الصلة"[455]، إضافة إلى تعاليق ابن بشكوال[456]. كما اعتمد كتابه "المحاسن والفضائل"[457]، و"مشيخته"، وفي غالب الأحيان كان يذكر ابن بشكوال دون ذِكر كتابه الذي اعتمده[458].

445- **محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن خميس الأنصاري (613-688هـــ/1216-1288م):** مولده بإسطبونة، ووفاته بالجزيرة الخضراء. أكمل كتاب خاله ابن خميس المسمى "الإكمال والإعلام في تراجم بعض أعلام مالقة" الذ مات قبل إتمامه. ونقل عنه ابن الخطيب في الإحاطة؛ ينظر: أبي عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ص ص23-24 من مقدمة التحقيق. الزركلي، الأعلام، ج6، ص281 في ترجمة ابن عسكر.

446- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص61، ترجمة: 115؛ وغيرها من التراجم.

447- المصدر نفسه، مج3، ص61، ترجمة: 116؛ وغيرها من التراجم.

448- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص: 41.

449- تقدم التعريف به في الهامش: 424 من الفصل الثاني.

450- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص354، ترجمة: 831؛ وغيرها من التراجم.

451- المصدر نفسه، مج3، ص05، ترجمة: 03؛ وص07، ترجمة: 06؛ وغيرها من التراجم.

452- تقدمت ترجمته في الهامش: 111 من الفصل الرابع.

453- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص356، ترجمة: 836؛ وغيرها من التراجم.

454- تقدمت ترجمته في الصفحة 352-355 من الفصل الرابع.

455- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص05، ترجمة: 01؛ وغيرها من التراجم.

456- المصدر نفسه، مج3، ص68، ترجمة: 134؛ وغيرها من التراجم.

457- نفسه، مج3، ص65، ترجمة: 121؛ وغيرها من التراجم.

458- نفسه، مج3، ص64، ترجمة: 120؛ وص32، ترجمة: 55؛ وغيرها من التراجم.

– أبو العباس بن فرتون (تـــ660هـــ/1261م)[459]: نقل ابن الزبير من كتابه "الذيل على الصلة" تراجم كثيرة، باعتبار أنه تولى تصحيح وتنقيح كتاب شيخه ابن فرتون والاستدراك عليه، إذْ أنّ أغلب التراجم الواردة عند ابن الزبير نقلها من "الذيل على الصلة" لابن فرتون. وعادة ما كان يشير إلى كتاب "الذيل" لابن فرتون بعبارة "ذَكَره الشيخ في الذيل"[460].

إلا أن ابن الزبير وفي نقله عن ابن فرتون، كان لا يسلّم بكلّ ما كتبه شيخه في "الذيل"، إذِ اعتبر الكثير مما أورده ابن فرتون داخل في الأوهام والاختلالات، ويشير إلى ذلك في تراجم الكتاب بعبارات تدل على ذلك كقوله: "وذلك وهم"، و"فَوَهَمَ"، وغيرها من العبارات.

ومن التراجم التي أورد فيها تلك العبارات؛ ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجي حيث قال: "...وذَكَره الشيخ في الذيل، فوهَمَ في كنيته وتاريخ وفاته"[461]، ثم ترجمة حمدة بنت زياد المؤدّب؛ إذ قال: "وذكرها الشيخ في الذيل، فوهم فيما نسب إليها من شِعر غيرها"[462]؛ وكذلك في ترجمة حفصة بنت الحاج الرّكوني، حيث قال: "ونسب الشيخ في الذيل قولها...وذلك وهم"[463]؛ والأمثلة في ذلك كثيرة، في تراجم الكتاب.

وفي السياق ذاته؛ اعتمد ابن الزبير كذلك على كتب البرامج بكثرة، وسنشير إلى البعض منها فقط في هاته الجزئية؛ لأن عددها كثير في الأندلس، إذ أنّ معظم علمائها كانت لهم برامج عددوا فيها شيوخهم[464]، ولا يتّسع المقام لذِكرهم بالكلّية، ومنهم:

– برنامج القاضي أبو الحسين محمد بن أبي عامر بن ربيع[465].

459– تقدمت ترجمته في الصفحة: 458-459 من هذا الفصل.

460– ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص07، ترجمة: 07؛ وص13؛ ترجمة: 21؛ وص16، ترجمة: 25؛ وص142، ترجمة: 333؛ وغيرها من التراجم.

461– المصدر نفسه، مج3، ص149، ترجمة: 354؛ وغيرها من التراجم.

462– نفسه، مج3، ص456، ترجمة: 1057؛ وغيرها من التراجم.

463– نفسه، مج3، ص459، ترجمة: 1064؛ وغيرها من التراجم.

464– بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص: 42.

465– ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص ص293-294، ترجمة: 712؛ وص ص297-298، ترجمة: 723.

– برنامج علي بن إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن بن حسن الأميي المعروف بابن الفخار[466].

– برنامج الحاج المقرئ أبو بكر عتيق بن علي بن خلف[467].

– برنامج القاضي أبو عبد الله الأزدي[468].

– برنامج شيوخ المقرئ أبو الحجاج بن بقاء[469].

– برنامج المقرئ الخطيب أبو جعفر بن يحي القرطبي[470].

– برنامج القاضي المحدّث أبو عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني[471].

وبالإضافة إلى ما ذُكر؛ كانت الإجازات موردا هاما من موارد ابن الزبير. ومن الأمثلة الدالة على اعتماده على الإجازات قوله: "ممن وقفتُ على خطّه له بالإجازة"[472]، وقوله كذلك: "حيث نقلتُ هؤلاء من خطه في إجازته لابنَي حوط الله"[473]، وقوله أيضا: "وكتب إلي منها بإجازة ما رواه"[474].

هذا، ونود الإشارة في هذا المقام، إلى أنّ ابن الزبير لم يطلب الإجازة من شيوخه في الأندلس فحسب، بل إنه طلبها حتى من شيوخه في المغرب والمشرق. ومن بين شيوخه الذين أجازوه من

466- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص299، ترجمة: 728. **وعلي بن إبراهيم بن علي ابن عبد الرحمن بن حسن الأميي (561-641هـ/1166-1243م):** من أهل شريش، يكنى أبا الْحسن، ويعرف بابن الفخار؛ كان فقيها أديبا، واستُعمل في الكتابة أوقاتا. ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج3، ص239، ترجمة: 601. الحسيني، صلة التكملة، ج1، ص95، ترجمة: 70. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص140، ترجمة: 1649.

467- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص ص312-313، ترجمة: 757؛ **عتيق بن علي بن خلف الأموي المريطيري:** يكنى أبا بكر، ويعرف بالحاج عتيق. كان رحمه الله من جلّة العلماء وعليتهم، فاضلا ورعا، زاهدا مقرئا للقرآن عارفا بإقرائه، وربما كان يقرئ القرآن، ولا يأخذ عليه أجره؛ توفي في 21 رجب 612هـ/15 نوفمبر 1215م. ينظر: أبي عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ص ص285-286، ترجمة: 112.

468- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص313، ترجمة: 759.

469- المصدر نفسه، مج3، ص313، ترجمة: 757.

470- نفسه، مج3، ص323، ترجمة: 772.

471- نفسه، مج3، ص ص376-377، ترجمة: 881. والشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني، توفي بتلمسان سنة 625هـ/1227م. ينظر: ابن قنفذ، الوفيات، ص310.

472- نفسه، مج3، ص ص151-152، ترجمة: 359.

473- نفسه، مج3، ص ص358-359، ترجمة: 842.

474- نفسه، مج3، ص ص314-316، ترجمة: 762.

المشارقة، محمد عبد الوهاب الدمشقي، الذي أورده في قوله: "...كتب لي بالإجازة مرتين، بمرسية وغرناطة"[475].

كما اعتمد ابن الزبير، على الخطوط التي كان يتحصّل عليها، ومثال ذلك قوله: "وقفتُ على خطّه لبعض مَن أخذ عنه بتاريخ منتصف شوال عام 617هـ"[476]، وقوله أيضا: "وقفتُ على تسمية شيوخه بخطٍّ لبعض مَن أخذ عنه وجالسه رحمه الله، وبِتُّ معه، وقصدتُه بداره زائرا في مرضه...وكان أهلا لأن يؤخَذ عنه، لفضله ودينه وعدالته رحمه الله"[477]، وكذا قوله: "نقلتُ شيوخه من خطّه"[478]، وقوله: "وقفتُ على ذلك في نسخةٍ بخطّ المقرئ أبي القاسم التونسي المعروف بابن الحداد"[479].

2-8/ مصادر المعاينة والمشاهدة:

كانت مصادر المعاينة والمشاهدة من ضمن المصادر الأساسية التي استقى منها ابن الزبير مادة كتابه "صلة الصلة"، حيث اعتمدها في تدوين تراجم الكتاب، خاصة ما كان منها لعلماء القرن السابع والثامن الهجريين (7-8هـ/13-14م)، وكذا ما كان منها لشيوخه الذين كان على صلة وثيقة بهم، فاعتمد في ترجمته لهم على ما شاهده وسمعه منهم في مجالسهم العامرة، حيث أتت معلوماته عنهم دقيقة ومركّزة.

وقد استعمل للتدليل على ذلك، عبارات كقوله: "لقيته"، "لازمته"، "جالسته"، "سألته"، "أدركته ببلدنا"، "قرأت عليه"، "سمعتُ منه كثيرا" أو "أجاز لي"؛ وغيرها من الألفاظ الدالة على ذلك، وهي كثيرة ومتنوعة بين طيي كتاب ابن الزبير.

ومن أمثلة ورود هاته الألفاظ في التراجم، ما جاء في ترجمة شيخه محمد بن عبد الله الأزدي حيث قال: "ولقيته أنا سنة خمس وأربعين وبعد ذلك، وقرأتُ عليه كثيرا وأجاز لي مرارا، وهو ممن أعتمده"[480]. كما جاء في ترجمة شيخه محمد بن يحي بن محمد العبدري ما نصه: "ترددت

475- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص ص15-16، ترجمة: 25.
476- المصدر نفسه، مج3، ص ص301-302، ترجمة: 732.
477- نفسه، مج3، ص ص15-16، ترجمة: 25.
478- نفسه، مج3، ص304، ترجمة: 737.
479- نفسه، مج3، ص376، ترجمة: 880.
480- نفسه، مج3، ص ص18-19، ترجمة: 29.

عليه بغرناطة، وقرأتُ عليه بعض شيء من العربية...وسألته الإجازة..."[481]. وفي ترجمته لشيخه محمد بن عبد الوهاب الدمشقي الواعظ، نجده يقول: "ولقيته بمرسية، ثم وصل غرناطة فلقيته بها، وجالستُه واستدعيته إلى مترلي، وسألته عن شيوخه، فذكَر أنه أخذ عن عالم كثير"[482].

وللعِلم، فإن الأمثلة في هذا السياق كثيرة ومتنوعة في كتاب "صلة الصلة" لابن الزبير، ولا يسعنا المقام لسردها كاملة، وما تمّ إيراده هاهنا ما هو إلا شذرات يسيرات مما جاء في الكتاب.

وعليه، فإن ما ذكرناه فيما سبق حول مصادر ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م) في كتابه "صلة الصلة"، ما هي إلا نتف يسيرة وشذرات متفرقات، وقفنا عليها من خلال تراجم القطعة الوحيدة من السفر الثالث التي وصلتنا. وقد حاولنا جهدنا أن نقدّم أمثلة عليها لتوضيح أهم المصادر التي اعتمدها ابن الزبير، خاصة وأنه اعتمد كمّا هائلا من المصادر في القطعة التي بين أيدينا، ومن ثَمّ محاولة إعطاء صورة واضحة المعالم عن الكتاب ككل، خاصة الأسفار المفقودة منه؛ إذْ ما لا يُدرك كلّه، لا يترك جلّه.

3-8/ المصادر الشفوية:

حاول ابن الزبير في تحرير تراجم كتابه "صلة الصلة"، الاعتماد على المصادر الشفوية، التي حصّلها من خلال ما سمعه من شيوخه أو مِن العلماء المعاصرين له وغيرهم. وقد أورد هاته المصادر بعبارات مختلفة، ومنها: "سمعته"، "شافهني بذِكْره"، "سمعتُ من أحد أشياخي"، وغيرها مِن العبارات.

وقد وظف ابن الزبير، هاته العبارات في تراجمه بشكل متنوع، ومنها ما أورده في قوله: "...ولازمته رحمه الله، وقرأتُ عليه، وسعمتُ منه كثيرا، وأجاز لي، وأوقفني على أسماء شيوخه"[483]. وقوله كذلك: "وحدّثني بعض مَن أخذ عنه، أنه حدّثه أنه..."[484]. ثم قوله: "وقفتُ على نصّ سماعه منه بتاريخ ذي الحجة من سنة 617هـــ"[485]، وكذا قوله: "ورحلتُ إليه، فسمعتُ

481- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص ص14-15، ترجمة: 24.
482- المصدر نفسه، مج3، ص ص15-16، ترجمة: 25.
483- نفسه، مج3، ص ص150-151، ترجمة: 358.
484- نفسه، مج3، ص ص349-350، ترجمة: 821.
485- نفسه، مج3، ص294، ترجمة: 713.

منه وقرأتُ كثيرا، وتلوتُ عليه الكتاب العزيز، واختلَفْتُ إليه من حضرة غرناطة مرارا، إلى أنْ أدركَتْه وفاته"[486].

وخلاصة القول، فإن كتاب ابن الزبير "صلة الصلة"، يُعتبر مِن أهمّ كتب الصلات الأندلسية، وذلك لاعتبارين اثنين هما:

– أنّ أغلب التراجم الواردة فيه، هي التراجم الواردة في "الذيل" لابن فرتون (تـــ660هـــ/1261م)، الذي لازال في عداد المفقود. وبذلك يكون ابن الزبير قد قدّم جليلة لكتاب شيخه فأحياه وحال دون ضياعه، وأعطانا صورة كاملة عن الكتاب.

– أنّ التراجم التي أضافها ابن الزبير إلى كتابه (تراجم القرن السابع وبداية الثامن الهجريين 7–8هـــ/13–14م)، مهمة ومفيدة، حيث إنها تعطينا صورة واضحة المعالم، عن علماء الأندلس خلال تلك الفترة.

وفي نهاية هذا الفصل، نخلص إلى ما يلي:

تواصلت كتابة التذييلات على كتابي ابن الفرضي (ت403هـــ/1013م) وابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) إلى غاية القرن السابع الهجري (ق07هـــ/13م)، وذلك مع أبي الخطاب بن واجب (تـــ614هـــ/1217م) الذي ألّف استدراكا على ابن الفرضي.

وكذلك فعل عبد الله بن قاسم الحرار (تـــ646هـــ/1248م) في كتابه "المنهج الرضي في الجمع بين كتابي ابن بشكوال وابن الفرضي بزيادة على ذلك"، حيث سلك فيه مسلكا وسطا في الجمع والتوفيق بين تاريخ ابن الفرضي وصلة ابن بشكوال. إلا أنّ ما يؤسَف له كثيرا، هو أنّ هاته التذييلات لازالت في تعداد المفقود، ولم يصلنا منها إلا شذرات متفرقات بين ثنايا كتب التراجم.

وبعد هاته الذيول، ظهر كتاب "التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار (تـــ658هـــ/1260م)، الذي انتفع بكل التذييلات التي سبقته. ويعتبر هذا السّفر النفيس، الحلقة الثالثة في سلسلة كتب الصلات الأندلسية، إذْ حوى بين طيّيه أكبر عدد من تراجم العلماء مقارنة بمن سبقه (ابن الفرضي وابن بشكوال). وبالرغم مِن أنّ كتابه حوى تراجم سبق ذِكرها عند ابن الفرضي وابن بشكوال، إلا أنه يعدّ من أجود ما أُلِّف في بابه، بالرغم من أنّه لم يُذيَّل عليه.

486– ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص ص314–316، ترجمة: 762.

ومن أشهر ذيول الصلة لابن بشكوال معاصر ابن الأبار؛ ابن فرتون (تـــ660هـــ/1261م)، الذي ذيّل هو الآخر على ابن بشكوال، وللأسف الشديد فإنه في تعداد المفقود. إلا أن الميزة الحسنة فيه، هو أنه تم الاستدراك عليه في القرن الثامن الهجري (ق08هـــ/14م) مِن طرف تلميذه ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م)، الذي أصلح كتاب شيخه وكمّله، وأحياه من جديد.

الفصل السادس:
الكتابة التراجمية في الأندلس في طور النضج
من مطلع (ق08هـ/14م) إلى منتصف (ق09هـ/15م)

المبحث الأول:
كتب الصلات والذيول الأندلسية في طور النضج مطلع (ق08هـ/14م)
ابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1303م) أنموذجا

1/-حياته

2/-إنتاجه العلمي

3/-التعريف بكتاب الذيل والتكملة للكتابي الموصول والصلة

4/-دواعي تأليف كتاب الذيل والتكملة للكتابي الموصول والصلة

5/-الذيل والتكملة؛ تاريخ التأليف والمحتوى

6/-منهج ابن عبد الملك في كتابه الذيل والتكملة للكتابي الموصول والصلة

7/-مصادر ابن عبد الملك في كتابه الذيل والتكملة للكتابي الموصول والصلة

المبحث الثاني:
كتب الصلات والذيول الأندلسية في طور النضج وختم الحلقات
خلال (ق08-09هـ/14-15م)

1/-لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1374م) ونهاية عصر نضج منهج كتب الصلات والذيول وأثره على الكتابة التراجمية في الأندلس

1-1/-**حياته**

1-2/-**إنتاجه العلمي**

1-3/-**التعريف بكتاب عائد الصلة**

1-4/-**التعريف بكتاب أعمال الأعلام**

1-5/-**كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة**

2/-ابن عاصم أبو يحي بن أبي بكر الملقب بابن الخطيب الثاني (ت857هـ/1452م) ونهاية عهد الصلات والذيول الأندلسية

2-1/-**حياته**

2-2/-**إنتاجه العلمي**

2-3/-**التعريف بكتاب الروض الأريض**

تمهيد:

ازدهرت الكتابة التراجمية في الأندلس مع مطلع القرن الثامن الهجري (08هـ/14م)، وبلغت مرحلة النضج التي تجلّت معالمها في ظهور مؤلِّفين في التراجم مِن شاكلة ابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1303م) صاحب "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"، الذي عُرف بموسوعيته التاريخية بابتكاره لمنهجٍ جديد في كتب الصلات والذيول الأندلسية، إذْ قام بالتذييل والتكميل معا، فجمع بين الموصول والصلة مِن جهة، ومن جهة ثانية قام بتصحيح وتصويب أخطاء وهفوات سابقيه من كتب الصلات (ابن الأبار، ابن فرتون، ابن الزبير)، مع إضافة تراجم لأعلام عصره، فاستنفذ بذلك مدة زمنية امتدت لثلاثة قرون (5-7هـ/11-13م).

وعقب ابن عبد الملك المراكشي؛ ظهر مؤرخ آخر برع في مجال التاريخ والتراجم، ألا وهو الوزير لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1374م) صاحب التصانيف التاريخية والتراجمية الماتعة؛ كـ "عائد الصلة" الذي وصل به هو الآخر كتاب "صلة الصلة" لابن الزبير (ت708هـ/1308م)، والذي يعدُّ آخرَ حلقات الصلات الأندلسية وخاتمتها.

كما أن كتابه "أعمال الأعلام"، الذي كان آخر ما ألَّف قبل مصرعه، يعدّ كذلك مصدرا من مصادر التراجم الأندلسية، إضافة لكتابه الآخر "الإحاطة في أخبار غرناطة" الذي ذاع به صيته وانتشر، وهو موسوعة تاريخية وأدبية وجغرافية وتراجمية بامتياز، ترجم فيه لأعلام غرناطة والوافدين عليها.

وعلى كتاب "الإحاطة"؛ صُنِّف تذييلٌ آخر مِن طرف الكاتب الغرناطي أبي بكر بن عاصم الملقّب بابن الخطيب الثاني، مؤلِّف كتاب "الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقريض"، الذي عُني بتدوين تراجم الطبقة الأخيرة التي عاشت خلال القرن التاسع الهجري (09هـ/15م)، وأدركت نهاية الأندلس.

المبحث الأول:

ابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1303م) ونضج منهج كتب الصلات والذيول في الكتابة التراجمية في الأندلس إلى بداية (ق08هـ/14م)

1/ حياته:

هو محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، يكنّى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد الملك[1] مِن أهل مراكش؛ وُلد يوم الأحد 10 ذي القعدة 634هـ/05 جويلية 1237م[2]، ونشأ في بيت علم وفضل مشهود له بذلك، إذْ كان والده من أهل العلم والفضل، والخير والصلاح، وذا مكانة ووجاهة بين أهل بلده[3].

وعلى عادة أهل بلده، تلقى ابن عبد الملك تعليمه الأول وهو غلام حدث السنّ على يدي والده الذي كان من شيوخ الإقراء، قبل أن يفقده وهو في سنّ مبكّرة[4]. و لم يمنعه فَقْد الوالد، مِن مواصلة تعليمه، فانبرى لذلك عند علماء بلده، وخاصة منهم مَن كانوا يحضرون مجالس والده. وقد عُرف عنه وعيه ونبوغه المبكّر خاصة وأنه لم يكن قد بلغ الخامسة عشر وقتها، فأصبح يذاكر شيوخه، حتى غدا عارفا بالتاريخ والأسانيد، وشاعرا مُجيدا[5].

وإضافة إلى شيوخ بلده، تتلمذ ابن عبد الملك لجملة من الشيوخ[6]، وأخذ عن ثلة منهم مجموعَ أسانيدٍ بطرق الأخذ المعروفة، ما بين قراءة وسماع وإجازة، حتى بلغ مجموع مَن أخذ عنهم أكثر من خمسين شيخا[7]؛ ومن أبرزهم نَذْكر:

- أبو زكريا ابن أبي عتيق، وقد تلى عليه القرآن بالسبع.

1- النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ص130-132. ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص375. المراكشي، الإعلام، ج4، ص ص313-335، ترجمة: 583. بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص158، ترجمة: 931. الزركلي الأعلام، ج7، ص32. كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص219.

2- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص ص22-23، ترجمة: 35. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص325، ترجمة: 142. ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص158، ترجمة: 931.

3- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص7-8.

4- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص12.

5- نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص12-13.

6- ذَكر منهم ابن الزبير: الكاتب الجليل أبو الحسن علي بن محمد الرعيني، وأبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن هشام، وأبو الوليد بن عفير. ينظر: ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص22، ترجمة: 35.

7- وقد أحصاهم محقق كتاب الذيل والتكملة وذكر منهم خلقا كثيرا، استنادا لما رواه ابن الملك في كتابه هذا. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص14-55.

- أبو القاسم البلوي أحمد بن محمد، الذي روى عنه الشعر الكثير.
- القاضي أبو محمد الحسين بن الإمام الحافظ علي بن محمد.
- علي بن محمد الفخار الرعيني الإشبيلي الكاتب، الذي أجازه.
- إبراهيم بن أبي بكر التلمساني[8]، صاحب الأرجوزة في الفرائض.
- محمد بن يوسف المزدغي، فقيه فاس[9].

ومِن هؤلاء الشيوخ وغيرهم ممن لم نذكرهم-لضيق المقام-مَنِ اتصل بهم ابن عبد الملك مباشرة، وروى عنهم مشافهة، وثمّة شيوخ آخرون من الأندلس والمشرق، مَن حدّث عنهم بالإجازة[10].

وفي السياق ذاته، لابد من الإشارة إلى أنّ الإجازات أتت منقادة لابن عبد الملك، من جلة من العلماء الأعلام، ولعلّ من أبرزهم ابن الزبير الغرناطي (تـــ708هـــ/1308م) صاحب "صلة الصلة"، الذي أورد جملة المكاتبات التي دارت بينهما في عديد المرات، تقصّيا للأخبار والروايات، كما أرسل إليه بجملة من مصنّفاته، طلبا لاستنساخها[11].

هذا، و لم يكتف ابن عبد الملك وهو المعروف بالنّهم في العلم، والطُّلَّعة إلى المعرفة، بأخذه عن شيوخه في مراكش، بل إنه رحل إلى بعض مدن المغرب للقاء شيوخها والأخذ عنهم، أواخر

8- **إبراهيم بن أبي بكر التلمساني (609-690هـــ/1213-1291م):** بن عبد الله بن موسى، أبو أسحاق الأنصاري التلمساني؛ شاعر أديب، من فقهاء المالكية؛ مولده بتلمسان. انتقل أبوه به الى الأندلس وهو ابن تسعة أعوام، وسكن مالقة مدة، وبها قرأ معظم قراءته، ثم انتقل الى سبتة، واستقر بها إلى أن مات عن سن عالية. كان أديبا لغويا فاضلا، إماما في الفرائض له فيها أرجوزة لقّبت بالتلمسانية. ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1980، ص63. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج10، عصر الدول والإمارات، ص102.

9- **أبو عبد الله محمد بن يوسف المزدغي (تـــ655هـــ/1257م):** الفقيه الخطيب المحدّث، العالم الشاعر الأديب؛ له مقالة في الوفاء وعقيدة وتفسير وصل فيه سورة الفتح. ينظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص222، ترجمة: 190. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص380، ترجمة: 496. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص286، ترجمة: 708.

10- أورد محقق كتاب الذيل والتكملة، تفاصيل كثيرة جدا عن شيوخ ابن الملك، سواء المغاربة منهم أم المشارقة والأندلسيين، أو ممن أجازوه، وما أخذ عنهم. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص14-55. محمد العابد بن عبد الله الفاسي: "**ابن عبد الملك المراكشي**"، مجلة دعوة الحق، مجلة تصدر عن وزارة عموم الأوقاف بالمغرب، س2، ع5، 1959، ص ص22-23.

11- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص22، ترجمة: 35.

عهد الموحدّين، وأوائل عهد المرينيين[12]؛ فزار آسفي[13]، وسلا[14]، وفاس[15]، وسبتة، وتلمسان[16]، وحاحة[17]، ودرعة[18] وأزمور[19]، ثم جاز إلى الأندلس[20].

وبهاته الأخيرة؛ اكتفى ابن عبد الملك بزيارة الجزيرة الخضراء، التي لقي بها أكابرها من الشيوخ، سعيا منه لتحصيل الأسانيد العالية والفوائد النادرة، وبحثا عن أصول المخطوطات النفيسة ونُسَخها النادرة. كما أنّ رغبته في معرفة الأقران، ومذاكرة الأصحاب[21]، كان دافعا آخر وراء هاته الرحلة الأندلسية، التي لقي فيها أستاذه ابن خميس (تـــ688هـــ/1288م)[22] بالجزيرة الخضراء، فسمع منه وأجاز له بعض مروياته[23].

ثم إنّ شغفه بالحصول على الكتب ونفائس المخطوطات، جعله يسعى للرحلة إلى جملة من المدن، حيث شدّ الرحلة إلى عدد من حواضر المغرب وباديه. ورغم أنّه كان يسعى ويجدّ في رحلاته لزيارة أكبر عدد من المدن والحواضر، إلا أنه لم تُكتب له زيارة المشرق، إذْ بلغه علم

12- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص31.

13- **أَسَفِي:** بلدة على شاطئ البحر المحيط بأقصى المغرب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، 180.

14- **سَلا:** مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور إلّا مدينة صغيرة، ثمّ يأخذ البحر ذات الشمال وذات الجنوب وهو البحر المحيط. ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص231.

15- **فَاسُ:** مدينة مشهورة كبيرة على برّ المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجلّ مدنه قبل أن تختطّ مرّاكش. ينظر: نفسه، ج4، ص230.

16- **تِلِمْسَان:** بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسوّرتان، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطّها الملثّمون ملوك المغرب، واسمها تافرزت، واسم القديمة أقادير. ينظر: نفسه، ج2، ص44.

17- **حاحة:** إقليم من أقاليم مملكة مراكش إلى البحر، في جهتي الغرب والشمال، وإلى الأطلس في الجنوب. ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج1، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983، ص95.

18- دَرْعَةُ: مدينة صغيرة بالمغرب من جنوب الغرب، بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ، ودرعة غربيّها. ينظر: نفسه، ج2، ص451.

19- **آزمُّو:** بفتح الزاي وتشديد الميم وضمّها، ومعناها باللغة البربرية "الزيتون البري"؛ مدينة في بلاد المغرب. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص5.

20- النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ص130-132.

21- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص31-45.

22- تقدم التعريف به في الهامش: 445 من الفصل الخامس.

23- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج4، السفر السادس، ص ص341-342.

شيوخه من طريق المشارقة الوافدين إلى الحواضر والمدن المغربية والأندلسية، أو من أصحابه ممن رحلوا إلى المشرق[24].

هذا؛ وأورد ابن عبد الملك في "الذيل والتكملة"، ثلّة من هؤلاء الأصحاب أو الأقران، الذين اشتركوا معه في الأخذ والرواية عن شيوخه، ومن أبرزهم[25]:

– العبدري محمد بن محمد بن سعود الحيحي، صاحب الرحلة المعروفة[26]، ذكره ابن عبد الملك من ضمن الآخذين عن بعض الشيوخ الذين ترجم لهم، وعدّه من أصحابه، حيث جمعت بينهما أواصر العلم وحلقات الدّرس في مراكش[27].

– ابن رُشيد السبتي[28]، مؤلف "الرحلة الجامعة المستوعبة للفوائد"[29].

– أبو بكر محمد بن محمد القللوسي[30]، مؤلف "الدرة المكنونة في محاسن إسطبونة"[31].

24- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص55.

25- أتى على ذِكرهم جميعا محقق الكتاب. ينظر: المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص56-72.

26- **العبدري:** محمد بن محمد بن علي، بن أحمد بن سعود؛ أبو عبد الله. كان شاعرا فحلا، وأديبا ناقدا، توفي بعد 700هـ/1300م. ينظر: العبدري محمد بن محمد بن علي، بن أحمد بن سعود (توفي بعد 700هـ)، رحلة العبدري، حققها وقدّم لها: علي إبراهيم كروي، قدّم لها: شاكر الفحّام، دمشق: دار سعد الدين، ط2، 2005، ص ص7-8.

27- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص56.

28- ابن رشيد السبتي (657-721هـ/1258-1321م): أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد؛ عالم المغرب المحدث العلامة ذو الفنون. ينظر: ابن المواق أبي عبد الله محمد بن أبي يحي أبي بكر بن خلف (583-642هـ)، كتاب بغية النقّاد النقلة فيما أخل به كتاب البيان وأغفله أو ألم به فما تممه ولا كمله، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد خرشافي، الرياض: مكتبة أضواء السلف، ط1، 2004، ص79 من مقدمة التحقيق. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص199، ترجمة: 1807. المقريزي، المقفى الكبير، ج6، ص432، ترجمة: 2923. العمري، مسالك الأبصار، ج27، ص341.

29- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص62.

30- **أبو بكر محمد بن محمد القللوسي:** محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله القضاعي، من أهل إسطبونة، يكنى أبا بكر، ويعرف بالقللوسي. كان إماما في العربية والعروض والقوافي، موصوفا بذلك، منسوبا إليه، وكان بقُطره عَلَما من أعلام الفضل والإيثار والمشاركة. له: كتاب الدّرة المكنونة في محاسن إسطبونة؛ توفي ببلده يوم الجمعة 18 رجب 707هـ/13 جانفي 1308م. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص ص53-54. الكتيبة الكامنة فمين لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1983، ص72، ترجمة: 21. المراكشي، الإعلام، ج4، ص337، ترجمة: 585.

31- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص62. **وإسطبونة:** بلد يقع على البحر المتوسط، إلى الشمال من جبل طارق. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص53، هامش: 01.

– أبو علي الحسين بن عتيق[32]، المشهور بابن رشيق التغلبي.

– أبو عبد الله محمد بن عياش الخزرجي، الذي كان له كتاب للإقراء والتعليم، وكان ابن عبد الملك يجالسه في كُتّابه أحيانا[33].

– أبو جعفر أحمد بن محمد بن سليمان، بن شُنيف العُقيلي البلنسي[34].

كما تتلمذ لابن عبد الملك المراكشي، ثلة من الطلبة الذين أخذو وروَوْا عنه[35]، ومنهم ابنه الأكبر محمد، الذي كان والده معتنيا بتعليمه ومهتما بتثقيفه، حيث تولى تنشئته العلمية والأدبية بنفسه، فسمع منه الابن وتأدّب به[36].

ومن الطلبة الذين أخذوا عنه كذلك:

– أبو القاسم عبد الرحمن العزفي، مؤلف كتاب "الإشادة"[37].

– القاسم بن يوسف التجيبي[38]، صاحب "البرنامج" ومؤلف "كتاب مستفاد الرحلة والاغتراب".

32- **أبو علي الحسين بن عتيق:** ابن رشيق التغلبي، مرسي الأصل، سبتي الموطن، الأديب الكاتب؛ صنف الكتاب الكبير في التاريخ؛ وفاته على ما ذكره البغدادي 676هـ/1277م، و696هـ/1296م على ما ذكره محقق الذيل والتكملة. ينظر: البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص ص312-313. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص63.

33- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص63.

34- **أحمد بن محمد بن سُليمان بن شُنَيْف العُقَيْليّ:** بلنسي، أبو جعفر. كان نبيلَ الخطِّ مُتقنَ التقييد كتَبَ الكثيرَ، وعُني بالآداب كثيرًا. توفِّي ببلد حاحةَ أحد أعمال مَراكش، سنةَ 664هـ/1265م. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص65 وص599، ترجمة: 641.

35- أتى على ذِكرهم جميعا محقق الكتاب. ينظر: المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص73-79. محمد العابد بن عبد الله الفاسي، ابن عبد الملك المراكشي، ص23.

36- **محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعد الأوسي:** ولد في 10 ذي القعدة سنة 634هـ/05 جويلية 1237م؛ سمع على أبيه الإمام العلامة التاريخي ابن عبد الملك المراكشي، وتأدب به. سكن مالقة، بعد أن تقلبت به الأحوال، ومات قتيلا في وقعة كانت للمسلمين مع الفرنج حول سبتة في ذي القعدة سنة 743هـ/1343م. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص ص194-195، ترجمة: 527.

37- **العَزَفي (685-717هـ/1286-1317م):** عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن أحمد، أبو القاسم بن أبي طالب العزفي اللخمي؛ سمي بالعزفي نسبة إلى جدّ له يعرف بابن أبي عزفة. وهو فاضل من المشتغلين بالحديث، أصله من سبتة، ووفاته بفاس. له كتاب "الإشادة بذكر المشتهرين من المتأخرين بالإفادة". ينظر: المقري، أزهر الرياض، ج2، ص374. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص ص397-398، ترجمة: 403. الزركلي، الأعلام، ج3، ص313.

38- **القاسم بن يوسف التجيبي:** بن محمد بن علي التجيبي البلنسي السبتي، المولود حوالي سنة 670هـ/1271م؛ والمتوفي عن ستين عاما سنة 730هـ/1329م. له كتاب "مستفاد الرحلة والاغتراب". ينظر: برنامج التجيبي، ص ص: هـ-يج.

– أبو عبد الله محمد بن أحمد إبراهيم بن يعيش[39].

– ابن عِذاري المراكشي، صاحب "البيان المغرب"[40].

إنّ كثرة شيوخ وأصحاب وتلاميذ ابن عبد الملك المراكشي (تـــ703هـــ/1303م)، تعطينا في مجملها صورة واضحة عن قيمته العلمية بين أقران عصره، وحتى في العصور اللاحقة. فقد حظي بمكانة مرموقة بينهم، وكان من العلماء المبرّزين والناقدين، حتى إن ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م) وصفه في "صلة الصلة" بقوة حاسته التاريخية وعارضته الأدبية، وتابعه في ذلك صاحب "تاريخ قضاة الأندلس"، ونص ما جاء فيهما: كان "نبيل الأغراض، عارفا بالتاريخ والأسانيد، نقّادا لها...أديبا بارعا، شاعرا مجيدا...وكان مع نقده الإسنادي، ذا معرفة بالعربية واللغة والعَروض"[41].

وقد أهّلته مكانته العلمية الوازنة، مِن تقلّد العديد من الوظائف الرسمية، إذ اشتغل أول أمره بكتابة الشروط وعقد الوثائق زمن الموحّدين[42]. كما ولي خطة قضاء الجماعة بمراكش ردحا من الزمن، أيام الأمير يوسف الناصر لدين الله المريني[43]، ثم صُرف عنها لحدّة طباعه، وصرامته في أحكامه[44].

39- كان يسكن في مدينة سلا، حيث كان له حانوتٌ بها للتجارة. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص76.

40- **ابن عِذَاري (توفي بعد 712هـــ/1312م):** محمد أو أحمد بن محمد المراكشي؛ أبو عبد الله، المعروف بابن عذاري. مؤرخ أندلسي الأصل، مِن أهل مراكش. من تآليفه "البيان المغرب". ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2013، ص5. الزركلي، الأعلام، ج7، ص95؛ وقد جعل وفاته سنة نحو سنة 695هـــ.

41- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص22، ترجمة: 35. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص130.

42- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص84.

43- مولده في شهر ربيع الأول 638هـــ/سبتمبر 1240م، ووفاته سنة 706هـــ/1306م؛ من قضاته ابن عبد الملك المراكشي. ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط: المنصور للطباعة، 1972، ص ص374-375 وص388.

44- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص22، ترجمة: 35. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص130.

توفي ابن عبد الملك المراكشي، بعد حياة علمية وسياسية حافلة، بمدينة تلمسان الجديدة، وبها دُفن أواخر محرم سنة 703هـ/أوت 1303م[45].

وقد اختلف المؤرخون في تاريخ ومكان وفاته، وذهبوا في ذلك مذاهب عدّة. فأكّد ابن الزبير وصاحب "تاريخ قضاة الأندلس" أنه توفي بتلمسان الجديدة أواخر محرم سنة 703هـ/أوت 1303م، وهو التاريخ والمكان الذي أثبتناه. بينما ذهب صاحب "لُقط الفرائد"، أنه قضى في مراكش؛ بينما خالف الونشريسي الجميع، وذهب إلى أنه توفي مقتولا سنة 704هـ/1304م[46].

2/ إنتاجه العلمي:

خالف ابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1303م) أسلافه من أصحاب الصلات في كثرة تآليفهم، حيث كان من الـمُقلّين في الكتابة بالرّغم من كثرة مطالعاته، وثقافته الواسعة، التي ورثها عن مشايخه وعلمائه بمراكش، أو الوافدين إليها وبقية المدن المغربية.

وتفيدنا المصادر التي ترجمت له، أنه صنّف مجموعة كتب قليلة، ومن أهمها كتابان كبيران هما: "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"، وكتاب "الجمع بين كتابي ابن القطان[47] وابن المواق[48] على كتاب الأحكام".

وهذان المؤلَّفَان، أخذا منه جلّ وقته، وأنفق فيهما معظم حياته، وذلك نظرا لأن مادتهما تتطلّب الاستقصاء، وطبيعة منهجهما التي تقتضي ضروبا عسيرة من الترتيب والتنسيق.

45- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص22، ترجمة: 35. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص130.

46- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص22، ترجمة: 35. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص130. ابن القاضي، لقط الفرائد من لفاظة حُقَقِ الفوائد، ج2، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، ص578. الونشريسي أحمد بن يحي، وفيات الونشريسي، ج2، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، ص578.

47- **أبو الحسن بن القطّان (ت628هـ/1230م):** علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، من حفاظ الحديث ونقده، ولي قضاء سجلماسة؛ له: بيان الوهم والإيهام. ينظر: المراكشي، الإعلام، ج9، ص75، ترجمة: 1385.

48- **ابن المواق:** هو عبد الله محمد بن يحي بن خلف بن فرج بن صاف، فقيه حافظ محدّث، نقاد له تعقّب على كتابه شيخه أبي الحسن بن القطّان؛ توفي بمراكش سنة 642هـ/1244م. ينظر: المراكشي، الإعلام، ج4، ص ص231-234، ترجمة: 556.

- **فأما كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**[49]: الذي اشتهر به كثيرا، فسيأتي الحديث عنه في الجزئيات الموالية.

- **كتاب الجمع بين كتابي ابن القطان وابن الموّاق على كتاب الأحكام**[50]: يصنَّف هذا الكتاب كتذييل وتكميل لثلاثة أعمال في الحديث أو أحاديث الأحكام على وجه الخصوص، وهي[51]: الأحكام الكبرى لعبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي[52]، وبيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام لابن القطّان، وتعقيب ابن الموّاق على ابن القطّان.

وعَمَلُ ابن عبد الملك في هذا التصنيف، يرتكز على أربعة أشياء هي: الجمع، والترتيب، والإضافة والتكميل. وقد قدّم ابن عبد الملك في هذا السِّفر، عملا منهجيا وموسوعيا في آن واحد، مثل الذي قدّمه في "الذيل والتكملة"، فكان هذا دليلا قويا على علو كعبه وسعة اطلاعه في الحديث، وهو برهان آخر على قدراته الخارقة، على التنظيم والترتيب[53]؛ إلا أنّ ما يُؤسف له، أنّ هذا المصنّف لا زال في عداد المفقود.

- **الجامع في العَروض**[54]: عُرف ابن عبد الملك باهتمامه بالعَروض والشِّعر، ويعدُّ مصنّفه هذا مثالا على ذلك، إلا أنه لازال في عداد المفقود.

- **مقالة في ضبط عنوان الملخّص**[55]: موضوعها في النحو، وقد وصفها ابن عبد الملك مفتخرا بعلمه على عادته، بأنها اشتملت على فوائد جليلة[56]، وهي في عداد المفقود كذلك.

49- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص22، ترجمة: 35. العبدري، الرحلة، ص302. المراكشي، الإعلام، ج4، ص335. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص122-132.

50- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص22، ترجمة: 35. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج5، السفر الثامن، ص151. العبدري، الرحلة، ص ص301-302.

51- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص133-136.

52- المعروف بابن الخرّاط المتوفي سنة 581هـ/1185م. ينظر: العبدري، الرحلة، ص301، هامش: 6.

53- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص136.

54- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص137-140. مج4، السفر السادس، ص250.

55- نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص140-141.

56- نفسه، مج1، السفر الأول، ص715.

- **مقالة حول كتاب الأربعين حديثا للملّاحي (تـــ619هـــ/1222م)**[57]: وهي جزء من اشتغاله بالحديث، ولا شكّ أنه أبان فيها تضلّعه فيه، وتبحّره في النقد الإسنادي، الذي شهد له أئمة الحديث بالتبريز فيه[58].

- **تقاييده ورسائله بالإضافة إلى شِعره ونثره ونقده**[59]: على ما يبدو، فإن ابن عبد الملك خلّف ثروة أدبية هامة، إلا أنها ضاعت و لم يبق منها إلا نماذج محدودة، يشهد على ذلك ما ذكره عنه ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م)، إذْ قال: "وكان رحمه الله نبيل الأغراض، عارفا بالتاريخ والأسانيد، نقّادا لها، حسن التهدّي، جيد التصرّف وإِنْ قلّ سماعه، أديبا بارعا، شاعرا مُجيدا، امتدح بعض كبراء وقته فأجاد، وكان مع نقده الإسنادي، ذا معرفة بالعربية واللغة والعَروض، ومشاركة في الفقه"[60].

3/ التعريف بكتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة:

يعتبر هذا السفر التراجمي النفيس الموسوم بـــ "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"[61]، مِن أكبر معاجم الأعلام التي صنّفها الأندلسيون والمغاربة قديما، إذ استوفى فيه صاحبه تراجم عدّة، ممن أغفلهم ابن الفرضي (ت403هـــ/1013م) وابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) في كتابيهما، إضافة لترجمته لمن أتى بعدهما من الأعلام.

وقد استدرك ابن عبد الملك (تـــ703هـــ/1303م) على ابن الفرضي ومَن تلاه بعض أعلام القرون الأولى، إلا أنّ معظم تراجم كتابه هي لأهل القرن السادس والسابع الهجريين (6-7هـــ/12-13م). حيث إنه كان حينما يعيد تدوين التراجم الموجودة عند سابقيه، فإنما يكون ذلك لزيادة فائدة، وإضافة شيء جديد، أو لتصويب بعض الأخطاء، والتنبيه على ما فيها مِن

57- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص141-142 ومج4، السفر السادس، ص457. والملاحي تقدمت ترجمته في الهامش: 442 من الفصل الخامس.

58- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص142.

59- نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص142-151.

60- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص22، ترجمة: 35.

61- المقصود بالموصول في العنوان، كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي. وأما المقصود بالصلة، فهو كتاب "الصلة" لابن بشكوال.

أوهام؛ ويبدو هذا الأمر واضحا جليا، عند معارضة تراجمَه بتراجم "التكملة" لابن الأبار (تـــ658هـــ/1259م)، أو "صلة الصلة" لابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م)[62].

وقد جاءت تراجم ابن عبد الملك حافلة، مستوعبة لآثار المترجَمين وأخبارهم، مع نقده للروايات، والنظر في تلك الآثار[63]، حيث عكف عليه عمرَه كلّه، و لم يتمّ له مَرامه منه[64]، وهو ما جعل العبدري يقرّر في رحلته بأن كتاب ابن عبد الملك؛ كتابٌ "متقن ومفيد"[65]. وهو بهذه الصورة، لا يمكن إلا أنْ يوصف بأنه أعظم حلقة من حلقات السلسلة الأندلسية فائدة، وأجلّها عائدة، وأكبرها حجما؛ إذْ أنه يتألّف من تسعة أسفارٍ، تجاوز فيها الأربعة آلاف ترجمة[66]. وعليه، فإنه ليس من المغالاة في شيء، أن نزعم قائلين بأن كتاب "الذيل والتكملة"، هو بلا شك مِن أشمل الموسوعات التاريخية التراجمية الأندلسية المغربية الخاصة.

إنّ القارئ لكتاب ابن عبد الملك هذا، والناظر في مضامينه، يدرك جليا أنه يختلف كثيرا عن كتب التراجم السابقة له، ويتميّز عنها بميزات وخصائص فريدة، كتبت لها هذا التميّز والسّبق ومنها:

– أن تراجمه جاءت طويلة النَفَس، قياسا على تراجم ابن الزبير وغيره من مؤلفي كتب التراجم السابقين له[67].

– أن ابن عبد الملك، كان لا يقف عند ذِكر الناحية العلمية–كما فهمها أهل عصره–مِن سردٍ لأسماء الشيوخ والتلاميذ والمؤلفات، ولكنه تجاوز ذلك إلى الحديث عن الأدب نثرا وشِعرا. فكانَ يورد القصائد الطوال، والرسائل الأدبية، والمعارضات الشعرية، وتنافسَ الكُتّاب في أنواع من الرسائل التي كان يوردها كاملة؛ و لم يهمل في ذلك كلّه الحديث عن الحياة السياسية[68].

62– ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص128.

63– كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص206.

64– ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص22، ترجمة: 35.

65– العبدري، الرحلة، ص302.

66– ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص42.

67– الأهواني، مخطوطان جديدان، ص10. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص128–129.

68– الأهواني، مخطوطان جديدان، ص10. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص129 وص ص131–132.

– حَرَصَ ابن عبد الملك في كتابه على الردّ على أصحاب كتب التراجم في عدّة مواضيع ومنهم ابن بشكول، إذْ كان ردّه لا يقتصر على تصحيح الأنساب والأسماء وتواريخ الوفاة، بل كان يتجاوزه إلى أحكام شخصية على آثار بعض هؤلاء العلماء[69]، ومنهم ابن الزبير الذي أخضه لآلة نقده في عديد المواضع[70].

وعليه، فإن كتاب "الذيل والتكملة" حوى مادة نقدية غزيرة، تنوعت بين نقد الإسناد التاريخي، والنقد العلمي، كما أنه تناول بعض الآثار العلمية بالنّقد والمحاكمة، وكذا النقد الأدبي الذي أودعه ضمن بعض الخطرات النقدية المبثوثة في كتابه[71].

– كما أنّ كتاب ابن عبد الملك، لم يقتصر فيه على التذييل على كتاب واحد، كما فعل ابن الأبار (تـــ658هـــ/1259م)، وابن فرتون (تـــ660هـــ/1261م)، وابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م)؛ في تكملاتهم وتذييلاتهم، ووصلِهم لابن بشكوال. ولكنه تصدّى للتذييل على ابن بشكوال، والتكميل لابن الفرضي الذي هو أصل ابن بشكوال في آن واحد، وجعل ذلك كله في عنوان الكتاب، بل ونصّب نفسه ندًّا لابن بشكوال[72].

– وفي السياق ذاته، كان ابن عبد الملك يرفع أنساب المترجَمين ويجتهد في ضبطها، خاصة وأنّه كان يوصف بالنسّابة[73].

– هذا، وعُرف ابن عبد الملك بتنظيمه المعجمي الدقيق على أساس الترتيب المشرقي لحروف المعجم[74]، فكان يراعي ترتيب أسماء المترجَمين وكُناهم، وكذا عمود نسبهم وشيوخهم وتلاميذهم؛ في نسق غريب لا شك أنّه كلّفه جهدا ووقتا كبيرين، وهو ما يدلّ على قوة طاقته وصبره وتحمّله، وقدرته الفائقة على الترتيب، وولعه الشديد بالتنظيم[75].

69- الأهواني، مخطوطان جديدان، ص10.

70- رغم الردود التي وجهها ابن عبد الملك لابن الزبير، فإن هذا الأخير التزم معه إنصافا قلّ نظيره، حين ترجم له بعد وفاته، وإنْ كانت هاته الترجمة أتت بطريقة، لا تخفى على مَن يعرف أساليب ابن الزبير وأمثاله. ينظر: الأهواني، مخطوطان جديدان، ص11.

71- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص130.

72- الأهواني، مخطوطان جديدان، ص11.

73- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص130.

74- **حروف المشارقة هي:** ألف باء تاء ثاء جيم حاء خاء ثم تُسرد متماثلين متماثلين إلى كاف لام ميم نون هاء واو لام ألف ياء. بينما قدّم بعضُهم الواو على الهاء. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص53.

75- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص131.

وعليه، فإن ابن عبد الملك المراكشي (تـــ703هـــ/1303م)، استوعب في موسوعته التراجمية هاته، كل ما دوّنه أصحاب الصلات قبله، كابن الفرضي (ت403هـــ/1013م) في كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، وابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) في كتابه "الصلة"، وابن الأبار (تـــ658هـــ/1259م) في "التكملة"، وابن فرتون (تـــ660هـــ/1261م) في "الذيل"، وابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م) في "صلة الصلة"؛ وغيرها من التآليف، بل إنه تجاوزها كلها، وأثبت ما قرره غيره عنه، بموسوعية سِفره وأهميته الوازنة.

4/ دواعي تأليف كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة:

صدّر ابن عبد الملك (تـــ703هـــ/1303م) لكتابه بمقدّمة هامة، بيّن فيها المنهج الذي سلكه وسار عليه في ترتيب مادته التراجمية. حيث استفتحها بذِكر المقصد من تصنيف الكتاب، الذي رامَ من خلاله التذييلَ على كتاب "الصلة" لابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م)، و"تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي (ت403هـــ/1013م)، وتكميل النقص الحاصل فيهما، بَلْ وأكمل ما فات أصحاب الصلات الأخرى قبله، كابن الأبار (تـــ658هـــ/1259م) في "التكملة"، وابن فرتون (تـــ660هـــ/1261م) في "الذيل"، وابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م) في "صلة الصلة"، وإصلاح ما اعتراها من هفوات[76].

وقد تحدّث عن ذلك في مقدمة كتابه فقال: "أما بعد فإني قصدتُ في هذا الكتاب إلى تذييل "صلة" الرَاوِية أبي القاسم ابن بَشْكُوال، تاريخَ الحافظ أبي الوليد ابن الفرضي-رحمهما الله-في علماء الأندلس، والطارئين عليها مِن غيرهم، بِذِكْر مَن أتى بعده منهم، وتكميلها بمن كانَ حقُّه أنْ يَذكراه فأغفَلاه"[77].

هذا من جهة؛ وأما من جهة ثانية، فإننا ومن خلال مقدمته، نستشف أن هناك سببا آخر، كان مدعاة لتدوين مصنّفه الجديد، ألا وهو امتعاضه من أصحاب الصلات الذين كانوا يخالفون أحيانا منهجهم المعتمد في كتبهم، تَبَعا لأهوائهم، فحادوا بذلك عن الجدّية، وجانبوا الصواب والموضوعية، دونما مبرر يُذكر[78].

76- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص202-208. المنوني محمد، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، ج1، الرباط: منشورات كلية الآداب، 1983، ص72. عبد الله العومي ليلى بنت سلمان، مصادر ابن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص66.

77- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص202.

78- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص207-205.

ومن جهة ثالثة، نجد أنّ هناك سببا آخر يمكن أن نستشفه من خلال تتبعنا لأسفار الكتاب، ألا وهو نزعته ورغبته الكبيرة، في المحافظة على تراجم الغرباء، وخاصة المغاربة منهم-ربما لكونه مغربيا-؛ تعريفا بهم، وحفظا لنسبتهم المغربية، إذِ عاب على الأندلسيين تجاهلهم للمغاربة وغَمْطِهِم[79].

وتظهر هاته النزعة بشكل جلي وقوي، من خلال إسهابه في تطويل تراجم بعضهم في قسم الغرباء، حيث ساعده في ذلك اطلاعه على تراجم البعض منهم، ممن ترجمَ لهم أصحاب الصلات الذين سبقوه ونسبوهم إلى الأندلس، ظنا منهم بأن يكون هؤلاء من بلاد المغرب، وأن الأحرى بهم انتسابهم إلى الأندلس[80].

ولهاته الأسباب، فإننا نجده يعمد إلى تأليف كتابه لا بمشورة مِن أحد من العلماء أو الأصحاب، ولا بطلب من ذوي السلطان، وإنما حتّم عليه ذلك خلقُه وأمانته العلمية، وحرصه على إكمال ما وجده ناقصا لدى سابقيه، ممن ألّفوا في تراجم أهل الأندلس، أو ذِكْر أحد رجاله أو القادمين إليه مِن غير أهله، ولذلك وسم كتابه بـــ "الذيل والتكملة"[81].

5/ الذيل والتكملة؛ تاريخ التأليف والمحتوى والتحقيق:

5-1/ تاريخ التأليف:

لم يصرّح ابن عبد الملك (تـــ703هـــ/1303م) بتاريخ بداية تأليفه لكتاب "الذيل والتكملة"، ولا أشار إليه مثلما صنع ابن الأبار (تـــ658هـــ/1259م) في "التكملة". وكل الذي وصلنا أنه أفنى عُمره في سبيل تصنيفه، وهو ما أشار إليه شيخه ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م) إذ قال: "وعلى هذا الكتاب؛ عكف عُمره و لم يتم له مرامه منه، إلى أنْ لحقته وفاته"[82].

ومما يدعم هذا القول ويؤيّده، ما أورده ابن عبد الملك في ترجمة أبي عامر السالمي، وهو يتحدّث عن أحد كُتبه، فقال: "وقفتُ عليه بخطّه، وصار إليّ في سفرتي إلى تِلِمْسِين بفاس، في

79- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص205-206. **والغمط:** هو الاستصغار والاحتقار. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص663.

80- عبد الله العومي ليلى بنت سلمان، مصادر ابن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص66-67.

81- المرجع نفسه، ص66.

82- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص22، ترجمة: 35.

جمادى الآخرة تسع وتسعين وست مائة"[83]، وهاته السنة هي آخر سنة وُجدت في تراجم "الذيل والتكملة" لابن عبد الملك.

وبالإضافة إلى تاريخ شروعه في تأليف كتاب "الذيل والتكملة" الذي يبقى محل استفهام، فإن تاريخ انتهائه من تأليف هذا السّفر التراجمي النفيس؛ بقي محل استفهام هو الآخر، ذلك أنّ ابن عبد الملك لم يُشر إليه ولا ذكره ولو عرضا. وما يؤيّد هذا الكلام، هو عبارة شيخه ابن الزبير السالفة الذكر، حيث قال: "وعلى هذا الكتاب؛ عكف عُمره و لم يتم له مرامه منه، إلى أنْ لحقته وفاته"[84].

ويُفهم من عبارة ابن الزبير تلك، احتمالان اثنان؛ الأول، أنه توفي قبل الفراغ من تأليف الكتاب. والثاني، أنه بقي عليه فيه تنقيح وتتميم، وهو ما تدل عليه البياضات التي وجدها عليه محققو الكتاب[85]. وعليه نخلص إلى أن ابن عبد الملك المراكشي، لم يشر إلى تاريخي تأليف الكتاب ولا الفراغ منه، ولكنه أفنى عمره في تأليفه.

وأيا كان الأمر؛ فإن ابن عبد الملك أخرج كتابه في حياته، وكان ولده أبو عبد الله، والقاسم التجيبي السبتي ممن رووا عنه الكتاب وجماعة من أصحابه ذكرهم ابن مرزوق[86] و لم يسمّهم[87]. فأما رواية ابنه أبو عبد الله محمد، فعُرفت في الأندلس بعد هجرته إليها، ولعلّ النسخة التي نقل عنها ابن الخطيب في "الإحاطة" والنباهي في "المرقبة العليا"، كانت مِن رواية ابن عبد الملك الإبن فهو من شيوخهما.

83- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج4، السفر السادس، ص ص08-10.

84- ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص22، ترجمة: 35.

85- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص123.

86- **ابن مَرْزُوق (710-781هـ/1311-1380م):** محمد بن أحمد بن محمد، ابن مرزوق العجيسي، أبو عبد الله، شمس الدين، فقيه وجيه خطيب، من أعيان تلمسان، أثنى على ابن خلدون، وأسهب المقري في ترجمته. رحل إلى المشرق سنة 718هـ/1318م مع والده، وأقام بمصر مدة، وعاد إلى تلمسان سنة 733هـ/1332، فولي أعمالا علمية وسياسية، وتقدم عند ملوك المغرب، وسجنه بعضهم. له: المسند الصحيح الحسن. ينظر: محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص19 من مقدمة التحقيق. الزركلي، الأعلام، ج5، ص328.

87- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص123.

وأما رواية القاسم بن يوسف التجيبي (تـــ730هـــ/1329م)[88]، فلعلّها تكون أوثق روايات "الذيل والتكملة"، لما تمتاز به من التعليقات المفيدة، والتحقيقات الجيدة، والتذييلات النافعة[89]، وهذه النسخة هي التي انتهت إلى مُلك ابن مرزوق الجد[90].

وعليه، فإن أهل العلم، تداولوا كتاب "الذيل والتكملة" بعد وفاة ابن عبد الملك مباشرة. إذ تشهد الأدلّة، على أنّ كتاب ابن عبد الملك عُرف وقُرئ بمراكش وفاس وسبتة وتلمسان وتونس وغرناطة، منذ مطلع القرن الثامن الهجري (08هـ-14م)، واستُعمل بالمشرق في القرن التاسع الهجري (09هـــ-15م)، حيث أشار السخاوي في "الإعلان بالتوبيخ"[91] إلى وقوفه عليه وقراءته للأجزاء الخمسة الأولى منه[92]. كما عدّه السيوطي من مصادره في مقدمة "بغية الوعاة"، ونقل عنه كثيرا[93].

وهكذا، ظل كتاب "الذيل والتكملة"، يستعمل ويُستنسخ ويُنقل عنه، حيث نقل عنه جماعة، ومن أبرزهم[94]:

- ابن عذاري (توفي بعد 712هـــ/1312م)[95]: نقل عنه بعض الأخبار والنصوص.

- ابن مرزوق (تـــ781هـــ/1380م)[96]: نقل فقرات كاملة من السفرين الأول والثامن، مع تذييلات للقاسم التجيبي، الذي روى "الذيل والتكملة".

- ابن الخطيب (تـــ776هـــ/1374م)[97]: في "الإحاطة" ذكره عشرات المرات، ونقل منه فقرات بنص المؤلّف أو بتصرّف.

88- تقدّمت ترجمته في الهامش: 38 من هذا الفصل.

89- المنوني، المصادر العربية، ص74.

90- لتفاصيل كافية؛ ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص123-125.

91- يقول السخاوي: "والخمسة الأُوَل من تسعةٍ مِنَ التَّكْمِلَة لابن عبد الملك، إلى قوله في السَّادس: محمّد بنُ أَحمدَ بنِ عثمان القيسيّ"؛ ويقول في موضوع آخر: "وهو حافل في مجلدات" ينظر: السخاوي، الإعلام بالتوبيخ، ص366 وص400.

92- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص125.

93- السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص04.

94- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص126-127.

95- تقدمت ترجمته في الهامش: 40 من هذا الفصل.

96- تقدمت ترجمته في الهامش: 86 من هذا الفصل.

97- ستأتي ترجمته فيما سيأتي من هذا الفصل.

– السيوطي[98]: نقل عنه في "بغية الوعاة" بتصرف في الغالب، فكان يلخّص كلامه ويذكر صاحب "الذيل والتكملة" بالاسم. وقد استخرج منه تراجم الأندلسيين، الذين ينحدرون في طبقات النحاة واللغويين.

– ابن القاضي[99]: في "جذوة الاقتباس"، حيث ختم عدة تراجم مِن كتابه بعبارة "ذَكره ابن عبد الملك"، كما نقل عنه كذلك في "درة الحجال".

– ابن غازي[100]: وقف ابن غازي على "الذيل والتكملة"، ونقل منه في كتابه "الروض الهتون"، وكتابه "شفاء العليل في شرح مختصر خليل"، و"رسالة الإشارات الحسان".

– عبد الرحمن الفاسي[101]: في كتابه "استزال السكينة بتحديث أهل المدينة"، حيث اعتمده في تحقيق أسانيده، ونقل عنه ترجمة ابن هشام الأوسي المراكشي.

– محمد بن عبد الرحمن الفاسي[102]: نقل في كتابه "المنح البادية" كلاما لابن عبد الملك، من ترجمة ابن خير الأموي؛ في "الذيل والتكملة".

2-5/ محتوى الكتاب:

يعتبر كتاب "الذيل والتكملة" لابن عبد الملك، أوسع معجم في أعلام الأندلس والطارئين عليها، من بلدان المغرب على مدى ثلاثة قرون؛ وقد احتوى مقدّمة وتسعة أسفار.

98- **السُّيوطي (849-911هـ/1445-1505م):** عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين؛ إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو 600 مصنف. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص301.

99- **ابن القاضِي (960-1025هـ/1553-1616م):** أحمد بن محمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي الزناتي، أبو العباس بن القاضي، مؤرخ رياضي من أهل مكناس، ولي القضاء في سلا واشتهر. من مؤلفاته: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص236.

100- **ابن غازي (841-919هـ/1437-1513م):** محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي؛ أبو عبد الله. مؤرخ حاسب، فقيه من المالكية. ولد بها وتفقه بمكناس وبفاس، وأقام زمنا في كتامة، واستقر بفاس سنة 891هـ/1573م، وتوفي بها. له: الروض الهتون في أخبار مكناسة. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج5، ص335.

101- **عبد الرحمن الفاسي:** العلاّمة المشارك الجماع المطلع، نادرة عصره في مصره، أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر ابن علي الفاسي بلدا ولقبا المتوفي بفاس سنة 1096هـ/1684م؛ له: استزال السكينة في تحديث أهل المدينة. ينظر: الكتاني، فهرس الفهارس، ص735.

102- **محمد بن عبد الرحمن الفاسي (1058-1134هـ/1647-1721م):** أبو عبد الله محمد بن أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، الفقيه العالم العامل المتفنن المسند الزكي الفاضل؛ له فهرسة حافلة سماها: المنح البادية في الأسانيد العالية. ينظر: مخلوف، شجرة النور، ج1، ص480.

– أما المقدمة: فمن خلال تصفح كتاب "الذيل والتكملة"، ندرك أن ابن عبد الملك لم يجارِ فيه أصحاب الصلات قبله، لا في المنهج ولا في الاختصار؛ وخير دليل على ذلك مقدمته التي أتت مطوّلة[103]، مقارنة مع مقدّمات مَن سبقوه من أصحاب الصلات.

وقد استفتح المؤلّف مقدّمته بالصلاة الإبراهيمية، مع ذِكر شيء من نسبه، ثم شرع في بيان مقصده وغرضه من تأليف الكتاب، ليعرّج بعدها على بيان منهج أصحاب الصلات قبله؛ مُفصِّلا القول في ذلك، بعرض مادة كل واحد منهم، مصوّبا للرأي أحيانا، وناقدا ناقما أحيانا أخرى.

وبعد أن استعرض المؤلِّف منهج مؤرخي الصلات، بدأ في توضيح منهجه الذي آثر فيه النمط المشرقي، ثم سار في عرض مادة تراجمه وتنظيمها، وفق طريقة تَسهل الإفادة منها، ليختم ذلك كلّه بالإشارة إلى مصادره وموارده، التي استقى منها مادة كتابه.

– وأما الأسفار التسعة: فلم يُشر ابن عبد الملك إلى تجزئة كتابه، فيما وصلنا من مقدمته، إذ ربما يكون قد أشار إلى شيء من ذلك في آخرها، الذي بقي بياضا في النسخة التي اعتمدها محققو الكتاب.

كما ذَكر كل من السخاوي في "الإعلان بالتوبيخ"[104]، والسيوطي في "بغية الوعاة"[105]، أنّ كتاب "الذيل والتكملة" يقع في تسع مجلدات. وربما تكون هذه هي تجزئة الأصل الذي تركه المؤلِّف. ويبدو أن بعض النسخ المتأخّرة خالفت هاته التجزئة، كما تدلّ على ذلك الأجزاء أو الأسفار التي عثر عليها محققو الكتاب[106].

وقد يُفهَم من عبارة ابن الزبير: "وعلى هذا الكتاب؛ عكف عُمره ولم يتم له مرامه منه، إلى أنْ لحقته وفاته"[107]، أنّ ابن عبد الملك توفي دون أن يفرغ من تأليف كتابه، ولعلّه إنما يشير إلى ما بقي فيه من تنقيح وتتميم، وهو ما تدلّ عليه البياضات الموجودة فيه كذلك[108]. بمعنى أنه

103– جاءت مقدمة كتاب ابن عبد الملك في حوالي 18 صفحة، مع وجود بياض في آخرها، مما يعني طولها نسبيا؛ ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر 1، ص ص201-218.

104– السخاوي، الإعلام بالتوبيخ، ص366 وص400.

105– السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص04.

106– ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص122-123 وص ص181-182.

107– ابن الزبير، صلة الصلة (ضمن مجموع كتاب الصلة)، مج3، ص22، ترجمة: 35.

108– ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص123.

ربما احتوى كتاب "الذيل والتكملة" على أكثر من تسعة أسفار، أو أن صاحبه كانت نيته تأليف أكثر من ذلك، لكن سبق أجله.

وإلى غاية القرن التاسع الهجري (09هـ-15م)، كان المعروف من كتاب ابن عبد الملك؛ تسعة أسفار حسبما أكده السخاوي والسيوطي[109]، اللذان نقلا من "الذيل والتكملة" الكثير، وبقي منه الآن خمسة أسفار وهي[110]:

- **السفر الأول:** يقع في جزئين بهما 871 ترجمة، تستوعبها 567 صفحة عدا الفهارس، وهذا السِّفر قام بتحقيقه محمد بن شريفة، وهو خاص بمن اسمه أحمد من حرف الألف[111].

- **بقية السفر الرابع:** وهي القطعة المتبقية من السفر الأول، وتشتمل على 407 ترجمة، في 234 صفحة عدا التقديم والتعليقات والإضافات والفهارس. وهو خاص بالأسماء من الحروف المبدوءة بحرف السين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء وكذا قطعة من حرف العين على بتر بالأصل ضاعت معه بعض الأسماء؛ وهذا السفر حققه إحسان عباس[112].

- **السفر الخامس:** يقع في جزئين يحتويان على 1299 ترجمة في 695 صفحة، عدا التقديم والتعليقات والإضافات والفهارس، وبه من الحروف بقية الأسماء المبدوءة بحرف العين والغين والفاء والقاف والكاف واللام وكذا قطعة من حرف الميم. وهذا السفر حققه كذلك، إحسان عباس[113].

- **السفر السادس:** يقع في مجلد يحتوي على 1292 ترجمة في 500 صفحة، عدا التقديم والتعاليق والفهارس، ويشتمل على قسم مهم من بقية حرف الميم، و لم ينته بعد. ثم ذيّله المحقق بالتراجم التي استدركها أبو القاسم التجيبي (تـ730هـ/1329م) على هذا السفر[114]، وعدد هاته

109- السخاوي، الإعلام بالتوبيخ، ص366. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص04.

110- المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ص ص72-73. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص43.

111- المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ص ص72. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص43.

112- المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ص ص72-73. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص43.

113- المراجع والصفحات نفسها.

114- تقدمت ترجمته في الهامش: 38 من هذا الفصل. وقد قام بالاستدراك على الذيل والتكملة لابن عبد الملك؛ مجموعة من التراجم، مع عدد من الملاحظات، ودوّن ذلك بخطّه في هوامش نسخته من كتاب الذيل والتكملة. ينظر: المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ص74.

التراجم هو 23 ترجمة[115]، فصارت بها محتويات السفر السادس 1315 ترجمة، وهذا السفر حققه كذلك إحسان عباس[116]،

– **السفر الثامن:** اشتمل على بقية تراجم الغرباء، وبعض تراجم النساء. فهو يبتدئ–في حرف العين–بترجمة أبي الحسن بن قطرال إلى أن ينتهي الغرباء من الرجال بترجمة يونس بن يوسف القصري، فيُتبعهم بِذكر النساء مرتبات على الحروف؛ أندلسيات ثم غرائب، حتى يقف على ترجمة من اسمها سارة في قسم الطارئات على الأندلس[117].

وقد قام بتحقيق هذا السفر محمد بن شريفة، وبذل فيه مجهودا مضاعفا حتى استوى على الصورة التي نُشر عليها، خاصة وأن المحو في المخطوط كان قد عمّ أماكن كثيرة منه، وشمل الطمس جميع الأطراف العليا من جميع الأوراق، بسبب البلل والرطوبة، كما أنه وصل مبتور الآخر[118]، وقد ضمّ 293 ترجمة ما بين رجال ونساء.

كانت هاته إطلالة سريعة، على ما هو معروف ومتداول إلى حد الساعة عن كتاب "الذيل والتكملة" لابن عبد الملك المراكشي. وقد تبيّن لنا من خلاله، أنه ضاع من تراجمه ما بعد السفر الأول من بقية الأسماء المبدوءة بالألف، ثم بقية الحروف إلى السين الذي تبتدئ به قطعة السفر الرابع.

كما ضاع منه ما بعد السفر السادس، الذي يضم بقية الأسماء المبدوءة بالميم إلى حرف الياء خاتمة تراجم الأندلسيين. وضاع في قسم الغرباء من الألف إلى أثناء حرف العين، ومِن آخره بقية أسماء الغرباء من حرف السين إلى الياء[119].

5-3/ تحقيق الكتاب:

بقيت أسفار "الذيل والتكملة" في تعداد المخطوطات ردحا من الزمن، إلى أنْ أزال عنها بن شريفة محمد وإحسان عباس غطاء النسيان، وقاما بتحقيقه تحقيقا وازنا ومهما. فقد قام بن شريفة

115– جمع محققو الكتاب هاته التراجم المستدركة على حدة، وذيّلوا بها السفر السادس. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج4، السفر السادس، ص ص547–554.

116– المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ص ص72–73. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص43.

117– المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ص73.

118– ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص185–187. بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص43.

119– المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ص73.

محمد على تحقيق السفر الأول والثامن، وحقق إحسان عباس السفر الرابع والخامس والسادس، ونُشر التحقيق بدار الثقافة في بيروت سنة 1964، كمحاولة أولى لإخراج المخطوط من غياهب النسيان.

وقد عاود بن شريفة محمد وإحسان عباس الكرّة، بإعادة تحقيق الكتاب، خاصة بعد حصولهما على نسخ أخرى لمخطوط "الذيل والتكملة"، لكن بمساعدة بشار عواد معروف هذه المرّة. حيث نُشر الكتاب محققا في هيئته الجديدة بدار الغرب الإسلامي سنة 2012.

كما اعتمدوا في تحقيقهم الجديد هذا، على مجموعة من المجلدات المخطوطة، وهي[120]:

- مجلد خزانة القرويين بفاس.
- مجلد الخزانة الحسنية بالرباط.
- مجلد الاسكوريال.
- مجلد مكتبة حليم الملحقة بدار الكتب المصرية.
- المجلد الرابع من نسخة الخزانة العامة بالرباط.
- المجلد الرابع من نسخة دار التحف البريطانية.
- مجلة المكتبة الوطنية بباريس.
- مجلد القسم الثاني من نسخة المتحف البريطاني.
- مجلد من نسخة الفقيه عباس بن إبراهيم.

وقام محققو الكتاب بتحقيق السفر الأول بالاعتماد على نسختين، وتحقيق قطعة من السفر الرابع على نسخة فريدة. وأما السفر الخامس فتم تحقيقه اعتمادا على ثلاث نسخ، وتحقيق السفر السادس اعتمادا على نسختين، والثامن على نسخة فريدة؛ وهي نسخة الفقيه عباس بن إبراهيم[121].

وقد ساعد بشار عواد معروف المحقِّقَيْن بن شريفة وإحسان عباس[122] مساعدة مهمة، تمثلت في مقابلته للمخطوطات، وتقييده للنص بالحركات، وضبط بعض الأسماء المشرقية. كما

120- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص182-187.

121- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص187.

122- للوقوف على الجهد الكبير الذي قام به بشار عواد معروف في تحقيق الكتاب؛ ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص197-198.

أفاد كذلك من سلسلة التراجم الأندلسية التي حقّقها من قبل، وألحق الكتاب بفهارس متنوعة أثبتها في المجلد السادس (فهرس الآيات القرآنية، أطراف الأحاديث الشريفة، المترجَمون على حروف المعجم، فهرس الأنساب والشهرة والألقاب، المترجَمون منسوبون إلى بلدانهم، فهرس المواضع والبلدان، فهرس الكتب الواردة في المتن، فهرس الأشعار، ما قيده المؤلف من الأسماء والأنساب والكنى والألقاب والبلدان، جريدة المصادر والمراجع).

وعليه، يتّضح بأن هذا التحقيق، هو من أحسن التحقيقات؛ يتبيّن ذلك مِن خلال قراءة متأنية للمقدمة الضافية التي صدّر بها بن شريفة محمد التحقيق، وتناول فيها حياة ابن عبد الملك المراكشي بالتفصيل، ابتدأها بنسبه وذَكر فيها بعض الاستنتاجات التي دعّمها بما عثر عليه في كتاب "الذيل والتكملة". كما تحدّث فيها عن مولده وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وأصحابه، وما خلّفه من مؤلفات. وقد أشار في هذا السياق إلى بعض العلماء الذين استفادوا من كتابه، وأنهى هاته المقدمة بالحديث عن أهمية الكتاب من الناحية التاريخية والأدبية والعلمية، وكذا المنهج الذي سار عليه في تحقيق الكتاب[123].

وقد جاء هذا التحقيق الفريد والهام، في ستة مجلدات كبيرة هي كالتالي:

- المجلد الأول: يحوي السفر الأول، عدد تراجمه 871 ترجمة.
- المجلد الثاني: يحوي السفر الرابع، عدد تراجمه 407 ترجمة.
- المجلد الثالث: يحوي السفر الخامس، عدد تراجمه 1299 ترجمة.
- المجلد الرابع: يحوي السفر السادس، عدد تراجمه 1315 ترجمة.
- المجلد الخامس: يحوي السفر الثامن، عدد تراجمه 293 ترجمة.
- المجلد السادس: يحتوي على الفهارس العامة للكتاب.

وتبقى الأسفار المفقودة من الكتاب، هي السفر الثاني، والسفر الثالث، والسفر السابع، والسفر التاسع، على أمل العثور على نسخها، لسدّ النقص الحاصل في هذا السفر التراجمي الهام.

وبذلك، فإن كتاب "الذيل والتكملة"، حظي بما يستحق من تحقيق جيد ورصين، خاصة وأنه قام عليه ثلة من أساطين التحقيق في العالم العربي من أمثال بن شريفة محمد وإحسان عباس وكذا بشار عواد معروف، فساهموا بذلك بقسط وافر في خدمة التراث المغربي والأندلسي.

123- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص05-198.

وخلاصة القول، فإن كتاب "الذيل والتكملة" بما حواه من 4185 ترجمة؛ منها 4128 للرجال، و57 للنساء؛ تميّز بالاستيعاب الزمني والمكاني، وجاء موعبا لأعلام ثلاثة قرون (5-7هـ/11-13م)، في مختلف المدن الأندلسية. كما أنه ضمّ مختلف شرائح المجتمع الأندلسي منهم الفقهاء، والقراء، والمحدّثين، والمؤرخين، والأدباء، والشعراء، والنحاة، واللغويين وغيرهم، فأصبح بذلك أكبر موسوعة مغربية للتراجم خلال تلك العهود.

6/ منهج ابن عبد الملك في كتابه الذيل والتكملة للكتابي الموصول والصلة:

ذَكَر ابن عبد الملك في مقدمة كتابه، منهج أصحاب الصلات قبله، وفصّل في ذلك، ثم شرع في بيان منهجه الذي سار عليه، وخالف فيه سابقيه في مختلف تراجم كتابه[124].

6-1/ تنظيم التراجم وترتيبها:

سلك ابن عبد الملك في ترتيب الأسماء نظاما غاية في الدقّة والصعوبة، شرحه بالتفصيل في مقدمة السفر الأول[125]، على النحو التالي:

❖ آثر ابن عبد الملك ترتيب الأسماء على الطريقة المشرقية، خلافا لابن الأبار (ت658هـ/1259م) وابن الزبير (ت708هـ/1308م)، وهو ما عبّر عنه بقوله: "فآثرتُ ترتيب كتابي هذا، بأن وضعتُ أبوابه على ترتيب حروف المعجم المشرقي لصحة اعتباره"[126].

❖ لم يراع في ترتيب الأبواب الرئيسية (الحروف) نسق الحروف، ومن ذلك تقديمه في حرف "الألف" من اسمه "أحمد"، وفي حرف "الميم" من اسمه "محمد"[127]. ومن ذلك أيضا، تقديمه في حرف "العين" من اسمه "عبد الله"، و"عبيد الله"، و"عبد الرحمن"، على مَن دونهم من الأسماء[128].

124- تجدر الإشارة هنا، إلى أنّه ضاع من الكتاب عدد لا يحصى من التراجم في بقية الأسماء المبدوءة بالألف، ثم بقية حرف الباء، التاء، الثاء، الجيم، الحاء، الخاء، الدال، الذال، الراء، الزاي. ولعلّها تجتمع في السفرين الثاني والثالث.

125- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص212-216.

126- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص211.

127- ذَكر المؤلِّف في مقدمة السفر الأول، أن سبب ذلك إنما هو تبركا بموافقة اسم النبيﷺ. كما أوضح أن هذا الصنيع لم يكن بدعا منه، بل إنّ له في ذلك سلف وقدوة، ممن لهم باع طويل في هذا الشأن، كالإمام البخاري، والخطيب البغدادي، وابن عساكر. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص212-213. وقد خالف ابن عبد الملك في هذا الأصل ابن الفرضي ووافق ابن بشكوال وابن الأبار وابن الخطيب.

128- وهذه أيضا أورد لها ابن عبد الملك توجيها، على اعتبارها أحب الأسماء إلى الله عزّ وجلّ. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص213. وقد خالف ابن عبد الملك في هذا ابن الفرضي ووافق ابن بشكوال وابن الأبار وابن الزبير.

❖ لم يقتصر ابن عبد الملك في ترتيب أسماء المترجَم لهم، على الحرف الأول من الاسم فقط كما فعل سابقوه، بل تجاوز إلى الحرف الثاني والثالث، وذلك في حالة الاشتراك في الاسم الواحد، كتقديمه "أبان" على "إبراهيم"، لتقدّم الألف الثالث على الراء[129].

❖ كان إذا اتفق عنده اثنان في اسميهما واسم الأب، فالكنية هي التي ترجح تقديم أحدهما على الآخر، مثل المحمدَّيْن ابنَـــيْ إسماعيل بن عُفير، قدّم المكنى منهما بأبي العباس على المكنى بأبي الوليد، لتقدم العين على الواو[130].

❖ كان إذا اتفق عنده اسمان فصاعدا في نسب أو غيره، فإنه يقدّم المنسوب إلى القبيلة على المنسوب إلى البلد، ويقدّم المنسوب إلى البلد على المنسوب إلى الحرفة[131].

❖ كان يقدّ المكنى على غير المكنى[132]، من أجل التقريب واختصار الوقت على القارئ. وعليه، فإن ابن عبد الملك لم يَبْنِ عمله على ترتيب المترجَمين حسب طبقاتهم ووفياتهم، كما فعل ابن الفرضي (ت403هـــ/1013م) وابن الأبار (تـــ658هـــ/1259م) وابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م)، وإنما اتبع سائر الأسماء في سائر الأبواب والتراجم على ترتيب الحروف المشرقية، واعتبر ثواني الأسماء وثوالثها فصاعدا، وراعى هذا الترتيب في أسماء المترجَمين وكناهم وأنسابهم ونسبِهم وشيوخهم وتلاميذهم[133].

❖ كما ذَكَر ابن عبد الملك أنه اختار هذا المنهج في الترتيب، لِما وجده من اختلالات في أساليب مؤلفي الصلات قبله، مِن اعتمادهم تقديم الأسبق في ترتيب تراجمهم، فأوقعهم ذلك- على حدّ قوله-في اضطراب كثير. حيث إنّ سنة الوفاة قد تخفى في بعض المرات ويستحال الإحاطة بها[134]، "ولذلك نجدهم يذكرون الرجل بين الرجلين، وهو أقدم من المذكور قبله، مجاورا له أو متقدّما عليه برجل أو رجلين فصاعدا، أو تتأخّر وفاته عنه عن تلك السنة"[135].

129- وقد وضّح ذلك بأمثلة في كتابه. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص213.

130- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص214-215.

131- نفسه، مج1، السفر الأول، ص215.

132- نفسه، مج1، السفر الأول، ص216.

133- بن شريفة محمد، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص43. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص212-216.

134- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص205.

135- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص208-209.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن القارئ إذا أراد أن يبحث عن ترجمة بعينها-وفق عملهم هذا-ينبغي عليه أن يفتّش جميع التراجم الذين اشتركوا معه في الاسم، ويتبعها ترجمة ترجمة؛ وحرفا حرفا، "فتكونَ قد قطعتَ وقتا في التماس مطلب لم تنله"[136].

❖ كما خالف ابن عبد الملك سابقيه مِن مؤلفي كتب الصلات الأندلسية، في طريقة إثبات تراجم الغرباء، حيث إنه أرجأ ذِكرهم إلى آخر الكتاب، وذيّله بتراجمهم مجتمعين. بينما كان كل من ابن الفرضي (ت403هـ/1013م) وابن بشكوال (ت578هـ/1182م) وابن الأبار (ت658هـ/1259م) وابن الزبير (ت708هـ/1308م)، يذيّلون بالغرباء على الأسماء الموافِقَة لهم في حروفهم من الأندلسيين[137]. ذلك أنهم قدّموا الأندلسيين، وأوردوا بعدهم في كل باب فَرْعِي أسماء لـ "الغرباء"، مراعين في ذلك الأَشهر فالأشهر، وجعلوا لـ "المفاريد" من كل حرف بابا على حدة، غير أنهم خالفوا في ذلك عُرف المحدّثين في تمييزهم "الغرباء"[138].

كما أنّ بعض أبواب الحروف لا يَرِدُ فيه غرباء بالأصل، وهذا لا يستقيم عند ابن عبد الملك، لذا رأى أنه من الأسلم أنْ يؤخّر إيراد هؤلاء إلى آخر الكتاب، ويفرد لهم بابا مستقلا، لأن ذلك أرْفَعُ لذكرهم وشأنهم، وأوضح لتمييزهم، وأيسر لتخريجهم وتجريدهم عمّن سواهم[139]. وعليه فإننا نجده، يخصص نهاية كتابه للغرباء[140].

❖ وبعد ذِكره للغرباء من الرجال، يأتي ذيل آخر للكتاب تناول فيه تراجم النساء مرتبات على الحروف؛ الأندلسيات على حدة، ثم النساء الغرائب-هكذا سماهم ابن عبد الملك-[141]. وقد ترجم فيه لعدد مِن النساء[142] اللائي اشتهرن بالعلم والرواية، فترجم لـ 57 منهنّ؛ 54 منهنّ

136- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة مج1، السفر الأول، ص210.

137- المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ص72.

138- باعتبارهم أن الأندلسي هو أندلسي المولد والنشأة، في حين أن المتعارف عليه، أن الغريب لا يعدّ غريبا مع طول مقام ومستقَرّ ووفاة في بلد الإقامة. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص205.

139- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص208.

140- خصص ابن عبد الملك في السفر الثامن، جزءا للغرباء من الرجال، وجزء آخر منه للنساء الأندلسيات والغرائب. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص208.

141- المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ص72.

142- عقد ابن عبد الملك في آخر السفر الثامن من كتابه الذيل والتكملة، بابا عنوانه بعد البسملة والتصلية بقوله: "هذا ذِكر النساء أُورِدُهُنّ مرتبات على الحروف، منوعات إلى أندلسيات وغرائب، كما فعلنا في الرجال". ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج4، س8، ص406.

أندلسيات، و03 نساء غرائب، وفي آخر الكتاب بترٌ[143]، ورتّب تراجمهنّ بحسب أسمائهنّ وفق حروف المعجم المشرقي الذي سار عليه في كتابه[144]. ونلمح هذا الأمر جيدا في ذِكره لتراجم النسوة، حيث ذَكر أنه كان مُجلًّا محافظا على سِيَرِهنَّ، وإثبات حقّهنّ بأن يكون لهنّ نصيب في كتابه، فجاء حديثه عنهنّ خاتما لِما وصل إلينا من مؤلَّفه[145].

وبمقارنة تراجم النساء عند ابن عبد الملك بتراجمهنّ عن ابن الأبار، تبيّن لنا أن ابن عبد الملك، اقتصر على مَنْ ذُكِرْنَ بقراءةٍ أو كتابةٍ أو روايةٍ أو غير ذلك مما هو شرط كتابة[146]، وبذلك لم ينحى منحى ابن الأبار في التعميم، حيث انتقده فيه وشنّع عليه في ذلك وأغلظ له القول[147].

ومن أمثلة ما جاء في ذلك؛ قوله: "وأقبَحُ مِن هذا كله وأشْنَع؛ ذِكره نساءً تُنَــزَّه الصحف عن تسويدها بذِكرهنّ فيها، مع أهل العلم الذين هم خواص عباد الله...إنها لَعَثْرةٌ لا تُقال، وزلّة لا تُغتفرّ، وسيئة لا تكفير لها، وكبيرة يجب الــمَتابُ منها..."[148].

❖ وقد وعد المؤلِّف في مقدمة الكتاب، بأن يُلحق في آخره بابين؛ بابا في أسماء الكنى الجارية أثناءه، وآخر يرتِّبُ فيه على حروف المعجم أسماء البلدان الأندلسية وغير الأندلسية التي وردت في الكتاب، وهو الأمر الذي أشار إليه ابن الزبير في ترجمته لابن عبد الملك، حيث أكّد بأنه مات قبل أن يتمكّن من إنجاز التصميم الذي وضعه للكتاب[149]، وهو ما وضعنا أمام احتمالين؛ أولهما أنه وضع هذا الباب وهو مبثوث في السفر التاسع المفقود؛ والثاني أنه مات قبل إنهائهما.

❖ هذا، وتميزت تراجم ابن عبد الملك في سفره النفيس، بالتنظيم والترتيب في أسماء المترجَمين وكناهم، وأنسابهم ونسبهم، وشيوخهم وتلاميذهم، في نسق غريب لا شكّ أنّه كلّفه

143- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج5، السفر الثامن، ص ص406-432. وفي آخر الكتاب بترٌ ربما يكون فيه تراجم أخرى للنساء، ولعله يكون في السفر التاسع.

144- خصص ابن عبد الملك جزء من السفر الثامن للغرباء من الرجال، وجزء آخر للنساء الأندلسيات والغرائب.

145- العومي ليلى، مصادر ابن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص70.

146- للاستزادة؛ ينظر تراج النساء في السفر الثامن، ص ص406-432.

147- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص207-208.

148- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص207-208. وقد علّق محققو الكتاب أنّ هذا النقد فيه شيء من التهويل المبالغ فيه، والتحرّج الذي لا معنى له.

149- المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ص72. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص214 وص ص216-217.

كثيرا من جهده ووقته، ودلّ على قوّة طاقته وشدة احتماله، وقدرته الفائقة على الترتيب، وولعه الشديد بالتنظيم[150].

❖ كما أنّ تراجم كتاب "الذيل والتكملة" لها مميزات خاصة وفريدة عن سابقتها في كتب التراجم المتقدّمة، حيث إنها أتت حافلة بأخبار عن الحياة الفكرية في المغرب الأندلس.

6-2/ البناء الداخلي للتراجم وعناصرها:

انتقد ابن عبد الملك منهج سابقيه من مؤلفي الصلات الأندلسية (ابن الفرضي، ابن بشكوال، ابن الأبار، وابن الزبير)، وخالفهم في منهجه، لا من حيث ترتيب التراجم وتنظيمها، ولا من حيث التركيب الداخلي للتراجم، فكان بذلك أحرَصهم منهجا، وأغزرهم مادة، وأكثَرَهم ضبطا؛ يستشفُّ ذلك مِن خلال البناء الداخلي لتراجمه، والتي أتت على النحو التالي:

أ/ اسم ونسب المترجم له:

من خصائص كتاب "الذيل والتكملة" أنّ مصنِّفه رَفْعُ أنساب المترجمين، واجتهاده في ضبطها، وانتقاد قَلب الأنساب الذي وقع فيه كثير من المؤرخين. حيث رفع في هذا الإطار نسب عدد كبير من المترجَمين إلى أجدادهم الأَعْلَيْنِ الداخلين إلى الأندلس، نقلا من خطوطهم واعتمادا على بعض النسّابين الأندلسيين كابن حزم (تـــ456هـــ/1064م)[151] والحكيّم (تـــ341هـــ/953م)[152] وغيرهما. وفي هذا الصدد، نجده يُعنى كذلك، برفع أنساب بعض المذكورين عرَضا في كتابه، مثل أبي ذؤيب الهذلي وابن دريد وأبي العتاهية، وعمد إلى مناقشة بعض الأنساب، ومنهم المنتسبون لخالد بن الوليد رضي الله عنه. وبالجملة، فالكتاب يؤكّد على ما وُصف به مصنِّفه من أنّه نسّابة[153].

وعليه، فإن ابن عبد الملك المراكشي، اجتهد في كتابه من أجل استجلاء أصل المترجَم له، ورفع نسبه ما أمكنه إلى ذلك سبيلا، إذْ يظهر ذلك بوضوح عند تصفّح تراجم الكتاب، حيث كان يبتدئ باسم المترجَم له ويُتبعه بسلسلة الأجداد التي تتراوح ما بين الطول والقصر، حسبما

150- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص43.

151- تقدمت ترجمته في الهامش 414 من الفصل الثاني.

152- وهو صاحب كتاب "الأنساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم"، وقد تقدمت ترجمته في الفصل الأول، ص58.

153- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص130.

يتوصل إليه ويقع عليه من الأنساب، فكان لا يتجاوز أحيانا اسم المترجَم له ووالده، وفي أحايين أخرى نجده يسلسل النسب ويضم إليه عددا من أجداد المترجَم له.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك؛ قوله في ترجمة أحدهم: "أحمد بن إبراهيم بن خلف بن محمد ابن الحبيب ابن عبد الله بن عمرو بن فرقد القرشي العامريّ"[154]. وقوله أيضا: "أحمد بن إبراهيم ابن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين بن الزبير ثم ابن عاصم بن مسلم ابن كعب الثقفي العاصمي؛ كذا نقلتُ نسبَه من خطّه، جياني نزل غرناطة؛ أبو جعفر ابن الزبير"[155].

وعليه، فإن تراجم ابن عبد الملك، كلّها تقريبا تحتوي عل السلسلة النسبية إلا فيما ندر منها، فيذكر اسم المترجَم له واسم أبيه، ومثال ذلك قوله: "أحمد بن خلف الأنصاري"[156]. وفي أحيان أخرى، كان يذكر اسم المترجَم له واسم أبيه وجدّه، ومثاله قوله: "أحمد بن خميس بن عامر"[157].

ب/ نسبة المترجم له:

درج ابن عبد الملك بعد ذِكر اسم المترجَم له، على ذِكر نسب المترجَم له، حيث كان يذكُر الانتماء القبلي للشخص، كأن يقول: "القيسي"[158]، أو "الأنصاري الخزرجي"[159]، أو "التميمي"[160]، أو "البكري"[161]، أو "القرشي العبْشَمي"[162]، وغيرها من الانتماءات القبَلية، التي وردت فيها أمثلة كثيرة.

154- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة مج1، السفر الأول، ص230، ترجمة: 29.
155- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص231، ترجمة: 31.
156- نفسه، مج1، السفر الأول، ص297، ترجمة: 146.
157- نفسه، مج1، السفر الأول، ص301، ترجمة: 149.
158- ترجمة أحمد بن قاسم بن أيوب القيسي؛ ينظر: نفسه، مج1، السفر الأول، ص536، ترجمة: 488.
159- ترجمة أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الأنصاري؛ ينظر: نفسه، مج1، السفر الأول، ص251، ترجمة: 39.
160- في ترجمة أحمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمي؛ ينظر: نفسه، مج1، السفر الأول، ص384، ترجمة: 275.
161- ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن رضا البكري؛ ينظر: نفسه، مج1، السفر الأول، ص542، ترجمة: 508.
162- ترجمة أحمد عبد الغفور الصدفي ابن عبد الجبار القرشي العبْشَمي؛ ينظر: نفسه، مج1، السفر الأول، ص435، ترجمة: 331.

كما أنه كان يذكُر أيضا ولاء المترجَم له؛ إنْ كان من الموالي، فينسبه إلى مولاه، كقوله: "أحمد بن سعد مولى الناصر الأموي"[163]، وقوله أيضا: "عبد الملك بن أيمن بن فرجون...مولى الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية"[164]، وغيرها من الأمثلة الكثيرة في هذا السياق.

ت/ مدينة المترجم له:

بعد ذِكره للاسم والنسب، كان صاحب "الذيل والتكملة" يذكر في تراجمه مدينة المترجَم له، فكان يسبقها في بعض الأحيان بلفظ "من أهل"، كما في ترجمة أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد الأزْديُّ، من أهل غرناطة[165].

وفي أحيان أخرى كان يستغني عن هذا اللفظ وغيره، ويذكر المدينة مباشرة، كقوله: "عبد الملك بن زكريا؛ قرطبي"[166]، وقوله: "عتيق بن الحسن؛ سرقسطي"[167]، إلا أنّ الملاحَظ على تراجمه أن أغلبها خالية من لفظ "من أهل".

ث/ كنية واسم شهرة المترجم له:

كان ابن عبد الملك يورد كنية واسم شهرة المترجَم له، دون ذِكر لفظ "يُعرف" أو "يكنى"، بل كان يوردها مباشرة، كأن يقول: "سعيد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي، لقنيٌّ أبو عثمان ابن مُغْزال"[168]. وإذا كان للمترجَم له أكثر من كنية فكان يذكرها، كما في قوله: "سعدون بن محمد بن فتوح بن محمد الأنصاري، برشانيّ سكن مراكش، أبو الحسن وأبو محمد"[169]. وفي أحيان أخرى، كان يشير بعد الكنية إلى لقب الشخص، كأن يقول: "سعد بن محمد بن محمد الأنصاري؛ غرناطي، أبو الحسن وأبو عثمان الحفّار"[170]، والأمثلة في هذا السياق كثيرة.

163- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة مج1، السفر الأول، ص305، ترجمة: 161.
164- المصدر نفسه، مج3، الخامس، ص10، ترجمة: 19.
165- نفسه، مج1، السفر الأول، ص219، ترجمة:1.
166- نفسه، مج3، السفر الخامس، ص13، ترجمة: 30.
167- نفسه، مج3، السفر الخامس، ص98، ترجمة: 231.
168- نفسه، مج2، السفر الرابع، ص25، ترجمة: 50.
169- نفسه، مج2، السفر الرابع، ص24، ترجمة: 46.
170- نفسه، مج2، السفر الرابع، ص18، ترجمة: 39.

ج/ شيوخ المترجم له ورحلته:

أَوْلَى صاحب "الذيل والتكملة" اهتماما بالغا بشيوخ المترجَم لهم، فكان غالبا ما يذكرهم بتفصيل وافٍ مخالفا بذلك اختصار سابقيه، إذْ كان له منهج تـــميَّز به عن غيره. وفي العادة كان يبتدئ بالعلوم الشرعية، كعلوم القرآن وعلم الحديث، ثم الفقه وأصوله، ويتلوه بعلوم اللغة من نحو وآداب، ثم العلوم العقلية كالطب وغيره[171].

❖ وقد رتّب ابن عبد الملك هؤلاء الشيوخ بحسب كناهم فيما أخذه من علوم، وكان يذكر تلك الكنى بالجمع، ثم يذكر اسم الشيخ ولقبه وفق حروف المعجم المشرقي.

❖ كما نجده يعمد إلى ترتيبهم بحسب ذوي الصلة من شيوخه الذي أخذ عنهم العلم، متجاوزا بذلك ترتيبهم بحسب العلوم، إذْ قد يكون من شيوخ المترجَم له أكثر مِن شيخ تجمعه بهم صلة قرابة، فيذكر الأقرب منهم فالأقرب، كقوله: "روى عن أبيه وعمه" كما في ترجمة أحمد ابن خليل بن إسماعيل بن عبد الملك بن خَلَف بن محمد بن عبد الله السَّكُوني[172]، أو قوله: "روى عن أبيه وخاله" كما في ترجمة صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن عيسى بن إدريس التُّجيبيُّ المُرْسِيّ[173]؛ ثم يذكر مِن شيوخه مَن يوافق قريبه بالكنية، ثم يليه بقية الشيوخ.

❖ وعند حديثه عن شيوخ المترجَم له، كان يذكر صلته بهم وملازمته لبعضهم، ويشير إلى ذلك عند ذِكره لذاك الشيخ، ويعقبه بذِكر تلك الملازمة.

❖ وربما حدد لنا ابن عبد الملك مدة الملازمة، حيث كان يوردها بألفاظ، منها قوله في ترجمة علي بن محمد بن خَلَف الأوْسيّ: "واختص به ولازمه كثيرا"[174]، أو قوله في ترجمة أحمد ابن الفَرَج بن الفَرَج التُّجيبيُّ: "أطال ملازمته"[175]، أو ربما كان ذلك التحديد بالسنين، كقوله في ترجمة محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبدِ الله بن عبد الرّحمن بن أحمد بن أبي بكر القُضَاعيّ: "واختص به وأكثر عنه، ولازمه أزيد من عشرين سنة"[176].

171- العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص75-79.

172- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص297، ترجمة: 148.

173- المصدر نفسه، مج2، السفر الرابع، ص131، ترجمة: 246.

174- نفسه، مج3، السفر الخامس، ص254، ترجمة: 584.

175- نفسه، مج1، السفر الأول، ص534، ترجمة: 483.

176- نفسه، مج4، السفر السادس، ص276، ترجمة: 709.

❖ كما كان يورد بعض الألقاب التي توضح مكانة أولئك الشيوخ، قبل أنْ يذكر كنية المترجَم له ولقبه، ومن ذلك تحليتهم بـــ "القاضي"، أو "الفقيه"، أو "الزاهد، أو "الناقد".

❖ وكان صاحب "الذيل والتكملة" يورد عبارات وصيغ توحي بما تَحمَّله المترجَم له عن شيوخه، كصيغة "تلا" استعملها للدلالة على ما أخذه المترجَم له من القراءات على شيوخه. وأما عبارة "روى" فقد أفردها لِما كان يأخذه المترجَم من علم الحديث؛ بينما استعمل لفظ "تفقه" و"درس" للدلالة على ما أخذه من علم الفقه.

وأما علوم اللغة، فقد أوردها بصيغة "تأدّب" والتي عني بها ما أخذه من آداب عن شيوخه، وصيغة "أخذ" التي تعني ما أخذه من علوم اللغة عنهم، وأشرك هاته العبارة فيما يحمله من علوم كالطب والعدد والهندسة.

❖ وفي هذا السياق، كان ابن عبد الملك يذكر ما تحصّل عليه من الإجازات التي حظي بها المترجَم له من شيوخه، فكان يوردها بعبارة "وأجاز له" ويذكُر اسم الشيخ، كما في ترجمة أحمد بن خليل بن إسماعيل بن عبد الملك بن خلف بن محمد بن عبد الله السَّكُوني حيث قال: "وأجاز لهُ أبو الحَسَن شُرَيْح"[177]. أو ربما ذكرهم أحد الشيوخ ثم يذكر عبارة "وأجاز له" كما في ترجمة أحمد بن عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاريّ[178]. وربما ذَكر شيوخه ثم ختم بقوله: "قرأ عليهم وسمع منهم وأجازوا كلهم له"، كما في ترجمة أحمد بن سَعْد ابن أحمد بن بشير[179].

❖ في وبعض الأحيان، كان ابن عبد الملك يحدّد تلك الإجازات بتاريخ حصول المترجَم له عليها من شيخه، كما في ترجمة محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البرّ بن مجاهد[180]. أو حصوله على إجازة من قِبل أحد شيوخه استجاز له من بعض الشيوخ كما في ترجمة: طَلْحة ابن محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك بن أحمد بن خلَف بن الأسعد بن حَزْم الأُمَويّ[181]. وقد تكون تلك الإجازة بسعي من أحد أصحاب المترجَم لهم، وربما أحالنا ابن عبد الملك لعدد

177- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص298، ترجمة: 148.
178- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص324، ترجمة: 214.
179- نفسه، مج1، السفر الأول، ص305، ترجمة: 160.
180- نفسه، مج4، السفر السادس، ص226، ترجمة: 597.
181- نفسه، مج2، السفر الرابع، ص150، ترجمة: 303.

من الشيوخ ذَكَرهم في ترجمة سابقة عن ترجمة الشخص الذي يتحدّث عنه، حيث أخذَ عنهم المترجَم له.

❖ وبحديثه عما تَحمَّله المترجَم له عن شيوخه، كان ابن عبد الملك يحدّد ما أخذه المترجَم، كعدد الختمات التي ختمها على يدي أحد العلماء، أو بعض المسائل الفقهية التي أخذها عن أستاذه، أو الكتاب الذي درسه المترجَم على أحد شيوخه.

❖ وقد عمد ابن عبد الملك إلى ذِكر أولئك الشيوخ بِجُمل موجزة، كقوله: "روى عن أهل بلده"[182]، و"روى عن مشيخة بلده"[183]، و"روى بالأندلس عن بعض شيوخها"[184]، و"روى بالأندلس عن غير واحد"[185]. وربما ذَكر أحد شيوخه ثم اختصر البقية بقوله: "وغيره مِن أهل بلده"[186]، أو "قرأ العلم بقرطبة وأخذ عن طائفة من علمائها"[187].

❖ كما أنه كان يوجز بعبارة مختصرة عن شيوخ المترجَم له من علماء الأندلس، ويذكُر منهم المشهود لهم وإجازاتهم لهم، كقوله في ترجمة أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد المِلك بن شَرَاحِيل الهَمْدانيّ: "وأجاز له جماعة وافرة من أكابر العلماء بالأندلس منهم"[188].

وأما رحلات المترجَم له؛ فقد كان ابن عبد الملك يوردها إن وُجدت، سواء بين مدن الأندلس أو منها إلى المغرب أو المشرق، مع ذِكر مدّتها. وكان يُتبع أخباره فيها، ويسردها زمانا ومكانا، ومدّتها ذهابا وإيابا، ويذكر نوعية الرحلة، كقوله "رحل وحج"[189]، وقوله: "رحل وحجّ وتجوّل بلاد المشرق طالبا للعلم"[190]؛ وإذا كان للمترجَم له صُحبة في رحلته، فيذكُرها، ويذكر

182- ترجمة: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن سِماك العامِليُّ. ينظر؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص319، ترجمة: 200.

183- ترجمة: علي بن محمد بن يوسف بن خروف. ينظر؛ المصدر نفسه، مج3، السفر الخامس، ص334، ترجمة: 673.

184- ترجمة: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن خلف بن سليمان بن خالد بن بُهْلُول بن عبد الرؤوف بن مُخارِق بن أحمد العَبْدَريُّ؛ ينظر: نفسه، مج1، السفر الأول، ص551، ترجمة: 530.

185- ترجمة: طاهر بن أحمد بن عبد الله بن خَيرَةَ؛ ينظر: نفسه، مج2، السفر الرابع، ص141، ترجمة: 275.

186- ترجمة: عبدُ الله بن الحسن بن عليّ بن هشام السَّلُوليُّ؛ ينظر: نفسه، مج2، السفر الرابع، ص198، ترجمة: 367.

187- ترجمة: علي بن إسماعيل الفهري القرشي؛ ينظر: نفسه، مج3، السفر الخامس، ص163، ترجمة: 390.

188- نفسه، مج1، السفر الأول، ص319، ترجمة: 202.

189- ترجمة: عبد الملك بن إدريس؛ ينظر: نفسه، مج3، السفر الخامس، ص09، ترجمة: 15.

190- ترجمة: علي بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم؛ ينظر: نفسه، مج3، السفر الخامس، ص146، ترجمة: 345.

للمترجَم له عمّن أخذ في رحلته من العلماء، ومَن أجاز له هناك، وما أخذ من علوم عنهم، ثم في الأخير عودته من رحلته، وما جلبه معه من مؤلفات[191].

ح/ المؤهلات العلمية للمترجم له:

كثيرا ما كان ابن عبد الملك يذكر في تراجمه المؤهلات العلمية للمترجَمين، ومثال ذلك قوله في ترجمة أحمد بن عمر بن مُطرِّف: "وكان مقرئا مجودا، حسن التصرف في معارفه، فقيها نحويا أديبا، أقرأ القرآن والعربية والأدب كثيرا"[192].

خ/ وظيفة ومهنة المترجم له:

كان صاحب "الذيل والتكملة" يذكر المناصب التي تولاها المترجَمون أو المهنة التي اشتغلوا عليها، وذلك حسب معرفته بكل مترجَم. ومن أمثلة ذلك-وهي كثيرة-قوله في ترجمة سَعدون ابن محمد بن فتوح بن محمد الأنصاريّ: "...واستقضي بغير موضع فحُمدت سيرته"[193]. وقوله أيضا في ترجمة عبد الملك بن محمد بن هشام بن سعد القيسي: "واستقضي بحصن مُرْجِيق[194]...وشوورَ ببلده وخطب به...واستمر على إمامة الفريضة بجامع بلده"[195].

وفي بعض الأحيان، كان ابن عبد الملك يورد بعض الأوصاف للمترجَم له؛ حميدة كانت كقوله في ترجمة سَعْدون بن مسعود المراديُّ: "وكان متقدِّمًا في علم العربية والأدب، حَسَن المشاركة في الفقه، كثير البرّ بطلبة العلم، واسع الصدر لهم، حَسَن الخُلق"[196]؛ أم قبيحة، كقوله في ترجمة محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري: "وكان شرِس الخُلق عسِر اللقاء، مشتطّا على طلبة العلم فيما يشترطه عليهم، جُعْلًا على إقرائه إياهم، ضاغطا في اقتضائه إياه منهم، شديد المشاحّة فيه"[197].

191- الأمثلة كثيرة في الذيل والتكملة، ولا يسعفنا المقام هاهنا لذكرها كلية. وللاستزادة أكثر؛ ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص79-81.

192- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص526، ترجمة: 452.

193- المصدر نفسه، مج2، السفر الرابع، ص24، ترجمة: 46.

194- **مُرْجِيقُ:** بالضم ثم السكون، وكسر الجيم، وياء تحتها نقطتان ساكنة، وقاف: حصن من أعمال أكشونية بالأندلس. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج

195- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص34، ترجمة: 92.

196- المصدر نفسه، مج2، السفر الرابع، ص24، ترجمة: 47.

197- نفسه، مج3، السفر الخامس، ص549، ترجمة: 1253.

د/ تلاميذ[198] ومؤلفات[199] المترجم له:

حرص ابن عبد الملك على ذِكر كل الذين رَوَوا عن المترجَم له، وعادة ما كان يرتّبهم حسب كناهم وفق حروف المعجم، ويكتفي أحيانا أخرى بالواحد ويُجمِل البقية، كما في قوله في ترجمة يوسف بن موسى بن إبراهيم الهَوّاري: "روى عنه غير واحد من طلبة العلم"[200]. كما كان يذكر كذلك، ما أخذه طلبة المترجَم له عنه بصيغ تدلّ على تحمّلهم مختلف العلوم ومنها: "روى"، أو "تفقّه"، أو "تلا عليه"، أو "حكى عنه"، أو "سمع منه"[201]. وفي السياق ذاته، كان يذكر ما كان يمنحه المترجَم له من إجازات لطلبته، ويوردها بعبارات–وهي كثيرة–مثل قوله: "وحدّث عنه بالإجازة"[202].

وقد اهتم ابن عبد الملك كذلك، بإحصاء ما كان للمترجَم له من مؤلفات، إذ غالبا ما كان يوردها بحسب العلوم التي اشتهر بها المترجَم له، ويذكر أحيانا السنة التي أنهى فيها المترجَم له تأليفَ كتابه.

وفي بعض الأحيان، كان ابن عبد الملك يثني على مؤلفات المترجَمين من حيث فائدتها، بعبارات تدلّ على ذلك، كقوله "كتابا حسنا"[203]، أو "كتابا حسنا جيد الانتخاب"[204]، أو "جليل نافع"[205]، أو "مصنّفا حسنا"[206]، أو "مختصرا نبيلا"[207]، أو "لا بأس به"[208]. كما كان يصف الكتاب من حيث حجمه، كقوله: "مجلدين ضخمين"، أو "سبعة أسفار"، وغيرها من

198- للاستزادة أكثر؛ ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص82-83.

199- للاستزادة أكثر؛ ينظر: المرجع نفسه، ص ص88-90.

200- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج5، السفر الثامن، ص357، ترجمة: 233.

201- الأمثلة في ذلك كثيرة، ولا يسعنا المقام لذكرها كلها.

202- الأمثلة في ذلك كثيرة، ولا يسعنا المقام لذكرها كلها.

203- ترجمة: أحمد بن عبد الرحمن شُقْرِيٌّ؛ ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص416، ترجمة: 300.

204- ترجمة: محمد بن أحمد بن يَربُوع؛ ينظر: المصدر نفسه، مج4، السفر السادس، ص84، ترجمة: 169.

205- ترجمة: علي بن أبي الحسين بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الله بن منظور ابن عصفور الحضرميٌّ؛ ينظر: نفسه، مج3، السفر الخامس، ص349، ترجمة: 700.

206- ترجمة: عُمر بن منذِر بن عبد السّلام الصَّدَفِيٌّ؛ ينظر: نفسه، مج3، السفر الخامس، ص393، ترجمة: 831.

207- ترجمة: عَبْدُوس بن حَكَم؛ ينظر: نفسه، مج3، السفر الخامس، ص92، ترجمة: 216.

208- ترجمة: محمد بن أحمد بن أبي غالب العَبْدري؛ ينظر: نفسه، مج3، السفر الخامس، ص497، ترجمة: 1161.

العبارات. ومن تلك المؤلفات، قد يكون من أصحابها من حانت منيته دون إكماله، فكان ابن عبد الملك يذكر أعداد ما أنهي من مؤلفات على يد أصحابها[209].

ومثال ذلك، قوله في ترجمة أحمد بن بشير: "...ومتقدّما في علمي الحساب والفرائض، وصنّف فيها كتابا مفيدا، استحسنه الناس واستعملوه"[210]. وقوله أيضا في ترجمة أبو الربيع بن سالم الكلاعي: "وله مصنّفات في الحديث والسير والآداب، تدلّ على رسوخ قدمه في المعارف وبراعته...مصباح الظُّلَم من حديث رسول اللهﷺ...كراسة كبيرة...والسباعيات من حديث أبي علي الصدفي في ثلاثة أجزاء...وتحفة الرواد في العوالي البَدَلّية الإسناد في أربعة أجزاء..." [211].

ذ/ مولد ووفاة المترجم له[212]:

❖ كان صاحب "الذيل والتكملة" يختم تراجمه في العادة، بذِكر تاريخ المولد والوفاة للمترجَمين، مقدّما سنة المولد؛ كقوله في ترجمة أحمد بن علي الطوسي: "وُلد سنة خمس وخمسين وخمس مئة، وتوفي سنة ثلاث عشرة وست مئة"[213].

إلا أنه كان في بعض الأحيان يحيد عن هذا المبدأ، فيقدّم سنة الوفاة على المولد، إما انجرارا في الحديث عن وظيفة ما كان يشغلها المترجَم له حتى وفاته، أو كان يشغلها وصُرف عنها فتوفي بعد ذلك، أو ربما انتقل من مدينة لأخرى فوافته المنية إثر عارض أصابه أو محنة تعرّض لها؛ وكان في ذلك كلّه يقدّم سنة وفاة المترجَم له على مولده. ومثال ذلك قوله في ترجمة أبو الربيع ابن سالم الكلاعي: "...حتى قُتل صابرا محتسبا غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة أربع وثلاثين وست مئة...ومولده بخارج مرسية عصر يوم الثلاثاء، مستهلّ رمضان خمس وستين وخمس مئة"[214].

❖ كما كان يتحدّث بشكل موسّع عن توقيت المولد والوفاة، كقوله: "عند صلاة الصبح"، أو "دُفن إثر صلاة العصر"، أو "بين صلاتي الظهر والعصر" ويذكُر اليوم والشهر مثل

209- الأمثلة في ذلك كثيرة، ولا يسعنا المقام لذكرها كلها.

210- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص265، ترجمة: 81.

211- المصدر نفسه، مج2، السفر الرابع، ص ص81-84، ترجمة: 203.

212- للاستزادة أكثر؛ ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص93-96.

213- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص486، ترجمة: 394.

214- المصدر نفسه، مج2، السفر الرابع، ص86، ترجمة: 203.

"أوائل شهر كذا"، أو "منتصف شهر كذا"، أو "مستهل شهر كذا"، أو "غرّة شهر كذا"، ويذكر السنة كذلك.

❖ وعادة ما يكون يذكر مكان المولد أو الوفاة؛ في قرية المترجَم له أو بلده، أو في غيرها فيذكُرُه، ويضيف أيضا اسم المقبرة التي دُفن بها، فيسميها ويحدّد مكانها، إذ قد تكون خارج المدينة أو داخِلها، كقوله في ترجمة محمد بن أحمد بن موسى الأنصاري ابن المجاهد: "وتوفي- قدّس الله روحه-عصر يوم الإثنين لثمان بقين من شوال أربع وسبعين وخمس مئة، ودُفن ضحى يوم الثلاثاء بروضة قبور سَلَفه بمقبرة الـــمَطْخَشِيلي"[215].

❖ وإلى جانب ذلك، كان ابن عبد الملك يعمل على تقريب زمن وفاة المترجَم له، حين تكون سنة الوفاة غير معروفة، فيقول مثلا: "وتوفي بعد سنة كذا"، أو "توفي بعد سنة كذا بيسير"، أو "توفي في حدود سنة كذا"، أو "قبل سنة كذا"، أو "كان حيا سنة كذا"، أو "كان حيا في وسط سنة كذا"؛ كما كان يذكر سنّ المترجَم له، عند وفاته.

ومن أمثلة ذلك؛ قوله في ترجمة محمد بن أبي فرج: "وكان حيا سنة أربع وستين وخمس مئة، وتوفي عن سنّ عالية"[216]. وقوله أيضا في ترجمة أحمد بن إبراهيم بن عُزير: "وتوفي بغرناطة في حدود الخمس والستين وخمس مئة أو بعدها بيسير، وقد نيّف على سبعين سنة"[217].

❖ وإمعانا منه في التدقيق في المعلومات التي كان يقدّمها عن المتوفي من المترجَمين، كان ابن عبد الملك يصف جنازة المترجَم له، ويسجّل لنا مَن شهد غسله والصلاة عليه، وعادة ما كان يورد ذلك بعبارات تدل عليها، كقوله في ترجمة محمد بن سعيد بن خُمَيْر بن عبد الرحمن: "رَوى عن أبيه، وهو الذي صَلَّى عليه عند وفاته"[218]، أو "صلى عليه أبو فلان بن فلان"، كقوله في ترجمة: محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عَتّاب بن محسن مولى عبد الملك بن سليمان بن أبي عَتّاب الجُذَاميُّ: "وهو الذي صلى على عمه أبي محمد بن عَتّاب عند وفاته"[219].

وإلى جانب ذلك، كان يذكُر من حضر من الأشخاص لجنازته كالأمير أو السلطان، وكذا تزاحم الناس عليها، كقوله في ترجمة محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن يَبْقَى الرُّعَيْنيُّ:

215- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص566، ترجمة: 1261.

216- المصدر نفسه، مج3، السفر الخامس، ص574، ترجمة: 1277.

217- نفسه، مج1، السفر الأول، ص250، ترجمة: 35.

218- نفسه، مج4، السفر السادس، ص228، ترجمة: 606.

219- نفسه، مج4، السفر السادس، ص426، ترجمة: 1046.

"وازدحم الناس على نعشه حتى حملوه على الأنامل، تبرّكا به وكثرة تلاوته، وعلما بزهده وفضله"[220]. وقوله في ترجمة محمد بن علي بن خلف التُّجيبي: "واحتفل الناس لجنازته، وأَسِفُوا لفقده، وأثنوا عليه وكان أهلا لذلك رحمه الله"[221]. وقوله في ترجمة علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاريُّ: "توفي عفا اللهُ عنه يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى عام أحد وخمسين وست مئة بمرّاكش...واحتفل الناس لحضور جنازته وكنتُ ممّن حضَرَها، وأثنَوْا عليه خيرًا"[222].

❖ وزيادة على ذلك، كان ابن عبد الملك يذكر مصادره فيما أثبته بحق المترجم لهم، مِن حيث ذِكْره لسنوات المولد والوفاة، إذ قد تكون مصادره شخصٌ وصف له صلة قرابة تجمعه مع المترجَم كابنه أو أحد طلبته، كقوله في ترجمة عُلَيْم بن عبد العزيز بن عبد الرّحمن بن عُبَيد الله بن القاسم بن خَلَف: "ثم إنّ أهلَه فقَدوا صوتَه فالتمَسُوه فوجَدوهُ مَيِّتًا"[223]. وقوله أيضا في ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري: "وقال ابنه الفقيه المحدِّث أبو محمد: إنه اتّصلَ به وصحَّ عندَه أنه توفِّي بالإسكندَريّة عام سبعةَ عشَرَ وست مئة"[224].

❖ وكان ابن عبد الملك في الحديث عن وفيات المترجَم لهم يذكر سبب الوفاة، كما في قوله في ترجمة محمد بن عليّ بن أبي بكر بن عيسى بن حماد ابن حماد الصُّنْهاجي القلعي: "توفي بمرّاكش بعد خَدَر أصابه سنةَ تسع وعشرينَ وست مئة"[225]. وقوله: "اختلال عرض له في عقله"، أو "كان مبطونا"، أو "بات صحيحا معافى فوُجد في سريره ميتا"، أو "واستشهد"، أو "قُتل".

ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة أحمد بن أيوب اللّمائي: "وعَرَض له داءُ النَّسْمَة[226]... وتـــمَادت عليه علّتُه هذه، وحاول علاجها بغير شيء فلم ينجَعْ... ثم لم تُفارِقْه تلك الشِّكايةُ

220- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج4، السفر السادس، ص414، ترجمة: 1021.

221- المصدر نفسه، مج4، السفر السادس، ص487، ترجمة: 1194.

222- نفسه، مج5، السفر الثامن، ص08، ترجمة: 01.

223- نفسه، مج3، السفر الخامس، ص364، ترجمة: 740.

224- نفسه، مج4، السفر السادس، ص329، ترجمة: 787.

225- نفسه، مج5، السفر الثامن، ص217، ترجمة: 123.

226- **داء النسمة:** من أمراض الصدر، ووردت علّة النسمة في طبقات ابن جلجل فشرحها بقوله: وهي ضيق النفس. ينظر: نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص263-264، ترجمة: 78، هامش: 02. ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص103.

حتى كانت سبب وفاته عام خمسة وستين وأربع مئة بمالَقة"[227]. ومنها قوله كذلك في ترجمة شعيب بن إسماعيل الصدفي: "قُتلَ بداره في حَوْمة مسجد الشهداء، في ربيع الأول سنة ست وثمانين وخمس مئة"[228]. وقوله أيضا في ترجمة أحمد بن طلحة بن أحمد بن عبد الرّحمن بن غالب ابن تَّمام بن عبد الرؤوف بن تمّام بن عطية: "وكان فقيها جليلا، استُشهدَ نفعه اللهُ ورحمه في دخول اللَّمتونيِّين غرناطة سنة تسع وثلاثين وخمس مئة"[229].

ر/ تراجم الذيل والتكملة بين الطول والقصر:

❖ جاءت تراجم "الذيل والتكملة" طويلة النفس، قياسا مع تراجم ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م) وغيره من مؤلفي التراجم السابقين من علماء الأندلس[230]. وقد نحى ابن عبد الملك في هذا منحى أعلام المدرسة المشرقية في كتابة التراجم كابن خلكان والذهبي والصفدي[231]، حيث كان لا يكتفي في الترجمة لأعلام كتابه بذِكر أسمائهم وشيوخهم، بل إنه كان يسهب في الترجمة كثيرا إذا توفرت لديه المادة العلمية الكافية، فيرفع النسب إلى أعلى جدّ للمترجَم له ويفصّل القول فيما له علاقة بنسبه ونسبته، متتبعا في ذلك كله شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته، ويورد نماذج من آثاره وشعره ونثره، حتى إنه كان يلخص برنامج المترجَم له إن وُجد له برنامج[232].

ومن أمثلة التراجم المطوّلة التي أوردها ابن عبد الملك في السفر الأول؛ ترجمة ابن الزبير[233]، وأبي العباس القنجايري[234]، وابن عميرة[235]، وأبو العباس ابن الرومية[236] وغيرهم.

227- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص ص263-264، ترجمة: 78.

228- المصدر نفسه، مج2، السفر الرابع، ص119، ترجمة: 244.

229- نفسه، مج1، السفر الأول، ص318، ترجمة: 196.

230- الأهواني، مخطوطان جديدان، ص10.

231- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص128.

232- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص128-129.

233- نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص231-237، ترجمة: 31.

234- نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص238-249، ترجمة: 34.

235- نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص442-443، ترجمة: 344.

236- نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص652-693، ترجمة: 758.

وأما في السفر الرابع؛ فترجمة أبي محمد ابن القرطبي[237]، وفي السفر الخامس؛ فترجمة ابن جبير[238]، والرعيني[239]، وابن مؤمن[240] وغيرهم. وأما السفر الثامن؛ ففيه ترجمة ابن القطان[241]، وأبي الحسن الشاري[242]، وابن المناصف[243]، وغيرهم.

ويلاحظ على تراجم ابن عبد الملك، أنه كان يتتبع أسماء المؤلفات بطريقة فريدة جدا، إذ حفظ لنا مجموعة هامة وكبيرة من أسماء العديد من المؤلفات، ومنها مؤلفات ابن رشد الفيلسوف[244].

ولذلك، فإنه يمكن القول بأن بعض تراجم "الذيل والتكملة"، يمكن أن تتألّف منها مادة تراجم مفردة، حيث أتت غزيرة في مضامينها، ويمكن جعلها متكّأ لدراسات وافدة على بعض الشخصيات، وتحليل الجوانب المتعددة فيها[245].

❖ وتحتوي تراجم ابن عبد الملك كذلك، على العديد من النصوص الشعرية والنثرية، مخالفا بذلك نصوص كتاب ابن الفرضي وابن بشكول، وهو ما يجعلنا نقول بأنّ فيه شيئا من التشابه مع كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام[246] الشنتريني[247].

237- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج2، السفر الرابع، ص ص176-197، ترجمة: 363.

238- المصدر نفسه، مج3، السفر الخامس، ص ص503-525، ترجمة: 1172.

239- نفسه، مج3، السفر الخامس، ص ص272-309، ترجمة: 636؛ وهو أبو الحسن الرعيني (تـــ666هـــ) شيخ المؤلف وصاحب البرنامج.

240- نفسه، مج3، السفر الخامس، ص ص216-222، ترجمة: 525.

241- نفسه، مج5، السفر الثامن، ص ص17-52، ترجمة: 10.

242- نفسه، مج5، السفر الثامن، ص ص54-61، ترجمة: 12.

243- نفسه، مج5، السفر الثامن، ص ص242-248، ترجمة: 135.

244- نفسه، مج1، السفر الأول، ص129. **وابن رُشْد (520-595هـــ/1126-1198م):** محمد بن أحمد ابن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد الفيلسوف؛ من أهل قرطبة، صنف نحو خمسين كتابا. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج5، ص318.

245- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص129.

246- **ابن بَسّام (تـــ542هـــ/1147م):** علي بن بسام الشنتريني الأندلسي، أبو الحسن. أديب من الكتّاب الوزراء، نِسبته إلى شنترين في البرتغال اليوم، اشتهر بكتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، يشتمل على 154 ترجمة لأعيان الأدب والسياسة ممن عاصرهم أو تقدموه قليلا. ينظر: ابن سعيد، المغرب، ج1، ص417، ترجمة: 293. الزركلي، الأعلام، ج4، ص266.

247- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص129. الأهواني، مخطوطان جديدان، ص10. العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص107-108.

❖ كما جاءت تراجم "الذيل والتكملة" غنية غزيرة بالمادة النقدية، حيث إنّ المصنّف قدّم دراسة نقدية لبعض المترجَمين وأنسابهم ووفياتهم، وصوّب بعض الأوهام الواردة عن بعض المؤلفين ممن سبقوه، كابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م) وابن الأبار (تـــ658هـــ/1259م) وابن فرتون (تـــ660هـــ/1261م) وغيرهم[248].

❖ هذا، وتحتوي تراجم ابن عبد الملك على حوادث شهدها الأندلس والمغرب على مرّ عصور مختلفة، فجاءت مهمة في بابها، حيث إنها لا تخلو مِن ذكر بعض الجوانب السياسية[249].

❖ كما أن ابن عبد الملك عدّد بين طيّي تراجمه؛ المصائب والمحن التي مني بها بعض الأعلام المترجَمين، والتي كان بعضها على أيدي الحكام، أو بسبب تسلّطهم أو بالوشاية بهم من طرف الحاقدين، وغيرها من الأسباب[250].

❖ إضافة إلى أنها أتت على ذِكر بعض الكوارث الطبيعية التي حدثت في المغرب والأندلس[251].

❖ وتراجم "الذيل والتكملة" غنية كذلك ببعض الإشارات التي تقدم صورة عامة عن ازدهار العلوم في بلاد المغرب والأندلس ومظاهره، كاهتمام الحكام بالعلم والعلماء، وأماكن التعلم، ومجالس الأمراء، ودور العلماء في التعليم، وكذا دكاكين العلماء، والرحلات العلمية، وتعليم المرأة الأندلسية، وغيرها من الملاحظات التي كان يوردها ابن عبد الملك في تراجمه[252].

وخلاصة القول، فإن كتاب "الذيل والتكملة"، يعدّ فريدا في بابه، وموسوعة شاملة لأعلام المغرب والأندلس.

7/ مصادر ابن عبد الملك في كتابه الذيل والتكملة للكتابي الموصول والصلة:

اعتمد ابن عبد الملك في تحرير مادة تراجمه على كمٍّ كبير من المصادر المتعددة والمتنوعة، إذْ هي ميزة فريدة وأساسية ميّزته عن بقية المؤرخين السابقين، وهو ما يلاحظه الباحث من خلال عملية تصفّح التراجم التي بثّها في كتابه.

248- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص130.

249- العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص101-104.

250- المرجع نفسه، ص ص105-106.

251- نفسه، ص ص106-107.

252- نفسه، ص ص105-106.

وقد أفرد محققو الكتاب فهرسا شاملا خاصا بالكتب الواردة في متنه، نهاية الكتاب المطبوع[253]، أوردوا فيه كل المصادر التي اعتمدها ابن عبد الملك-بمختلف أنواعها-في تحرير تراجمه؛ هاته المصادر كان ابن عبد الملك قد ذَكَر جزءا منها في مقدمة كتابه[254].

ويظهر لنا من خلال هاته القائمة الثرية لمصادره التي اعتمدها، أنه نوّع مصادره بشكل خاص، فاعتمد المصادر المكتوبة، مصادر المعاينة والمشاهدة، والمصادر الشفوية.

7-1/ المصادر المكتوبة:

كان هذا النوع من المصادر، معتمَدَ ابن عبد الملك في تحرير تراجم كتابه، وقد تنوعت بين كتب التاريخ العام، وتواريخ البلدان، وكتب التراجم (والصلات من بينها). كما اعتمد مصادر أخرى غير التاريخية، ومنها كتب الجغرافيا والأدب، وكتب البرامج والفهارس وغيرها.

وسنورد في هاته الجزئية-تمثيلا لا حصرا لأنها كثيرة جدا-، نماذج عن كل مصدر من المصادر التي غرف منها ابن عبد الملك مادة كتابه.

أ/ كتب التاريخ العام:

من كتب التاريخ العام التي استقى منها ابن عبد الملك مادة كتابه، نجد كتاب "المنتظم في تواريخ الملوك والأمم" لابن الجوزي[255]، وهو الوحيد من ضمن كتب التاريخ التي اعتمدها. وقد أتى على ذكره في ترجمة أبي الحسن الأنصاري حيث أورده قائلا: "مغربي أندلسي؛ في قول ابن الجوزي"[256].

ب/ كتب التراجم:

تعدّدت كتب التراجم التي اعتمدها ابن عبد الملك، ومن ضمنها نذكر:

- الخشني أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد (تـــ361هـــ/971م)[257]:

253- خصص المحققون المجلد السادس من الكتاب لفهارس الكتاب؛ ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج6، ص ص557-614.

254- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، ص ص217-218 من مقدمة المؤلف.

255- **ابن الجَوْزي (508-597هـــ/1114-1201م):** عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج. علامة عصره في التاريخ والحديث؛ مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى مشرعة الجوز. له نحو ثلاث مئة مصنف، منها: المنتظم. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص140، ترجمة: 370. الزركلي، الأعلام، ج3، ص317.

256- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج2، السفر الرابع، ص19، ترجمة: 43. العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص134-135.

257- تقدمت ترجمته في الفصل الثاني من الأطروحة، ص75.

نقل عنه ابن عبد الملك في كتابه "أخبار القضاة بالأندلس"، ترجمة محمد بن شراحيل[258]، حيث أفاد منه في موضوع النسب، وعدا ذلك لم يكن اعتماده عليه كثيرا، لكون الخشني خصص كتابه للحديث عن الرجال الذين تولوا منصب قضاء قرطبة في فترة انتهت إلى ما قبل وفاته، وهو خلاف ابن عبد الملك الذي ركّز في كتابه "الذيل والتكملة" الحديث عن أعلام القرنين الخامس والسادس والسابع للهجرة (5-7هـ/11-13م)، وتكملة من اعترى ابن الفرضي (ت403هـ/1013م) وابن بشكوال (ت578هـ/1182م) وغيرهما من نقص[259].

- ابن الفرضي (ت403هـ/1013م)[260]:

اعتمد ابن عبد الملك على كتابيه "تاريخ علماء الأندلس"[261] و"المؤتلف والمختلف"[262] وبعض معلقاته[263]، إلا أنه لم يكن يسلّم بكل ما يورده ابن الفرضي، معبِّرا عن ذلك بعبارات في ذات السياق كقوله: "ووهَم ابن الفرضي"[264]. وقد تنوّعت المادة التي نقلها ابن عبد الملك عن ابن الفرضي، ما بين سني المولد والوفاة، والنسب وأحوال المترجَم لهم.

- ابن ماكولا[265]:

اعتمده ابن عبد الملك في بعض تراجمه[266]، نقلا عن كتابه "الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب والألقاب".

258- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج4، السفر السادس، ص226، ترجمة: 599.

259- العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص136.

260- تقدمت ترجمته والحديث عنه في الفصل الثالث من الأطروحة، ص ص209-313.

261- ينظر على بسيل المثال لا الحصر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص710، ترجمة: 811؛ ومج2، السفر الرابع، ص29، ترجمة: 60 وغيرها من الأمثلة. وللاستزادة ينظر: فهارس الكتاب، مج6.

262- المصدر نفسه، مج3، السفر الخامس، ص122، ترجمة: 298.

263- نفسه، مج4، السفر السادس، ص226، ترجمة: 599.

264- ينظر على سبيل المثال: نفسه، مج5، السفر الثامن، ص12، ترجمة: 04

265- **ابن ماكُولا (421-475هـ/1030-1082م):** علي بن هبة الله بن علي بن جعفر، أبو نصر سعد الملك. أمير مؤرخ من العلماء الحفاظ الأدباء، أصله من جَرْباذقان نواحي أصبهان، ولد في عكبرا قرب بغداد، وسافر إلى الشام ومصر والجزيرة وما وراء النهر وخراسان، وقتله غلمان له من الترك بخوزستان خارجا من بغداد، طمعا بماله. من كتبه: الإكمال. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص305، ترجمة: 439. الزركلي، الأعلام، ج5، ص30.

266- ينظر على سبيل المثال: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص386، ترجمة: 279؛ ومج2، السفر الرابع، ص135، ترجمة: 269؛ وغيرها من الأمثلة. وللاستزادة ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص138-139.

- الحميدي (تـــ488هـــ/1094م)[267]:

نقل عنه ابن عبد الملك من كتابه "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس"[268].

- الفتح ابن خاقان (تـــ528هـــ/1134م)[269]:

اقتبس صاحب "الذيل والتكملة" من كتابه "قلائد العقيان ومحاسن الأعيان"، وقد أورده في ترجمة أبي جعفر أحمد بن عبد الولي[270].

- أبو القاسم ابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م)[271]:

أورده ابن عبد الملك ضمن مصادره المعتمدة في كتابه "الذيل والتكملة"، وقد اعتمد من مؤلفاته كتاب "الصلة"[272] وبعض التعاليق[273] و"معجم شيوخه"[274].

و لم يسلّم ابن عبد الملك بكل ما ورد في مؤلفات ابن بشكوال التي نقل عنها، بل كان كثيرا ما يخطّئه[275]، وأحيانا أخرى يتعقّبه ويعلّق عليه[276]، أو يذكُر ما أغفل ذِكره من الشيوخ[277]؛ حيث كان يورد ذلك بعبارات متنوعة منها قوله: "وقد ألحقه ابن بشكوال في صلته؛ غلط في سنة وفاته"، أو "ذَكَره في معجم شيوخه، وأغفل ذِكره في صلته"، أو "اختصر ذِكره ابن بشكوال"، وغيرها من العبارت التي يُفهَم منها تغليطه لابن بشكوال، إذِ الأمثلة في ذلك كثيرة ومتنوعة، فيما

267- تقدمت ترجمته في ص342 من الفصل الرابع.

268- ينظر على سبيل المثال: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج2، السفر الرابع، ص98، ترجمة: 228؛ وغيرها من الأمثلة. وللاستزادة ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص139-140.

269- تقدمت ترجمته في الهامش: 66 من الفصل الرابع.

270- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص452، ترجمة: 353؛ وللاستزادة ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص140-141.

271- تقدمت ترجمته والتعريف به في الفصل الرابع، ابتداء من ص352.

272- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج2، السفر الرابع، ص168، ترجمة: 337؛ ومج3، السفر الخامس، ص350، ترجمة: 705؛ وغيرها من الأمثلة.

273- المصدر نفسه، مج4، السفر السادس، ص398، ترجمة: 973.

274- نفسه، مج3، السفر الخامس، ص13، ترجمة: 30؛ وغيرها من الأمثلة.

275- نفسه، مج3، السفر الخامس، ص13، ترجمة: 30 في قوله: "وغلط فيه ابن بشكوال". ومج4، السفر السادس، ص347، ترجمة: 833؛ في قوله: "فلذلك غلط فيه أبو القاسم بن بشكوال فجعله من أهلها".

276- نفسه، مج3، السفر الخامس، ص453، ترجمة: 1053؛ في قوله: "ذكره ابن بشكوال في باب فرج فأخلّ به، فلم يستوف خبره"؛ والأمثلة في ذلك كثيرة.

277- نفسه، مج4، السفر السادس، ص167، ترجمة: 397؛ وغيرها من تراجم الكتاب.

أورده ابن عبد الملك من تراجم. كما أفاد ابن عبد الملك من ابن بشكوال سني الوفاة وأسماء المترجَم لهم، وأشياخهم وإجازاتهم وغير ذلك.

- ابن الأبار (تـــ658هـــ/1259م)[278]:

نقل ابن عبد الملك من كتابه "تكملة الصلة"[279] و"أصحاب أبي علي الغساني"، وأفاد منه في الأسماء والكنى وإجازات المترجَم لهم من الشيوخ. وقد تعقّبه بقوله: "لم يذكُره ابن الأبار في أصحاب الغساني"[280]. كما كان يخطّئه في الكثير من أقوله[281]، باستعمال العديد من العبارات الدالة على ذلك، ومنها قوله: "وزعم ابن الأبار"، أو "رجّح ابن الأبار" وغيرها، فكان بذلك ينبّه القارئ إلى معلومات فات ابن الأبار أن يذكرها[282].

- أبو جعفر ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م) [283]:

يعدّ كتاب "صلة الصلة" لابن الزبير، من المصادر التي نقل عنها ابن عبد الملك كثيرا، حيث تعددت طرائق نقله وإحالته عليه. فقد كان يجمعه مع غيره من المصادر أحيانا، كقوله: "وقال أبو جعفر بن الزبير"، أو يكتفي بلقبه فيقول: "وابن الزبير"، و "قال ابن الزبير"، أو "ذكرَه ابن الزبير".

ومن أهم المواضع التي أفاد منها ابن عبد الملك من أستاذه ابن الزبير، الأسماء والكنى وسنوات الوفاة[284]، إلا أنه لم يكن يسمّي أي كتاب من كُتبه[285]، وهو ما تنبّه له محققو كتاب "الذيل

278- تقدم الحديث عنه في الفصل الخامس، ص ص418-423.

279- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص470، ترجمة: 377؛ ومج2، السفر الرابع، ص190، ترجمة: 363؛ وغيرها في تراجم الكتاب.

280- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص379، ترجمة: 269؛ ومج5، السفر الثامن، ص164، ترجمة: 81؛ وغيرها في تراجم الكتاب.

281- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص443، ترجمة: 346؛ ومج3، السفر الخامس، ص128، ترجمة: 312؛ في قوله: "فلم يضبطه، وصوابه ما ذكرتُه"؛ وغيرها في تراجم الكتاب.

282- نفسه، مج2، السفر الرابع، ص17، ترجمة: 35؛ ومج5، السفر الثامن، ص134، ترجمة: 53.

283- تقدم الحديث عنه في الفصل الخامس، ص ص466-468.

284- العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص150-151.

285- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص279، ترجمة: 104؛ ومج3، السفر الخامس، ص531، ترجمة: 1195؛ ومج4، السفر السادس، ص74، ترجمة: 152؛ ومج5، السفر الثامن، ص276، ترجمة: 160، وغيرها.

والتكملة"، حيث أوردوا في ترجمة أبو محمد الزنقي، أنّ ترجمته موجودة في "صلة الصلة" لابن الزبير[286].

هذا، وتستوقفنا العبارة التي أوردها ابن عبد الملك في مقدمة كتابه "وكذلك فعل أبو عبد الله ابن الأبار وأبو جعفر ابن الزبير فيما وقفتُ عليه من تاريخهما"[287]؛ إذْ قد يُفهَم منها أن كتاب ابن الزبير "صلة الصلة" كان عمدته في نقوله عنه، إلا ما تعلّق بمواضيع أخرى ومنها شيوخ ابن الزبير، فقد نقلها من كتب أخرى لهذا الأخير؛ يستشفّ ذلك من قوله: "وقد استخرجتُ هؤلاء المذكورين-أي شيوخ ابن الزبير-هنا من برنامج رواياته"[288]، وقوله كذلك: "كان هذا ملحقا في حاشية كتاب ابن الزبير بخطّه"[289]؛ وفي هذا كلّه لم يكن ابن عبد الملك يسلّم لابن الزبير فيما كل ما ينقل عنه، بل كان يردّه[290].

ت/ كتب البرامج[291] والفهارس[292]:

وظّف ابن عبد الملك الكثير من البرامج والفهارس، لتحرير تراجم كتابه "الذيل والتكملة"، خاصة وأن الأندلس كانت تغصّ وقتذاك بمثل هاته المؤلفات حافلة بها، حيث كان كل عالم أو شيخ إلا ووُجد له كتاب خاص بمعجم شيوخه. وسنورد هاهنا على سبيل المثال لا الحصر، بعضا من هاته المصنّفات التي اعتمدها ابن عبد الملك في كتابه ومنها:

286- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج2، السفر الرابع، ص201، ترجمة: 378، هامش: 03.

287- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص205.

288- نفسه، مج1، السفر الأول، ص235، ترجمة: 31؛ ومج1، السفر الأول، ص475، ترجمة: 381؛ ومج4، السفر السادس، ص545، ترجمة: 1290.

289- نفسه، مج5، السفر الثامن، ص248، ترجمة: 135.

290- الأمثلة في ذلك كثيرة؛ ومنها على سبيل الاختصار؛ ينظر: نفسه، مج1، السفر الأول، ص308، ترجمة:167، حيث قال: "ذكره أبو جعفر، لكننا لا نعلم ذلك"؛ ومج1، السفر الأول، ص479، ترجمة: 387، حيث قال: "وقال في نسبه أبو جعفر...فزاد كما ترى ونقص ووقع له إخلال فرقص"؛ ومج3، السفر الخامس، ص573، ترجمة: 1273، حيث قال: "انتهى ما ذكَرَه ابن الزبير مشتملا على أوهام"؛ ومج4، السفر السادس، ص186، ترجمة: 452، حيث قال: "وقد أخلّ أبو جعفر بن الزبير بذِكره...وأغفل كثيرا من الأعلام بحاله".

291- للاستزادة أكثر حول كتب البرامج التي اعتمدها ابن عبد الملك؛ ينظر: نفسه، مج6، ص ص565-567.

292- للاستزادة أكثر حول كتب الفهارس التي اعتمدها ابن عبد الملك؛ ينظر: نفسه، مج6، ص ص592-593.

-برنامج الصحابان[293] ابن ميمون (تـــ400هـــ/1010م) وابن شِنظير (تـــ402هـــ/1012م)[294]:

وقد أفاد منه في الأسماء، وكان يحيل على هذا البرنامج بقوله: "وقفتُ عليه في نسخة جيدة، من برنامج الصاحبين المشترك بينهما"[295]. ولعله أحال إلى أحدهما دون الآخر، مثلما فعل مع ابن شنظير فقال: "ذكره ابن شنظير في برنامجه"[296].

- **برنامج شيوخ ابن القطان أبو الحسن (628هـــ/1230م)**[297].
- **برنامج أبي الربيع الكلاعي (تـــ634هـــ/1234م)**[298].
- **برنامج أبي عبد الله الخولاني**[299].
- **برنامج ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م)**[300].

وغيرها من البرامج الكثيرة، التي اعتمدها ابن عبد الملك في تحرير مادة تراجمه، ولا يمكن حصرها في هاته الجزئية لكثرتها[301].

وأما عن كتب الفهارس[302]، فقد اعتمد ابن عبد الملك مجموعة مهمة، ومن أبرزها نذكر:

293- **الصاحبان:** هما الحافظان أبو جعفر بن ميمون وقد تقدمت ترجمته في الهامش 242 من هذا الفصل، وابن شنظير وقد تقدمت ترجمة في الهامش: 409 من الفصل الرابع.

294- العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص152-153.

295- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج2، السفر الرابع، ص17، ترجمة: 35.

296- المصدر نفسه، مج4، السفر السادس، ص88، ترجمة: 189.

297- تقدمت ترجمة في الهامش: 47 من هذا الفصل. اعتمده في: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص221، ترجمة: 525؛ ومج5، السفر الثامن، ص19 وص 22 وص ص25-26، ترجمة: 10.

298- تقدمت ترجمة في الهامش: 33 من الفصل الخامس. اعتمده في: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج2، السفر الرابع، ص83، ترجمة: 203.

299- مج2، السفر الرابع، ص146، ترجمة: 291.

300- ذكره في مج1، السفر الأول، ص ص 235-236، ترجمة: 31 وص475، ترجمة: 381؛ ومج4، السفر السادس، ص545، ترجمة 1290.

301- للاستزادة أكثر حول كتب البرامج والفهارس التي اعتمدها ابن عبد الملك؛ ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص152-167.

302- للاستزادة أكثر حول كتب الفهارس التي اعتمدها ابن عبد الملك؛ ينظر: المرجع نفسه، ص ص167-174.

- **فهارس أبي العباس النباتي**[303].
- **فهرس أبي محمد بن عتّاب (تـــ462هـــ/1069م)**[304].
- **فهرس القاضي أبي علي الصدفي حسين بن محمد (594هـــ/1197م)**[305].
- **فهرس عبد الرحيم بن الملجوم أبو القاسم (تـــ603هـــ/1206م)**[306].

وبالإضافة إلى ذلك؛ اعتمد ابن عبد الملك:

- **كُتُب الأنساب**[307]: ومنها كتاب "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم (تـــ456هـــ/1064م)[308].
- **وكتب البلدان**[309]: ومنها "تاريخ دمشق" لابن عساكر (تـــ571هـــ/1176م)[310].
- **وكتب الطبقات**[311]: ومنها كتاب "طبقات النحويين" للزبيدي (تـــ379هـــ/989م)[312].
- **وكتب الرحلات**[313]: ومنها كتاب "اعتبار الناسك في ذِكر الآثار الكريمة والمناسك" لابن جبير[314].

303- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص686، ترجمة: 758. والمراد به هو **أبو العباس ابن الرومية (561-637هـــ/1165-1239م):** أحمد بن محمد بن مفرج الأموي بالولاء الإشبيلي، أبو العباس النباتيّ العشّاب، ويعرف بابن الروميّة، واحد عصره في علمين انفرد بهما: الحديث والاستكثار من روايته، والنباتات والبحث عنها، وكلاهما كان يضطره إلى الرحلة والأسفار؛ ولد في إشبيلية. له "فهرسة" أفرد فيها روايته بالأندلس من روايته بالمشرق. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص281.

304- تقدمت ترجمته في الهامش: 436 من الفصل الخامس، وقد أورده في: المصدر نفسه، مج4، السفر السادس، ص ص507-508، ترجمة: 1241.

305- نفسه، مج4، السفر السادس، ص508، ترجمة: 1241.

306- تقدمت ترجمته في الهامش: 286 من الفصل الخامس. وقد أورده في: نفسه، مج1، السفر الأول، ص ص468-469، ترجمة: 374.

307- للاستزادة؛ ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص176-179.

308- تقدمت ترجمته في الهامش 414 من الفصل الثاني.

309- للاستزادة؛ ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص180-185

310- تقدمت ترجمته في الهامش: 233 من الفصل الخامس.

311- للاستزادة؛ ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص186-188.

312- تقدّمت ترجمته في الفصل الثاني من الأطروحة، ص155.

313- للاستزادة؛ ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص189-190.

314- محمد بن أحمد بن جُبَيْر بن محمد بن جُبَيْر بن سعيد بن جُبَيْر، مولده ببلنسية سنة 539هـــ/1144م، وقيل بشاطبة سنة 505هـــ/1111م. كان أديبا بارعا كاتبا بليغا، شاعرا مُجِيدا، سَنِيًّا فاضلا؛ توفي بالإسكندرية ليلة الأربعاء 29 شعبان

- **وكتب اللغة والأدب**[315]: ومنها كتاب "لحن العامة" للزبيدي (تـــ379هـــ/989م).

وغيرها من الكُتب التي اعتمدها، في تحرير مادة تراجمه[316].

ث/ كتب التقاييد[317] **والخطوط**[318] **والمكاتبة**[319]:

ونقصد بها، ما حصل عليه ابن عبد الملك مُدوَّنًا بخط المترجَم له أو غيره ممن تصلهم به صلة القرابة أو الصحبة، أو غير ذلك من التقاييد التي سجّلها بعض العلماء، فجعلها ابن عبد الملك مصدرا لمعلوماته بحسب ما جاء مثبتا في تراجم كتابه. وقد تنوعت تلك التقاييد، ما بين النسب، أو سنوات المولد، أو أبيات شعرية للمترجَم لهم، أو مجموع إجازات علمية[320]، كقوله في ترجمة أحمد بن عبد الولي بن أحمد بن عبد الولي: "وَقَفْتُ على هذين البيتين كما رسمتهما بخطّ الراوِية النّسّابة أبي محمد بن عليّ الرُّشاطي"[321]. وقوله في ترجمة سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد بن حَكَم بن عبد العزيز بن حَكَم القرشي: "رأيتُ من شِعرِه مجلَّدا جيِّدا يكونُ أشفَّ مِن ديوان شعرِ المتنبِّي أو نحوَه، بخطِّ ابنه أبي عَمْرو"[322].

وبالإضافة إلى خطوط المترجَم لهم، التي اعتمدها ابن عبد الملك في إثبات أنسابهم، كان حريصا على جمع مختلف الخطوط، ومن ذلك قوله في ترجمة أحمد بن علي بن الحَكَم بن عبد العزيز بن محمد بن يوسف بن خلف بن حكم القيسي أبو جعفر: "كذا وقفتُ على نسبه بخط غير واحد من جلّة الآخذين عنه"[323]. وزيادة على ذلك؛ كانت المكاتبة هي الأخرى من مصادر

614هـــ/01 ديسمبر 1217. ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص ص503-525، ترجمة: 1172.

315- للاستزادة؛ ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص191-193.

316- لا يسعنا المقام هاهنا لذِكر جميع مصادر ابن عبد الملك، إذ هي كثيرة ومتنوعة؛ وللاستزادة؛ ينظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج6، ص ص557-614.

317- الأمثلة في ذلك كثيرة؛ وللاستزادة ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص213-214.

318- الأمثلة في ذلك كثيرة؛ وللاستزادة ينظر: المرجع نفسه، ص ص215-221.

319- الأمثلة في ذلك كثيرة؛ وللاستزادة ينظر: نفسه، ص ص222-223.

320- الأمثلة في تراجم الكتاب كثيرة عن الإجازات العلمية التي حصّلها ابن عبد الملك.

321- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص451، ترجمة: 353.

322- المصدر نفسه، مج2، السفر الرابع، ص33، ترجمة: 67.

323- نفسه، مج1، السفر الأول، ص479، ترجمة: 387؛ والأمثلة في ذلك كثيرة.

ابن عبد الملك التي عوّل عليها في تأليف كتابه، والأمثلة على ذلك في كتابه كثيرة ومتنوعة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، قوله: "وأخبرني الإمام الأوحد تقي الدين أبو الفتح...مكاتبة من مصر"[324].

2-7/ مصادر المعاينة والمشاهدة[325]:

كانت المشاهدة والمعاينة من ضمن المصادر التي اعتمدها ابن عبد الملك في تحرير مادة كتابه، إذ كان لها حضور وازن ومهم، حيث حظي بمكانته القريبة من علماء عصره الذين أخذ عنهم وترجم لهم، ومنهم من شاركه حضور المجالس العلمية، وهو ما مكّنه من توظيف مشاهداته تلك فيما يخدُم مؤلَّفه.

وقد أثبت ابن عبد الملك ذلك ضمن كتابه، في عدد من التراجم لبعض المترجَمين ممن لقيهم أو قابلهم وعاصرهم. ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة أبو عمر السكوني: "وورد مراكش، ورأيتُه بها، وأقام فيها مدّة ليست بالطويلة"[326]. وقوله كذلك في ترجمة ابن قُطرال الذي كان مجاورا له في السكن: "شاهدتُ ذلك منه"[327]. وقوله أيضا في ترجمة أبو عبد الله بن الطَّرَاوة: "جالسته طويلا، واستفدتُ بمذاكرته ومجاورته كثيرا"[328]؛ والأمثلة في هذا السياق كثيرة في كتاب "الذيل والتكملة".

كما أن ابن عبد الملك، لم يُغفل في كتابه الحديث عن حضور الجنائز وزيارته للمقابر[329]، ومن ذلك حضوره لجنازة أبي الحسن بن قُطرال التي أشار إليها بقوله: "وكنتُ ممن حضرها"[330]. ومنها كذلك حضوره جنازة أبي عبد الله الغساني التلمسيني، التي شهدها في إحدى رحلاته إلى آسفي، حيث قال عنها: "وحضرتُ جنازته، وكانت مشهودة"[331]. ومنها أيضا، حضوره جنازة

324- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج5، السفر الثامن، ص355، ترجمة: 230؛ والأمثلة في ذلك كثيرة.

325- للاستزادة ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص227-240.

326- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج3، السفر الخامس، ص538، ترجمة: 1201.

327- المصدر نفسه، مج5، السفر الثامن، ص08، ترجمة: 01.

328- نفسه، مج5، السفر الثامن، ص141، ترجمة: 63.

329- للاستزادة ينظر: العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص234-235.

330- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج5، السفر الثامن، ص08، ترجمة: 01.

331- المصدر نفسه، مج5، السفر الثامن، ص147، ترجمة: 71.

أبي بكر محمد بن أحمد اللخمي، التي أشار إليها في قوله: "وحضرتُ جنازته والصلاة عليه، في خلق لا يحصون كثرة"[332].

وفي حديثه عن حضوره للجنائز وزيارة المقابر، كان ابن عبد الملك يزور قبور بعض المترجَمين، ومنها زيارته لقبر أبي موسى بن يلّا البَخْت في قوله: "وقد زُرتُ قبره غير مرّة متبرِّكًا به وبمَن ضمَّتْه تلك التُّربة"[333]. ومنها زيارته لقبر أبي مدين شعيب الأنصاري في تلمسين، ورافقه في تلك الزيارة أحد أبنائه، حيث وصف لنا موقع القبر[334].

ومن مشاهدات ابن عبد الملك أيضا، اطلاعه على الإنتاج العلمي والأدبي للمترجَم له[335]، سواء مَن عاشوا في عصره أو سبقوه بفترة من الزمن، ومن خلال ما يتوصل إليه كان يُثبت بعض ما يتميزون به في العلوم المختلفة.

ومن الذين شَهد لهم ابن عبد الملك، أحمد بن إبراهيم بن علي بن مُنعِم العَبْدَري أبو جعفر، الذي أشاد ببراعته في العدد والهندسة، واستشهد ببعض مؤلفاته في هذين العِلمين، فقال: "وله في الفنَّيْنِ تصانيف جليلة، وتلاخيصُ نبيلة، واستنباطات بديعة، تدُلُّك على تقدُّمه في الصِّناعتَيْن وتبريزِه فيهما"[336]. ومنهم كذلك، أبو القاسم بن الطيلسان، الذي أثنى ابن عبد الملك على تفنّنه في كثير من العلوم، وحفظه مع إتقانه في التقييد، وذلك في قوله: كان "حافظا للحديث، ذاكرا للآداب والأخبار واللُّغاتِ والأشعار"[337].

7-3/ المصادر الشفوية[338]:

تعتبر المصادر الشفوية موردا هاما من مصادر ابن عبد الملك في كتابه "الذيل والتكملة"، حيث إنه أخذ بطرق السماع والقراءة عن شيوخه، والإجازات التي حصّلها من شيوخه، والمكاتبات التي كانت بينه وبينهم، حيث أثبتها في سياق تراجمه. فقد كان يورد مصادره الشفوية،

332- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج4، السفر السادس، ص20، ترجمة: 40.

333- المصدر نفسه، مج5، السفر الثامن، ص126، ترجمة: 43.

334- نفسه، مج2، السفر الرابع، ص121، ترجمة: 245.

335- العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص236-238.

336- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج1، السفر الأول، ص250، ترجمة:36.

337- المصدر نفسه، مج2، السفر الرابع، ص58، ترجمة:137.

338- العومي ليلى، مصادر بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، ص ص252-264 وص ص265-273.

من خلال عبارات معينة تدل على التلقّي والسماع، ومنها: "حدّثني"، و"ذكر لي شيخنا"، و"قال لي شيخنا"، و"سمعتُ شيخنا"، و"قال لي فلان"، و"ذكر لي فلان"، و"حدثنا عنه شيوخنا"، و"حدثنا عنه من شيوخنا"، و"أنشدني"، و"أنشدني من شعره"؛ وهاته العبارات كلها تدل على طرق السماع، والأمثلة فيها كثيرة.

ومن العبارات الدالة على التلقي بالقراءة، قوله: "قرأتُ على فلان"، و"قُرئ على فلان وأنا أسمع منه فأقرّ به"، و"حدّثنا فلان قراءة عليه"، وغيرها من العبارات كقوله في ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المَعافِري: "حدثني الشيخ أبو الحسن الرعيني رحمه الله قراءة مني عليه، ونقلا من خطّه"[339]. وقوله في ترجمة أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حُرَيْث بن عاصِم بن مَضَاءِ بن مُهنَّد بن عُمَيْرٍ اللَّخمي: "قرأتُ على شيخنا أبو الحسن الرعيني ونقلته من خطّه"[340]. وقوله أيضا في ترجمة محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن قَسُّوم بن أصبغَ بن إبراهيم بن مُهَنّى اللَّخمي: "أخبرني الشيخ أبو الحسن الرعيني مشافهة قال :..." [341]. ومن طرق التحصيل كذلك؛ الإجازة من الشيوخ عن طريق القراءة والسماع، مثل قوله في شيخه أبي الوليد بن عفير: "قرأتُ عليه وسمعتُ منه، وأجاز لي وأنشدني كثيرا من شِعره"[342].

كما أنه اعتمد على إفادات مجهولة المصدر، سواء كانت قريبة من المؤلِّف أو مجهولة تماما. ومن أمثلتها قوله في ترجمة طلحة بن محمد بن طلحة بن محمد بن عبد المِلك بن أحمد بن خَلَف ابن الأسعَد بن حزم الأُموي: "أخبرني بعض أصحابنا ممن لازمه"[343]، وقوله في ترجمة عيسى بن عبد العزيز يَلَّبَخْت: "حدّثني غير واحد ممن لقيته"، وقوله في ترجمته كذلك: "أخبرني غير واحد ممن أثقه"[344]، وقوله في ترجمة سعد السُّعود بن أحمد بن هشام بن إدريس بن محمد بن سعيد بن سليمان بن عبد الواحد بن عُفَيْر الأُموي: "ووصفه بعض مَن ذَكَره"[345].

339- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، مج4، السفر السادس، ص328، ترجمة:787.

340- المصدر نفسه، مج1، السفر الأول، ص404، ترجمة: 291.

341- نفسه، مج4، السفر السادس، ص266، ترجمة: 705.

342- نفسه، مج4، السفر السادس، ص130، ترجمة: 310.

343- نفسه، مج2، السفر الرابع، ص154، ترجمة: 303.

344- نفسه، مج5، السفر الثامن، ص123، ترجمة: 43.

345- نفسه، مج2، السفر الرابع، ص22، ترجمة: 44.

كما كان ابن عبد الملك ينقل الروايات التي يسمعها بخطوط أصحابها؛ يستشَفّ ذلك من قوله: "ونقلتها من خطه"، و"ما حدّثني به ونقلته من خطّه"، و"أنشدتُ على شيخنا أبو الحسن الرعيني رحمه الله ونقلته من خطّه".

وعليه، فقد كان ابن عبد الملك حريصا على تعزيز رواياته، بأن كان يستمع إلى ما يُلقى إليه ثم يعمل على نقله وسماعه لتلك الرواية بخطّه، أو يحصل عليها بخط أصحابه. وبذلك، يكون قد أخذ رواياته عن عدد من الأشخاص الذين أتيح له الالتقاء بهم، وكانت له صلة بمن أثبتهم في تراجم كتابه، فكانت بذلك مصادر روايته الشفوية، هي أساتذته وشيوخه، وكذا أصحابه.

ومن خلال تتبع مصادر ابن عبد الملك في كتابه "الذيل والتكملة"، يمكن القول بأنه قرأ جلّ الكتب التي سردها في كتابه، وهي بالمئات أو الآلاف، وهو ما صرّح هو بنفسه بأنه قد وقف عليها، أو على وصْفِهَا بما يدلّ على مطالعته لها، إذ أن ما يلفت النظر في ذلك، هو أنه في الغالب كان يقف على تلك الكتب بخطوط مؤلّفيها. كما أنّ معظم الأشعار والرسائل التي اشتملها كتابه، منقولة كذلك من خطوط أصحابها.

وخلاصة القول: فإن ابن عبد الملك حظي بمكانة وتقدير لدى المؤرخين المعاصرين واللاحقين له، وبالرغم من ذلك فإنه وإضافة لأخْذِهم عنه الكثير مما جاء في كتابه، إلا أنهم لم يولوه القيمة التي يستحقّ، فلم يفردوه بترجمة خاصة، تتضمن سيرته بالتفصيل، عدا أستاذه ابن الزبير.

لقد كان الدافع الأساسي لتأليف ابن عبد الملك لكتابه "الذيل والتكملة"، هو أمانته العلمية في إكمال ما أُغفل ونقص لدى أصحاب الصلات. كما أن نزعته الوطنية وغيرته على أعلام أهل المغرب ممن برزوا في مختلف العلوم، كان حافزا آخر لتأليف الكتاب، فبدى ذلك واضحا جليا بين ثناياه، وظهر فيه كمدافع ومنافح عن هؤلاء الأعلام.

وقد تميز منهجه وأسلوبه في كتابه بمواصفات فريدة، مقارنة مع سابقيه من مؤلفي كتب الصلات، إذ يتضح ذلك جليا من خلال تراجم الكتاب، التي تميّزت بطول النفس في إثبات كل ما يخص أعلامه المترجَمين، إضافة إلى حسّه النقدي في تراجم كتابه، وكذا التنظيم والترتيب. كما أنه اعتمد على مصادر كثيرة ومتنوعة في تقييد تراجم كتابه، وهذا ما أضفى عليه دقّة كبيرة.

وبكل هاته الصفات مجتمعة، عُدَّ كتاب "الذيل والتكملة" لابن عبد الملك المراكشي، موسوعة تاريخية وتراجمية هامة، حوت جوانب مهمة من تاريخ المغرب والأندلس.

المبحث الثاني:

كتب الصلات والذيول الأندلسية في طور النضج وختم الحلقات خلال (ق08-09هـ/14-15م)

1/ لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله (ت776هـ/1374م):

صنع ابن الخطيب الاستثناء، بِأَن كفانا مؤنة الترجمة له، فعرّف بنفسه تعريفا وافيا في آخر كتابه الإحاطة[346]. كما ترجم له إسماعيل بن الأحمر (تـــ807هـــ/1405م)، وابن حجر (تـــ852هـــ/1448م)، وخصّه صديقه ومعاصره ابن خلدون، بترجمة في كتاب "العبر"[347]. وعليه، فإن مصادر ترجمته لا تكاد تخرج عن هاته الثلاثة؛ كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة، وكتاب نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لابن الأحمر، وكتاب العبر لابن خلدون، وهذين الأخيرين عاصراه؛ وعنهما نَقَلَ جُلُّ مَن ترجم له.

إلا أن العناية بترجمة ابن الخطيب بلغت غايتها على يدي المقري التلمساني (ت1041هـــ/1632م)، الذي لم يُحسن أحدٌ إليه كإحسانه، فترجم له في كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب".

1-1/ حياته:

هو العالم الكاتب، والشاعر المترسّل، والسياسي الناظم؛ أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، القرطبي الأصل ثم الطليطلي ثم اللوشي ثم الغرناطي؛ والسلماني نسبة إلى سلمان، وهو من مراد مِن عرب اليمن القحطانية. وكان هذا اللقب يغلب عليه ولا سيما في المغرب، إذ كان يعرف بابن الخطيب السلماني[348].

346- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص374.

347- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج7، ص440.

348- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص373. أزهار الرياض، ج1، ص231. المقري، نفح الطيب، مج5، ص 09. ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص271، ترجمة: 777. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص445، ترجمة: 555. ابن قنفذ، الوفيات، ص370. ابن العماد، شذرات الذهب، ج8، ص452. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص469، ترجمة: 1261. ابن الأحمر الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمد (تـــ807هـــ)، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، دراسة وتحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت: دار الثقافة، 1967، ص242، ترجمة: 07. الزركلي، الأعلام، ج6، ص235. حسن الوراكلي: "**لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين: دراسة وبيبليوغرافية**". نشرت ضمن سلسلة المعتمد بن عباد للتاريخ الأندلسي ومصادره، منشورات عكاظ، ب ت، سلسلة 3، ص ص5-35.

وأما عن سبب تكنيته بـــ "لسان الدين"؛ فقد أخبرنا بذلك بنفسه، إذ قال: "يُلقَّب من الألقاب المشرقية بـــ "لسان الدين"[349]. كما لُقّب بعدة ألقاب أخرى منها؛ "ذي الوزارتين"[350] لجمعه بين مهنة الوزارة ومهنة الكتابة (أي وزارة السيف والقلم)، و"ذي القبرين" و"ذي العمرين"، لأنه كان مصابا في حياته بداء الأرق الذي لازمه إلى آخر حياته، فكان لا ينام ليلا وأصبح الليل بالنسبة عمرا ثانٍ، فعُرف باشتغاله بالتصنيف ليلُه، وبتدبير الملك نهارُه[351].

رأى ابن الخطيب النور بمدينة لوشة[352] يوم 25 رجب 713هـــ/16 نوفمبر 1313م، وهو من بيت علم وجاه وفضل وشرف، عُرِف بيتهم ببني وزير ثم سمي ببني الخطيب[353]، لأن جدّه الأعلى كان عالما ورعا، يُلقي دروسه ومواعظه تحت أطلال برج، ومنه غلب عليه اسم الخطيب، وأورث بنيه هذا اللقب، فعُرفوا ببني الخطيب منذ ذلك الوقت[354]. كما أن أباه عبد الله بن سعيد (تـــ741هـــ/1340م)[355]، يعدّ من علماء لوشة في زمانه، وكان له فضلا عن ذلك مركزا متميزا داخل البلاط السلطاني الغرناطي، حيث تقلّد جملة من المناصب السياسية، ومنها اشتغاله في ديوان الإنشا مع الأديب أبي الحسن الجياب[356].

349- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص374.

350- ابن الخطيب، أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ج1-2، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ص10.

351- ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص10. بلقاسم شتوان: "**الأثر الديني في شعر لسان الدين بن الخطيب الأندلسي**"، مقال منشور ضمن أعمال الندوة الدولية التي نظمها الإيسيسكو ومؤسسة ابن الخطيب تحت عنوان: لسان الدين بن الخطيب مجدد فكر التسامح وحوار الثقافات، فاس، 2013، الرباط: مطبعة الإيسيسكو، 2017، ص201.

352- **لوشة:** بالأندلس من أقاليم إلبيرة، بينهما ثلاثون ميلاً. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص513.

353- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص374. المقري، نفح الطيب، مج5، ص10.

354- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص374.

355- **عبد الله بن محمد بن سعيد:** مولده سنة 672هـــ/1273م. كان شاعرا، وعمل في ديوان الإنشا، ثم صار وزيرا للسلطان أبي الوليد إسماعيل النصري ثم لابنه محمد، ثم لأخيه يوسف من بني الأحمر، حتى استشهد في معركة طريف سنة 741هـــ/1340م. ينظر: المقري، نفح الطيب، مج5، ص 14-16.

356- خصّ ابن الخطيب أباه بترجمة في إحاطته؛ ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص 376. المقري، نفح الطيب، مج5، ص16.

نشأ ابن الخطيب وترعرع في غرناطة منذ حداثة سنّه، حيث انتقلت إليها أسرته بعد وقعة الربض[357]. وبهاته المدينة تتلمذ ابن الخطيب لثلّة من أعلام عصره، نهل منهم العلم والأدب، فكان دائم الافتخار بهم، إذْ كانوا هم روافد علمه وثقافته الواسعة. وقد عدّهم في مشيخته في "الإحاطة"، ومن أبرزهم نذكر[358]: الصالح أبي عبد الله بن عبد الولي العوّاد، والشيخ أبي الحسن القيجاطي، وقاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر، وتأدّب بالشيخ أبي الحسن بن الجيّاب[359].

كما تتلمذ له جلّة من الطلاب الأعلام[360]، أخذوا عنه العلم والأدب، وفنون السياسة؛ منهم ابن زمرك[361]، وأبو عبد الله الشريشي[362]، هذا الأخير كان قد ألقى إليه بمبيضات كتابه "الإحاطة" اعتمادا منه عليه وثقة به، فتولى نَسْخها أول مرّة من هذه مبيضات[363].

357- وقعة تطلق على الثورة التي قام بها أهل قرطبة بتحريض الفقهاء ضد حكم ابن هشام أمير الأندلس بقصد خلعه في رمضان202هـ. وقد بدأت في الربض الجنوبي لقرطبة في الناحية المسماة "شقندة"، ولكن الحكم استطاع سحق الثورة ومطاردة الثوار وتمزيقهم. وصُلب الكثير منهم على شاطئ النهر، وهدمت دُورهم، وفرّ كثير من أعيان قرطبة وتفرقوا، وسارت طائفة كبيرة منهم إلى المشرق. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص 374، هامش06.

358- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص ص386-388. المقري، نفح الطيب، مج5، ص603. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص469، ترجمة: 1261.

359- **ابن الجيّاب (673-749هـ/1274-1349م):** علي بن محمد بن علي بن سليمان، أبو الحسن ابن الجياب، شاعر أندلسي غرناطي أنصاري؛ له: ديوان شعر. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج05، ص06.

360- المقري، نفح الطيب، مج7، ص ص145-288. الحقان عبد الرحمن راشد: "**الفقه في حياة لسان الدين بن الخطيب ومؤلفاته**"، مقال منشور ضمن أعمال الندوة الدولية بعنوان: لسان الدين بن الخطيب مجدد فكر التسامح وحوار الثقافات، نوفمبر 2013، الرباط: مطبعة الإيسيسكو، ص ص175-178.

361- **ابن زَمْرَك (733-نحو 793هـ/1333-نحو 1390م):** محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصّريحي، أبو عبد الله، المعروف بابن زمرك. وزير من كبار الشعراء والكتاب في الأندلس؛ مولده بروض البيازين بغرناطة، تتلمذ للسان الدين بن الخطيب وغيره، وترقى في الأعمال الكتابية، إلى أن جعله صاحب غرناطة الغني باللّه كاتم سره في 773هـ/1371م. وقد كان في بادئ الأمر معاونا لابن الخطيب في الوزارة، ثم تحول إلى واحد من أكبر خصومه وحاول الإيقاع به، وتكدير صفو علاقته بالسلطان الغرناطي من جهة، وبالبلاط المغربي من جهة أخرى. ينظر: المقري، نفح الطيب، مج7، ص 145. ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص10. الزركلي، الأعلام، ج7، ص154.

362- وهو مؤدب أولاد الغني بالله النصري (تـ793هـ/1391م). ينظر: المقري، نفح الطيب، مج7، ص 282.

363- المقري، نفح الطيب، مج7، ص 282.

هذا، وعاصر ابن الخطيب مجموعة من أكابر العلماء ورجال الأدب، وفي مقدّمتهم العلامة ابن خلدون[364]، الذي كان دائم التراسل والكتابة إليه، وكان كلٌّ منهما يقرّ بالفضل للآخر ومكانته في العلم والمعرفة، وترجما لبعضهما البعض[365]. ومنهم كذلك؛ الرحالة الشهير ابن بطوطة[366]، والإمام الأصولي أبو إسحاق الشاطبي[367].

تقلّد ابن الخطيب الوزارة وتقلّب فيها ردحا من الزمن، وساعده في ذلك الحظوة الكبيرة التي كانت لوالده لدى سلطان غرناطة[368] إذ كان وزيرا له، ثم خلَفه عليها عند وفاته

364- **ابن خَلْدُون (732-808هـ/1332 -1406م):** عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ؛ أصله من إشبيلية، ومولده ومنشؤه بتونس. كان فصيحا، جميل الصورة، عاقلا صادق اللهجة، طامحا للمراتب العالية. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان، ثم الأندلس التي اهتزّ له سلطانها، وعاد إلى تونس، ثم يمّم بعدها صوب مصر التي أكرمه سلطانها الظاهر برقوق، إذ ولي فيها قضاء المالكية، و لم يتزيّ بزيّ القضاة محتفظا بزيّ بلاده؛ توفي فجأة في القاهرة. له كتاب: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص145، ترجمة: 387. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص250، ترجمة: 297. الزركلي، الأعلام، 3، ص330.

365- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج7، ص591.

366- **ابن بَطُّوطَة (703-779هـ/1304-1377م):** محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله ابن بطوطة؛ رحالة مؤرخ، وُلد ونشأ في طنجة، وخرج منها سنة 725هـ/1325م، فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتر وأواسط إفريقية، واتصل بكثير من الملوك والأمراء. ثم عاد إلى المغرب الأقصى، فانقطع إلى السلطان أبي عنان المريني فأقام في بلاده، وأملى أخبار رحلته التي استغرقت 27 سنة، على محمد ابن جُزَيّ الكَلْبي بمدينة فاس سنة 756هـ/1355م، وسماها "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص ص235-236.

367- **الشاطبي (تـ790هـ/1388م):** إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ من أئمة المالكية؛ من كتبه: الموافقات في أصول الفقه. ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص48، ترجمة: 17. الزركلي، الأعلام، ج1، ص75. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص118.

368- مملكة **غرناطة:** مملكة تأسست على يدي بني الأحمر أو بني نصر سنة 635هـ/1238م على يد القائد العربي الأندلسي الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر من بلدة أرجونة، أحد حصون قرطبة. وأما تسميته هو وأبنائه من بعده ببني الأحمر؛ فنسبة إلى جده عقيل بن نصر الذي لقب بالأحمر لشقرة فيه. حكم مؤسس غرناطة السلطان محمد بن يوسف مدة طويلة (671-701هـ/1272-1301م)، وبعد وفاته خلفه ابنه محمد الثاني الذي مهّد للدولة النصرية، ووضع ألقاب خدمتها، وأقام رسوم الملك فيها. وقد استمر مُلك غرناطة في بيت بني نصر أو بني الأحمر، حتى نهاية هذه الدولة وسقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م. ينظر: أحمد مختار العبادي: "**لسان الدين بن الخطيب وكتاباته التاريخية**"، مجلة عالم الفكر، دورية تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت، مج16، العدد 2، 1985، ص32. ابن الأحمر، أعلام المغرب والأندلس نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1987، ص ص77-78.

(741هـ/1340م)، و لم يكن عمره وقتئذ قد تجاوز الثامنة والعشرين، فتولى أمانة السرّ لأستاذه ابن الجياب وزير السلطان أبي الحجاج يوسف[369] أعظم سلاطين غرناطة، وكاتبه الأخير. وعلى يديه، تلقى ابن الخطيب أرفع أساليب النظم والنثر في ذلك العصر، وظهرت براعته في تدبيج الرسائل السلطانية مبكرا، فألّف كتابا ضمّنه عددا من رسائل أستاذه ونثره، أسماه: "تافه من جمّ ونقطة من يمّ"، وهو من المصنفات المفقودة[370].

ولـــمّا توفي ابن الجياب في طاعون 749هـ/1348م، خلفه ابن الخطيب في رئاسة ديوان الإنشا، ومنحه السلطان أبو الحجاج رتبة الوزارة[371]. ومع توالي الأيام تألّق ابن الخطيب، وبرز نجمه في سماء السياسة، وعظمت منزلته عند السلطان الذي لم يتردد في إغداق النعم والهبات والعطف عليه، فجعله كاتب السرّ، ولسانه في المكاتبات السلطانية الرسمية. فكان ذلك حافزا مهما شجّع ابن الخطيب على كتابة عدد من الرسائل الملوكية البديعية التي نعتها ابن خلدون باسم "الغرائب" لروعتها وجمالية صوغها، وجزالة لغتها، جمع ابن الخطيب العديد منها المراسلات فيما بعد في كتابه "ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب".

وقد استمر ابن الخطيب في منصب الوزارة وزاد مركزه قوة، حتى بعد مقتل السطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل سنة 755هـ/1354م والذي خلفه ابنه عبد الغني بالله. هذا الأخير أرسله سفيرا عنه إلى السلطان المريني أبي عنان، على رأس وفد من رجالات غرناطة.

وقد كان ابن الخطيب سفيرا أمينا في النقل، دقيقا في الملاحظة، حريصا على تأدية واجب السفارة على أكمل وجه؛ فعهد إليه بثلاث سفارات؛ سنة 752هـ/1351م من لدن سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف إلى السلطان المغربي أبي عنان من أجل تعزيته وتهنئته في بلاط فاس، ثم سنة 755هـ/1354م إلى السلطان نفسه ولكن هذه المرة، ورد إلى فاس مبعوثا من قبل الغني

369- **السلطان أبو الحجاج:** هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي الأنصاري؛ تولى الملك بعد أخيه يوم 13 ذي الحجة 733هـ/25 أوت 1333م، وسنه خمسة عشر عاما. مات مقتولا يوم عيد الفطر سنة 755هـ/19 أكتوبر 1354م. ينظر: المقري، نفح الطيب، مج5، ص ص80-81.

370- فريد أمعضشو: "**ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته**"، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع128، 2013، ص135.

371- ذكر ابن الخطيب الأعمال التي كان يقوم بها أوائل عهد السلطان، وهي الوقوف بين يديه في المجالس العامة، وإيصال الرقاع، وفصل الأمر، التنفيذ للحكم، العرض والإنشاء، والمواكلة والمجالسة. ينظر: العبادي، لسان الدين بن الخطيب وكتاباته التاريخية، ص34.

بالله لطلب العون ضد عدوان ملك قشتالة، وأما الثالثة والأخيرة، فقادته إلى ملك قشتالة بدرو الأول[372].

ونتيجة لظروف تاريخية وحوادث سياسية أليمة خُلع السلطان الغني بالله من طرف أخيه من منصبه ومعه ابن الخطيب 761هـ/1359-1360م. ومن هذا الحدث بدأت رحلة المعاناة لابن الخطيب، إذ صودرت كل أملاكه، وفقد مكانته السامية، فانتقل إلى فاس رفقة الملك المخلوع، بتدخل السلطان المريني أبي سالم لدى سلطان غرناطة الجديد[373].

وفي عاصمة بني مرين التقى ابن الخطيب لأول مرة مع ابن خلدون الذي كان ذا شأن رفيع في بلاط المغاربة، إذ أن مكانته في المغرب كانت تضاهي مكانة ابن الخطيب في غرناطة، وكلاهما كان رائدا في الكتابة. وظل الاحترام والمحبة المحدد الأول لعلاقة الرجلين بادئ الأمر، وبالتقائهما وتعارفهما تأكدت هاته العلاقة وتوطدت كثيرا[374].

هذا، وقضى ابن الخطيب مدّة من حياته في مدينة سلا بين أحضان سلطان المغرب الأقصى، نقل لنا خلالها تفاصيل كثيرة حول حياته، فعاش عزيز الجانب مرتاح البال، موفور الرزق، واقتنى الدور والضياع والرياض، وصار واحدا من أغنى الرجال السلاويين، وهو ما ساعده كثيرا في تصنيف جملة من المؤلفات؛ نظما ونثرا، ومنها بعض تصانيفه التاريخية الوازنة "كاللمحة البدرية"، و "رقم الحلل في نظم الدول"، ونَظم مدائح جميلة في حق السلطان أبي سالم، وأشعارا في أغراض شعرية عديدة[375].

وبعد مدة، استردّ السلطان الغرناطي المخلوع الغني بالله عرشه من جديد بمساعدة المغاربة. وما إن استتب الأمر للغني بالله، حتى كتب إلى ابن الخطيب رسالة في 763هـ/1361م، يبشره فيها باسترجاع ملكه، ويطلب إليه العودة إلى غرناطة، والعودة إلى منصب الوزارة، فما كان منه

372- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص09. أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص135.

373- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص10. أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص135.

374- العياشي السنوسي: "**المشاركة السياسية للسان الدين بن الخطيب في المغرب**"، مقال منشور ضمن أعمال الندوة الدولية التي نظمها الإيسيسكو ومؤسسة ابن الخطيب تحت عنوان: لسان الدين بن الخطيب مجدد فكر التسامح وحوار الثقافات، فاس، 2013، الرباط: مطبعة الإيسيسكو، ص80.

375- أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص136.

إلا مغادرة مقامه بسلا والتوجّه إلى غرناطة تلبية لطلب الغني بالله، الذي أعاده إلى الوزارة من جديد[376].

ومنذ ذلك الحين وفَد على الأندلس صديقه الحميم ابن خلدون، بعدما فقد حظوته هناك في المغرب. فاستقبله الغني بالله استقبالا حارا، وفعل الشيء نفسه وزيره ابن الخطيب. وبقي ابن خلدون في الأندلس زمنا قويت خلاله مكانته عند سلطان غرناطة، فبعثه سفيرا إلى ملك قشتالة النصراني سنة 765هـ/1363م، نال بموجبها عند الغني بالله حظوة واضحة ستنعكس سلبا على وجوده في المنطقة[377].

وقد أثرت العلاقة القوية الجديدة بين ابن خلدون نزيل غرناطة والغني بالله في نفسية ابن الخطيب، وحركت كوامن شعوره، وجعلته أكثر تخوفا على فقدان منصبه السياسي، فعمد إلى إيغار صدر الغني بالله على ابن خلدون والوشاية به، فأثّر ذلك في نفسية السلطان، وبدأت علاقته بابن خلدون تفتر. وهو ما تفطّن له ابن خلدون الذي أدرك جليا أن ابن الخطيب وراء هاته الدسيسة، خاصة لما رأى إعراض السلطان عنه وتغيُّر علاقته به؛ فشدّ الرحال قاصدا المغرب سنة 766هـ/1364م، لتنتهي بذلك فصول علاقة قوية بين ابن الخطيب وابن خلدون[378].

كثُر خصوم ابن الخطيب في الأندلس، وعلى رأسهم تلميذه ابن زمرك، الذي وبسببه مركز ابن الخطيب المتميز يضعف يوما بعد آخر، إلى أنْ قرّر ترك السياسة ومتاعبها، ودخل مرحلة من الزهد والاعتكاف زار خلالها البيت الحرام لأداء مناسك الحج، فاستأذن السلطان في ذلك فلم يأذن له، وذلك لأن ابن الخطيب، كان له حضور وازن في أمور الدولة، وكان السلطان شديدة التمسك به، فلم يسمح له بترك الوزارة أو التغيب عنها مدة، ولو تعلّق الأمر بأداء الحج. وفي ظل عدم موافقة السلطان، عمد إلى استعمال الحيلة، وعقدا العزم على الهروب إلى العدوة المغربية، وكتب رسالة مؤثرة إلى ملكه يودعه فيها ويشرح له فيها عبر أسطرها دواعي استقالته؛ ونص الرسالة نقله إلينا ابن خلدون، ووصفها بأنها من أغرب الرسائل، وأروعها، وأجودها على الإطلاق[379].

376- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص ص09-10.

377- المصدر نفسه، ص10.

378- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ص40-43.

379- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص10. أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص136.

وبعد هذا العهد، غادر ابن الخطيب صوب المغرب سنة 772هـ/1370م، قاصدا تلمسان حيث بلاط عبد العزيز المريني، واستقبل هناك استقبالا حارا، وأرسل السلطان المغربي مبعوثا إلى غرناطة، ساعيا في استقدام أسرة الوزير المستقيل، فأتى بها معززة مكرمة أواسط سنة 773هـ/1371م، ليستقر على إثرها ابن الخطيب في وطنه الجديد هانئا منعما، وشعر بأنه قد استرد في بلاط المغاربة منزلته المفقودة[380].

هذا؛ وقد واصل خصوم ابن الخطيب إشعال نار الفتنة والاتهام ضدّه، واتهموه بالإلحاد والخروج عن الشرع في بعض مؤلفاته، وخاصة منهم تلميذه وخلفه في الوزارة أبو عبد الله بن زمرك، وتبعه النباهي[381] الذي كان أكبر وأوفى أصدقاء لسان الدين قبل أن تتوتر العلاقة بينهما فيما بعد، وأرسل برسالة إلى ابن الخطيب يتهمه فيها بالكفر والإلحاد، فلما وصلت إلى لسان الدين أثرت فيه تأثيرا غائرا، فردّ عليه برسالة مماثلة وبلهجة حادة كذلك[382].

ونتيجة لكل هذه التهم؛ أُحرقت كتب ابن الخطيب في ساحة غرناطة بعد صدور فتوى فقهية في هذا الصدد، اتهم فيها ابن الخطيب بالإلحاد. وأرسل السلطان الأندلسي إلى نظيره المغربي، كتابا يطلب منه فيه تنفيذ حكم الشارع في ابن الخطيب بالإعدام. فما كان من ملك المغرب إلا أن ردّ على طلبه بالنفي القاطع، وزاد مِن تقريب ابن الخطيب، وحمايته من كيد أعدائه، وهو الأمر الذي كان مؤذنا بفساد العلاقة بين بلاطي فاس وغرناطة، ودفع ابن الأحمر بعض الثوار والخوارج من بني مرين إلى الانقلاب والثورة على السلطان المريني، وأمدهم بالعون المادي والمعنوي، فتمكنوا من خلع الملك الطفل السعيد، ونصبوا الأمير أحمد بن أبي سالم مكانه عام 776هـ/1374م[383].

380- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج7، ص ص444-445. ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص10.

381- **النُّباهي (713-بعد 792هـ/1313-بعد 1390م):** علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي النباهي، أبو الحسن المعروف بابن الحسن قابض، من الأدباء المؤرخين. ولد بمالقة ورحل إلى غرناطة التي ولي بها خطة القضاء. كان صديقا لابن الخطيب ثم انقلب عليه. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص306.

382- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص10. فريد أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص137.

383- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص ص10-11. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج7، ص ص452-454. المقري، أزهار الرياض، ج1، ص ص229. العياشي السنوسي، المشاركة السياسية للسان الدين بن الخطيب، ص ص85-89. أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص137.

وللإشارة، فإنه قد كان هناك تفاهم مسبق بين الغني بالله وزعماء الثورة بخصوص مصير ابن الخطيب. فبمجرد نجاح الانقلاب، بادر السلطان الجديد بإلقاء القبض على ابن الخطيب واعتقاله، وحوكم بعدما نسبت إليه اتهامات كثيرة، كان للنباهي وابن زمرك اليد الطولى فيها[384].

وقد عُزّر ابن الخطيب وعُذب أمام الملأ، وسُجن في زنزانة مظلمة، فهاجمه بعض أعدائه في سجنه ليلا وقتلوه خنقا، وأخرجوا جثته في الغد، ودفنت بالمقبرة الواقعة اتجاه باب المحروق أحد أبواب فاس القديمة. ثم أخرجت جثته في اليوم التالي، وطرحت فوق القبر، وأضرمت فيها النيران، فاحترق شعر الرأس، واسودّت البشرة، ثم أعيدت الجثة إلى القبر قبل أن تحترق كلية[385].

وقد وقعت هذه المأساة في ربيع الأول أو ربيع الآخر سنة 776هـ/أوت أو سبتمبر 1374م، حيث أشار إليها ابن خلدون متحدثا عن ابن الخطيب قائلا: "الهالك لهذا العهد، شهيدا بسعاية أعدائه"[386].

وأيام امتحانه بالسجن، كان ابن الخطيب رحمه الله يتوقع مصيبة الموت، فنظم قصيدة يقول في مطلعها (من المتقارب)[387]:

بَعُدنا وإنْ جاوَرَتْنا البُيوتْ * وجئْنا بوَعْظٍ ونَحْنُ صُموتْ**
وأنْفاسُنا سَكَتَتْ دَفْعَةً * كَجَهْرِ الصّلاةِ تَلاهُ القُنوتْ**

وهكذا رحل ابن الخطيب عن دنيا الناس تاركا وراءه ثلاثة أبناءهم: عبد الله، وأبو الحسن علي، ومحمد[388].

هذا، ولا يفوتنا التذكير في هذا المقام، بأن ابن الخطيب امتُحن قبل وفاته في زوجته التي كانت تقيم معه في بلدة سلا، فاشتدت آلامه وغَمَرتْهُ موجة من الحزن والتصوف، ظهرت آثارها

384- أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص138.

385- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي، ص ص12-13. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج7، ص 453. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، كتاب الاستقصا لأخبار دور المغرب الأقصى، ج4، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري محمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1997، ص62. أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي، ص138.

386- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج1، ص779.

387- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي، ص 13. الإحاطة، ج4، ص551. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج7، ص ص453-454. المقري، أزهار الرياض، ج1، ص231. ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص273. ابن العماد، شذرات الذهب، ج8، ص452. الناصري، الاستقصا، ج4، ص64.

388- عبد الرحمن راشد الحقان، المرجع السابق، ص 162. المقري، نفح الطيب، مج7، ص ص289-519.

بوضوح في نظمه ونثره، وهو ما عبّر عنه قائلا[389]: "وفي السادس لذي القعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة [772هـ/1370م]، طرقني ما كدّر شربي ونغص عيشي، من وفاة أم الولد عن أصاغر زغب الحواصل بين ذكران وإناث في بلد الغربة. وتحت سرادق الوحشة، ودون أذيال النكبة، تجلّت عليها حسرتي، واشتد جزعي، وأشفيت لعظم حزني، إذ كانت واحدة نساء زمانها جزالة وصبرا ومكارم أخلاق. حازت بذلك مزية الشهرة، حيث حلّت من القطرين، فدفنتها بالبستان المتصل بالدار بمدينة سلا، ووقفت على قبرها الحبس المغل لمتولي القراءة دائما عليها، وصدر عني مما كتب على ضريحها، وقد أغرى به التنويه والاحتفال، قال (من المنسرح):

رُوِّعَ بَالِي وَهَاجَ بَلْبَالي *** وسامني الثُّكْلُ بَعْدَ إقْبَالِ
ذخيرتي حين خانني زمني *** وعُدَّتي في اشتداد أهوال
حفرت في داريَ الضريح لها *** تعللاً بالمُحال في الحال
وغبطةٌ توهم المقامَ معي *** وكيف لي بعدها بإمْهال
سقى الحيا قَبْرَكِ الغريب ولا *** زال مُناخاً لكل هَطَّالِ
قد كنتِ مالي لما اقْتَضَى زَمَني *** ذهابَ مالي وكنت آمالي
أمَّا وقد غاب في تراب سلا *** وجهُكِ عني فلست بالسالي
واللهِ حزني لا كان بعد على *** ذاك الشبابِ الجديد بالبالي
فانتظريني فالشوق يقلقني *** ويقتضي سُرعتي وإعجالي
ومهدي لي لديك مضطجعاً *** فَعَنْ قريبٍ يكون ترحالي"

غير أن وفاة زوجته، لم تحدّ من حيويته وقدرته على التأليف، إذ استمرّ في منفاه يقرأ ويكتب في مختلف العلوم والفنون، وهذا ما نلاحظه من خلال إنتاجه الغزير.

1-2/إنتاجه العلمي:

ترك ابن الخطيب تراثا علميا وازنا، في عدة ميادين، حيث إنه كان كثير المطالعة والبحث والتصنيف، فألّف بعض كتبه في الأندلس، والآخر في بلاد المغرب، وبخاصة سلا، حيث أهّلته مواهبه الأدبية ومعارفه العلمية، أن يُجري قلمه بالتأليف في مختلف الفنون والعلوم من أدب،

389- ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، الدار البيضاء: الدر المغربية للنشر والتوزيع، ب ت، ص ص205-206. أعمال الإعلام، تحقيق كسروي، ص ص15-16. أحمد مختار العبادي، لسان الدين بن الخطيب وكتاباته التاريخية، ص35.

وتاريخ وجغرافية، وتصوف وأخلاق، وفقه، وسياسة، وطب وبيطرة، وموسيقى، وغير ذلك مما تدل عليه عناوين كتبه ورسائله[390].

هذا، وقد ترك ابن الخطيب ثبت مؤلفاته، ضمن الترجمة التي عقدها لنفسه في آخر كتابه الإحاطة، إلا أنّ هذا الثبت لا يشمل جميع كتبه المؤلفة، حيث كان فراغه من "الإحاطة" حوالي عام 773هـ/1371م، وألّف بعد هذا التاريخ عددا آخر من المؤلفات والرسائل[391].

وقد بلغت تصانيفه زهاء الستين مصنّفا؛ ما بين كتاب ورسالة، وصل إلينا منها أقل من النصف، وضاع جلّها على ما يبدو، خلال محنة حرق كتبه التي وقعت في ساحة غرناطة سنة 773هـ/1371م، وهي في معظمها من كتب الطب والتصوف والموسيقى، بينما وصلنا منها تلك نجت من المحرقة[392]؛ عن طريق المغاربة.

نالت مصنّفات ابن الخطيب اهتماما بالغا لدى الباحثين، وذلك لما للرجل من أثر كبير في تاريخ الغرب الإسلامي، سواء في مؤلفاته، أم في أحداث حياته. ولعلّ من أسباب هاته الحظوة، تعدد مجالات الإبداع والبحث التي أسهم فيها ابن الخطيب، وعنايته بالتعريف بتصانيفه ونشرها بين جمهور المتعلمين والمتأدبين، وكذا نهايته المأساوية والمفجعة، التي توالت مشاهدها ناضحة المرارة، ومفعمة بالألم (هروب واحتماء، محاكمة وسجن، ثم إعدام فحرق)[393].

وعليه؛ فقد خلّف ابن الخطيب إنتاجا علميا خصبا، طُبع بعضه ونُشر، ولازال البعض الآخر لم ينشر بعد، وآخر في حكم المفقود. وفيما ذِكْرُ هاته المؤلفات[394]:

390- الوراكلي، لسان الدين الخطيب في آثار الدارسين، ص 22.

391- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص ص388-390.

392- عن هاته المحنة؛ ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي، ص ص12-13. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج7، ص 453. الناصري، الاستقصا، ج4، ص62. أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي، ص138.

393- الوراكلي، لسان الدين الخطيب في آثار الدارسين، ص22.

394- أوردنا جملة من مؤلفات ابن الخطيب؛ ولمعرفة تفاصيل أكثر حولها من حيث المحقق منها والمنشور ومحتوياتها ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص ص53-69 وج4، ص ص459-462. أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي، ج1-2، ص ص13-15.المقري، نفح الطيب، ج7، ص ص97-102. الوراكلي، لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين، ص ص45-62. أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص ص131-156. سرى طه ياسين: "**لسان الدين بن الخطيب ومنهجه في كتابه أوصاف الناس في التواريخ والصلات**"، مجلة كلية الإمام الأعظم، بغداد، العراق، العدد 15، 2012، ص ص564-468. محمد بن عبود: "**ابن الخطيب مؤرخا للأندلس في عهد دول الطوائف**"، مجلة دعوة الحق، تصدر عن وزارة الأوقاف المغربية، العدد 259، 1986، ص ص69-82.

1/ الإحاطة في أخبار غرناطة: حقق ومُطبع عدة مرات، وسيأتي الحديث عنه فيما بعد.

2/الإشارة إلى أدب الوزارة: حققه ونشره محمد كمال شبانة، بمكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة سنة 2004.

3/ أوصاف الناس في التواريخ والصلات: حققه محمد كمال شبانة، وطبع في مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة عام 2002.

4/ جيش التوشيح: حققه هلال ناجي ومحمد ماضور، وطبع بمطبعة المنار بتونس عام 1967.

5/ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: طبع في تونس، وهو ليس لابن الخطيب، وإنما ينسب لابن سماك العاملي.

6/ خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف: نشره المستشرق الألماني ميلار في ميونيخ عام 1866، ثم أعاد نشره أحمد مختار العبادي في كتابه "مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس" عام 1958م بالإسكندرية.

7/ رسالة الطاعون: نُشر مع ترجمة للألمانية، في مجلة أكاديمية العلوم البافارية عام 1863.

8/ رقم الحلل في نظم الدول: نشر جزء منه بتونس عام1899، ثم القاهرة سنة 1966، فبيروت سنة 1970.

9/ روضة التعريف بالحبّ الشريف: حققه عبد القادر أحمد عطا، وطبع بدار الفكر العربي بالقاهرة عام 1968، وأعاد نشره محمد الكتاني بالرباط في مجلدين عام 1970.

10/ ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب: مجموعة رسائل، حققها محمد بن عبد الله عنان، وطبعت في القاهرة سنة 1980-1981.

11/ السحر والشعر: مختارات شعرية، نشرت في مدريد سنة 1981.

12/ الصيب والجهام والماضي والكهام: ديوان شعر، حققه محمد الشريف قاهر، ونُشر في الجزائر عام 1973، وأعاد تحقيقه محمد مفتاح وطُبع في مجلدين بالدار البيضاء 1989.

13/ الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: حققه إحسان عباس، ونشر في دار الثقافة ببيروت عام 1963.

14/كناسة الدكان بعد انتقال السكان: مجموعة رسائل، حققها محمد كمال شبانة، وطُبع في دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة سنة 1966.

15/ اللمحة البدرية في الدولة النصرية: نشره مجد الدين الخطيب بالقاهرة عام 1928، ثم طُبع في بيروت عام 1978.

16/ مثلى الطريقة في ذم الوثيقة: طُبع في ألمانيا الغربية مع ترجمة للألمانية؛ نشره عبد الحميد تركي عام 1969.

17/ مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس: مجموعة رسائل، حققها أحمد مختار العبادي وطبعت في الإسكندرية عام 1958، ثم أعيد طبعها سنة 1983.

18/ معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار: نشر المستشرق سيمونت القسم الأول منه بعنوان مملكة غرناطة وترجمه إلى الإسبانية، ثم نُشر بفاس 1907 كاملا. وأعاد نشره أحمد مختار العبادي ضمن مجموعة أخرى من رسائل ابن الخطيب في مشاهداته بالإسكندرية عام 1958.

19/ مفاضلة بين مالقة وسلا: نشر المستشرق الألماني مولر.

20/ مقاصد السياسة: حققه محمد كمال شبانة، وطبع مع كتاب الإشارة إلى أدب الوزارة بالرباط عام 1980.

21/ مقنعة السائل عن المرض الهائل: رسالة نشرت مع ترجمة لها بالألمانية، في مجلة أكاديمية العلوم البلغارية عام 1863.

22/ نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: يقع الكتاب في أربعة أسفار، وصل منه سفران الجزء الثاني والثالث. فأما الثاني فقد حققه أحمد مختار العبادي، وطُبع في دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة 1969. وأما الثالث منه؛ حققته السعدية فاغية، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه نوقشت عام 1985 وطبعت سنة 1989.

23/ أبيات الأبيات فيما اختار من مطالع ما له من الشعر.

24/ استنـــزال اللطف الموجود في سرّ الموجود.

25/ الإكليل الزاهر فيما فضل عند نضم التاج من الجواهر.

26/ ألفية مِنْ ألف بيت في أصول الفقه.

27/ بستان الدول.

28/ البيـــرزة.

29/ البيطرة.

30/ تاج المحلى في مساجلة قدح المعلى.

31/ تافه من جمّ ونقطة من يمّ.

32/ تحلية الأعلام من حملة السيوف والأقلام.

33/ تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب.

34/ تقرير الشبه وتحرير المشتبه.

35/ الحلل المرقومة في اللمع المنظومة.

36/ حمل الجمهور على السنن المشهور.

37/ خلع الرسن للتعريف بأحوال القاضي ابن الحسن.

38/ الدرة الفاخرة واللجج الزاخرة.

39/ الرد على أهل الإباحة.

40/ الزبدة الـــممخوضة في الأدب.

41/ سدّ الذريعة في تفصيل الشريعة.

42/ سياسة المدينة.

43/ طرفة العصر.

44/ عمل من طبّ لمن حبّ.

45/ الغبرة على أهل الحبرة.

46/ فتات الخوان ولقطة الصوان.

47/ قطع السلوك.

48/ الـــمباخرة الطيبية في المفاخر الخطيبية.

49/ اليوسفي في صناعة الطب.

50/ المسائل الطبية.

51/ المعتمد في الأغذية المفردة.

52/ المعلومة (رجز في العلاج من الرأس إلى القدم).

53/ مقامات العشاق.

54/ المنح الغريب في الفتح القريب (قصيدة).

55/ النقاية بعد الكفاية.

56/ عائد الصلة.

57/ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام.

ومما كتبه ابن الخطيب في مجال التراجم أيضا، كتاب "الكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة"، و"التاج المحلى في مساجلة القدح المحلّى"، و"الإكليل الزاهر فيمن فضل عند نظم التاج من الجواهر"، و"أوصاف الناس في التواريخ والصلات"، وهاته الكتب كلها في تراجم أدباء الأندلس في المائة الثامنة (08هـ-14م)، وهي تدخل في مجال التراجم الخاصة.

ولا ننسى في هذا المقام، أن نؤكّد على أهم مصنّفاته المشهورة في التراجم، "عائد الصلة" و"أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام"، و"الإحاطة غي أخبار غرناطة"، إذْ سنخصص لهم دراسة وافية، باعتبار الأول خاتمة كتب الصلات الأندلسية، والثاني خاتمة كُتُبه في التراجم قَبل مصرعه، والذي خصص القسم الثاني منه لتاريخ وأعلام الأندلس، والكتاب الثالث لارتباطه بشهرة ابن الخطيب في مجال التراجم.

كما نودّ التأكيد، إلى أن ابن الخطيب كان يروم من خلال تأليف "أعمال الأعلام"، جمع مصنّف خاص فقط بمن بويع من ملوك الإسلام قبل سنّ الاحتلام، ونظرا لظروف معينة-سيأتي الحديث عنها لاحقا-حاد عن هذا المبدأ، وألّف تاريخا شاملا ضمّنه الحديث عن هؤلاء الملوك.

3-1/ التعريف بكتاب عائد الصلة:

كتاب "عائد الصلة" لابن الخطيب، هو كتاب تراجم أندلسي، خصصه مصنِّفه لنوع معين من التراجم، وهم الأدباء، ورجال الإدارة، والفقهاء والقضاة، والكُتّاب والأطباء. وقد ذيّل به كتاب "صلة الصلة" لابن الزبير (تـ708هـ/1308م)[395]، حيث أشار إليه في حوالي أربع وأربعين موضعا من كتابه "الإحاطة"[396]، وهو آخر حلقة من حلقات الصلات الأندلسية، إذْ به خُتمت وانتهت.

395- لطيف خلف محمد الدليمي وإيمان محمود حمادي العبيدي: "**نصوص مفقودة من كتاب عائد الصلة للسان الدين ابن الخطيب (تـ776هـ) جمع ودراسة وتحقيق**"، مجلة زانكوي سليماني، تصدر عن جامعة السليمانية، قسم الدراسات الإنسانية B، ع48، 2015، ص ص245-246.

396- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص49 ووص52 وص73 وج2، ص172 وص176 وص181 وج3، ص19 وص21 وغيرها.

1-3-1/ دواعي تأليف الكتاب:

وأما ما تعلّق بأسباب ودواعي تألف الكتاب، فإنه ليس بأيدينا ما يدلّنا على ذلك، بحكم أن الكتاب لا زال في عداد المفقود، ولا توجد منه سوى بعض الشذرات المتفرقات، هي في الأصل نصوص فقط، إذْ أنّ أغلب الكتاب مفقود ومنه مقدمته.

إلا أنه وباستقراء الأوضاع السياسية والثقافية التي عايشها ابن الخطيب، فإنه يمكننا الاهتداء إلى السبب الذي كان وراء تأليفه "عائد الصلة"، وهو أنه صنّفه ليحفظ به تراث بلده، ويخلّد فيه رسم سلفه، "خاصة وأنّ الباعث على كتابة التراجم في الأندلس، هو شعور الأندلسيين بوطنيتهم، وحرصهم على تخليد هويتهم"[397].

2-3-1/ محتوى الكتاب وتاريخ تأليفه:

أ-محتوى الكتاب:

"عائد الصلة"، هو كتاب صنّفه ابن الخطيب ووصل به كتاب "صلة الصلة" لابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م)، وقد أورده ضمن ترجمته الذاتية التي عدّد فيها عناوين مصنّفاته، وقال إنه يقع في سفرين[398].

وللأسف الشديد، فإننا لا نملك أية تفاصيل كافية عن هذا السفر التراجمي الهام، الذي ضاع فيما ضاع من تراث ابن الخطيب، وما وصلنا منه لا يعدو أن يكون سوى نُقُول لا تف بالغرض المطلوب، في تدوين شيء عن تاريخ تأليف الكتاب ولا حتى مواضيع أخرى. ومن ضمن هاته النقول التي أوردها في كتابه "الإحاطة" على كثرتها، والتي يُفهم منها أن تراجم "عائد الصلة"، تتعلق أساسا بالأعلام الذي عاشوا بعد عصر ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م). كما أنه يمكننا من خلالها، الجزم أنّ ابن الخطيب، كان فيها أطول نفسا وأكثر مادة من الحلقات الأولى لكتب الصلات الأندلسية[399].

هذا، وأشار ابن الخطيب في مواضع عدّة من "الإحاطة" إلى كتاب "عائد الصلة"، وذلك من خلال العبارات الصريحة التي تدل على الكتاب مباشرة، ومنها قوله: "وسميتُ كتابي بعائد

397- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص45.

398- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص389.

399- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص ص44-45.

الصلة"[400]، أو "عائد الصلة في سفرين؛ وصلتُ به صلة الأستاذ أبي جعفر بن الزبير"[401]، أو "ذكرته في كتاب عائد الصلة"[402].

وإلى عهد قريب، كان الكتاب مفقود بالكلّية، حتى تمّ العثور على بعض النصوص المفقودة منه، قام كل من لطيف خلف محمد الدليمي وإيمان محمود حمادي العبيدي، بتحقيق هاته النصوص ونشرها تحت عنوان: نصوص مفقودة من كتاب عائد الصلة للسان الدين ابن الخطيب (تـــ776هـــ) جمع ودراسة وتحقيق[403].

ومن خلال النصوص التي تم نشرها، تبيّن أنها في الأصل تراجم لبعض الأدباء ورجال الإدارة، والفقهاء والقضاة، والكُتّاب والأطباء. إلا أنّ ما يؤسَف له، هو أننا لا زلنا نجهل عدد تراجم الكتاب كاملا، إذْ أنّ ما عَثر عليه المحققان لا يتجاوز 58 ترجمة فقط.

ب-تاريخ تأليف الكتاب:

لا يمكن في ظل فَقْد الكتاب وخاصة منها مقدمّته؛ الحديث عن تاريخ تأليف الكتاب، وبذلك نجد أنفسنا عاجزين عن تحديد تاريخ تأليف "عائد الصلة".

إلا أنه وبالرجوع إلى "الإحاطة" التي تعتبر المصدر الوحيد الذي نقل فيه ابن الخطيب كثيرا عن "عائد الصلة"، فإنه يمكننا أن نضع تحديدا تقريبيا لتاريخ شروعه في تأليف الكتاب. ذلك أنه سمّى الكتاب باسمه، وذَكَره في مواضيع عديدة ونقل عنه[404]. وتدلّ تلك النقول بما لا يدع مجالا للشك، أنه شرع في تأليف الكتاب قبل سنة 761هـــ/1359-1360م، وهي السنة التي شرع فيها في تأليف "الإحاطة"[405].

400- لطيف خلف محمد الدليمي وإيمان محمود حمادي العبيدي، نصوص مفقودة من كتاب عائد الصلة للسان الدين ابن الخطيب، ص249.

401- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص389 وص390. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص39 وص40 وص82 وص386 وص401 وص418. المقري، نفح الطيب، ج5، ص359 وص385 وص388 وص389 وص503؛ وج6، ص263. أزهار الرياض، ج2، ص301.

402- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص52 وغيرها من الصفحات.

403- نشرت في مجلة زانكوي سليماني التي تصدر عن جامعة السليمانية، في العدد 48 الذي نُشر سنة 2015، ثم طُبع من طرف ونُشر أخيرا بدار آمنة للنشر.

404- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص49 ووص52 وص73 وج2، ص172 وص176 وص181 وج3، ص19 وص21 وغيرها.

405- المصدر نفسه، ج1، ص4 من مقدمة المحقق.

والملاحظ، أن ابن الخطيب، استمر في تحرير مادة كتابه "عائد الصلة"، إلى ما بعد انتهائه من تصنيف "الإحاطة" التي أنهى تأليفها سنة 772هـ/1370م قبل فراره إلى المغرب[406]. وبذلك يكون قد أمضى في تأليف "عائد الصلة" أكثر من عشر سنوات، أرّخ فيه لفترة زمنية تربو عن النصف قرن.

وأما عن تاريخ الانتهاء من تصنيف الكتاب، فيمكننا استجلاء ذلك من خلال التدقيق في النصوص التي تم العثور عليها وتحقيقها، حيث تم الاهتداء من خلالها إلى سنة وفاة متأخرة نسبيا، تتعلّق بمحمد بن خلف السلّمي (ت773هـ/1371م)[407]، والتي يمكننا من خلالاه أن نضع تقديرا لتاريخ انتهاء ابن الخطيب من تحرير مادة "عائد الصلة" وفراغه منه، خاصة وأنه يكون قد صاحب المترجَم له قبل وفاته ببضع سنين.

هذا، ونودّ الإشارة في هذا السياق، إلى أنّ ابن الخطيب تميز كتابه "عائد الصلة" هو الآخر بالشمولية، جَرْيا على سَنَنِ مَن سبقه من أصحاب الصلات. حيث إنه أورد فيه عددا من المدن الأندلسية وأقاليمها، واستوعب فيه كثيرا من التخصصات العلمية للمترجَمين، كالأدباء، والفقهاء والقضاة، والكُتّاب، والزهّاد والمتصوفة، والأطباء وغيرهم.

1-3-3/ منهج ابن الخطيب في كتابه عائد الصلة:

نظرا لأن كتاب "عائد الصلة" لا زال في عداد المفقود، فإننا سنركن في الحديث عن منهجه وطريقته في تأليف كتابه، إلى ما وصلنا من النصوص المحققة.

أ-تنظيم التراجم وترتيبها:

اعتمد ابن الخطيب في ترتيب تراجم كتابه "عائد الصلة"، على حروف المعجم المغربي[408]، ولم يراع فيه مبدأ تقادم الوفيات؛ وابتدأه بمن اسمه "أحمد"[409]؛ يستشفّ ذلك من خلال قوله في

406- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص4 من مقدمة المحقق.

407- لطيف خلف محمد الدليمي وإيمان محمود حمادي العبيدي، نصوص مفقودة من كتاب عائد الصلة للسان الدين ابن الخطيب، ص246.

408- وافق المغاربة المشارقة في حروفهم من أولها إلى الزاي، ثم قالوا طاء ظاء كاف لام ميم نون صاد ضاد عين غين فاء قاف سين شين هاء واو ياء. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص53.

409- لطيف خلف محمد الدليمي وإيمان محمود حمادي العبيدي، نصوص مفقودة من كتاب عائد الصلة للسان الدين ابن الخطيب، ص246.

ترجمة ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م): "من تآليفه كتاب صلة الصلة لابن بشكوال التي وصلتُها بعده، وسَميتُ كتابي بعائد الصلة، وافتتحتُ أول الأسماء فيه باسمه"[410].

ومن خلال الوقوف على مضامين هاته التراجم، فإنه وُجد أن أقدم وفاة وردت ضمن النصوص المحقّقة كانت سنة 707هـــ/1307م، وهي سنة وفاة أحمد بن عبد الله بن محمد بن عرفة اللخمي[411]، ثم تأتي ترجمة أحمد بن الزبير (تـــ708هـــ/1308م)[412].

كما أن آخر سنة وفاة أتى على ذِكرها فيما ورد إلينا من تراجم، كانت سنة 773هـــ/1371م، وهي سنة وفاة محمد بن بمحمد بن إبراهيم بن خلف السلّمي[413].

ب-البناء الداخلي للتراجم وعناصرها:

شملت تراجم "عائد الصلة"، العناصر التالية:

- اسم ونسب المترجَم له:

من خلال ما ورد في بعض التراجم المحققة، نجد أنّ ابن الخطيب كان يذكر اسم المترجَم له، واسم أبيه وجدّه في الغالب، إلا في القليل منها فقد كان يرفع النسب، كما في قوله: "أحمد ابن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي"[414]؛ وقوله أيضا: "محمد بن محمد بن حسان الغافقي"[415].

410- لطيف خلف محمد الدليمي وإيمان محمود حمادي العبيدي، نصوص مفقودة من كتاب عائد الصلة للسان الدين ابن الخطيب، ص249.

411- ينظر ترجمته في: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص ص138-142.

412- لطيف خلف محمد الدليمي وإيمان محمود حمادي العبيدي، نصوص مفقودة من كتاب عائد الصلة للسان الدين ابن الخطيب، ص249.

413- المصدر نفسه، ص262.

414- نفسه، ص249.

415- نفسه، ص250.

- نسبة المترجَم له:

أوردها ابن الخطيب بعد اسم ونسب المترجَم له، وعادة ما كان يثبتها للقبيلة، كما في قوله: "محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري"[416]؛ أو يثبتها للمدينة، كما في قوله: "عثمان بن محمد بن يحي بن محمد بن منظور الإشبيلي"[417]؛ والأمثلة في ذلك متعددة.

- مدينة المترجَم له:

وردت الإشارات حول مدينة المترجَم له قليلة في التراجم الموجودة بين أيدينا، إذْ غالبا ما كان يذكرها بين ثنايا الترجمة، كقوله: "أصله من مدينة جيان..."[418].

- الكنية واسم الشهرة:

أوردها ابن الخطيب في بعض التراجم فقط، ومنها قوله في ترجمة عبد الحكيم بن الحسين ابن عبد الملك اليدرازتيني ثم الواغديني: "الشيخ الأستاذ القاضي...يكنى أبا محمد"[419].

- شيوخ المترجَم له ورحلته:

نستشف من خلال التراجم الواردة إلينا، أن ابن الخطيب لم يول اهتماما كبيرا لشيوخ المترجَم له، إذْ كان قليلا ما يوردهم، وكان يشير إليهم أحيانا بعبارات معينة كقوله في ترجمة محمد بن يحي بن الحكيم اللخمي: "وحمل عن الجلّة ممن يشقّ إحصاؤهم"[420]. وقوله أيضا في ترجمة محمد بن محمد بن إبراهيم بن خلف السلمي: "فأدرك بها المدرّسَ المعمِّرَ أبا علي منصور بن أحمد...وأخذ عنه وعن غيره من أهلها"[421].

416- لطيف خلف محمد الدليمي وإيمان محمود حمادي العبيدي، نصوص مفقودة من كتاب عائد الصلة للسان الدين ابن الخطيب، ص253.

417- المصدر نفسه، ص255.

418- نفسه، ص249.

419- نفسه، ص252.

420- نفسه، ص ص259-260.

421- نفسه، ص262.

وأما عن رحلة المترجَم له، فقد كان يوردها مرات قليلة فقط، وإن ذَكرها فبشكل موجز وقصير، كقوله في ترجمة محمد بن جابر بن حسان القيسي: "نشأ بتونس، وجال في البلاد المشرقية والمغربية...وانتقل إلى بلّش[422]...ثم رحل إلى المغرب"[423].

- المؤهلات العلمية للمترجَم له:

توسع ابن الخطيب في ذلك فيما وَرَدَنا من تراجمه، إذْ كان يذكرها في الغالب. ومن أمثلة ذلك، قوله في ترجمة محمد بن محمد بن محارب الصريحي: "كان من صدور المقرئين وأعلام المتصدّرين تفننا واضطلاعا، وإدراكا ونظرا؛ إماما في الفرائض والحساب، قائما على العربية"[424].

- وظيفة ومهنة المترجَم له:

حرص ابن الخطيب في تراجمه، على ذِكر وظيفة ومهنة المترجَم لهم، كقوله في ترجمة محمد ابن يحي بن سعد الأشعري المالكي: "ثم ولي القضاء والخطابة بغرناطة"[425]؛ وقوله في ترجمة محمد ابن علي بن العربي الغساني: "انتصب للإقراء والتدريس"[426]؛ وقوله في ترجمة محمد بن محمد بن محارب الصريحي: "فقعد للإقراء بمالقة، وخطب بجامع الربض"[427].

- مؤلفات وتلاميذ المترجَم له:

لم يذكر ابن الخطيب فيما ورد إلينا من تراجم "عائد الصلة" مؤلفات المترجَم لهم إلا قليلا، ومِن ذلك ما جاء في ترجمة ابن الزبير (تـــ708هـــ/1308م): "...مِن تآليفه كتاب صلة الصلة لابن بشكوال"[428].

422- **بلش:** هي مالقة، واكتفى ياقوت الحموي بالقول: إنها بلد بالأندلس. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص53. ياقوت الحموي، ج1، ص484.

423- لطيف خلف محمد الدليمي وإيمان محمود حمادي العبيدي، نصوص مفقودة من كتاب عائد الصلة للسان الدين ابن الخطيب، ص258.

424- المصدر نفسه، ص260.

425- نفسه، ص256.

426- نفسه، ص257.

427- نفسه، ص260.

428- نفسه، ص249.

وأما تلاميذ المترجمين، فإنه كان يقتصر على الإشارة إليهم فقط، كما في قوله في ترجمة محمد بن أحمد بن موسى بن مالك اللخمي اليكي: "وتخرّج بين يديه جملة وافرة من العلماء والطلبة، وانتفعوا به"[429].

كما أنّ ابن الخطيب، لم يُغفل صلته بالمترجَمين، ومنه قوله في ترجمة علي بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكناني القيطاجي: "وهو أول أستاذ قرأتُ عليه القرآن والعربية والأدب"[430].

- مولد ووفاة المترجَم له:

لم يورد ابن الخطيب في كل التراجم التي أيدينا، مولد المترجَم له إلا نادرا، ومثال ذلك قوله في ترجمة محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي بن الحلفاوي: "وُلد بتونس في حدود الأربعين وستمائة"[431].

وأما تاريخ الوفاة، فقد توسّع فيه ابن الخطيب قليلا، كقوله في ترجمة عثمان بن محمد بن يحي بن منظور الإشبيلي: "وتوفي بها مصروفا عن القضاء دون عقبٍ، في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين لذي الحجة عام 735هـ"[432].

وفي بعض الأحيان، كان ينبّه لعلّة الوفاة، كما في ترجمة أحمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن عرفة اللخمي، حيث قال: "فأصابته بسبب ذلك علّة أياما إلى أنْ أودت بحياته، فقضت عليه بغرناطة في الثامن والعشرين لذي الحجة من سنة سبع وسبعمائة، ودُفن بمقبرة الغرباء من الربيط عبر الوادي تجاه قصور نجد رحمة الله عليه"[433].

- التراجم بين الطول والقصر:

تتميز تراجم ابن الخطيب في "عائد الصلة" بالصبغة الأدبية، وقد تراوحت الواردة إلينا من "عائد الصلة" بين الطول والقصر، وكانت متفاوتة فيما بينها في ذلك. فأصغر ترجمة وصلت إلينا هي لمحمد بن محمد بن حسان الغافقي (تـ713هـ/1313م)[434]. وأما أكبر ترجمة حجما، فكانت

429- لطيف خلف محمد الدليمي وإيمان محمود حمادي العبيدي، نصوص مفقودة من كتاب عائد الصلة للسان الدين ابن الخطيب، ص250.

430- المصدر نفسه، ص254.

431- نفسه، ص ص250-251.

432- نفسه، ص255.

433- نفسه، ص249.

434- نفسه، ص250.

لمحمد بن عبد الولي الرعيني (تـــ750هـــ/1349م)[435]، وكذا ترجمة محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف السلّمي (تـــ773هـــ/1371م)[436].

1-3-4/ مصادر ابن الخطيب في كتابه عائد الصلة:

يظهر مِن خلال التراجم التي وصلت إلينا من كتاب "عائد الصلة"، أنّ ابن الخطيب لم يكن مهتما بذِكر مصادره وموارده التي استقى منها مادة كتابه.

وخلاصة القول، فإن كتاب "عائد الصلة" لابن الخطيب، هو من المصنّفات الهامة في التراجم، خاصة وأنه يعدّ آخر حلقة من حلقات كتب الصلات الأندلسية. ومن المؤسف أنه لم يصلنا منه إلا بعض هاته النصوص من التراجم، والتي بلغت 58 ترجمة، وأملنا في الحصول على الكتاب كاملا، حتى يكتمل عِقد الصلات الأندلسية، وتعمّ به الفائدة.

1-4/ التعريف بكتاب أعمال الأعلام:

1-4-1/ اهتمامات المستشرقين والعرب بكتاب أعمال الأعلام:

تعتبر مصنّفات ابن الخطيب، من أوفر كتب التراث الأندلسي حظا من النشر والتحقيق، سواء لدى المستشرقين أو المحققين العرب[437]، وخاصة منها كتاب أعمال الأعلام.

أ-عند المستشرقين:

عنيت طائفة منهم بنشر وتحقيق كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب، فنشر منه المستشرق الإسباني كوديرا (Francisco Codera)، الأبواب المتعلقة بأميري دانية (مجاهد وابنه إقبال الدولة)، ثم نشر المستشرق البرتغالي دافيد لوبس (David Lopes)[438] سنة1911 الأبواب المتعلقة بثورة المريدين في نهاية دولة الملثمين.

435- لطيف خلف محمد الدليمي وإيمان محمود حمادي العبيدي، نصوص مفقودة من كتاب عائد الصلة للسان الدين ابن الخطيب، ص261.

436- المصدر نفسه، ص262.

437- لتفاصيل أكثر حول اهتمام المستشرقين والعرب بتراث ابن الخطيب ينظر: حسن الوراكلي، لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين، ص ص16-32.

438- **دافيد لو بس (1867-1942):** تخرج من مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس، ولما رجع إلى البرتغال 1892 أعاد منهج الفرنسيسكانيين في تدريس العربية بمدرسة لشبونة ما بين 1902 و1911، ثم عهد إليه بكرسي العربية في كلية الآداب بلشبونة في الفترة 1911-1937، فازدهر بفضله وتخرج عليه منه نخبة. ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، القاهرة: دار المعارف، ط3، 1964، ص620.

كما اعتنى المستشرق الإسباني الأب ملشور أنطونيا (Antunia Melchor)[439] بنشر الفصل الخاص بملوك إسبانيا النصرانية، سنة 1933. ثم قامت رفائيلا كاسترويو ماركيز بترجمة القسم الثالث من الكتاب (الذي يتضمن تاريخ المغرب العربي وأحواز برقة إلى المحيد الأطلسي حتى بداية عصر الموحدين)، ثم ألحقت بترجمة هذا القسم ترجمةً للفصل المتعلق بتاريخ العبيدين من القسم الأول، وترجمة الفصل الثاني المتعلق بتاريخ بني زيري بغرناطة من القسم الثاني.

في حين قام المستشرق الألماني ولهام هانرباخ بترجمة الكتاب ترجمة جزئية إلى الألمانية، ونشرها سنة 1970، وأعدّ رفقة خاسينتو فوش فيلا ترجمة جزئية أخرى إلى الإسبانية[440].

هذا؛ واهتم المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال (Évariste Lévi-Provençal)[441] بنشر النص الكامل من القسم الثاني لكتاب أعمال الأعلام تحت عنوان "تاريخ إسبانيا الإسلامية"، وصدرت منه الطبعة الأولى سنة 1934 بالرباط، وأعيد طبعه سنة 1956 في بيروت[442]. وقد ذكر بروفنصال في مقدمة تحقيقه للكتاب، أن هذا القسم هو أهم أقسام الكتاب[443]، فهو أول تاريخ شامل لإسبانيا الإسلامية[444].

وهكذا؛ تتضح العناية الفائقة للمستشرقين بترجمة فصول من كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب، سواء إلى الإسبانية أو الألمانية، ونشره باللغة العربية مثلما ما فعل بروفنصال، إذْ يعود هذا الاهتمام في الأساس، إلى ما يحتويه كتاب أعمال الأعلام من مادة بالغة الفائدة، في التعرف على تاريخ الاندلس، بل وعلى تاريخ بعض ممالك قشتالة ودول العدوة المغربية.

ب-عند المحققين العرب:

اهتم المحققون العرب، بتراث ابن الخطيب على غرار المستشرقين، ونشر جَمْعٌ منهم فصولا من كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب، وهم كالتالي:

439- **الأب ملشور أنطونيا (1889-1936):** تخرج من جامعة مدريد، وعين مديراً لمكتبة الأسكوريال. ينظر: العقيقي، المستشرقون، ص594.

440- حسن الوراكلي، لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين، ص 17 وص ص32-33.

441- بروفنصال (1894-1956)، وقد تقدم التعريف به في الهامش: 272 من الفصل الأول.

442- أحمد مختار العبادي، لسان الدين ابن الخطيب وكتاباته التاريخية، ص49.

443- ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2، تحقيق وتعريب: إ. ليفي بروفنصال، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004، ص ح من مقدمة المحقق.

444- العبادي، لسان الدين ابن الخطيب وكتاباته التاريخية، ص49.

– حسن حسني عبد الوهاب: نشر عام 1910 القطعة المتعلقة بتاريخ إفريقية وصقلية، وذلك في الكتاب التذكاري الذي أعدّ بمناسبة الذكرى المئوية لولادة المستشرق الإيطالي ميشيل أماري (CENTENARIO DE MICHELE AMARI)[445] .

– وبعد ذلك ازدادت همم طائفة من الباحثين والدارسين المتخصصين للاعتناء بآثار ابن الخطيب بتحقيقها تحقيقا علميا رصينا، ونخص بالذكر منهم العمل الذي قام به مختار العبادي وابراهيم الكتاني، اللذان قاما بتحقيق الجزء الثالث من كتاب أعمال الأعلام تحت عنوان "تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط" عام 1964[446]، ونشر في دار الكتاب بالدار البيضاء.

– على أنّ التحقيق الذي قام به سيد حسن كسروي لكتاب "أعمال الأعلام"، فقد جاء تحقيقا كاملا مشتملا على مقدمة الكتاب والأقسام الثلاثة كلها. وقد جمع المحقق كل الأقسام وقام بتحقيقها كلية، وطبعت طبعة أولى عام 2003 بدار الكتب العلمية في لبنان، وجاءت هذه الطبعة في مجلد واحد من جُزئين يقع في 765 صفحة؛ جاء القسم الأول في 352 صفحة، والقسم الثاني في 413 صفحة.

وفي تحقيقه للكتاب[447]، اكتفى المحقق بذكر مصادر العَلَم الذي يذكره المؤلِّف في صدر الدولة المراد الكلام عنها، وأحيانا يعقبها بترجمة موجزة، وأحيانا أخرى يذكر الأحداث التاريخية التي لم يذكرها المؤلف، غير أنه في القسم الثالث خالف هذا النهج واكتفى بضبط نص المخطوط في معظم الأحيان.

كما عرّف ببعض البلدان الواردة في الكتاب، وبعض الحصون والمواقع، وقدّم للكتاب بمقدمة ذكر فيها مضمون الكتاب ورأيه فيه. ثم قد ترجم كذلك للمؤلف ترجمة موجزة، ذكر فيها تاريخ ميلاده ووفاته، وأهم مصنفاته، وبعضا مما أصابه في حياته العامة.

445– حسن الوراكلي، لسان الدين ابن الخطيب في آثار الدارسين، ص18. ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق: بروفنصال، ج2، ص ح من مقدمة التحقيق. ابن الخطيب، أعمال الأعلام أو تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي وابراهيم الكتاني، ج3، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1964، ص: د من مقدمة التحقيق.

446– العبادي والكتاني، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ج3، ص ب من مقدمة التحقيق. حسن الوراكلي، لسان الدين ابن الخطيب في آثار الدارسين، ص19.

447– ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي، ص20.

وفي الأخير قام بعملية وصف تفصيلي للمخطوط، ليسهل على قارئه الوقوف على مضامينه بسرعة وسهولة، والتأكد مِنْ أنه هو المراد والمقصود الذي عنه نسخ الكتاب، وأرفق المقدمة بصور لأقسام المخطوط الثلاثة.

وقد أكّد المحقق كذلك[448]، على أن مخطوط أعمال الأعلام من أصعب المخطوطات، إذْ لاقى فيه من التعب الكثير، لعدة أساب منها حصوله على نسخة واحدة فقد من المخطوط، وإسهاب المؤلف في الأدب والشعر أثناء سرد الأحداث، إذْ زاد من غموض فهم الـمُراد، واستعماله لبعض الألفاظ القليلة الاستخدام، وهو ما زاد من غموض الكلام ورسم الحروف. ثم ما أصاب المخطوط من رطوبة خصوصا الصفحات الأولى منه، وهو ما جعل صورته شبه مطموسة، مما صعب مسألة استنطاق المخطوط.

وعليه؛ يتضح أن سيد كسروي حسن، بذل جهدا كبيرا في تحقيق النسخة الكاملة من كتاب أعمال الأعلام بكل أقسامها. ولكن إذا ما قورن تحقيقه بتحقيق أحمد مختار العبادي وابراهيم الكتاني، نجد أن الأخيرين وبالرغم من تحقيقهما للقسم الثالث فقط، قد برعا في عملية التحقيق أفضل وأحسن مما قام به سيد كسروي، وذلك لاعتمدهما في نشر نص المخطوط محققا على أربعة نسخ من كتاب أعمال الأعلام، أما سيد كسروي فقد اعتمد على نسخة وحيدة فقط[449]. كذلك قاما بوضع تعليقات ضافية وشروح وافية ومطولة لما جاء في المخطوط (المدن، التعريف بالأعلام)، أما سيد كسروي فكان يورد ذلك في بعض الأحيان فقط.

ثم إنهما، اعتمدا في وضع الشروح والتعليقات، استنادا إلى مجموعة من المصادر المتخصصة مثل الإدريسي والبكري وغيرهم، وهذا ما لا نجده في عمل سيد كسروي، كما انهما خصصا في ثبتا لأهم المصادر والمراجع التي اعتمداها في وضع الحواشي والتعليقات آخر التحقيق، وكذلك بعض المراجع باللغة الأجنبية، وهو أهمله سيد كسروي في تحقيقه[450].

وأما إذا عدنا إلى تحقيق ليفي بروفنصال؛ فإننا نجد في القسم الثاني الذي حققه شيئا مهما جدا، وهو وضعه في آخر التحقيق مجموعة من الفهارس الفنية (فهرس أسماء الرجال والنساء،

448- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي، ص ص18-20.

449- العبادي والكتاني، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ج3، ص ص: د-هـ من مقدمة التحقيق. ابن الخطيب، أعمال الاعلام، تحقيق: سيد كسروي، ص ص18-19.

450- العبادي والكتاني، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ج3، ص ص273-293.

فهرس أسماء الأماكن، فهرس أسماء القبائل والعشائر والأجناس، فهرس أسماء الكتب الواقعة في القسم الثاني)[451]، وهذه الفهارس لم يذكرها لا العبادي والكتاني، ولا سيد كسروي، في تحقيقهم لكتاب أعمال الأعلام.

1-4-2/ محتوى كتاب أعمال الأعلام:

يعدّ "كتاب أعمال الأعلام"، من المصنّفات التاريخية الهامة التي ألّفها ابن الخطيب، وهو يحتوي على مقدمة وثلاثة أقسام. و لم يقم الباحثون بداية الأمر بتحقيق المقدمة والجزء الأول من كتاب أعمال الأعلام، بل كان اقتصارهم على القسم الثاني والثالث منه فقط[452].

والقسم الثاني من الكتاب يتعلق بتاريخ الأندلس، وقد نشره المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال (Évariste Lévi-Provençal) محققا تحت عنوان تاريخ إسبانيا الإسلامية، وعدّه من أهم أقسام الكتاب، حيث نجده يقول: "وهو أهم أقسام الكتاب، وذلك يتجلّى من أول نظرة تلقى على الكتاب"[453]. وأما القسم الثالث؛ فقد حققه كل من أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، ونشراه تحت عنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط.

وعليه؛ فقد تجاوز هذان التحقيقان كما هو ملاحظ المقدمة والقسم الأول من الكتاب، وركزا على القسمين الثاني والثالث، مع العلم أن القسم الأول لا يقلّ أهمية عن القسمين الثاني والثالث، وذلك لاحتوائه على مقدمة ومادة مهمة.

كما قدّم رابح عبد الله المغراوي، دراسة مهمة كشف فيها أهم الأسباب والمسوّغات التي دفعت المؤرخين لتجاوز هذا القسم وتركه دون تحقيق. وكان عاقدا العزم على تحقيق القسم المتبقي من الكتاب[454]، لكن سبقه إلى ذلك سيد كسروي، الذي حققه كاملا.

451- ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق: بروفنصال، ج2، ص ص339-370.

452- العبادي والكتاني، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ج3، ص: ب من مقدمة التحقيق.

453- ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق: بروفنصال، ج2، ص: ح من مقدمة المحقق.

454- رابح عبد الله المغراوي: "**مخطوط إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام للسان الدين بن الخطيب الأندلس (713-776هـ) كشف لحيثيات التصنيف وفحص لمفردات العنوان**"، آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد بالإمارات، السنة 08، ع29-30، 2000، ص ص222-223.

قسم ابن الخطيب كتابه إلى ثلاثة أقسام مع المقدمة. فأما المقدمة، فتحتوي على تفصيل شامل لمحتوى الكتاب، وفيها يقول ابن الخطيب: "يشتمل الكتاب على مقدمة تأتي فيها بقول كلي، وعرض علمي حكمي"[455].

وأما القسم الأول، فتناول تاريخ المشرق الإسلامي، وقد أورد فيه ابن الخطيب مقدمة حول دراسة التاريخ، والسيرة النبوية، عصر الخلفاء الراشدين، الدولة الأموية، الدولة العباسية، الممالك المتغلبة عليها، دول الديلم من بني بويه وغيرهم، دولة بني حمدان، بنو طولون، بن طفح الإخشيدية، العبيديون، الممالك الغزّ والترك، الأمراء العلوين بالحرمين[456].

وفي القسم الثاني، تناول فيه ابن الخطيب تاريخا عاما الأندلس من الفتح العربي إلى عصره (ق08هـ/14م). وقد أضاف إليه مختصرا لتاريخ الممالك النصرانية الإسبانية مثل قشتالة، وأراجون، والبرتغال، وبذلك يعدّ أول تاريخ شامل للأندلس، وهو ما نستشفّه من قوله: "يتلوه إن شاء الله تعالى، الجزء الثاني ما يخص الأندلس ما بين بحر الرقاق إلى الثغر الأقصى، وذكر دولة بني أمية ومن بعدهم، والجزر الراجعة إلى الأندلس، وتعاقب ملوك قشتالة، وليون، وبرتغال، ومرجلوقة..."[457].

وفي القسم الثالث، ذَكَر المؤلف تاريخ المغرب الإسلامي من أحواز برقة شرقا، إلى المحيط الأطلسي غربا. حيث أنهى أحداث هذا القسم عند بداية عصر الموحدين[458]، وهي نهاية غير طبيعية إذا ما قورنت بنهاية كل من القسمين الأول والثاني، والتي بلغت عصر المؤلف نفسه زمنيا.

ويرى العبادي أن هذا الوضع يدفع الباحث إلى الاعتقاد بأن ابن الخطيب قد قُتل قبل أن يُتمّ هذا القسم؛ الثالث والأخير من كتابه. ولا شكّ أنه كان في نيته أن يكتب تاريخا شاملا للمغرب الإسلامي حتى عصره، بدليل أنه قد نصّ على ذلك صراحة في مقدمة كتابه[459]، إذ قال: "ثم نختم الكتاب بتقرير فضل الدولة المرينية..."[460].

455- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي، ج1، ص 40.

456- يبدأ القسم الأول من ص 49 إلى ص 346 (تحقيق سيد كسروي).

457- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي، ج1، ص 346. ويبدأ القسم الثاني (ج2) من ص 03 إلى ص 292.

458- المصدر نفسه، ج2، ص 293.

459- العبادي والكتاني، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ج3، ص ب من مقدمة التحقيق.

460- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي، ج1، ص 48.

وعليه؛ فابن الخطيب كان عازما على إتمام الكتاب إلى عصره حسبما ذكره في المقدمة، لكن حادثة مقتله ربما كانت فاصلا بينه وبين إتمام هذا القسم إلى عصره، وبذلك يكون كتاب أعمال الأعلام آخر ما ألّفه ابن الخطيب قبل مقتله، وقد وصل إلينا ناقصا، وشاءت الأقدار ألا يكمله قبل وفاته.

1-4-3/سبب تأليف كتاب أعمال الأعلام:

يجمع الكثير من المؤرخين، على أن السبب، الذي دفع ابن الخطيب إلى تصنيف كتابه أعمال الأعلام، إنما كان استجابته لطلب الوزير المريني أبو بكر غازي[461]، فضجّ خصوم الوزير من أمراء الأسرة الحاكمة، ومِن أعوانهم وأنصارهم ومن أعداء الدولة، كحكام بني الأحمر بالأندلس، وهم خصوم ابن الخطيب أيضا. فشنّعوا على الوزير فعله، إذْ خالف ما أُجمع عليه من اشتراط البلوغ فيمن يتولى الإمامة الكبرى. فطلب إلى الوزير ابن الخطيب أن يؤلّف له كتابا ينصره فيه، ويدعم موقفه في الشريعة، وكذلك في السوابق التاريخية المماثلة[462]. فألّف ابن الخطيب كتابه "أعمال الأعلام"، مُجاملة للوزير الذي آواه ووفّر له الملجأ الآمن مِن أعدائه. وساهم في حمايته، ومَنَعَ تسليمه لخصومه من رجال بلاد دولة بني الأحمر في غرناطة.

ويَظهر أثر المجاملة على محتوى الكتاب، إذْ أنّ الغَرض المقصود منه إضفاء الصبغة الشرعية على الحدث المذكور، إلا أنّ ابن الخطيب بذكائه وتبحره وسعة اطلاعه، كان يعلم أنّ النصوص الشرعية لن تُسعفه في تأصيل المسألة بالأدلة الشرعية. ولكنه أحسن التخلص مِن ذلك، بأنْ نَزَع إلى دعم موقف الوزير، وما أقدم عليه من خلال ذِكر مَنْ بايع مِن وُجهاء الدولة وأشرافها، وقضاتها وعلمائها، ثم باستدعاء المواقف المشابهة لها من التاريخ الإسلامي، منذ بني أمية إلى عصر المؤلف[463].

ويمكن تلخيص الأسباب التي دفعت ابن الخطيب، إلى تأليف أعمال الأعلام، كالتالي[464]:

461- فقد صار وصيا على أمير صغير لم يبلغ الحلم وهو أبي زيان محمد السعيد، وأخذ له بيعة رجال الدولة بعد مقتل أبيه السلطان المريني، أبو فارس عبد العزيز (تـ744هـ/1343م). ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي، ج1، ص 08. العبادي والكتاني، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ج3، ص أ من مقدمة التحقيق.

462- الحقان، الفقه في حياة لسان الدين ابن الخطيب ومؤلفاته، ص 182.

463- المرجع نفسه، ص 183.

464- المغراوي، مخطوط أعمال الإعلام، ص ص224-231.

❖ هلاك السلطان وترْكِه ابنا صغيرا، فرأى الوزير أبو بكر بن غازي عقد البيعة له وحجبه والنيابة عنه، حتى يستقل بأمره.

❖ ظهور نقاش وجدال حول قضية بيعة الصغير، الذي لم يبلغ الحلم من الناحية الشرعية، ما بين مؤيد ومعارض.

❖ استنكار بعض الطامعين في الولاية، مِن أمراء بني مرين.

❖ تزامن هذا المستجد، مع حالة التوتر وسوء العلاقة بين القصر النصري في الأندلس، والقصر المريني، بسبب وجود ابن الخطيب بينهم.

❖ دعوة الوزير ابن غازي لابن الخطيب، إلى تصنيف الكتاب لبيان القضية من الناحية التاريخية والشرعية، تسويغا لفعله وتقوية لمركزه.

❖ يمكن تفسير استجابة ابن الخطيب للمبادرة، بأنها كانت دفاعا من أجل بقاء الوضع على ما هو عليه، ودوام الاستقرار والنظام تحت يد هذا الوزير للعلاقة التي كانت بينهما، وبدوام هذا الوزير دام أمن ابن الخطيب وسلامته.

وخلاصة القول، فإن كتاب أعمال الأعلام، قد أُلّف في عهد السلطان محمد السعيد، أي في الفترة ما بين 774-776هـ/1372-1374م، بمدينة فاس ببلاد المغرب، حيث خصصه لذِكر ولاية جميع ملوك المسلمين، الذي بويعوا قبل سن الاحتلام.

إلا أنّ الملاحظ، هو أن عنوان الكتاب لا ينطبق على محتوياته التاريخية، إذْ أنّ المؤلف لم يقتصر على ذِكر ملوك المسلمين صغار السنّ فحسب، بل تناول أيضا جميع عهود السلاطين والخلفاء المسلمين مشرقا ومغربا، وأخذ يجمع المواد لتاريخ عام كبير يشمل دول الإسلام، ويمكن أن يكون شَبَها مقابلا لتاريخ معاصره ابن خلدون "كتاب العبر"، حيث حلّ فيه تاريخ المغرب والأندلس المحلّ الأهم[465].

وعليه؛ فابن الخطيب أراد تأليف كتاب يختص بتاريخ الملوك الذي بويعوا وهَمْ دون سن الاحتلام، ولما كان هؤلاء الملوك متفرقين عبر التاريخ، وكان عرضهم على هذه الحال فيه كثير من الإخلال، اضطرّ ابن الخطيب إلى عرض تاريخ الإسلام كلّه في إيجاز غير مخلّ، حتى إذا وقف على مناط التأليف، أفاض نوعا ما وأطال.

465- ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق: بروفنصال، ج2، ص: ح من مقدمة المحقق. العبادي والكتاني، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ج3، ص: أ من مقدمة التحقيق.

1-4-4/ منهج ابن الخطيب في تأليف كتاب أعمال الأعلام:

كان لأسلوب ابن الخطيب الأدبي الرفيع، أثر إيجابي على كتاباته التاريخية، حيث ساعده ذلك على الإبداع إبداعا كبيرا. إلا أن أسلوبه التاريخي تحول إلى أسلوب متميز، ومردّ ذلك إلى سببين:

الأول: أن ابن الخطيب كان مؤرخا، فعالج المواضيع التاريخية بعقلية المؤرخ، وبأسلوب يختلف اختلافا كليا عن معالجته للمواضيع الأدبية.

ثانيهما: أنه يتميز باطلاعه الواسع على كتب المؤرخين الذي تطرقوا للعهود التي اهتم بها في التاريخ الأندلسي، فتأثر بأبرزهم، واقتبس من كتاباتهم[466]، وهذا ما يدل على سعة اطلاعه وتنوع مصادره. ويعد كتابه أعمال الأعلام، أكبر دليل على تميزه الكبير، إذ أرّخ فيه لدولة الإسلام من عهد النبوة إلى غاية عصره، وانتهج في كتابة هذا، التأريخ على النهج التالي[467]:

– أنّ الكتاب من حيث طريقة كتابته؛ اعتمد على إملائه على الناسخ.

– أَمْلَاه ارتجالا، مُعتمدا على ما استحضره وحَفِظه دون تحكيم الاختيار، والمراجعة والمقابلة، استنادا على المظان.

– أنّ إملاءه لم يستغرق مدة طويلة فعلا، وهو ما أكّده في خاتمة الجزء الأول، فأخبر أنه فرغ منه في عشرين يوما (يقصد الفراغ من الجزء الأول)؛ إذْ يقول: "وفي عشرين يوما كان الفراغ من هذا الجزء، من تبييض وتدوين، ونسخ، وتلوين..."[468].

– أن الكتاب أسهب في ذِكر بعض المناطق، أو في حديثه عن بعض الملوك، واختصر عند بعضهم خصوصا في القسم الثالث، فلم يَسْرِ المؤلف على وتيرة أو منهج واحد[469].

– أسهب المؤلف في سرد الأشعار، والمقطوعات الأدبية الوعظية، والسبب هو أنه جُبل على الأدب وطُبع به، وله فيه باع كبير ومؤلفات عدّة، كما أنّ له ديوان شعر. ثم إنّ الوعظ الذي سرده كثيرا في الكتاب، والذي دائما ما يعقّب به على نهايات الملوك، يفيد أنه كان على

466- بن عبود، ابن الخطيب مؤرخا للأندلس في عهد الطوائف، ص ص68-82.

467- المغراوي، مخطوط أعمال الإعلام، ص 227.

468- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي، ج1، ص 346.

469- المصدر نفسه، ج1، ص 08.

قدر كبير من الورع والتخشّع، والتبتّل على الرغم من سعة ماله، وما كان تحت يديه من العقارات[470].

– تميز أسلوبه بالتسلسل الزمني والتاريخي، أي احترام مبدأ الزمان والمكان. وقد صرّح بذلك عن نفسه في مقدمة القسم الثالث[471].

كانت هذه بعض النقاط التي حاولنا من خلالها تحليل منهج ابن الخطيب في كتابة التراجم والتاريخ من خلال كتابه أعمال الأعلام، إلا أنه يعدّ كتابا تاريخيا بامتياز، حاول من خلاله أن يترجم لملوك الإسلام الذي بويعوا قبل سن الاحتلام، إلا أنه توسّع فيه توسّعا جعله يحيد عما حدّه في عنوان الكتاب، فجاء كتابا تاريخيا شاملا.

وخلاصة القول، فإنّ منهج ابن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام، تميز بالتركيز على التاريخ السياسي الذي يطغى عليه البعد الفني وكذا البعد الديني، دون الخوض في تراجم لملوك الإسلام الذي بويعوا قبل سن الاحتلام، إلا في سياقتها التاريخية، ثم التركيز على رصد الحقائق التاريخية مع التسلسل الزمني، والدقة والضبط. إلا أن ما يعاب عليه، في كتاباته التاريخية ككل، هو تأثره بالمنهج السردي، وإهمال المنهج التحليلي.

ومهما كان الأمر؛ فإنه لا يمكن إغفال أن ابن الخطيب عُرف باطلاعه الواسع في ميدان التاريخ، كما برع في الأدب والسياسة، والتصوف، والجغرافيا، والطب. وقد ساهمت معرفته الموسوعية في إغناء كتاباته التاريخية والتراجمية على وجه التحديد، بإعطائها طابعا متنوعا ومتشعبا، إذ يعود الطابع الشمولي في ثقافته تلك، إلى طبيعة التعليم الإسلامي في الأندلس، والذي اشتمل على علوما متنوعة.

1-5/ كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة:

يعتبر كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" من أحسن وأجود ما صنّف ابن الخطيب، إذ ضمّ بين طيّيه مادة تاريخية وتراجمية هامة لا يستهان بها، إلا أنه لم يصل منه إلا اليسر.

470– اعترضت سيد كسروي صعوبات جمة في ضبط نص المخطوط لكثرة الأشعار. ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: كسروي، ج1، ص 08.

471– العبادي، لسان الدين ابن الخطيب وكتاباته التاريخية، ص 50.

1-5-1/ عنوان الكتاب:

استعمل ابن الخطيب تسميات عدّة لكتابه الإحاطة، ومنها: "الإحاطة في أخبار غرناطة"، و"الإحاطة في تاريخ غرناطة"، وقال إنه يقع في سبعة أسفار[472]. وقد ذكره بعنوان آخر هو "الإحاطة بما تيسّر من تاريخ غرناطة"، وقال إنه كتاب كبير في تسعة أسفار[473]، ثم اختصره باسم "تاريخ غرناطة" وقال إنه في اثني عشرة سفرا[474].

وقد عاد ابن الخطيب ففاجئنا في كتابه "اللمحة البدرية"، بتسمية أخرى وهي "الإماطة عن وجه الإحاطة فيما أمكن من تاريخ غرناطة"، وذلك حين حديثه عن عوائد أهل غرناطة وأوصافهم[475]. وإنْ كنا لا ندري الكتاب المقصود بهذا العنوان، فإننا نعتقد أن يكون "الإماطة" الذي ذكره في "اللمحة البدرية" هو عنوان آخر أو مختصر لكتاب "الإحاطة"، وذلك لأن ابن الخطيب لم يورِدْهُ ضمن ثبت مؤلفاته التي ذَكَرها الإحاطة[476]، ولا في الترجمة الذاتية التي عقدها لنفسه في "نفاضة الجراب"[477].

هذا، وأكّد محمد عبد الله عنان في تحقيقه لكتاب "الإحاطة"، أن المهتمين بتراث ابن الخطيب لم يقفوا على "الإماطة"، وهو ما جعله يرجّح أنْ يكون العنوان المذكور؛ هو عنوان آخر لكتاب "الإحاطة"، أو مختصرا لقسمها الأول "في "حلى المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن"[478]، كما أنّ تسمية "الإحاطة في أخبار غرناطة"، وردت في مخطوطة دار الكتب المصرية، وكذا مخطوطة جامع الزيتونة بتونس[479].

472- ابن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج2، ص223.

473- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص390. المقري، نفح الطيب، ج7، ص98.

474- ابن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج2، ص31.

475- ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه: محب الدين الخطيب، القاهرة: المطبعة السلفية، 1928، ص27.

476- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص05 من مقدمة المحقق. كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: محمد كمال شبانة، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2002، ص31.

477- ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص ص121-177 وص ص187-205.

478- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1973، ص ص58-59. ونودّ التنبيه أننا سنعتمد هذا التحقيق للضرورة فقط وسننبه لذلك بالإشارة إلى تحقيق عنان بين قوسين، وسيبقى اعتمدنا في الأطروحة كاملة على تحقيق يوسف الطويل.

479- المصدر نفسه، ج1، ص03 من مقدمة المحقق.

1-5-2/ التعريف بكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة:

لا يعتبر كتاب "الإحاطة" تاريخا لمدينة غرناطة بالمعنى المحدود، إلا أنه عبارة عن موسوعة شاملة لكل ما يتعلّق بها من تواريخ وأخبار ومعالم. فمصنِّفُها يصف لنا جغرافيتها وخططها ومواقعها، وما يحيط بها من المروج والجبال، وبعد ذلك يستعرض لنا تاريخها منذ أن وطئتها أقدام الفاتحين، ومَن سكنها ونَزلها أو مرَّ بها من الكتّاب والشعراء والأدباء، والوزراء المتغلِّبين[480].

كما أورد فيها ابن الخطيب، خلاصة هامة لتاريخ الدولة النصرية منذ عهد مؤسسها محمد ابن يوسف بن الأحمر[481]، حتى عصر المؤلف (ق08هـ/14م). وفي خضم الحديث عن ذلك، أسهب ابن الخطيب في تفصيل تراجم ملوك الدولة النصرية[482]، حيث أورد لهم تراجم ضافية. وإضافة لملوك النصريين؛ ترجم كذلك لأعلام كُثر ممن عاشوا في غرناطة، أو نزلوا بها، أو مروا بها، أو وفدوا عليها، خلال فترات تاريخية مديدة منذ أيام الفتح إلى عصره[483].

هذا، وقد أفاض المصنِّف كذلك، في ذِكر معاصريه من الملوك والوزراء والشيوخ والأقران، واعتنى عناية خاصة بالترجمة لكبار العلماء والكُتّاب والشعراء المعاصرين له؛ من العدوة الأندلسية أو المغربية، فأورد لهم أشعارَ ونصوص نثرية كثيرة[484].

ومما تجدر الإشارة إليه، أن كتاب "الإحاطة"، يضمّ بين طيّيه زهاء 500 ترجمة، تناول من خلالها ابن الخطيب بدقّة وإحاطة؛ تاريخ وملوك عصره سواء بالأندلس أو المغرب، ووصف لنا ما وقع خلالها من أحداث سياسية وعسكرية، من موقع الشاهد على عصره، إذْ هو الخبير المطّلع ورجل الدولة، والواقف على دقائق الأمور والعوامل والأسباب[485].

480- ابن الخطيب، الإحاطة (تحقيق عبد الله عنان)، ج1، ص ص3-4 من مقدمة المحقق. أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي، ص ص151-152.

481- راجع ترجمته في: ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ص30.

482- خصّها بمؤلَّفٍ كامل سماه: اللمحة البدرية في الدولة النصرية.

483- ابن الخطيب، الإحاطة (تحقيق عبد الله عنان)، ج1، ص ص3-4 من مقدمة المحقق. أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص ص151-152.

484- المراجع والصفحات نفسها.

485- نفسها.

وقد أتت تراجم الكتاب شاملة ضامّة لمختلف أطياف المترجَمين[486]، ذلك أن ابن الخطيب ترجَم في "الإحاطة" للملوك مِن أمثال المأمون الموحدي[487]، وأمير المؤمنين الأندلسي إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خمسين بن نضر بن قيس الخزرجي الأنصاري[488].

كما ترجم كذلك للقوّاد من أمثال: أسد بن الفرات المرّي[489]؛ والقضاة من أمثال: الخضر ابن أحمد بن الخضر بن أبي العافية[490]؛ والأدباء مِن أمثال: الحسن بن محمد بن علي الأنصاري[491]؛ والعلماء مِن أمثال: أصبغ بن محمد بن الشيخ المهدي[492]؛ والشعراء مِن أمثال: أبي بكر المخزومي الأعمى المورواري[493]؛ والطلاب النجباء مِن أمثال: محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي[494].

ومما يلاحظ عليه، أنه لم يقتصر على تراجم الأعلام من الرجال فقط، بل ترجم كذلك للنساء مِن أمثال حمدة بنت زياد المكتّب[495]، وأم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي[496]، وهي من مسقط رأسه لوشة.

1-5-3/ طبعات الكتاب:

عُثِر لكتاب "الإحاطة" على مجموعة من الأصول المخطوطة، في عدد من مكتبات العالم، وهي: مكتبة ليدن بهولندا؛ المتحف البريطاني؛ مكتبة سان لورنزو الملكية بالإسكوريال في إسبانيا؛

486- أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص152.

487- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص222.

488- المصدر نفسه، ج1، ص200.

489- نفسه، ج1، ص231. **أَسَد بن الفُرَات (142-213هـ/759-828م):** بن سنان مولى بني سليم، أبو عبد الله؛ مصنف الأسدية في فقه المالكية. قاضي القيروان وأحد القادة الفاتحين. ينظر: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص: 54. عياض، المدارك ج3، ص: 291.

490- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص281.

491- المصدر نفسه، ج1، ص262.

492- نفسه، ج1، ص235.

493- نفسه، ج1، ص231.

494- نفسه، ج3، ص157.

495- نفسه، ج1، ص275.

496- نفسه، ج1، ص237.

مكتبة أكاديمية التاريخ الملكية بمدريد؛ مكتبة رواق المغاربة بالأزهر الشريف بمصر؛ خزانة القرويين الكبرى بفاس؛ الخزانة العامة بالرباط (قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالمغرب حاليا)؛ الخزانة الملكية بالرباط؛ دار الكتب المصرية، وجامع الزيتونة بتونس[497]، حيث حُقق كتاب "الإحاطة" اعتمادا على هاته النسخ، أو على عدد منها على الأقل، بعد عملية المقابلة بينها[498].

ومن بين التحقيقات التي عرفها كتاب "الإحاطة" نذكُر:

❖ حققه شفيق العظم سنة 1901[499]، وطُبع بشركة طَبْعْ الكتب العربية بالقاهرة، ونُشر في جزئين؛ الأول يقع في 375 صفحة، والثاني في313 صفحة؛ وقد جاء هذا التحقيق مليئا بالأخطاء والتحريفات، بصورة تدعو إلى الرثاء[500].

❖ وفي سنة 1956، قام محمد عبد الله عنان بتحقيق الجزء الأول من الكتاب وطبعه.

❖ ثم أعاد المحقق نفسه، طبع الكتاب كاملا بين سنتي 1973 و1978 في أربعة مجلدات بمكتبة الخانجي بالقاهرة، بعد حصوله على العديد من نسخ الكتاب المخطوطة السالفة الذِّكر. وتجب الإشارة هاهنا، أن المحقق أكّد في مقدمة تحقيقه للكتاب، أنّ جميع نسخ المخطوط التي حصّلها لا تعدو أن تكون "مختصرا للإحاطة فقط"، وأنه لم يصلنا إلا الشيء اليسير من النص الكامل "للإحاطة"، وأنّ ما نُشر منه هو جزء فقط من الكتاب[501]، وما بلغنا من "الإحاطة" قريب الشبه بأصلها"[502].

❖ وفي سنة 2003، أعاد يوسف الطويل طَبْع الكتاب محققا في أربعة أجزاء، في بيروت بدار الكتب العلمية.

497- للاستزادة أكثر حول مواصفات كل هاته المخطوطات؛ راجع الدراسة الوافية التي خصّصها محمد عبد الله عنان لكتاب الإحاطة. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة (تحقيق عبد الله عنان)، ج1، ص ص10-17من مقدمة المحقق.

498- أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص152.

499- المرجع نفسه، ص149.

500- للاستزادة أكثر حول الملاحظات التي سجّلها محمد عبد الله عنان على هذا التحقيق؛ ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة (تحقيق عبد الله عنان)، ج1، ص09 من مقدمة المحقق.

501- للاستزادة أكثر؛ ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة (تحقيق عبد الله عنان)، ج1، ص ص09-10 من مقدمة المحقق.

502- أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص149.

1-5-4/ دواعي تأليف الكتاب:

أورد ابن الخطيب في مقدمة كتابه "الإحاطة" سبب تأليفه للكتاب، قائلا: "فتذكرت جملة مِن موضوعات مَن أفرد لوطنه تاريخا هزّ إليها-علم الله-وفاء وكرم، ودار عليها بقول الله مِن رحمته الواسعة حرم، كتاريخ مدينة بخارى...وتاريخ أصبهان...وتاريخ أصبهان...وتاريخ نيسابور...وتاريخ همذان...وتاريخ طبقات أهل شيراز...وتاريخ هراة...وتاريخ طبقات فقهاء تونس...وعنوان الدّراية في ذكر من كان في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس بن الغبريني، وتاريخ تلمسان لابن الأصفر، وتاريخها أيضا لابن هديّة. وتاريخ فاس...فداخلتني عصبيّة لا تقدح في دين ولا منصب، وحميّة لا يُذمّ في مثلها متعصّب..."[503].

إن هذا النص يحيلنا بما لا يقبل الشكّ، إلى القول بأن ابن الخطيب ألّف كتابه "الإحاطة" تأسيا بكثير من العلماء وجريا على سَنَنِهم، خاصة ممن ألّفوا وأفردوا تواريخ لأوطانهم مشرقا ومغربا، مِن أمثال ابن عساكر (تـــ571هـــ/1176م)[504] في "تاريخ دمشق"، وأبي نُعيم في "تاريخ أصبهان"[505]، والإدريسي في "تاريخ سمرقند"[506]، والقشيري في "تاريخ الرقة"[507]، والأزرقي في

503- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص ص05-06.

504- تقدمت ترجمته في الهامش: 233 من الفصل الخامس.

505- **أَبُو نُعَيم (336-430هـــ/948-1038م):** أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم. حافظ مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية؛ مولده ووفاته في أصبهان؛ من تصانيفه: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ذكر أخبار أصبهان. ينظر: الزركلي، ج1، ص157.

506- أورده في الإحاطة باسم الأردسي وربما هو الإدريسي، إذ لم نجد في كتب التراجم شخصا بهذا الاسم في حدود ما اطلعنا عليه، ولعله يكون تحريف من المحقق. **والإدْرِيسي (تـــ405هـــ/1015م):** هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الأستراباذي السمرقندي، أبو سعد. مؤرخ ومحدّث سمرقند، التي توفي بها. له: تاريخ سمرقند. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص325. كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص188.

507- **القُشَيْري (تـــ334هـــ/945م):** محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري، أبو علي. مؤرخ من حفاظ الحديث، من أهل حران، سَكن الرقة. له: تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والفقهاء والمحدثين. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص138. كحالة، معجم المؤلفين، ج10، ص31.

"تاريخ مكة"[508]، وابن النجار في "تاريخ المدينة"[509]، وابن أبي زرع الفاسي في "تاريخ فاس"[510]، فحرّك ذلك كله في ابن الخطيب شعورا دفعه دفعا إلى التفكير في كتابة تاريخ لحاضرة غرناطة[511]، وداخلتهُ عصبية حبّ الوطن، فأقدم على كتابه تاريخ لوطنه غرناطة[512].

وقد برّر ابن الخطيب، دافعه إلى تأليف "الإحاطة" الذي طبعه بطابع العصبية للوطن وحبّه فقال: "فلست ببدع ممّن فُتن بحب وطنٍ، ولا بأوّل ما شاقه مترل فألقى بالعَطَن[513]، فحبُّ الوطن معجون بطينة ساكنه، وطرفه مُغرى بإتمام محاسنه"[514]؛ وبذلك يكون مِن الواضح، أنّ حبّه وشغفه بوطنه هو الذي دعاه إلى تصنيف كتاب "الإحاطة"، بل ودفعه إليه دفعا؛ زاده في ذلك حرصه على تخليد هويته[515].

كما أشار ابن الخطيب، إلى أن أحدا من المتقدّمين الذين عمدوا إلى كتابة تاريخ لمدينة غرناطة، أتت محاولته قاصرة في نظره، وهو ما جعله يعقد العزم على تصنيف كتاب ليس ككتب الأوائل عن تاريخ غرناطة فقال: "وقد كان أبو القاسم الغافقي من أهل غرناطة، قام مِن هذا الغرض بفَرض، وأتى مِن كلّه ببعض، فلم يشف مِن غلّة، ولا سدّ خلّة، ولا كثّر قلّة، فقمت بهذا الوظيف، وانتدبت فيه للتأليف"[516].

508- **الأَزْرَقي (توفي نحو 250هـ/865م):** محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق؛ أبو الوليد الأزرقي. مؤرخ يمني الأصل، من أهل مكة؛ له: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، 222. كحالة، معجم المؤلفين، ج10، 198.

509- **ابن النّجّار (578-643هـ/1183-1245م):** محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، أبو عبد الله محب الدين ابن النجار؛ مؤرخ حافظ للحديث، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. له: الدرة الثمينة في أخبار المدينة. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص86. كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص317.

510- **ابن أبي زَرْع (تـ741هـ/-1340م):** علي بن عبد الله (أو ابن محمد) بن أحمد بن عمر بن أَبي زَرْع الفاسي، مؤرخ من أهل فاس. له: الأنيس المطرب القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة في أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص ص305-306. كحالة، معجم المؤلفين، ج7، ص181.

511- أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص ص152-153.

512- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص06 من مقدمة المؤلِّف.

513- **العطن:** مبرك الْإِبِل ومربض الْغنم عِنْد المَاء. ينظر: المعجم الوسيط، ص609.

514- المصدر نفسه، ج1، ص08 من مقدمة المؤلِّف.

515- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص45.

516- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص08 من مقدمة المؤلِّف.

ومع ذلك، فقد أقرّ ابن الخطيب بصعوبة المهمة، لتصنيف كتاب مثل الذي وعد، فأسرّ بأنه لن يكون شاملا كاملا فقال: "رجوت على نزارة حظّ الصّحة، وازدحام الشواغل الملحّة، أن أضطلع من هذا القصد، بالعبء الذي طالما طأطأتُ له الأكتاد[517]، وأقف منه الموقف الذي تهيّبَته الأبطال الأنجاد"[518].

ويُفهَم كذلك من العنوان الذي وضعه ابن الخطيب للكتاب، أنه قد رامَ تقديم صورة شاملة عن كل ما يتعلّق بمدينته غرناطة، من أوصاف وأخبار، وأنهار، هاته المدينة التي تغنّى بها قائلا[519] (من الكامل):

بَلَدٌ تَحُفُّ بِهِ الرِّياضُ كَأَنَّهُ * وَجْهٌ جَمِيلٌ وَالرِّيَاضُ عِذارُهُ**

1-5-5/ كتاب الإحاطة تاريخ التأليف والمحتوى:

أ/تاريخ تأليف الكتاب:

لم يؤلِّف ابن الخطيب كتاب "الإحاطة" دفعة واحدة، حيث بدأ بجمع مادته قبل محنته الأولى لما عُزل السلطان الغني بالله ونُفي معه إلى المغرب خلال سنة 761هـ/1359-1360م. ثم استأنف الكتابة فيه بعد عودته من منفاه بالمغرب إلى غرناطة سنة 763هـ/1361م، حيث عكف على استكمال تأليفه "الإحاطة" خلال هاته السنة، وبدأ يدوّن تواريخ المواليد والوفيات والأسماء والألقاب، ويراجع مختلف المصنّفات.

وقد كان ساعدُه الأيمن في ذلك كله، أبو عبد الله الشريشي مؤدب أولاد السلطان الغني بالله، الذي كان قد ألقى إليه بمبيضات كتابه "الإحاطة" اعتمادا منه عليه وثقة به؛ تولى نَسْخها أول مرّة من هذه المبيضات، وترتيبها وتبويبها في ستِّ مجلدات[520].

وخلال الفترة التي استمرّ فيها ابن الخطيب في وزارته الثانية مدة عشرة أعوام، قضاها في سدة الحكم والرياسة، والتي تعدُّ ألمع فترات حياته وأكثرها استقرارا، وأوفرها نضجا، وهي من أخصب فترات إنتاجه العلمي، إذْ فيها صنّف كثيرا من كتبه ورسائله، ودبّج كثيرا من النَّظْم

517- **الكتد:** مُجْتَمع الْكَتِفَيْنِ من الْإِنْسَان؛ جمعها أكتاد وكتود. ينظر: المعجم الوسيط، ص775.

518- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص08 من مقدمة المؤلِّف.

519- المصدر نفسه، ج1، ص25؛ وج4، ص436. المقري، نفح الطيب، ج6، ص507. أزهار الرياض، ج1، ص03.

520- المقري، نفح الطيب، مج7، ص 282.

والنثر؛ وفيها استمرّ في تأليف "الإحاطة" وأتمّه لأول مرة سنة 769هـ/1367م، بَيْدَ أنّ بقي يتعاهده بالزيادة والإضافة والتصحيح والتنقيح إلى أوائل سنة 772هـ/1370م"[521].

وبهذا التأليف الوازن، تحقّق لابن الخطيب ما كان يرومه ويَبْغِيهِ مِن السعة والإحاطة؛ إذْ جاءت النسخة الأولى منه في اثنتي عشرة سفرا[522].

وقد شُغِل ابن الخطيب بعد ذلك بتآليف جديدة، أَمْلَتْها ظروف نزوحه الثاني إلى المغرب سنة 772هـ/1370م، قاصدا تلمسان حيث بلاط عبد العزيز المريني، فاستقبل هناك استقبالا حارا، واستقر في وطنه الجديد هانئا منعما، وشعر بأنه قد استرد في بلاط المغاربة منزلته المفقودة[523]، وألّف تصانيف جيدة؛ منها كتاب أعمال أعلام، والرد على خصيمه القاضي أبي الحسن النباهي[524].

وقد ذكر محمد عبد الله عنان محقق كتاب "الإحاطة"، أنّ النسخة الوحيدة التي قيل عنها، بأنها هي النسخة الكاملة من "الإحاطة"؛ هي نسخة جامع الزيتونة، وتقع في ثلاثة مجلدات[525].

ب/محتوى الكتاب:

يحتوي كتاب "الإحاطة في تاريخ غرناطة"، على مقدّمة، وقسمين اثنين.

فأما المقدمة[526]: فقد استهلّ بها ابن الخطيب كتابه، وجاءت مقدّمة قيّمة مسجّعة، بدأها بالحمد لله تعالى والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسول اللهﷺوآله وصحبه أجمعين. وقد بيّن بعدها أهمية فنّ التاريخ، وذَكر بعض دواعي الاحتفاء به، على نحو ما فعل ابن خلدون في فاتحة مقدّمته، ليعرّج بعدها على ذِكر سبب تأليف الكتاب لَمَّا رأى الكثير من العلماء والأدباء ممن ألّفوا تواريخ لأوطانهم مشرقا ومغربا، وعدّد مجموعة من هؤلاء الذين ألّفوا في تواريخ بلدانهم، فكان ذلك سببا لأن يحرّك فيه شعورا دفعه إلى تأليف كتاب عن تاريخ وطنه غرناطة، ثم أشار إلى أحد من المتقدّمين الذين عمدوا إلى كتابة تاريخ لمدينة غرناطة، فأتت محاولته قاصرة في نظره.

521- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص04 من مقدمة المحقق. الإحاطة (تحقيق عبد الله عنان)، ج1، ص ص5-7 من مقدمة المحقق.

522- المقري، نفح الطيب، مج7، ص104 وص108.

523- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج7، ص ص444-445. ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص10.

524- ابن الخطيب، الإحاطة (تحقيق عبد الله عنان)، ج1، ص ص6-7 من مقدمة المحقق.

525- المصدر نفسه، ج1، ص06 من مقدمة المحقق.

526- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص ص03-10.

وفي المقدمة كذلك، أورد ابن الخطيب منهجه في التأليف والترتيب، وأتى على ذِكر موضوعات كتابه، فأخبر بأنّ كتابه يتحدّث عن إقليم غرناطة؛ هواؤه، وسكانه، وقبائله، وملوكه، وأعيانه، وأكابره، وفضلاؤه، وقضاته، وعلماؤه، وفقهاؤه، ومحدّثوه، وأدباؤه مِن كتاب وشعراء، وزهاد، وغيرها من الأمور المتّصلة بغرناطة، ثم ختم بالإشارة إلى منهجه في ترتيب تراجم الكتاب، وأنه قدْ جعله قسمين.

وتمتاز المقدّمة التي دبّج بها ابن الخطيب كتابه "الإحاطة"، من الناحية اللغوية والأسلوبية، بغلبة السّجع عليها، وكذا طابع الإيجاز والجُمل القصيرة المتوازية، وحضور اللفظ الغريب، والجزل الفصيح بين ثنياها[527].

وأما أقسام الكتاب؛ فهي اثنان:

– **القسم الأول**: عنونَه بـــ "**في حُلى المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن**"، وقد تناول فيها اسم مملكة غرناطة أو إغرناطة، فتحدّث فيها عن تاريخها وجغرافيتها، وبنائها، وفتحها، ونزول العرب الشاميين من جند دمشق بها، وعمّن تداول على هاته المملكة العريقة منذ أن صارت دار إمرةٍ لبني زيري سنة 403هـــ/1012م، إلى أن اتخذها بنو الأحمر قاعدة لـــمُلكهم[528].

– **القسم الثاني**: وسمه بـــ "**في حُلى الزائر والقاطن والمتحرّك والساكن**"، حيث ترجَم فيه لعدد من الأعلام؛ رجالا ونساء. وقد بلغ عدد المترجَمين زهاء 500 شخصية أندلسية[529]، ممن حكموا غرناطة، أو وفدوا إليها من المغرب أو المشرق من ملوك وأمراء وأعيان، وولاة ووزراء، وقضاة وعلماء، وزهّاد ومتصوّفة وغيرهم[530].

كما أكّد ابن الخطيب، بأن القسم الأول من "الإحاطة"، جاء مختصرا للتعريف بأحوال غرناطة، وأما الثاني فجاء مفصّلا ومتمّما للأول، وذلك مِن خلال التعريف برجالات وأعلام غرناطة، وبالتالي فالقسم الثاني مكمّل وموضّح للقسم الأول[531].

527– أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص153.

528– ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص ص13–42.

529– أورد يوسف طويل في تحقيقه للإحاطة، أن ابن الخطيب ترجم لزهاء 493 من أعلام غرناطة. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص04 من مقدمة المحقق.

530– المصدر نفسه، ج1، ص45 إلى ج4، ص371.

531– نفسه، ج1، ص42.

كما أنه، خصص نهاية الكتاب لتدوين سيرته الذاتية، والتي جاءت على شكل ترجمة مطولة، تناول فيها نسبه ومولده ونشأته، ثم تقلّده الوزارة لأبي الحجاج يوسف النصري، ثم لولده الغني بالله، ونَكْبته مع هذا الأخير وهجرتهما إلى المغرب، ثم عودتهما إلى غرناطة سنة 763هـ/1303م. كما أورد فيها مشيخته، ومؤلفاته، وبعضا من أشعاره[532].

وخلاصة القول، فإن كتاب "الإحاطة" جاء قسمان؛ قسم أول تاريخي؛ وقسم ثاني تراجمي، وبذلك يمكن اعتباره موسوعة تاريخية وأدبية وجغرافية وتراجمية.

1-5-6/ منهج ابن الخطيب في تأليف كتابه "الإحاطة":

أشار ابن الخطيب في مقدمة كتابه إلى بعض معالم منهجه في تصنيف "الإحاطة"، وهو منهج يمتاز في عمومه بالوضوح والإحكام إلى حدّ بعيد. وقد عبّر عن ذلك بقوله: "والترتيب الذي انتهت إليه حيلتي، وصَرَفْتُ في اختياره مُخيّلتي، هو أني ذكرت البلدة حاطها الله منبّها منها على قديمها، وطيب هوائها وأديمها، وإشراق علاها، ومحاسن حلاها، ومَن سكنها وتولّاها، وأحوال أناسها، ومَن دال بها من ضروب القبائل وأجناسها، وأعطيت صورتها، وأزحتُ في الفخر ضرورتها"[533].

كان هذا المنهج التي ذَكَره ابن الخطيب، وهو خاص بالقسم الأول، الذي تحدّث فيه عن تاريخ غرناطة. وأما القسم الثاني، والذي حوى تراجم الأعلام، فقد نوّه فيه ابن الخطيب كذلك إلى المنهج الذي سلكه في ترتيب تراجمه فقال: "وذكرتُ الأسماء على الحروف المبوّبة، وفصّلت أجناسهم بالتراجم المترتّبة، فذكرتُ الملوك والأمراء، ثم الأعيان والكبراء، ثم الفضلاء، ثم القضاة، ثم المقرئين والعلماء، ثم المحدّثين والفقهاء، وسائر الطلبة النجباء، ثم الكتّاب والشعراء، ثم العمّال الأثراء، ثم الزّهاد والصّلحاء، والصوفيّة والفقراء، ليكون الابتداء بالملك، والاختتام بالمسك، ولينظم الجميع انتظام السّلك"[534].

وقد عمد ابن الخطيب إلى تقسيم كل فئة من المترجَمين تقسيما داخليا، كما في قوله: "وكلّ طبقة تنقسم إلى مَن سكن المدينة بحكم الأصالة والاستقرار، أو طرأ عليها مما يجاورها من

532- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص ص373-554.

533- المصدر نفسه، ج1، ص ص09-10 من مقدمة المؤلف.

534- نفسه، ج1، ص10 من مقدمة المؤلف.

الأقطار، أو خاض إليها وهو الغريب أثباج[535] البحار، أو ألمّ بها ولو ساعة من نهار"[536]. فهو بذلك يوسّع دائرة ومساحة المترجَمين، إذْ لم يُترجِم للغرناطيين فحسب، بل تعداهم إلى كل من كانت له علاقة بغرناطة من قريب أو بعيد. وهو على هذا الأساس يترجِم للأندلسيين والمغاربة وبعض المشارقة والنصارى من القشتاليين وغيرهم[537].

ولقد ترجم ابن الخطيب لزهاء الخمسمائة من الأعلام، ورتّبهم ترتيبا أبجديا، إلا أنه لم يلتزم بهذا الترتيب التزاما دقيقا؛

❖ فقد بدأ تراجمه بحرف الألف وجاءت أول ترجمة لأحمد بن خلف بن عبد الملك الغساني القُليعي، ثم واصل في تراجمه على الحروف الأبجدية إلى غاية حرف الياء.

❖ ثم رتّب الحروف في الأسماء، ثم في الأجداد والآباء، وهو ما عبّر عنه بقوله: "وآثرتُ ترتيب الحروف في الأسماء، ثم في الأجداد والآباء، لشرود الوفيات والمواليد، التي رتّبها الزمان عن الاستقصاء"[538].

❖ جاءت تراجم "الإحاطة" متفاوتة فيما بينها من حيث الحجم، وخاضعة لمنهج واضح. حيث كان المصنِّف يذكر في الترجمة اسم المترجَم له وأجداده وكنيته، ولقبه الذي عُرف به، وانتماءه العرقي وولادته، وحاله وأخباره، وأوّليته، ومشيخته، ومحنته ونكبته، ومناقبه، ونباهته، وحظوته، وولايته، وشِعره وكتابته، ودخوله لغرناطة إنْ كان أجنبيا، وتواليفه ومصنّفاته، ومذهبه، وأولاده، ووفاته. وقد أوجز ابن الخطيب ذلك في قوله: "وذهبتُ إلى أنْ أذكُر الرجل ونسبه وأصالته وحسبه، ومولده وبلده، ومذهبه وأنحاله؛ والفنّ الذي دعا إلى ذِكره، وحِليته ومشيخته إنْ كان ممّن قيّد علما أو كتبه؛ ومآثره إنْ كان ممّن وصل الفضل بسببه؛ وشِعره إن كان شاعرا؛ وأدبه وتصانيفه إن كان ممّن ألّف في فن أو هذّبه؛ ومحنته إنْ كان ممّن بزّه[539] الدهر شيئا أو سلبه؛ ثم وفاته ومنقلبه"[540].

535- **الثبج:** وسط الشَّيْء تجمع وبرز، أثباج وثبوج، ومِنْه ثبج البَحر. ينظر: المعجم الوسيط، ص93.

536- المصدر نفسه، ج1، ص10 من مقدمة المؤلف.

537- أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص153.

538- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص10 من مقدمة المؤلف.

539- **بزّه:** غَلبه وسلبه. ينظر: المعجم الوسيط، ص54.

540- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص10 من مقدمة المؤلف.

❖ وتجدر الإشارة، إلى أن ابن الخطيب لم يكن يورد هاته العناصر كلها في الترجمة الواحدة بشكل مطّرد، وإنما كان يركّز على بعضها فقط، على أنّ منها ما كان ثابتا دائم الورود في جميع الترجمات، مثل اسم المترجَم له ونسبه وأصله وكنيته، وحاله ومولده ووفاته[541].

❖ جاءت تراجم "الإحاطة" متفاوتة طولا وقِصَرا وأهمية، مع ملاحظة أنّ أغلبها مركّز وقصير، وأنّ ما كان يجنح منها إلى الطول نسبيا، فقد كان في الغالب للأعلام من الملوك والأمراء النصريين الذين عاصرهم المصنِّف، ولبعض حملة القلم المشهورين.

فإذا قارنّا على سبيل المثال، بين الترجمتين اللتين أوردهما ابن الخطيب لكل من أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمداني اللخمي[542]، وأحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزيّ الكلبي[543]، نجد أن الأولى قصيرة جدا، في حين أن الثانية أتت طويلة نسبيا.

وإذا عدنا إلى بعض تراجم الكتاب، فإننا سنجد أن مِنْ بين التراجم ما ناهز الخمسين صفحة، كما في ترجمة الأمير محمد بن يوسف بن إسماعيل الغني بالله النصري ثم الغرناطي[544].

هذا، و لم يكن تطويل التراجم شأنا خاصا بأهل غرناطة، بل إن ابن الخطيب عمد إلى مثل ذلك في تراجم غير الغرناطيين على نحو ما نلحظه في ترجمة معاصره محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي بن داود القرشي المقري (تـــ759هـــ/1357م)، قاضي الجماعة بفاس وتلمسان والذي حوت ترجمته في "الإحاطة" على تسع وعشرين صفحة[545].

كما كان ابن الخطيب يورد في بعض تراجمه قصائد شعرية متنوعة، ولذلك جاء كتابه "الإحاطة" حافلا بالكثير من المقطوعات الشعرية[546].

541- للاستزادة أكثر، ينظر تراجم الكتاب ففيها شفاء الغليل، إذ لا يسع المقام لإيراد الأمثلة على ذلك لكثرتها.

542- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص47.

543- المصدر نفسه، ج1، ص52.

544- نفسه، ج2، ص ص03-50.

545- نفسه، ج2، ص ص116-144.

546- للاستزادة أكثر، ينظر تراجم الكتاب ففيها شفاء الغليل، إذ لا يسع المقام لإيراد الأمثلة على ذلك لكثرتها.

1-5-7/ مصادر ابن الخطيب في كتابه "الإحاطة"[547]:

اعتمد ابن الخطيب في تحرير تراجم كتابه "الإحاطة" على جملة كبيرة من المصادر. وعلى غرار مصادر التراجم التي سبقته، اعتمد ابن الخطيب على المصادر المكتوبة، ومصادر المشاهدة والمعاينة، وكذا المصادر الشفوية؛ ويمكن إجمالها وتلخيصها فيما يلي تمثيلا لا حصرا:

أ/ المصادر المكتوبة:

من أهم المصادر التي اعتمدها ابن الخطيب في كتابه "الإحاطة"؛ تاريخ أبي عبد الله بن جزي الغرناطي[548]، الذي شرع في أثناء مقامه بفاس تصنيفَ تاريخ عام لبلده غرناطة، ولكنه مات سنة 757هـ/1356م قبل أن يُتمّه. وقد صرّح ابن الخطيب، بأنه اطّلع على هذا السفر التاريخي بمدينة فاس عندما قام بسفارة إلى المغرب سنة 755هـ/1354م، وسار على منهجه في تأليف الإحاطة[549].

ومن المصادر التي اعتمدها ابن الخطيب كذلك؛

- تاريخ ابن القوطية المسمّى "تاريخ افتتاح الأندلس"، لابن القوطية (ت367هـ/977م)[550].
- تواريخ آل الرازي؛ محمد الرازي (ت277هـ/890م)[551]، وأحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت344هـ/955م)[552]؛ وعيسى بن أحمد الرازي (ت379هـ/989م)[553].
- "قلائد العقيان" لابن خاقان (ت528هـ/1134م)[554].
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام الشنتريني (ت542هـ/1147م)[555].
- "تاريخ مالقة"، لابن عسكر[556].

547- الأمثلة في تراجم الكتاب كثيرة عن المصادر التي اعتمدها ابن الخطيب في كتابه، ولا يسع المقام لإيرادها لكثرتها.

548- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص298.

549- المصدر نفسه، ج1، ص05 من مقدمة التحقيق.

550- تقدم التعريف به بالتفصيل في الفصل الأول، ص ص76-83.

551- تقدم التعريف به في الفصل الأول، ص87.

552- تقدم التعريف به في الفصل الأول، ص ص92-98.

553- تقدم التعريف به في الفصل الأول، ص98.

554- تقدمت ترجمته في الهامش: 66 من الفصل الرابع.

555- تقدمت ترجمته في الهامش: 246من هذا الفصل.

556- **ابن عسكر (ت636هـ/1239م):** محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني أبو عبد الله، المعروف بابن عسكر. أديب نبيل وعالم بالتاريخ والحديث؛ من أهل مالقة، ولي قضاءها نيابة ثم أصالة وحسنت سيرته، فاستمر على ذلك

- "البيان المغرب"، لابن عذاري المراكشي (توفي بعد 712هـ/1312م)[557].

- "الأنيس المطرب بروض القرطاس"، لابن أبي زرع الفاسي (ت741هـ/-1340م)[558].

كما أنه رجع فيما يتعلق بتاريخ الدولة المرابطية بشكل كبير إلى تاريخ ابن الصيرفي[559]، المسمى بـ "الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية".

وأما ما تعلّق بالتراجم، فقد عاد ابن الخطيب لثلة من المصادر التراجمية الهامة ومنها:

- "تاريخ إلبيرة"، لأبي القاسم الغافقي الملّاحي (ت619هـ/1222م)[560].

- تاريخ ابن مسعدة المسمى "تاريخ قومه"[561].

- "القِدح المعلّى في التاريخ المحلّى"، و"الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد"؛ لابن سعيد الأندلسي (ت685هـ/1286م)[562].

- "الحلة السيراء" لابن الأبار البلنسي (ت658هـ/1259م)[563].

- "الصلة" لابن بشكوال (ت578هـ/1182م).

- "صلة الصلة" لابن الزبير (ت708هـ/1308م).

- "الذيل والتكملة" لابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1303م).

بقية عمره. له شعر حسن وكتب منها: الإكمال والإعلام في تراجم بعض أعلام مالقة؛ مات قبل إتمامه فأكمله بعده ابن أخته أبو بكر محمد بن خميس، ونقل عنه ابن الخطيب في الإحاطة. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص281.

557- تقدمت ترجمته في الهامش: 40 من هذا الفصل.

558- تقدمت ترجمته في الهامش: 512 من هذا الفصل.

559- **ابن الصَّيْرَفي (467-557هـ/1074-1179م):** يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري، أبو بكر ابن الصيرفي، مؤرخ من الشعراء المجيدين، من أهل غرناطة. ألف تاريخ الدولة اللمتونية، وكان من أعيان شعرائها ومُداح أمرائها. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج8، ص165. كحالة، معجم المؤلفين، ج13، ص230.

560- تقدمت ترجمته في الهامش: 442 من الفصل الخامس.

561- **أحمد العامري (ت699هـ/1300م):** أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن مسعدة العامري؛ أبو جعفر. فقيه مشارك في كثير من العلوم، تولى القضاء بمواضع من الأندلس؛ له: شرح المستصفى للغزالي في الأصول، وألف تاريخ قومه وقرابته. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص70.

562- تقدمت ترجمته في الهامش: 72 من الفصل الرابع.

563- تقدم الحديث عنه في الفصل الخامس، ص ص418-423.

ب/ مصادر المشاهدة والمعاينة[564]:

كانت المشاهدة والمعاينة رافدا مهما من روافد ابن الخطيب، ومصدرا من مصادره، حيث رجع فيما تعلّق بمعاصريه-وهم الكثرة الغالبة في إحاطته-إلى مادة غزيرة من الوثائق والمعلومات الخاصة من ذوي الشأن أنفسهم، أو من أقربائهم ومعارفهم.

وأما ما تعلّق بسلاطين الدولة النصرية، ووزرائها وكبرائها، فقد رجع إلى الوثائق والمخطوطات السلطانية والديوانية، بالإضافة إلى ما شاهده وعاينه بنفسه.

ج/ المصادر الشفوية[565]:

❖ عادَةً ما كان ابن الخطيب يورد في كتابه "الإحاطة" بعض أقوال الأدباء والعلماء ويذكر مصادرها، ويستعين كذلك بما يسمعه من العلماء والشيوخ فيعيده في كتابه.

❖ وفي بعض الأحيان كان ينقل من أحد كتبه التي ألّفها قبل "الإحاطة"، ومنها "عائد الصلة"، و"طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر"، و"اللمحة البدرية"، و"نفاضة الجراب"، و"الكتيبة الكامنة"، و"التاريخ المحلّى في مساجلة القِدح المعلّى".

❖ كما كان يستعين بالشِّعر لأهميته ووفرته، فجاء كتابه "الإحاطة" مشتملا على الكثير من الأشعار، واستعمل فيه أسلوبا جزلا رصينا، مسجّعا جذابا.

وخلاصة القول، فإننا لا نجد هاهنا أحسن مما ذكره الفقيه التطواني في كتابه "ابن الخطيب من خلال كتبه"، حيث قال متحدّثا عن غرناطة، بأن ابن الخطيب "حمل ريشة مبدع، فرسم صورة قُطر وحياة أمّة وتاريخ أجيال، وجلّاها أمام مَنْ تأخّرَتْ به الأيام، فأصبحت مدينة غرناطة وكأنها مشاهَدَةٌ بالعيان، وإنْ تقدّم بها الزمان، وأتى عليها ما صيّر غيرها في خبر كان".

إنّ كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" لابن الخطيب السلماني، الذي يعدّ أشهر كتبه وأهمها، رغم أن ما وصل إلينا من مادته لَهُوَ نزر يسير، فقد أخبر غير واحد من المشتغلين بتراثه، أنه كتاب ضخم في التاريخ والأدب والتراجم.

وقد كان لكتاب "الإحاطة" مكانة خاصة عند مصنِّفه، حيث ظلّ دائم الصلة به؛ يتعاهده بالتنقيح، ويضيف إليه كل ما جدّ جديد لديه؛ فقد ابتدأه قبل محنته الأولى ونزوحه إلى المغرب،

564- أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، ص155.

565- المرجع نفسه، ص155.

وأتمّه للمرة الأولى سنة 769هـ/1367م، وبعث بنسخة منه إلى القاهرة في السنة ذاتها، ثم واصل اعتناءه به إلى ما بعد سنة 772هـ/1370م.

ولقد لاقى كتاب "الإحاطة" استحسانا من لدن قارئيه؛ فعدّه المقري (ت 1041هـ/1631م) من الكُتب التي ذاع صيتها شرقا وغربا، وخير دليل على ذلك ما دوِّن من مختصرات حوله من أمثال أبو جعفر البقني. كما أنّ الأديب المصري محمد بن إبراهيم البشتكي (ت830هـ/1426م)[566] اختصر "الإحاطة" في مجلدين ضمن كتابه المسمى "مركّز الإحاطة في أدباء غرناطة".

وكذلك فَعَل الكاتب الغرناطي؛ الذي عُني بتدوين تراجم الطبقة الأخيرة، التي عاشت في القرن التاسع الهجري (ق09هـ/15م) وأدركت نهاية الأندلس، وهو ابن عاصم أبو يحي بن أبي بكر الملقّب بابن الخطيب الثاني (ت857هـ/1452م) الآتي ذِكره في الجزئية الموالية؛ مؤلِّف كتاب "الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقريض"، الذي جعله ذيلا على كتاب "الإحاطة" لابن الخطيب.

2/ ابن عاصم أبو يحي بن أبي بكر الملقّب بان الخطيب الثاني (ت857هـ/1452م):

2-1/ حياته:

هو الإمام العلّامة الوزير الرئيس، والكاتب البليغ الجليل، الخطيب الجامع الكامل، الشاعر المفلّق الناثر الحجة، خاتمة رؤساء الأندلس بالاستحقاق؛ محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسي الأندلسي الغرناطي؛ أبو يحيى قاض ووزير مالكي. كان مِن أكابر فقهاء غرناطة وعلمائها ورؤسائها، ومِن بُلغاء الكتاب[567].

566- **محمد البشتكي (748-830هـ/1347-1427م):** محمد بن ابراهيم بن محمد البشتكي، الدمشقي الأصل، الأنصاري القاهري الظاهري؛ بدر الدين أبو البقاء. أديب وشاعر، نشأ بالقاهرة وتوفي بها فجأة. من آثاره: ديوان شعر، ومركّز الإحاطة في اختصار الإحاطة لابن الخطيب. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج8، ص ص215-216.

567- ابن عاصم أبو يحي محمد الغرناطي (ت857هـ)، جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى، ج1، تحقيق: صلاح جرّار، عمّان: دار البشير للنشر والتوزيع، 1989، ص ص36-37 من مقدمة التحقيق. أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي (ت862هـ)، برنامج المجاري، تحقيق: محمد أبو الأجفان، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1982، ص126، ترجمة: 10. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة مَن ليس من الديباج، ج2، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، المغرب: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2000، ص ص173-174، ترجمة: 568. المقري، أزهار الرياض، ج1، ص145. نفح الطيب، ج6، ص148. البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص ص199-200. مخلوف شجرة النور، ج1، ص358، ترجمة: 925. الزركلي، الأعلام، ج7، ص48. كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص293.

وُلد ابن عاصم أواخر القرن الثامن الهجري (08هـ/14م)، وعاش تفاصيل حياته كلها خلال النصف الأول وبداية الثاني من القرن التاسع الهجري (09هـ/15م)، وهي فترة جاءت حُبلى بالكثير من التطورات السياسية البالغة الأهمية في الأندلس، وعلى رأسها بداية النهاية لمملكة بني الأحمر آخر معاقل المسلمين ببلاد الفردوس المفقود، إذْ تقلّبت الحياة السياسية بها كثيرا، وأصبحت محفوفة بالمخاطر والفتن والمحَن[568]. وفي ظلّ وطأة كل هاته الأحداث، جاء الوزير ابن عاصم أبو يحي إلى هاته الدنيا، والذي يعتبر شاهد عيان على أحداث عصره في هاته الفترة إلى وفاته سنة 857هـ/1452م.

ورغم أنّ ابن عاصم كان ذا قيمة علمية وسياسية وازنة بين أقران عصره، وكان ينتمي لعائلة علمية مرموقة وراقية، إلا أنّ المصادر التاريخية التي ترجَمت له لم تُفصح لنا عن تاريخ مولده، وسكتت عن ذلك سكوتا غير مبرّر. وفي ظل هذا السكوت، حاول مُحقق كتاب "جنة الرضا" لابن عاصم، أن يعطينا احتمالا لتاريخ ولادته، استنادا لبعض القرائن التاريخية الواردة فيه، حيث ترجّح لديه بعد بحثٍ وتقصٍّ أن ابن عاصم، إنما يكون قد رأى النور بعد سنة 790هـ/1388م، وعلى وجه التحديد بين سنتي 794هـ/1392م و799هـ/1396م[569].

هذا، وينتمي ابن عاصم إلى عائلة علمية مرموقة، ذات صيت كبير، حيث حلّاها المقري متحدّثا عن ابنها؛ ابن عاصم بقوله: "ألا وإنّ بيته هو البيت الذي طلع في أُفْقِه كل كوكب وقاد، ممن وشج به للعلوم اتقاء واتقاد، وترامى به للمدارك ذكاء وانتقاد، فأَعْظِم بهم أعلامًا وصدورًا، وأهلّة وبدورًا، خلَّدَتْ ذِكرهم الدواوين المسطّرة، وسَرَتْ في محامدهم الأنفاس المعطّرة"[570].

أخذ ابن عاصم الغرناطي العلم عن جِلّة مِن علماء عصره، ونهل منهم العلم من المعين الصافي، حتى أصبح شهابا واريا من العلم، وكان آية الله في النظم والنثر، وصدق فيه مَن نَعَتَه

568- عن هذه الأحداث بالتفصيل؛ ينظر: ابن عاصم، جنة الرضا، ص11 من مقدمة التحقيق.

569- المصدر نفسه، ص ص36-37 من مقدمة التحقيق.

570- المقري، أزهار الرياض، ج1، ص175. نفح الطيب، ج6، ص158.

بابن الخطيب الثاني[571]. ومِن العلماء الذين تتلمذ لهم نذكر، والده القاضي أبو بكر[572]، والقاضي الإمام أبو القاسم بن سراج[573]، والشيخ الراوية أبي عبد الله المنتوري[574] وغيرهم[575].

وعن ابن عاصم؛ أخذ العلمَ ثلّة مِن الأكابر الذين تتلمذوا له وهم قِلّة، إذْ لم تُسعفنا المصادر بذِكرهم سوى قلة قليلة منهم، ومن أبرزهم الـــمُجاري الأندلسي أبو عبد الله محمد (تـــ862هـــ/1547م) والذي أجازه ابن عاصم أبو يحي[576]، وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم يوسف العبدري الشهير بالمواق[577]، وأبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي[578] نزيل تلمسان[579].

571- المقري، أزهار الرياض، ج3، ص322.

572- **القاضي أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم القَيْسي الغرْناطي المالكي:** كان وحيد دهره، وشرف عصره؛ صاحب الأرجوزة المسماة بـــ "تحفة الحُكّام" التي فرغ من نظمها في رمضان سنة 835هـــ/ماي1432م. ينظر: حاجي خليفة، سلم الوصول، 3، ص231، ترجمة رقم: 4524.

573- **محمد بن محمد بن سراج الأندلسي الغرناطي:** أبو القاسم، فقيه مالكي المذهب، حامل لواء مذهبه، العلامة الحافظ الفهامة، الجامع للفنون. تصدى للقضاء والإفتاء والتدريس بغرناطة، وانتفع بعلمه طائفة من طلبة الأندلس؛ من مؤلفاته: شرح كبير على مختصر خليل المالكي. ينظر: ابن القاضي أبو العباس أحمد ابن محمد المكناسي (تـــ1025هـــ)، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، ج2، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة: مكتبة دار التراث، تونس: المكتبة العتيقة، ط1، 1971، ص282، ترجمة: 1353. نيل الابتهاج، ص526، ترجمة: 629. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص175، ترجمة: 368. الحجوي، الفكر السامي، ج2، ص303، ترجمة: 675.

574- **أبو عبد الله محمّد بن عبد الملك الغرناطي (تـــ834هـــ/1430م):** المعروف بالمِنْتوري-بكسر الميم وسكون النون- الأستاذ المقرئ الخطيب، العالم المحقق، الفقيه الأصولي المتفنن المدقق؛ له فهرسة حافلة؛ وفاته بغرناطة. ينظر: مخلوف، شجرة النور، ج1، ص356، ترجمة: 920.

575- التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص ص173-174، ترجمة: 568. المقري، أزهار الرياض، ج1، ص145. نفح الطيب، ج6، ص148. مخلوف شجرة النور، ج1، ص358، ترجمة: 925.

576- المجاري الأندلسي، برنامج المجاري، ص126، ترجمة: 10.

577- **المواّق (تـــ897هـــ/1492 م):** محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق، فقيه مالكي، كان عالم غرناطة وإمامها وصالحها في وقته؛ من مؤلفاته: التاج والإكليل. ينظر: ابن القاضي، درة الحجال، ص141، ترجمة: 604. الزركلي، الأعلام، ج7، ص154. الضوؤ اللامع، 10، ص98. شجرة النور، ج1، ص262.

578- **الأديب الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحداد الشهير:** بالوادي آشي نزيل تلمسان المحروسة. ينظر: نفح الطيب، ج4، ص507 وج6، ص22 وج7، ص103. أزهار الرياض، ج3، ص302 وص317.

579- ابن عاصم، جنة الرضا، ج1، ص ص48-49 من مقدمة التحقيق. المجاري الأندلسي، برنامج المجاري، ص126، ترجمة: 10. التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص ص173-174، ترجمة: 568. المقري، مخلوف شجرة النور، ج1، ص358، ترجمة: 925.

تقلّد ابن عاصم الغرناطي عديد الوظائف، حيث تولى اثنتي عشرة خطة في وقت واحد؛ منها القضاء والكتابة والوزارة والإمامة والخطابة. وقد أشارت بعض المصادر التي ترجمت له، أنه وَلِي قضَاء غرناطة سنة 838هـ/1434م[580].

وبعد حياة سياسية وعلمية حافلة، امتدّت لثلاثين عاما، خدم فيها ابن عاصم مملكة غرناطة بكلّ تفانٍ وإخلاص، وحاول خلالها الحفاظ على هاته البقعة الإسلامية المباركة الوحيدة في الأندلس وقتذاك. إلا أنّ الهمجية السياسية المتغوّلة في تلك الأزمنة، وهواجس الرّعب من الانقلابات حالت دون ذلك، فحَصَل ما كان يخشاه ابن عاصم، وأَخذ حِذره منه أزمنة عديدة، ألا وهو محاولة اغتياله، بل إنّ ذلك هو ما حصل، حيث إنه قُتل ذبيحا مِن جهة السلطان على ما أخبر به التنبكتي، إلا أنه لم يقف له على تاريخ وفاتٍ، وهو التاريخ الذي سكتت عنه أغلب المصادر التاريخية، سوى البغدادي في "هدية العارفين" الذي أورد بأنه توفي في حدود سنة 857هـ/1452م، وهو التاريخ الذي درج أصحاب التراجم، على اعتباره تاريخا لوفاته[581].

2-2/ إنتاجه العلمي:

رغم ما عُرف عن ابن عاصم الغرناطي من اشتغاله بالسياسة وتقلُّدِ الوظائف لمدة ثلاثين عاما، حيث تولى اثنتي عشرة خطة في وقت واحد[582]، إلا أنّ ذلك لم يثنه عن الكتابة والتصنيف، والمشاركة في الحياة العلمية في عهده بسهم وافر، خاصة وأنه كان صاحب ثقافة متنوعة. وقد

580- ابن عاصم، جنة الرضا، ص ص49-54 من مقدمة التحقيق. التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة مَن ليس من الديباج، ج2، ص ص173-174، ترجمة: 568. مخلوف شجرة النور، ج1، ص358، ترجمة: 925.

581- ابن عاصم، جنة الرضا، ج1، ص60 من مقدمة التحقيق. التنبكتي، كفاية المحتاج، ص ص173-174، ترجمة: 568. المقري، أزهار الرياض، ج1، ص145. نفح الطيب، ج6، ص148. البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص ص199-200. مخلوف شجرة النور، ج1، ص358، ترجمة: 925. الزركلي، الأعلام، ج7، ص48. كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص293. الجبوري كامل سلمان، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، ج5، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ص246.

582- ابن عاصم، جنة الرضا، ص ص49-54 من مقدمة التحقيق. التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة مَن ليس من الديباج، ج2، ص ص173-174، ترجمة: 568. مخلوف شجرة النور، ج1، ص358، ترجمة: 925.

صنّف في شتى العلوم والمجالات، كالفقه والأدب والتاريخ، إلا أنّ أغلب ما ألّف ضاع[583]. ومن هاته المصنّفات نذكر[584]:

– كتاب "جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضا"[585].

– شرح أرجوزة "تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام" لوالده القاضي أبي بكر محمد ابن محمد بن عاصم القَيْسي الغرناطي المالكي.

– كتاب "الروض الأريض في تراجم ذي السيوف والأقلام والقريض"؛ الذي ذيّل به على كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" لابن الخطيب.

3-2/ التعريف بكتاب الروض الأريض:

هو ذيلٌ على كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" لابن الخطيب السلماني (تـــ776هـــ/1374م)[586]، ومنه فَصْلٌ ذَكَره المقري في "نفح الطيب" و"أزهار الرياض" سمّاه "شموس العصر من ملوك بني نصر"[587]، ترجَم فيه لحكام غرناطة إلى عصره. وقد ضاعت أغلب مادة هذا السفر التراجمي النفيس، عدا نُتفٍ قليلة أوردها المقري (تـــ 1041هـــ/1631م) في كتابيه "نفح الطيب" "وأزهار الرياض"[588].

كما عُثر على ورقة واحدة منه فقط، في مكتبة الاسكوريال تحت عنوان: "قطعة من كتاب الروض الأريض فيمن لقيته من أهل القريض"، وتقع ضمن المجموعة رقم: 5/1879 ورقم 5/21؛ كُتبت أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين (09–10هـــ/15–16م)[589].

583– ابن عاصم، جنة الرضا، ص68 من مقدمة التحقيق.

584– المصدر نفسه، ص60 من مقدمة التحقيق. التنبكتي، كفاية المحتاج، ص ص173–174، ترجمة: 568. المقري، نفح الطيب، ج6، ص148. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 365. الزركلي، الأعلام، ج7، ص48. كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص293.

585– وقد حقّقه ونشره صلاح جرّار، ونشره بدار البشير للنشر والتوزيع بعمّان سنة 1989.

586– البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص587. هدية العارفين، ج2، ص200. الزركلي، الأعلام، ج7، ص48. الجبوري، معجم الشعراء، ج5، ص246. كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص293.

587– المقري، نفح الطيب، ج6، ص146. أزهار الرياض، ج1، ص58.

588– حيث نقل المقري ترجمة ابن فتوح عن الروض الأريض في: أزهار الرياض، ج1، ص58. ونقل ترجمة الغني بالله المتوفي 793هـــ/1390م في: نفح الطيب، ج6، ص146 وأزهار الرياض، ج1، ص ص58–60.

589– ابن عاصم، جنة الرضا، ص68 من مقدمة التحقيق.

وكتاب "الروض الأريض"، اطّلع عليه المقري ونقل عنه نُتَفًا بسيطة لبعض التراجم، ذَكرها في كتابيه "نفح الطيب" و"أزهار الرياض"؛ فنقل عنه ترجمة كل من ابن فتوح وترجمة الغني بالله المتوفي 793هـ/1390م[590]. وكذلك فعل أحمد بابا التنبكتي، الذي نقل عنه ترجمة والده-والد ابن عاصم-في "نيل الابتهاج"، وأخبر بأن "الروض الأريض" يقع في أسفار[591]. كما نقل عنه ابن الأزرق الغرناطي (تـ896هـ/1491م)، تراجم كاملة في كتابه "روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام"[592].

وإلى يوم الناس هذا، فإن هذا السفر التراجمي النفيس، لا يزال في عداد المفقود-في حدود علمنا-وقد ظلّ موجودا متداولا حتى القرن الحادي عشر الهجري (11هـ/17م)[593]. وتدلّ النقول الموجودة منه-المذكورة سابقا-أنّ مؤلّفه كان صدر البلغاء، وعلم العلماء، ووحيد الكبراء، وأصيل الحسباء[594].

وإذا كنّا قد حُرمنا مِن هذا الأثر النفيس، فقد عُوِّضنا عنه بأثر آخر للمؤلِّف نفسه، لا يقلّ أهمية عنه، وهو كتاب جنة "الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى"، وفيه صور حزينة من الأحوال التي كانت تؤذن بدنو نهاية الأندلس[595].

ومما سبق ذِكره في هذا الفصل الأخير من الأطروحة؛ نستنتج ما يلي:

بلغت الكتابة التراجمية في الأندلس قمة نضجها وتألقها مع ابن عبد الملك في كتابه "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"، الذي يعدّ أعظم حلقات سلسلة الصلات الأندلسية فائدة، وأجلّها عائدة، وأكبرها حجما، فعُدّ بذلك موسوعة تاريخية خاصة بالمغرب والأندلس.

590- نقل المقري ترجمة ابن فتوح في: أزهار الرياض، ج1، ص58. ونقل ترجمة الغني بالله في: نفح الطيب، ج6، ص146 وأزهار الرياض، ج1، ص ص58-60.

591- التنبكتي، نيل الابتهاجن، ص537.

592- ابن الأزرق الحميري الأصبحي الغرناطي أبو عبد الله محمد بن علي (تـ896هـ)، روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، تقديم وتحقيق: سعيدة العلمي، طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1999، ص591 وص719 وص721.

593- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص47.

594- المقري، نفح الطيب، ج7، ص103. أزهار الرياض، ج1، ص55.

595- بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، ص48.

كما كان لمصنّفات لسان الدين ابن الخطيب أيضا شهرتها في مجال التراجم، ومنها كتابه "عائد الصلة" الذي يعتبر الحلقة الأخيرة من حلقات الصلات الأندلسية، إذ به خُتمت هاته السلسلة.

ولا ننسى كذلك في هذا المقام، كتابه "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام" الذي يعتبر آخر ما ألّف ابن الخطيب قبل أن يلقى مصرعه، وكذا كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة" الذي يعتبر أشهرَ كتبه، التي رام من خلالها أن يحذو حذو الخطيب البغدادي وابن عساكر وغيرهما من مؤرخي المدن الإسلامية، فجاءت "الإحاطة" تتويجا لما أُلِّف حول المدن في الأندلس.

وبذلك، تبوّأت "الإحاطة" مكانة عالية من بين أهم المصادر الأندلسية في التراجم والتاريخ، وعُدّ بذلك مؤلِّفها ابن الخطيب خاتمة مؤرخي الأعلام في الأندلس، كما كان آخر أديب كبير ذاعت شهرته مشرقا ومغربا، فبقي اسمه مقرونا في ذاكرة الناس بالأندلس، حتى إنّ المقّري جعله قسيما لها في كتابه الذي أسماه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذِكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب".

كما ظهر أيضا في القرن التاسع الهجري (ق09هـ/15م)، كاتب آخر هو أبو بكر بن عاصم الغرناطي، الذي قام بالتذييل على كتاب ابن الخطيب "الإحاطة"، في مؤلَّفه الموسوم بـ "الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقريض".

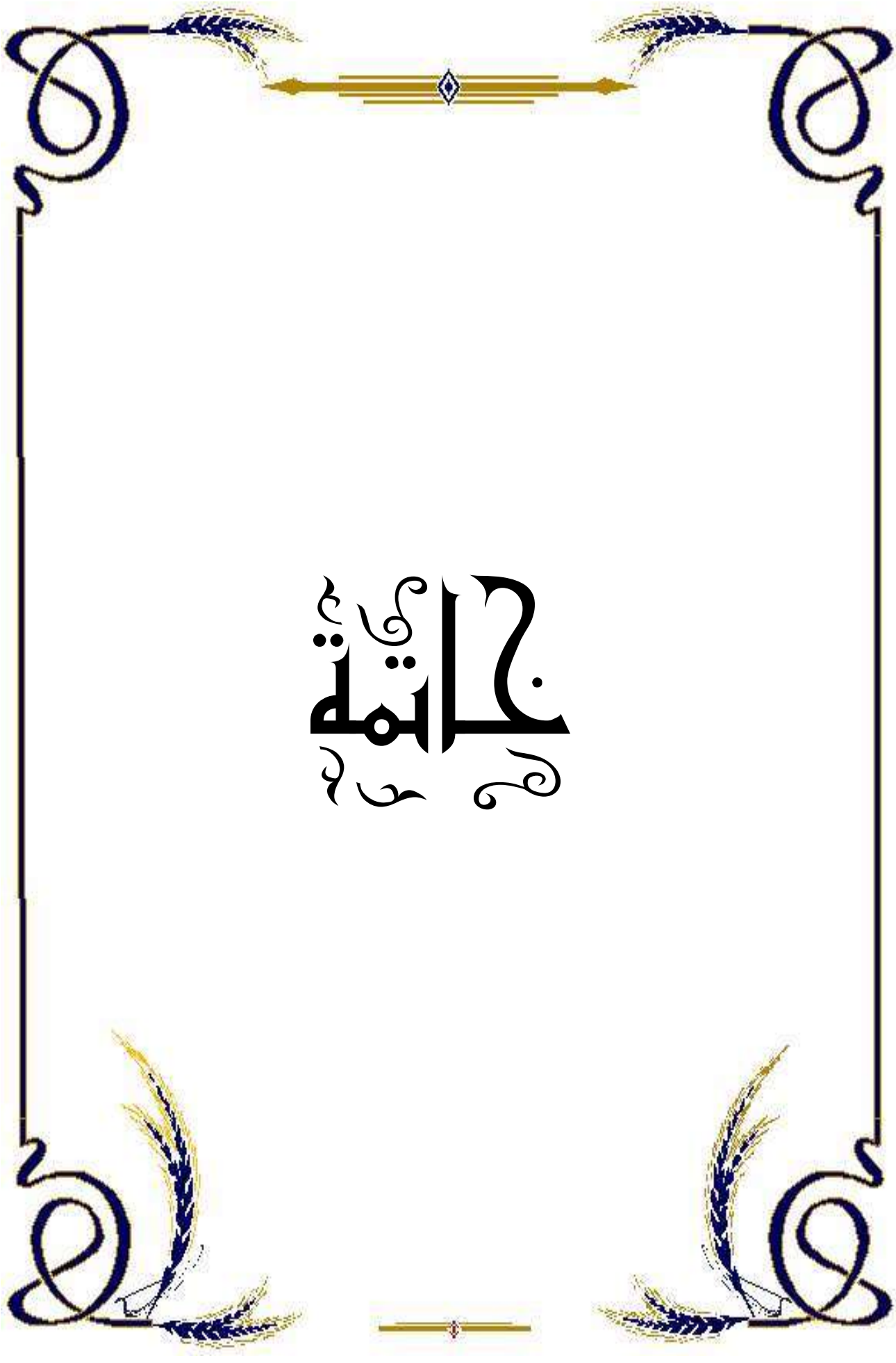
خاتمة

في نهاية هاته الأطروحة، نخلص إلى النتائج التالية:

إنّ نشأة العلوم وانتعاشها ببلاد الأندلس جاء مبكرا، خاصة علوم الحديث واللغة والأدب والشعر. وقد كان لهذه العلوم دور كبير في نشأة التدوين التاريخي، وتكوّنت مِن خلالها المادة التاريخية الأولية التي خدمت المؤرخين، أو مَن كانوا يميلون لجمع الروايات والأخبار التاريخية.

وقد كان من الطبيعي جدا والحال هاته؛ أن يكون مِنْ بين هؤلاء مِنَ اللغويين والشعراء ورجال الحديث، مَنْ كانوا في الوقت ذاته مِنَ المؤرّخين الذين نشأت منهم طبقة تهتم بجمع الأخبار التاريخية وحِفظها وروايتها، إلى جانب اهتمامهم بالعلوم الأخرى.

وعلى ما يبدو؛ فإن الرواية الشفوية بالأندلس بعد الفتح الإسلامي، كانت المصدر الأول للتدوين التاريخي بهذا الـــمَصْر. وقد أتت هاته الروايات في مجملها مِن طريق أبناء وتلاميذ التابعين، مِمَّن شاركوا في عملية الفتح، ثم عادوا أدراجهم إلى بلادهم، وأصبحوا مصدرا هاما لأخبار الفتح.

وقد كان للرواية الشفوية وما أحدثته مِنْ تطور كبير في عملية التدوين التاريخي بالأندلس، دور مهم في توجيه الكتابة التاريخية الأندلسية للطابع المشرقي منهجًا (خاصة المدرسة المصرية)، إذ لا غَرْوَ في ذلك خاصة في ظلّ تلقّي الأندلسيين لمادتهم التاريخية الأولى مِن شِفاه مؤرخي المشرق، ونَقْلِهم لكُتبهم إلى الأندلس حال عودتهم إليها. كما أن إقامتهم بالمشرق كانت تمتدّ لفترات طويلة، وهو أمر كفيل ليشتدّ تأثّرهم بمنهج المشارقة في الكتابة التاريخية.

ولِأَنَّ عملية التدوين والتأليف التاريخي، تستوجب على المؤرخ الاطلاّع والقراءة والبحث والتنقيب، عن كلّ ما يتّصل بموضوع الكتابة التاريخية مهما كان عنوانه، وذلك حتى يُدرِك ما عاناه سلفه وهو بِقَيْدِ التدوين والكتابة في أي موضوع من مواضيع الكتابة التاريخية.

هذا، وكان الجِلّة من المؤرخين الأندلسيين مِن طبقة الفقهاء، وذلك لأن طبيعة المادة الخبرية في بداية الأمر، كانت لا تخرج عن حدود الكتابة في سيرة النبيﷺ، ومناقب الصحابة الكرام رضي الله عنهم أولا، ثم مغازيهﷺ ثانيا، حيث ارتبطت هاته العملية في مجملها برواية الحديث النبوي الشريف، وهي السمّة الأبرز في بداية عملية التدوين التاريخي عند المسلمين.

وفي الوقت الذي كانت عملية التدوين التاريخي بالأندلس تشق طريقها إلى الظهور، كانت ثمّة عوامل عدّة أثّرت على نشأة وتطور الحركة الثقافية بها، ومنها عملية التدوين التاريخي

تلك، والتي أثرت بشكل إيجابي في هاته الحركية الثقافية، ينضاف إليها رحلة الطلاب الأندلسيين إلى المشرق وبخاصة مصرَ، وكذا رحلة المشارقة إلى الأندلس، وانتشار المذهب المالكي وتغلّبه على المذهب الليثي، حيث أسهمت هذه العوامل مجتمعة في دفع الحركية الثقافية بالأندلس، والانطلاق الفعلي لِمَا سمّي بحركة التدوين التاريخي بالأندلس.

لقد كان لدور الأمراء الأندلسيين الحاسم والفاعل، دور كبير في دعم ورعاية الحياة العلمية ببلاد الفردوس المفقود، حيث شجّعوا العلماء بمختلف أطيافهم، على البحث والدّرس، خاصة خلال القرن الثالث الهجري (03هـ/09م) الذي يُعتبر بحقّ فاتحة للمحاولات الأولى أو الروايات المبكّرة في تاريخ الأندلس.

امتدّ تأثير هذا الفعل الحضاري الذي سنّه الأمراء الأندلسيون، وغذّوه ورعوه غايةً، وبقي الحال على هاته السُنّة الطيّبة بتشجيع العلم والعلماء، إلى بزوغ فجر القرن الرابع الهجري (04هـ/10م)، حيث عرفت الأندلس ذروة الازدهار الثقافي والعلمي، كنتيجة حتمية لهاته السنّة الطيّبة، وبرز على هذا العهد، العديد من المؤرخين الذين وضعوا أسس ودعائم التدوين التاريخي بهاته الأرض المباركة، وأصبحت مؤلَّفَاتهم مرجعًا ومتّكأً للمؤرخين اللاحقين.

ويعتبر كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب الإلبيري (ت238هـ/852م)، المحاولة الأولى خلال فترة مبكّرة من ظهور المؤلفات التاريخية ببلاد الأندلس، حيث جاء طِرْسُه هذا وبقية التصانيف اللاحقة له، فاتحة للأعمال التاريخية الأندلسية، إذْ تعتبر جهوده خلال هذا العهد، خطوة مهمة في تأصيل وتوطيد دعائم التدوين التاريخي بالأندلس.

وقد تبعه على الخُطى نفسها، مُعارك بن مروان (عاش في ق03هـ/09م) صاحب كتاب أخبار الأندلس، الذي يعدّ من المصادر الأساسية للمؤرخين الذين دوّنوا أحداث فتح الأندلس ودور موسى بن نصير في ذلك. كما كان لعبد الله الحُكيّم (تـ341هـ/953م)، دور بارز جدا في كتابة الأنساب، حيث يعتبر كتابه في الأنساب، من المحاولات الأولى الرائدة خلال القرن الرابع (04هـ/10م).

على أنه يجب الإشارة إلى تعدّد أشكال واتجاهات الكتابة التاريخية في الأندلس على نحوٍ مهمٍّ للغاية، فكان منها كتابة التاريخ العام للأندلس، وكتابة تاريخ المدن الأندلسية، وكتابة تاريخ الأندلس شعرا، وكتابة الأنساب وكذا كتابة التراجم.

وفي هاته الاتجاهات؛ برز نجم العديد من المؤرخين الأندلسيين، وشهدت الكتابة التاريخية أعدادا مهمة ممن طَغَتْ عليهم الموسوعية المعرفية، واعتنوا بكتابة التاريخ العام. ومِن هؤلاء المؤرخين آل الرازي (محمد الرازي، وابنه أحمد، وحفيده عيسى) خلال القرن الرابع الهجري (04هـ/10م)، الذين كان لهم الفضل العميم في ازدهار هذا الفنّ. فبظهور هذه العائلة، بدأت كتابة التاريخ بالأندلس تشق طريقها نحو النضج والتميّز، خاصة عندما بدأت تتخلّص مِن ارتباط التاريخ بالعلوم الأخرى، كالفقه والحديث، حتى أصبح التاريخ عِلْما خاصا قائما بذاته. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ فحسب، بل إن عائلة الرازي أَثْرَتْ المدرسة التاريخية بكتاباتها المتنوعة، والتي قدّمت الصورة الحقيقة لجهود المؤرخين الأندلسيين في حقل التدوين التاريخي.

كما اعتنى الأندلسيون كثيرا بكتابة تاريخ مدنهم (التاريخ المحلي)، وذلك في إطار الاعتزاز بمآثرها، حيث كان ذلك مَدْعاةً لتأليف العديد من المؤلفات حول هاته المدن.

وفي الإطار ذاته؛ برز لدى الأندلسيين اتجاه جديد في كتابة تاريخهم، وذلك عن طريق نظم القصائد الشعرية، التي أرّخوا مِن خلالها لتاريخ الأندلس؛ وقد سمّي هذا التوجّه الجديد بالقَصص الشعري أو الأراجيز الشعرية، وهي طريقة استحدثها الأندلسيون لتمجيد أمرائهم، وذِكر بطولاتهم، إذْ يُعدُّ يحي بن حكم الغزال (ت250هـ/864م)، أول مَنْ سنّ هذا الأسلوب في الكتابة التاريخية. وعلى ما يبدو، فإن وظيفة هذا النوع من الشّعر، كان لإشعار العامة بمناقب أمرائهم، وتعظيم تاريخ بلادهم.

وفي خضم الحديث كذلك عن توجهات الكتابة التاريخية بالأندلس، توجّه عديد المؤرخين الأندلسيين للتأليف والكتابة في مجال الأنساب، خاصة بعد دخول الكثير من القبائل العربية إلى الأندلس، ثم اختلاطها بأهلها إلى درجةٍ خِيف ضياع أنسابها، فكانت الضرورة ملحّة لكتابة هاته الأنساب.

كما أن الكتابة التاريخية في الأندلس، امتازت بالتركيز الكبير على كتابة التراجم، باعتبارها أحد الاتجاهات المهمّة للكتابة التاريخية بالأندلس. حيث ألّفوا كثيرا في هذا الاتجاه، والذي أثّرت فيه كثيرا رغبة الأندلسيين للتأكيد على ثراء بلادهم وغناها بالعلماء، فكانت كتابة التراجم، مجالا واسعا رِحْبًا للكتابة التاريخية فيها.

إنّ أهمية كُتب التراجم في دراسة التاريخ الإسلامي كبيرة وشاملة، وذلك لِـمَا تُلْقيه مِن أضواء على الأحوال السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، فضلا عن أنّـها تعكس لنا تطوّرات الـحركة الفكرية، مِن حيث تياراتـها وإنتاجها الثقافي، وبالتالي فهي تكشف عَنْ كُلّ مَنْ أَسْهَمَ في وَضْع أُسُسِ الحضارة الإسلامية، أو شارك في بناء صرحها الشامخ.

ثم إن التأليف في علم الرجال شـمل مـختلف الأنواع وهي: كُتب معرفة الصحابة، وكُتب طبقات الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وتابعيهم ومن تبعهم، وكُتب الـجرح والتعديل، وكُتب تواريخ الـمدن، وكذا كُتب معرفة الأسماء وتـمييزها.

وقد تنوّعَ التّصنيف في عِلم الرجال، مِن كُتب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، إلى كتب الطبقات، فَكُتُب الـجرح والتعديل، إلى كتب التواريخ الـمحلية، وكذا كُتب تـمييز الأسماء بـمختلف أنواعها، لِيُنْبِـئُ على الاعتناء الفائق والـجهد الكبير، والدقة البالغة، الذي أَوْلَاه علماء الأمة لـمعرفة أسـماء الرواة وتـمييزها، بِبَيَان حالِ كلّ رجُلٍ على حِدا، حتى إنك لا تكاد تـجدُ رجلا رَاوِيًّا مِن أهل القرون الثلاثة الأولى، له مشاركة في الرِّواية، إلا وقد عُرِف شخصه وعُرِّف به وبُيِّن حاله.

ولذلك؛ كان هذا العِلم-علم الرجال-بِـحقٍّ، هِبة ربانية لأمة مـحمدﷺ، وخاصيةً امتازت بها عن غيرها مِن الأمم، وهي ميزة لأهل الحديث فيها، إِذِ امتازوا بها عَنْ غيرهم مِنَ الطوائف التي لَـمْ تَظْفَرْ بِنَصِيبٍ يُذكر في هذا العِلم.

ونظرا لِـمَا كان للصحابة رضوان الله عليهم مِنْ مَكانة، وعَظِيمِ مَنْزلةٍ في الأمّة، فقد اعتنى العلماء بأخبارهم وأحوالهم، وأَوْلَوْها مكانة خاصة، فقاموا بِبَيَان مكانتهم، وجمعوا مَرْوياتهم. وقد ظهر ذلك جليا في تأليفهم لكُتُب كثيرة متنوعة، منها: كتب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، وكتب الطبقات، وكتب التواريخ، وكتب الفضائل وغيرها. ولا غرابة في هذا الفضل، فَهُمْ صَفْوَة الخلق بعد الأنبياء والرسل، وقد اصطفاهم الله تعالى وحباهم لصحبة خير خلقهﷺ.

كما أنّ عِلْم التراجم في بدايته اقتصر على كتابة سِيَر رجال الحديث، لأنهم حَمَلة السُّنَّة والمحافظون عليها، والذابّون عنها مِن الوضع والاختلاق والكذب، والتصحيف والتحريف.

وأوّل ما ظهر هذا العلم، كان لدراسة أسانيد الحديث النبوية، وتـــمييز صحيحها من سقيمها وضَعيفها، وبيان أحوال رواتـــها.

غير أن هذا الأمر اقتصر أوّل الأمر على التعريف بالشخصيات الدينية، ثم تعدّاه إلى الشخصيات الدنيوية كالخلفاء والأمراء والوزراء وغيرهم، خاصة بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وامتزاجها بما حولها مِن الحضارات والثقافات الجديدة، لتنتقل بعدها في فترات لاحقة إلى الاشتغال بتراجم جميع شرائح المجتمعات الإسلامية، مِن علماء وفقهاء وقضاة، وأدباء وشعراء، وغيرهم.

وفي هذا الإطار، ظهر هناك نوعان من كتب التراجم في الأندلس؛ العامة والخاصة. فأما كُتب التراجم العامة فهي كتب شاملة وجامعة، نـَجِد فيها ذِكرا لـــجميع الفئات العلمية والعناصر الفكرية، إِذْ فيها المفسِّر والمحدِّث والمقرئ، والأديب واللغوي والشاعر، والفقيه والطبيب، فضلا عن النسّابة والـــمؤرّخ وغيرهم. ومن أشهر مَن صنّف فيها خالد بن سعد القرطبي، وابن الفرضي.

وأما كُتب التراجم الخاصة، فقد تنوّعت مِن مؤلِّفٍ أو مصنِّفٍ لآخر، واتّسمت بالكثرة والغزارة–وأغلبها في تعداد الـــمفقود–وتوزعت على عدّة أصناف منها: تراجم فئات معينة، ثم تراجم رجال بلد معيّن، وكذا تراجم فئات معيّنة في بلد معيّن، وفهارس أو برامج وتسمية الرجال، وأخيرا تراجم رجال مذهب واحد.

ومن كتب التراجم الخاصة الهامة في هذا الإطار كتاب "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جُلْجُل، الذي يعتبر مِن أهم ما أُلِّف في تاريخ العلوم وتطور حركة التأليف والترجمة خلال القرن الرابع الهجري (ق04هـــ/10م). كما أن له ميزة خاصة بوَّأتْهُ مكانة علمية هامة بين أقرانه، ألا وهي اعتماده فيما رجع إليه مِن مصادر، على تراجم عربية لأصول لاتينية تاريخية، ولذلك جاء كتابه كأول مُدوّنة تاريخية استفادت مِن هاته الترجمات، سواء في عصره أو قبله بقليل، وأصبح بذلك أول أندلسي بلا منازع، ألّف في طبقات الأطباء والحكماء.

وبهذا، يكون ابن جلجل قد بَعَثَ حركة التأليف التاريخي بِمَنْهجٍ رصين وجديد، قائمٍ على توزيع التراجم على الطبقات، وسار فيه مسارا ليس فيه تقليدٌ لـِمَنْ سَبَقَه في نوعية التراجم، وأقحم للتّاريخ مـَجَالًا جديدا؛ رِحْبًا وخِصْبًا، ألا وهو تراجم الأطباء والحُكماء. كما

أنه نجح كذلك؛ في تقديـــم صورة سريعة عن تطور الفلسفة والطبّ على مَرّ العصور، مُركِّزًا على بَلَده الأندلس، التي ختم حديثَه بها وبأطبائِها، مراعاة للتَراتُبية التاريخية. فغدا بذلك كتابه أساسا مَتِينا بَنَى عليه مَنْ لَـــحِقَه وجاء بعده مِن كُتّاب التراجم والعلوم، من أمثال ابن الأبار والقِفطي وابن أبي أصيبعة والطبيب الزهراوي الأندلسي، الذين نقلوا عنه كثيرا في مؤلفاتهم.

ومِن هؤلاء كذلك؛ الخشني نموذجُ المؤرخ الفذّ، الذي لم يَحصر اهتمامه في مجال التاريخ وحده، لتعدّد اهتماماته العلمية كالفقه والحديث. وقد جاء اهتمامه بالتأليف في تراجم الفقهاء والمحدّثين كنتيجة لذلك، حيث توّجَهُ بكتاب "أخبار الفقهاء والمحدّثين"، الذي يعتبر نموذجا حيّا لكتب التراجم في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري (4هـــ/10م)، وبه سدّ ثغرة كبيرة في المدونات التاريخية الأندلسية، وحوى بين طيّيه معلومات تمتاز بالجِدّة والدقّة والشمولية. هاته المعلومات؛ شكّلت فيما بعد مادة دسمة لأصحاب التراجم التّالين له، إذْ نقلوا عنه الكثير من النصوص والتراجم.

وعليه، فإن المصادر التي تقدم ذكرها، كانت اللبنة الأولى والأساسية في التأسيس لعلم التراجم في الأندلس، والدافع الرئيس للمؤرخين خلال القرون التالية؛ من الخامس إلى التاسع الهجريين (ق5-9هـــ/11-15م) للنهوض بهذا العلم، بل وتطويره وجعله رافدا مهما من روافد الكتابة التاريخية الأندلسية.

وفي هذا السياق، جاءت شهرة أبي الوليد بن الفرضي من خلال كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، الذي جعل منه رائدا لعلم التراجم والتأريخ للأعلام بالأندلس، حيث اتسم فيه بمواصفات علمية راقية، كغزارة العلم والأمانة في النقل، والتحرّي الدّقيق في تتبّع أخبار العلماء وسِيرهم، فضلا عن إتقانه وضبطٍ لما كتب ودَوَّن مِن تواريخ وأحداث ووقائع، وبذلك يكون قد أسهم في إثراء المكتبة التاريخية الأندلسية عموما، وعلم التراجم بوجه أخصّ.

وبكتابه هذا؛ تأسّست مدرسة التراجم الأندلسية-بالمعنى الدقيق-على يديه خلال القرن الرابع الهجري (ق04هـــ/10م)، وحققت نهضة كبرى، سواء على مستوى الشمول والضخامة، وكثرة عدد العلماء المترجَم لهم، أم على مستوى التدقيق والتوثيق والمنهج المتّبع الذي طبّقه إلى حدّ كبير في كتابه، أم على مستوى المصادر الكثيرة التي وظفها وأورد قدرا من بقايا مؤلفاتها، أو في تثبّته قبل النقل، وحُسن اختياره لها. كما أن خاصية تنوع المصادر التاريخية

لكتاب "تاريخ علماء الأندلس"، تعكس مدى اهتمامه بالبحث التاريخي عامة، وعلم التراجم خاصة.

وقد أدّى توظيف ابن الفرضي لمعاصرته ومعايشته للأحداث في الكتابة التاريخية، إلى إضفاء أهمية كبيرة لنصوص التراجم التي أوردها بين طيي كتابه، حيث ارتقى بها إلى مصاف رواية الشاهد على العصر، وهو ما أضفى لهاته الشهادة حسن الصياغة التاريخية، ودرايته الواسعة بعلم التاريخ.

كما أسهمت اقتباساته من خلال كتابه المذكور، في الاحتفاظ بنصوص كثيرة من المصادر التاريخية الأندلسية المفقودة، وبالتالي شكّل كتابه حلقة وصل هامة بين المصادر السابقة على غرار كتابات الرازي (تـــ344هـــ/955م) واللاحقة له، إذ جعلته ركيزة أساسية في نسج لُحمتها التاريخية.

وقد ظلّ كتاب ابن الفرضي عمدةَ تراجم الأندلسيين، للمصادر التي أتت بعده. فَقَد نَقَل عنه كلٌّ مِن ابن حيان (تـــ469هـــ/1076م) في كتابه "المقتبس"، والقاضي عياض (تـــ544هـــ/1149م) في "المدارك"، وابن عساكر (تـــ571هـــ/1175م) في "تاريخ دمشق"، وابن بشكوال (تـــ578هـــ/1182م) في "الصلة"، والضبي (تـــ599هـــ/1203م) في "بغية الملتمس"، والقِفطي (تـــ642هـــ/1244م) في كتابه "إنباه الرواة"، وابن الأبار (تـــ658هـــ/1259م) في "التكملة لكتاب الصلة"، وابن العديم (تـــ660هـــ/1261م) في "بغية الطالب"، وابن خلكان (تـــ681هـــ/1282م) في "وفيات الأعيان"، وابن عبد الملك المراكشي (ت703هـــ/1303م) في "الذيل والتكملة"، وابن منظور (تـــ711هـــ/1311م) في "مختصر تاريخ دمشق"، والذهبي(تـــ748هـــ/1347م) في "ميزان الاعتدال" و"سير أعلام النبلاء" و"تاريخ الإسلام"، والصفدي (تـــ764هـــ/1362م) في "الوافي بالوفيات" وفي "أعيان النصر وأعوان العصر"، وابن الخطيب (تـــ776هـــ/1374م) في "الإحاطة"، وابن فرحون (تـــ799هـــ/1396م) في "الديباج المذهّب"، والمقريزي (تـــ845هـــ/1441م) في "المقفى"، والسيوطي (تـــ911هـــ/1505م) في "بغية الوعاة"، والمقري (تـــ1041هـــ/1631م) في "نفح الطيب".

كما أنه أثّر فيمن أتى بعده من المؤرخين الأندلسيين، إلا أن تأثيره لم يتوقّف عند هذا الحدّ، بل إنه وجّههم إلى تقليد منهجه وطريقته في التنظيم والتبويب وكذا اختيار الموضوع.

ويكفي في هذا الصدد، أن نذكر أنه قامت على كتابه عدّة مصادر، أكملت واستدركت ما فاته. وينضاف إلى ما سبق ذِكره، أنه استحدث نمطا جديدا في علم التراجم، ألا وهو كتب الصلات والتكملات الأندلسية (الصلة، تكملة الصلة، والذيل والتكملة وغيرها).

هذا، وعرفت الكتابة التراجمية في الأندلس، ازدهارا كبيرا منذ أنْ وضع أسسها العامة ابن الفرضي (ت403هـ/1013م) في كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، وهو الذي سار على مَنواله العديد مِن المؤرخين الذين عملوا على وَصل وتكملة وتذييل كتابه، حيث ظهرت في هذا الصدد العديد من الأسفار والتصانيف التراجمية الماتعة بعد وفاته؛ منها ما هو مطبوع ومحقّق متداول، ومنها ما هو في تعداد المفقود.

كما ظهرت أيضا، كتب البرامج والفهارس ومعاجم الشيوخ، التي ذاعت وانتشرت بشكل خاص خلال القرن الخامس الهجري (ق05هـ/11م). ويعتبر هذا النوع من التآليف، من المصادر الهامة التي لا يستغني عنها الدارس للحركة الثقافية والعلمية في الأندلس، خلال الفترة المذكورة والفترات اللاحقة.

ويعدّ هذا النوع من التصانيف كذلك، وثيقة مصدرية وازنة، حيث إنها حفظت لنا مجموعة قيّمة من المعلومات الهامة عن بيئة مؤلّفيها وعصورهم التي عاشوا فيها، وكذا ثقافتهم وشيوخهم. وهي تساعدنا على معرفة الكتب المتداولة خلال تلك العهود وإحصائها، في مختلف الفنون والعلوم، وكذا الطرق التعليمية السائدة وقتذاك.

وبذلك، تكون كتب الفهارس والبرامج، قد أعطتنا صورة واضحة المعالم، عن علماء الأندلس في مختلف العلوم، وكذا أسامي الكتب الخاصة التي ضاعت فيما ضاع من تراث الأندلس، ولعل خير مثال يُساق في هذا الصدد فهرسة ابن خير الإشبيلي (ت575هـ/1179م)، التي حفظت لنا عناوين الكثير من المصنّفات الأندلسية.

ثم إن الكتابة التراجمية في الأندلس عرفت نوعا آخر من التآليف في هذا الفنّ، ألا وهو كتب الصلات والذيول، التي وضع أُسُسَها العامة ابن الفرضي في كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، والذي مثّل بحقّ أولى حلقاتها، ومِن أجلّ من أُلّف في بابه.

وقد بوّأه كتابه المذكور، لأن يكون أُسوةً لأقران عصره وعلماء مَصره، فراحوا يؤلّفون على نهجه ويمشون على سَنَنِه. ولم تَكَد تَمضِ عهود قليلة عن وفاته، حتى شرع العلماء في الوَصل والتذييل عليه.

ويعدّ ابن مهلّب (توفي في حدود 450هـ/1058م)؛ تلميذ ابن الفرضي، أوّل وأقدم مؤلِّفٍ وَرد ذِكره عند كتب الإخباريين في هذا السياق، حين وصل مؤلف شيخه ابن الفرضي، بمؤلَّف مهّد لظهور أجيال كاملة مِن أصحاب التراجم، دَرَجوا على النهج نفسه وتتابعوا عليه، منذ القرن الخامس الهجري (ق05هـ/11م). وقد تعاقب على ذلك، ثلة من خِيرة كُتّاب التراجم، ابتداءً بابن بشكوال (ت578هـ/1182م)، ثم الضبي (ت599هـ/1202م) الذي ذيّل على كتاب "جذوة المقتبس للحميدي (ت488هـ/1094م).

هذا، وتواصلت كتابة التذييلات على كتابي ابن الفرضي (ت403هـ/1013م) وابن بشكوال (ت578هـ/1182م) إلى غاية القرن السابع الهجري (ق07هـ/13م)، وذلك مع أبي الخطاب بن واجب (ت614هـ/1217م) الذي ألّف استدراكا على ابن الفرضي. وكذلك فعل عبد الله بن قاسم الحرار (ت646هـ/1248م) في كتابه "المنهج الرضي في الجمع بين كتابي ابن بشكوال وابن الفرضي بزيادة على ذلك"، حيث سلك فيه مسلكا وسطا في الجمع والتوفيق بين تاريخ ابن الفرضي وصلة ابن بشكوال.

إلا أنّ ما يؤسَف له كثيرا، هو أنّ هاته التذييلات لازالت في تعداد المفقود، ولم يصلنا منها إلا شذرات متفرقات بين ثنايا كتب التراجم.

وبعد هاته الذيول، ظهر كتاب "التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار (ت658هـ/1260م)، الذي انتفع بكل التذييلات التي سبقته. ويعتبر هذا السّفر النفيس، الحلقة الثالثة في سلسلة كتب الصلات الأندلسية، إذْ حوى بين طيّيه أكبر عدد من تراجم العلماء مقارنة بمن سبقه (ابن الفرضي وابن بشكوال). وبالرغم مِن أنّ كتابه حوى تراجم سبق ذِكرها عند ابن الفرضي وابن بشكوال، إلا أنه يعدّ مِن أجود ما أُلِّف في بابه، بالرغم من أنّه لم يُذَيَّل عليه.

ومن أشهر ذيول الصلة لابن بشكوال معاصر ابن الأبار؛ ابن فرتون (ت660هـ/1261م)، الذي ذيّل هو الآخر على ابن بشكوال، وللأسف الشديد فإنه في تعداد المفقود كذلك. إلا أن الميزة الحسنة فيه، هو أنه تم الاستدراك عليه في القرن الثامن الهجري

(ق08هـ/14م) مِن طرف تلميذه ابن الزبير (ت708هـ/1308م)، الذي أصلح كتابه وكمّله، وأحياه مِن جديد.

كما أنّ الكتابة التراجمية في الأندلس، بلغت قمة نضجها وتألقها مع ابن عبد الملك في كتابه "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"، الذي يعدّ أعظم حلقات سلسلة الصلات الأندلسية فائدة، وأجلّها عائدة، وأكبرها حجما، فعُدّ بذلك موسوعة تاريخية، خاصة بالمغرب والأندلس.

وفي السياق لابد من التأكيد على أن مصنّفات لسان الدين ابن الخطيب أيضا، كان لها شهرتها في مجال التراجم، ومنها كتابه "عائد الصلة" الذي يعتبر الحلقة الأخيرة من حلقات الصلات الأندلسية، إذْ به خُتمت هاته السلسلة. دون أن ننسى كتابه "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام" الذي يعتبر آخر ما ألّف ابن الخطيب قبل أن يلقى مصرعه، وكذا كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة" الذي يعدّ أشهرَ كتبه، التي رام من خلالها أن يحذو فيه حذو الخطيب البغدادي وابن عساكر وغيرهما من مؤرخي المدن الإسلامية، فجاءت "الإحاطة" تتويجا لما أُلِّف حول المدن في الأندلس.

وبذلك، تبوّأت "الإحاطة" مكانة عالية من بين أهم المصادر الأندلسية في التراجم والتاريخ، وعُدّ بذلك مؤلِّفها ابن الخطيب خاتمة مؤرخي الأعلام في الأندلس، كما كان آخر أديب كبير ذاعت شهرته مشرقا ومغربا، فبقي اسمه مقرونا في ذاكرة الناس بالأندلس، حتى إنّ المقّري جعله قسيما لها في كتابه الذي أسماه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذِكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب".

كما ظهر أيضا في القرن التاسع الهجري (ق09هـ/15م)، كاتب آخر هو أبو بكر بن عاصم الغرناطي، الذي قام بالتذييل على كتاب ابن الخطيب "الإحاطة"، في مؤلَّفه الموسوم بـ "الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقريض".

إنّ تدوين وكتابة التراجم في الأندلس، وخاصة منها كتب الصلات والذيول الأندلسية التي ابتدأت أولى حلقاتها مع ابن الفرضي (ت403هـ/1013م) في كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، وتواصلت مع ابن بشكوال (ت578هـ/1182م) في كتابه "الصلة"، ثم نَمَتْ وترعْرَعَت مع ابن الأبار (ت658هـ/1260م) في كتابه "التكملة لكتاب الصلة"، وأَيْنَعَتْ على يدي ابن الزبير

(تـــ708هـــ/1308م) في كتابه "صلة الصلة"، ثم بلغت ذروتها ونضجها مع ابن عبد الملك (تـــ703هـــ/1303م) في "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"، ووصلت خاتمة المطاف مع ابن الخطيب (تـــ776هـــ/1374م) في "عائد الصلة"؛ كان الباعث مِن ورائها هو شعور الأندلسيين بوطنيتهم وحرصهم على تخليد هويتهم، وما هذه السلسلة إلا دليل على ذلك.

ولولا الحسّ التاريخي لدى الأندلسيين، والشعور القوي بهويتهم، وحرصهم الدائم على تدوين أخبار بلدهم، وتراجم رجالهم، لما عرفنا عنهم شيئا، ولَضَاعَ الأثر بعد ضياع العين، ولكن شاء الله تعالى أنْ تذهب العين ويبقى الأثر؛ فقد ذهبت الأندلس بلاد الفردوس المفقود وأهلها، وبقي في الناس ذِكرُها وتاريخها.

هذا، ويبقى موضوع كتابة التراجم في الأندلس خلال الفترة المدروسة (ق04-09هـــ/10-15م)، يثير الكثير من الإشكاليات ومواضيع البحث الأخرى التي لا تزال حقلا بِكرا يتطلّب عناية كبيرة من طرف الباحثين.

ومِن ضمن هاته المواضيع التي هي بمثابة استشراف لما سيأتي من دراسات وافدة مستقبلا، إذْ نؤكّد في هذا السياق على أهميتها الكبيرة في تاريخ الأندلس والمغرب على حدٍّ سواء، ومنها: أهمية كتب الصلات في دراسة الصلات الفكرية بين الغرب الإسلامي والمشرق، وكذا القيمة الأدبية لكتب الصلات الأندلسية، وغيرها من المواضيع ذات الصلة بموضوع الأطروحة، ويبقى أملنا قائما في استكمالها في قادم الأيام والأبحاث، أو أنْ تكون بداية لدراسات جديدة وجادة من زوايا أخرى مختلفة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

المصادر:

-أ-

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (تـــ658هـــ):

1. تحفة القادم، أعاد بناءه وعلق عليه: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1986.

2. التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1989.

3. التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: بشار عواد معروف، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2011.

4. التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، لبنان: دار الفكر للطباعة، 1995.

5. الحلة السيراء، حققه وعلّق حواشيه: حسين مؤنس، القاهرة: دار المعارف، ط2، 1985.

6. درر السمط في خبر السبط، تحقيق: عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، ب ط، ب ت.

7. ديوان ابن الأبار، قراءة وتعليق: عبد السلام الهراس، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1999.

8. المعجم في أصحاب القاضي الصدفي أبي علي حسين بن محمد (تـــ594هـــ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1989.

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن (555-630هـــ):

9. الكامل في التاريخ، حققه واعتنى به: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، 2012.

10. اللباب في تهذيب الأنساب، بغداد: مكتبة المثنى، د ط، د ت.

أحمد بن حنبل، الإمام (164-241هـــ):

11. المسند، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1997.

ابن الأحمر الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمد (تـــ807هـــ):

12. أعلام المغرب والأندلس نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1987.

13. نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، دراسة وتحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت: دار الثقافة، 1967.

الأدنة وي محمد بن أحمد (من علماء ق11هـ):

14. طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1997.

ابن الأزرق الحميري الأصبحي الغرناطي، أبو عبد الله محمد بن علي (ت896هـ):

15. روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، تقديم وتحقيق: سعيدة العلمي، طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1999.

ابن إسحاق، محمد بن يسار المطلبي المدني (ت151هـ):

16. السيرة النبوية، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004.

الأصبهاني، أبو نعيم (ت430هـ):

17. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، القاهرة: مكتبة الخانجي، بيروت: دار الفكر، 1996.

ابن الأمين، أبو إسحاق إبراهيم الطليطلي (489-544هـ):

18. الاستدراك على الاستيعاب رواية أبي القاسم بن بشكوال (494-578هـ) مع زياداته، دراسة وتحقيق: حنان الحداد، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، منشورات وزارة الأوقاف بالمغرب، ط1، 2008.

الأندلسي؛ ابن شهيد:

19. ديوان ابن شهيد الأندلسي، جمعه وحققه: يعقوب زكي، راجعه: محمود علي مكي، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

-ب-

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت256هـ):

20. التاريخ الكبير، حيدر آباد-الدكن: دائرة المعارف العثمانية، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

البرزالي الإشبيلي الدمشقي، علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف (تـــ739هـــ):

21. المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 2006.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (تـــ578هـــ):

22. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم، حققه وضبط نصه وعلّق عليه: بشار عواد معروف، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2010.

23. الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1989.

24. كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، 1955.

25. كتاب الصلة ومعه كتاب صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي (تـــ708هـــ)، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2008.

البغدادي إسماعيل باشا بن محمد أمين:

26. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

27. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (392–463هـــ):

28. تاريخ مدينة السلام وأخبار محدّثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها وواردیها، حققه وضبط نصه وعلّق عليه: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002.

البكجري الحنفي، مُغْلطاي بن قليج بن عبد الله علاء الدين (689–762هـــ):

29. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 2001.

30. الدُّرُّ المنظوم من كلام المصطفى المعصوم، تقديم وتعليق: حسن عبَجي، إشراف ومراجعة: محمد عوّامة، ب ط، ب ت.

-ت-

التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب:

31. مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1979.

التجيبي، القاسم بن يوسف السبتي (تـــ730هـــ):

32. برنامج التجيبي، تحقيق وإعداد: عبد الحفيظ منصور، ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1981.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن (تـــ874هـــ):

33. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، ط1، 1992، بيروت: دار الكتب العلمية.

34. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

التنبكتي، أحمد بابا (963-1036هـــ):

35. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ليبيا: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1989.

36. كفاية المحتاج لمعرفة مَن ليس من الديباج، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، المغرب: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2000.

-ث-

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري (تـــ429هـــ):

37. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983.

-ج-

الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (150-255هـــ):

38. الحيوان، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2003.

ابن أبي جرادة العقيلي، بن العديم كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (تـــ660هـــ):

39. بغية الطلب في تاريخ حلب، حققه وقدّم له: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر.

ابن الجزري، الدمشقي الشافعي شمس الدين (تـــ833هـــ):

40. سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ضبطه وشرحه وعلّق عليه: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1984.

41. غاية النهاية في طبقات القراء، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2006، طبعة جديدة مصححة اعتمدت على الطبعة الأولى للكتاب التي عني بنشرها سنة 1932 ج. برجستراسر.

ابن جلجل، أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي (تـــ377هـــ):

42. طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (510–597هـــ):

43. سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ضبطه وشرحه وعلّق عليه: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1984.

-ح-

الحازمي الهمذاني، أبو بكر محمد بن موسى بن أبي عثمان (تـــ584هـــ):

44. كتاب عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب، حققه وعلق عليه وفهرسه: عبد الله كنون، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطبعة الأميرية، ط2، 1973.

الحباك أبو إسحاق، إبراهيم بن سعيد بن عبد الله (391–482هـــ):

45. وفيات المصريين 375–456هـــ، تحقيق: أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد، الرياض: دار العاصمة، ط1، 1408هـــ.

ابن حبان، محمد بن أحمد (تـــ354هـــ):

46. كتاب الثقات، الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1973.

ابن حبيب، السلّمي الأندلسي عبد الملك (174–238هـــ):

47. تفسير غريب الموطّأ، حققه وقدّم له: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2001.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (تـــ852هـــ):

48. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، قدم له وقرّضه: محمد عبد المنعم البري وعبد الفتاح أبوسِنة وجمعة طاهر النجار، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995.

49. إنباء الغُمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة: لجنة إحياء التراث العربي، 1969.

50. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، 1967.

51. تجريد الوافي، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، بيروت: مؤسسة الريان، ط1، 2013.

52. تهذيب التهذيب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، السعودية: منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004.

53. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، السفر الثالث، بيروت: دار الجيل، 1993.

54. لسان الميزان، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، اعتنى بإخراجه وطباعته: سلمان عبد الفتاح أبو غدة، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط1، 2002.

55. مشيخة ابن حجر العسقلاني المسماة: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار المعرفة، ط1، 1992.

56. الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس وديوان بني فرج شعراء جيان، جمعه ورتّبه وشرحه: رضوان الداية، جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، الإمارات: تراث الإمارات، 2003.

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (384–456هـ):

57. رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1987.

58. جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار المعارف، ط5، 1982.

59. الإعراب عين الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس، دراسة وتحقيق: محمد بن زين العابدين رستم، تقديم: زين العابدين بن محمد بلافريج، الرياض: دار أضواء السلف، ط1، 2005.

الحسيني عز الدين، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (636–695هـ):

60. صلة التكملة لوفيات النَّقَلَة، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2007.

الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر (420–488هـ):

61. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط3، 1989.

62. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2008.

الحميري، محمد بن عبد المنعم أبو عبد الله (تـ900هـ):

63. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ط2، 1984.

ابن حيان القرطبي، حيّان بن خلف (377–469هـ):

64. المقتبس مِن أنباء أهل الأندلس، حققه وقدّم له وعلّق عليه: محمود علي مكي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1973.

65. المقتبس، ج5، اعتنى بنشره: ب. شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع: ف. كورينطي و م. صبح وغيرهما، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979.

66. كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام 275-300، تحقيق وشرح وتعليق: إسماعيل العربي، الرباط: منشورات الأمان، ط1، 1990.

67. المقتبس مِن أنباء أهل الأندلس، حققه وقدم له وعلق عليه: محمود علي مكي، القاهرة: لجنة إحياء التراث، 1994.

68. المقتبس، السِّفر الثاني، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه: محمود علي مكي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2003.

-خ-

ابن خاقان، بن عبد الله القيسي الإشبيلي أبو نصر (تـ529هـ):

69. مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت: دار عمار–مؤسسة الرسالة، ط1، 1983.

الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد (تـ361هـ):

70. أخبار الفقهاء والمحدّثين، دراسة وتحقيق: ماريا لويس آبيلا ولويس مولينا، مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، 1991.

71. طبقات علماء إفريقية، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 1993.

72. قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسني، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1994.

73. قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط2، 1989.

ابن الخطيب السلماني، لسان الدين (تـــ776هـــ):

74. الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1973.

75. الإحاطة في أخبار غرناطة، شرحه وضبطه وقدم له: يوسف علي طويل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003.

76. أعمال الأعلام أو تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي وابراهيم الكتاني، ج3، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1964.

77. أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003.

78. تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2، تحقيق وتعريب: إ. ليفي بروفنصال، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004.

79. ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1981.

80. الكتيبة الكامنة فمين لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1983.

81. اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه: محب الدين الخطيب، القاهرة: المطبعة السلفية، 1928.

82. كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: محمد كمال شبانة، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2002.

83. نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، الدار البيضاء: الدر المغربية للنشر والتوزيع، ب ت.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (تـــ808هـــ):

84. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ط2، 1988.

ابن خلكان، أبو العباس (تـــ681هـــ):

85. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د ت.

خليفة بن خياط، شباب العصفري (تـــ240هـــ):

86. كتاب الطبقات، رواية: أبي عمران موسى بن زكريا التُستري، حققه وقدم له: أكرم ضياء العمري، بغداد: مطبعة العاني، ط1، 1967.

87. تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995.

ابن خميس أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر:

88. أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق: عبد الله المرابط الترغي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الرباط: دار الأمان، ط1، 1999.

ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد (502–575هـــ):

89. الفهرسة، حققه وضبط نصّه وعلّق عليه: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2009.

90. فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، وقف على نسخها وطبعها ومقابلتها: فرانسيسكو كوديرا وخوليان ريبيرا، ط3، 1963.

–د–

الدارقطني البغدادي، أبو الحسن علي بن عمر (تـــ385هـــ):

91. المؤتَلِف والمختَلِف، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1986.

الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت945هـ):

92. طبقات المفسرين، تحقيق: على محمد عمر، القاهرة: مكتبة وهبة، ط2، 2007.

الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأُسيدي الأنصاري (605-696هـ):

93. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه: أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق: إبراهيم شبوح، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1968.

ابن دحية الكلبي، أبو الخطاب عمر ابن حسن الأندلسي (تـ633هـ):

94. المُطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، راجعه: طه حسين، بيروت: دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، 1955.

الدمشقي، الصالحي أبو عبد الله محمد بن أحمد (تـ744هـ):

95. طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1996.

-ذ-

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (تـ748هـ):

96. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عود معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003.

97. تذكرة الحفاظ، بيروت: دار الكتب العلمية.

98. تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: غنيم عباس غنيم ومجدي السيد أمين، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 2004.

99. ذِكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل (مطبوع ضمن أربع رسائل في علوم الحديث)، اعتنى بها: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط5، 1990.

100.سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب كاملا وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط11، 1996.

101.العبر في خَبر مَن غَبر، حققها وضبطها: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1985.

102.الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، قابلهما بأصل مؤلفيهما وقدم لهما وعلق عليهما وخرّج نصوصهما: محمد عوّامة وأحمد محمد نمر الخطيب، جدة-السعودية: دار القبلة للثقافة الإسلامية -مؤسسة علوم القرآن، ط1، 1992.

103.كتاب المعين في طبقات المحدّثين، تحقيق: همام عبد الرحمن سعيد، الأردن: دار الفرقان، ط1، 1984.

104.المستملح من كتاب التكملة، حققه وضبط نصه وعلّق عليه: بشار عواد معروف، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2008.

105.معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: طيار آلتي قولاج، استمبول، 1995.

106.ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة للطباعة، ط1، 1963.

-ر-

الرازي، محمد أبي بكر بن عبد القادر (تـــ666هـــ):

107.مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، بيروت: مكتبة لبنان، ب ط، 1986.

الرازي؛ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر (تـــ327هـــ):

108.كتاب الجرح والتعديل، بيروت: دار الكتب العلمية، الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1953.

الرامهرمزي؛ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاّد:

109.المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، بيروت: دار الفكر، ط1، 1971.

الرعيني الإشبيلي، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (592-666هـــ):

110.برنامج شيوخ الرعيني، حققه: إبراهيم شبوح، دمشق: مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، 1962.

-ز-

الزبيدي؛ الأندلسي أبو بكر محمد بن الحسن (تـــ379هـــ):

111.طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط2، 1984.

ابن الزبير الثقفي، أحمد بن إبراهيم (تـــ708):

112.البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي، السعودية: دار ابن الجوزي، ط1، 1428هـــ.

ابن أبي زرع الفاسي:

113.الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط: المنصور للطباعة، 1972.

-س-

سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن قِزْ أوغلي بن عبد الله (581-654هـــ):

114.مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، حققه وعلق عليه: إبراهيم الزيبق، دمشق: دار الرسالة العالمية، ط1، 2013.

سبط ابن العجمي، برهان الدين الحلبي الشافعي أبو الوفا الشافعي (تـــ841هـــ):

115.الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط، دراسة وتحقيق وزيادات في التراجم: علاء الدين علي رضا، وسمى تحقيقه: نهاية الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط، القاهرة: دار الحديث، ط1، 1988.

السبكي تاج الدين، أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (727-771هـــ):

116. طبقات الشافعية، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، ط2، 1413هـــ.

السجستاني، أبو داوود سليمان بن الأشعث الأزدي (202-275هـــ):

117.سنن أبي داوود، حققه وضبط نصه وخرّج أحاديث وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دمشق: دار الرسالة العلمية، ط1، 2009.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (تـــ 902هـــ):

118.الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التوريخ، تحقيق: سالم بن غتر بن سالم الظفيري، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، 2017.

119.الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت: دار الجيل، ط1، 1992.

120.فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق وتعليق: الشيخ علي حسن علي، القاهرة: مكتبة السنة، ط1، 2003.

121.القول المعتبر في ختم النسائي رواية ابن الأحمر، تحقيق: جاسم بن محمد بن محمود الفجي، بيروت: دار ابن حزم-المكتب الإسلامي، ط1، 1999.

ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (تـــ230هـــ):

122. الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1997.

ابن السكيت (186-244هـــ):

123.إصلاح المنطق، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار الـــمعارف، 1949.

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (تـــ 562هـــ):

124.الأنساب، الهند: دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1977.

السيوطي، جلال الدين (تـــ911هـــ):

125.بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا-لبنان: المكتبة العصرية، ط1، 1965.

126.تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، عناية: مازن بن محمد السرساوي، السعودية: دار ابن الجوزي، ط1، 1431هـــ.

127.حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار إحياء الكتب العربية-عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1967.

128.طبقات الحفاظ، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983.

129.طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1976.

130.المحاضرات والمحاورات، تحقيق: يحي الجبوري، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003.

-ش-

الشيرازي الشافعي، أبو اسحاق (تـــ476هـــ):

131.طبقات الفقهاء، حققه وقدم له: إحسان عباس، بيروت: دار الرائد العربي، ط1، 1970.

الشنتريني، ابن بسام أبو الحسن علي (تـــ542هـــ):

132.الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1997.

-ص-

ابن صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحـــمد (تـــ 462هـــ):

133.كتاب طبقات الأمم، نشره وذيّله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس: لويس شيخو، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1912.

الصدفي المصري، أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى (281-347هـــ):

134.تاريخ ابن يونس الصدفي، القسم الثاني: تاريخ الغرباء، جمع وتحقيق ودراسة وفهرسة: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، بيروت: منشورات علي بيضون-دار الكتب العلمية، ط1، 2000.

الصفدي صلاح الدين، خليل بن أيبك بن عبد الله (تـــ764هـــ):

135.كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 2000.

ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو تقي الدين (تـــ643هـــ):

136.معرفة أنواع علوم الحديث ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، 1986.

-ض-

الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (تـــ599هـــ):

137.بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب المصري، ط1، 1989.

-ع-

ابن عاصم، أبو يحي محمد الغرناطي (تـــ857هـــ):

138.جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى، تحقيق: صلاح جرّار، عمّان: دار البشير للنشر والتوزيع، 1989.

العامري الحرضي اليماني، يحي بن أبي بكر بن محمد بن يحي بن حسين (816-893هـــ):

139.غربال الزمان في وفيات الأعيان، صححه وعلّق عليه: محمد ناجي زعبي العمر، إشراف: عبد الرحمن بن يحي الإرياني، دمشق: مطبعة زيد بن ثابت، 1985.

ابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (368-463هـــ):

140.بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذّاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1981.

ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله (تـ214هـ):

141.سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، نسخها وصححها وعلق عليها: أحمد عبيد، بيروت: عالم الكتب، ط6، 1984.

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن القرشي (تـ257هـ):

142.فتوح مصر وأخبارها وفتح إفريقية والمغرب والأندلس، حققه وقدم له: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2004.

ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد (تـ 328هـ):

143.العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983.

144.ديوان ابن عبد ربه الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره، حققه وشرحه: محمد التونجي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1993.

العبدري محمد بن محمد بن علي، بن أحمد بن سعود (توفي بعد 700هـ):

145.رحلة العبدري، حققها وقدّم لها: علي إبراهيم كروي، قدّم لها: شاكر الفحّام، دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط2، 2005.

ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (634-703هـ):

146.الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، حققه وعلق عليه: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2012.

ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله (تـوفي نحو 695هـ):

147.البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وإ.ليفي بروفنسال، بيروت: دار الثقافة، ط3، 1983.

148.البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2013.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (تـ571هـ):

149. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واريديها وأهلها، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمرو بن غرامة العمروي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1995.

ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح (1032–1089هـ):

150.شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه: محمود الأرناؤوط، دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1989.

ابن العمادية، وجيه الدين منصور بن سليم الإسكندراني (607–673هـ):

151.ذيل تكملة الإكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، السعودية: منشورات جامعة أم القرى، ط1، 1416هـ.

العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله القرشي العدوي (تـ749):

152. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2010.

العيني، الحنفي بدر الدين أبو محمد (تـ 855هـ):

153. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق ودراسة: محمود رزق محمود، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط2، 2010.

154.مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2006.

-غ-

الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد (644–714هـ):

155.عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، 1991.

الغساني، الأندلسي محمد (تـ 1119هـ):

156.رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690–1691، حرّرها وقدّم لها: نوري الجراح، الإمارات العربية المتحدة: دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2002.

-ف-

الفاسي المكي المالكي، تقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد (775–832هـ):

157.ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد، تحقيق: يوسف كمال الحوت، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1990.

ابن فرحون، إبراهيم بن علي (تـــ799هـــ):

158.الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة: دار التراث للطبع والنشر، ب ط، ب ت.

ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي أبو الوليد (تـــ403هـــ):

159.تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط3، 1989.

160.تاريخ علماء الأندلس، حققه وضبط نصّه وعلّق عليه: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2008.

161.الألقاب، انتخاب أبي القاسم بن جيش الأندلسي، تحقيق: محمد عبد الفتاح النحال، نشر دار الفاروق الحديثة للنشر والتوزيع.

ابن الفوطي الشيباني، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (تـــ723هـــ):

162.مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، إيران: مؤسسة الطباعة والنشر، ط1، 1416هـــ.

الفيروز آبادي، مجد الدين بن يعقوب (تـــ817هـــ):

163.البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000.

-ق-

القادري، محمد بن الطيب عبد السلام (1124-1187هـــ):

164.نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، القسم الثالث، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996.

ابن القاسم، أحمد بن أبي أصيبعة (تـــ 668هـــ):

165.عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة.

القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي (تـــ 544هـــ):

166.ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، ب ت.

ابن القاضي المكناسي، أبو العباس أحمد بن محمد (960-1025هـ):

167.جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973.

168.ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة: مكتبة دار التراث، تونس: المكتبة العتيقة، ط1، 1971.

169.لُقَط الفرائد من لفاظة حُقَقِ الفوائد، ضمن موسوعة أعلام المغرب، ج2، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996.

ابن قتيبة الدينوري، أبو مَحمد عبد الله بن مسلم (تـ 276هـ):

170.الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار الأضواء للنشر والتوزيع.

171.المعارف، حققه وقدم له: ثروت عكاشة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1992.

ابن قُرقُول أبو إسحاق، إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الحمزي الوهراني (505-569هـ):

172.مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط1، 2012.

القسطنطيني العثماني، حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (1017-1067هـ):

173.سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلو، إعداد الفهارس: صلاح الدين أيغور، نشر منظمة المؤتمر الإسلامي مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، 2010.

174.كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن القطان الفاسي (تـ628هـ):

175.إحكام النظر في أحكام النظر بحاسة البصر، تحقيق: إدريس الصمدي، راجعه وضبطه: فاروق حمادة، دمشق: دار القلم، ط1، 2012.

ابن قُطْلُوبَغَا، الحنفي أبو الفداء (تـــ 879هـــ):

176.الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، صنعاء-اليمن: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، ط1، 2011.

القِفطي، الوزير جمال الدين أبي الـــحسن على بن يوسف (تـــ 642هـــ):

177.إخبار العلماء بأخبار الحكماء، علق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005.

178.إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي- بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1986.

179.المحمدون من الشعراء وأشعارهم، تحقيق وتقديم: حسن معمري، بإشراف: شارل بلا، جامعة باريس، 1970.

القُنازعي، القرطبي الأندلسي أبي المطرف عبد الرحمن بن مروان (341-413هـــ):

180.تفسير الموطأ، حققه وقدّم له وخرّج نصوصه: عامر حسن صبري، قطر: الهيئة القطرية للأوقاف، ط1، 2008.

ابن قنفذ، القسنطيني أبو العباس (تـــ 810هـــ):

181.الوفيات: معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين، تحقيق: عادل نويهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط4، 1983.

ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم (تـــ367هـــ):

182.تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري-بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط2، 1989.

القونويّ، قاسم (تـــ 978هـــ):

183.أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تحقيق: أحمد بن عبد الرحمن الكبيسي، جدة: دار الوفاء للنشر والتوزيع، ط1، 1986.

ابن القيسراني، أبو الفضل محمد بن طاهر(تـــ507هـــ):

184.المؤتلِفُ والمختلِف المعروف بالأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، ويليه زيادات الحافظ محمد بن أبي بكر عمر بن أحمد بن عمر أبي موسى الأصفهاني (تـــ581هـــ)، تقديم وفهرسة: كمال يوسف الحوت، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1991.

-ك-

الكتبي، محمد بن شاكر (تـــ764هـــ):

185.فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ط1.

ابن كثير، إسماعيل أبو الفدا (701-774هـــ):

186.البداية والنهاية، حققه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد حسان عبيد، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط وبشار عواد معروف، دمشق: دار ابن كثير، ط2، 2010.

الكندي المصري، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (تـــ بعد 353هـــ):

187.كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003.

-م-

ابن ماكولا، سعد الملك أبو نصر(تـــ475هـــ):

188.الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تصحيح وتعليق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1966.

المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد:

189.رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1994.

ابن المِـبْرَد الحنبلي، يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الدمشقي (841-909هـــ):

190.تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ، سوريا: دار النوادر، ط1، 2011.

مجهول:

191.أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط2، 1989.

المجاري الأندلسي، أبو عبد الله محمد (تـــ862هـــ):

192.برنامج المجاري، تحقيق: محمد أبو الأجفان، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1982.

المراكشي، العباس بن إبراهيم السملالي:

193.الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه: عبد الوهاب بن منصور، الرباط: المطبعة الملكية، ط2، 1993.

المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي:

194.المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 2006.

ابن مرزوق التلمساني، محمد (711–781):

195.المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.

المصري، عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي أبو محمد (تـــ 197هـــ):

196.الجامع في الحديث، ضبط وتخريج وتحقيق: مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، الرياض: دار ابن الجوزي، ط1، 1996.

المغربي، ابن سعيد (تـــ 685هـــ):

197.المُـغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط4، 1995.

المقري، التلمساني أحمد بن محمد (تـــ 1041هـــ):

198.أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وعلق عليه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939.

199.نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ب ط، 1988.

المقريزي، تقي الدين (تـــ 845هـــ):

200.المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط1، 1991.

المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (581–656هـــ):

201.التكملة لوفيات النَّقلة، حققه وعلّق عليه: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1984.

ابن منظور، الإفريقي محمد بن مكرم (تـــ 711هـــ):

202.لسان العرب، وضع حواشيه: اليازجي وجماعة من اللغويين، بيروت: دار صادر، ط3، 1414.

منيع ابن، الزهري محمد بن سعد (تـ 230هـ):

203.كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: على محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 2001.

ابن المواق أبي عبد الله محمد بن أبي يحي أبي بكر بن خلف (583–642هـ):

204.كتاب بغية النقّاد النقلة فيما أخل به كتاب البيان وأغفله أو ألم به فما تممه ولا كمله، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد خرشافي، الرياض: مكتبة أضواء السلف، ط1، 2004.

-ن-

ابن ناصر الدين، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي (تـ842 هـ):

205.توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، حققه وعلق عليه: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1993.

الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد:

206.كتاب الاستقصا لأخبار دور المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري محمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1997.

النباهي المالقي الأندلسي؛ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن (ولد 713هـ):

207.تاريخ قضاة الأندلس وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في مكتبة الآفاق الجديدة، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط5، 1983.

ابن النجار البغدادي، محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن (تـ643هـ):

208.ذيل تاريخ بغداد، بيروت: دار الكتاب العربي، ب ط.

ابن نقطة أبو بكر، محمد بن عبد الغني الحنبلي (579–629هـ):

209.التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد، حققه وضبط نصه وعلق عليه: أبو إدريس شريف بن صالح التشادي، قطر: إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار النوادر، ط1، 2014.

210.تكملة الإكمال (الإكمال لابن ماكولا)، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، السعودية: جامعة أم القرى، ط1، 1987.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (تـ733هـ):

211.نهاية الأَرَب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004.

-هـ-

الهِجراني، الحضرمي الشافعي أبو محمد (870-947هـ):

212.قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، عُني به: بو جمعة مكري وخالد زواري، جدة: دار المنهاج، ط1، 2008.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت 183هـ):

213.سيرة النبيﷺ، أعدّ مادته اللغوية وفهارسه العلمية: مجدي فتحي السيد، طنطا-مصر: دار الصحابة للتراث، ط1، 1995.

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت807هـ):

214.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت: دار الكتاب العربي، ب ط، ب ت.

-و-

الوادي آشي، محمد بن جابر (ت 749هـ):

215.برنامج الوادي آشي، تحقيق: محمد محفوظ، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط3، 1982.

الوراق النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت 380هـ):

216.الفهرست، قابله بأصوله وأعدّه للنشر: أيمن فؤاد سيد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط2، 2014.

الوزان الفاسي، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي:

217.وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983.

الوزير اليماني، محمد بن إبراهيم (ت 840هـ):

218.العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1994.

ابن أبي الوفاء، القرشي الحنفي محي الدين أبي محمد عبد (696-775هـ):

219.الجواهر المُضِية في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، السعودية: دار هجر للطباعة والنشر، ط2، 1993.

الونشريسي، أحمد بن يحي:

220.وفيات الونشريسي، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، ج2، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996.

-ي-

اليافعي، اليمني المكي أبو محمد عفيف الدين (تـــ 768هـــ):

221.مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997.

ياقوت الحموي، الرومي أبو عبد الله (تـــ 626هـــ):

222.معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993.

223.معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ط2، 1995.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (توفي بعد 292هـــ):

224.البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2009.

المراجع باللغة العربية:

إحسان عباس:

225.بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

226.تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، بيروت: دار الثقافة، ط2، 1969.

227.أحمدي اليزيدي، أبو الوليد ابن الفرضي القرطبي عرض لشيوخه ومروياته وتحقيق لكتابه الألقاب، المغرب: مطبوعات وزارة الأوقاف، المحمدية: مطبعة فضالة، 1995.

الألباني محمد ناصر الدين:

228.سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1995.

229.صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1988.

230.البشري سعد بن عبد الله، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس (422-488هـــ)، الرياض: مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1993.

231.بن شريفة محمد، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي بواعثها وأنماطها، منشورات جامعة القاضي عياض مراكش، مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، 2002.

232.البنداق محمد صالح، يحي بن الحكم الغزال أمير شعراء الأندلس في القرن الثالث الهجري وسفير أمير الأندلس لدى أمبراطور القسطنطينية وملك النورمان 150-250هـ/770-864، قدّم له: إحسان عباس، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط1، 1979.

233.جاسم ليث سعود، ابن عبد البرّ الأندلسي وجهوده في التاريخ، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1988.

234.الجباوي كريم عجيل، تطور التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس، بيروت: مؤسسة الطباعة والنشر، ط1، 2015.

235.الحجوي، محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، اعتنى به: أيمن صالح شعبان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995.

236.حسن محمد عبد الغني، التراجم والسير، القاهرة: دار المعارف، 1955.

237.حسني عبد الوهاب حسن، خلاصة تاريخ تونس، تونس: دار الكتب العربية الشرقية، ط3، 1953.

238.حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط2، 1986.

239.الخطيب محمد عجاج، أصول الحديث علومه ومصطلحه، بيروت: دار الفكر، 2006.

240.الخلف سالم بن عبد الله، نظم حكم الأمويين في الأندلس، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ط1، 2003.

241.ذنون طه عبد الواحد، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1988.

242.الزهراني محمد بن مطر، علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط1، 1996.

243.الزهراني مرزوق بن هياس آل مرزوقي، نسبة ومنسوب، بدون دار نشر، ط1، 2014.

244.زيدان جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها: شوقي ضيف، دار الهلال، ب ط، ب ت.

245.ابن سالم مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 2003.

246.السامرائي خليل إبراهيم وذنون طه عبد الواحد مطلوب وناطق صالح، تاريخ العرب في الأندلس، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2000.

247.سعد قاسم علي، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 2002.

248.ابن سودة المري عبد السلام بن عبد القادر، دليل مؤرخ المغرب الأقصى ويليه ذيل دليل مؤرخ المغرب الأقصى، بيروت: دار الفكر العربي، ط1، 1997.

249.شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1983.

250.الشكعة مصطفى، مناهج التأليف عند العلماء العرب قسم الأدب، بيروت: دار العلم للملايين، ط6، 1991.

251.شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، بيروت: دار مكتبة الحياة.

252.شلبي محمود، حياة عمر بن عبد العزيز، بيروت: دار الجيل، ط3، 1989.

253.شواط الحسين بن محمد، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط1، 1411هـ.

254.الشيخ عبد الستار، الإمام الأوزاعي شيخ الإسلام وعالم أهل الشام 88-157هـ، دمشق: دار القلم، ط1، 2006.

255.بن طرهوني محمد بن رزق، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، السعودية: دار ابن الجوزي، ط1، 1426هـ.

256.ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي، القاهرة: دار المعارف، ط11.

257.عاصي حسين، عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم وكتابه فتوح مصر وإفريقية، بيروت: دار الكتب العلمية.

258.العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط، د ت.

259.عبد الستار الشيخ، أعلام الحفّاظ والمحدّثين عبر أربعة عشر قرنا، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، د.ت.

260.عبد العزيز بنعبد الله، معلمة الفقه المالكي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983.

261.عبد العزيز سالم السيد، التاريخ والمؤرخون العرب، بيروت: دار النهضة العربية، 1961.

262.عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004.

263.العزاوي عبد الرحمن حسين، التاريخ والمؤرخون في العراق، (334-447هـ/945-1055م)، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1993.

264. العقيقي نجيب، المستشرقون، القاهرة: دار المعارف، ط3، 1964.

العمري أكرم ضياء:

265.بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط5، ب ت.

266.موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، الرياض: دار طيبة، ط2، 1985.

267.عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط4، 1997.

القنوجي البخاري محمد صديق حسن خان:

268.التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2007.

269.الحِطّة في ذِكر الصحاح الستة، دراسة وتحقيق: علي حسن الحلبي، بيروت: دار الجيلي، عمان: دار عمار، ب ط، ب ت.

270.كاشف سيدة إسماعيل، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، بيروت: دار الرائد العربي، 1983.

271.الكتاني الشريف أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أُقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، الدار البيضاء: دار الثقافة.

272.الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتناء: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982.

273.كراتشكوفسكي أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان بن هشام، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط2.

274.كنون عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، بدون دار نشر، ط2، 1960.

275.محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984.

276.مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة: دار الرشاد للطباعة والنشر، ط5، 2000.

المنوني محمد:

277.حضارة الموحدين، الدار البيضاء: دار توبقال، ط1، 1989.

278.المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، الرباط: منشورات كلية الآداب، 1983.

279.نعنعي عبد المجيد، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس: التاريخ السياسي، بيروت: دار النهضة العربية، 1986.

280.يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الأردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الدمام-السعودية: مكتبة المتنبي، ط1، 2002.

المراجع المترجمة:

281.بالنثيا آنخل جنثالث، تاريخ الفكري الأندلسي، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

282.برنشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988.

283.بروكلمن كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: عبد المجيد النجار، مصر: مطبعة دار المعارف، ط3.

284.بويكا. ك، المصادر التاريخية العربية في الأندلس القرن السابع وحتى الثلث الأول من القرن الحادي عشر، نقله إلى العربية: نايف أبو كرم، دمشق: منشورات علاء الدين، ط1، 1999.

285.دوزي رينهرت، المسلمون في الأندلس، الجزء الثاني: إسبانيا الإسلامية، ترجمة وتعليق وتقديم: حسن حبشي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1994.

286.روزنثال فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلي، دمشق: مؤسسة الرسالة، ط2، 1983.

287.سزكين فؤاد، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية: محمود فهمي حجازي، راجعه: عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، طُبع على نفقة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية، 1991.

288.ميراندا أمبروسيو هويثي، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة: عبد الواحد أكمير، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2004.

المراجع باللغة الإسبانية:

289.ALJOXANI, Historia de los jueces de Córdoba, Traduccion Espanola Por JULIAN RIBERA.

290.FRANCISCO PONS BOIGUES, Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles, Madrid, 1898, Establecimiento tipografico de San Francisco de Sales.

291.IBN AL-QŪṬIYA, «Ta'rīj iftitāḥal-Andalus», Historia de la Conquista de España por Aben Alcotia el cordobés, trad. Julián Ribera, ed. P. Gayangos, E. Saavedra y F. Codera, Madrid (1926).

الأطروحات والرسائل الجامعية والمطبوعات البيداغوجية:

292.بوخاري عمر، محاضرات في مقياس مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، سند بيداغوجي للتأهيل موجه لطلبة السنة الثانية ماستر، تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي الأوسط الوسيط، جامعة ابن خلدون تيارت، 2016–2017.

293.بورملة خديجة، مصادر تاريخ الغرب الإسلامي، سند بيداغوجي خاص بمقياس مصادر تاريخ الغرب الإسلامي موجه لطلبة السنة الأولى ماستر، فرع تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2020–2021.

294.الرازي أحمد بن محمد (تـــ344هـــ/955م)، نصوص من كتاب أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، بإشراف: عامر ممدوح خيرو، العراق: الجامعة العراقية، 2022.

295.الزويني خليل هاشم عباس، ابن الزبير ومنهجه في كتابه صلة الصلة، رسالة دكتوراه، العراق: جامعة البصرة، بإشراف: محمد سعيد رضا، 1995.

296.الصميدعي عمر حمد إبراهيم عزيز، الحياة العامة في الأندلس من خلال تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (تـــ571هـــ)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، بإشراف: عبد الخالق خميس علي التميمي، قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق: جامعة ديالي بعقوبة، 1434هـــ/2013م.

297.طيطح نصيرة، سفارات بلاد الدولة الأموية بالأندلس، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، بإشراف فاطمة بلهواري، جامعة وهران1، 2018–2019.

298.عبد الله العومي ليلى بنت سلمان، مصادر ابن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة دراسة تاريخية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، بإشراف: صالح بن محمد السنيدي، 1429–1430هـــ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية.

299.العبيدي إيمان محمود حمادي، التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس من القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري، أطروحة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي، إشراف: كريم عجيل حسين، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الأنبار–العراق، 2011.

عليلي محمد:

300.الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول والثالث الهجريين/السابع والتاسع الميلاديين، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: بلحاج معروف، جامعة تلمسان، 2015–2016.

301.الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين 2–3هـــ، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2008.

302.كامل الشيخ عُلا كمال، منهج الإمام عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي(تـــ403هـــ) في نقد الرجال دراسة تطبيقية على كتابه تاريخ علماء الأندلس، أطروحة ماجستير في الحديث الشريف وعلومه، إشراف: أحمد إدريس عودة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، 2018.

303.متاجر صورية، العلماء في الأندلس من خلال كتب التراجم والصلات خلال القرنين 4–5هـــ/10–11م دراسة بيوغرافية ببليوغرافية، مذكرة ماجستير في علم المكتبات والعلوم

الوثائقية، إشراف: محمد صاحبي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران السانية، قسم علم المكتبات، 2007–2008.

304.الوزان أحمد بن عبد الرحمن، التدوين التاريخي في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، بإشراف: حمد بن صالح السحيباني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1425–1426هـ.

المعاجم والموسوعات:

305.بدوي عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، بيروت: دار العلم للملايين، ط3، 1993.

306.الجبوري كامل سلمان، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003.

307.الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم، بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002.

308.علي الرضا قره بلوطو أحمد طوران قره بلوط، معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم المخطوطات والمطبوعات، قيصري تركيا: دار العقبة، ط1، 2001.

309.كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

310.م. ت. هوتسما، ت. و.أرنولد، ر.باسيت، ر.هارتمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، الأجزاء أ إلى ع إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتناوي وعبد الحميد يونس، الأجزاء من ع إلى ي ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، المراجعة والإشراف العلمي: حسن حبشي وعبد الرحمن عبد الله الشيخ ومحمد عناني، الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1998.

311.مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004.

312.موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط1، 1998، الإمارات: مركز الشارقة للإبداع الفكري.

نويهض عادل:

313.معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1980.

314.معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، 1988.

المقالات والدوريات باللغة العربية:

315.إبراهيم شبوح: "**برنامج شيوخ ابن الفخار الرعيني 592-666هـ**"، مجلة معهد المخطوطات العربية، تصدر جامعة الدول العربية، مج5، ع1، ماي 1959.

316.أحمد هاشم محمد: "**علم تاريخ الرجال في الأندلس وقيمته العلمية**"، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج6، ع12، 2012.

317.أمعضشو فريد: "**ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته**"، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع128، 2013.

الأهواني عبد العزيز:

318."**كتب برامج العلماء في الأندلس**"، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، جامعة الدول العربية، مج1، ع1، مايو 1955.

319."**مخطوطان جديدان من صلة الصلة لابن الزبير والذيل والتكملة لابن عبد الملك**"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، تصدر عن المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مج1، ع3، 1955.

320.بن شريفة محمد: "**حول مؤرخ أندلسي مجهول**"، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، ع2، فبراير 1985.

321.بن عبود امحمد: "**ابن الخطيب مؤرخا للأندلس في عهد دول الطوائف**"، مجلة دعوة الحق، تصدر عن وزارة الأوقاف المغربية، العدد: 259، سبتمبر أكتوبر 1986.

322.بوشريط أمحمد: "**الحجاري وإسهاماته الثقافية كتاب المسهب أنموذجا**"، مجلة عصور الجديدة، تصدر عن مختبر تاريخ الجزائر، مج3، ع10، 2013.

323.التونسي محمد خليفة: "**الشاعر الأندلسي الغزال**"، العربي، مجلة تصدر بدولة الكويت، ع212، 1يوليو 1976.

324.حاج سعد سليم: "**ابن حيان الأندلسي والفتنة القرطبية**"، مجلة البحوث والدراسات، دورية أكاديمية دولية تصدر عن جامعة حمّة لخضر بالوادي، ع15، السنة 10، شتاء 2013.

325.حميداتو مصطفى والعيادي خدومة: "**فن التراجم عند الأندلسيين: دراسة في النشأة والمنهج**"، مجلة البحوث والدراسات، السنة 13، ع22، 2016.

326.داود نبيلة عبد المنعم: "**فن التراجم في التاريخ العربي الإسلامي**"، مجلة التراث العلمي العربي، تصدر عن جامعة بغداد، ع4، 2011.

الدباغ محمد بن عبد العزيز:

327."أبو جعفر أحمد بن الزبير من خلال كتابه الصلة لصلة ابن بشكوال"، مجلة المناهل، تصدر عن وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب، السنة 13، ع34، 1986.

328."صلة الصلة لابن الزبير: الربط بين القسم المطبوع من كتاب صلة الصلة لابن الزبير وبين شذرات أخرى منه موجودة بخزانة القرويين"، مجلة المناهل، تصدر عن وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب، السنة 12، ع33، 1985.

ربوح عبد القادر:

329."الكتابة التاريخية في الأندلس ما بين القرن 4-5هـ /10-11م: مجالاتها، أصنافها، نماذجها"، الباحث، مجلة تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، مج11، عدد رقم:02، ديسمبر، 2019.

330."مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية ما بين القرن 3-4هـ/9-10م"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مجلة تصدر عن مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، مج3، ع2، 2018.

331.زغروت محمد إبراهيم: "**مكتبة الأمويين الإسلامية في قرطبة وتأثيرها الفكري في شعوب غرب أوربا**"، مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، العربية السعودية، مج17.

332.زيان علي: "النقد التاريخي عند ابن حارث الخشني (ت361هـ/972م) في كتابيه: قضاة قرطبة وطبقات علماء إفريقية"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، مج5، ع2، ديسمبر 2021.

333.السحيباني حمد بن صالح: "**مصادر الحافظ ابن الفرضي في كتابه تاريخ العلماء والرواة**"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المملكة العربية السعودية، ج12، ع19، 1420هـ.

334.سرى طه ياسين: "**لسان الدين بن الخطيب ومنهجه في كتابه أوصاف الناس في التواريخ والصلات**"، مجلة كلية الإمام الأعظم، العراق، العدد 15، 2012.

335.سعد قاسم علي: "**محدّث الأندلس الحافظ ابن بشكوال (ت578هـ/1183م) شخصيته ومؤلفاته**"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة، مكة المكرمة، ج16، ع28، شوال 1424هـ.

336.العبادي أحمد مختار: "**لسان الدين بن الخطيب وكتاباته التاريخية**"، مجلة عالم الفكر، دورية تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت، مج16، العدد 2، 1985.

337.عبير فريد أبو بكر: "**أثر تراجم الأعلام في إثراء علم الحديث**"، دراسات علوم الشريعة والقانون، الأردن: الجامعة الأردنية، مج42، ع2، 2015.

338.العماري الصادقي: "**التراجم والسير الذاتية في التراث العربي الإسلامي**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس: المغرب، 1991.

339.عيساوي محمد: "**المؤرخ أبي الوليد بن الفرضي وجهوده العلمية في فنّ التراجم تاريخ علماء الأندلس أنموذجا**"، مجلة آفاق للعلوم، تصدر عن جامعة الجلفة، مج05، عدد 18، 2020.

340.غزالي محمد: "**المعتزلة وآراؤهم الفكرية والعقدية في بلاد المغرب من منتصف القرن 2هـ/8م-ق4هـ/10م**"، مجلة عصور الجديدة، العدد 21-22، 2016.

341.الفاسي، محمد العابد بن عبد الله: "**ابن عبد الملك المراكشي**"، مجلة دعوة الحق، مجلة تصدر عن وزارة عموم الأوقاف بالمغرب، س2، ع5، 1959.

342.لطيف خلف محمد الدليمي وإيمان محمود حمادي العبيدي: "**نصوص مفقودة من كتاب عائد الصلة للسان الدين ابن الخطيب (تـ776هـ) جمع ودراسة وتحقيق**"، مجلة زانكوي سليماني، تصدر عن جامعة السليمانية، قسم الدراسات الإنسانية B، ع48، 2015.

343.متاجر صورية: "**الترتيب الهجائي وكيفيات استخدامه في الأندلس ما بين القرنين الثاني والرابع الهجريين**"، مجلة الحوار المتوسطي، تصدر عن مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة بلعباس، مج4، ع5، 2013.

محمود علي مكي:

344."**السيرة النبوية في التراث الأندلسي**"، مجلة الهلال المصرية، مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال بالقاهرة، أسسها جرجي زيدان، عدد 08 خاص بمحمدﷺ، أغسطس، 1978.

345."**عبد الملك بن حبيب، استفتاح الأندلس، تحقيق ونشر**"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مج5، 1957، القسم الأجنبي، ص ص221-226.

346."**مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي**"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مج5، 1957.

347.المغراوي رابح عبد الله: "**مخطوط إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام للسان الدين بن الخطيب الأندلس (713-776هـ) كشف لحيثيات التصنيف وفحص لمفردات العنوان**"، آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد بالإمارات، السنة 08، ع29-30، 2000.

348.ملاخ عبد الجليل: "**الإمارة الأموية في الأندلس وتحولها من مذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي**"، مجلة الحقيقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة محكمة تصدر عن جامعة أدرار الجزائر، مجلد10، ع1، جانفي 2011.

349.مؤنس حسين: "**الجغرافية والجغرافيون في الأندلس من البداية إلى الحجارى**"، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، يصدرها معهد الدراسات الإسلامية في مدريد بإسبانيا، مج7-8، 1959-60.

350.الهراس عبد السلام: "**إنتاج ابن الأبار البلنسي**"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، تصدر عن المعد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج22، 1983.

يوسف أحمد يوسف بني ياسين:

351."**الحسن بن محمد القُبّشي (348-بعد 430هـ/958-بعد 1038م) وكتابه الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال**"، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن عمادة البحث العلمي، جامعة الأردن، مج36، ع3، 2009.

352."**تعقبّات ابن الأبار (تـ658هـ/1260م) في كتابه التكملة لكتاب الصلة على ابن بشكوال (تـ578هـ/1183م) في كتابه الصلة**"، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، تصدر عن عمادة البحث العلمي بجامعة الأردن، مج6، ع3، 2012.

353.يوسف أحمد يوسف بني ياسين، وعصام مصطفى عقلة: "**منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة**"، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، تصدر عن عمادة البحث العلمي بجامعة الأردن، مج4، ع2، 2010.

دراسات ضمن كتب أو ضمن أعمال ندوات أو ملتقيات:

354.الحقان عبد الرحمن راشد: "**الفقه في حياة لسان الدين بن الخطيب ومؤلفاته**"، منشور ضمن أعمال الندوة الدولية للإيسيسكو ومؤسسة ابن الخطيب بعنوان: لسان الدين بن الخطيب مجدد فكر التسامح وحوار الثقافات، فاس 2013، الرباط: مطبعة الإيسيسكو، 2017.

355.دادي مارية: "**كتب التراجم: نشأتها وتطورها من القرن الثاني إلى القرن الثاني عشر الهجريين**"، ضمن متنوعات محمد حجي، نشرت بمناسبة صدور موسوعة أعلام المغرب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998.

356.شتوان بلقاسم: "**الأثر الديني في شعر لسان الدين بن الخطيب الأندلسي**"، ضمن أعمال الندوة الدولية للإيسيسكو ومؤسسة ابن الخطيب بعنوان: لسان الدين بن الخطيب مجدد فكر التسامح وحوار الثقافات، فاس 2013، الرباط: مطبعة الإيسيسكو، 2017.

357.العياشي السنوسي: "**المشاركة السياسية للسان الدين بن الخطيب في المغرب**"، منشور ضمن أعمال الندوة الدولية للإيسيسكو ومؤسسة ابن الخطيب بعنوان: لسان الدين ابن الخطيب مجدد فكر التسامح وحوار الثقافات، فاس 2013، الرباط: مطبعة الإيسيسكو، 2017.

358.وداد القاضي: "**معاجم التراجم تنظيمها الداخلي وأهميتها الثقافية**"، ضمن كتاب: الكتّاب في العالم الإسلامي، الكويت: مطابع السياسة، 2003.

359.الوراكلي حسن: "**لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين: دراسة وبيبليوغرافية**"، ضمن سلسلة المعتمد بن عباد للتاريخ الأندلسي ومصادره، منشورات عكاظ، ب ت، سلسلة 3.

المقالات والدوريات باللغة الإسبانية:

360. Mahmud Alí Makki: "**EGIPTO Y LOS ORIGENES DE LA HISTORIOGRAFIA ARABIGO-ESPANOLA**",Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos, MADRID, Vol V, 1957.

361. SANCHEZ –ALBORNOZ: "**PRECISIONS SOBRE FATH AL-ANDALUS**", Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos, MADRID, Vol. IX y X (1961-1962).

362. Vincent Lagardère: **"Abd Al-Malik B. Habib, Kitäb al-ta'rij, La Historia"**, édition et étude de Jorge Aguadé. Consejo Superior de Investigaciones Cientificas, Instituto de Cooperaciôn con el Mundo Arabe, Madrid, 1991، Bulletin critique des annales islamologiques, n°10, le CAIRE, 1993

المقالات والدوريات باللغة الفرنسية:

363. GATEAU, A, "**Ibn 'Abd al-Hakam et les sources relatives à la conquête de l'Afrique du Nord et de l'Espagne**", Revue tunisienne, N 23-24, 1935.

أعمال الملتقيات:

364. شعيب عبد الواحد عبد السلام: "**كتب الصلات الأندلسية نهج فريد في فن التراجم الإخبارية**"، أعمال الملتقى الدولي الأول "النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات"، تونس: كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، 2012.

المواقع الإلكترونية:

365.بوابة الأهرام، gate.ahram.org.eg/News/4692819.aspx**، تاريخ الدخول: الجمعة** 2024/07/12**، الثالثة والنصف مساء، تاريخ الخروج:** 2024/07/12 **الرابعة مساء.**

الفهرس العام للموضوعات

الموضوعات	الصفحة
مقدمة.....	أ
الفصل التمهيدي: **الإرهاصات الأولى للتدوين التاريخي بالأندلس**	
المبحث الأول: الرواية الشفوية بعد الفتح الإسلامي للأندلس.....	03
1/ البدايات الأولى للروايات الشفوية في الأندلس ودورها في تبلور فكرة التدوين التاريخي...	04
2/ أعلام الرواية الشفوية بالأندلس خلال النصف الأول من ق02هـ/08م.....	08
المبحث الثاني: دور المدارس المشرقية في كتابة وتدوين التاريخ الأندلسي.....	17
1/ دور المدرسة المصرية في كتابة وتدوين التاريخ الأندلسي.....	17
1-1/ أسباب اهتمام المدرسة المصرية بكتابة التاريخ الأندلسي.....	18
2-1/ اهتمام الرواة المصريين بالتاريخ الأندلسي.....	20
أ/ تأثير الليث بن سعد.....	24
ب/ تأثير سعيد بن عفير.....	27
ج/ جهود عبد الرحمن بن عبد الحكم.....	29
د/ جهود ابن يونس عبد الرحمن بن أحمد الـــمصري الصدفي.....	31
3-1/ أسباب تراجع المدرسة المصرية في كتابة التاريخ الأندلسي.....	33
2/ دور مدارس العراق والمدينة والشام واليمن في تدوين التاريخ الأندلسي.....	35
الفصل الأول: **التدوين التاريخي في الأندلس البدايات، وأصناف الكتابة إلى نهاية (ق04هـ/10م)**	
المبحث الأول: المحاولات الأولى للكتابة التاريخية في الأندلس.....	43
1/ عبد الملك بن حبيب السلمي (المتوفى سنة 238هـ/852م)	44
2/ مُعارِكْ بن مروان (عاش في ق03هـ/09م)	54
3/ عبد الله الحَكَيم (تُوفي منتصف رمضان 341هـ/فبراير 953م)	58
4/ ابن القوطية (ت367هـ/977م)	66
المبحث الثاني: أصناف الكتابة التاريخية في الأندلس.....	83
1/ كتابة التاريخ العام للأندلس.....	85
2/ كتابة تاريخ مدن الأندلس.....	105
3/ كتابة تاريخ الأندلس شعرا.....	109
4/ كتابة الأنساب في الأندلس.....	116
5/ كتابة التراجم في الأندلس.....	120

الفصل الثاني:
البدايات الأولى للكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق04هـ/10م)

المبحث الأول: علم التراجم الماهية والنشأة..... 125
1/-ماهية علم التراجم..... 125
1-1/ المفهوم اللغوي والاصطلاحي لعلم التراجم..... 125
2-1/ الفرق بين الترجمة والسيرة..... 125
3-1/ التعريف بعلم التراجم..... 126
4-1/ التعريف بكتب التراجم..... 127
5-1/ الفرق بين كتب التراجم وكتب الرجال..... 128
2/ نشأة علم التراجم..... 133
المبحث الثاني: أنواع كتب التراجم الأندلسية ونماذج منها خلال (ق04هـ/10م)..... 139
1/ كتب التراجم العامة ونماذج منها..... 141
2/ كتب التراجم الخاصة ونماذج منها..... 144
1-2/ تراجم فئات معينة..... 146
2-2/ تراجم رجال بلد معيّن..... 185
3-2/ تراجم فئات معيّنة في بلد معيّن..... 187
4-2/ فهارس أو برامج وتسمية الرجال..... 197
5-2/ تراجم رجال مذهب واحد..... 202

الفصل الثالث:
ابن الفرضي والتأسيس لمنهج جديد في الكتابة التراجمية بالأندلس خلال (ق04-05هـ/10-11م)

المبحث الأول: التعريف بابن الفرضي (351-403هـ/962-1013م)..... 210
1/ حياته: اسمه، نسبه، كنيته، لقبه، مولده ونشأته..... 210
2/ شيوخه وتلاميذه..... 213
3/ رحلاته في طلب العلم..... 238
4/ المناصب التي تقلّدها..... 247
5/ أقوال العلماء فيه..... 249
6/ إنتاجه العلمي..... 251
7/ وفاته..... 256
المبحث الثاني: التعريف بكتاب تاريخ علماء الأندلس ومنهج ابن الفرضي في كتابة تراجمه..... 258
1/ تسمية الكتاب..... 258

2/ طبعات الكتاب.....	261
3/ دواعي تأليف الكتاب.....	263
4/ محتوى الكتاب.....	265
5/ منهج ابن الفرضي في كتاب تاريخ علماء الأندلس.....	267
5-1/ ترتيب التراجم.....	267
5-2/ البناء الداخلي للتراجم.....	271
6/ مصادر ابن الفرضي في كتاب تاريخ علماء الأندلس.....	292
6-1/ المصادر الصريحة.....	294
6-2/ المصادر المجهولة.....	311
الفصل الرابع: **تطور الكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق05-06هـ/11-12م)**	
المبحث الأول: كتب التراجم بعد ابن الفرضي.....	316
1/ الكتب المفقودة.....	316
2/ كتب الصلات والذيول.....	320
2-1/ التعريف بكتب الصلات.....	320
2-2/ أهم كتب الصلات والذيول الأندلسية.....	325
3/ كتب البرامج والفهارس والمشيخات والثبت في الأندلس.....	331
3-1/ نشأة برامج الشيوخ في الأندلس.....	331
3-2/ طرق تأليف كتب البرامج والفهارس ونظم ترتيبها.....	334
3-3/ أهم كتب البرامج والفهارس في الأندلس.....	336
المبحث الثاني: كتب الصلات والذيول الأندلسية ومنهجها في الكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق05-06هـ/11-12م).....	339
1/ كتب الصلات والذيول الأندلسية ومنهجها في الكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق05هـ/11م).....	340
1-1/ ابن مطلب (توفي في حدود 450هـ/1058م).....	340
2-1/ الحميدي (توفي 488هـ/1095م) ومنهجه في كتابه المقتبس في تاريخ علماء الأندلس.....	342
2/ كتب الصلات والذيول الأندلسية ومنهجها في الكتابة التراجمية في الأندلس خلال (ق06هـ/12م).....	352
2-1/ **ابن بشكوال (ت578هـ/1182م)**.....	352
2-1-1/ حياته.....	352

2-1-2/ إنتاجه العلمي..... 355
3-1-2/ التعريف بكتاب "الصلة"..... 358
1-3-1-2/ عنوان الكتاب..... 359
2-3-1-2/ طبعات الكتاب..... 362
3-3-1-2/ دواعي تأليف الكتاب..... 365
4-3-1-2/ محتوى الكتاب..... 366
4-1-2/ منهج ابن بشكوال في كتابه "الصلة"..... 368
أ/ تنظيم التراجم وترتيبها..... 369
ب/ البناء الداخلي للتراجم وعناصرها..... 382
5-1-2/مصادر ابن بشكوال في كتابه "الصلة"..... 388
2-2/ **ابن سيدالة** (ت558هـ/1162م)..... 395
حياته..... 395
إنتاجه العلمي..... 395
3-2/ **أبو القاسم القنطري** (ت561هـ/1165م)..... 396
حياته..... 396
إنتاجه العلمي..... 396
4-2/ **ابن عياد** (ت575هـ/1179م)..... 397
حياته..... 397
إنتاجه العلمي..... 398
5-2/ **ابن حبيش** (ت584هـ/1188م)..... 399
حياته..... 399
إنتاجه العلمي..... 400
6-2/ **الضبي** (ت599هـ/1202م)..... 400
حياته..... 400
إنتاجه العلمي..... 403
التعريف بكتاب الضبي بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس..... 404
أ/ **طبعات الكتاب**..... 404
ب/ **محتوى الكتاب**..... 404

منهج الضبي في كتابه بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس..... 406
مصادر الضبي في كتابه بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس..... 408

الفصل الخامس:
الكتابة التراجمية في الأندلس في طور الانتشار
خلال (ق07هـ/13م) ومطلع (ق08هـ/14م)

المبحث الأول: كتب الصلات والذيول الأندلسية في طور الانتشار في الأندلس خلال (ق07هـ/13م)..... 414
1/ أبو الخطاب بن واجب (ت614هـ/1217م)..... 414
1-1/ حياته..... 414
2-1/ إنتاجه العلمي..... 416
2/ عبد الله بن قاسم الحرار (ت646هـ/1248م)..... 417
1-2/ حياته..... 417
2-2/ إنتاجه العلمي..... 418
3/ ابن الأبار القضاعي (ت658هـ/1259م)..... 418
1-3/ حياته..... 418
2-3/ إنتاجه العلمي..... 423
3-3/ التعريف بكتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (ت658هـ/1260م)..... 428
1-3-3/عنوان الكتاب..... 428
2-3-3/ طبعات الكتاب..... 429
3-3-3/ دواعي تأليف الكتاب..... 433
4-3-3/ تاريخ تأليف الكتاب ومحتواه..... 434
أ-تاريخ تأليف الكتاب..... 434
ب-محتوى الكتاب..... 437
4-3/ منهج ابن الأبار (ت658هـ/1260م) في كتابه التكملة لكتاب الصلة..... 438
1-4-3/تنظيم التراجم وترتيبها..... 439
2-4-3/ البناء الداخلي للتراجم وعناصرها..... 441
3-4-3/ منهج ابن الأبار في التعقّب على المصادر السابقة له..... 446
5-3/ مصادر ابن الأبار (ت658هـ/1260م) في كتابه التكملة لكتاب الصلة..... 450
4/ ابن فرتون (ت660هـ/1261م)..... 458
1-4/ حياته..... 458
2-4/ إنتاجه العلمي..... 459
3-4/ منهج ابن فرتون في كتابه الذيل على الصلة..... 460

المبحث الثاني: كتب الصلات والذيول الأندلسية في طور الانتشار في الأندلس إلى مستهلّ (ق08هـ/14م) ابن الزبير (ت708هـ/1308م) أنموذجا.....	**466**
1/ حياته.....	466
2/ إنتاجه العلمي.....	468
3/ التعريف بكتاب صلة الصلة.....	469
4/ طبعات الكتاب.....	470
6/ دواعي تأليف كتاب صلة الصلة.....	471
6/ صلة الصلة؛ تاريخ التأليف والمحتوى.....	472
7/ منهج ابن الزبير في كتابه صلة الصلة.....	476
8/ مصادر ابن الزبير في كتابه صلة الصلة.....	484
الفصل السادس: الكتابة التراجمية في الأندلس في طور النضج من مطلع (ق08هـ/14م) إلى منتصف (ق09هـ/15م)	
كتب الصلات والذيول الأندلسية في طور النضج مطلع (ق08هـ/14م) ابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1303م) أنموذجا.....	**495**
1/ حياته.....	495
2/ إنتاجه العلمي.....	501
3/ التعريف بكتاب الذيل والتكملة للكتابي الموصول والصلة	503
4/ دواعي تأليف كتاب الذيل والتكملة للكتابي الموصول والصلة.....	506
5/ الذيل والتكملة؛ تاريخ التأليف والمحتوى.....	507
6/ منهج ابن عبد الملك في كتابه الذيل والتكملة للكتابي الموصول والصلة.....	516
7/ مصادر ابن عبد الملك في كتابه الذيل والتكملة للكتابي الموصول والصلة.....	533
المبحث الثاني: كتب الصلات والذيول الأندلسية في طور النضج وختم الحلقات خلال (ق08-09هـ/14-15م).....	**546**
1/ لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1374م) ونهاية عصر نضج منهج كتب الصلات والذيول وأثره على الكتابة التراجمية في الأندلس.....	546
1-1/ حياته.....	**546**
2-1/ إنتاجه العلمي.....	**555**
3-1/ التعريف بكتاب عائد الصلة.....	**560**
1-3-1/ دواعي تأليف الكتاب.....	561
2-3-1/ محتوى الكتاب وتاريخ تأليفه.....	561

1-3-3/ منهج ابن الخطيب في كتابه عائد الصلة.....	563
1-3-4/ مصادر ابن الخطيب في كتابه عائد الصلة.....	568
1-4/ التعريف بكتاب أعمال الأعلام.....	**568**
1-4-1/ اهتمامات المستشرقين والعرب بكتاب أعمال الأعلام.....	568
1-4-2/ محتوى كتاب أعمال الأعلام.....	572
1-4-3/ سبب تأليف كتاب أعمال الأعلام.....	574
1-4-4/ منهج ابن الخطيب في تأليف كتاب أعمال الأعلام.....	576
1-5/ كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة.....	**577**
1-5-1/ عنوان الكتاب.....	578
1-5-2/ التعريف بالكتاب.....	579
1-5-3/ طبعات الكتاب.....	580
1-5-4/ دواعي تأليف الكتاب.....	582
1-5-5/ كتاب الإحاطة تاريخ التأليف والمحتوى.....	584
1-5-6/ منهج ابن الخطيب في تأليف كتابه "الإحاطة".....	587
1-5-7/ مصادر ابن الخطيب في كتابه "الإحاطة".....	590
2/ ابن عاصم أبو يحي بن أبي بكر الملقب بابن الخطيب الثاني (ت857هـ/1452م) ونهاية عهد الصلات والذيول الأندلسية.....	593
2-1/ حياته.....	**593**
2-2/ إنتاجه العلمي.....	**596**
2-3/ التعريف بكتاب الروض الأريض.....	**597**
خاتمة.....	**601**
المصادر والمراجع.....	**613**
الفهرس العام للموضوعات.....	**651**

كتابة التراجم في الأندلس (ق04-09هـ)

تنوعت طرق التأليف في مختلف مجالات الثقافة الإسلامية، وتميزت بطابع الاشتراك بين المشارقة والأندلسيين. وفي هذا الإطار؛ عرفت الأندلس حركة ثقافية واسعة، تجلّت معالمها فيما خلّفه أهلها من آثار علمية وأدبية وفلسفية وتاريخية. ومن الآثار التي عُرفت في هذا السياق كتابة التراجم؛ وهي تآليف تحوي مادة بيوغرافية وبيبليوغرافية هامة، انتشرت انتشارا كبيرا ببلاد الأندلس.

ويعتبر كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (توفي 403هـ/1013م)، الحلقة الأولى والأبرز في هاته السلسلة التراجمية التي تتابعت من القرن الرابع الهجري إلى بداية النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، والتي وسمها ابن الخطيب بكتب الصلات؛ لتواصل حلقاتها. فقد انتشرت ببلاد الأندلس بشكل لافت، وتناول مؤلفوها فيها أعلام الفقهاء، والأدباء والشعراء، والفلاسفة، والخلفاء والملوك والأمراء والقادة، ومختلف الفئات، بذكر مواقفهم وأثرهم في جوانب الحياة العامة.

وسنحاول من خلال هاته الأطروحة، أن نميط اللثام عن جوانب مهمة وخَفية تخص كتابة التراجم التي عُرف بها الأندلسيون وتميّزوا بها بشكل خاص خلال الفترة الممتدة من مطلع القرن الرابع إلى بداية النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (ق04-09هـ)، في وقت كان للمشارقة فضل السبق فيه بدءًا، ثم محاولةُ حفظِ ما جادت به علينا هاته المدونات التاريخية وأعلامها، والتي ظلت على مرّ فترات تاريخية مديدة مصدر إلهام لعديد المدارس التاريخية اللاحقة.

الكلمات المفتاحية: الأندلس؛ كتب التراجم؛ علماء الأندلس؛ كتب الصلات الأندلسية؛ ابن الفرضي؛ ابن الخطيب.

Writing of biographies in Andalusia (century 04-09H)

The writing methods were varied in various areas of Islamic culture, and were characterized by the nature of the partnership between the East and Andalusia. In this context; Andalusia was known for a great cultural movement, whose characteristics were reflected in the scientific, literary, philosophical and historical relics of its people. One of the implications defined in this context is the writing of biographies; these are writings containing important biographical and bibliographic material, which has been widely disseminated in Andalusia.

The book "THARIKH OOLAMAA AL ANDALUS" by Ibn al-Faradhi (died in 403 AH/1013 AD) is considered the first and most important link in this biographical series that continued from the fourth century until the beginning of the second half of the ninth century AH. and which Ibn al-Khatib called the Books of "الصلات: cylat"; as its episodes are continuous. These books have spread remarkably in Andalusia, and the authors present the biographies of jurists, writers, poets, philosophers, caliphs, kings, princes, leaders and various groups, mentioning their positions and their impact on certain aspects of public life.

Through this thesis we try to show important and hidden aspects related to the writing of biographies, for which the Andalusians were known and distinguished in particular during the study period (century 04-09H), of which the merit goes to the scholars of the Arab East. We also seek to preserve what these historical corpus have taught us. Which, over long periods of history, remained a source of inspiration for many later historical schools.

Keywords:
Andalusia; Biographical books; Andalusian scholars; The Books of "الصلات: cylat"; Ibn al-Fardhi; Ibn al-Khatib.